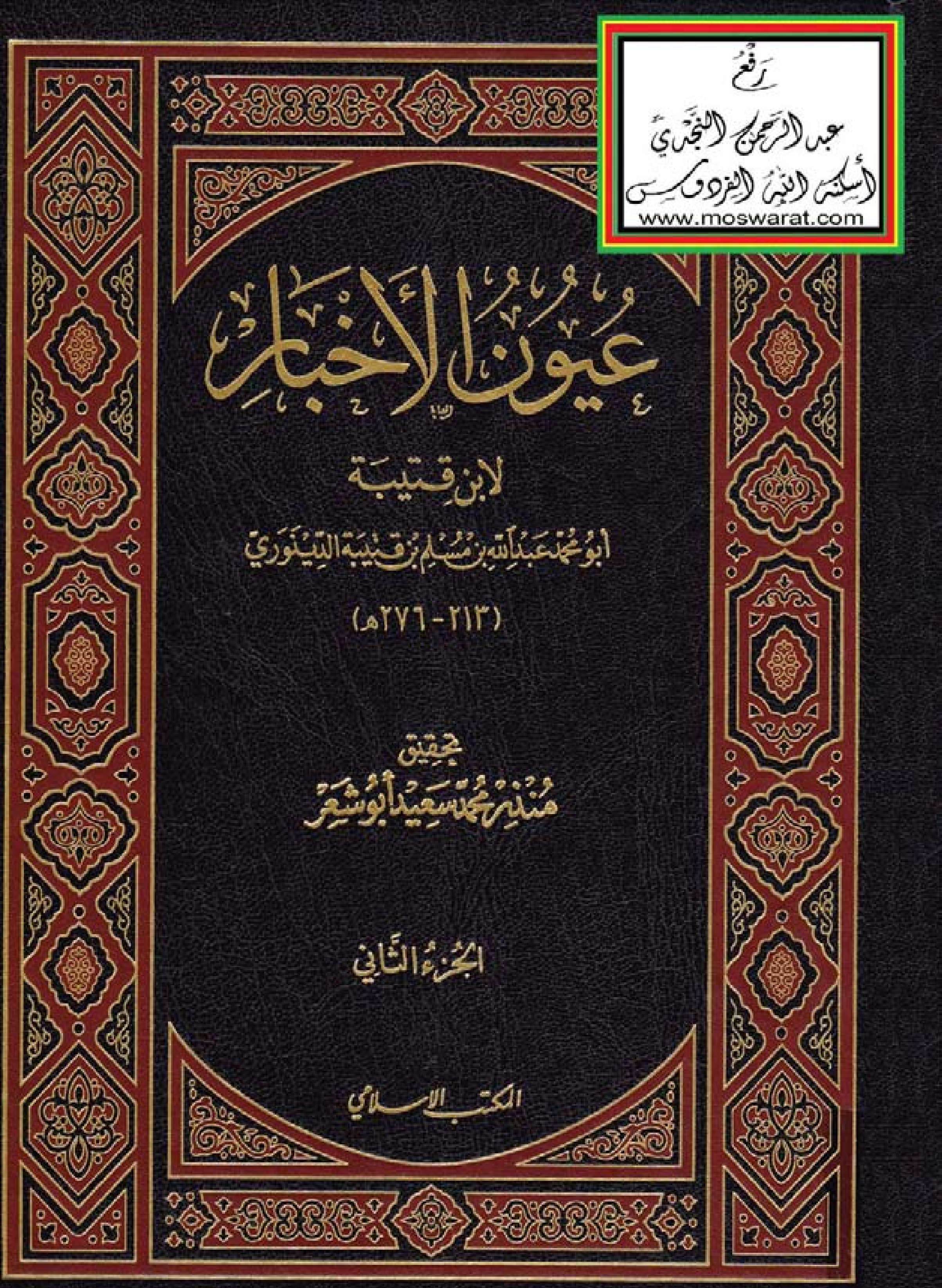
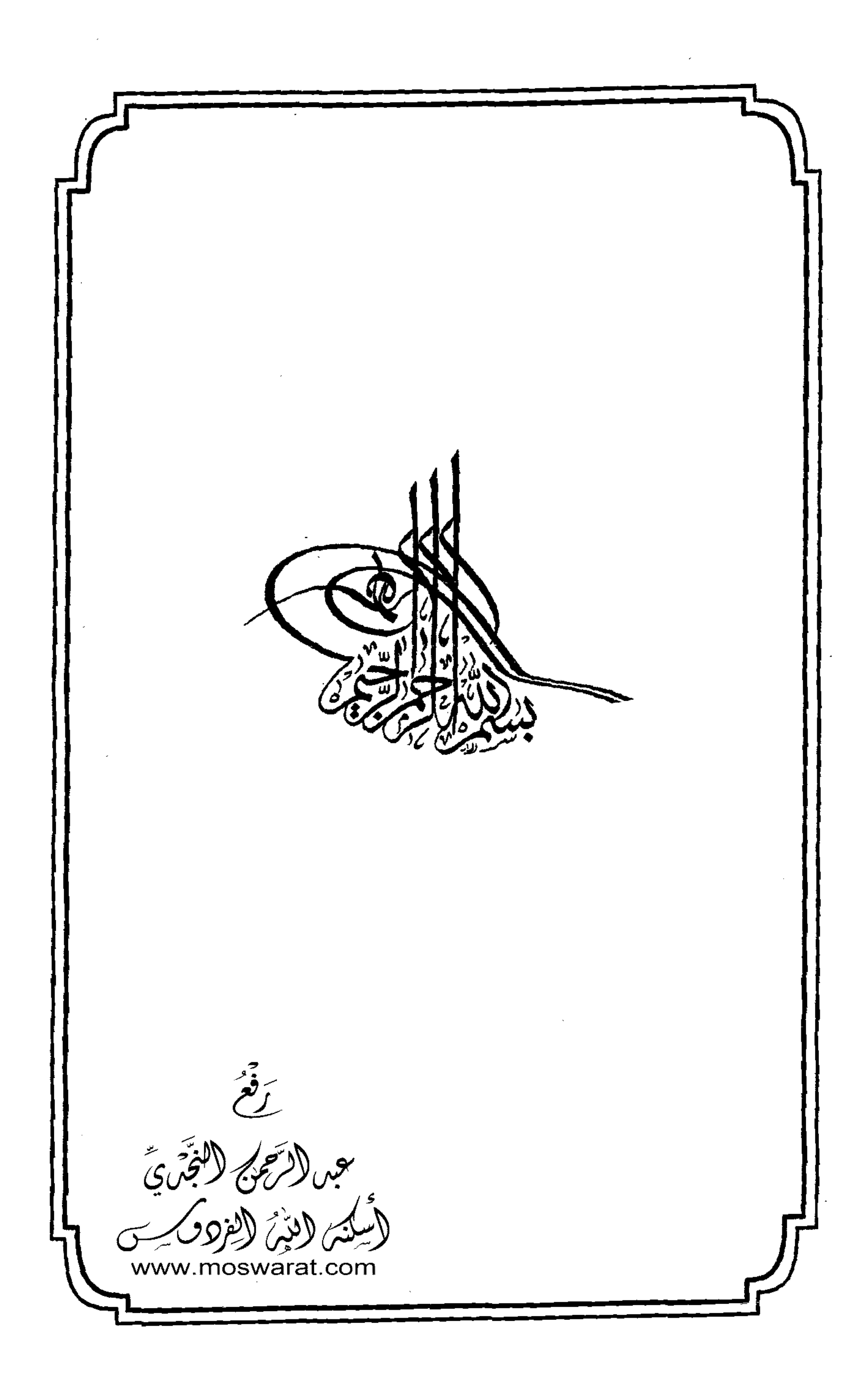


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
عيون الأخبار
لابن قتيبة
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(٢١٣-٢٧٦هـ)
تحقيق
منذر محمد سعيد أبو شعر
الجزء الثاني
المكتب الإسلامي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عيون الأخبار

الجزء الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عيون الأخبار

لابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(٢١٣-٢٧٦هـ)

الجزء الثاني

تحقيق
منذر محمد سعيد أبو شعر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
عمّان : ص.ب: ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابُ الطَّبَائِعِ وَالأَخْلَاقِ المَذْمُومَة

١/٢

تشابُه الناس في الطبائع وذمّهم

١٩٢٦ حَدَّثني محمد بن عُبيد ، قال : حَدَّثنا يحيى بن هاشم الغَسَّانيّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن مُصْعَب بن سعد ، قال :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم .

١٩٢٧ قال : وحَدَّثني حسين بن حسن[1] المروزيّ ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان ، قال :

قال أبو الدَّرْداء : وجدتُ الناسُ اُخْبُرْ تَقْلُهْ(١) .

١٩٢٨ قال : حَدَّثني محمد بن عُبيد ، قال : حَدَّثنا شُرَيحُ بن النعمان :

عن المُعَافَى بن عِمْرَان[2] : أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه مَرَّ بقوم يَتْبَعُون رجلاً قد أُخِذَ في رِيبةٍ فقال : لا مَرْحباً بهذهِ الوُجوهِ التي لا تُرى إلا في الشَّرّ .

١٩٢٩ قال : وحَدَّثني محمد بن داود ، قال : حَدَّثنا الصَّلْتُ بن مسعود ، قال : حَدَّثنا عَثَّامُ بن عليّ ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، [و]عن عَبِيدَةَ :

أن وَهْب السُّوَائيّ[3] قال : لَغَطَ قومٌ عند رسول الله ﷺ ، فقيل : يا رسولَ الله لو

---

(1) مص : الحسن ، وكلاهما صواب . (2) كب ، مص : عمر ، تحريف .
(3) كب : للوليد السؤاني ، مص : الوليد السوائي ، وكلاهما تحريف .

---

(١) القلى : البغض ، تقول : قلاه يَقْليه ، وقليته ، إذا أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته . يقول : جرِّب الناس ، فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم ، لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، أي من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم . والهاء في « تقله » للسكت ، ومعنى نظم الكلام : وجدت الناس مقولاً فيهم هذا القول . وهو مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

نهيتَهُمْ ! فقال : « لو نَهيتُهُمْ أن يأتُوا الحَجُونَ لأتاه بعضُهم ولو لم تَكُنْ له حاجةٌ »[١] .

٢/٢ ١٩٣٠ قال : وحُدِّثْنا عن عفَّانَ ، عن مهديّ بن ميمون ، عن غَيلانَ بن جرير ، قال : قال مُطَرِّف : هم الناس ، وهم النِّسْنَاس ، وناسٌ غُمسُوا في ماءِ الناس .

١٩٣١ قال يونس بن عُبيد : لو أُمِرْنا بالجَزَع لَصَبَرْنَا[٢] .

١٩٣٢ وكان يقال : لو نُهِي الناسُ عن فَتّ البَعْر لَفَتُّوه ، وقالوا : ما نُهِينا عنه إلا وفيه شيءٌ .

١٩٣٣ وقال الشاعر :

ولَمَّا أنْ رَأَيتُ[1] بني جُوَينٍ جُلُوساً لَيسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ
يَئِسْتُ مِنَ الَّتي أقْبَلْتُ أبْغي لَدَيْهِمْ ، إنَّني رَجُلٌ يَؤُوسُ
إذا ما قُلْتُ أيُّهُمُ لأيٍّ تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ والرُّؤُوسُ

١٩٣٤ ويقال : لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما تباينُوا ، فإذا تساوَوْا هَلَكُوا[٣] .

١٩٣٥ وقال آخر :

النَّاسُ أَسْوَاءٌ وشَتَّى في الشِّيَمْ وكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الأَدَمْ[٤]

١٩٣٦ وقال آخر ـ يذكر قوماً ـ :

سَوَاءٌ كأسْنَانِ الحِمَارِ ولا تَرَى لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيءٍ فَضْلاَ

---

(1) كب ، مص : أتيت .

---

(١) رجاله ثقات ، وإسناده مرسل ، والحديث صحيح وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . الحجون : جبل بمكة ، على نحو ميل ونصف من البيت الحرام .

(٢) يريد ثقل الموعظة على السمع ، وجنوح النفس إلى مخالفتها .

(٣) أصل هذا أن الخير في النادر من الناس ، فإذا استوى الناس في الشر ولم يكن فيهم ذو خير ، كانوا من الهلكى . قال ابن الأثير : إنما يتساوون إذا رضوا بالنقص ، وتركوا التنافس في طلب الفضائل ودرك المعالي . وقد يكون ذلك خاصاً في الجهل ، ،ذلك أن الناس لا يتساوون في العلم ، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالاً (اللسان : سوا) .

(٤) قال الرِّياشي : سألتُ عنه أعرابياً فصيحاً فقال : معناه أنهم من أديم واحد ، أي من ترابٍ يجمعهم كلهم آدم ، وإن اختلفت شيمهم . وقال البغداديون : قال يجمعهم بيت الأدم ، لأن بيت الأدم فيه كل ضرب من رِقاع الأدم (اللسان : أدم) .

١٩٣٧ وقال آخر :

سَوَاسيةٌ كأسنانِ الحِمار

١٩٣٨ وكان يقال :

المَرْءُ تَوَّاقٌ إلى ما لم يَنَلْ

١٩٣٩ والعجم تقول : كلُّ عزٍّ دَخَل تحت القُدْرَةِ فهو ذليل .

١٩٤٠ وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مَملولٌ مَحقورٌ . ٣/٢

١٩٤١ وقال الشاعر :

وزَادَني[1] كَلَفاً بالحُبِّ أنْ مَنَعَتْ ... وَحُبُّ[2] شَيْءٍ إلى الإنْسانِ ما مُنِعَا(١)

١٩٤٢ وقال آخر :

تَرَى النَّاسَ أسْوَاءً إذا جَلَسُوا مَعاً ... وفي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ(٢)

١٩٤٣ ويقالُ : الناسُ سيلٌ ، وأسرابُ طيرٍ يتبعُ بعضُها بعضاً .

١٩٤٤ وقال طَرَفَةُ :

كُلُّ خَليلٍ كُنْتُ خالَلْتُهُ ... لا تَرَكَ اللهُ لَهُ واضِحَهْ(٣)

كلُّهُمُ أرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... ما أشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارِحَهْ

١٩٤٥ وقال آخر :

فإنَّكَ لا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلٍ ... أَظَبْيٌ كان أُمَّكَ أمْ حِمَارُ(٤)

---

(1) في جميع الأصول : وزاده . (2) مص : أحب .

---

(١) الكَلَف : الولوع بالشيء مع شغل القلب والمشقة . وكَلِف بالحب : أُولع به وأحبه أشد الحب حتى يبلغ منه الجَهْد .

(٢) أسواء : جمع سواء ، وسواء الشيء : مثله .

(٣) الخليل : الصديق الحبيب . وقوله : لا ترك الله له واضحة ، أي لا ترك الله له سناً واضحة ، والوضح : البياض . يدعو عليه بالهلاك .

(٤) يصف تغير الزمان واطراح مراعاة الأنساب . والمراد هنا بالأم : الأصل . يقول : لا تبالي بعد قيامك بنفسك واستغنائك عن أبويك من انتسبت إليه . وإنما ذكر الحول لذكره الظبي والحمار لأنهما يستغنيان بأنفسهما بعد الحول .

فَقَـدْ لَحِـقَ الأَسَـافِـلُ بـالأعـالِـي   ومَـاجَ اللُّـؤْمُ واْخْتَلَـطَ النُّجَـارُ(١)
وعـادَ العَبْـدُ مِثْـلَ أبـي قُبَيْـسٍ   وسيقَ مَعَ المُعَلْهَجَةِ[1] العِشَارُ(٢)

يقول : سِيقتِ الإبلُ الحوامِلُ في مهرِ اللئيمة .

٤/٢ ١٩٤٦ قال أبو محمد : بلغني عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ ، عن أبيه ، قال :

كنت عند الحسن فقال : أسمعُ حَسيساً ولا أرَى أنيساً ، صبيانٌ حَيَارى . ما لَهُمْ تَفَاقَدُوا [عُقُولَهُم] ؟ فَرَاشُ نارٍ وذِبّانُ طَمَعٍ .

١٩٤٧ وقال أبو حاتِم ، عن الأصمعيّ :

لو قَسَمتُ في الناس مائةَ ألفِ درهم كان أكثرَ للائِمَتِي مِن[2] لو أخَذتُها منهم .

١٩٤٨ ونحوه قولُ محمد بن الجهم : مَنْعُ الجميع أرْضَى للجميع(٣) .

١٩٤٩ وقال ابن بشير :

سَـوْءةً للنَّـاسِ كُلِّهِـمُ   أنَـا فـي هـذا مِـنَ اَوَّلِهِـمْ
لسْـتَ تَـدْرِي حِيـنَ تَنْسُبهُـمْ   أيْـنَ أدْنَـاهُـمُ مِـنَ اَفْضَلِهِـمْ

١٩٥٠ وقال نَهَارُ بن تَوْسِعَةَ :

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا فَقَـدْتُـهُ   وجَرَّبْتُ أقْوَاماً بَكَيْتُ عَلَى سَلْمِ

١٩٥١ وهذا مِثل قولهم : ما بكيتُ من زمانٍ إلَّا بكيتُ عليه .

١٩٥٢ وقال الأحْنَفُ بن قَيْس :

ومـا مَـرَّ يَـوْمٌ أرْتَجـي فِيـهِ رَاحَـةً   فَـأَخْبُـرَهُ إلَّا بَكَيْـتُ عَلَـى أمْـسِ

١٩٥٣ وقال آخر :

ونَعْتِبُ أحْيانـاً عَلَيْـهِ ولَـوْ مَضَـى   لَكُنَّا على الباقي مِنَ النَّاسِ أعْتَبَا

---

(1) في هامش كب : المعلهجة : اللئيمة الأصل .   (2) كب : أن .

---

(١) النجار : الأصل والحسب .
(٢) أبو قبيس : جبل بمكة ، والمراد به الرجل الشريف . المعلهجة : المرأة اللئيمة الأصل ، الفاسدة النسب . والعشار : النوق الحوامل ، وكان العرب إذا تزوجوا ساقوا الإبل مهراً لأنها غالب أموالهم .
(٣) سيأتي برقم ٢١٥٦ .

١٩٥٤ وقال آخر :

سَبَكْنَـــاهُ ونَحْسَبُـــهُ لُجَيْنـــاً فَأَبْدَى الكِيرُ عَنْ خَبَثِ الحَديدِ[1]

١٩٥٥ قال : وحَدَّثني أبو حاتم ، قال : حَدَّثني الأصْمَعيّ ، عن ٱبن أبي الزِّناد ، عن أبيه ، قال : لا يزالُ في الناس بَقِيَّةٌ ما تُعُجِّبَ مِنَ العَجَب .

* * *

(١) اللجين : الفضة .

٥/٢ رجوعُ المتخلِّق إلى طبعه

١٩٥٦ بلغني أن أعرابياً رَبَّى جَرْوَ ذئبٍ حتى شَبَّ ، وظنَّ أنه يكون أغْنَى عنه مِنَ الكلب ، وأقْوَى على الذبِّ عن الماشية ، فلما قَوِيَ وَثَبَ على شاةٍ فقتلها وأكَلَ منها ، فقال الأعرابيّ :

أكَلْتَ شُوَيْهَتي ورَبيتَ فِينَا ... فمَا أدْرَاكَ أنَّ أبَاكَ ذِيبُ(١)

ويُرْوَى :

وُلِدْتَ بقَفْرَةٍ ونَشَأتَ عِنْدِي

إذا كانَ الطِّباعُ طِبَاعَ سُوءٍ ... فَلَيْسَ بِنَافِعٍ أدَبُ الأدِيبِ

١٩٥٧ وقال الخُرَيْميّ[1] :

يُلامُ أبُو الفَضْلِ في جُودِهِ ... وهَلْ يَمْلِكُ البَحْرُ ألَّا يَفِيضَا

١٩٥٨ وقال أبو الأسَدِ :

ولائِمةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ في النَّدَى ... فَقُلْتُ لَهَا : هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ في البَحْرِ

أرَادَتْ لِتَثْنِي الفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى ... ومَنْ ذَا ٱلذي يَثْني السَّحَابَ عَنِ القَطْرِ

مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ في كُلِّ بَلْدَةٍ ... مَوَاقِعُ مَاءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ

١٩٥٩ وقال كُثَيِّر :

ومَنْ يَبْتَدِعْ ما لَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ ... يَدَعْهُ ويَغْلِبْهُ عَلَى النَّفْسِ خِيمُهَا(٢)

١٩٦٠ وقال زهير :

ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ ... وإنْ خَالَها تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ(٣)

---

(1) كب : الخزيمي ، تصحيف .

---

(١) ربيت فينا : نشأت في حجرنا .

(٢) السوس : الطبع والسجية . والخيم : الخلق والشيمة . أي من ينتحل ما ليس ملائماً لسجيته ، فإنه لا بدّ متخل عنه ، وعائد إلى خيمه وطبيعته الأصلية .

(٣) الخليقة : الطبيعة .

١٩٦١ وأنشدني ٱبن الأعرابيّ لذي الإصبع العَدْوَانيّ :

كُـلُّ ٱمْـرِىءٍ رَاجِـعٌ يَـوْمـاً لِشِيمَتِـهِ   وإنْ تَخَلَّـقَ أخْـلاقـاً إلـى حِيـنِ

١٩٦٢ وقال آخر :

ارْجِعْ إلى خُلْقِكَ المَعْرُوفِ دَيْدَنُهُ   إنَّ التَّخَلُّقَ يَأتي[1] دُونَهُ الخُلُقُ(١)

١٩٦٣ وقال كُثَيِّر في خِلاف هذا :

وفي الحِلْمِ والإسْلامِ للمَرْءِ وَازِعٌ   وفي تَرْكِ أهْوَاءِ الفُؤَادِ المُتَيَّمِ(٢)
بَصَـائـرُ رُشْـدٍ لِلْفَتَـى مُسْتَبِينَـةٌ   وأخْـلاقُ صِـدْقٍ عِلْمُهَـا بـالتَّعلُّـمِ

١٩٦٤ ونحوه للمُتَلَمِّس :

تَجَاوَزْ عَنِ ٱلأدْنَيْنَ وٱسْتَبْقِ وُدَّهُمْ   ولَنْ تَسْتَطِيعَ الحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا(٣)

١٩٦٥ وقال الطائيّ(٤) :

لَبِسَ الشَّجَـاعَـةَ إنَّهَـا كـانَـتْ لَـهُ   قِدْماً نَشُوعاً في الصِّبَا ولَدُودَا(٥)
بَـأْسـاً قَبيليـاً وبَـأْسَ تَكَـرُّمٍ   فِينـا وبَـأْسَ قَـرِيحَـةٍ مَـوْلُـوداً(٦)

١٩٦٦ وقال أبو حفص[2] الشِّطْرَنجيّ مولى المهديّ في سَودَاءَ(٧) :

أشْبَهَـكِ المِسْـكُ وأشْبَهْتِـهِ   قـائمـةً فـي لَـوْنِـهِ قَـاعِـدَهْ

---

(1) كب ، مص : يأبى ، من الإباء وهو الامتناع .   (2) كب ، مص : جعفر ، تحريف .

---

(١) الديدن : العادة والشأن . والتخلق : هو أن يتكلف الرجل أن يُظهر من خُلُقه خلاف ما ينطوي عليه .

(٢) الوازع : الناهي ، والوَزْع : كف النفس عن هواها . وفؤاد متيم : استولى عليه الهوى فاستعبده وجعل عقله تبعاً لهواه .

(٣) الأدنين : جمع الدني ، وهو الساقط الضعيف من الرجال . والحلم : الأناة والعقل والصبر والتثبت والركانة ، وذلك شعار العقلاء ، وهو ضد السفه والطيش . يقال : حلمَ يَحْلُمُ : أي صار حليماً بعيد السفه ، قريب الأناة والعقل . ويقال : تحلم : إذا تكلف الحِلْم .

(٤) يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني .

(٥) النشوع : دواء يتجرعه الصبي جرعة بعد جرعة . واللدود : دواء يصب في أحد شقي الفم .

(٦) يقول : اجتمع فيه البأس من وجوه ، فمنه ما ورثه من قبيلته وذويه ، ومنه ما يتكلفه ليزداد عند الذكر به كرماً ، ومنه ما هو طبع منه وقريحة ولد معه ونشأ فيه . والقريحة : خالص الطبيعة التي جبل عليها الناس ، وجوهرها الصافي غير المشوب . وقريحة كل شيء : أوله ، وأصلها أول ما يخرج من البئر إذا حفرت .

(٧) سيأتي البيتان برقم ٥٦٠٣ كتاب النساء بدون عزو .

لا شَــكَّ إذْ لَــوْنُكُمَــا واحِــدٌ أَنَّكُمَــا مِــنْ طِينَــةٍ واحِــدَهْ

١٩٦٧ وقال أبو نُوَاس :

تَلْقَــىٰ النَّــدَى فــي غَيْــرِهِ عَــرَضـاً وَتَــرَاهُ فِيــهِ طَبِيعَــةً أَصْــلاَ
وإذا قَــرَنْــتَ بِعــاقِــلٍ أَمَــلاً كــانَــتْ نَتِيجَــةُ قَــوْلِــهِ فِعْــلاَ

١٩٦٨ وأنشدنا الرِّياشيّ :

لا تَصْحَبَــنَّ آمْــرَءًا عَلَــى حَسَــبٍ إنّي رَأَيْتُ الأحْسَابَ قَدْ دُخِلَتْ[١]
مــالَــكَ مِــنْ أنْ يُقَــالَ إنَّ لَــهُ أبــاً كَــرِيمــاً فــي أُمَّــةٍ سَلَفَــتْ
بَــلْ آصْحَبَنْــهُ عَلَــى طَبَــائِعِــهِ فكُلُّ نَفْــسٍ تَجْــرِي كَمَــا طُبِعَــتْ

٧/٢

١٩٦٩ وقال العَبَّاس بن مِرْدَاس :

إنَّــكَ لــم تَــكُ كــآبْــنِ الشَّــرِيــدِ ولَكِــنْ أَبُــوكَ أَبُــو سَــالِــمِ
حمَلْــتَ المِئِيــنَ وأثْقَــالَهَــا عَلَــى أُذُنَــيْ قُنْفُــذٍ رَازِمِ[1][٢]
وأَشْبَهْــتَ جَــدَّكَ شَــرَّ الجُــدُو دِ والعِــرْقُ يَسْــرِي إلــى النَّــائِــمِ

١٩٧٠ وقال بعض العبْديين :

وما يَسْتَوِي المَرْءَانِ هَذَا آبْنُ حُرَّةٍ وهَذَا آبْنُ أُخْرَى ظَهْرُهَا مُتَشَرَّكُ
وأدْرَكَــهُ[2] خَــالاَتُــهُ فَخَــذَلْنَــهُ أَلا إنَّ عِرْقَ السُّوءِ لا بُدَّ يُدْرَكُ

* * *

---

(1) في هامش كب : رازم ، أي لا حراك له . (2) كب : أدركنه .

---

(١) عنى بالحسب : المجد والشرف ، وقد أخطأ في ذلك . فالحسب : الفعال الصالح الحسن والكرم والمال الذي يحسب في مناقب الرجل ، ومنه رجل حسيب وذو حسب . فالحسب يكون في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف ، والمجد والشرف لا يوصف بهما الشخص إلا إذا كان فيه وفي آبائه . ويقال : حسبه مدخول ، أي ليس صحيح النسبة ، دخل في حسب قوم وشرفهم وانتسب إليهم وليس منهم .
(٢) الرازم : الثابت على الأرض لا يتحرك من الهزال ، وأذني القنفذ يضرب بهما المثل في القلة والصغر .

باب الشيء يُفْرِطُ فيَنتَقِلُ إلى غير طبعه

١٩٧١ قرأت في « كتاب للهند » : لا ينبغي اللَّجاجُ في إسقاط ذي الهمَّة والرأي وإذالته ، فإنه إمَّا شَرِسُ الطَّبْع كالحية إن وُطئتْ فلم تَلسَعْ لم يُغترَّ بها فيعادَ لوطئها ، وإما سُجُحُ(١) الطَّبْع كالصندل البارد إن أُفرِطَ في حكّه عاد حاراً مؤذياً .

١٩٧٢ وقال أبو نُوَاس :

قُـلْ لِـزُهَيْـرٍ إذا حَـدَا وشَـدَا ... أَقْلِـلْ وأَكْثِـرْ فـأنْـتَ مِهْـذَارُ
سخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البَرُودَةِ حَتَّـ ... ـى صِرْتَ عِنْدِي كأَنَّكَ النَّارُ
لا يَعْجَبِ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتي ... كـذلـكَ الثَّلْـجُ بَـارِدٌ حَـارُ

١٩٧٣ ويقال : إنما مَلُحَ القِردُ عند الناس لإفراط قبحه .

١٩٧٤ قال الطائيّ(٢) :

أَخْـرَجْتُمُـوهُ بِكُـرْهٍ مِـنْ سَجِيَّتِـهِ ... والنَّارُ قد تُنْتَضَى[1] مِنْ ناضِرِ السَّلَمِ(٣)
أَمِـنْ عَمًـى نَـزَلَ النَّـاسُ الـرُّبَـى فَنَجَـوْا ... وأنتُـمْ نَصْـبُ سَيْـلِ الفِتْنَـةِ العَـرِمِ(٤) ٨/٢
أَمْ ذَاكَ مِـنْ هِمَـمٍ جاشَـتْ فَكَـمْ ضَعَـةٍ ... حَـدَا إلَيْهَـا عُلُـوُّ[2] القَـوْمِ فـي الهِمَـمِ

١٩٧٥ وكان يقال : مِن التوقِّي تركُ الإفراط في التوقِّي .

* * *

---

(1) كب : تقتضى .　　(2) كب : غلو .

---

(١) إذالة ذي الهمة : إذلاله وامتهانه . وسجح : سهل ، يقال : طَبْع سُجُح وسَجيح ؛ إذا كان ليِّناً سمحاً .

(٢) يمدح مالك بن طوق التغلبي ، أمير دمشق للخليفة المتوكل ، وباني بلدة « الرحبة » قرب دير الزور على نهر الفرات ، ويعاتب بني عمه .

(٣) بعده :

أوطـأْتُمُـوهُ علـى جَمْـرِ العُقُـوقِ ولَـوْ ... لم يُحْرَجِ اللَّيْثُ لم يَبْرَحْ مِنَ الأَجَمِ

(٤) يقول : الناس لاذوا من خوفه ، فكأنهم حادوا عن طُرُق السيل ، ونزلوا الربى أمناً من السيول . ووصف السيل بالعرم ، كأنه يأخذه من العَرَامة وهي الشراسة والشدة ، وإنما العَرِم في الحقيقة ما يبنى ليدفع به السيل ، ولو قيل : إنه أراد ذي العرم ، ثم حذف المضاف ، لساغ ذلك وحسن .

باب الحسد

١٩٧٦ قال : حَدَّثنا إسحاق بن راهَوَيْهِ ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر :
عن إسماعيل بن أميّةَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا يسلمُ منهنَّ أحدٌ : الطِّيَرَةُ ، والظَّنُّ والحسد » ، قيل : فما المخرجُ منهنّ يا رسول الله ؟ قال : « إذا تَطَيَّرتَ فلا تَرجِعْ ، وإذا ظَننتَ فلا تُحَقِّقْ ، وإذا حَسَدتَ فلا تَبْغِ »(١) .

١٩٧٧ وقال بكر بن عبد الله : حِصَّتُكَ من الباغي حسنُ المُكاشَرَة ، وذنْبُكَ إلى الحاسد دوامُ النعم من الله عليك .

١٩٧٨ وقال رَوْحُ بن زِنْباعِ الجُذاميُّ[1] : كنتُ أرى قوماً دُوني في المنزلة عند السلطان يدخلونَ مداخلَ لا أدخلها ، فلما أذهبتُ عنّي الحسد دخلتُ حيثُ دخلوا .

١٩٧٩ وقال آبن حُمَام :

تَمَنَّى لي المَوْتَ المُعَجَّلَ خالِدٌ ... ولا خَيْرَ فيمنْ لَيسَ يَعْرِفُ حاسِدَهْ

١٩٨٠ وقال الطائيّ :

وإذا أرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لَوْلا آشْتِعَالُ النَّارِ فيما جَاوَرَتْ ... ما كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ
لَوْلا التَّخَوُّفُ للعَوَاقِبِ لم تَزَلْ ... للحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى المَحْسُودِ(٢)

١٩٨١ وقال عبد الملك للحَجَّاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرِفُ عَيْبَ نفسه فَصِفْ[2] [لي] نفسَكَ . قال : أعْفِني يا أمير المؤمنين . قال : لتَفعلنّ . قال : أنا لَجُوجٌ ، حَقُودٌ ، حَسُود . قال عبد الملك : ما في الشيطان شرٌّ مما ذكرتَ .

---

(1) كب : الخذامي ، تصحيف .
(2) كب ، مص : فعب نفسك .

---

(١) رجاله ثقات ، وإسناده منقطع ، والحديث ضعيف . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٢) يقول : لولا التخوف من عواقب ما يجره الحسد ، لكان للحاسد النعمة على المحسود ، لأنه يُظْهِرُ من فضله ما كان مستوراً ، ومن كرمه ما كان خافياً .

١٩٨٢ قال بعض الحكماء : الحسدُ من تَعادي الطبائع ، واختلافِ التركيب ، وفساد مِزَاجِ البِنْية ، وضَعْفِ عَقْدِ العقل ، والحاسدُ طويلُ الحَسَرات .

١٩٨٣ قال ٱبن المُقفَّع : أقلُّ ما لتارك الحَسَد في تركه أن يَصْرِفَ عن نفسه عذاباً ليس بِمُدْرِكٍ به حظاً ولا غائظٍ به عدواً ، فإنَّا لم نَرَ ظالماً أشبهَ بمظلوم من الحاسد ، طولُ أَسَفٍ ومحالفةُ كَآبةٍ وشِدّةُ تَحرُّقٍ ، ولا يبرَحُ زَارياً على نعمة الله ولا يَجِدُ لها مَزَالًا ، ويُكَدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يجدُ لها طَعْماً ، ولا يزَالُ ساخطاً على من لا يترضّاه ، ومُتَسَخِّطاً لِمَا لَنْ يَنَالَ فوقه ، فهو مُنغَّصُ المعيشة ، دائمُ السَّخْطَةِ ، محرومُ الطَّلِبَةِ ، لا بما قُسِمَ له يَقْنَعُ ، ولا على ما لم يُقْسَمْ له يَغْلِبُ . والمحسود يتقلَّبُ في فَضْلِ الله مُباشراً للسّرور ، مُنتفعاً به ، مُمَهَّلاً فيه إلى مُدَّةٍ ، ولا يَقدرُ الناسُ لها على قَطْعٍ وٱنتقاص . ٩/٢

١٩٨٤ قيل للحسن البصري: أيَحْسُدُ المؤمنُ أخاه ؟ قال: لا أَبَا لَكَ، أنسيتَ إخوةَ يوسُفَ.

١٩٨٥ وكان يقال : إذا أردتَ أن تَسْلَم من الحاسد فَعَمِّ عليه أُمُورَكَ .

١٩٨٦ ويقال : إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدواً لا يرحمَهُ سلَّطَ عليه حاسداً .

١٩٨٧ وقال العُتْبيُّ ـ وذكر ولده الذين ماتوا(١) ـ :

وحَتَّى بَكَى لي حُسَّادُهُمْ ... وقَدْ أَقْرَحُوا بالدُّموعِ العُيُونَا

وحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بامْرِىءٍ ... يَرَى حَاسِدِيه لَهُ رَاحِمِينا

١٩٨٨ قيل لسفيان بن معاوية : ما أَسْرَعَ حَسَدَ الناسِ إلى قومك ! فقال :

إنَّ العَرَانِينَ تَلْقَاها مُحَسَّدةً ... ولا تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا(٢)

١٩٨٩ وقال آخر :

وتَرَى اللَّبِيبَ مُحَسَّداً لم يَجْتَرِمْ[1] ... شَتْمَ الرِّجَالِ وعِرْضُهُ مَشْتُومُ

---

(1) كب : يحترم .

---

(١) ستأتي الأبيات برقم ٤١٩٠ كتاب الإخوان . وكان قد مات للعتبي ستة من ولده في الطاعون الجارف بالبصرة سنة ٢٢٩ ، فرثاهم بمراث كثيرة .

(٢) العرانين في الأصل : ما تحت مجتمع الحاجبين من الأنف ، وهو أوله حيث يكون الشمم والطول . وارتفاع قصبة الأنف ، وحسنها ، واستواء أعلاها ، ودقتها ، وانتصاب أرنبتها وورودها دليل العتق والكرم والمحتد والأصالة . ومنه : عرانين الناس ، أي أشرافهم وساداتهم على المثل .

حَسَدُوا الفَتَى إذْ لم يَنَالُوا سَعْيَهُ فـالقَـوْمُ أعْـدَاءٌ لَـهُ وخُصُـومُ
كَضَـرائـرِ ٱلحَسْنـاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَـا حَسَـداً وظُلْمـاً إنَّـه لَـذَمِيـمُ

١٠/٢ ١٩٩٠ وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدوٌّ مهينٌ ، لا يُدرِك وِتْره(١) إلا بالتمنّي .

١٩٩١ قيل لبعضهم : أيُّ الأعداءِ لا تُحبُّ أن يعودَ لك صديقاً ؟ قال : مَنْ سَببُ عَدَاوتِهِ النعمةُ .

١٩٩٢ وقال الأحْنَفُ : لا صَديقَ لِمَلُولٍ ، ولا وَفاءَ لِكَذوبٍ ، ولا راحةَ لحسُودٍ ، ولا مُرُوءةَ لبخيلٍ ، ولا سُؤدُدَ لسيِّيءِ الخُلُق .

١٩٩٣ وقال معاوية: كلُّ الناس أستطيعُ أن أُرضيَه إلا حاسِدَ نعمةٍ، فإنه لا يُرضيه إلا زَوالُها.

١٩٩٤ وقال الشاعر :

كُلُّ العَدَاوَةِ قَدْ تُرجَى[1] إمَاتَتُهَا إلَّا عَدَاوَةَ منْ عَادَاكَ منْ حَسَد

١٩٩٥ وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌّ لنعمَتي مُتَسخِّطٌ لقَضائي ، غَيرُ رَاضٍ بِقَسْمي بين عبادي .

١٩٩٦ وكان يقال : قد طَلَبَكَ مَنْ لا يُقصِّرُ دون الظَّفرِ ، وحسَدَكَ مَنْ لا ينامُ دون الشِّفاءِ .

١٩٩٧ وخطب الحَجّاجُ يوماً بِرُسْتَقُبَاذَ بقول[2] سُويد بن أبي كاهل :

كَيْـفَ تَـرْجُونَ[3] سِقَـاطـي بَعْـدَمـا جَلَّـلَ الـرَّأسَ بيَـاضٌ وصَلَـعْ(٢)
رُبَّ مَـنْ أنْضَجْـتُ غَيْظـاً صَـدْرَهُ قَـدْ تَمَنَّـى لِـيَ مَـوْتـاً لـم يُطَـعْ
ويَـرَانـي كـالشَّجَـا فـي حَلْقِـه عَسِـراً مَخْـرَجُـهُ مـا يُنْتَـزَعْ(٣)
مُـزْبِـداً يَخْطُـرُ مـا لَـمْ يَـرَنـي فـإذا أسْمَعْتُـهُ صَـوْتـي ٱنْقَمَـعْ(٤)

---

(1) كب : يرجى . (2) كب : يقول . (3) مص : يرجون .

---

(١) الوتر : الثأر والذَّحْل الذي لم يدرك بعد ، تطلبه مِنْ قاتِلِ مَنْ تثأر له .
(٢) السِّقاط والسَّقْطة : العثرة والزلة ، والسقاط في كلام العرب كثرة الخطأ والندم عليه .
(٣) الشجا : ما اعترض ونشب في الحلق من عظم أو نحوه . والعسر ، ضد اليسر ، وهو الضيق والشدة والصعوبة ، يقال : عَسِرَ الأمر ، فهو عَسِرٌ .
(٤) المزبد : الغضبان ، وهي في الأصل صفة تقال للجمل الهائج إذا تلطخ بالزبد فمه وهو لغامه الأبيض ، وصفة للبحر إذا هاج موجه وقذف بالزبد وهي الرغوة التي تطفو فوقه . يخطر : يتمايل ويمشي مِشْية المعجب بنفسه . وأصله من خَطَران الفحل بذنبه ، يرفعه مرة بعد مرة ، من نشاطه وصولته . انقمع : ذل واستخفى . يقول : هو يتعظَّم إذا لم يرني ، فإذا رآني تضاءل وذل .

لـم يَضِـرْنـي غَيْـرَ أنْ يَحْسُـدَنـي   فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ ما يَزْقُو الضُّوَعْ(١)
ويُحَيِّينــــــي[1] إذا لاقَيْتُـــــهُ   وإذا يَخْلُـو لَـهُ لَحْمِـي رَتَـعْ(٢)
قَـدْ كَفَـانـي اللهُ مـا فـي نَفْسِـهِ   وإذا مـا يَكْـفِ شَيْئـاً لا يُضَـعْ

١٩٩٨ وقال آخر[2] :

إنْ تَحْسُـدُونـي فـإنّـي لا أَلُـومُكُـمُ   قَبْلي مِنَ النَّاسِ أهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَـدَامَ لِـي ولَكُـمْ مـا بـي ومـا بِكُـمُ   ومَـاتَ أكْثَـرُنـا غَيْظـاً بمـا يَجِـدُ ١١/٢
أنَـا الَّـذي تَجِـدونـي فـي حُلُـوقِكُـمُ[3]   لا أرْتَقـي صُعُـداً فيهـا ولا أَرِدُ

١٩٩٩ وقال بعضهم : الحَسَدُ أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السماءِ ـ يعني حسدَ إبليسَ آدمَ ـ ، وأوّلُ ذنبٍ عُصيَ اللهُ به في الأرض ـ يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتلَه ـ .

٢٠٠٠ وأنشدني شيخٌ لنا ، عن أبي زيد الأنصاري[4] :

لا تَقْبَـلُ[5] الرُّشْـدَ ولا تَـرْعَـوي   ثـانِـيَ رَأْسٍ كـابْـنِ عَـوَّاءِ[6](٣)
حَسَـدْتَنـي حِيـنَ أَفَـدْتُ الغِنَـى   مـا كُنْـتَ إلَّا كـابْـنِ حَـوَّاءِ
عَـادَى أَخَـاهُ مُحْـرِمـاً مُسْلِمـاً   بِطَعْنَـةٍ فـي الصُّلْـبِ نَجْـلاءِ
وأنْـتَ تَقْلِينـي ولا ذَنْـبَ لـي   لَكِنَّنــي حَمَّـــالُ أعْبَـــاءِ(٤)
مَـنْ يَـأْخُـذِ النَّـارَ بـأطْـرَافِـهِ   يَنْضَـحْ على النَّـارِ مِنَ المَـاءِ

٢٠٠١ مَرَّ قيسُ بن زُهير ببلاد غَطَفان فرأى ثَرْوةً وجماعات وعدداً ، فَكَرِه ذلكَ ، فقال له الربيع بن زِياد : إنه يَسوءُكَ ما يَسُرُّ الناسَ ! فقال له : يا أخي إنكَ لا تَدْري ، إنّ مع الثروةِ والنِّعمة التحاسدَ والتخاذلَ ، وإنّ مع القِلّةِ التحاشُدَ والتناصُرَ .

---

(1) كب : يجيبني .
(2) كب : الآخر .
(3) كب : حلوقهم .
(4) كب ، مص : الأعرابي ، تحريف .
(5) كب : يقبل . . يرعوي .
(6) في هامش كب : عواء : الكلب .

---

(١) يزقو : يصيح ، وكل صائحٍ زاقٍ . والضوع : طائر من طير الليل كالهامة، إذا أحس بالصباح صدح وصرخ.
(٢) رتع في لحمه : اغتابه ، وأصله في الماشية إذا رعت كيف شاءت في خِصْبٍ وَسَعَةٍ .
(٣) ارعوى : نزع عن الجهل وأحسن الرجوع عنه . ابن عواء : ابن آوى ، وهو أصغر حجماً من الذئب ، والعواء بالذئب والكلب أخص .
(٤) القِلى : البغض الشديد ، يقال : قَلاَه يَقْليه قِلى وقَلاَء .

٢٠٠٢ قال الأصْمَعيّ : رأيتُ أعرابياً قد أتتْ له مائةٌ وعشرون سنةً ، فقلت له : ما أطْوَل عمرَكَ ! فقال : تركت الحَسَد[1] فَبَقِيتُ .

٢٠٠٣ وقال يزيد[2] بن الحكم الثقفيّ :

تَمَلأَّتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ بِكَ الغَيْظُ حَتَّى كِدْتَ بالغَيْظِ تَنْشَوي
وما بَرِحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيتَهَا[3] تُذِيبُكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أنتَ مُكْتَوي
وقالَ النِّطَاسِيُّونَ إنَّكَ مُشْعَرٌ سُلالًا ألا بَلْ أنتَ مِنْ حَسَدٍ ذوي[4](١)
بَدَا مِنْكَ غِشٌّ طَالَمَا قد كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمَتْ دَاءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَّوِي(٢)
جَمَعْتَ وفُحْشاً غِيبَةً ونَمِيمَةً خِلالاً ثَلاثاً لَسْتَ عَنْهَا بِمُرْعَوي

١٢/٢

٢٠٠٤ وكان يقال : سِتَّةٌ لا يَخْلُونَ مِنَ الكآبة : رجلٌ افتقرَ بعد غِنًى ، وغَنيٌّ يخافُ على ماله التَّوَى(٣) ، وحَقودٌ ، وحسودٌ ، وطالبُ مَرتَبةٍ لا يبلغُها قَدرُهُ ، ومُخالِطُ[5] الأُدباءِ بغير أدبٍ .

* * *

---

(1) كذا في جميع النسخ ، وهو مناسب للباب ، لكنه تصحيف « الجَسَر » أي الجِماع ، وهو تصحيف قديم تواطأ عليه أغلب الكتاب . وانظر ما سيأتي برقم ٢٣٤٨ بشأن طول العمر والجِماع .

(2) كب ، مص : زيد ، تحريف .

(3) كب : حسبتها .

(4) مص : جوي .

(5) كب : مخالطة .

---

(١) النطاسيون : جمع النطاسي ، وهو الحاذق بالطب ، العالم بالأمور . ومشعر : اسم مفعول ، أي ملبَس شِعاراً ، وهو ما ولي الجسد من الثياب . والسلال : السل ، الداء المعروف ، يصيب الرئة فيهزل صاحبه ويضنيه ويقتله .

(٢) المدوي : الذي يأخذ الدُّوَاية ، وهي جلدة رقيقة تركب اللبن . وعنى بأم مدوى مثلاً للعرب ، وذلك أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدَّوي يا أمي ؟ ـ أي هل آكل الدُّوَاية ـ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته .

(٣) التوى : الهلاك .

باب الغِيبة والعُيوب

٢٠٠٥ قال : حَدَّثني أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا عبد الأعلى ، عن داود العَطَّار[1] ، عن ابن خُثَيْم ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَب :

عن أسماءَ بنتِ يزيدَ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « ألا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُم ؟ » قالوا : بلى ، قال : « مِنْ شِرارِكم المشَّاؤونَ بالنَّميمةِ ، المفسِدُون بينَ الأحبَّةِ ، الباغُون البُرَآءَ العَنَتَ »(١) .

٢٠٠٦ قال : وحَدَّثني حُسينُ بن حسن[2] المروزيُّ ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا الأجلحُ :

عن الشَّعْبيِّ ، قال : سمعتُ النعمانَ بن بَشيرٍ يقول على المنبر : يا أيُّها الناسُ خُذُوا على أيدي سُفَهائكم ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ [يقول] : « إن قوماً رَكِبوا البحرَ في سَفينة واقتَسمُوها ، فأصابَ كُلُّ واحدٍ منهم مَكَانٌ ، فأخذ رجلٌ منهم الفأسَ فنقر مَكانَه ، فقالوا : ما تصنعُ ؟ فقال : مَكاني أصْنعُ به ما شئتُ . فإن أخذُوا على يديه نَجَا ونَجَوْا ، وإن تركوه غَرِقوا وغَرِقَ »(٢) .

٢٠٠٧ بلغني عن حمَّاد بن زيد ، عن ابن عَوْن ، قال :

قال أبو الدرداء : ليس من يومٍ أُصبحُ فيه لا يَرميني الناسُ بداهية إلا كان نعمةً من الله عليَّ .

٢٠٠٨ وقال حسان : قلتُ شِعراً لم أقلْ مثلَه :

وإنَّ امْرَءاً أمْسَى وأصْبَحَ سَالِماً　　مِنَ النَّاسِ إلَّا ما جَنَى لَسَعِيدُ(٣)

---

(1) كب : العطاء ، مص : بن عطاء ، وكلاهما تحريف.　(2) مص : الحسن ، وكلاهما صواب .

---

(١) إسناده صحيح ، وله طرق مفرداتها ضعيفة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . العنت : الهلاك والمشقة . والبرآء : جمع بريء ، وهو والعنت منصوبان مفعولان للباغين ، يقال : بغيت فلاناً خيراً ، وبغيتك الشيء : طلبته لك ، وبغيت الشيء : طلبته .

(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب .

(٣) إلا ما جنى : أي إلا جزاء ما جنى .

١٣/٢ ٢٠٠٩ وبلغني عن ابن عُيَيْنة قال :
قال مِسْعَرٌ : ما نصحتُ أحداً قطُ إلا وجدتُه يُفَتِّشُ عن عيوبي .

٢٠١٠ وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفلَةً فقد رَفَعَه ، ومَنْ عاب شريفاً فقد وضَعَ نفسَه .

٢٠١١ وقال عمر بن الخطاب : أحبُّ الناسِ إليَّ مَنْ أهْدَى إليَّ عُيوبي .

٢٠١٢ أحمد بن يونُس ، عن الفُضَيل ، أنه سمعه يقول : إن الفاحشةَ لتَشيعُ في الذين آمنوا ، حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خُزَّاناً .

٢٠١٣ قال : وسمعته يقول أيضاً : حسناتُك مِنْ عَدوِّكَ أكثرُ منها مِنْ صَدِيقكَ ، لأن عَدوّكَ إذا ذُكرتَ عنده يَغتابُكَ ، وإنما يَدفَع إليكَ المِسكينُ حسناتِهِ .

٢٠١٤ محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، قال : حدّثنا ابن عون ، قال :
مرَّ ابنُ سِيرِينَ بقومٍ ، فقام إليه رجل فقال : يا أبا بكرٍ إنا قد نِلْنا منك فحلِّلْنَا . فقال : إني لا أُحِلُّ لك ما حَرَّم اللهُ عليك ، فأما ما كان إليَّ فهو لكَ .

٢٠١٥ محمد بن مسلم[1] الطائفيّ ، قال : جاء رجل إلى ابن سِيرِين فقال : بلغني أنك نِلتَ منّي . فقال : نفسِي أعزُّ عليّ من ذلك(١) .

٢٠١٦ الوليدُ بن مسلم ، عن الأوْزَاعيّ ، عن بلال بن سعد ، قال : أخٌ لك كلَّما لقيكَ أخبرك بعيبٍ فيكَ ، خيرٌ لك مِنْ أخ لك كلَّما لقيك وَضَع في كفِّك ديناراً .

٢٠١٧ شَرِيكٌ ، عن عَقِيلٍ ، قال : قال الحسن : لا غيبةَ إلا لثلاثة : فاسقٍ مجاهرٍ بالفِسق ، وذِي بِدْعةٍ ، وإمامٍ جائرٍ .

٢٠١٨ وكان يُقالُ : [مَنْ اُغْتَابَ] خَرَقَ ، ومَن اُستغفرَ الله رَفَأَ(٢) .

١٤/٢ ٢٠١٩ وفي بعض الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اغتاب[2] أحَدُكم أخاه فَلْيَستغفِرِ اللهَ »(٣) .

٢٠٢٠ كان يقال : إياكَ وما يُصِمُّ الأُذنَ .

---

(1) كب : سالم .   (1) كب ، مص : عاب .

---

(١) سيأتي برقم ٢٠٤٧ منسوباً إلى بكر بن محمد بن علقمة .
(٢) رفأ الثوب : لأمَ خَرْقَه وضم بعضه إلى بعض وأصلح ما وهى منه . أي خرق دينه بالاغتياب ، ورفأه بالاستغفار ، وكل ذلك على المثل .
(٣) تمامه : فإنها كفارة له . والحديث موضوع ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

٢٠٢١ العُتْبيّ قال : قال الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان : كنت أُسَايرُ أبي ورجلٌ يقع في رجلٍ ، فالتفتَ إليَّ أبي فقال : يا بُنيَّ نَزِّهْ سمعَكَ عن استماع الخَنَا كما تُنَزِّهُ لسانَكَ عن الكلام به ، فإن المستمِعَ شريكُ القائل ، ولقد نَظَرَ إلى أخْبَثِ ما في وِعَائه فأفْرغَهَ في وِعَائك ، ولو رُدَّتْ كلمةُ جاهلٍ في فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّها كما شَقِيَ قَائلُها .

٢٠٢٢ فُضَيْلُ بن عِياض ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن رجاء ، عن موسى بن عُبيدَةَ :

عن محمد بن كعب ، قال : إذا أراد اللهُ بعبد خيراً زَهَّده في الدنيا ، وفَقَّهه في الدِّيْن ، وبَصَّره عيوبَهُ .

٢٠٢٣ قال فُضَيل : وربما قال الرجلُ : لا إله إلا الله ، أو سبحان الله ، فأخشَى عليه النارَ. قيل : وكيف ذاك ؟ ، قال : يُغتَابُ بين يديه ويُعْجِبه ذلك فيقول : لا إله إلا الله ، وليس هذا موضعَه ، إنّما موضعُ هذا أن يَنصَحَ له في نفسه ويقول له : اتَّقِ اللهَ .

٢٠٢٤ وفي[1] الحديث المرفوع : أن آمرأتين صامتا على عهد النبيّ عليه السلام وجعلَتَا تَغتَابانِ الناسَ ، فأُخبرَ النبيُّ صلى الله عليه [وسلم] بذلك ، فقال : « صَامَتَا عمَّا أُحِلَّ لهما ، وأفْطرَتَا على ما حَرَّمَ اللهُ عليهما » .

٢٠٢٥ وقال حمّادُ بنُ سَلَمَةَ : ما كنتَ تَقوله للرجلِ وهو حاضرٌ فقلتَه مِنْ خَلْفِه فليسَ بغِيبةٍ .

٢٠٢٦ عاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف ، فقال له : قد آستدلَلْتُ على كَثْرَة عُيوبكَ بما تُكثِرُ من عيب الناس ، لأنّ الطالبَ للعيوب إنّما يطلبُها بقَدْرِ ما فيه منها .

٢٠٢٧ قال بعض الشعراء :

وأَجْـرأُ مَـنْ رَأَيْـتُ بِظَهْـرِ غَيْـبٍ　　عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُو العُيُوبِ

٢٠٢٨ وأنشد آبن الأعرابيّ :　　١٥/٢

اسْكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنْتَ حَبْحَابُ[2]　　كُلُّكَ[3] ذُو عَيْبٍ وأنْتَ عَيَّابُ(١)

---

(1) مص : في (بسقوط الواو) .　　(2) كب : حباب ، مص : خياب .
(3) كب : وكلك .

---

(١) الحبحاب : الصغير الجسم ، المتداخل العظام .

٢٠٢٩ وأنشد[1] أيضاً :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الجَيْبِ وٱبْنِ أَبٍ مُتَّهَمِ ٱلغَيْبِ[(١)]
وكُلُّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوْبَ عَلَى العَيْبِ

٢٠٣٠ وكان عتبة بن [عمر بن] عبد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يَصْبرُ ، ثم تَرَكَ ذلك ، فقيل له : أتركتَها ؟ قال : نعم ، على أنّي والله أُحبُّ أن أسمَعَهَا .

٢٠٣١ أتى رجلٌ عمرَو بنَ مَرْثَدٍ فسأله أن يُكلِّم له أميرَ المؤمنين ، فوعده أن يفعلَ ، فلما قام قال بعضُ منْ حضر : إنه ليس مُستحِقاً لما وعدتَه . فقال عمرو : إن كنتَ صَدقتَ في وصْفِك إياه فقد كذبتَ في ٱدّعائك مَودَّتَنَا ، لأنه إن كان مُستحقاً كانت اليدُ موضعُها ، وإن لم يكن مُستحقاً فما زِدتَ على أنْ أعلمتَنَا أنّ لنا بمغِيبنا عنك مثلَ الذي حضرتَ به مَنْ غاب مِنْ إخواننا .

٢٠٣٢ وفي الحديث : « إنَّ الغِيبةَ أشدُّ من الزِّنا » ، قيل : كيف ذلك ؟ قال : « لأنّ الرجلَ يزنِي فيتوبُ ، فيتوبُ الله عليه ، وصاحبُ الغِيبةِ لا يُغْفَرُ له حَتَّى يَغْفِرَ له صَاحِبُها »[(٢)] .

٢٠٣٣ قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، إنّي اغتبتُ رجلاً وأُريدُ أن أستَحِلَّه . فقال له : لم يَكْفِكَ أن ٱغتبْته حتى أرَدتَ أن تَبْهَتَه .

٢٠٣٤ اغتابَ رجلٌ رجلاً عند قُتَيبَةَ بن مسلم ، فقال له قُتيبة : أمْسِكْ [عليك] أيها الرجلُ ، فوالله لقد تَلمَّظْتَ بِمُضغَةٍ طَالَمَا لَفظَهَا الكِرامُ .

١٦/٢ ٢٠٣٥ مَرَّ رجلٌ بجارَيْنِ له ومعه رِيبةٌ ، فقال أحدُهما لصاحبه : أفَهِمتَ ما معه من الرِّيبةِ ؟ فقال الآخرُ : غُلامي حُرٌّ لوجه الله شكراً له إذ لم يُعَرِّفْني مِنَ الشرِّ ما عرَّفكَ .

٢٠٣٦ شُعْبةُ ، عن يحيى بن الحصين[2] ، عن طارق ، قال :

دارَ بين سعدِ بن أبي وقّاصٍ وبينَ خالدِ بن الوليد كلامٌ ، فذهب رجلٌ ليَقَعَ في خالدٍ عند سعدٍ ، فقال سعدٌ : مَهْ إن ما بينَنا لم يَبْلُغْ دينَنَا .

أي عداوةٌ وشرٌّ .

---

(1) مص : أنشدني . (2) كب : حصين .

---

(١) ناصح الجيب : نقي الصدر ، أمين ، لا غش فيه ، وهو كقولهم : طاهر الثوب . والجيب : القلب والصدر .

(٢) الحديث موضوع ، ولم يرض العجلوني ذلك (انظر كشف الخفاء ٢/ ٨١ رقم١٨١٢) .

٢٠٣٧ وقال الشاعر :

ولَستُ بِذِي نَيْرَبٍ في الكَلامِ[1] ومَنَّاعَ خَيْرٍ ، وسَبَّابَهَا(١)
ولا مَنْ إذا كَانَ في جَانِبٍ أضَاعَ العَشِيرَةَ واغْتَابَهَا
ولَكِنْ أُطَاوِعُ سَادَاتِهَا ولا أتَعَلَّمُ ألْقَابَهَا(٢)

٢٠٣٨ وقال آخرُ :

لا يَأْمُلُ الجَارُ خَيْراً مِنْ[2] جِوَارِهِمُ ولا مَحَالَةَ مِنْ هُزْءٍ وألْقَابِ

٢٠٣٩ وقال الفرزدقُ :

تَصَرَّمَ مِنِّي وُدُّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وما خِلْتُ عَنِّي وُدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ(٣)
قَوَارِصُ تَأْتِينِي ويَحْتَقِرُونَهَا وقَدْ يَمْلأُ القَطْرُ الإنَاءَ فَيَفْعُمُ(٤)

٢٠٤٠ أنشدنا[3] أبو سعيد الضرير لبعض الضَّبِّيين :

أَلَا رُبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنَّنِي أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إليه ويُنْسَبُ
علَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّه أو لِغِيَّةٍ فيَغْلِبُها فَحْلٌ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبُ(٥)
فبِالْخَيْرِ لا بالشَّرِّ فاطْلُبْ مَوَدَّتي وأيُّ امْرِئٍ يُقْتَالُ[4] مِنْهُ التَّرَهُّبُ(٦)

٢٠٤١ وقال آخرُ في نحوه : ١٧/٢

---

(1) كب ، مص : الكرام .
(2) كب : في .
(3) مص : أنشد .
(4) كب ، مص : يغتال .

---

(١) النيرب : الشر والنميمة . و« الهاء » في قوله : « سبابها » للعشيرة .
(٢) يقول أطيعهم ولا أطلب عثراتهم ، والرواية الأعلى : ولا أُعْلِمُ الناسَ ألقابَها .
(٣) كان الفرزدق يذكر فُقَيماً مع بني نهشل في شعره ، وليس في بني فُقيم أحد مذكور ، فاستعدوا عليه زياد بن أبيه ، فهرب منه ، ونزل بالروحاء على بكر بن وائل ، ثم انتقل عنهم إلى المدينة ، فهذا الذي عتبت عليه بكر بن وائل . تصرم الشيء : تقطع ، عنى انقضاء ودهم وذهابه .
(٤) قوارص : جمع قارصة ، وهي الكلمة المؤذية . فعم الإناء : ملأه وبالغ في ملئه .
(٥) يقول : تمنى أن يكون ولدي على رِشدة ، أو يغلب أمه فحل منجِب على النسل فتأتي به لغية . وأراد بالفحل المنجِب نفسه ، وعنى بقوله : فيغلبه على النسل ، غلبةَ الشبه ، ليبرئه من هجنتها . ويقال : هذا ولد رِشدة ، إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال في ضده : ولد زِنية (بالكسر فيهما وبالفتح) .
(٦) اطلب مودتي : اطلب مودتك لي . يقتال : يحتكم ، يقول : أي رجل يحتكم عليه ومنه التخوف ؟ أي كيف يُطلب وده على الرهبة منه ؟

ولَمَّـا عَصَيْـتُ العَـاذِلِيـنَ ولـم أُبَـلْ مَلامَتَهُمْ أَلْقَوْا عَلَى غارِبي حَبْلِي[1](١)
وهَـازِئَـةٍ مِنِّـي تَـوَدُّ لَـوِ ٱبْنُهَـا عَلَـى شِيمَتـي أوْ أنَّ قَيِّمَهَـا مِثْلِـي

٢٠٤٢ قيل لبُزُرْجِمِهْر : هل من أحدٍ ليس فيه عيبٌ ؟ قال : لا ، إن الذي لا عيبَ فيه لا ينبغي أن يموتَ .

٢٠٤٣ وقال في مثل هذا مُوسى شَهَوات :

لَيْسَ فِيمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَاني
أنْتَ خَيْرُ المَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْـرَ أنْ لا بَقَـاءَ لـلإنْسَـانِ(٢)

٢٠٤٤ وقال أبو الأسود الدُّؤَليّ :

وتَـرَى الشَّقِـيَّ إذا تَكَـامَـلَ غَيُّـهُ[2] يُرْمَى ويُقْرَفُ بالَّذِي لم يَفْعَلِ(٣)

٢٠٤٥ لَقِيَ بكرُ بنُ عبد الله أخاً له فقال : إذا أردتَ أن تَلْقَى مَنِ النِّعمَةُ عليكَ أعظمُ منها عليه وهو أشكرُ للنِّعمةِ لَقيتَه ، وإذا شِئتَ أنْ تَلْقَى مَنْ أنتَ أعظمُ منه جُرْماً وهو أخْوَفُ للهِ منكَ لَقِيتَه . أرأيتَ لو صَحِبكَ رجلانِ : أحدُهما : مَهتوكٌ لكَ سِتْرُه ، ولا يُذْنِبُ ذنباً إلا رأيتَه ، ولا يقول هُجْراً إلا سمِعتَه ، فأنتَ تُحبّه على ذلك وتُوافقه ، وتكرهُ أن تُفارِقَه ، والآخر : مَستورٌ عنك أمرُه ، غيرَ أنك تَظُنُّ به السوءَ فأنتَ تُبْغِضُه ؛ أعَدَلْتَ بينهُما ؟ قال : لا ، قال : فهل مَثَلي ومَثَلُكَ ومَثَلُ منْ أنتَ راءٍ منَ الناس إلا كذلك . إنا نعرفُ ٱلحقَّ في الغيب مِنْ أنفسنا فنحبُّها على ذلك ، ونَتَظَنَّنُ الظُّنُونَ على غيرنا فنُبْغِضُهمْ على ذلك . ثم قال : أنْزِلِ الناسَ منك ثلاثَ مَنازِلَ ، فاجعل مَنْ هو أكبرُ منكَ سِناً بمنزلة أبيكَ ، ومَنْ هو تِرْبُكَ(٤) بمنزلة أخيكَ ، ومَنْ هو دونَكَ بمنزلة ولدكَ ، ثم ٱنظر أيَّ هؤلاء تُحِبُّ أن تَهتِكَ له سِتراً أو تُبْدي له عَوْرَةً !

١٨/٢ ٢٠٤٦ سعيدُ بن واقد ٱلمُزَنيّ ، قال : حَدَّثنا صالح بن الصَّقْر :

---

(1) كب : رحلي . (2) كب ، مص : عيبه .

---

(١) الغارب : أعلى السنام ، والبعير إذا أُهمل جُعل حبله على سنامه ، وتُرك يذهب حيث شاء . ومنه يقال : حبلك على غاربك ، مثلاً في تخلية الشيء ونفض اليد عنه .
(٢) المتاع : هو كل شيء ينتفع به ويتزود به .
(٣) يقرف : يعاب ويتهم ، يقال : هو يُقْرف بكذا ، أي يرمى به ويتهم ، فهو مقروف .
(٤) الترب : مثيلك في العمر .

عن عبد الله بن زُرَير[1] ، قال : وفَدَ العلاءُ بنُ الحَضْرميّ على النبيّ ﷺ فقال : « أتقرأُ من القرآن شيئاً ؟ » فقرأ « عَبَسَ » وزادَ فيها من عنده : وهو الذي أخْرَجَ من ٱلحُبْلَى ، نَسَمَةً تَسْعَى ، مِنْ بين شَراسيفَ وحَشًى(١) . فصاح به النبيُّ ﷺ ، وقال له : « كُفَّ ، فإنَّ السورة كافيةٌ » ، ثم قال : « هل تَرْوي منَ الشِّعر شيئاً ؟ » فأنشده :

حَيِّ ذَوي ٱلأضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبَهُمْ ... تَحِيَّتَكَ القُرْبَى فَقَدْ[2] تُرْقَعُ النَّعْلْ
وإنْ[3] دَحَسُوا بالكُرْهِ فٱعْفُ تَكَرُّماً ... وإنْ خَنَسُوا عَنْكَ ٱلحَدِيثَ فلا تَسَلْ(٢)
فإنَّ ٱلَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ ... وإنَّ ٱلَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لم يُقَلْ

فقال النبي عليه السلام : « إنَّ مِنَ الشِّعرِ حِكَماً وإنَّ مِنَ البيان سِحْراً » .

٢٠٤٧ وحَدَّثني أبو حاتم ، عن ٱلأصْمَعيّ ، قال :

قال رجل لبكر بن محمد بن عَلْقَمة : بلغني أنك تَقَعُ فيّ . [قال] : أنتَ إذاً أكرمُ عليَّ مِنْ نفسي !(٣)

٢٠٤٨ وقال بعض الشعراء :

لا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ ما سَتَرُوا ... فَيَكْشِفَ اللهُ سِتْراً عَنْ مَسَاوِيكَا
وٱذْكُرْ مَحَاسِنَ ما فِيهِمْ إذا ذُكِرُوا ... ولا تَعِبْ أَحَداً مِنْهُمْ بِمَا فِيكَا

٢٠٤٩ وقال أبو ٱلدَّرْداء : لا يُحْرِزُ ٱلإنسانَ مِنْ شِرار الناس إلا قبرُه .

٢٠٥٠ قال عمر بن عبد العزيز لمُزَاحِمٍ مولاه : إن الوُلاةَ جَعلوا العيونَ على العوامّ وأنا أجعلُكَ عيني على نفسي ، فإنْ سمعتَ مِنّي كلمةً تَرْبَأُ بي عنها(٤) ، أو فَعَالًا لا تُحبّه ، فعِظْني عنده وٱنْهَني عنه .

٢٠٥١ العُتْبيّ قال : تَنَقَّصَ ٱبنٌ لعامر بن عبد الله بن ٱلزبير عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام ، فقال له أبوه : لا تَتَنَقَّصْه يا بُنيَّ ، فإنَّ بَني مَروانَ ما زالوا يَشْتُمونه ستّين سنةً فلم يَزِده ١٩/٢

---

(1) كب ، مص : زهير ، تحريف . (2) كب : وقد يرقع . (3) كب : فإن .

---

(١) النسمة : الروح . وتَسعى : تعمل وتكسب ، وكل عمل من خير أو شر سَعْي . والشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن ، جمع شُرْسوف . والحشى : البطن .

(٢) دحس بين القوم : أفسد بينهم . خنسوا : أخفوا .

(٣) مضى برقم ٢٠١٥ منسوباً إلى ابن سيرين . وتقع فيَّ : تغتابني .

(٤) يقال : إني لأربأ بك عن ذلك الأمر ، أي أرفعك عنه وأنزهك منه .

اللهِ إلَّا رِفعةً ، وإنِ الدِّينَ لم يَبْنِ شيئاً فهدَمَتْه ٱلدنيا ، وإنَّ الدنيا لم تَبْنِ شيئاً إلا عادتْ على ما بَنَتْ فهدمتْه .

٢٠٥٢ وقال بعض الشعراء :

ابْدَأْ بنَفْسِكَ فانْهَهَا عَنْ غَيِّها فإذا انْتَهَتْ عَنْهُ فأنْتَ حَكِيمُ
فهُنَاكَ تُعْذَرُ إنْ وَعَظْتَ ويُقْتَدَى بالقَوْلِ مِنْكَ ويُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

٢٠٥٣ وقال آخر :

ويَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي ما أَرَادَ قَرِيبُ

٢٠٥٤ وقال آخر :

لَكَ ٱلخَيْرُ ، لُمْ نَفْساً عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا ودَعْ لَوْمَ نَفْسٍ ما عَلَيْكَ تُلِيمُ[1]
وكَيْفَ تَرَى في عَيْنِ صَاحِبِكَ القَذَى ويَخْفَى قَذَى عَيْنَيْكَ وهْوَ عَظِيمُ[2]

٢٠٥٥ كان رجلٌ مِنَ المتَزَمِّتِينَ لا يزالُ يَعيبُ النبيذُ وشَرابَه فإذا وَجَدَه سِراً شَرِبَهُ ، فقال فيه بعضُ جيرانه :

وعَيَّابَةٍ للشُّرْبِ لَوْ أنَّ أُمَّهُ تَبُولُ نَبِيذاً لم يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا

٢٠٥٦ قال رجل لعمرو بن عُبَيد : إني لأرْحَمُك مما تقولُ الناسُ فيك . قال : أفتسمَعُني أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إيّاهُم فارحَمْ .

٢٠٥٧ قال أعرابيٌّ لامرأته[3] :

وإمَّا هَلَكْتُ فلا تَنْكَحِي ظَلُومَ العَشِيرَةِ حَسَّادَهَا
يرَى مَجْدَه ثَلْبَ أعْرَاضِهَا لَدَيْهِ ويُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

* * *

---

(١) تليم : من ألام الرجلُ ، إذا أتى ذنباً يلام عليه .
(٢) القذى : ما يقع في العين من تراب ووسخ وغير ذلك .
(٣) سيأتي البيتان برقم ٥٤٩٢ كتاب النساء .

باب السِّعَاية

٢٠٥٨ روى وَكيع ، عن أبيه ، عن عَطَاء بن السَّائب ، قال : قَدِمت مِنْ مكة فلقيني الشَّعْبيُّ فقال : يا أبا زيدٍ ، أطْرِفْنَا مما سمعتَ . قلتُ : سمعتُ عبدَ ٱلرحمن بنَ عبد الله بن سَابِط يقول : لا يَسْكُنُ مكّةَ سافِكُ دمٍ ، ولا آكلُ رِباً ، ولامَشَّاءٌ بنميم . فعَجِبتُ منه حين عَدَل النميمةَ بسَفْكِ ٱلدماء وأكْلِ ٱلرِّبا ؛ فقال الشَّعْبيّ : وما يُعْجِبُك مِنْ هذا ! وهل تُسفَكُ ٱلدِّماءُ وتُركَبُ العظَائمُ إلا بالنميمة !

٢٠٥٩ عاتب مُصْعَبُ بنُ ٱلزبير ٱلأحنفَ بنَ قَيْس على شيءٍ بلغه عنه [فأنكره] ، فاعتذر إليه الأحنفُ مِن ذلك ودَفَعه ، فقال مُصعبٌ : أخبرني بذلك الثِّقةُ . فقال الأحنفُ : كلاّ أيها الأميرُ ، إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ .

٢٠٦٠ قال الأعشى :

وَمَنْ يُطِعِ الوَاشِينَ لا يَتْرُكُوا لَهُ ... صَدِيقاً وإنْ كَانَ ٱلحَبِيبَ ٱلمُقَرَّبَا

٢٠٦١ وذُكِرَ السُّعَاةُ عند المأمون ، فقال رجلٌ ممن حضر : يا أمير ٱلمؤمنين ، لو لم يَكُنْ مِنْ عيبهم [إلاّ أنّهم] أصدقُ ما يكونونُ أبغضُ ما يكونون على[1] الله لكَفَاهُمْ .

٢٠٦٢ سَعَى رجلٌ إلى بلالِ بن أبي بُرْدَةَ برجلٍ ، فقال له : انصرِفْ حتى أسألَ عمّا ذَكَرْتَ . وبَعث في ٱلمسألة عن السَّاعي ، فإذا هو لغير أبيه ٱلذي يُدْعَى له ، فقال بلالٌ : أنا[2] أبو عمرو [وما كَذبتُ ولا كُذِّبت] ، حدّثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : « السَّاعِي بالناس لغير رِشْدَة »(١) .

٢٠٦٣ وقال الشاعر :

إذا الـواشـي نَعَـى يَـوْمـاً صَـدِيقـاً ... فَلا تَدَعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِي(٢)

---

(1) كب : إلى الناس ، مص : إلى الله .

(2) كب ، مص : أخبرنا أبو عمرو قال . وسبب وهم القراءة أن المحدثين يختصرون لفظ أخبرنا أو أنبأنا بـ « أنا » فظُنَّ أن هذا منه .

---

(١) الساعي هنا : الذي يسعى بصاحبه إلى سلطانه فيشي به ليؤذيه ، فهو ليس ثابت النسب من أبيه الذي ينتمي إليه ولا هو ولد حلال . يقال : هو ولد رِشدة ، إذا كان لنكاح صحيح ، ويقال في ضده : هو ولد زِنية ، (بالكسر فيهما) . والحديث بهذا اللفظ غريب جداً ، في كتب الحديث الشريف ومجاميعه . والقصة موضوعة أيضاً يقيناً ، لتُنَاسِب الحديث . وستأتي الرواية وتخريج الحديث في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) نعى : نعى الصداقة التي بينك وبينه ، ويصح أن تقرأ « بغى » أي إذا أراد الصداقة التي بينك وبينه بسوء .

٢١/٢ ٢٠٦٤ أَتَى رجلٌ الوليدَ بنَ عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لأبيه ، فقال : للأمير عندي نصيحةٌ . فقال : إن كانت لنا فأَظْهِرْها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجةَ لنا فيها . قال : جارٌ لي عَصَى [وفرَّ] مِنْ بَعْثِه[1] . قال : أمّا أنتَ فتخبرنا[2] أنكَ جارُ سوء ، فإن شئتَ أرسَلْنا معك ، فإنْ كنتَ صادقاً أقْصيناكَ ، وإن كنتَ كاذباً عاقبناك ، وإنْ شئتَ تَارِكْنَاكَ . قال : بل تارِكْني .

٢٠٦٥ وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبِيب[١] :

واعْصُوا الَّذِي يُسْدِي النَّمِيمَةَ بَيْنَكُمْ	مُتَنَصِّحاً وهْوَ السِّمَامُ المُنْقَعُ[٢]
يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ	حَرْباً كَمَا بَعَثَ العُرُوقَ الأَخْدَعُ[٣]
حَرَّانُ لا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ	عَسَلٌ بمَاءٍ فِي الإنَاءِ مُشَعْشَعُ[٤]
لا تَأْمَنُوا قَوْماً يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ	بَيْنَ القَبَائِلِ بِالعَدَاوَةِ يُنْسِعُ[٥]
إنَّ الَّذِينَ تُرَوْنَهُمْ خُلاَّنَكُمْ	يَشْفِي صُدَاعَ رُؤوسِهِمْ[3] أنْ تُصْرَعُوا[٦]
فَضَلَتْ عَدَاوتُهُمْ عَلَى أحْلامِهِمْ	وأبَتْ ضِبَابُ صُدُورِهِمْ لا تُنْزَعُ[٧]

---

(1) كب : يعنه . (2) مص : فتخبر .
(3) كب : رؤوسكم .

---

(١) الأبيات من قصيدة قالها لما أسن ورابه بصره ، فجمع بنيه يوصيهم . وهي من غرر أشعار العرب .

(٢) يسدي النميمة : يبرمها ، كأنما ينسج كلامه . والمتنصح : المتشبه بالنصحاء ، النقيي الصدر ، الذين لا غش فيهم . والسمام : جمع سم . المنقع : المعتق ، من قولهم : أنقع السم ، إذا عتقه .

(٣) يزجي عقاربه : يسوقها ، والعقارب : الشرور والنمائم ، ويقال للرجل الذي يقترض أعراض الناس : إنه لتَدِبُّ عقاربه . الأخدع : عرق في العنق في موضع الحجامة ، إذا ضرب أجابته العروق ، يريد أن الشيء يجيب بعضه بعضاً بنميمة كما تجيب العروق الأخدع بالدم .

(٤) الحران: الشديد التلهب، يغلي جوفه من حرارة الغيظ، وأصله العطشان. الغليل : لهبان في الجوف من الغيظ ومن العطش ، والغلة (بالضم) : شدة العطش ، والمراد شدة الغيظ . والمشعشع : الممزوج ، المرقق السهل . يقول : يجد في صدره تلهباً من شدة الحسد ، وغليل حرارة من شدة الغيظ .

(٥) ينسع : يؤذي جيرانه ، ويروى : ينشع ، من النشوع وهو الدواء يصب في فم المريض

(٦) يقول : تظنونهم إخوانكم وهم أعداؤكم يريدون قتلكم .

(٧) فضلت : زادت . والأحلام : جمع الحِلْم ، وهو الأناة والصبر والتثبت والركانة ، وذلك شعار العقلاء ، وهو ضد السفه والطيش . يقال : حَلُم يَحْلُم ، إذا صار حليماً بعيد السفه ، قريب الأناة والعقل . الضباب: الأحقاد، والغل الممعن في الصدر، الواحد ضب (بفتح الضاد وكسرها)، والضبُّ ـ وهو من الزواحف معروف ـ إنما يستخفي في جحره ، يخشى الصائد ، فسموا الغيظ الكامن والحقد المستخفي ضباً من أجل ذلك . يريد أنهم باحوا بعداوتهم ، لم تضبطها قلوبهم لإفراطها وتقصير الحلم عنها .

قَــوْمٌ إذا دَمَــسَ الظَّــلامُ عَلَيْهِــمُ   حَدَجُوا قَنَافِذَ بالنَّمِيمَةِ تَمْزَعُ(١)

٢٠٦٦ وقال أبو دَهْبَلٍ ٱلجُمَحِيُّ :   ٢٢/٢

وقَــدْ قَطَــعَ الــوَاشُــونَ مـا كــانَ بَيْنَنَـا   ونَحْنُ إلى أنْ يُوصَلَ ٱلحَبْلُ أحْوَجُ(٢)
رَأَوْا عَــوْرَةً فــاسْتَقْبَلُــوهَــا بِــأَلْبِهِــمْ   فَـرَاحُـوا عَلَـى مـا لا نُحِـبُّ وأدْلَجُوا(٣)
وكــانُــوا أُنَــاسـاً كُنْــتُ آمَــنُ غَيْبَهُــمْ   فلــم يَنْهَهُــمْ حِلْــمٌ ولــم يَتَحَــرَّجُــوا

٢٠٦٧ وقال بشَّارٌ :

تَشْتَهِــي قُــرْبَــكَ ٱلــرَّبَــابُ وتَخْشَــى   عَيْــنَ وَاشٍ وتَـتَّقــي أسْمَــاعَــهْ
أنْــتَ مِــنْ قَلْبِهَــا مَحَــلُّ شَــرَابٍ   تَشْتَهِــي شُــرْبَــهُ[1] وتَخْشَــى صُــدَاعَــهْ

٢٠٦٨ وقال أبو نُوَاس :

كُنْــتُ مِــنَ ٱلحُــبِّ فــي ذُرَى نِيــقٍ   أرُودُ مِنْــهُ[2] مَــرَادَ مَــوْمُــوقِ(٤)
حَتَّــى ثَنَــانِــي عَنْــهُ تَخَلُّــقُ وا   شٍ كِــذْبَــةً لَفَّهَــا بِتَــزْوِيــقِ(٥)
جُبْــتُ قَفَــا مــا نَمَّــهُ[3] مُعْتَــذِراً   مِنْه وقد فُزْتُ بَعْدَ تَخْرِيقِ[4](٦)
كَقُــولِ كِسْــرَى فيمــا تَمَثَّــلَــهُ   مِنْ فُرَصِ ٱللِّصِّ ضَجَّةُ السُّوقِ

٢٠٦٩ وقرأت في « كتاب للهند » : قَلَّمَا يُمْنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه ، فإن ٱلماءَ

---

(1) كب : شربه .   (2) كب ، فيه .. مرفوق .
(3) كب ، مص : نمته .
(4) رواية ديوان أبي نواس ٤٥٠ وشرحه عجب فوق عجب !

---

(١) دمس الظلام : ألبس واشتدت ظلمته . حدجوا : وضعوا الحدج على البعير ، والحدج بكسر فسكون : مركب من مراكب النساء ، أراد : رحلوا . تمزع : تمر مراً سريعاً . أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتيال في الشر ، وشبّه ذلك بسهر القنفذ لأنه ليله أجمع يسير ولا ينام .
(٢) عنى بالحبل : الوصال وعلائق المودة .
(٣) العورة في الأصل : الثغر الذي يأتي منه العدو ، فيه خلل يتخوف منه ، لأنه ليس بحريز ، وكل عيب وخلل في شيء فهو عَوْرة ، وعنى ما دب بينه وبينها من خصام المحبين . والألب : الجمع .
(٤) ذرى نيق : أرفع موضع وأعلاه . أرود منه : أقبل عليه ، وكل ما أقبلت عليه بقلبك وشعورك وفكرك مؤملاً خيره : فهو مراد ومستراد . يقول : كان يرود منه مراد محب ، أي كان يقبل عليه إقبال المحب . والموموق : المحبوب ، والمِقة : المحبة لغير ريبة .
(٥) تخلق واش : افتراؤه واختلاقه وكذبه . والتزويق : التزيين .
(٦) جبت : خرقت وقطعت .

ألينُ من القول ، والحجرَ أصلبُ من القلب ، وإذا انحدَر عليه وطال ذلك أثّرَ فيه . وقد تُقطعُ الشجرةُ بالفؤوس فتَنْبُتُ ، ويُقْطعُ اللحمُ بالسيوف فيندمِلُ ، واللسانُ لا يندملُ جُرحُه . والنُّصُولُ تَغيبُ في الجوف فتُنْزَعُ ، والقولُ إذا وصَل إلى القلب لم يُنْزَعْ . ولكلّ حريقٍ مُطفيءٌ : للنار الماءُ ، وللسمّ الدواءُ ، وللحزن الصبرُ ، وللعشق الفُرقةُ ، ونارُ الحِقدِ لا تَخْبُو .

٢/٢٣ ٢٠٧٠ وقال طَرَفَةُ بن العبد :

وتَصُدُّ عَنْكَ مَخِيلَةَ الرَّجُلِ الـ ـعِرِّيض مُوضِحَةٌ عَنِ العَظْمِ[١]
بِحُسَامِ سَيْفِكَ أو لِسَانِكَ والـ ـكَلِمُ الأَصِيلُ كأَوْسَعِ الكَلْمِ[٢]

٢٠٧١ ونحوه قوله :

والقَوْلُ يَنْفُذُ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ[٣]

٢٠٧٢ وقال امرؤ القيس :

وجَرْحُ اللِّسَانِ كَجَرْحِ اليَدِ[٤]

٢٠٧٣ سأل رجلٌ عبدَ الملك بن مروان الخَلْوَةَ ، فقال لأصحابه : إذا شِئتم [تَنَحَّوا] . فلما تَهيّأَ الرجلُ للكلام ، قال له : إياكَ وأن تمدَحَني فإني أعْرَفُ بنفسي منكَ ، أو

(١) المخيلة : الخيلاء والتكبر . والعريض : الذي يكثر أن يتعرض للناس بالشر ، ولا يكون ذلك إلا من جَلَدٍ وصرامة . والموضحة : الشَّجَّة تبدي عن وضح العظم ، أي بياضه . وتمام الكلام في البيت التالي .

(٢) مضى البيتان برقم ٨٢٦ كتاب الحرب . والحسام : القاطع ، وأضاف الحسام إلى السيف للتخصيص والبيان . والأصيل من الكلام : البليغ النافذ الذي له أصل وقوة ، وعنى الهجاء . والكلْم : الجرح . يقول : من كان ذا زهو عليك وتكبر ، واعترضك فيما لا يعنيه من الشر ، فعلوّك إياه بالسيف ، أو هجاءه ، يبلغ به في نكايته ما يبلغ بأوسع الجراح .

(٣) صدره : حتى استكانُوا وهُمْ مني على مَضَضٍ
والبيت للأخطل . والمضض : الوجع . واستكانوا : خضعوا وذلوا ، والضمير يعود على الأنصار ، الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين ، وكان الأخطل قد هجاهم ، وسبب ذلك أن يزيد بن معاوية وعبد الرحمن بن حسان كانا يتهاجيان بسبب ما كان من تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية ، أخت يزيد ، فاستعلاه ابن حسان وغلبه ، ولما غلبه أرسل يزيد إلى الأخطل كي يهجوهم ، ففعل .

(٤) صدره : ولو عن نَثًا غيرِهِ جاءَني
النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . والضمير يعود على رجل أسماه أبا الأسود في بيت سابق . يقول : ليت خبر السوء أتاني عن غيره . وأبو الأسود : لم أهتد إليه في جميع ما رجعت إليه .

تَكْذِبَني فإنه لا رَأْيَ لكَذوبٍ ، أو تَسْعَى بأحدٍ إليَّ ، وإنْ شئتَ أن أُقيلَكَ أقَلْتُكَ . قال : أقِلْني .

٢٠٧٤ وقال ذو الرِّيَاستين : قُبُولُ السِّعاية شرٌّ من السِّعايةِ ، لأن السِّعايةَ دِلالةٌ والقبولَ إجازةٌ ، وليس مَنْ دَلَّ على شيءٍ كمن قَبِلَ وأجازَ . فامْقُتِ الساعِيَ على سِعَايَتِه وإن كان صادقاً لِلُؤْمه في هَتْكِ العورةِ وإضاعةِ ٱلحرمةِ ، وعاقِبْهُ إن كان كاذباً لجمعهِ بين هَتْكِ العورة وإضاعةِ ٱلحرمة ، مُبَارزةً لله بقول البهتان والزور .

٢٠٧٥ قال[1] بعضُ المُحْدَثين ـ لعبد الصمد بن ٱلمُعَذَّلِ :

لَعَمْرُكَ ما سَبَّ الأمِيرَ عَدُوُّهُ ولَكِنَّمَا سَبَّ الأمِيرَ المُبَلِّغُ

٢٠٧٦ قال[2] رجلٌ للوليد بن عبد الملك : إنَّ فلاناً شَتمكَ . فأكبَّ ثم قال : أَرَاهُ شتمَكَ .

٢٠٧٧ وأتى رجلٌ ٱبنَ عمرَ فقال له : إن فلاناً شتمكَ . . فقال له : إنّي وأخي عاصِماً لا نُسَابُّ أحداً .

٢٠٧٨ عَوَانةُ قال : كان بين حاتم طَيْءٍ وبين أوْس بن حارثة ٱلطفُ ما يكون بين ٱثنين ، فقال النُّعْمانُ بنُ ٱلمنذِر لجلسائه : والله لأُفْسِدَنَّ ما بينهما . قالوا : لا تَقِدرُ على ذلك . قال : بلى ، فقلَّما جَرتِ الرجالُ في شيءٍ إلا بَلَغْتَه . فدخل عليه أوسٌ ، ٢٤/٢ فقال : يا أوسُ ما الذي يقولُ حاتمٌ ؟ قال : وما يقولُ ؟ قال : يقول إنه أفضلُ منك وأشرفُ . قال : أبيتَ اللَّعْنَ⁽¹⁾ ، صَدَقَ ! واللهِ لو كنتُ أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنْهَبَنَا في مجلسٍ واحدٍ . ثم خرج وهو يقولُ :

يَقُـولُ لِـيَ النُّعْمَـانُ لا مِـنْ نَصِيحـةٍ أَرَى حـاتِمـاً فـي قَـوْلِـهِ مُتَطَـاوِلا
لـهُ فَـوْقَنَـا بَـاعٌ كَمَـا قَـالَ حَـاتِـمٌ وما النُّصْحَ فيما بَيْنَنَا كَانَ حَاوَلا⁽²⁾

ثم دَخَلَ عليه حاتم ، فقال له مثلَ مقالَتِهِ لأوسٍ ، [فـ]ـقال : صَدَقَ ، أين عسى أن أقعَ مِنْ أوس ! له عشرةُ ذكورٍ أخَسُّهم أفضلُ مِنّي . ثم خرج وهو يقول :

---

(1) مص : وقال .   (2) مص : وقال .

---

(١) أبيت اللعن : هي تحية العرب لملوكها في الجاهلية ، أي أبيت أيها الملك أن تأتي ما تُلعن عليه . واللعن : الإبعاد والطرد من الخير .

(٢) الباع : السعة في المكارم والشرف وبسط الخير للناس ، وأصله من الباع : وهو قدر مد اليدين إذا بسطتهما وما بينهما من البدن .

يُسَائِلُنِي النُّعْمَانُ كي يَسْتَزِلَّنِي وهَيْهَاتَ لي أنْ أُسْتَضَامَ فَأُصْرَعَا
كَفَانِيَ نَقْصاً أنْ أَضِيمَ عَشِيرَتي بقَوْلٍ أَرَى في غَيْرِه مُتَوَسَّعَا

فقال النُّعْمانُ : ما سمعتُ بأكرمَ من هذين الرجلين .

٢٠٧٩ ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع ٱلمهديّ أنه وافاه في يوم واحدٍ ثمانون رُقعةً كُلّها سِعايةٌ ، منها ستون لأهل البَصْرة ، وعشرون لسائر البلاد .

٢٠٨٠ وَشَى وَاشٍ برجلٍ إلى ٱلإسكندر ، فقال له : أتُحِبُّ أن أقبلَ منك ما قُلتَ فيه على أن نَقبلَ منه ما قال فيك ؟ قال : لا . قال : فَكُفَّ عن الشرِّ يَكُفَّ عنك الشَّرُّ .

٢٠٨١ كَتَبَ بعضُ إخواننا من الكُتَّاب إلى عاملٍ وكان سُعِيَ به إليه : لستُ أنفكُّ فيما بيني وبينك من إحدى أربع : إمَّا كنتَ مُحْسِناً وإنك لكذلك فازْبُبْ ، أو مُسِيئاً ولستَ به فأَبْقِ ، أو أكونُ ذا ذنبٍ ولم أتعمَّدْ فتغمَّدْ ، أو مقروفاً وقد تَلحَقُ به حِيلُ الأشرار فتثبَّتْ ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم : ١٠ ـ ١١] .

* * *

باب الكذب والقِحَة

٢٠٨٢ حَدَّثني أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا سليمان بن داود ، عن مَسْلَمَة بنِ علقمة ، عن داود بن أبي هندٍ ، عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ ، عن الزِّبْرِقَان :

عن النَّوَّاسِ بنِ سِمْعَانَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَصلُحُ الكذبُ إلا في ثلاثةِ مواضِعَ[1] : الحربِ فإنها خُدْعةٌ، والرجلِ يُصْلِحُ بين اثنين، والرجلِ يُرْضي امرأته »(١) .

٢٠٨٣ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا يزيد[2] بن هارونَ ، قال : أخبرنا سفيانُ بنُ حسين ، عن الزُّهْريّ :

عن حُميدِ بن عبد الرحمن ، عن أمه[3] ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لم يَكْذِبْ مَنْ قال خيراً و[4]أصلَحَ بين اثنين »(٢) .

٢٠٨٤ قال : حَدَّثني عَبْدَةُ بن عبد الله ، قال : حَدَّثنا أبو داود ، عن عِمران ، عن قَتَادة ، قال : قال أبو الأسود الدؤليّ : إذا سَرَّكَ أن تُكْذِبَ صاحِبَكَ فَلَقِّنْه .

٢٠٨٥ حَدَّثني محمد بن داود ، عن سويد بن سعيد ، عن مالك :

عن صفوان بن سُلَيم ، قال : قيل للنبيّ ﷺ : أيكُونُ المؤمن جباناً ؟ قال : « نعم » ، قيل[5] : أفيكون[6] بخيلاً ؟ قال : « نعم » ، قيل[5] : أفيكون كذّاباً ؟ قال : « لا »(٣) .

٢٠٨٦ قال : حَدَّثني سهل بن محمد ، عن الأصمعيّ ، قال :

عاتب إنسانٌ كذّاباً على الكذب ، فقال : يا بن أخي لو تَغرغَرتَ به(٤) ما صَبَرْتَ عنه .

---

(1) كتبت كب فوقها : مواطن .
(2) كب ، مص : بربر ، تصحيف .
(3) كب ، مص : أبيه ، خطأ .
(4) كب : أو .
(5) كب ، مص : قال .
(6) كب : فيكون .

---

(١) في إسناده مقال ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي إن شاء الله تخريجه في نهاية الكتاب .
(٣) رجاله ثقات ، والحديث ضعيف لإرساله ، وسيأتي تخريجه .
(٤) تغرغرت به : رددته في حلقك .

٢٠٨٧ قال : وقيل لكذوب : أَصَدقتَ قطُّ ؟ قال : أكره أن أقول لا فأَصْدُقَ .

٢٠٨٨ وقال ابن عَبَّاس : الحَدَثُ حَدَثانِ : حَدَثٌ مِنْ فيكَ ، وحَدَثٌ مِنْ فَرْجِكَ .

٢٠٨٩ وقال مَدَنيٌّ[1] : مَنْ ثَقُلَ على صديقه خَفَّ على عدوّه ، ومَنْ أَسْرَعَ إلى الناس بما يَكْرهون قالوا فيه بما[2] لا يعلمون .

٢٠٩٠ ومثلُه قول الشاعر :

٢٦/٢

ومَنْ دَعَا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ذَمُّوهُ بالحَقِّ وبالبَاطِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إلى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلِ

٢٠٩١ بلغني عن وكيع ، عن أبيه ، عن منصور ، قال :

قال مجاهد : [كلُّ] ما أصابَ الصائمُ شَوًى ما خلا الغِيبةَ والكذِبَ(١) .

٢٠٩٢ وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجلٌ فقال : اشترطْ خَصلةً واحدة لا يزيد عليها ، لقلتُ لا تَكْذِبني .

٢٠٩٣ كان ابن عَبَّاس يقول : الكذبُ فُجور ، والنميمة سحرٌ ، فمن كَذَب فقد فجَر ، ومن نَمَّ فقد سَحَر .

٢٠٩٤ وكان يقال : أَسْرِعْ الاستماعَ ، وأبطِيء التحقيقَ .

٢٠٩٥ قال الأحنف : ما خان شريفٌ ، ولا كذَب عاقلٌ ، ولا اغتاب مُؤمنٌ . وكانوا يحلِفون فيحْنَثون ، ويقولون فلا يكْذِبون .

٢٠٩٦ ذمّ رجلٌ رجلاً فقال : اجتمع فيه ثلاثةٌ : طبيعةُ العَقْعَق(٢) ـ يعني السَّرقَ ـ ورَوَغانُ الثعلب ـ يعني الخِبَّ ـ ، ولمعانُ البرق ـ يعني الكذبَ ـ .

٢٠٩٧ ويقال الأذِلَّاء أربعةٌ : النَّمَّامُ ، والكذَّاب ، والمَدين ، والفقير .

---

(1) كب ، مص : مديني (وانظر ما مضى برقم ١٢٩٥ كتاب السؤدد) .
(2) كب ، مص : ما .

---

(١) الشوى : الهين اليسير ، وأصل الشوى : الأطراف ، يقول : كل شيء أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست بمقاتل ، ما عدا الغيبة والكذب .

(٢) العقعق : طائر من الفصيلة الغرابية ، على قدر الحمامة ، وهو صخّاب ، له ذنب طويل ، ومنقار طويل ، والعرب تتشاءم به وتضرب المثل به بالولوع بالسرقة وبسرعة الخطف ، وهو لا يستعمل ذلك إلا فيما لا ينتفِعُ به ، كسرقة العقود والدراهم والدنانير .

٢٠٩٨ قال ٱبن المُقَفَّع : لا تَهاوَنَنّ بإرسال الكذِبة في الهَزْل فإنها تُسرِعُ في إبطال الحقّ .

٢٠٩٩ وقال الأحنف : ٱثنان لا يجتمعان أبداً : الكذبُ والمروءةُ .

٢١٠٠ وقالوا : مِنْ شَرف الصِّدْق أن صاحبَه يُصَدَّق على عدوّه .

٢١٠١ وقال الأحنف لابنه : يا بُنيَّ ٱتَّخِذِ الكذِبَ كنزاً ـ أي لا تُخرجه ـ .

٢١٠٢ وقيل لأعرابيّ كان يُسهبُ في حديثه : أمَا لحديثك هذا آخِر ؟ فقال : إذا ٱنقطَعَ وصلتُه .

٢١٠٣ وقال ٱبن عمر : « زعموا » زاملةُ الكذب[١] .

٢١٠٤ كان يقال : عِلَّة الكَذوب أقبحُ عِلَّة ، وزَلَّة المتوقِّي أشدُّ زَلَّة .

٢١٠٥ كان المُهَلَّب كذَّاباً وكان يقال له : راحَ يَكذِب[٢] .

٢١٠٦ وفيه يقول الشاعر :

تَبَدَّلَتِ المَنَابِرُ[1] مِنْ قُرَيْشٍ مَزُونِياً بفَقْحَتِهِ الصَّلِيبُ[٣] ٢٧/٢

(1) كب : المنازل .

(١) الزاملة : الدابة التي يحمل عليها . أراد أن لفظ « زعموا » مطية الكذب ومركبه .

(٢) قال ابن أبي الحديد ٤/ ١٥٠ : « كان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ما ضعف ، ويضعِّف به من أمر الخوارج ما اشتد » وهذا قول بعيد ، وقيل : كان يتأول ما ورد في الأثر من أن كل كذب يُكْتب كذباً إلا ثلاثة : الكذب في الصلح بين رجلين ، وكذب الرجل لامرأته بوعد ، وكذب الرجل في الحرب .
وكأنما أريد بهذا تحسين مذهبه بمثل هذه الجهالة ، بالاستدلال بحديث صحيح في غير مكانه . والحق أن المهلب سيد فقيه ، أحد أصحاب أهل الرأي ، وهذا ما أريد بكذبه !
فلفظ « أهل الرأي » كان بداية مدحاً ، يقال لكل فقيه ، ثم خصصت الحنفية ـ أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، صاحب المذهب المعروف ـ به ، ثم صار نبذاً لهم . فهم أهل رأي ، أي أهل هوى وكذب ، خالفوا السنة ، وقدموا رأيهم عناداً ! وكل هذا هرف وعصبية ، فأهل الفقه ، والحنفية خاصة ، برعوا في الاستنباط والاجتهاد في أحكام الحوادث . فإن خالفوا ، فإنما هم خالفوا أحاديث الآحاد ، اجتهاداً ، بحجج واضحة ودلائل صالحة ، ولا كذب ولا هوى .

(٣) المزون : قرية من قرى عمان يسكنها اليهود والملاحون ، ليس بها غيرهم . وإنما نسبه إلى المزون ، لأن أبا صُفْرة ، والد المهلب ، من أزْد دَبا ، ودَبا فيما بين عُمان والبحرين . وكان قوم المهلب ممن منع الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ ، فأرسل إليهم أبو بكر عكرمة بن أبي جهل ، فظفر بهم ، وبعث بهم إلى أبي بكر ، فبقوا في المدينة . ولما ولي عمر بن الخطاب خرجوا حتى نزلوا البصرة ورجع بعضهم إلى بلادهم ، وكان أبو صُفرة أبو المهلب ممن نزل البصرة وشَرُف بها هو وولده . والفقحة : الدبر .

فـأَصْبَـحَ قـافِـلاً كَـرَمٌ وجُـودٌ وأَصْبَحَ قادِماً كَذِبٌ وحُوبُ(١)

٢١٠٧ قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبتُ كِذْبةً قَطّ . قال : أمَّا هذه فواحدةٌ يُشهَدُ بها عليك .

٢١٠٨ قال ميمون بن ميمون : مَنْ عُرف بالصدق جاز كَذِبهُ ، ومَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَجز صِدقُه .

٢١٠٩ قال أبو حَيّة النُّمَيْرِيّ ـ وكان كذّاباً ـ : عَنَّ لي ظَبْيٌ فرميتُه ، فراغَ عن سَهْمي ، فعارَضَه واللهِ السهمُ ، فَراغَ فراوغَه[1] السهمُ حتى صَرَعه ببعض الخَبَارات[2](٢) .

٢١١٠ وقال أيضاً : رميتُ ظبيةً فلما نفَذ السهمُ ذكرتُ بالظبية حبيبةً لي ، فشددتُ وراء السهم حتى قبضتُ على قُذَذِهِ(٣) .

٢١١١ وصَفَ أعرابيٌ آمرأةً ، فقيل : ما بلغَ من شِدَّة حُبِّك لها ؟ قال : إني لأذكُرها وبيني وبينها عقبةُ الطائف فأجِدُ مِنْ ذِكْرِها ريحَ المِسْك .

٢١١٢ أنشد الفرزدقُ سليمانَ بن عبد الملك :

ثَـلاثٌ وآثْنَتَـانَ فَهُـنَّ خَمْـسٌ وسَـادِسَـةٌ تَمِيـلُ إلـى شِمَـام(٤)
فبِتْـنَ بجَـانِبَـيَّ[3] مُصَـرَّعَـاتٍ وبِـتُّ أَفُـضُّ أغْـلاقَ الخِتَـامِ(٥)
كَـأَنَّ مَفَـالِـقَ الـرُّمَّـانِ فِيـهِ وجَمْرَ غَضاً قَعَدْنَ عَلَيْهِ حَامِي

فقال له سليمان : ويحكَ يا فرزدقُ ، أحْللتَ بنفسك العقوبةَ ، أقْررتَ عندي بالزِّنا ، وأنا إمامٌ ، ولا بُدَّ لي من أن أحُدَّكَ . فقال الفرزدقُ : بأيِّ شيء أوجبتَ عليَّ ذلك ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن كتابَ الله هو الذي يَدْرَأُ عنّي الحدَّ . قال : وأين ؟

---

(1) كب : مراوغة . (2) كب : الحيارات .
(3) كب : جنابتي .

---

(١) الحوب : الإثم والهلاك .
(٢) الخبارات : جمع الخبارة ، وهي ما لان واسترخى من الأرض وساخت فيها القوائم .
(٣) شددت : من الشد ، وهو العدو والجري . والقذذ : جمع القُذَّة ، وهي ريش السهم .
(٤) ستأتي الأبيات برقم ٥٨٦٦ كتاب النساء . والشمام : التقبيل واللثم والترشف ، لأن شم المرأة مقترن بلثمها وضمها .
(٥) الأغلاق : جمع غَلَق، وهو ما يغلق به الباب. والختام: من الخَتْم، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من أن لا يدخله شيء . وأراد : ختام الأغلاق ، فقلب . وعنى ما كان من فحشه ، وأقر بالفاحشة .

قال : في قوله [تعالى] : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٦] فأنا قلتُ يا أمير المؤمنين ما لم أفعل .

٢١١٣ و[نحوه] قول الشاعر :

وإنَّما الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلِبْ أكْثَرُ ما يَأْتي عَلَى فِيهِ الكَذِبْ

٢٨/٢

٢١١٤ وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ البَلِيَّـ ـةِ بَعْضُ ما يُحْكَى عَلَيْهِ
مَهْمَا سَمِعْتَ بِكِذْبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إلَيْهِ

٢١١٥ وقال بَشَّار :

ورَضِيتُ مِنْ طُولِ الرَّجَاءِ[1] بيأسِهِ واليَأْسُ أيْسَرُ مِنْ عِدَاتِ الكَاذِبِ

٢١١٦ والعرب تقول : « أكذَبُ منْ سَالئةٍ[2] » ، وهي تكذب مخافةَ العين على سَمْنها[(١)] .

و « أكذبُ مِنْ مُجَرَّب » لأنه يخاف أن يُطلَبَ من هِنائه[(٢)] .

و« أكذبُ منْ يَلْمَعٍ » وهو السراب .

٢١١٧ منصور بن سَلَمة الخُزَاعيّ ، قال : حَدَّثنا شبيبُ بن شيبة أبو مَعْمَر الخطيب ، قال : سمعت ٱبن سِيرِين يقول : الكلام أوسعُ من أن يكذبَ ظريفٌ .

٢١١٨ وقال في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف : ٧٣] لم ينس ، ولكنها من معاريض الكلام .

٢١١٩ وقال القينيُّ : أصْدُقُ في صِغار ما يَضُرُّني لأِكْذِبَ[3] في كبار ما ينفعُني .

٢١٢٠ وكان يقول : أنا رجلٌ لا أبالي ما ٱستقبلتُ به الأحرارَ .

٢١٢١ نافرَ رجل من جَرْم رجلاً من الأنصار إلى رجل من قريش ، فقال للجَرْميّ :

---

(1) كب ، مص : العناء . (2) كب : سالبة .
(3) كب ، مص : لأصدق .

---

(١) السالئة : هي التي تسلأ السمن ، أي تذيبه وتعالجه ، وكذبها أنها تقول : قد ارتجن ، قد احترق . والارتجان : ألا يخلص سمنها .

(٢) المجرب : المصاب بالجرب ، المرض الجلدي المعروف . والهناء : القطران .

أبا لجاهلية تُفاخره ، أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام . فقال : كيف تُفاخره وهم آوَوا رسولَ الله ونَصَروه حتى أظهر الله الإسلامَ ؟ قال الجَرْميّ : فكيف تكون قلّةُ الحياء .

٢١٢٢ وقال آخر : إنما قَوِيتُ على خصومي بأنّي لم أستتِر قطُّ بشيء من القبيح[1] .

٢١٢٣ وذكر أعرابيٌّ رجلاً فقال : لو دُقَّ وجهُه بالحجارة لرضَّها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسَرَقَها .

٢١٢٤ قيل لرجل من بني أسد : بأيِّ شيء غلبْتَ الناسَ ؟ قال : أبْهَتُ الأحياءَ ، وأستشهِدُ الموتَى .

٢١٢٥ وقال طُرَيْحٌ الثقفيُّ يذمّ قوماً[(١)] :

إنْ يَعْلَمُوا الخَيْرَ يُخْفُوهُ وإنْ عَلِمُوا ... شَراً أُذِيعَ وإنْ لم يَعْلَمُوا كَذَبُوا

٢٩/٢ ٢١٢٦ وكان يقال : اثنان لا يتفّقانِ أبداً : القناعةُ والحسدُ ، واثنان لا يفترقان أبداً : الحِرص والقِحة .

٢١٢٧ وقال الشاعر[(٢)] :

إنْ يَبْخَلُـوا أو يَغْـدِرُوا ... أو يَفْخَـرُوا لا يَحْفِلُـوا
يَغْـدُوا[2] عَلَيْـكَ مُـرَجِّلِيـ ... ـنَ كَأَنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا[(٣)]
كـأبـي بَـرَاقِـشَ كُـلَّ لَـوْ ... نِ لَـوْنُـهُ يَتَخَيَّـلُ[(٤)]

٢١٢٨ هَجَا أبو الهَوْلِ الحِمْيَرِيُّ الفضْلَ بنَ يحيى ، ثم أتاه راغباً إليه ، فقال له الفضل : ويلكَ بأيِّ وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربّي وذنوبي إليه أكثرُ . فضحك ووصله .

---

(1) كب : القبح . (2) كب : يعدو .

---

(١) البيت في ناس من أهل بيت الخليفة الوليد بن يزيد ، كانوا قد حسدوا منزل طريح عنده ، فسعوا عنده (الأغاني ٣١١/٤) .

(٢) يصف قوماً مشهورين بالمقابح ، لا يستحون ، ولا يحتفلون بمن رآهم على ذلك .

(٣) قوله : يغدوا ، بدل من قوله : لا يحفلوا ، لأن غدوهم مُرَجلين دليل على أنهم لم يحفلوا . والترجيل : مشط الشعر وإرساله .

(٤) يتخيل : يصير كالأخيل ، وقال الخليل : هو طائر من طير البر يشبه القنفذ ، أعلى ريشه أغبر ، وأوسطه أسود وأحمر ، فإذا أهيج انتفش وتغير لونه (ثمار القلوب ٢٤٧) .

٢١٢٩ ومن أمثال العرب في الوَقَاحِ[1] : رَمَتْنِي بِدائِهَا وانْسَلَّتْ(١) .

٢١٣٠ وقال الشاعر :

أَكُـولٌ لأرْزَاقِ العِبـادِ إذا شَتَـا ... صَبُورٌ عَلَى سُوءِ النَّثا[2] وَقَاحُ(٢)

٢١٣١ قال رجلٌ لقوم يغتابونَ ويكذبونَ : تَوضَّأوا ، فإنّ ما تقولون شرٌّ من الحَدَث .

٢١٣٢ وبلغني عن حمَّاد بن زيد ، عن هشام ، عن محمد ، قال :

قلتُ لعَبيدَةَ : ما يوجبُ الوضوءَ ؟ قال : الحَدَثُ ، وأذَى المسلم .

٢١٣٣ روى الصَّلْتُ بنُ دينار ، عن عُقْبة :

عن أنس بن مالك ، قال : بعثني أبو موسى الأشعريّ من البصرة إلى عمرَ ، فسألني عن أحوال الناس ، ثم قال : كيف يَصلُحُ أهلُ بلدٍ جُلُّ أهلِهِ هَذَانِ الحَيّانِ : بكرُ بن وائل وبنو تميم ، كَذَبَ بكرٌ وبَخِلَ تميمٌ .

٢١٣٤ ذكر بعضُ الحكماء أعاجيبَ البحر وتَزَيُّدَ البحْريِّينَ فقال : البحرُ كثيرُ العجائب ، وأهلُه أصحابُ تَزَيُّدٍ، فأفسَدُوا بقليل الكذب كثيرَ الصِّدق، وأدخَلوا ما يكونُ فيما يكادُ لا يكونُ، وجعلوا تصديقَ الناس لهم في غريب الأحاديث سُلَّماً إلى ٱدِّعاءِ المُحَالِ.

٢١٣٥ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال : كان يقال : الصِّدْقُ أحياناً مُحرَّمٌ .

٢١٣٦ حَدَّثني شيخٌ لنا ، عن أبي معاويةَ ، قال : حَدَّثنا أبو حنيفةَ ، عن معن بنِ ٢/ ٣٠ عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال(٣) :

قال عبدُ الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبيّ ﷺ إلا كَذْبَةً واحدةً ، كُنتُ أُرَحِّلُ لرسول الله ﷺ[3] فجاء رجلٌ من الطائف ، فقلت : هذا يَغْلِبُني على الرِّحال ؛ فقال : أيُّ الرِّحال أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفيّة المكيَّةُ . فرحَّلَ بها ؛ فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ رَحَّلَ لَنَا هَذا ؟ » فقالوا : الطائفيّ ؛ فقال : « مُرُوا عبدَ الله فليُرَحِّلْ لَنَا » فعُدتُ إلى الرِّحال .

---

(1) كب : الوقاع .
(2) مص : الثناء ، وهم في القراءة .
(3) كب : عليه السلام .

---

(١) الوقاح : الصلب الوجه ، القليل الحياء . والأنثى وقاح بغير هاء .
(٢) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٣) الحديث ضعيف ، وفي الإسناد خطأ ، وسيأتي تخريج الحديث في نهاية الكتاب إن شاء الله .

باب سوء الخُلُق ، وسوء الجوار ، والسِّبَاب ، والشَّر

٢١٣٧ حَدَّثني زياد بن يحيى ، قال : حَدَّثنا أبو داود ، عن صَدَقة بن موسى ، عن مالك بن دينار ، عن عبد الله بن غالب :

عن أبي سعيد الخُدْريّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خُصْلَتَان لا تَجتَمِعَانِ في مُؤْمنٍ سُوءُ الخُلُقِ والبُخلُ »(١) .

٢١٣٨ قال : وحَدَّثني أحمد بن الخليل ، عن أزْهَر بن جميل ، عن إسماعيل بن حَكيم ، عن الفضل بن عيسىٰ ، عن محمد بن المنكدِر :

عن جابر [قال] : قيل : يا رسولَ [الله] ما الشُّؤْمُ ؟ قال : « سُوءُ ٱلخُلُقِ »(٢) .

٢١٣٩ قال : وحَدَّثني أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا بِشْر بن المفضَّل ، قال : حَدَّثنا يونس : عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المُسْتَـبَّانِ ما قالا ، فَعَلَىٰ البادىءِ منهما ، ما لَمْ يَعْتَدِ المظلومُ »(٣) .

٢١٤٠ قال : وحَدَّثني سهل بن محمد ، عن الأصْمَعيّ ، قال : حَدَّثني شيخٌ بِمِنًى ، قال :

صَحِبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فآذاه الرجلُ بسوء خُلُقه ، فقال أيوبُ : إنّي لأرحمُه لسوء خُلُقه .

٣١/٢ ٢١٤١ قال : وحَدَّثني عبد الرحمن ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

قال أبو الأسود : لو أطعنَا المساكينَ في أموالنا كُنَّا أسوأ حالاً منهم .

٢١٤٢ وأوصَى بنيه فقال: لا تُجاوِدُوا اللهَ فإنه أمجدُ وأجودُ ، ولو شاء أن يُوَسّعَ على الناس

---

(١) إسناده حسن ، والحديث صححه الطبري لغيره . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) إسناده ضعيف جداً ، والحديث ضعيف جداً ، وفي المختصر : لا يصح . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب .

(٣) رجاله ثقات ، وهو مرسل ، والحديث صحيح له طرق صحيحة . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب .
يقول ﷺ : إن إثم السباب الواقع من اثنين ، مختص بالبادىء منهما ، إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادىء أكثر مما قال له .

كُلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لفَعَلَ ، فلا تَجْهَدوا أنفُسَكم في التوسُّعِ فتَهلِكُوا هُزْلًا(١) .

٢١٤٣ قال : وسمع رجلاً يقول : مَن يُعَشِّي الجائعَ ؟ فقال : عليَّ به . فعَشّاه ، ثم ذهب ليخرجَ ، فقال : أين تـريد ؟ قال : أُريدُ أهلي . قال : هيهاتَ ، عَلَيَّ ألَّا تُؤذيَ المسلمينَ اللّيلةَ . ووضَعَ في رجلهِ الأدهمَ(٢) حتى أصبحَ .

٢١٤٤ قال : وأكل أعرابيٌّ معه تمراً فسقطتْ مِن يد الأعرابيّ تمرةٌ فأخذها وقال : لا أدعُها للشيطان . فقال أبو الأسود : لا واللهِ ولا لجِبريلَ .

٢١٤٥ نظر ٱبنُ الزبير يوماً إلى رجلٍ وقد دقّ في صدور أهل الشام ثلاثةَ أرماحٍ ، فقال : ٱعتزِلْ حَربْنا فإنَّ بيتَ المال لا يقومُ لهذا .

٢١٤٦ وذكر أبو عبيدة أنه(٣) كان يأكل في كلّ سبعةِ أيام أكْلَةً ، ويقول في خُطْبته : إنما بطني شبرٌ في شِبرٍ ، وما عسى أن يكفيَنِي(٤) .

٢١٤٧ فقال أبو وَجْزَة[1] مولى آل الزبير :

لـو كَـانَ بَطْنُـكَ شِبْـراً قـدْ شَبِعْـتَ وقَـدْ	أفْضَلْـتَ فَضْـلاً كَثيـراً للمَسَـاكيـنِ
فـإنْ تُصِبْـكَ مـنَ ٱلأيَّـام جَـائحَـةٌ	لا نَبْـكِ مِنْـكَ عَلَـى دُنْيـا ولا دِيـنِ(٥)

وفيها يقول :

مـا زِلْـتَ فـي سُـورَةِ الأعْـرَافِ تَـدْرُسُهَـا	حَتَّـى فُـؤَادُكَ[2] مِثْـلُ الخَـزِّ فـي اللِّيـنِ

وفيها يقول :

إنَّ ٱمْـرأً كُنْـتُ مَـوْلاَهُ فَضَيَّعنـي	يَـرْجُـو الفَـلاحَ لَعِنْـدِي حَـقٌّ مَغْبُـونِ

٢١٤٨ وفيه يقول آخر :

رَأَيْـتُ أبـا بَكْـرٍ ـ ورَبُّـكَ غَـالِـبٌ	عَلَـى أمْـرِهِ ـ يَبْغِـي ٱلخِـلافَـةَ بـالتَّمْـرِ

---

(1) كب : وجرة ، تصحيف . وفي النسختين : وقال .   (2) كب : فؤادي .

---

(١) مضى برقم ١٨٦٠ كتاب السؤدد .

(٢) الأدهم : القيد ، وقالوا : هو المتخذ من خشب ، والأجود أن يقال إنه المتخذ من الحديد ، ولذلك تجيء صفته بالدهمة لسواده ، وجمعه أداهم ، وإنما كسروه تكسير الأسماء وإن كان صفة لغلبته على القيد غلبة الاسم .

(٣) أي ابن الزبير .

(٤) يشير إلى زهده في الدنيا وعبادته ، أي ما عسى أن يكفيني من ملاذ الدنيا .

(٥) الجائحة والجَوْحة : الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال فلا تدع شيئاً إلا أتت عليه .

هذا حين قال : أكلتُم تمري وعصيتُم أمري .

٢١٤٩ وقال بعضُ الشعراء :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ[1] لَوْنُ لَيْلٍ مُظْلِمٍ ... وحَفيفُ نافِحَةٍ[2] وكَلْبٌ مُوسَدُ(١)
وأخُوكَ مُحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةً ... ومُسيفُ قَوْمِكَ لائمٌ لا يَحْمَدُ(٢)
والضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أسْوَدَ سَالِخٍ ... لا بَلْ أحبُّهُمَا إلَيْكَ الأسْوَدُ(٣)

٢١٥٠ ومَدَحَ أعرابيٌّ سعيدَ بن سَلْم[3] فقال :

أَيَا سَارِياً بالليْلِ لا تَخْشَ ضِلَّةً ... سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ ضَوءُ كُلِّ بِلادِ
لَنَا سَيِّدٌ أرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ ... جَوَادٌ حَثَا[4] في وَجْهِ كُلِّ جَوَادِ(٤)

فلم يُعْطِه شيئاً ، فقال يهجُوه :

لِكُلِّ أخِي مَدْحٍ ثَوَابٌ يُعِدُّه ... ولَيْسَ لِمَدْحِ البَاهِلِيِّ ثَوَابُ(٥)
مَدَحْتُ ابْنَ سَلْمٍ والمَدِيحُ مَهَزَّةٌ ... فكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابُ(٦)

٢١٥١ وقال فيهم المُمَزِّقُ الحَضْرَميّ :

إذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةُ بَاهِلِيٍّ ... غُلاماً زِيدَ في عَدَدِ اللِّئَامِ(٧)

---

(1) كب : شبيك .
(2) مص : نافجة .
(3) كب : سالم ، تحريف .
(4) كب : حنى .

---

(١) السيب : العطاء السهل المتتابع . والنافحة : الريح الشديدة . والموسد : المغرى بالصيد ، وعنى كلب الراعي ، وهم يقولون إن الكلاب السود أقل الكلاب صبراً على البرد والحر . يشير إلى شدة الزمان وأنهم في جدب .

(٢) الضغينة والضِّغْن : هي الحقد الذي تنطوي عليه الجوانح وتضمره وتستره . والمسيف : من هلك ماله فافتقر .

(٣) الأسود السالخ : ضرب من الحيات شديد السواد ، وهو أقتل ما يكون من الحيات ، ووصف بالسالخ لأنه ينسلخ جلده كل عام .

(٤) يريد حثا التراب في وجوه الأجواد ، وذلك كناية عن تقصيرهم عنه في العطاء ، شبهه بالجواد السابق الذي يثير الغبار في وجوه الخيل اللاحقة .

(٥) يعده : أي لمادحه .

(٦) مهزة : يحرك الممدوح للبذل . الصفوان : الحجر الصلد الأملس ، لا ينبت شيئاً .

(٧) حليلة الرجل : امرأته ، وهو حليلها ، لأنهما يحلان في موضع واحد ، أي يقيمان . وهذا أمثل من قول من قال إنما هو من الحلال ، أي إنه يحل لها وتحل له ، وذلك لأنه ليس باسم شرعي وإنما هو من قديم الأسماء .

وعِـرْضُ البَـاهِلِـيِّ وإنْ تَـوَقَّـى عَلَيْـهِ مِثْـلُ مِنْـدِيـلِ الطَّعَـامِ
ولَـوْ كـانَ الخَلِيفَـةُ بـاهِلِيـاً لَقَصَّرَ عَنْ مُسَامَاةِ الكِرَامِ[1]

٢١٥٢ ودخل قُدامةُ بنُ جَعْدة على قُتَيْبَةَ بنِ مسلم[2] فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، بالباب ألأمُ العرب . قال : ومن ذاك ؟ قال : سَلُوليٌّ رسولُ مُحاربيٍّ إلى باهليٍّ . فضَحِك قتيبةُ .

٢١٥٣ وقال آخر :

قَـوْمٌ إذا أكَلُـوا أخْفَـوْا كَـلامَهُـمُ واسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ البَابِ والدَّارِ
لا يَقْبِسُ الجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نارِهِمُ ولا تَكُفُّ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الجَارِ

٢/ ٣٣

٢١٥٤ وقال عمر بن عبد العزيز الطائيّ من أهل حِمْص :

سُمْـتُ المَـدِيـحَ رِجَـالًا دُونَ قَـدْرِهِـمُ صَـدٌّ قَبيحٌ ولَفْـظٌ لَيْـسَ بـالحَسَـنِ[١]
فلـم أَفُـزْ مِنْهُـمُ إلَّا بِمَـا حَمَلَـتْ رِجْـلُ البَعُـوضَـةِ مِـنْ فَخَّـارَةِ اللَّبَـنِ

٢١٥٥ وقال آخر :

أُلامُ وأُعْطِـي والبَخِيـلُ مُجَـاوِرِي إلـى جَنْـبِ بَيْتِـي لا يُـلامُ ولا يُعْطِـي

٢١٥٦ ونحو هذا قولهم : مَنْعُ الجميعِ أرْضَى للجميع[٢] .

٢١٥٧ وقال بَشّار :

أَعْطَـى البَخِيـلُ فَمَـا انْتَفَعْـتُ بِـهِ وكَـذَاكَ مَـنْ يُعْطِيـكَ مِـنْ كَـدْرِهِ[٣]

٢١٥٨ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تُنْفق فإنَّ مالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أعرضُ منه . قيل له : كأنك تأمُلُ أن تعيشَ الدهرَ كلَّه ! قال : [3]لا ، ولكني أخافُ ألّا أموتَ[3] في أوَّلِهِ .

---

(1) في هامش كب ، بخط مغاير : قوله : « ولو كان الخليفة باهلياً . . » أين هذا من البيتين الأولين ، وما بينه وبينهما مثل ما بين الثرى والثريا ، وقائله فَطَن إلى أيسر ما للخلفاء والملوك : مسامات الكرام . وليس الأمر كذلك ، فإن مسامات الكرام تصعب [على] غير الكرام ، ولو ملكت الدنيا بحذافيرها .

(2) كب : سلم .

(3 - 3) كب ، مص : ولا أخاف أن أموت . وعوَّلنا في قراءة النص على أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٣/ ١٨٤ .

---

(١) سمت المديح : أوليته ، وهي من السيما ، بمعنى العلامة .

(٢) مضى برقم ١٩٤٨ .

(٣) تزعم العامة أن ما يُعطى عن تشوف نفس المُعْطي لا ينتفع به المعطَى ويسرع إليه التلف .

٢١٥٩ قال الجاحظ : قلتُ مَرّةً للحَرَامي[1] : قد رَضِيتَ بقول الناس : عبدُ الله بخيل ! قال : لا أعدَمني الله هذا الاسمَ ؛ قلت : كيف ؟ قال : لأنه لا يقال فلانٌ بخيلٌ إلا وهو ذو مال ، فَسَلِّمْ لي المالَ وادعُني بأيّ اسم شئتَ . قلت : ولا يقال سخيّ إلا وهو ذو مال ، فقد جَمَعَ هذا الاسمُ المالَ والحمدَ ، وجَمَعَ هذا الاسمُ المالَ والذمَّ . قال : بينهما فرقٌ . قلت : هاته . قال : في قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المال في مِلْكِهِ ، وفي قولهم سخيٌّ إخبارٌ عن خروج المال عن ملكه . واسم البخل اسمٌ فيه حزمٌ وذمٌّ ، واسمُ السخاء اسمٌ فيه تضييعٌ وحمدٌ . والمالُ راهنٌ نافعٌ ، ومُكرِمٌ لأهله مُعِزٌّ ، والحمدُ ريحٌ وسُخْرِيةٌ ، واستماعهُ ضَعفٌ وفُسُولَةٌ[2] ، وما أقلَّ واللهِ غَنَاءَ الحمد عنه إذا جاعَ بطنُه وعَرِيَ جِلدُه وضاعَ عيالُه وشَمِتَ عَدُوُّهُ[3] ! .

٣٤/٢

٢١٦٠ وكان محمد بن الجَهْم يقول : مِنْ شأنِ مَنْ استغنى عنكَ ألَّا يُقيمَ عليكَ ، ومَنِ احتاجَ إليك ألَّا يَذهَبَ عنكَ . فمنْ[4] ضَنَّ بصديقه ، وأحبَّ الاستكثارَ منه ، وأحبَّ التمتعَ به ، احتالَ في دوام رغبته بأن يُقيمَ له ما يَقُوتَه ويمنَعَه ما يُغنيه عنه . فإنَّ من الزهد فيه أن تُغنيه عنك ، ومن الرغبة فيه أن تُحوِجَه إليك ؛ وإبقاؤك مع الضنّ به أكرمُ من إغنائكَ له مع الزهد فيك ، وقيل في مثلٍ : « أجع كلبَكَ يَتبعْكَ » . فمنْ أغنَى صديقَه فقد أعانه على الغَدْر وقَطَعَ أسبابه من الشكر ؛ والمعينُ على الغدر شريكُ الغادِر ، كما أن مُزَيِّنَ الفجور شريكُ الفاجر .

٢١٦١ قال : وأوصى عند موته ، فقال[5] في وصيّته : يزعمون أن رسول الله ﷺ قال : « الثلث ، والثلث كثير »(١) ، وأنا أزعمُ أن ثلثَ الثلثِ كثيرٌ ، والمساكينُ حقوقُهم في

---

(1) كب ، مص : للحزامي ، بالزاي ، تصحيف . ورد اسمه مصحفاً أيضاً في البخلاء ٦٢ .

(2) كب : فشولة ، تصحيف .

(3) كتب بهامش كب : سبحان الله ! ما رأيتُ أنهضَ جانباً للبخل والبخلاء ، وأبينَ كلاماً ، وأصدقَ حُجَّةً ، وأبعدَ من المقدماتِ الواهية والقضايا المردودةِ ، مِنْ هذا الرجل ! ولولا [أن] السخاءَ سجيةٌ من السجايا الراسخةِ في أنْفُس الأسخياء ، كاد واللهِ يهدم ركنَه ، ويميلُ عمادَه ، ويكدر موردَه ؛ بل ويمنعُ السحابَ من المطر ، والبحرَ من رشح القَطْر ، وإن هذا لمن إحدى الكِبَر !.

(4) كب : ممن . . تصديقه .

(5) كب ، مص : وقال .

---

(١) كان سعد بن أبي وقاص قد مرض مرضاً أشفى فيه ، فعاده رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن لي مالًا كثيراً ، وليس يرثني إلا ابنتي ، أفأتصدق بالثلثين ؟ قال : « لا » . قال : فبالشطر ؟ قال : « لا » . قال : فبالثلث ؟ قال : « الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » . والحديث صحيح ، أخرجه الجماعة .

بيت المال ، إنْ طَلبوا طَلَبَ الرجالِ أخذوه ، وإنْ جَلَسوا جلوسَ النساء مُنِعُوهُ ، فلا يُرغمُ اللهُ إلا أنفَهُم ، ولا يَرحَمُ اللهُ مَنْ يرحَمُهُم .

٢١٦٢ تقدَّم رجلان من قريش إلى سَوَّارٍ أحدهما يُنازعُ مولًى له في حدّ أرض أقْطَعَهَا أبوه مولاه ، فقال سوَّار : أتُنازع مولاكَ في حدِّ أرضٍ أقطعها أبوك إياه ! فقال : الشَّحيحُ أعذرُ من الظالم . فرفع سَوَّار يده ثم قال : اللّهم أرْدُدْ على قريش أخْطَارَها[1](١) .

٢١٦٣ وقال الخَزْرَجِيّ : ٢/ ٣٥

إنَّ جُـــودَ المَكِّـــيِّ جُـــودٌ حِجَـــازِيٌّ ٭ وجُـــودُ الحِجَـــازِ فِيـــهِ اقْتِصَـــادُ

كَيْـفَ تَـرْجُـو النَّـوَالَ مِـنْ كَـفِّ مُعْـطٍ ٭ قَـــدْ غَـــذَتْـــهُ الأقْـــرَاصُ والأمْـــدَادُ(٢)

٢١٦٤ نظر سليمان بنُ مُزَاحِم إلى دِرهم فقال : في شِقٍّ : « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله » ، وفي وجه آخر : « اللهُ لا إلٰه إلا هُو الحيُّ القَيُومُ » ، ما[2] ينبغي أن يكون هذا إلا مَعَاذَةً . وقذَفَه في الصُّندوقِ .

٢١٦٥ أنشدَنا عبدُ الرحمن بن هانيء صاحب الأخفش ، عن الأخفش ، للخليل :

كَفَّــاهُ لــم تُخْلَقَــا[3] لِلنَّــدَى ٭ ولــم يَــكُ بُخْلُهُمَــا بِــدْعَــهْ

فَكَفٌّ عَنِ الخَيْرِ مَقْبُوضَةٌ ٭ كمَا نَقَصَتْ مِئَةٌ سَبْعَهْ[4](٣)

وكَـــفٌّ ثَـــلاثَـــةُ آلافِهَـــا ٭ وتِسْعُ مِئِيها لَهَا شِرْعَهْ(٤)

---

(1) كتب بهامش كب : إنما قال ذلك حتى لا يظلموا الناس لقلة ما بيدهم .

(2) كب : فقال ما ينبغي . (3) كب : يخلقا . (4) كب : مص : تسعة .

---

(١) الأخطار : جمع الخَطَر ، وهو الشرف .

(٢) الأقراص : جمع القرص ، وهو الرغيف . والأمداد : جمع المُدُّ ، وهو ضرب من المكاييل ، اختلفوا في تقديره . والمد أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة . يعيِّره بأن عماد معيشته من أموال الصدقة ، ليس من كدِّ يمينه وتعبه .

(٣) كان للعرب حساب خاص هو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها بإزاء عدد مخصوص ، ورتبوا لأوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، فيشار عن الواحد مثلاً بقبض الخنصر وعن الاثنين بقبض البنصر ، وهكذا . والعدد الذي أراده الشاعر هنا وهو ثلاث وتسعون تقضي قواعدهم في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة ، وتُجعل السبابة حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعين .

(٤) تقضي قواعدهم في عد الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبنصر والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف ، وتجعل سبابة اليسرى حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعمائة . ويقال : هذا شِرعة ذلك ، أي مثاله ، وهذا شِرع هذا ، وهما شِرعان أي مثلان .

٢/ ٣٦ ٢١٦٦ قال أبو عليّ الضرير :

لَعَمْرُ أبيكَ ما نُسِبَ المُعَلَّى ... إلى كَرَمٍ وفي الدُّنْيَا كَرِيمُ[١]
ولَكِنَّ البِلادَ إذا اقْشَعَرَّتْ ... وصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الهَشِيمُ[٢]

٢١٦٧ وقال آخر :

أمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ ، تَعَجَّلْتَهُ ... وأخَّرْتَ إنْفَاقَ ما تَجْمَعُ
فَصِرْتَ الفَقِيرَ وأنْتَ الغَنِيُّ ... وهَلْ كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

٢١٦٨ خَوَّفَ رجلٌ رجلاً جواداً الفقرَ ، وأمَرَه بالإبقاء على نفسه ، فكتب إليه : إني أكره أن أترك أمراً قد وقَعَ ، لأمرٍ لعله لا يَقَعُ .

٢١٦٩ وقال أبو الشَّمَقْمَق[٣] :

رأيْتُ الخُبْزَ[1] عَزَّ لَدِيكَ حَتَّى ... حَسِبْتُ الخُبْزَ في جَوِّ السَّحَابِ
ومَا رَوَّحْتَنَا لِتَذُبَّ عَنَّا ... ولكنْ خِفْتَ مَرْزِئَةَ الذُّبَابِ[٤]

٢١٧٠ وقال دِعْبِلٌ[٥] :

صَدَّقْ أَلِيَّتَه إنْ[2] قالَ مُجْتَهِداً ... لا والرَّغِيفِ ، فذَاكَ البِرُّ مِنْ قَسَمِهْ
قَدْ كانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أنَّ غَيْرَتَهُ ... على جَرَاذِقِهِ كَانَتْ عَلى حَرَمِهْ[٦]
فإنْ هَمَمْتَ بِهِ فَافْتُكْ بِخُبْزَتِهِ ... فإنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْمِه ودَمِهْ

٢١٧١ وقال الشاعر[٧] :

أُزْفُقْ بحَفْصٍ حِينَ تَأْ ... كُلُ يا مُعَاوِيَ مِنْ طَعَامِهْ

---

(1) كب : الخير ، في كلا الموضعين . (2) كب ، مص : إذ .

---

(١) المعلى بن أيوب الطائي : صاحب العرض والجيش أيام المأمون ، ومن رجال الدولة أيام المعتصم والواثق .
(٢) اقشعرت : أجدبت . صوح النبت : جف ويبس بعد تمامه . والهشيم : الكلأ الجاف .
(٣) سيأتي البيتان برقم ٥١٣٢ كتاب الطعام ، وهما في جعفر بن أبي زهير .
(٤) المرزئة : المصيبة الكبيرة البالغة ، لأنها ترزؤ المرء ، أي تأخذ منه ما يعز عليه . يقول : خاف أن يأكل الذباب من طعامه شيئاً فيصاب بمصيبة جلل ، فصار يذبه .
(٥) ستأتي الأبيات برقم ٥١٢٩ كتاب الطعام ، وهي في عياش بن لهيعة الحضرمي .
(٦) الجراذق : جمع الجرذق ، وهو الغليظ من الخبز ، معرَّب « كِرْدَه » .
(٧) ستأتي الأبيات برقم ٥١٢٨ كتاب الطعام .

المَـــوْتُ أيسَـــرُ عِنْـــدَهُ   مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ والْتِقَامِهْ
وَتَـرَاهُ مِـنْ خَـوْفِ النَّـزِيـ   ـلِ بِهِ يُرَوَّعُ فـي مَنَامِهْ
سِيَّـــانِ كَسْـــرُ رَغِيفِـــهِ   أو كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهْ
لا تَكْسِـــرَنَّ رَغِيفَـــهُ   إنْ كُنْتَ تَرْغَبُ في كَلاَمِهْ
وإذا مَـــرَرْتَ بِبَـــابِـــهِ   فاحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غُلامِهْ

37/2

٢١٧٢ وقال أبو نُوَاس[١] :

خُبْـزُ إسْمَـاعِيـلَ كـالـوَشْـ   ـيِ إذا ما انْشَقَّ[1] يُرْفَا[٢]
عَجَبـاً مِـنْ أَثَـرِ الصَّنْـ   ـعَـةِ فيـه كَيْـفَ يَخْفَـى
إنَّ رَفَّـاءَكَ هـــذا   أحْـذَقُ[2] الأُمَّـةِ كَفَّـا
فــإذا قَــابَـلَ[3] بـالنِّصْـ   ـفِ مِنَ الجَرْدَقِ[4] نِصْفَا[٣]
أحْكَـمَ الصَّنْعَـةَ حَتَّـى   لا تَـرَى مَـوْضِـعَ إشْفَـى[٤]
مِثْـلَ مـا جَـاءَ مِـنَ التَّنُّـ   ـورِ مـا غَـادَرَ حَـرْفَـا
ولَـهُ فـي المَـاءِ أيْضـاً   عَمَـلٌ أبْـدَعُ ظَـرْفَـا
مَـزْجُـهُ العَـذْبَ بمـاءِ الْـ   ـبِئْـرِ كَـيْ يَـزْدَادَ ضِعْفَـا
فَهْـوَ لا يَشْـرَبُ مِنْـهُ   مِثْـلَ مـا يَشْـرَبُ صِـرْفَـا[٥]

***

---

(1) كب : شق .   (2) كب : أرفق ، ورواية الديوان : ألطف .
(3) كب : ما قابل النصف .
(4) مص : الجرذق ، وكلاهما صحيح ، وقال الجواليقي : الجردق ، بالراء المهملة ، أجود (المعرب ١١٥) .

---

(١) الأبيات في إسماعيل بن نيبخت ، وستأتي برقم ٥١٣٦ كتاب الطعام .
(٢) الوشي : الثوب الموشي ذو الألوان ، من الوشي وهو خلط لون بلون .
(٣) الجَرْدَق والجَرْدَقة : الغليظ من الخبز ، فارسي معرب ، وأصله كِرْدَه .
(٤) الإشفى : المثقب .
(٥) الصرف : الخالص من كل شيء ، لم يمزج ولم يخلط ، وكانوا يمزجون الماء بالتمر وغيره ليطيب طعمه . يقول : لا يشرب من الممزوج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن في الممزوج من العذب ما يحمله على الحرص والتقتير .

باب الحُمْق

٢١٧٣ قال الشَّعْبيُّ لرجل استجهله : ما أحْوَجَكَ إلى مُحَدْرَجٍ(١) ، شَديدِ الفَتْل ، جَيِّدِ الجِلاَزِ(٢) ، عظيم الثَّمَرةِ ، لَدْنِ المَهَزَّةِ(٣) ، يأخُذُ منكَ فيما بين عَجْبِ الذَّنَبِ(٤) ومَغرزِ العُنُقِ ، [فتُغْلَى به] ، فتكْثُر له رَقَصاتُكَ مِنْ غير جَذَلٍ(٥) . فقال : وما هذا ؟ فقال : [1]شَيْءٌ لنا فيه أَرَبٌ ، ولكَ فيه أَدَبٌ[1] .

٣٨/٢ ٢١٧٤ قال : حَدَّثني القُومَسِيّ ، عن محمد بن الصَّلْت الأسَديّ ، عن أحمدَ بن بَشير ، عن الأعمش ، عن سَلَمةَ بن كُهَيل ، عن عَطَاء :

عن جابر ، قال : كان في بني إسرائيل رجلٌ له حمارٌ ، فقال : يا ربِّ لو كان لك حمارٌ لعلفتُه مع حماري هذا . فهَمَّ به نبيٌّ ، فأوحى الله إليه : إنما أُثيبُ كلَّ إنسان على قَدْرِ عقله .

٢١٧٥ حَدَّثني محمد بن خالد بن خِدَاش ، عن أبيه ، عن حَمَّاد بن زيد ، عن هِشَام بن حَسَّان :

عن محمد بن سِيرِين : أن رجلاً رأى في المنام أن له غنماً وكأنه يُعْطَى بها ثمانيةً ثمانيةً ، ففتَح عينَه فلم يَرَ شيئاً ، فغمَّضَ عينَه ومدَّ يدَه وقال : هاتوا أربعةً أربعةً .

٢١٧٦ مَرَّ رجل من العُبَّاد وعلى عنقه عصاً في طرفيها زَبيلانِ قد كادا يَحْطِمانه ، في أحدهما بُـرٌّ وفي الآخر ترابٌ ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : عَدَلْتُ البُرَّ بهذا الترابِ ، لأنه كان

(1 - 1) كب : مص : بعض الأمر . وعَوَّلنا في قراءة النص على أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٦/١٦ ، وستأتي مصادر الخبر في نهاية الكتاب إن شاء الله .

---

(١) المحدرج : السوط المفتول ، يقال : حدرج السوط ، إذا فتله فتلاً محكماً حتى استوى وصار أملس .
(٢) الجلاز : جودة الفتل والطي ، يقال : جَلَزْت السوط ، إذا لويته حتى يستدير ويطوى .
(٣) ثمرة السوط : عُقَد أطرافه ، والسوط إن عظمت ثمرته أوجع من ضُرب به وآلمه أشد الإيلام . واللدن : اللين .
(٤) عجب الذنب : العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز ، والذنب من كل شيء : آخره .
(٥) الجذل : الفرح .

قد أمالني في أحد جانبيَّ . فأخَذَ رجلٌ زبيلَ التراب فقَلَبه ، وجعل البُرَّ نصفين في الزبيلين، وقال له: آحْمِلِ الآن. فحمله، فلما رآه خفيفاً قال : ما أعقلَكَ من شيخ(١)!

٢١٧٧ حَفَرَ أعرابيٌّ لقوم قبراً في أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطَوْه الدرهمين قال : بأبي دَعُوهُما عندكم حتى يجتمعَ لي ثمنُ ثوب .

٢١٧٨ كانت أمُ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسي[1] عند عثمانَ بن عفَّان ، وكانت حمقاءَ تجعلُ الخُنْفُساءَ في فيها ثم تقول : حَاجَيْتُكَ ما في فَمِي ؟

وهي أمّ عمرو وأبان آبني عثمانَ .

٢١٧٩ إبراهيم بن آلمنذر ، قال : حَدَّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن جدّه قال(٢) :

رأيتُ حُبَيشاً[2] وهو والٍ لبعض آلخلفاء من بني أميّة على المدينة يدعو بالغداءِ فيتغدّى على منبر رسول الله ﷺ ، ويكون فيه العظم المُمِخُّ فينكُته على رُمّانة آلمنبر فيأكله .

٢١٨٠ قالت أمّ غَزْوَانَ الرَّقَاشيّ لابنها ـ ورأته يقرأ في المصحف ـ : يا غزوانُ ، أما تجدُ فيه بعيراً لنا ضَلَّ في الجاهليّة ؟ فما كَهَرها(٣) وقال : يا أمّهْ ، أجدُ والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً . ٣٩/٢

٢١٨١ سفيان بن عُيينة ، عن أيوبَ بن موسى ، قال :

قال آبن أبي عَتِيق لرجل : ما آسمُكَ ؟ قال : وثَّابٌ . قال : فما كان آسم كلبك ؟ قال : عمرو . قال : واخِلافاه !

٢١٨٢ قال أبو الدَّرْداء : علامةُ الجاهل ثلاثٌ : العُجْبُ(٤) ، وكثرةُ المنطق فيما لا يَعْنيهِ ، وأن يَنْهَى عن شيء ويأتيه .

٢١٨٣ أُغْميَ على رجلٍ من الأزْد فصاحَ النساءُ وآجتمعَ آلجيرانُ ، وبعثَ أخوه إلى غاسِل الموتى فجاء فوجده حياً بعدُ، فقال أخوه: آغْسِله فإنك لا تَفْرُغُ من غَسْله حتى يَقْضيَ.

---

(1) كب ، مص : جمعة السدوسي ، تحرف . (2) كب ، مص : طارقاً ، تحريف .

---

(١) الزبيل : القفة . والبر : القمح .

(٢) سيأتي برقم ٢٢٩٠ .

(٣) كهرها : انتهرها ، يقال : كَهَره يَكْهَره ، إذا زبره واستقبله بوجه عابس وانتهره تهاوناً به .

(٤) العجب : زهو المرء بما يكون منه حسناً أو قبيحاً .

٢١٨٤ وقال أزْدَشِيرُ : بِحَسْبِكُمْ دِلالةً على عَيْب ٱلجَهْلِ أن كلَّ إنسان يَنتفِي منه ، ويَغضَبُ إذا نُسِبَ إليه .

٢١٨٥ وكان يقال : لا يَغُرَّنَّكَ من ٱلجاهل قرابةٌ ولا أُخُوَّة ولا إلفٌ ، فإن أحقَّ الناسِ بتحريقِ النار أقربُهم منها .

٢١٨٦ قال عمر بن عبد العزيز : خَصْلتان لا تَعْدَمَانك[1] من الجاهل : كثرةُ الالتفاتِ ، وسرعةُ الجواب .

٢١٨٧ وقال عمر بن الخطاب : إيَّاكَ ومؤاخاةَ الأحمقِ فإنه يريدُ أن يَنفعَك فيضرُّكَ .

٢١٨٨ وقال بعضُهم : لأَنْ أُزاوِلَ أحمقَ أحبُّ إليَّ من أن أُزاوِلَ نصفَ أحمقَ(١) .

يعني الأحمقَ المتعاقلَ .

٢١٨٩ وقال هشام بن عبد الملك : يُعْرَفُ حمْقُ الرجلِ بأربعةٍ : بطول لِحيته ، وبشناعةِ كُنيته ، ونقشِ خاتمه ، وإفراطِ شهوتِه . فدخل عليه ذاتَ يوم شيخٌ طويلُ العُثْنُون(٢) ، فقال هشام : أمَّا هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أينَ هو من الثلاث . فقيل له : ما كنيتُك ؟ فقال : أبو الياقوت . وقالوا : ما نقشُ خاتَمِك ؟ قال : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٨] ، وفي حكاية أخرى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ [النمل : ٢٠] . فقيل له : أيّ الطعام تَشتهي ؟ فقال : جَلَنْجَبِين(٢) ، وفي حكاية أخرى : [رُمَّانةً] مُصَاصةً(٣) .

٤٠/٢

٢١٩٠ سَمِع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادي رجلاً : يا أبا القَمَرين[2] ، فقال : لو كان له عقلٌ كفاه أحدُهما .

٢١٩١ وقال أبو العَاجِ يوما لجلسائه ـ وكان يلي واسِطَ ـ : إنَّ الطويلَ لا يخلُو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث : أن يَفْرَق الكلابَ ، أو يكونَ في رِجلِه قُرحةٌ ، أو يكونَ أحمقَ .

---

(1) كب : لا يعد ما بك .

(2) كب ، مص : العمرين ، ورواها الآبي في نثر الدر ١٩٧/٧ : العقلين .

---

(١) أزاول : أجادل وأعالج .

(٢) العثنون : اللحية .

(٢) الجلنجبين : مربئ الورد ، يمزج بالعسل أو بالسكر ، فارسي معرب من « كل » بمعنى ورد ، و« انكنبين » بمعنى عسل .

(٣) المصاصة : الممتلئة ، الخالصة .

وما زلتُ وأنا صغيرٌ في رجلي قُرحَةٌ ، وما فَرِقَ الكلابَ أحدٌ فَرَقِي ، وأما الحمقُ فأنتمْ أعلمُ بوَاليكم .

٢١٩٢ ويقال : الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقل بشأن غيره .

٢١٩٣ وقال بشّار :

خَلِيلَـيَّ إنَّ العُسْـرَ سَـوْفَ يُفِيـقُ   وإنَّ يَسَـاراً فـي غَـدٍ لَخَلِيـقُ(١)
وما كُنْتُ إلَّا كالزَّمَانِ إذا صَحَا   صَحَوْتُ وإنْ مَاقَ الزَّمَانُ أمُوقُ(٢)
ذَرِينـي أشُـبْ هَمِّـي بِـرَاحٍ فـإنَّنِـي   أرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ ومَضِيقُ[1](٣)

٢١٩٤ وقال رجل : فلانٌ إلى مَنْ يُداوِي عقلَه أحوجُ منه إلى مَنْ يُداوي بدنَه .

٢١٩٥ قيل لبعض الحكماء : مَتى يكون الأدبُ شراً من عدمه ؟ قال : إذا كَثُر الأدبُ ونَقَص العقلُ(٤) .

٢١٩٦ قرأت[2] في «كتاب للهند» : مِنَ ٱلحُمْقِ ٱلتماسُ الرجلِ الإخوانَ بغير الوفاءِ[3] ، والأجرَ بالرِّياء ، ومودَّةَ النساءِ بالغِلْظَةِ ، ونَفْعَ نفسه بضُرِّ غيره ، والعلمَ والفضلَ بالدَّعَة والخَفْض .

٢١٩٧ وفيه : ثلاثةٌ يُهْزَأُ بهم : مُدَّعي الحرب ولقاءِ الزُّحوف وشِدَّة النِّكايةِ في الأعداء وبَدَنُه سليمٌ لا أثَرَ به ، ومُنتَحِلُ علم الدِّين والاجتهادِ في العبادة وهو غليظُ الرقبة أسمنُ من الأئمةِ ، والمرأةُ الخَلِيَّةُ تَعِيبُ ذاتَ الزوج .   ٢/ ٤١

٢١٩٨ وفيه : منْ يَعمَلُ بجهلٍ خمسةٌ : مُستَعمِلُ الرَّمادِ في جَنَّته بدلاً من الزِّبل ، ومُظهِرُ مَستُورِ عورته ، والرجلُ يَتَزيَّا بِزيِّ المرأة والمرأةُ تتزيَّا بِزيِّ الرجل ، والمتملِّكُ

---

(1) كتب في هامش كب بخط مغاير : لولا أن تنسب هذه الأبيات إلى بشار لقلت إنها إما لأعرابي ركيك الطبع أو حضري جاهل أحمق يهذي !

(2) مص : وقرأت .   (3) كب ، مص : وفاء .

---

(١) العسر : قلة المال وتحرج الأحوال ، وضده اليسر واليسار . وجعل العسر يفيق لزواله ، لأن الذي يفيق من نومه يزول عن مكانه . وأراد بالغد المستقبل . والخليق : الحري بالشيء ، الجدير به .

(٢) أموق : من المُوق ، وهي الحماقة في غباوة . وأراد بالزمان أهله .

(٣) أشب : أخلط . والراح : الخمر ، زعموا أن شاربها يرتاح إذا شربها . ورواية الديوان ٤/ ١١٣ أعلى : فيه فُرجة ومضيق .

(٤) مضى برقم ١٨٤٠ كتاب السؤدد .

في بيت مُضِيفِه ، والمتكلّمُ بما لا يَعنِيه ولا يُسْألُ عنه .

٢١٩٩ وفيه : الأدبُ يُذْهِبُ عن العاقل السُّكْرَ ويَزيدُ الأحمقَ سُكْراً ، كما أن النهارَ يزيدُ كلَّ ذي بَصَرٍ بصراً ويزيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصر[١] .

٢٢٠٠ وكانوا يكرهون أن يزيدَ منطقُ الرجلِ على عقله[٢] .

٢٢٠١ قال الشاعر في جاهل :

ما لِي أَرَى النَّاسَ يَأْخُذُونَ ويُعْـ ـطُونَ ويَسْتَمْتِعُونَ بـالنَّشَبِ[٣]
وأنْـتَ مِثْـلُ الحِمَـارِ أَبْهَـمُ لا تَشْكُو جِرَاحَاتِ أَلْسُنِ العَرَبِ[٤]

٢٢٠٢ سَمِع الأحْنَف رجلاً يقول : ما أُبالي أمُدِحتُ أم هُجِيت . فقال الأحنف : ٱسترحت مِنْ حيثُ تعِبَ الكرامُ .

٢٢٠٣ كان عامرُ بن كُرَيز أبو عبد الله بن عامر من حَمْقَى قريش ، نظَرَ إلى ٱبنه عبد الله وهو يخْطُبُ فأقبل على رجلٍ إلى جانبه وقال : إنه والله خرجَ مِنْ هذا ـ وأشار إلى ذَكَره ـ .

٢٢٠٤ ومن حَمْقَى قريش : العاصُ بن هشام أخو أبي جَهْل ، وكان أبو لَهَب قَامَره فقمَره مالَه ، ثم دارَه ، ثم قليلَه وكثيرَه وأهلَه ونفسَه ، فٱتَّخذه عبداً وأسلمه قَيناً ، فلما كان يومُ بدر بعثَ به عن نفسه فقُتِلَ ببدر كافراً . قتله عمر بن الخطاب ، وكان خالَ عمرَ[٥] .

٢٢٠٥ ومن حمقى قريش : الأحوصُ بن جعفر بن عمرو بن حُرَيث ، قال له يوماً مُجالِسُوه : ما بالُ وجهك أصفرَ ! أتشتكي شيئاً ؟ وأعادوا عليه ذلك ، فرجَعَ إلى أهله يلومهم ويقول لهم : أنا شاكٍ ولا تُعْلِمُونني ! ألْقُوا عليَّ الثيابَ وٱبعثوا إلى الطبيب .

٢٢٠٦ وتمَارَضَ مرةً فعاده أصحابُه وجَعَلَ لا يتكلمُ ، فدَخَل شُرَاعةُ بنُ عبيد الله بن الزِّنْدَبُوذ وكان أملحَ أهلِ الكوفة ، فعَرَف أنه متمارضٌ فقال : يا فلانُ كنا أمسِ بالحِيْرَة فأخذنا الخمرَ ثلاثينَ قِنِّينة بدرهم ـ والخمرُ يومئذ ثلاثُ قَنَانيّ بدرهم ـ . فرفع الأحْوَصُ رأسَه ٤٢/٢

---

(١) مضى برقم ١٤٤٩ كتاب السؤدد .
(٢) سيأتي برقم ٣٠٠٩ كتاب العلم والبيان من حديث عمرو بن عبيد ، ومضى برقم ١٨٤١ كتاب السؤدد .
(٣) النشب : المال الأصيل من الناطق والصامت .
(٤) الأبهم : الأعجم .
(٥) أم سيدنا عمر بن الخطاب : حَنْتمة بنت هاشم المخزومية (وقيل : هشام ، وهو أشهر ، والأول أصح) أخت أبي جهل .

وقال : كذا منّي في كذا من أمّ الكاذب . وٱستوى جالساً ، فنثر أهلُه على شُراعة السكَّرَ .
فقال له شراعة : ٱجلس لا جلستَ ، وهاتِ شرابَكَ . فشربا يومَهما .

٢٢٠٧ ومن حمقى قريش : بَكّارُ بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهاه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاويةَ لما يعرفُ مِن حُمقِ ٱبنه ؛ فجلس يوماً إلى خالد ، فقال بكّار : أنا والله كما قال الأوّل :

مُرَدَّدٌ في بَني اللَّخْناءِ تَرْديدَا[1]

٢٢٠٨ وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطة : أغلقْ أبوابَ المدينة لئلا يخرجُ البازي[2] .

٢٢٠٩ ومن حمقى قريش : معاويةُ بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحّان ، نظَرَ إلى حمار الطَّحان يُدَوِّرُ الرَّحَا وفي عنقه جُلْجلٌ ، فقال للطحان : لمَ جعلتَ في عنق الحمار جُلْجلاً ؟ فقال : ربما أدركتني سآمةٌ أو نَعْسةٌ ، فإذا لم أسمع صوتَ الجُلْجلِ علمتُ أنه قام فَصِحْتُ به . فقال معاويةُ : أرأيتَ إن قام وحَرَّك رأسَه ، ما عِلْمُكَ أنَّه قائم ؟ قال الطحان : ومَنْ لحماري بمثل عقل الأمير ! .

٢٢١٠ وقال معاوية هذا لأبي ٱمرأته : ملأتْنا ٱبنتُك البارحةَ بالدم . فقال : إنها مِن نسوة يَخْبأْنَ ذلك لأزواجهن .

٢٢١١ وقال له أيضاً يوماً آخر : لقد نكحتُ ٱبنتَكَ بعَصَبة ما رأتْ مثلَها قطّ . قال : لو كنتَ عِنّينًا[3] ما زوَّجناكَ .

٢٢١٢ ومن حمقى قريش : سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوماً : لَعَنَ اللهُ الوليدَ أخي فإنه كان فاجراً ، والله لقد أرادني على أن يفعلَ بي . فقال له قائل : ٱسكُتْ ، فوالله لئن كان هَمَّ لقد فعلَ .

٢٢١٣ خطَبَ سعيدُ بنُ العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحمق ، ٢/٤٣

---

(١) مردد : لا أعرف نسبي في أيّ قبيل منهم ، فكلهم يصرفني عنه . واللَّخَن : نتن ريح أرفاغ الإنسان ، يكون في السودان . وابن اللَّخْناء : يُعنى أن أمة أمة تعمل فتنتن آباطها . واللخناء أيضاً : التي لم تختن وقبح ريح فرجها ، يراد أنها أعجمية أمة ، وهو سب لا تراد به حقيقة .

(٢) البازي : من صقور الصيد ، وهي حمر العيون أو زرقها أو صفرها ، مدورة الرؤوس ، قصار الأجنحة ، طوال الأرجل ، حُجْن المناقير .

(٣) العنين : الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن .

لا أتزوّجه أبداً. له بِرْذَوْنَانِ أشهبانِ، فهو يحتمل مَؤُونة ٱثنين، وهما عند الناس واحدٌ[١].

٢٢١٤ وأخبرني رجل ، أنه كان له صديق له بِرْذَوْنان في شِيَةٍ واحدة فكنا لا نظنّ إلا أنّ له بِرْذَوْناً واحداً ، وغلامان يُسَمَّيانِ جميعاً بفَتْح ، وكان إذا دعا واحداً قال : يا فَتحُ الكبيرُ ، وإذا دعا الآخرَ قال : يا فتحُ الصغيرُ .

٢٢١٥ قال أبو عُبَيدة : أرسل ٱبنٌ لِعِجْل بن لُجَيم فرساً له في حَلْبَة فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : يا أبتِ ، بأيِّ شيءٍ أُسمِّيه ؟ فقال : ٱفقأْ إحدى عينيه وسَمِّه الأعورَ .

فقال[1] الشاعر :

رَمَتْنِـــي بَنُـــو عِجْـــلٍ بِـــدَاءِ أبيهـــمُ وأَيُّ عِبـــادِ اللهِ أَنْـــوَكُ مِـــنْ عِجْـــلِ[٢] !

أَلَيْـــسَ أَبُـــوهُـــمْ عَـــارَ عَيْـــنَ جَـــوَادِهِ فَأَضْحَتْ بِهِ الأَمْثَالُ تُضْرَبُ في الجَهْلِ[٣]

٢٢١٦ ومِنْ عِجْل : « دُغَةُ » التي يُضربُ بها المثلُ في الجهل ، فيقال : هي دُغَةُ بنتُ مَغْنَج ، ويقال : دُغَةُ لقبٌ ، وٱسمها ماريَةُ بنتُ ربيعةَ[2] .

٢٢١٧ قال أبو اليَقْظان : ومن عِجْلٍ : حَيّانُ بن غَضْبان : وَرِثَ نصفَ دار أبيه ، فقال : أُريدُ أن أبيعَ حِصَّتي من الدار وأَشْتَرِيَ النصفَ الباقيَ ، فتصيرَ كُلُّهَا لي .

٢٢١٨ ومن القبائل المشهورِ فيها الحُمق : « الأزْدُ » ، قال رجلٌ منهم في المهلَّب بن أبي صُفْرَةَ :

نِعْـــمَ أَمِيـــرُ الـــرُّفْقَـــةِ المُهَلَّـــبْ أَبْيَضُ وَضَّاحٌ كَتَيْسِ الحُلَّبْ[٤]

يَنْقَضُّ بالقَوْمِ ٱنْقِضَاضَ الكَوْكَبْ

---

(1) كب ، مص : وقال . (2) كب ، مص : زمعة ، تحريف .

---

(١) البرذون: الخيل الأعجمي، يمتاز بعظم الخلقة، وغلظة الأعضاء، وقوة الأرجل وعظم الحوافر. والأشهب من الخيل : الذي تشق معظم لونه شعرة أو شعرات بيض ، كميتاً كان الفرس أو أشقر أو أدهم .

(٢) أنوك : أحمق ، والنُّوك : أبلغ الحماقة .

(٣) عار عينه : أصاب عين جواده فأذهب بصره .

(٤) وضاح : حسن الوجه ، أبيض بسام . ووصفه بالبياض لنقاء عرضه من الدنس والعيوب ، لكرمه وحسبه ، ولم يعني بياض اللون ، فالعرب إذا أرادوا اللون ونقاءه قالوا : أبيض الوجه ، بالإضافة . والحلب : بقلة جعدة غبراء في خضرة ، تنبت في القيظ بالقيعان وشطآن الأودية ، وتلزق بالأرض حتى تكاد تسوخ ، ولا تأكلها الإبل ، إنما تأكلها الشاء والظباء ، فتسمن ويغزر لبنها . وقال الأصمعي : أسرع الظباء تيس الحلب (اللسان : حلب) .

فلما أنشده المهلَّبَ ، قال : حسبُك رحمك الله !. ٢/ ٤٤

٢٢١٩ ومن أشعارهم :

يا رُبَّ جَارِيَةٍ في الحَيِّ حَالِيَةٌ كأنَّهَا عُومَةٌ في جَوْفِ رَاقُودِ(١)

٢٢٢٠ وقال آخر منهم :

زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو عَيْنُهُ تَحْتَ حَاجِبِهْ وأسْنَانُهُ بِيضٌ وقَدْ طَرَّ شَارِبُهْ(٢)

٢٢٢١ وقال عُمَر[1] بن لَجَإٍ يصف إبلا :

تَصْطَـكُّ أَلْحِيَهَـا عَلَـى دِلائِهَـا تَلاطُمَ الأزْدِ عَلَى عَطَائِهَا(٣)

٢٢٢٢ وقال أبو حَيَّةَ النُّميريّ :

وكَأَنَّ غَلْيَ دِنَانِهِمْ في دُورِهِمْ لَغَطُ العَتِيكِ عَلَى خِوَانِ زِيادِ(٤)

٢٢٢٣ كتَبَ مَسْلَمةُ بنُ عبد الملك إلى يزيدَ بن المُهَلَّب : والله ما أنتَ بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمرِ مَغمورٌ موتورٌ ، وأنتَ مشهورٌ غيرُ مَوْتُورٍ . فقام إليه رجل من الأزد فقال : قَدِّم ٱبنكَ مَخْلَداً حتى يُقتلَ فتصيرَ مَوْتُوراً(٥) .

٢٢٢٤ قام رجلٌ من الأزد إلى عُبيد الله بن زياد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إن ٱمرأتي هَلَكتْ وأردتُ أن أتزوجَ أمّها وأُزوِّجَ ٱبني ٱبنتَها وهذا عَرِيفي(٦) ، فأَعِنّي في الصَّداق . فقال : في كم أنتَ من العطاء ؟ قال : في سَبعمائةٍ . قال : حُطَّا عنه أربعمَائةٍ ، يَكْفِيكَ ثلثمائةٍ .

٢٢٢٥ ومن حمقى الأزد : قَبِيصةُ بن المُهَلَّب ، رأى جراداً يطيرُ فقال : لا يَهُولَنَّكُم ما تَرَوْنَ فإنّ عامّتها موتَى . ٢/ ٤٥

---

(1) كب : عمرو ، تحريف .

---

(١) الحالية : ذات الحلي . العومة : خنفساء صغيرة تسبح في الماء . والراقود : إناء خزف مستطيل مطلي من الداخل بالقار . وصفها بالسواد ، وبصغر السن ، وأن ثوبها فضفاض واسع ، بني اللون .

(٢) طر شاربه : طلع ونبت .

(٣) ألحيها : جمع لحي (بالفتح فسكون) وكسرت الحاء لمناسبة الياء ، وهي منبت اللحية .

(٤) العتيك : فخذ من الأزد . والخوان (بكسر الخاء وضمها) : المائدة .

(٥) الموتور : صاحب ثأر .

(٦) العريف : القيم بأمور القبيلة ، يلي أمورها ويتعرف الأمير منه أحوالها .

٢٢٢٦ وقال يوماً : رأيتُ غُرْفَةً فوقَ بَيت .

٢٢٢٧ وقال لغلامه : أذهب إلى بَيَّاضِ المُلاَءِ .

٢٢٢٨ ومن حمقَى العرب : كِلابُ بن صَعصَعةَ ، خرج إخوتُه يَشترُون خيلاً وخرج معهم كِلابٌ فجاء بِعِجْل يَقُودُه ، فقال له إخوته : ما هذا ؟ قال : فرسٌ أشْتريتُه . قالوا : يا مائقُ(١) ، هذه بقرةٌ أمَا تَرى قَرنَيْها !

فرجع إلى بيته فقطع قَرْنَيها ، فأولادهُ يُدْعَوْنَ « بَني فارس البقرة » . قال الكُمَيْتُ :

ولَـــوْلا أميْـــرُ المُـــؤْمِنِيـــنَ وذَبُّـــهُ بَجِيلَ[1] عَنِ العِجْلِ المُبَرْقَعِ ما صَهَلْ

٢٢٢٩ وكان شَذْرَةُ بنُ الزِّبرِقَان من الحَمْقى ، دخل يوم الجمعة المسجدَ الجامعَ[2] فأخَذَ بِعِضَادَتَي البابِ ثم قال : السلامُ عليكم ، أيَلِجُ شَذْرَةُ ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستأذنُ فيه . قال : أفَيَلِجُ مثلي على جماعةٍ مثلِ هؤلاءِ ولا يُعْرَفُ مكانُهُ !

٢٢٣٠ عَوانةُ قال : أستعملَ معاويةُ رجلاً من كَلْب(٢) ، فذكر المجوسَ يوماً فقال : لَعَن اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أُمهاتهم ، والله لو أُعطيتُ عَشرةَ آلاف ما نَكَحْتُ أمّي .

فبلغ ذلك مُعاويةَ ، فقال : قَبّحَهُ اللهُ ! أتُرَوْنَهُ لو زَادُوه فَعَل ! وعَزله .

٢٢٣١ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

سأل القومُ الحارثَ بن حُدَّان[3] أن يُعينَهُم في تأسيس مسجد، فقال: قَيِّرُوهُ وعليَّ الوَدَعُ.

٢٢٣٢ خطب والي اليمامة فقال : إن الله لا يُقِرُّ[4] على المعاصي عبادَه ، وقد أهلكَ أمّةً عظيمةً في ناقة ما كانت تُساوي مائتي درهم . فسُمّي مُقَوِّمَ الناقة .

٢٢٣٣ شردَ بعيرٌ لهبَنَّقَةَ[5] ، وأسمه يزيد بنُ ثَرْوانَ ، فقال : منْ وجدَ بعيري فهو له . فقيل له : وما يَنفعُكَ من هذا ؟ قال : إنكم لا تَدرون ما حَلاوةُ الوِجْدَانِ .

٢/٤٦ ٢٢٣٤ وقال المنصور للرَّبيع : كيف تَعرِفُ الريحَ ؟ قال : أنظرُ إلى خاتَمي ، فإن كان سَلِساً

---

(1) كب ، مص : بخيل ، تصحيف .
(2) سقطت من مص .
(3) كب ، مص : جران ، تحريف .
(4) كب ، مص : يقار .
(5) كب : لهنيقة ، تصحيف .

---

(١) المائق : الهالك حمقاً وغباوة .

(٢) قبيلة كلب استظهر بها معاوية على أعدائه ومنافسيه .

فهي شَمَالٌ ، وإلاّ فهي جَنُوبٌ . فسأل القاسمَ بنَ محمد الطَّلْحيّ عن ذلك ، فقال : أضربُ بيدي إلى خُصْيَتيَّ ، فإنَّ كانتا قد قَلَصَتَا فهي شَمالٌ ، وإن كانتا مُتَدَلِّيتينِ فهي جَنُوبٌ .

٢٢٣٥ قال أبو كعب القاصُّ في قَصَصِه : إن النبي ﷺ قال : في كَبِدِ حَمْزَةَ ما قد علمتُم ، فادعوا اللهَ أن يُطعِمَنا مِن كَبِد حمزةَ .

٢٢٣٦ وكان يقول في قَصَصِه : ليس فيَّ خيرٌ ولا فيكم ، فتَبَلَّغُوا بي حتى تجدوا خيراً مِنّي .

٢٢٣٧ وقال هو ـ أو غيره ـ في قَصَصِه : كان ٱسم الذئب الذي أكلَ يوسفَ كذا وكذا . قالوا : فإن يوسفَ لم يأكله الذئبُ . قال : فهذا ٱسم الذئب الذي لم يأكل يوسفَ .

٢٢٣٨ حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن عمّه ، قال :

كان قاصٌّ يَقُصُّ في المسجد فيقول : مَثَلُ الكافر مَثَلُ قَصْرِ الإسكافِ ، خارجُه حَسَنٌ وداخلُه مَخْرَأةٌ[1] . ومَثَلُ المؤمِن مَثَلُ قَصْرِ زَرْبِيٍّ ، جدارُه كالحٌ وداخلُه زَهْرَةٌ(١) .

٢٢٣٩ ويقول : وما الدنيا ! أخزَى اللهُ الدنيا ! إنما مَثَلُها مَثَلُ أيْرِ حمارٍ بينا هو قد أَنْعَظ إذ طَفِيءَ(٢) .

٢٢٤٠ وقال : المؤمنُ غِذاؤه فِلْقَةٌ ، وسَمَكَتُهُ شِلْقَةٌ ، ورداؤه عِلْقة[2] ، [وإزاره خِرْقة] ، ومَرَقَـتُهُ سُلْفةٌ[3](٣) .

٢٢٤١ أصابت داودَ المُصابَ مُصيبةٌ فاغتمَّ ، فقال له صاحبُه[4] : لا تَتَّهِمِ اللهَ في قضائه .

---

(1) كب : مخروه .
(2) كب ، مص : دواؤه عُلْقة .
(3) كب ، مص : سِلْقة ، وفي هامش كب : السلقة : الجرادة ، لعله يريد أنه يجتزىء من المرق بالقليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جرادة واحدة .
(4) كب ، مص : له صاحب له .

---

(١) الإسكاف : كل صانع ، عدا من يعمل الخِفاف ، عكس ما نقوله اليوم ، وخص بعضهم به النجار . وقصر زربي : قصر بالبصرة في سكة المربد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم ، كان يليه غلام يقال له : زربي ، فدعي باسمه .
(٢) أنعظ : اشتهى الجماع فانتشر ذكره .
(٣) الفلقة : الكسرة من الخبز . والشلقة : الأنكليس ، وهو ضرب من السمك يشبه الثعبان في شكله ، وأراد صغاره ، واشتهرت بها أنهار البصرة . والعلقة : قميص بلا كمين ، أو ثوب يجاب ولا يخاط جانباه ، تلبسه الجارية في البيت للنوم أو للمهنة والعمل . والإزار : ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن ، يذكر ويؤنث . والسلفة : ما يتعلل به قبل الغداء ، ويسميها العامة اليوم « تصبيرة » .

فقال داود : أقُولُ لك شيئاً وتكتمُهُ ؟ قال : نعم . قال : والله ما صاحبي غيرُهُ .

٢٢٤٢ وٱستشاره رجلٌ في حَمْل أمّه إلى البصرة ، وقال : إن حملتُها في البرّ خِفتُ عليها اللُّصُوصَ ، وإن حملتُها في الماء خِفتُ عليها الغرَق . فقال : خُذْ بها سُفْتَجَةً(١) .

٤٧/٢ ٢٢٤٣ دعا بعضُ السلاطينِ مَجنونين ليضحَك منهما ، فأسمعاه فغَضِبَ ، فدعا بالسيّفِ ، فقال أحدُهما للآخر : كُنّا ٱثنين وقد صِرنا ثلاثةً .

٢٢٤٤ قال رجلٌ لابن سَيّابةَ مولى بني أسد : ما أُرَاكَ تَعرِفُ اللهَ . قال : أتُراني لا أعْرِفُ منْ أجاعَني وأعرَاني وأخزَاني .

٢٢٤٥ قيل لأعرابيّ : كيف بِرُّكَ بأُمّكَ ؟ قال : ما قرَعتُها سوطاً قَطُّ .

٢٢٤٦ وقيل لآخر وهو يضربُ أمّه : ويْحَك[1] ! تضربُ أُمّك ! فقال : أُحِبُّ أن تَنْشأَ على أدبي .

٢٢٤٧ وقال بعض الشعراء :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ ولَسْتَ بِوَاجِدٍ طَبيباً يُدَاوي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

٢٢٤٨ وقال آخر :

وكَيْفَ يُفِيقُ الدَّهْرَ كَعْبُ بْنُ نَاشِبٍ وشَيْطانُهُ بَيْنَ الأهِلَّةِ يَصْرَعُ

٢٢٤٩ وقال أعرابيٌّ وذكر الله عزَّ وجلَّ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وأهْلَهَا في جُمْعَةٍ وأبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ في عَامِ(٢)

٢٢٥٠ كان أبو العَاجِ والِيَ واسِطَ ، وأتاه صاحبُ شرطته بقَوَّادَةٍ فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، هذه قَوَّادةٌ . قال : وأيَّ شيءٍ تَصْنَعُ ؟ قال : تجمعُ بين الرجال والنساء . قال : لماذا ؟ قال : للزّنا . قال : وإنما أتيتَني بها لتعرِّفَها منزلي ! خَلِّ عنها لعنكَ الله .

٢٢٥١ وأتاه يوماً بمُخَنَّثٍ ، فقال له : ما هذا ؟ قال : مُخنّثٌ . قال : وما يصنَعُ ؟ قال : يُنكَحُ كما تُنْكَحُ المرأةُ . قال : يَبْذُلُ هذا ٱستَه وأحْظُرُ أنا عليه ! ٱذهَبْ يا بنَ أخي فٱرْتَدْ لها .

---

(1) كب : فقيل ويحك .

---

(١) السفتجة : أن تعطي مالاً لرجل له مال في بلد تريد السفر إليه ، فتستوفيه في بلده ، لتستفيد أمن الطريق ، وهو معرب سفته بالفارسية بمعنى الشيء المحكم ، وسمي به هذا القرض لإحكام أمره .

(٢) يمدر حوضه : يصلحه بالمَدَر ، وهو الطين اليابس اللزج ، لا رمل فيه ، وهو الطين الحر .

٢٢٥٢ خطَب وَكيعُ بنُ أبي سُودٍ بخُرَاسانَ فقال : إن اللهَ خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستة أشهرٍ . فقيل له : إنها ستّةُ أيام . فقال : والله لقد قلتُها وأنا أستقِلّها .

٢٢٥٣ تغدَّى رجلٌ عند سليمانَ بنِ عبد الملك وهو يومئذ وليُّ عهدٍ وقُدّامَه جدْي ، فقال له سليمان : كُلْ من كُلْيته فإنها تزيد في الدّماغ . فقال : لو كان هذا هكذا ، كان رأسُ الأمير مثلَ رأسِ البغلِ . ٢/٤٨

٢٢٥٤ أبو عبيدة : أُجريتِ الخيلُ فطَلَعَ منها فرسٌ سابقٌ ، فجعَلَ رجلٌ من النَّظَّارةَ يُكبِّر ويَثِبُ من الفرح ، فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتَى ، هذا الفرسُ فرسُكَ ؟ قال : لا ولكنّ اللِّجامَ لي .

٢٢٥٥ دخل أبو عَتَّاب على عمرو بن هدَّاب[1] وقد كُفَّ بصرُه والناسُ يُعزُّونه ، فقال : يا أبا أُسَيِّد[2] لا يَسُوءَنَّكَ ذَهابُهُما ، فإنك لو رأيتَ ثوابَهما في مِيزانِكَ تمنَّيتَ أنّ اللهَ قطعَ يديكَ ورِجليكَ ودَقّ ظهركَ .

٢٢٥٦ كان رجلٌ يقودُ أعمى بِكراءٍ(١) ، فكان الأعمى ربما عَثر فيقول : اللهم أبدِلْني به قائداً خيراً منه . ويقول القائد : اللّهم أبدلني أعمى خيراً [لي] منه .

٢٢٥٧ أدَّعَى أبو بكر الشَّيبانيّ إلى العرب ذاتَ ليلة ، فأصبح من الغَد على الشمس فقعَدَ فيها فثارتْ به مِرَّةٌ ، فجعل يَحُكُّ جسدَه بأظفاره خَمْشاً ويقول : إنما نحن إبل . فقال له قائل : والله إنك تُشبهُ العربَ . فغضِبَ وقال : أيقال لي هذا ! أنا والله حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ[3](٢) ، يَشهدُ لي سوادُ لوني وغُؤُورُ عَينيّ وحُبّي للشمس .

٢٢٥٨ قيل لأبي السَّفَّاح عند موته : أوصِهْ . فقال : إنّا لَكِرامُ يوم[4] طَخْفَةَ . قالوا : قل خيراً يا أبا السفّاح . فقال : إن أحبَّت أمرأتي فأعْطُوها بعيراً . قالوا : قل خيراً . قال : إذا مات غلامي فهو حرّ(٣) . ٢/٤٩

---

(1) كب : هلزاب ، تحريف .
(2) كب : يزيد ، مص : زيد . وكلاهما تحريف .
(3) كب : منضية .
(4) كب ، مص : قوم .

---

(١) الكراء : الأجر .
(٢) التنضبة : واحدة التنضب ، نبات بري معمر من الفصيلة الكَبَرية ، تألفه الحرابي . ويقال : هو حرباء تنضبة ، إذا كان داهية .
(٣) طخفة : هضبة حمراء كبيرة معترضة من الجنوب إلى الشمال ، تقع شرقاً من بلدة ضرية في غرب القصيم ، وفيها منزل من منازل حاج البصرة (المعجم الجغرافي ، عالية نجد ٢/ ٨٧٤ بلاد القصيم ٤/ ١٤٥٧) ويوم طخفة : من أيام بني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

٢٢٥٩ وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله . فأعْرَضَ ، فأعادوا عليه مراراً ، فقال : أخبرُوني عن أبي طالب أقَالَها عند موته ؟ قالوا : وما أنتَ وأبو طالب ؟ قال : لا أرغبُ بنفسي عنه .

٢٢٦٠ ولما احْتُضِرَ العُجَيرُ السَّلُوليّ قال لقوم عنده : أنا في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأوّلِ يوم من أيام الآخرة ، والله لئن وجدتُ لي عند الله موضعاً لأكلمنَّه فيكم .

٢٢٦١ وقيل لأوْس بن حارثة عند موته : قل لا إله إلا الله . فقال : لم يَأْنِ لها بعدُ .

٢٢٦٢ وقيل لآخر عند موته : ألا تُوصي ؟ قال : أنا مغفورٌ لي . قالوا : قل إن شاء اللهُ . قال : قد شاء الله ذلكَ . قالوا : لا تَدَعِ الوصيّةَ . فقال لبني أخيه :

بَنِي[1] حُرَيْثٍ ارْفَعَا وِسَادِي   واحْتَفِظَا بالجِلَّةِ الجِلادِ(١)

فإنما حَوْلَكُمَا الأعَادِي

٢٢٦٣ قال سَهْل بن هارون : ثلاثةٌ من المجانين وإن كانوا عقلاءَ : الغضبانُ ، والغَيْرانُ ، والسكرانُ . قالوا : فما تقول في المُنْعِظِ(٢) ؟ فَضَحِكَ وقال :

وما شَرُّ الثّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو   بصَاحِبِكِ الّذي لا تَصْبَحِينَا[2]

٢٢٦٤ قال الوليد : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجّاج جِلدةُ ما بين عينيّ ، ألا وإن الحجاجَ جلدةُ وجهي كُلِّه(٣) .

٢٢٦٥ خطب عَتَّابُ بنُ وَرْقاءَ فَحثَّ على الجهاد ، وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ عَلَينا   وَعَلَى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

٢٢٦٦ وقال آخر في الرَّبيع والي اليمامة :

---

(1) كب : يا بني .   (2) كب : تصحبينا .

---

(١) الجلة : العظام الكبار من الإبل ، المسان منها ، يكون واحداً وجمعاً ، ويقع على الذكر والأنثى . والجلاد : جمع الجَلَد ، وهي من الإبل التي لا أولاد معها فتصبر على الحر والبرد ، وتتصف بالقوة والشدة والصلابة .

(٢) المنعظ : من قام ذَكَره واشتهى الجماع . وسيأتي البيت برقم ٣١٩٨ كتاب العلم والبيان .

(٣) يقال : هو جلدة ما بين عينيه ، إذا كان ذا مكانة سامقة ، كأنه مثلها في مكان العزة والقرب ، فهو كناية عن شدة التعلق والمحبة . وكأن الوليد لم يدرك معنى الكناية جيداً ، فحمَّقه ابن قتيبة .

شَهِـدْتُ بـأنَّ اللهَ حَـقٌّ لِقَـاؤُهُ ... وأنَّ الرَّبيعَ العَامِرِيَّ رَقِيعُ[1](١)
أَقَادَ لنا كَلْباً بكَلْبٍ ولم يَدَعْ ... دِمَاءَ كِلابِ المُسْلِمينَ تَضِيعُ(٢)

٢٢٦٧ دخل شابٌ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه اللهُ يوم كذا ٢/ ٥٠ وكذا ، وكان مرضُه رضي الله عنه كذا وكذا[2] ، وتركَ عفا اللهُ عنه من المال كذا وكذا . فانتهره الربيع وقال : أبينَ يَدَيْ أميرِ المؤمنين تُوالي الدعاءَ لأبيك ! فقال الشابُّ : لا ألومُكَ ، إنك لم تَعْرِفْ حلاوةَ الآباء .

فما عُلِم أنّ المنصور ضَحِكَ مِثْلَ ضَحكِهِ يومَئذٍ . وكان الربيعُ لقيطاً .

٢٢٦٨ دخل رجلٌ من بني هاشم على المنصور فاستَجلسَه ودعا بغَدَائِهِ فقال للفتى : اُدنُهْ . فقال : قد تَغَدّيتُ . فلما خرج استخفَّ به الربيعُ ودفع في قفاه ، وقال : هذا كان يُسلِّمُ من بعيدٍ ويَنْصَرِفُ ، فلمّا استدناه أميرُ المؤمنين ، وأمَرَهُ بالجلوس ، ودعاه إلى طعامه ، تبذَّلَ[3](٣) بين يديه ، وبلَغَ[4] من جهله بفضيلة المنزلة التي صَيَّره فيها أن قال : قد تَغدّيتُ ، وإذاً ليس عنده لمنْ تَغدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجُوع .

٢٢٦٩ يونسُ النحويُّ[5] قال : مات رجلٌ من جُنْدِ أهل الشام فحضر الحَجَّاجُ جَنَازَتَه ، وكان عظيمَ القَدْرِ ، فصلَّى وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِلْ قبرَه بعضُ إخوانِه . فنزَلَ نفرٌ منهم ، فقال أحدُهم وهو يُسَوِّي عليه : رحمكَ اللهُ أبا فلانٍ ! إن كنتَ ما عملتُك لَتُجيدُ الغِناءَ ، وتُسْرِعُ رَدَّ[6] الكأسِ ، ولقد وقعتَ في موضع[7] سُوءٍ لا تخرج منه إلى الدَّكّة . فما تمالَكَ الحجّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر ، وكان لا يُكثِرُ الضحكَ في جِدٍّ ولا هَزْلٍ ، ثم قال له : لا أمَّ لكَ ! هذا موضعُ هذا ! قال : أصلح الله الأميرَ ، فَرَسي حَبِيسٌ (٤) لو سَمِعْتَه يَتَغَنّى :

---

(1) كب : رفيع .
(2) سقطت من كب .
(3) كب : وتبذل .
(4) كب ، مص : فبلغ .
(5) كب ، مص : الهجري ، تحريف .
(6) كب ، مص : رب .
(7) كب ، مص : موقع .

---

(١) الرقيع : الأحمق ، كأن عقله بلي واهترأ فاحتاج إلى ترقيع .
(٢) أقاد : اقتص ، والقَوَد : القصاص وقتل القاتل بالقتيل ، لأنه يقاد ليقتل .
(٣) تبذل : ترك التصون والتحرز .
(٤) حبيس : أي أجعله هبة للغزو .

يا لُبَيْنَى أوْقِدِي النَّارَا[١]

لانتشرَ الأميرُ على سَعْنَةَ[٢] ـ وكان الميّت يلقَّبُ سَعْنَةَ ، وكان من أوحَشِ خلق الله صورةً وأدمِّهِم[5] ـ فقال الحجاج : إنا لله ! أخرجُوه عن القبر ، ثم قال : ما أبينَ حُجَّةَ أهل العراق في جَهلِكم يا أهلَ الشام .

ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا ٱستفرغ ضَحِكاً .

٥١/٢ ٢٢٧٠ تبع داودُ بنُ المُعْتَمِر ٱمرأةً ظنّ أنها من الفواسد ، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليكِ مِنْ سيما الخيرِ لم أتبَعْكِ . فضَحِكَت المرأةُ وأسندَتْ ظهرها إلى الحائطِ ثم قالت : إنما يَعتَصِمُ مِثْلي من مِثْلِكَ بسيمَا الخير ، فإذا صار سيما الخير هو الدالَّ لمثلكَ على مثلي فاللهُ المستعانُ .

٢٢٧١ كان بُهْلولٌ المجنونُ يتغنّى بقيراطٍ ولا يسكتُ إلا بدانِقٍ[٣] .

٢٢٧٢ وكان رجل يَهْوَى جاريةً تَختلفُ في حوائج أهلها ، وكانت إذا خرجتْ إلى السوق ولم يَعْلَم بخروجها ثم رجعَتْ فرآها قال وهو يُسْمِعُها : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وإن وعدتْه شيئاً فأخلفتْ قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ، فإن تَغَضَّبتْ لشيءٍ بلغها عنه قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات : ٦] .

٢٢٧٣ مَرَّ بعضُ الحمْقَى بٱمرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهي تبكي ، فرَقَّ لها وقال : مَنْ هذا الميِّتُ ؟ قالت : زوجي . قال : فما كان عَمَلُهُ ؟ قالت : يَحفِرُ القبورَ . قال : أبعدَه اللهُ ، أمَا علم أن مَنْ حَفَر حُفرةً وقع فيها !

٢٢٧٤ أحدثَ رجلٌ من الحمقَى ليلةً على بابِ رجلٍ ، فلما خرج الرجلُ زَلِقَ ووقع على ذراعه فٱنكسرت ، وٱجتمعَ الجيرانُ وجعلوا يَختصمون ويُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةً يَسمعُ كلامَهم ، فلما أكثروا قال :

---

(1) كب : أذمهم ، تصحيف .

(١) عجزه : إنَّ مَنْ تَهْوَينَ قد حارا
وحار : ضل . والبيت لعدي بن زيد .

(٢) انتشر الأمير : قام ذَكَره واشتهى الجماع .

(٣) القيراط : نصف الدانق ، والدانق : سدس الدينار .

رَأَيْتُ الحَرْبَ يَجْنيهَا رِجَالٌ ... ويَصْلَى حَرَّهَا قَوْمٌ بُرَاءُ[1]

فأخذوه وقالوا : أنتَ صاحبُنا .

٢٢٧٥ قال داود المصاب : رأيتُ رؤيا نِصْفُها حقٌّ ونصفُها باطلٌ ، رأيتُ كأنّ على عنقي بَدْرَةً فمن ثقلها أحْدَثْتُ ، فاستيقَظْتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أر البَدْرَةَ[2] .

٢٢٧٦ رُئي أعرابيّ يبكي بكاءً شديداً ، فسُئل عن سبب بُكَائه فقال : بلغني أنّ جالوتَ قُتِلَ مظلوماً[3] .

٢٢٧٧ رأى رجلٌ أحمقُ شيخاً في الحمام أعْكَنَ البطن[4] ، فقال له : يا عَمّ ، إني أشتهي أن أضَعَ هذا ـ يعني ذكَرَه ـ في سُرَّتِكَ . فقال له الشيخ : يا بن أخي فأين يكونُ ٱستُكَ حينئذ . ٥٢/٢

٢٢٧٨ نزل يهوديٌّ على أعرابيّ فمات عنده ، فقام الأعرابيُّ يُصَلِّي عليه فقال : اللّهم إنه ضيفٌ، وحَقُّ الضيف ما قد علمتَ، فأَمْهِلْنا إلى أن نَقْضي ذِمَامَه[5]، ثم شَأْنَكَ والكلبَ.

٢٢٧٩ وحَدَّثني عبدُ الرحمن ، عن الأصمعيّ ، قال :

كان بين ٱثنين عبدٌ فقام أحدُهما فجعلَ يَضرِبُه ، فقال له الآخر شريكُه : ما تَصْنَعُ ! قال : إنما أضربُ حِصَّتي .

٢٢٨٠ قال أعرابيٌّ لرجل : ما ٱسمُكَ ؟ قال : عبد الله . قال : ٱبنُ مَنْ ؟ قال : ٱبْنُ عُبيدِ الله . قال : أبُو مَنْ ؟ قال : أبو عبد الرحمن . قال : أشهدُ إنك لَتَلُوذُ بالله لِوَاذَ يَتيمٍ جَبانٍ .

٢٢٨١ قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مُوَيْس يتنازعانِ في العِنب النيروزيّ والرازقيّ[6] : أيّهمَا أطيبُ ، فجرى بينهما كلامٌ إلى أن تواثبا ، فقطع الكوفيُّ إصبعَ

---

(١) يصلى حرها : يقاسي شدتها ونارها وتعبها وهَلَكتها .

(٢) البدرة : كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ، ويقدم في العطايا ، ويختلف باختلاف العهود .

(٣) جالوت : أحد ملوك الكنعانيين الذين سماهم الطبري « العمالقة » أو « العماليق » ، قتله النبي داود عليه السلام لجبروته . والكنعانيون (٢٥٠٠ ق.م ـ ٣٠٠م) : قبائل عربية هاجرت من شبه الجزيرة العربية ، واستقرت في الجزء الجنوبي من بلاد الشام (الأردن وفلسطين) .

(٤) أعكن البطن : أي انطوى لحم بطنه وتثنى بعضه فوق بعض سمناً .

(٥) الذمام : الحرمة والحق .

(٦) العنب الرازقي : هو العنب الأبيض الطويل الحب ، وندعوه بالشام « العنب البلدي » . والنيروزي : أظنه العنب الأحمر المدوّر ، وندعوه بالشام « العنب الحلواني » .

البصريِّ وفَقأ البصريُّ عينَ الكوفيِّ ، ثم لم ألبَثْ إلا يسيراً حتى رأيتُهما مُتَصافِيينِ مُتَنَادِمَينِ .

٢٢٨٢ قال: وقال ثُمامةُ: مررتُ في غِبِّ سماءٍ(١) ، والأرضُ نَدِيَّةٌ، والسّماء مُتَغَيِّمةٌ، والريح شَمالٌ ، وإذا شيخٌ أصفَرُ كأنه جرادةٌ ، وقد قَعَد على قارعةِ الطريق وحجّامٌ يَحْجِمُهُ على كاهله وأخْدَعيه بمحاجمَ كأنها قِعابٌ(٢)، وقد مَصَّ دمَه حتى كادَ يَستفرِغُه، فوقفتُ وقلتُ : يا شيخُ ، لم تَحْتَجِمُ ؟ قال : لمكان [هذا] الصَّفار الذي بي(٣) .

٢٢٨٣ أتى الطَّمَحَانُ[1] قوماً يعودُ عليلاً لهم فعزَّاهُم به ، فقالوا[2] : إنه لم يَمُتْ . فرجَعَ وهو يقول : يموتُ إن شاء اللهُ ، يموت إن شاء اللهُ .

٢٢٨٤ أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ :

عن نافع ، قال : كان الغَاضِرِيُّ مِنْ أحمقِ الناس ، فقيل له : ما حُمْقُه ؟ فجعل يتربَّثُ . فلما أُكْثِرَ عليه ، قال : قال لي مرّةً : البحرُ مَنْ حَفَره ؟ وها حُفِرَ فأينَ نبيثتهُ[3] ؟ أتُرَى أميرَ المؤمنينَ يَقْدِرُ على أن يَحْفِرَ مثلَه في ثلاثةِ أيام(٤) ؟

٥٣/٢ ٢٢٨٥ دخل رجلٌ من الحَمْقَى من الشعراء على رجلٍ من الأشراف يُقالُ في نسبه(٥) ، فقال : إني قد امتدحتُكَ بشعرٍ لم تُمْدَحْ قطُّ بأنفعَ لكَ منه . قال : ما أحْوجَني إلى المنفعة فهاتِهِ ، فقال :

سَأَلْتُ عَنْ أصْلِكَ فيما مَضَى ... أبْنَاءَ سَبْعِينَ وقَدْ نَيَّفُوا(٦)
فكُلُّهُمْ يُخْبِرُنِي أنَّهُ ... مُهَذَّبٌ ، جَوْهَرُهُ يُعْرَفُ(٧)

---

(1) كب : الطخمان ، تحريف .
(2) كب ، مص : قالوا .
(3) كب : نبثه .

---

(١) غب سماء : بعد مطر .
(٢) الأخدعان : عرقان في الرقبة . والقعاب : جمع القعب (بفتح فسكون) ، وهو القدح الضخم .
(٣) الصفار : اليرقان ، وهي حالة مرضية تمنع الصفراء من بلوغ المعي بسهولة ، فتختلط بالدم فتصفر الأنسجة .
(٤) يتربث : يتلبث . النبيثة : التراب ، وهو النَّبِيث والنَّبِيذ والنَّحِيت .
(٥) يقال في نسبه : يطعن فيه .
(٦) نيفوا : زادوا عن ذلك .
(٧) المهذب : المُخَلَّص النقي من العيوب ، المطهر الأخلاق . وعنى بجوهره : أصله ، وجوهر كل شيء : حقيقته وذاته .

فقال له : قُمْ في لعنة الله وفي سُخْطِه ! لعنك الله ولعنَ مَنْ سألتَ ومنْ أجابكَ .

٢٢٨٦ وحَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمِّه فقال : يا عمّ ، إنَّ وَلَدَ جاريةِ آلِ فلانٍ مِنّي فافتَدِه . ففعل ، ثم جاءه مرّةً أخرى فقال له مثل ذلك ، فقال له عمُّه : لو عَزَلْتَ ! قال : بلغني أن العَزْلَ مكروهٌ(١) .

٢٢٨٧ قال : وحَدَّثنا الأصْمَعيّ ، قال : بَلَغَني عن شيخٍ جَزِعَ على ميتٍ جَزَعاً شديداً ، فقيلَ له في ذلك ، فقال : نحن قومٌ لم نَتَعوَّد الموتَ .

٢٢٨٨ أبو الحسن الجعفريّ قال : قيل لكَرْدَمِ السَّدُوسيّ : كُلْ . قال : ما أُريدُ . قيل : ولمَ ؟ قال : أكَلْتُ قليلَ أرْزٍ فأكثرتُ منه .

٢٢٨٩ ضلَّ بعيرٌ لأعرابيّ فجعل يَنْشُدُه إلى أن دخل الإمارةَ فأخذَ منها بعيراً ، فقيل له : إنّ بعيركَ كان أعرابياً . قال : إنه لما أكَلَ من مالِ الإمارة تَبَخَّتَ(٢) .

٢٢٩٠ الهيثم ، عن ابن عبّاس ، قال :

لما وَلِيَ مَروانُ وجَّهَ حُبَيشَ[1] بنَ دُلْجَةَ القَينيّ إلى المدينة ، وكان يصعَدُ المنبرَ ومعه الكُتلةُ من التمر فيأكلُها ، ثم يُلْقي النَّوَى على وجوه أهل المدينة يميناً وشمالاً ، ثم يقول : يا أهلَ المدينة ، إني لأعلمُ أنّ هذا المكان في حُرْمته وموضعه ليس موضعَ أكلٍ ولا شربٍ ، ولكني أُحبُّ أن أُريكُم هَوانَكُم على الله(٣) . ٢/ ٥٤

٢٢٩١ قيل لمعلِّم بن معلِّم : ما لكَ أحمقُ ؟ قال : لو لم أكن أحمقَ كنتُ وَلَدَ زِناً .

٢٢٩٢ قال بعضُ الشعراء :

فإنْ كُنْتُ قَدْ بَايَعْتُ مَرْوَانَ طائِعاً فَصِرْتُ إذاً بَعْدَ المَشِيبِ مُعَلِّمَا

٢٢٩٣ وقال آخر :

وكَيْفَ يُرَجّى[2] العَقْلُ والرَّأْيُ عِنْدَ منْ يَـرُوحُ إلـى[3] أُنْثَـى ويَغْـدُو إلـى طِفْـلِ

(1) قرأتها مصر : جيش ، تصحيف . (2) كب ، مص : ترجي .
(3) كب ، مص : على ، في كلا الموضعين .

(١) العزل : عزل الرجل الماء عن النساء إذا جامع لئلا تحملن .
(٢) تبخت : صار بُخْتياً ، وجمعه بخاتي ، وهي الإبل الخراسانية ، توصف بطول الأعناق ، وهي من مراكب الأمراء .
(٣) مضى برقم ٢١٧٩ .

٢٢٩٤ المدائني[1] قال : تحوَّل أبو عبد الله الكَرْخي إلى الخُرَيبةِ(١) ، فادَّعى الفقهَ ، وظنَّ أن ذلك يجوز له[2] لمكان لحيته وسَمْتِه ، فألقَى على باب داره البواري(٢) وجلَس ، فجلس إليه قومٌ فقال له رجلٌ منهم : يا أبا عبد الله ، رجلٌ في الصلاة أدخل إصبعَه في أنفه فخرج عليها دمٌ ، ، أيّ شيءٍ يَصنعُ ؟ قال : يَحْتجِمُ رحمك الله . فقال له السائلُ : ظننتُ أنّك فقيهٌ ، ولم أدرِ أنكَ طبيبٌ .

٢٢٩٥ قال رجلٌ للشَّعْبيّ : إني أجدُ في قَفَاي حِكَّةً ، فتَرَى لي أنْ أحتجِمَ ؟ فقال الشَّعْبيُّ : الحمد لله الذي نَقَلنا مِن الفقهِ إلى الحِجامةِ .

٢٢٩٦ وقال له آخر : رجلٌ اْستمنَى في يومٍ من شهر رمضان هل يُؤْجَرُ ؟ قال : أَوَمَا يَرْضَى أن يُفْلِتَ رأساً بِرَأسٍ .

٢٢٩٧ نازع التميمي[3] رجلٌ من بني عمّه في حائطٍ بينهما فبَعَث إلى قوم يُشْهِدُهُم ، فأتاه جماعةٌ من القبائل ، فوقَفَ بهم على ذلك الحائطِ وقال : أُشهِدُكم جميعاً أن نصفَ هذا الحائطِ لي(٣) .

٢٢٩٨ وقَدَّمَ آخرُ رجلاً إلى القاضي في شيءٍ يدَّعيه عليه ، فأنكر الرجلُ ، فقال : أيها القاضي اْكتُب إنكارَه . فقال القاضي : الإنكارُ في يدكَ مَتى شئتَ .

٢٢٩٩ قال مَسعدةُ[4] بن طارق الذَّرّاع[5] : إنّا لوقوفٌ على حدود دارٍ لِنقسِمَها ونحن في خصومة ، إذ أقبلَ سيِّدُ بني تميم ومُوسِرُهم والمصلّي على جنائزهم ، فأمسكنا عن الكلام ، فقال : حَدِّثُوني عن هذه الدارِ هل ضَمَّ منها بعضُنا إلى بعضٍ أحداً ؟ ٢/ ٥٥

قال مسعدةُ : فأنا منذ ستين سَنَةً أفكِّرُ في كلامه ، فما أدْري ما عَنَى .

٢٣٠٠ أتت جاريةٌ أبا ضَمْضَمٍ فقالت : إنّ هذا قَبَّلَني . فقال : يا فَتى ، أذْعِنْ لها بحقِّها ، قَبِّليهِ عافاكِ الله كما قَبَّلَكِ ، فإن الله يقول : ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

---

(1) كب ، مص : ابن المدائني ، خطأ .
(2) سقطت من مص .
(3) كب ، مص : التيمي ، تحريف .
(4) كب : سعدة .
(5) كب : الزارع ، تصحيف .

---

(١) الخريبة : موضع بالبصرة .
(٢) البواري : جمع بارية ، وهي الحصير المنسوج .
(٣) التميمي : هو عِيص ، سيد بني تميم وموسرهم ، وسيأتي قريباً خبر آخر له برقم ٢٢٩٩ . والحائط : البستان .

٢٣٠١ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

أُلقِيَتْ على رجلٍ فريضةٌ فاشتدَّتْ عليه ، فجعل يَحْسُبُ غيرَها ، فقالوا له في ذلك ، فقال : عسى أن يكونَ تَرَكَ غيرَ ما ذَكَرُوا .

٢٣٠٢ حَدَّثني محمد بن عمر ، عن ٱبن كُنَاسَةَ ، قال :

قال بعضُ الطالبيِّين لأشْعَبَ : لو رَوَيتَ الحديثَ وتركتَ النوادرَ كان أنبلَ لكَ . قال : والله قد سمِعْتُ الحديثَ ورويتُه . قال : فحَدِّثْنا ، قال : حَدَّثني نافعٌ ، عن ٱبن عمرَ ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال : خَلَّتَانِ مَنْ كانتَا فيه كان مِنْ خَالِصةِ اللهِ . قال : هذا حديثٌ حسن فما هُما ؟ قال : نَسِيَ نَافعٌ واحدةً ، ونسيتُ أنا الأخرى .

٢٣٠٣ وكان بالبَصْرة ثلاثةُ إخوة من ولدِ عَتَّابِ بن أَسِيدٍ ، كان أحدُهم يَحُجُّ عن حَمْزَةَ ويقول : ٱستُشْهِد قبل أن يَحُجَّ ، وكان الآخر يُضَحِّي عن أبي بكر وعمر ويقول : أخْطَآ السنَّةَ في تركِ الأضحِيةِ ، وكان الآخر يُفْطِرُ عن عائشةَ أيامَ التّشريقِ[1] ويقول : غَلِطَتْ في صومِها أيامَ العيد ، فمنْ صامَ عن أبيهِ وأمِّه فأنا أُفْطِرُ عن أمّي عائشةَ .

٢٣٠٤ قال ثُمامةُ : كنّا في منزل رجل من الدَّهاقينِ وفينا شيخٌ منهم ، فأتَى رَبُّ البيتِ بِدُهْنٍ طِيبٍ فدهَنَ بعضُنا رأسَه وبعضُنا لِحيتَه ، ومَسَح بعضُنا شاربَه وبعضُنا يديهِ ، فقال أحدُهم : ٱدْهُنُوا أسْتَاهَكم تَأْمَنُوا الحَزَازَ ، وأمِرُّوها على وجوهكم . فأخذ شيخٌ منهم بطرَف إصبعِه فأدخله في أنفِه ومسحَ حاجبيه ، فَعَمَدَ الشيخُ إلى بقية الدُّهْن فصَبَّه في أذنه ، فقلنا له : ويحك ! هل رأيتَ أحداً أُتِيَ بدُهْنٍ طِيبٍ فصَبَّه في أذنه ؟ قال : إنه مع هذا يضرُّني[2] . ٥٦/٢

٢٣٠٥ قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكْنَى أبا خارجةَ ، فقلتُ له : لِمَ كَنَوْك أبا خارجةَ ؟ قال : لأني وُلِدتُ يوم دخل سليمانُ بن عليّ البَصرةَ .

٢٣٠٦ قال عمرو بن بَحْر : ذكَرَ لي ذاكرٌ عن شيخٍ من الإباضية[3] أنه جَرى ذِكْرُ الشيعة عنده فأنكَـر ذلك وٱشتدّ غضبُه ، فقلتُ له : مـا أنكرتَ [من التَّشَيُّعِ ومن ذِكْر الشِّيعة] ؟

---

(١) أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد يوم النحر .

(٢) الحزاز : قشر كالنخالة في الرأس يحز ويؤثر فيه . والدهاقين : جمع دهقان ، وهو رئيس الاقليم ، والتاجر له مال وعقار .

(٣) الإباضية : فرقة من الخوارج ، أصحاب عبد الله بن إباض التميمي .

قال : أُنْكِر مكانَ الشِّين [التي] في أول الكلمة[1] ، لأني لم أجدها قطُّ إلا في مَسخوطٍ عليه مثلِ : شُؤْم وشَرٍّ وشيطانٍ وشُحٍّ[2] وشَغبٍ وشَيْبٍ وشَكٍّ وشِرْك وشَتْمٍ وشُنْعةٍ[3] وشِيطَرْج وشَاكِي وشانيء وشَنَجٍ[4] وشَوْصَة وشابشتي وشَكْوى(١) . فقلت [له : ما سمعتُ متكلماً قطُّ يقول هذا ولا يبلغُه ، و] لا[5] لهؤلاءِ القومِ قائمةٌ بعد هذا .

٢٣٠٧ قال : وسمعتُ رجلاً يقول : عجبتُ لمن يأخذه النومُ وهو لا يزعم أن الاستطاعةَ مع الفعل(٢) . فقلت له : ما الدليلُ على ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! الأشعارُ الصِّحاحُ . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثلُ قول رُؤْبَةَ :

ما إنْ يَقَعْنَ الأرْضَ إلَّا وَفْقَا[6](٣)

وقوله :

يَهْوِينَ شَتَّى ويَقَعْنَ وَفْقَا[6]

وقوله :

مكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعاً

وقولهم في المثل : « وَقعَا كَعِكْمَيْ عَيْرٍ »(٤) ، ثم قال : هل في هذا تَقْنَع ؟ قلتُ : بلى وفي دُونِ هذا .

---

(1) كب : كلمة . وعوّلنا في قراءة النص على الجاحظ ، راوي الخبر ، في الحيوان ٣/ ٢٢ .
(2) كب : شج .
(3) كب ، مص : شيعة وشطرنج ، تصحيف .
(4) كب ، مص : شحج .
(5) كب ، مص : ما تقوم بهؤلاء قائمة بعدها . وفي مص : أبداً ، بدل بعدها .
(6) كب : وقفا ، تصحيف .

---

(١) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . والشاكي : المرتدي لباس الحرب بتمامه ، وهو المريض الذي يألم مما به من مرض فيبدي شكواه . والشانيء : المبغض بغضاً شديداً لغيره . والشنج : تقبض الجلد . والشوصة : وجع في البطن من ريح تنعقد تحت الأضلاع . وشابشتي : الحاجب ، وهي من الفارسية وتعني عماد أو سناد الملك ، من « شاه » أي ملك ، و« بشت » عماد .
(٢) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن الاستطاعة مع الفعل .
(٣) الوفق : حذاء بعض .
(٤) أي وقع المصطرعان معاً كعكمي عير ، لم يصرع أحدهما صاحبه . والعكم : نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير ، وهما عكمان .

٢٣٠٨ وَعَد رجلٌ رجلاً من الحمقى أن يُهْديَ له من مكة نعلاً ، فطال عليه الانتظارُ ، فأخذَ ٥٧/٢
قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيبَ ثم قال : اُنْظُر في هذا الماءِ هل يُهدي لي بعضُ إخواني نعلاً حَضْرميةً ؟

٢٣٠٩ وقال الزِّياديّ : مرّ أشعبُ برجلٍ يعمَلُ طَبَقاً وقال له : زد فيه طوقاً . قال : ولِمَ ؟ قال : لعلّه يُهْدَى لي فيه شيءٌ .

٢٣١٠ أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

حَدَّثنا إبراهيمُ بن القَعْقَاع ، قال : رأيتُ أشعبَ بسوق المدينة معه قَطيفةٌ قد ذهب خَمْلُهَا وهو يقول : مَنْ يشتَري مِنّي الوَمِذَةَ[1] ؟ فأتاه رجلٌ فسَاومَه . قال : أَبرأُ إليكَ من عيبٍ فيها . قال : وما هو ؟ قال : تَحتَرِقُ إن أنتَ لبِسْتَها(١) .

٢٣١١ سقط أعرابيٌّ من بعيرٍ له ، فانكسرت ضِلَعٌ من أضلاعه فأتى الجابرَ يستوصفُه ، فقال : خُذْ تمراً جيِّداً فانزعْ أقماعَه ونواه ، واْعجِنه بسمنٍ ، ثم اْضمِدْه عليه . قال : أي بأبي أنتَ ، مِنْ داخلٍ أم[2] مِنْ خارجٍ ؟ قال : مِنْ خارج . قال : لا أبا لشَانِئِكَ هو من داخل أنفعُ لي . قال : ضَعْه حيثُ تعلمُ أنّه أنفعُ .

٢٣١٢ مات اْبنٌ صغير لأعرابيّ ، فقيل له : نَرجُو أن يكون لك شفيعاً . فقال : لا وكَلَنا الله إلى شفاعته ، حَسْبُه المسكين أن يقومَ بأمر نفسِه .

٢٣١٣ جاء أعرابيٌّ إلى المسجد والإمامُ يخطبُ ، فقال لبعض القوم : ما هذا ؟ قال : يدعونَ الناسَ إلى الطعام . قال : فما يقول صاحبُ المنبر ؟ قال : يقول ما يَرْضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحملُوا معهم . فتخطَّى الأعرابيّ الناسَ حتى دنا من الوالي ، فقال : يا هذا ، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤُنا .

٢٣١٤ أخذ الحَجَّاجُ لِصاً أعرابياً فضربه سبعَمائةِ سوط ، فكلما قرعه بسوطٍ قال : اللّهم شكراً . فأتاه اْبنُ عمٍّ له فقال : والله ما دعا الحَجَّاجَ إلى التمادي في ضربك إلا كثرةُ شكركَ ، لأن الله يقول : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] . فقال : إنّ هذا ٥٨/٢
في كتاب الله ؟ فقال : اللهمّ نعم . فأنشأ الأعرابيُّ يقول :

---

(1) كب : الومدة ، مص : الرمدة .   (2) كب : أو .

---

(١) الومذة : البياض النقي ، يقول : من يشتري هذه القطيفة البيضاء النقية . والقطيفة : كساء أو دثار له أهداب .

يـا رَبِّ لا شُكْـرَ فـلا تَـزِدْنـي أسْرَفْتُ في شُكْرِكَ فاعْفُ عَنِّي
باعِدْ ثَوَابَ الشّاكِرِينَ مِنِّي

فبلغ الحَجّاجَ فخلَّى سبيلَه .

٢٣١٥ جاء أعرابيٌّ إلى صَيْرَفيّ بدرهم ، فقال[1] : هذا سَتُّوقٌ . فقال الأعرابيُّ له[2] : وما هو السَّتُّوقُ(١) بأبي أنتَ ؟ قال : داخِلُهُ نُحَاسٌ وخارجُه فضّة . قال : ليس كذلك . قال : أَكْسِرُه فإن كان كذلك فأنا منه بريء ؟ قال : نعم . فكسره ، فلما رأى النحاسَ قال : بأبي أنتَ ، متى أموتُ ؟ فأنا أشهدُ أنك تعلم الغيبَ .

٢٣١٦ لما حضرت الحُطَيْئةَ الوفاةُ قال : احملوني على حمار فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قَطُّ فلعلّي أن أبقَى ، ثم تمثّل :

لِكُـلِّ جَـديـدٍ لَـذَّةٌ غَيْـرَ أنَّنـي رَأَيْتُ جَدِيدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ(٢)

٢٣١٧ المدائنيّ قال : دعا رجلٌ بمكة لأمّه ، فقال له قائل : فما بالُ أبيكَ ؟ قال : هو رجلٌ يحتالُ لنفسه .

٢٣١٨ قيل لأشعبَ : أرأيتَ أحداً قطُّ أطمَعَ منك ؟ قال : نعم ، خرجتُ إلى الشام فنزلتُ أنا ورفيقٌ لي بدَيْر فيه راهبٌ ، فتلاحينا في أمرٍ فقلتُ : الكاذبُ مِنّا كذا من الراهب في كذا مِن أُمّه ، فأتى الراهبُ وقد أنعظَ وهو يقول : بأبي مَن الكاذبُ منكما(٣) ؟

٢٣١٩ مَرَّ إسحاقُ بنُ سليمانَ بن عليّ الهاشميّ بِقَاصٍّ وهو يقرأُ : ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم : ١٧] ، فتنفّس ثم قال : اللهم اجعلنا ممن يَتَجرّعُه ويُسيغُه .

٢٣٢٠ الأصْمَعيّ ، عن أبيه : قلتُ لأعرابيّ : أفيكم زِناً ؟ قال : بالحرائر ؟! ذاكَ عند الله عظيمٌ ، ولكن مُسَاعاةٌ بهذه الإماءِ(٤) .

٢٣٢١ موسى بن طلحةَ قال : جاءنا عليّ بن أبي طالب رحمه الله ونحن في المسجد شَبابٌ

---

(1) كب ، مص : قال .

(2) سقطت من مص .

---

(١) الستوق : الزائف .

(٢) سيأتي الخبر مطولاً برقم ٢٣٣٣ .

(٣) تلاحينا : تنازعنا وتخاصمنا وتسابَبنا . أنعظ : اشتهى الجماع فقام ذَكَره وانتشر .

(٤) المساعاة : الزنا ، ولا تكون المساعاة إلا في الإماء خاصة .

من شَبابِ قريش ، فتنحّينا له عن الأسطوانة[١] وقلنا : هاهنا يا عمّ . فقال : يا بني ٥٩/٢ أخي ، أنتم لشيوخكم خيرٌ من مَهْرَةَ[٢] ، فإنه إذا كبِرَ الشيخُ فيهم شَدُّوه عِقالاً ، ثم يُقالُ له : ثِبْ فيه ، فإن وَثَب خَلَّوا سبيلَه وقالوا : فيه بقيّةٌ من عُلالةٍ ، وإن لم يَثِبْ قدَّمُوه فضربوا عِلاوَته[٣] وقالوا : لا يُصيبُكَ عندنا بلاءٌ .

٢٣٢٢ قيل لبحر بن الأحنف : ما يَمنعكَ أن تكون مثلَ أبيك ؟ قال : الكسلُ .

٢٣٢٣ وقال يوماً لزَبْراءَ جاريةِ أبيه : يا زانيةُ. فقالتْ : لو كنتُ كذلك جئتُ أباكَ بمثلكَ[٤] .

٢٣٢٤ أبو الحسن قال : جاء قومٌ إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارُكَ فلانٌ فمُرْ لنا بكفنٍ . فقال : ما عندنا اليومَ شيءٌ ، ولكن تَعودونَ . قالوا : أفنُمْلي إلى أن يتيسَّرَ عندك شيءٌ !

٢٣٢٥ وأتى رجلٌ رجلاً فقال له : أصلحكَ اللهُ ، تُعِيرُنا ثوبا نُكفِّنُ فيه ميتاً ؟

٢٣٢٦ قال قاسمٌ التمّار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

٢٣٢٧ وقال أيضاً : رأيتُ إيوانَ كِسْرَى فإذا هو كأنما رُفعت اليدُ عنه أوّلَ مِنْ أمسِ .

٢٣٢٨ كان عبد الملك بن هلال الهُنَائيّ[1] له زَبيلٌ[٥] مملوءٌ حصاً للتسبيح ، فكان يُسبِّح بواحدةٍ واحدةٍ ، فإذا مَلَّ طرح ثِنتين ثِنتين ثم ثلاثاً ثلاثاً ، فإذا زاد مَلالُه طرحه قَبضةً قَبضةً وقال : سبحانَ اللهِ عَدَدَكَ ، فإذا ضَجِرَ أخذ بِعُرَى الزَّبيل وقال : الحمد لله بِعدد هذا كلِّه .

٢٣٢٩ دخل قومٌ منزلَ الرُّسْتُمِيِّ لأمرٍ وقع ، فحضر وقتُ صلاة الظهر فقالوا : كيف القِبلةُ في داركَ هذه ؟ فقال : إنما نزلناها منذُ شهر .

٢٣٣٠ المدائنيّ ، عن عليّ بن مجاهد ، عن حميدِ بن أبي البَخْتَرِيّ ، أن الشَّعْبيّ قال :

---

(1) كب ، مص : الهينابي ، تحريف . و« الهُنَائي » : نسبة إلى هُنَاءة بن مالك بن فهم .

---

(١) الأسطوانة : عمود الجامع .

(٢) مهرة : حي من العرب تنسب إليهم الإبل المهرية .

(٣) العلالة : بقية الشباب ، وهي في الأصل : بقية اللبن ، وبقية جري الفرس ، وبقية السير . والعلاوة : أعلى الرأس والعنق .

(٤) سيأتي الخبر برقم ٣٢٣٨ كتاب العلم والبيان .

(٥) الزبيل : القفة .

مَرِضتُ فلقيت ٱبن الحُرّ[1] فأمرني أن أمشي كل يوم إلى الثَّوِيّة(١) ، فكنت أغدو[2] كلّ يوم إليها ، فانصرفت ذات يوم فلمّا كنت في جُهَينة الظاهرة[3](٢) إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة مُتّكيءٌ على وِسادة ، فسلّمت ثم ألقيت نفسي على الرمل ، فقال : لقد جلستَ جِلسة عاجز أو ضعيف . قلت : قد جمعتُهما . قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلي كانوا يتخوّفون عليّ ثلاثاً : نقصان البصر ، وترك النساء ، والقِطَاف(٣) في المشي ؛ فوالله إنهم ليرون الشخص واحداً وأراه ٱثنين ، ولقد تركتُ النساء فما لي فيهن من حاجة ، وإني لأمشي فأُهَمْلِج(٤) . قلت : أدام الله لك ذلك .

٢/ ٦٠

٢٣٣١ قال المدائنيّ : ركب يزيد بن نَهْشَل النهشليّ بعيراً وقال : اللّهم إنّك قلت : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٣] وإنّي لبعيري هذا لمُقْرِن . فنفَر به [البعير] فطرحه وبقيتْ رجله في الغَرْز ، فجعل يضرب برأسه كل حَجَر ومَدَر حتى مات .

٢٣٣٢ حَدَّثنا أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

ٱختصمت الطُّفَاوة وبنُو راسِب في رجلٍ يدَّعيه الفريقان إلى ٱبن عِرْباض ، فقال : الحُكْم بينكم أبينُ من ذلك ، يُلْقَى في النهر فإن طفا فهو لطُفاوة ، وإن رَسب فهو لبني راسِب .

٢٣٣٣ المدائنيّ قال : لما حضَرت الحُطَيْئةَ الوفاةُ قيل له : أوصِ . قال : بم أوصِي ! مالي للذكور دون الإناث . فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا . فقال : لكني آمُر به ، ثم قال : ويلٌ للشعر من راوية[4] السُّوء[5] . فقيل له : أوص يا أبا مُلَيكة للمساكين بشيء . قال : أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا ، فإنها تجارة لن تبورَ . قيل : أعتق عبدَك يَسَاراً . قال : ٱشهدوا أنه عبدٌ ما بقي . قيل : فلان اليتيم ما تُوصي فيه ؟ قال : أُوصي أن تأكلوا

---

(1) كب : الجر .

(2) كب : أعدو .

(3) كب : الطاهرة .

(4) كب : راويه .

(5) مص : الشعر .

---

(١) الثوية : موضع قرب الكوفة كان به سجن النعمان بن المنذر ، وفيه مدفن زياد بن أبيه .

(٢) جهينة الظاهرة : قرية عظيمة قرب الموصل .

(٣) القطاف : بطء الخطو .

(٤) أهملج : أمشي في بخترة ، والبخترة : هي مشية المتكبر المعجب بنفسه ، فسمى بطؤه وتثاقله وتمايله في المشي : هملجة ، وليست هي كذلك ! .

ماله ، وتَنيكوا أمّه . قالوا : ليس إلا هذا ! قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلّي أنجو . ومات مكانه(١) .

٢٣٣٤ لمّا حضرتْ دُوَيد[1] بن زيد الوفاةُ جمع ولده وقال : يا بَنيَّ ، أوصيكم بالناس شراً ، كلِّموهم نَزْراً ، وأنظروا إليهم شَزْراً ، ولا تُقيلوا[2] لهم عَثْرة ، قَصِّروا الأعِنَّة ، وآشحَذُوا الأسِنَّة ، تأكلوا القريب ، ويرهَبْكم البعيد(٢) . ٦١/٢

٢٣٣٥ ولمّا حضرتْ وكيعاً الوفاةُ دعا بَنيه فقال : يا بنيَّ ، إنّي لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أقْرحوا(٣) جِباهَهم ، وعَرَّضوا لِحاهم ، يدَّعُون أن لهم على أبيكم دَيناً ، فلا تَقْضُوهم ، فإنَّ أباكم قد حَمَلَ من الذُّنوب ما إنْ غَفَر الله له لم تضرُرْه ، وإلّا فهي مع ما تقدّم .

٢٣٣٦ تقدَّم رجلٌ من بني العَنْبر إلى سَوَّار فقال : إن أبي مات وتركني وأخاً لي ـ وخطَّ خطَّيْن ناحيةً ـ ، ثم قال : وهَجيناً لنا ـ ثم خطَّ خطاً آخر ناحيةً ـ ، ثم قال : فكيف[3] نَقْسِمُ المالَ بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارثٌ غيركم . فقال له : لا أحْسِبُك فَهِمْت ، إنه تركني وأخي وهجيناً لنا . فقال سَوَّار : المالُ بينكم سواء . فقال الأعرابيّ : أيأخذ الهجينُ كما آخذ ويأخذ أخي ؟ قال : أجَلْ . فغِضب الأعرابيُّ وقال : تعلَم والله أنك قليلُ الخالات بالدَّهْنا[6](٤) . فقال سَوَّار : إذاً لا يضرّني [ذلك] عند الله شيئاً .

٢٣٣٧ قال بعض العُمّال لأعرابيّ : ما أحسبُك تدري كم تصلّي في كلّ يوم وليلة . فقال : أرأيتَ إن أنبأتُك بذلك تجعلْ لي عليك مسألة ؟ قال : نعم . قال الأعرابيّ :

---

(1) كب ، مص : سعد ، تحريف . وعوّلنا في قراءة النص على ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ١/ ٣٢ وستأتي مصادر الخبر في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(2) كب ، مص : تقبلوا لهم عذراً . (5) كب ، مص : كيف ينقسم .

(6) قرأتها مص : بالدهناء ، و « الدهنا » بالقصر هي الأفصح .

---

(١) مضى الخبر مختصراً برقم ٢٣١٦ .

(٢) النزر : ضد الهَذْر والإكثار ، وهو القليل المختصر الذي لا يدل على عِيٍّ . والشزر : النظر بمؤخر العين على غير استواء واستقامة ، يكون ذلك من البغضة والغضب ، أو من التوجس والارتياب . الأعنة : جمع العنان ، وهو اللجام ، أرادهم أن يستعدوا للقتال دائماً .

(٣) القرح : الجرح .

(٤) رماه بوضاعة الأصل ، وقد قيل إنه ليس بالدهنا أمة ، وإنما كان فيها الحرائر .

إنَّ الصَّـلاةَ أَرْبَـعٌ وأرْبَـعُ   ثُمَّ ثَلاثٌ بَعْدَهُنَّ أَرْبَعُ
ثُمَّ صَلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيَّعُ

قال : قد صدقتَ ، فسَلْ . قال : كم فَقَارُ ظَهْرِك[1] ؟ قال : لا أدري . قال : أفَتَحْكُم بين الناس وأنت تَجْهَل هذا من نفسك !

٢٣٣٨ أخبرني[1] رجلٌ حضَرَ مجلس محمد بن الجَهْم البرمكيّ أنه دخل عليه رجل يكتب في حوائج له ، فقرأها ووعَدَه قضاءها ، فنَهَض وهو يدعو له وقال : أبقاك الله وحفِظك وأتمّ نعمتَه عليك . فقال له محمد بن الجهم : كتابي إليك وأنا في عافية .

* * *

(1) كب : خبرني .

(١) يتألف العمود الفقري من ٣٣ فقرة (٧ رقبية ، ١٢ ظهرية ، ٥ قطنية ، ٥ عجزية ، ٤ عصعصية) .

طبائع الإنسان

٢٣٣٩ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن[1] عبد المنعم ، عن أبيه :

عن وَهْب بن مُنَبِّه ، أنه وجد في التَّوْراة : إنّي حين خلقتُ آدمَ ركّبْتُ جسدَه من أربعة أشياء ، ثم جعلتها وِراثة في ولده تنمي في أجسادهم ويَنمُون عليها إلى يوم القيامة : رطْب ويابس وسُخْن وبارد ، وذلك لأني خلقته من ترابٍ وماء ، ثم جعلتُ فيه يُبساً[2] ورُطوبة ؛ فيُبوسةُ كُلِّ جسدٍ من قِبَل التراب ، ورُطوبتُه من قبل الماءِ ، وحرارته من قبل النَّفَسِ ، وبرودته من قبل الروح . [فمن النَّفَس : حدَّتُه وخفَّتُه ، وشهوتُه ولهوه ، ولَعِبه وضَحِكه ، وسَفَهُه وخداعه ، وعُنْفه وخَرَقُه . ومن الرُّوح : حِلْمه ووقاره ، وعفافه وحياؤه ، وفهمه وتكرُّمُه ، وصدقه وصبره] . ثم خلقتُ للجسد[3] بعد هذا الخَلْق الأوّل أربعةَ أنواعٍ من الخَلْق الآخر ، وهي مِلاكُ الجسدِ بإذني وقِوامُه ، لا يقوم الجسد إلا بهنّ ، ولا تقوم واحدة إلا بهن : المِرَّة الصفراء ، والمِرّة السوداء ، والدمّ ، والبَلْغَم . ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخِلَق في بعضٍ ، فجعلت مَسْكَن اليبوسة في المِرّة السوداء ، ومسكنَ الرطوبة في الدم، ومسكنَ البرودة في البلغم ، ومسكنَ الحرارة في المِرّة الصفراء . فأيُّما جسدٍ ٱعتدلتْ فيه هذه الفِطَرُ الأربعُ ، فكانت كلُّ واحدةٍ منهنّ رُبُعاً لا يزيد ولا ينقص ، كملت صِحَّتُه وٱعتدل بُنيانه ؛ وإن زادتْ واحدةٌ منهنّ عليهنّ[4] ، وقهرتهن ، ومالتْ بهن ، دَخَل[5] على أخواتها السَّقَم من ناحيتها بقَدْر ما زادتْ ، وإذا كانت ناقصةً تقلّ عنهنّ مِلْن بها وعلَونها وأدخلن عليها السَّقَم من نواحيهنّ لغلبتهن[6] عليها ، حتى تضعفُ عن طاقتهن وتعجَزَ عن مُقاومتهن[7] .

٢٣٤٠ قال وَهْب : وجَعَل عَقْلَه في دماغه ، وشَرَهَه[8] في كُلْيَته ، وغضبَه في كَبِدَه ، وصَرامتَه في قلبه ، ورُعْبه في رِئته ، وضَحِكَه في طِحَاله ، وحزنَه وفرحَه في وجهه ، وجَعَلَ فيه ثلثمائةٍ وستين مَفصِلاً(١) .

---

(1) مص : بن ، خطأ .
(2) كب ، مص : نفساً وروحاً ، وهي رواية تأويل مختلف الحديث ٤١٧ .
(3) كب ، مص : الجسد .
(4) كب ، مص : غلبتهن .
(5) كب ، مص : ودخل .
(6) كب ، مص : لقلتها عنهن .
(7) كب : مقاربتهن .
(8) كب : سره .

---

(١) المفاصل : هي مناطق اتصال العظام بعضها ببعض ، ولها ثلاثة أنماط : مفاصل ثابتة لا تسمح بأي حركة ، كمفاصل الجمجمة . ومفاصل نصف متحركة تسمح بحركة محدودة ، كالمفاصل بين الفقرات . ومفاصل متحركة ، كمفاصل الأطراف .

٦٣/٢ ٢٣٤١ قال : حَدَّثني زيد بن أخزم[1] ، قال : حَدَّثنا بِشر بن عمر ، عن أبي الزِّناد ، عن[2] الأعرج :

عن أبي هريرة : عن النبيّ ﷺ قال : « كُلُّ ٱبنِ آدم تأكل الأرضُ إلا عَجْبَ الذَّنَب ، منه خُلِقَ ومنه[3] يُركَّب »(١) .

٢٣٤٢ وقالت الحكماء : الخَنَث يعترِي الأعراب والأكراد والزِّنج والمجانين وكلّ صنف إلا الخِصيان ، فإنه لا يكون خَصيٌّ مُخنَّث .

٢٣٤٣ وقالوا : كلُّ ذي ريح مُنْتنة ودَفْر[4] كالنَّسْر وما أشبهه ، [فإنه] إذا خُصي نَقَص نَتْنُه وذهبَ صُنانه ، غيرَ الإنسان فإنّ نَتْنَه يشتدُّ وصُنانه يَحِدُّ وعرقُه يخبُث وريحُه .

٢٣٤٤ وكلُّ شيء من الحيوان يُخصى فإنَّ عَظْمه يدِقُّ ، فإذا دَقَّ عظمُه ٱسترخى لحمه وتبرَّأ من عظمه ، خلا الإنسانَ فإنه إذا خُصي طال عظمُه وعرُض .

٢٣٤٥ وقالوا : الخصيُّ والمرأة لا يَصْلَعان .

٢٣٤٦ والخصيُّ تطول قدمه وتعظمُ ، وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم بِرذَون(٢) رقيق الحافر فخَصَاه فجاد حافرُه ؛ ٱعتبر ذلك بالإنسان إذا خُصي عظُمت رِجله .

٢٣٤٧ قالوا : والخصيُّ يشتدُّ وقْعُ رِجْلِه لأن معاقدَ عَصَبِه تسترخي ، ويعتريه الاعوِجاج والفَدَع(٣) في أصابعه . وتُسْرع دَمْعتُه ، ويتخدَّدُ جلده ، ويُسْرع غضبُه ورضاه ، ويضيق صدرُه عن كتمان السرّ .

---

(1) كب : أحزم ، تصحيف .
(2) كب ، مص : عن أبيه عن الأعرج ، خطأ .
(3) كب ، مص : فيه ، تصحيف .
(4) كب ، مص : ذفر كالتيس . وعوَّلنا في قراءة النص على الجاحظ في الحيوان ١/١٠٦ .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
عجب الذنب : أصله ، وهو رأس العصعص ، عظم لطيف في أصل الصلب . أي يجعله الله تعالى سبباً ظاهراً لإنشاء الخلق مرة أخرى .
(٢) البرذون : يطلق على غير العربي من الخيل والبغال ، ويمتاز بعظم الخلقة ، وغلظ الأعضاء ، وقوة الأرجل ، وقوة الحوافر .
(٣) الفدع : الميل والعوج في المفاصل كأنها قد فارقت مواضعها ، وأكثر ما يكون ذلك في رسغ اليد أو القدم .

٢٣٤٨ ويزعم قوم أنّ أعمارهم تطول لترك الجِماع ، قالوا : وتلك عِلّةُ طول عمر البغل .
وقالوا : علةُ قِصَرِ عمرِ العُصْفُور كثرةُ سِفَاده(١) .

٢٣٤٩ وقالوا : وشأنُ الغريق إذا كان رجلاً ثم ظَهَر على الماء أن يظهر على قَفَاه ، وإن كان آمرأةً أن تظهر على وجهها(٢) .

٢٣٥٠ والرجل إذا ضُربت عنقُه سَقَط على وجهه ، ثم يقلِبه ذَكَرُه إذا آنتفخ .

٢٣٥١ قالوا : وفي الغِلْمان من لا يحتلم أبداً ، وفي النساء من لا تحيض أبداً ، وذلك عيب .

٢٣٥٢ وفي الناس من لا يسقط ثَغْره ولا يستبدِل منه ، منهم عبد الصَّمَد بن عليّ ، ذكروا أنه دخل قبرَه برواضِعه .

٢/ ٦٤ ٢٣٥٣ والضَّبّ لا تسقط له سِنٌّ ، وكذلك الخِنزير لا يُلقي شيئاً من أسنانه ، ولذلك[1] تقول العرب في مَثَلٍ لها : « لا آتيك سِنَّ الحِسْل »(٣) يريدون لا آتيك أبداً .

٢٣٥٤ وتقول الأطبّاء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته على الله .

٢٣٥٥ ويقول[2] بعضهم : إن الجنين يغتذي دمَ الحيض ، يسيل إليه من السُّرَّة بغذائه ؛ قالوا[3] : ولذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض(٤) . والعرب تقول : حملتْ فلانةٌ سهْواً ، إذا حاضت على الحَمْل . قال الهُذَليّ يمدح رجلاً :

---

(1) كب : كذلك .
(2) في هامش كب : فائدة غريبة .
(3) مص : وقالوا لذلك .

---

(١) السفاد : النكاح .
(٢) انظر ما سيأتي برقم ٢٣٨٥ .
(٣) الحسل : ولد الضب .
(٤) تقوم المشيمة ، وهي كتلة من الأوعية الدموية منغرسة في بِطانة الرحم ، بتوصيل الغذاء والأوكسجين إلى الجنين ونَزْع فضلاته عبر الحبل السُّرّي . والحامل لا تحيض لأن أنواع الهرمونات في جسمها تتغير لتناسب الحمل الذي يتطلب هرمونات ثابتة غير متبدلة . ومن تحيض من الحوامل فلأن رحمها ذو قرنين : أي جهة فيها الجنين ، وجهة للإحاضة ، وهذا نادر في النساء .

ومُبـرَّأً مِـنْ كُـلِّ غُبَّـرِ حَيْضـةٍ ورَضَاعِ مُغْيلَةٍ ودَاءِ مُعْضِلِ[1](١)

فأعلَمك أنها لم تر عليه دمَ حيضٍ في حملها ، ودلَّ على أنه قد يكون .

قالوا: فإذا خَرَج الجنينُ من الرَّحِم دفعتِ الطبيعةُ ذلك الدمَ الذي كان يغتذيه إلى الثَّدْيين، وهما عُضوان ناهِدان[2] عَصبيَّان، فغيَّراه وجعلاه لبناً. يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

٢٣٥٦ قالوا : والإنسان يعيش حيث تحيا النارُ ، ويتلَف حيث لا تبقى النارُ . وأصحاب المعادن(٢) والحفائر إذا هجموا على نَفَقٍ في بطنِ الأرض أو مَغَارة قدَّمُوا شَمْعة في طَرَف قَناة ، فإن ثبتت النار وعاشتْ دخلوا في طَلَب ما يريدون ، وإلَّا أمسكوا .

٢٣٥٧ والعرب تتشاءم بِبِكْر ولد الرجل إذا كان ذكراً ، وكان قيس بن زهير أزرق بِكْراً بين بِكْرين .

٢/٦٥ ٢٣٥٨ حَدَّثني ابنُ[3] عائشة ، عن حمَّاد ، عن قَتَادة :

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : بِكْر البِكْرين شيطان مخلَّد ، لا يموتُ إلى يوم القيامة ـ يعني من الشياطين ـ .

٢٣٥٩ قالوا : وأبن المذكَّرة من النساء ، والمؤنَّث من الرجال ، أخبثُ ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أُمّه .

٢٣٦٠ والعرب تذكرُ أن الغَيْرَى لا تُنجِب ؛ قال عمرو بن مَعْدِي كَرِب[4] :

أَلَسْـتَ تَصِيـرُ[5] إذا مـا نُسِبْـ ـتَ بين المُغَارَةِ والأَحْمَقِ(٣)

---

(1) كب : معظل .
(2) كب : باذان ، تصحيف باديان .
(3) كب ، مص : محمد بن عائشة ، تحريف .
(4) مص : معديكرب ، وكلاهما صواب .
(5) كب : قصيرا .

---

(١) البيت في تأبط شراً ، وسيأتي مع أبيات برقم ٢٣٦٥ .
الغبر : البقية ، يقول : حملت به وهي طاهر ، ليس بها بقية حيض . والمغيلة : التي ترضع ولدها على حبل . وداء معضل : الشديد المعيي ، الذي يعجز الأطباء فلا دواء له . يصفه بصحة الجسم ووفور الصحة .

(٢) المعادن : جمع معدن (بكسر الدال) ، وهو الموضع الذي تستخرج منه جواهر الأرض . وإطلاقه على ما يستخرج مجاز .

(٣) المغارة : المرأة التي أغارها زوجها بتزوجه عليها فثارت نفسها لانصرافه عنها .

٢٣٦١ وقال بعض الحكماء : كلُّ امرأةٍ أو دابّةٍ تُبطيء عن الحَبَل ، إذا واقَعَها الفحلُ في الأيام التي يجري الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله .

٢٣٦٢ قال عُبيد الله بن الحسن : إذا أردتَ أن تُذْكِر المرأةُ فأغْضِبْها ثم قَعْ عليها .

٢٣٦٣ وقال الحارث بن كَلَدة : إذا أردتَ أن تحبَل المرأة فمشِّها في عَرْصة الدار عشرةَ أشواط ، فإنّ رَحِمها ينزل فلا تكاد تُخلف .

٢٣٦٤ والعرب تقول : إن المرأة إذا لَقِحَتْ في قُبُل الطُّهر[١] ، في أوّل الشهر عند تبلّج الفجر ثم أذْكرت[٢] ، جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِحَتْ في الهِلالِ عَنْ قُبُلِ الطُّهْـ ـرِ وقَـدْ لاحَ للصَّبَـاحِ بَشِيـرُ

٢٣٦٥ ويقولون : إذا أكره الرجلُ المرأة وهي مذعورة ثم أذْكَرت أنجبت ؛ قال أبو كبير الهُذَليّ :

حَمَلَـتْ بـهِ فـي لَيْلَـةٍ مَـزْءُودَةً كَرْهاً وعَقْدُ نِطَاقِهَا لم يُحْلَلِ[٣]
فَـأَتَـتْ بـهِ حُـوشَ الجَنَـانِ مُبَطَّناً سُهُداً إذا ما نامَ(1) لَيْلُ الهَوْجَلِ[٤]
ومُبَـرَّأً مِـنْ كُـلِّ غُبَّـرِ حَيْضَـةٍ ورَضَـاعِ مُغْيِلَـةٍ وداءِ مُعْضِـلِ

يقول : لم تر عليه في حملها دماً باقياً من حيضةٍ ، ولا حملته وهي تُرضع ، ولا أرضعته وهي حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتَسِبُّ به ، وقال رسول الله ﷺ : « لقد همَمتُ أن أنْهَى عن الغِيلة ، ثم ذكرتُ أن فارسَ والرومَ يفعلونه فلا يَضرُّهم » ، وفي حديث آخر : « إنه ليُدرك الفارسَ فيُدَعْثِره »[٥] أي يطرحه . ٦٦/٢

٢٣٦٦ حَدَّثني إسحاق بن راهَوَيْه ، قال : أخبرنا يحيى بن آدم :

---

(1) كب : قام .

---

(١) قبل الطهر : أوله .
(٢) أذكرت : أنجبت ذكراً .
(٣) الأبيات في تأبط شراً ، ومضى الأخير منها قريباً برقم ٢٣٥٥ والمزؤدة : الفزعة ، المذعورة .
(٤) حوش الجنان : حديد القلب ، ذكي الفؤاد . والمبطن : الخميص البطن ، الضامر الحشا . والعرب تمدح السادة بضمر الحشا من قلة المطعم والبعد عن الشره . وقوله : سهداً ، أي قليل النوم ، لا ينام الليل ، فهو يقظان . الهوجل : البطيء الثقيل .
(٥) الحديثان صحيحان ، ورويا حديثاً واحداً بمفرده ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب . يدعثره : يصرعه ويسقطه ، وأصله في الكلام : الهدم ، يقال في البناء : قد تدعثر ، إذا تهدم وسقط .

عن الحسن ، قال : رأيت جَدّةً ٱبنةَ إحدى وعشرين سنة .

٢٣٦٧ قال : وأوّلُ أوقاتِ حمل المرأة تسعُ سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله ﷺ بعائشة وهي بنت تسع(١) .

٢٣٦٨ وقال عبد الله بن صالح : حَدَّثني اللّيث ، عن ٱبن عَجْلان ، أن ٱمرأته حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملاً ثم ولدت له، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت.

٢٣٦٩ قال اللَّيث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاثَ سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داءٌ ثم ولدت غلاماً ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا .

٢٣٧٠ وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أُمّه لثمانية أشهر ، ولذلك لا يولَد مولود لثمانية أشهر فيعيش .

٢٣٧١ وروى زيد بن الحُبَاب ، عن أبي[1] سِنان ، قال :

حَدَّثني ثابت بن جابان العِجْلي ، أن الضَّحّاك بن مُزاحم وُلد وهو ٱبن ستة عشر شهراً .

٢٣٧٢ فأما يزيد بن هارون ، فإنه رَوَى عن جُوَيبر ، أن الضحّاك وُلد لسنتين .

٢٣٧٣ ووُلد شُعْبة لسنتين .

٢٣٧٤ حَدَّثنا الرِّياشيّ ، أو رجل عنه ، قال : حَدَّثنا أبو عاصم ، عن عبد الله بن مُؤمَّل ، عن ٱبن أبي مُلَيكة ، أن عمر رحمه الله قال(٢) : يا بني السائب ، إنكم قد أضْويتُم فٱنْكِحوا في النزائع(٣) .

٦٧/٢ ٢٣٧٥ قال : وقال الأصْمَعيّ ، قال رجل : بناتُ العمّ أصبر ، والغرائبُ أنجب ، وما ضَرَب رؤوسَ الأبطال كٱبن عَجَميّة(٤) .

---

(1) قرأتها مص : ابن ، خطأ .

---

(١) سيأتي برقم ٥٤٣٠ كتاب النساء ، والخبر صحيح ، وسيأتي تخريجه .
(٢) سيأتي برقم ٥٤٣٨ كتاب النساء .
(٣) أضوى الرجل : ولد له غلام ضاوٍ ، أي ضعيف . والنزائع : جمع نزيعة ، وهي المرأة التي تزوج في غير عشيرتها .
(٤) سيأتي برقم ٥٤٣٩ كتاب النساء .

٢٣٧٦ والعرب تقول : أغتربوا لا تُضْوُوا . ـ أي أنكِحُوا في الغرائب ، فإن القرائب يُضوين الأولادَ ؛ قال الشاعر :

إنَّ بِـلالاً لـم تَشِنْـهُ أُمُّـهْ ... لم يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وعَمُّهْ

وقال آخر :

تَنَجَّبْتُهَـا للنَّسْـلِ وهْـيَ غَـرِيبَـةٌ ... فَجَاءَتْ بِهِ كالبَدْرِ خِرْقاً مُعَمَّما(١)

فلو شَاتَمَ الفِتْيانَ في الحَيِّ ظَالماً ... لَمَا وَجَدُوا غَيْرَ التَّكَذُّبِ مَثْلَمَا[1]

٢٣٧٧ وكان يقال : أنجبُ النساءِ الفَرُوك ، لأن الرجل يغلِبها على الشَّبه لزهدها في الرجال(٢) .

٢٣٧٨ وحَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، أن المُنْجِبة [هي] التي تَنْزِعُ بولدها إلى أكرم الجَدّين .

٢٣٧٩ أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال : حَدَّثنا حَرْبُ بن قَطَن ، قال :

يقال : إن الرجل يستفرغ ولد أمرأتين ، يُولد له وهو أبن تسعين سنة .

٢٣٨٠ وقالت عائشة : [لا تلد] أمرأةٌ بعد خمسين سنة .

٢٣٨١ قال الحكماء : الزِّنج شِرارُ الخلق وأردؤهم تركيباً ، لأن بلادهم سَخُنت فأحرقتهم الأرحام ، وكذلك من بَرَدت بلاده فلم تَطبُخه الأرحام ، وإنما فَضَل أهلُ بابِلَ لعلّة الاعتدال .

٢٣٨٢ قالوا : والشمسُ شيَّطت شعورَهم فقَبَّضتها ، والشَّعرُ إذا أدنيته إلى النار تجعّد ، فإنْ زدته تفلّفل ، فإن زدته أحترق .

---

(1) كب ، مص : مسلما .

---

(١) الخرق : الفتى الظريف في سماحة ونجدة ، السخي ، المتخرق في الكرم المتسع فيه . وهو الذي ينغمس في لهب الحرب ثم يخرج ، ثم يعود ، فينغمس ثم يخرج ، يخترق شواجر الأسنة والرماح والسيوف سالماً ، ثم ينفذ ثم يعود . والمعمم : السيد ، والعرب تقول للرجل إذا سُوِّد : قد عُمِّم ، ويعممونه بعمامة حمراء ، وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال له : متوَّج .

(٢) الفروك : المبغضة لزوجها . يقال : فَرَكت المرأة زوجها ، إذا أبغضته وكرهته ، ولا يكاد يقال ذلك في غير الزوجين .

٢٣٨٣ وقالوا : أطيب الأمم أفواهاً الزَّنج وإن لم تستنّ(١) . وكل إنسان رطْبِ الفم ، كثيرِ الريق ، فهو طيّب الفم ؛ وخُلُوفُ فم الصائم يكون لخُثُورة الريق ، وكذلك الخُلوف(٢) في آخر الليل .

٢٣٨٤ وقالت الحكماء : كلُّ الحيوان إذا أُلقي في الماء سبَح ، إلا الإنسانَ والقِردَ والفرسَ الأعسرَ ، فإن هذه تغرَق ولا تسبَح إلا أن يتعلّم الإنسان السِّباحة .

٦٨/٢

٢٣٨٥ قالوا(٣) : والرجل إذا ضُربتْ عنقُه فأُلقيَ في الماء قام في وسَط الماء وانْتصب ، ولم يلزم القَعْرَ جارياً كان الماء أو ساكناً ، حتى إذا جيَّف انقلب وظَهَر بدنُه كلّه مُستلقياً ، إلا المرأة فإنها تظهر مُنْكَبَّةً على وجهها .

٢٣٨٦ وقالوا : كل مَن قُطِعت يداه لم يُجِد العدْوَ ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجِد الطيرَان .

٢٣٨٧ قالوا : وليس في الأرض هاربٌ من حربٍ أو غيرها يَستعمِل الحُضْرَ(٤) إلا أخَذ عن يساره ، إلا أن يترك عزمه أو سَوْمَ طبيعته ؛ ولذلك قالوا : فجاءك على وَحْشيِّه(٥) ، وأنحى[1] على شُؤْمَى يديه(٦) .

٢٣٨٨ وقالوا : كلُّ ذي عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشيّة والإنسية فإنما الأشفارُ لجَفْنه الأعلى ، إلا الإنسانَ فإن الأشفار ـ نعني الهُدْبَ ـ لجفنه[2] : الأعلى والأسفل .

٢٣٨٩ قالوا[3] : وليس في الأرض إنسانٌ إلا وهو يطرب من صوت نفسه ، ويعتريه الغلط في شعره و[في] ولده ؛ قال الطائيّ :

---

(1) كب : ألحى ، تصحيف ألح .
(2) مص : لجفنيه .
(3) كب : قال ، مص : قالوا ليس .

---

(١) تستن : تستاك ، يقال : استنَّ الرجل ، وسَنَّ أضراسه .
(٢) خثورة الريق : جفافه . والخلوف : تغير رائحة الفم ، وأصلها في النبات أن ينبت الشيء بعد الشيء لأنها رائحة حديثة بعد الرائحة الأولى .
(٣) انظر ما مضى برقم ٢٣٤٩ .
(٤) الحضر : الوثب في العدو لشدة الجري .
(٥) وحشي كل شيء : شقه الأيسر .
(٦) أنحى : اعتمد . وشؤمى اليدين : اليسرى .

ويُسيءُ بالإحْسَانِ ظَنّاً لا[1] كَمَنْ   هو بابْنِهِ وبشِعْرِهِ مَفْتُونُ(١)

٢٣٩٠ وقالوا : كلُّ ذي جِلْد فإنَّ جِلْدَه ينسلخ إلّا جِلْدَ الإنسان ، فإنه لا ينسلح كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبَعُه .

٢٣٩١ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، عن ٱبن أبي طَرَفة الهُذَليّ :

عن جُنْدُب بن شُعَيب ، قال : إذا رأيتَ المولودَ قبل أن يغتذيَ من لبن أُمّه فعلى وجهه مصباحٌ من البيان(٢) .

يريد أن ألبان النساء تُغيِّره ، ولذلك قولهم : اللبن يُشتَبه عليه ، يراد أنه يَنزِعُ بالمولود في شبه الظِّئر(٣) ؛ قال الشاعر :

لم أرْضَعِ الدَّهْرَ إلّا ثَدْيَ واحِدَةٍ   لِوَاضِحِ الوَجْهِ يَحْمي سَاحَةَ الدَّارِ(٤)

٢٣٩٢ وحَدَّثني الزِّياديّ ، قال : حدّثنا عبد الوارث ، عن يونس : ٦٩/٢

عن الحسن : أن عُمر أُتي بٱمرأة ولدت لستة أشهر فهَمَّ بها ، فقال له عليّ : قد يكون هذا ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] وقال : ﴿ ۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

٢٣٩٣ أبو حاتم ، عن الأصمْعيّ ، قال :

ٱختصم رجلان في غلامٍ كلاهما يَدَّعيه ، فسأل عمرُ أمَّه ، فقالت : غَشِيني أحدُهما ثم هَرَقْتُ دماً ، ثم غَشِيني الآخر . فدعا عمرُ قائفين فسألهما ، فقال أحدهما : أأُعْلِنُ أم أُسِرُّ ؟ قال : أَسِرَّ . قال : ٱشتركا فيه . فضربه عمر حتى ٱضطجع ، ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ، فقال : ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون ، وقد علمتُ أن الكَلْبة يسفِدها الكلابُ فتُؤدي إلى كلّ فحل نجْلَه(٥) .

---

(1) كب : كل من .

---

(١) أي هو يستقل لك الكثير ، والبيت من قصيدة في الخليفة الواثق بالله بن المعتصم .

(٢) البيان : الصفاء وإشراق اللون .

(٣) الظئر : المرضعة .

(٤) واضح الوجه : حسن الوجه ، أبيض بسام .

(٥) سيأتي قول عمر برقم ٢٥٢١ غير منسوب . والقائف : الذي يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

٢٣٩٤ ورُكَب الناس في أرجلهم ، ورُكَب ذوات الأربع في يديها .

٢٣٩٥ وكل طائر كفُّه في رِجْليه .

* * *

ما نقَص خَلْقُه من الحيوان

٢٣٩٦ حَدَّثني أبو حاتم ، عن أبي عُبيدة ، قال : الفَرَسُ لا طِحَال له .

٢٣٩٧ والبعيرُ لا مَرَارة له .

٢٣٩٨ والظليمُ لا مُخَّ لعَظْمه ، قال زهير :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ[1] مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ(١)

٢٣٩٩ وكذلك طير الماء وحِيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدْمغة .

٢٤٠٠ وصَفَن البعير لا بَيضة فيه(٢) .

٢٤٠١ والسَّمَكة لا رِئة لها ، ولذلك لا تتنفّس ، وكل ذي رِئة يتنفّس .

* * *

(1) كب : صقل .

(١) كأن الرحل منها : أي من هذه الناقة ، وقد وصفها في أبيات سابقة . والرحل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب . الصعل : الظليم ، وهو ذكر النعام ، شبه به الناقة في سرعتها ، والظليم دقيق العنق ، صغير الرأس . الجؤجؤ : الصدر . هواء : خال ، كأنه لا قلب له ، وإنما أراد أنه ليس له عقل ، وكذلك الظليم هو أبداً كأنه مجنون . يقول : كأن بناقته هوجاً لنشاطها .

(٢) الصفن : وعاء الخصية .

المشتَركاتُ من الحيوان

٢٤٠٢ الرَّاعبي[1] : بين الوَرَشان والحمامة[2](١) .

٢٤٠٣ والبَخَاتيّ من الإبل : بين العِرَاب والفَوَالج(٢) .

٢٤٠٤ والحمير الأخْدَرِيّة : من الأخْدَر ، وهو فرس كان لأرْدَشِير[3] ، توحّش فحمَى عانَاتٍ(٣) من الحمير فضَرَب فيها ، وأعمارُها كأعمار الخيل .

٢٤٠٥ والزَّرَافة : بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشيّة وبين الضِّبْعان ، واسمها اشْتُرْكَاو بَلَنْكَ[4] أي بين الجمل [5]والبقرة والضَّبُع[5] . وذلك أن الضِّبعان ببلاد الحبشة يسفِد الناقة فتجيء بولد خَلْقُه بين الناقة والضَّبُع ، فإن كان ولدُ الناقة ذَكَراً عَرَض للمَهَاة[6] فألقحها [فتلد] زَرَافة ، وسُمِّيت زَرَافة لأنها جماعة وهي واحدة ، كأنها جمل وبقرة وضبُع ، والزَّرافة في كلام العرب الجماعة .

٢٤٠٦ وقال صاحب المنطق : الكلاب تسْفِدها الذِّئاب في أرض سَلُوقيّة(٤) ، فيكون منها[7] الكلاب السَّلُوقيّة .

* * *

---

(1) مص : الراعي .
(2) كب : اليمامة، والتصحيح عن الجاحظ في الحيوان ١/ ١٣٧ .
(3) كب : لأزدشير .
(4) كب : اشتركلنك . . الحمل .
(5 - 5) كب : الكركي ، مص : الكركند . والتصحيح عن حيوان الجاحظ ١/ ١٤٢ .
(6) كب : للمهرة .
(7) كب : بينها .

---

(١) الراعبي : ضرب من الحمام ترعُب في صوتها ، أي ترفع هديلها بشدة . والورشان : أكبر قليلاً من الحمامة ، يستوطن أوربة ويهاجر في جماعات إلى العراق والشام .
(٢) البخاتي : جمع بختي ، وهي الإبل الخراسانية ، توصف بطول الأعناق ، وهي من مراكب الأمراء . والعراب : الإبل المنسوبة إلى العرب . والفوالج : جمع فالج ، وهو جمل ضخم ذو سنامين ، يحمل من السند للفحلة .
(٣) العانات : جمع عانة ، وهي القطيع من حمر الوحش .
(٤) سلوقية : هي اليوم «السويدية»، مدينة في وادي العاصي الأدنى، تتبع لواء الإسكندرونة، وتبعد عن مدينة إنطاكية ١٨كم في اتجاه الجنوب الغربي . وهي في الأصل مدينة كنعانية ومرفأ لمملكة آلالاخ (١١٩٤ ق.م)، وقد أعاد سلوقس نيكاتور أحد قواد الإسكندر تأسيسها عام ٣٠١ق.م وسماها باسمه «سلوقية».

٢٤٠٧ بين البُوم والغُراب عداوة(١) .

٢٤٠٨ وبين الفأرة والعقرب عداوة(٢) .

٢٤٠٩ وبين الغراب وأبن عِرْس عداوة(٣) .

٢٤١٠ وبين الحِدأَة والغُدَاف عداوة(٤) .

٢٤١١ وبين العنكبوت وبين العَظَاءة[1] عداوة(٥) .

٢٤١٢ وبين الحيّة وبين أبن عِرس عداوة(٦) .

٢٤١٣ وبين أبن آوَى والدَّجاج عداوة(٧) .

٢٤١٤ وبين السِّنَّور والحمَام عداوة(٨) .

٣٤١٥ وبين البُوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البُومة رديَّة البصرِ ذليلةٌ بالنهار ، فإذا كان

---

(1) كب : العضاه .

---

(١) وذلك لأن الغراب يخطف بيض البومة نهاراً، لأنها تكون رديئة النظر ، وتشد هي على بيضه ليلاً فتأكله، وفي الليل لا يقوى عليها شيء من الطير (الحيوان ٢/ ٥٠) .

(٢) وذلك لأن الفأرة تحتال على العقرب فتقرض إبرتها ، فإما أن تموت العقرب من ساعتها ، لأن حتفها في إبرتها ، وإما أن تضربها العقرب ضرباً كثيراً فتستنفد سمها ، فتقتلها الفأرة كيف شاءت ، وتأكلها كيف أحبت .

(٣) وذلك لأنه يأكل بيضه وفراخه .

(٤) الغداف : الغراب ، وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . والحدأة تخطف بيض الغداف ، لأنها أشد مخالب وأسرع طيراناً .

(٥) العظاءة : تعرف بالسحلية ، ومن أنواعها الضّباب وسوام أبرص ونسميه بدمشق أبو بريص . وهي تأكل العنكبوت .

(٦) ابن عرس : دويبة كالفأرة ، تفتك بالدجاج ونحوها . وسبب عداوتها للحية لأن مأواهما في بيت واحد .

(٧) ابن آوى : أصغر حجماً من الذئب ، وهو طويل المخالب والأظفار ، وخوف الدجاج منه أشد من الثعلب .

(٨) السنور : القط ، وعداوته للفأر أشهر ، فهي من خير مآكله .

الليل لم يقْوَ عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتِف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصِبها للطير .

٢٤١٦ وبين الحمار وبين عُصفور الشوك عداوة ، ومتى نَهِقَ الحمار سَقَطَ بَيض عصفور الشوك[١] .

٢٤١٧ وبين الحمار وبين الغراب عداوة[٢] .

٢٤١٨ وبين الحيّة والخنزير عداوة[٣] .

٢٤١٩ والغراب مصادق للثعلب[٤] .

٢٤٢٠ والثعلب مصادق للحيّة[٥] .

٢٤٢١ والجمل يكره قُرب الفرس أبداً ويقاتله[٦] .

٢٤٢٢ وبين الأسد وبين الفيل عداوة .

٢٤٢٣ ويقال : إنّ الأسد والنَّمر مختلفان ، والأسد والبَبْرُ متّفقان[٧] .

* * *

---

(١) الحمار يدخل الشجر والشوك ، فربما زاحم الموضع الذي فيه عُشُّ عصفور الشوك وبدده ، وإذا نهق الحمار سقط فرخه أو بيضه من جوف عُشِّه ، ولذلك إذا رآه العصفور رَنَّق فوق رأسه ، وعلى عينيه ، وآذاه بطيرانه وصياحه ، وربما نقر عينيه (الحيوان ٥/ ٢٢٥) .

(٢) الغراب يطير حول الحمار ، وربما نقر عينيه (الحيوان ٢/ ٥٢) .

(٣) الخنزير يأكل الحيات .

(٤) الصحيح أن الغراب مصادق للذئب ، وهما لا يختلفان ، لأن الذئب إذا أغار على غنم تبعه الغراب ليأكل ما فضل منه . وفي المَثَل : « هما كالغراب والذئب » ، يضرب للرجلين بينهما موافقة فلا يختلفان (حياة الحيوان ٢/ ١٧٩) .

(٥) لأن الثعلب يصيد القنفذ فيأكله ، والقنفذ عدو الحية يصيدها فيأكلها (الحيوان ٦/ ٣١٣ ، حياة الحيوان ١/ ١٧٥) .

(٦) لأن الجمل يألف جماعته ، فلا يدع أحداً يدنو منها .

(٧) الببر : ضرب من السباع ، مخطط ، يشبه النمر ، واتفق مع الأسد لأنه يعينه على النمر .



الأمثال المضروبة بالطبائع

٢٤٢٤ يقال : فلان « أسمعُ من قُراد » ، والقِردان تكون عند الماء ، فإن قَرُبت الإبل منها تحرّكت وانتعشت ، فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل[١] .

٢٤٢٥ و « أسمعُ من فرس » .

٢٤٢٦ و « أحزم من فرخ العُقاب » ، وذلك أنه يكون في عُرْض الجبل فلا يتحرّك فيسقط[٢] .

٢٤٢٧ و « أحلم من حيّة » . ٢/ ٧٢

٢٤٢٨ و « أهدى من قَطَاةٍ وحَمامة »[٣] .

٢٤٢٩ و « أخَفُّ رأساً من الذئب »[٤] .

٢٤٣٠ و « أنوم من فَهْدٍ » .

٢٤٣١ و « أظلم من حيّةٍ » ، وذلك لأنها تدخل جِحَرَةَ الحَشَرات وتُخرجها .

٢٤٣٢ و « أحذرُ من غراب »[٥] .

٢٤٣٣ و « أصنع من تَنَوُّطٍ » ، وهو طائر يصنع عُشاً مُدَلًّى من الشجر .

---

(١) القراد : جمع قُرادة ، وهي دويبة متطفلة ، ذات أرجل كثيرة ، تعيش على الدواب والطيور .

(٢) العقاب تتخذ أوكارها في عرض الجبال ، فربما كان الجبل عموداً ، فلو تحرك فرخ العقاب إذ طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما ، أو زاد في حركته شيئاً من موضع مجثمه ، لهوى من رأس الجبل إلى الحضيض . فهو يعرف مع صغره وقلة تجربته أن الصواب له في ترك الحركة ، وانظر ما سيأتي برقم ٢٤٤٩ .

(٣) القطاة : واحدة القطا ، وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء ، ويطير جماعات ويقطع مسافات شاسعة .

(٤) زعموا أن الذئب لا ينام كل نومه لشدة حذره ، وإذا نام فتح إحدى عينيه .

(٥) زعموا أن الغراب قال لابنه : يا بني ، إذا رُميت فتلَوَّص . ـ أي تحرك يمنة ويسرة لتحيد عن الرمية ـ فقال : يا أبت ، إني أتلوَّص قبل أن أُرمى .

٢٤٣٤ و « أصنع من سُرْفةٍ » ، وهي دُوَيْبة[1] تعمل بيتا من قطَع العِيدان(١) .

٢٤٣٥ و « أسرق من زَبَابةٍ » ، وهي فأرة برِّيّة(٢) .

٢٤٣٦ و « أسرق من كُنْدُشٍ » وهو العقْعَق(٣) .

٢٤٣٧ ويقال أيضاً : « أحمق من عَقْعَقٍ » ، لأنه من الطير الذي يُضيّع فِراخَه .

٢٤٣٨ و « أخرقُ من حمامةٍ » ، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشّ ، فربما وقع البيض فأنكسر ؛ قال عَبيدُ بن الأبرص :

عَيُّــوا بــأمْــرِهِــمُ كَمَــا ... عَيَّــتْ بِبَيْضَتِهَــا الحَمَــامَــهْ
جَعَلَــتْ لَهــا عُــودَيْــنِ مِــنْ ... نَشَــمٍ وآخَرَ مِنْ ثُمَامَهْ(٤)

يقول : قَرَنت النَّشمَ بالثُّمام وهو ضعيف فتكسّر ، ووقع البيض فانكسر .

= وفي الإنجيل أنّ المسيح عليه السلام قال للحَواريّين : كونوا حُلَماء كالحيّات وبُلْهًا(٥) كالحمام .

٢٤٣٩ و « أعقّ من ضَبّ » لأنه يأكل ولده من الجوع .

٢٤٤٠ و « أبرّ من هِرّة » ، وهي تأكل ولدها من شدّة محَبّته(٦) .

٢٤٤١ و « أرْوَغُ من ثَعْلَبٍ » .

---

(1) كب : دود .

---

(١) السرفة : دودة القز ، وسيأتي المثل برقم ٢٦٥٨ .
(٢) سيأتي برقم ٢٦٠٥ .
(٣) العقعق : من الفصيلة الغرابية ، على قدر الحمامة ، وهو صخّاب ، له ذنب طويل ، ومنقار طويل . (وانظر ما مضى برقم ٢٠٩٦) .
(٤) النشم : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . وثمامة : واحدة الثمام ، وهو خيطان صغار العيدان الدقاق ، تأكله الإبل والغنم . يقول : جعلت لها عودين ، عوداً من نشم وآخر من ثمامة ، فحذف الموصوف وأقام صفته مقامه . أراد أنهم لم يدروا كيف يصنعون بأمرهم كما لم تدر الحمامة كيف تصنع ببيضتها ، وذلك أن الحمامة تضع بيضها بين عودين : رخو وصلب ، فهو على خطر .
(٥) البله : جمع أبله ، وهو الغافل عن الشر ، المطبوع على الخير . والخبر مضى برقم ١٤٩١ كتاب السؤدد ، وسيأتي بتمامه برقم ٣٤٣٠ كتاب الزهد .
(٦) قال الجاحظ : الهرة تعرف ولدها وإن صار مثلها ، وإن أُطعمت شيئاً حملته إليه وآثرته به . وربما أُلقي إليها الشيء فتدنو لتأكله ، ويُقبل ولدها ، فتُمْسك عنه وترضُه له (الحيوان ٢/٢٦٢) ولهذا قيل أبر من هرة ، عنوا ما بها من خلة الإيثار على نفسها .

٢٤٤٢ و « أمْوَقُ من رَخْمَةٍ »(١) .

٢٤٤٣ و « أزْهَى من ذُبابٍ » ، لأنه يقع على أنف الملك وتاجه .

٢٤٤٤ و « أصنعُ من الدَّبْر » ، وهي النَّحل .

٢٤٤٥ و « أسمحُ من لافظةٍ[1] » ، ويقال : هي العَنْز تسمحُ بالحَلْب ، ويقال : الرَّحا ، لأنها تلفِظ ما تطحَنه لا تحبس منه شيئاً .

٢٤٤٦ و « أصْرَدُ من عين حِرْباء »(٢) .

٢٤٤٧ و « ألجّ[2] من الخُنْفساء » .

٢٤٤٨ و « أخْيَل[3] من مُذَالةٍ » ، وهي الأمَة تُهان وهي تتبختر .

٢٤٤٩ و « أحلم من فرخ الطائر »(٣) .

٢٤٥٠ و « أكيسُ من قِشّةٍ » ، وهي القِرْدة .

٢٤٥١ و « أجبن من صافرٍ » ، وهو ما صفَر من الطير ، ويقال : هو الصّافر بالمرأة للريبة(٤) .   ٢/ ٧٣

٢٤٥٢ و « أَنَمُّ[4] من صُبح »(٥) .

---

(1) كب : لاقطة ، وهي صحيحة ، إلا أن شرح ابن قتيبة يأباها . قال ابن أبي الحديد : أسمح من لاقطة ، يعنون الديكة ، فهو يلتقط الحبة فيحذف بها إلى الدجاجة سماحاً وإيثاراً ، إلا ديكة مرو ، فإنها تطرد دجاجها عن الحب وتنزعه من أفواهها فتبتلعه (شرح نهج البلاغة ٩/ ١٨٥) . وفي اللسان (لفظ) : اللافظة : البحر ، لأنه يلفظ بكل ما فيه من العنبر والجواهر ، والهاء فيه للمبالغة . وهو الديك ، لأنه يلفظ بما فيه إلى الدجاج . وهي الشاة ، تدعى للحلب وهي تعتلف فتلقي ما في فيها وتقبل إلى الحالب لتُحلب فرحاً منها بالحلب . وهي الأنثى من الطير ، تزق فرخها ، فتخرج ما في جوفها وتطعمه ، وكل ما زَقَّ فرخه هو لافظة . وهي الرَّحا ، سميت بذلك لأنها تلفظ ما تطحنه .

(2) كب ، مص : ألح ، بالحاء المهملة .   (3) كب : أحيل .   (4) كب : أتم .

---

(١) أموق : أحمق ، من المُوق وهو الحمق مع بلادة . وخصت الرخمة بالموق من بين الطير للؤمها ، ووضوح حمقها ، وقذارتها في مطعمها ، فهي تأكل البراز وتعيش على الجيفة .

(٢) أصرد: أبرد ، من الصرد (بفتحتين) البرد . والحرباء تستقبل الشمس أبداً بعينها تستجلب إليها الدفء .

(٣) وذلك لأنه يخرج من بيضه في رأس أرفع موضع من الجبل ، ولا يتحول من مكانه حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطير (وانظر ما مضى برقم ٢٤٢٦) .

(٤) قال المفضل الضبي : الصافر : الرجل يصفر للفاجرة ، فهو يخاف كل شيء . وقال الأصمعي : الصافر ما يصفر من الطير ، وإنما وصف بالجبن لأنه ليس من الجوارح (أمالي المرتضى ١/ ٤٥٥) ويظهر من عبارة الأساس أنهم أرادوا الوطواط ، قيل : هو طائر ينكس رأسه ليلاً ويتعلق برجليه وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ .

(٥) الصبح يهتك كل ستر ولا يكتم شيئاً .

٢٤٥٣ و « أبعد من بَيض الأَنُوق » ، والأنوق : الرَّخَمة تبيض في أعالي الجبال الشواهق[1] حيث لا يبلغه سَبُع ولا طائر .

٢٤٥٤ و « أشجع من لَيثِ عِفِرِّين » ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من ليثِ لُيوث تعفِر[2] من نازعها وتصرَعه . وقال الأصْمَعيّ : هو دابّة مثل الحِرْباء يتحدّى الراكبَ ويضربه بذَنَبه .

٢٤٥٥ و « أحنُّ من شارِفٍ » ، وهي الناقة المُسِنّة .

٢٤٥٦ و « أسرع من عَدْوَى الثُّؤَباء » .

٢٤٥٧ و « أروَى من النَّقَّاقة » ، وهي الضَّفادع(١) .

٢٤٥٨ و « أزنَى من قِرْدٍ » ، ويقول بعضهم : إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزِّنا .

٢٤٥٩ و « أخدع من ضَبّ »(٢) .

٢٤٦٠ و « أشأم من الزَّرْقاء » وهي ناقة(٣) .

* * *

(1) مص : والشواهق . (2) كب : تعقر .

(١) زعموا أن الضفدع لا ينقّ ولا يمكنه النقيق حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء (انظر ما سيأتي برقم ٢٦١٤ ، والحيوان ٥/ ٥٢٥) .

(٢) التخدع : التواري ، ومنه المخدع : وهو بيت في جوف بيت يتوارى فيه . والضب متوارٍ أبداً ، تطول إقامته في جحره ، فلا يظهر إلا قليلاً . وقيل : أخدع ، من الخديعة ، وهذا يكون من شدة حذره . وفي اللسان : الخِداع : الحيلة ، وخدع الضب : استروح ريح الإنسان فدخل في جحره لئلا يحترش .

(٣) الزرقاء : ناقة مشؤومة ، نفرت براكبها فذهبت في الأرض .

الأنعام

٢٤٦١ حَدَّثني يزيد بن عمرو ، عن عبد العزيز الباهليّ ، عن الأسود بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن جَدّه ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « ما خَلَقَ الله دابّة أكرم عليه من النَّعْجة » ، وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها(١) .

٢٤٦٢ قال[1] : حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، عن إهاب بن عُمَيْر ، قال : كان لنا جملٌ يعرف كَشْحَ الحامل من غير أن يَشُمَّهَا(٢) .

٢٤٦٣ قيل لابنة الخُسّ : ما تقولين في مائة من المَعز ؟ قالت : قِنًى(٣) . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى(٤) . قيل : فمائة من الإبل ؟ قالت : مُنًى . ٢/ ٧٤

٢٤٦٤ والعرب تضرب المثلَ في الصَّرْد بالمِعْزَى فتقول : « أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء »(٥) .

٢٤٦٥ وسئل دَغْفَلٌ عن بني مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَطيرة(٦) ، عَلَتْها[2] قُشَعْريرة ، إلا بني المُغِيرة ، فإنّ فيهم تشادُقَ الكلام ، ومُصاهَرَة الكِرام .

٢٤٦٦ وقالت العرب فيما تقول على ألسِنة البهائم : قالت المِعْزَى : الآسْتُ جَهْوَى ، والذنَبُ ألْوَى(٧) ، والجِلدُ رُقاق ، والشَّعَر دُقاق .

٢٤٦٧ قالوا : والضأْن تضع مرّة في السنة ، وتُفرد ولا تُتْئِمُ . والماعز قد تلد مرتين في

---

(1) مص : وقال .　　(2) كب ، مص : عليها .

---

(١) الإسناد مرسل ، والحديث ضعيف جداً ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي ، والناقة في حملها تستفيض خاصرتها ، فتمتنع عن الفحل ، وتعضُّه ، وهو يشمها ليعرف إن كانت حاملاً فلا يقع عليها . والناقة لا تلقح إلا إذا مضى لها ثلاث سنين .

(٣) قنى : جمع قنية ، بكسر القاف وضمها ، وهي ما اكتسب .

(٤) أي غنى لمالكه .

(٥) الصرد : البرد . والمعزى لا تدفأ لقلة شعرها .

(٦) مطيرة : أصابها المطر .

(٧) جهوى (بالقصر أو بالمد) : مكشوفة . وذنب ألوى : ملتو ، معوج خِلْقة ، على غير استقامة .

السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنَّماء والبَركة والعدد في الضأن .

٢٤٦٨ وكذلك الخنازير تضع الأنثى منها عشرين خِنَّوْصاً ولا نَمَاء فيها .

٢٤٦٩ ويقال : الجَوَاميس ضأنُ البقر ، والبُخْت ضأنُ الإبل ، والبراذين ضأنُ الخيلِ ، والجِرْذان ضأنُ الفأر ، والدُّلْدُل ضأنُ القنافذ ، والنمل ضأنُ الذَّرّ .

٢٤٧٠ ويقول الأطبّاء في لحم الماعز : إنّه يورث الهمّ ، ويحرّك السَّوداء ، ويُورِث النِّسيانَ ، ويُخَبِّل الأولادَ ، ويُفسد الدّم . ولحمُ الضأن يَضُرُّ بمن يُصْرَع من المرَّة إضراراً شديداً ، حتى يصرَعَهم في غير أوان الصَّرْع . وأوانُ الصَّرْع الأهِلَّة وأنصافُ الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مَدِّ البحر وزيادة الماء والدّم . ولزيادةِ القمرِ إلى أن يصير بدراً أثرٌ في زيادةِ الدَّمِ والدماغ وجميع الرُّطوبات ، قال الشاعر :

كَـأنَّ القَـوْمَ عُشُّـوا لَحْـمَ ضَـأنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ[1] قَدْ مَالَتْ طُلاهُمْ[(١)]

٢٤٧١ وفي الماعزة : إنها ترتضع من خِلْفِها وهي مُحَفَّلة[(٢)] ، حتى تأتي على كلّ ما فيه ؛ قال ابن أحمرَ :

٧٥/٢ إنِّي وَجَدْتُ بَنِي أعْيَا وجَامِلَهُمْ[2] كالعَنْزِ تَعْطِفُ رَوْقَيْهَا فتَرْتَضِعُ[(٣)]

٢٤٧٢ وإذا رعت الضائنةُ والماعزة في قصيل[3] نبتٍ[(٤)] لم ينبُت ما تأكله الماعزة ، لأنّ الضائنة تَقرضه بأسنانها ، والماعزةَ تقتلعه وتجذبه فتنثُره من أصله .

٢٤٧٣ وإذا حُمِل على الماعزة فحملَتْ أنزلت اللَّبن في أوّل الحَمْل إلى الضَّرْع ، والضائنة لا تُنزل اللبنَ إلا عند الوِلاد ، ولذلك تقول العرب :

---

(1) كب : يعجون ، مص : بعجون ، وكلاهما تصحيف .

(2) كب : حاملهم . (3) قرأتها مص : قصير .

---

(١) نعج الرجل : أكل لحم ضأن ـ أي خروف ـ فثقل على قلبه . يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم . والطلى : الأعناق ، جمع طُلْية . وسيأتي البيت برقم ٥٢٧٠ كتاب الطعام .

(٢) الخلف بالكسر : حلمة الضرع . والمحفلة : التي تُرك حلبها أياماً ليجتمع اللبن في ضرعها .

(٣) بنو أعيا : بطن من أسد . والجامل : قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها . الروق : القَرْن ، ترتضع : ترضع ، وارتضعت العنز : شربت لبن نفسها . يصفهم باللؤم وأنهم يرتضعون نياقهم ولا يحتلبونها ، خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم .

(٤) قصيل نبت : ما اقتصل من الزرع أخضر ، سمي قصيلاً لسرعة اقتصاله ـ أي قطعه ـ من رخاصته .

رَمَّدَتِ المِعْزَى فَرَنِّقْ رَنِّقْ ورَمَّدَتِ[1] الضَّأْنُ فَرَبِّقْ رَبِّقْ(١)[2]

٢٤٧٤ وذكورُ كلّ شيء أحسنُ من إناثه إلا التيُوسَ ، فإنها أقبح من الصَّفايا(٢) .

٢٤٧٥ وأصوات الذكور من كلّ شيء أجهرُ وأغلظ ، إلا إناثَ البقر فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها .

٢٤٧٦ قيل لأعرابيّ : بأيّ شيء تعرف حَمْل شاتِك ؟ قال : إذا وَرِم حَياؤها ، ودَجَتْ[3] شَعْرتُها ، وٱستفاضتْ خاصرتُها(٣) .

٢٤٧٧ قال الأصْمَعيّ : لبني عقيل ماعِزةٌ لا ترِد ، تجتزيء بالرُّطْب .

٢٤٧٨ وقرأت في كتابٍ من كتب الروم : إن أردتَ أن تعرف ما لونُ جنينِ النعجة فانظر إلى لسانها ، فإنّ الجنين يكون على لونه .

٢٤٧٩ وقرأت فيه : أنّ الإبل تَتَحامَى أمّهاتِها وأخواتها فلا تسفِدها(٤) .

٢٤٨٠ قالوا : وكلُّ ثورٍ أفطسُ ، وكلُّ بعير أعْلمُ ، وكل ذُباب أقرح(٥) .

٢٤٨١ وقالوا : البعير إذا صعُب وخافه الناس ٱستعانوا عليه حتى يُبْرَكَ ويُعْقَلَ ، ثم يركَبه فحلٌ آخر فيذِلّ .

٢٤٨٢ والعرب تعرف البعير المُغَدّ(٦) بسقوط الذباب عليه ، ويقولون : بعيرٌ مَذْبوب ، إذا ٢/٧٦ عَرَض له داءٌ يدعو الذباب إلى السقوط عليه .

---

(1) كب : مدت . (2) قرأته مص نثراً ، والصواب أنه رجز .

(3) كب ، مص : رجت ، تصحيف .

---

(١) رمدت المعزى : استبان حملها ، وعظم بطنها ، وورم ضرعها وحياؤها . ورنق : انتظر ولادتها ، فإنه سيطول انتظارك لها لأنها تُزْني ولا تضع إلا بعد مدة ، والمعزى إذا رمدت تأخر ولادها ، والضأن إذا رمدت أسرع ولادها . ربق : هيء لأولادها الأرباق ، وهي خيوط تُطرح في أعناق البهم ، وهذا مثل يضرب أوله لما ينتظر طويلاً ، ويضرب آخره لما لا ينتظر وقوعه انتظاراً طويلاً .

(٢) التيوس : جمع التيس ، وهو الذكر من الماعز . والصفايا : جمع صفي ، وهي الغزيرة اللبن ، وجعل الصفة اسماً لها لأنها هي التي تدر .

(٣) دجت شعرتها : طال شعرها وركب بعضه بعضاً ، يقال : عنز دجواء ، سابغة الشعر .

(٤) تسفدها : تنكحها .

(٥) الأعلم : المشقوق الشفة العليا . والأقرح : الذي بين عينيه بياض .

(٦) المغد : المصاب بالغُدَّة ، وهي طاعون الإبل .

٢٤٨٣ وقال بعض القُصّاص : مما فضّل الله به الكَبْشَ أن جعله مستور العَورة من قُبُل ومن دُبُر ، ومما أهانَ به التَّيس أن جعله مهتوكَ السِّتر ، مكشوف القُبُل والدُّبر .

٢٤٨٤ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن[1] عبد المنعم ، عن أبيه[2] :

عن وَهْب بن مُنَبّه ، أنه قال : كان في مناجاة عُزَيْر : اللّهم إنك ٱخترتَ من الأنعام الضائنةَ ، ومن الطيرِ الحمامةَ ، ومن النبات الحُبْلةَ ، ومن البيوت بكَّةَ وإيلياء ، ومن إيلياءَ بيتَ المَقدِس(١) .

٢٤٨٥ وفي الحديث : أنَّ ٱمرأةً أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، إني ٱتخذتُ غنماً أبتغي نَسْلها ورِسْلها وإنها لا تنمو . فقال رسول الله صلى الله عليه [وسلم] : « ما ألوانها ؟ » قالت : سُودٌ . فقال : « عَفِّري » ، وبَعثَ إلى الرُّعيان : « من كانت له غنمٌ سُود فليخلِطْها بعُفْر ، فإنَّ دم عَفْراء أزْكَى من دم سَوداوَيْن »(٢) .

٢٤٨٦ وقال : « الغنم إذا أقبلتْ أقبلتْ ، وإذا أدبرتْ أقبلتْ ، والإبلُ إذا أدبرتْ أدبرتْ ، وإذا أقبلتْ أدبرتْ ، ولا يأتي نفعُها إلا من جانبها الأشأم[3](٣) » .

٢٤٨٧ والأَقِط قد يكون من المِعْزَى ؛ قال ٱمرؤ القيس(٤) :

لَنَـا غَنَـمٌ نُسَـوِّقُهَـا[4] غِـزَارٌ ... كَـأَنَّ قُـرُونَ جِلَّتِهَـا عِصِـيُّ
فَتَمْـلأُ بَيْتَنَـا أقِطـاً وسَمْنـاً ... وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ

٢٤٨٨ وقالوا : شِقْشِقة البعير : لَهَاتُه يُخرجها .

٢٤٨٩ ومن أحسن ما قيل في الغنم قول مُخَارق بن شِهاب في تَيس غنمه :

---

(1) مص : بن ، خطأ .
(2) كب ، مص : أمية ، تحريف .
(3) كب : الأشم .
(4) كب : يسوقها .

---

(١) سيأتي مطولاً برقم ٣٤٣١ كتاب الزهد . والحبلة : ثمرة فصيلة القَطانيات ، كالفول والعدس والفاصولياء وغيرها ، وتكون ذات فلقتين وبضع بزرات . بكة : من أسماء مكة المكرمة . وإيلياء : القدس .
(٢) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه . والرسل : اللبن . وعفري : اخلطيها بالعفر ، وهي البيض ، وبياضها ليس بالناصع الشديد .
(٣) الأشأم : الشمال .
(٤) مضى البيت الأول برقم ١٨٧٠ كتاب السؤدد .

وراحَتْ[1] أُصَيْلاناً كأَنَّ ضُروعَها دِلاءٌ وفيها واتِدُ القَرْنِ لَبْلَبُ(١) ٢/ ٧٧
له رَعَثاتٌ[2] كالشُّنوفِ، وغُرَّةٌ شَدِيخٌ، ولَوْنٌ كالوَذِيلَةِ مُذْهَبُ(٢)
وعَيْنا أحَمُّ المُقْلَتَيْنِ، وعُصْمَةٌ ثُنًى، وَصْلُهَا[3] دَانٍ مِنَ الظِّلْفِ مُكْثِبُ[4](٣)
إذا دَوْحَةٌ مِنْ مُخْرِفِ الضَّالِ أَذْبَلَتْ عَطَاها كَمَا يَعْطُو ذُرَى الضَّالِ قَرْهَبُ(٤)
أَبُو الحُورِ والغُرّ اللَّواتي كأنَّها مِنَ الحُسْنِ في الأعْنَاقِ جَزْعٌ مُثَقَّبُ(٥)
تَرَى ضَيْفَهَا فيها يَبِيتُ بِغِبْطَةٍ وضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جائعٌ يَتَحَوَّبُ(٦)

فوفَدَ ابن قيس هذا على النُّعمان فقال: كيف المُخارق فيكم؟ قال: سيِّدٌ كريمٌ، مَنْ رجلٌ يمدح تَيسه ويهجو ابن عمّه.

٢٤٩٠ قال العجَّاج في وصف شاةٍ: حمراء المُقدَّم، شعراء المؤخَّر. إذا أقبلتْ حسبتَها نافراً، وإذا أدبرتْ حسبتها ناثراً.

أي كأنها تعطِس، يريد من أيّ أقطارها رأيتَها وجدتها مُشرفة[5].

(1) كب: راحت (بسقوط الواو). وعوَّلنا في قراءة الأبيات على الجاحظ في الحيوان ٥/ ٤٨٩.
(2) كب: غرثات كالسيوف.
(3) قرأتها مص: يواصلها.
(4) كب، مص: مكنب.
(5) كب، مص: مشرقة.

(١) أصيلاناً: تصغير أصيل، وهو العشي. واتد القرن: منتصبه. وأراد باللبلب: شفقته على المعزى التي أُرسل فيها، فهو ذو لبلبة عليها، أي ذو شفقة وحدب، يقال: لبلبت الشاة على ولدها، إذا لحسته بشفتها شفقة وأسبلت عليه حين تضعه، كأنها تقول: لَبْ لَبْ.
(٢) الرعثات: هما رعثتان، وهما زنمتاها تحت الأذنتين تليان الشحمة. والشنوف: جمع شنف، وهو القرط. غرة شديخ: غشت الوجه من الناصية إلى الأنف. والوذيلة: المرأة المجلوة.
(٣) الأحم: الأسود الشديد السواد وعنى الثور. والعصمة: البياض. ثنى: اثنان، عنى بياض في ذراعيه. مكثب: قريب.
(٤) الضال: شجر السدر، واحدته ضالة، وهي قليلة الارتفاع، أغصانها ملس، تعمل منها النبال والقسي، وثمرتها حَسَلة حلوة تؤكل. والمخرف: الذي حان خرافه، أي اقتطاف ثمره. عطاها: تناولها، وذلك بأن يضع يديه على ساق الشجرة ويمد عنقه فيتناول ما فاته وطاله من أغصان الشجرة، فيبدو بذلك حسن عنقه وتمامه واستواؤه. والقرهب: المسن الضخم من الثيران.
(٥) الحور: جمع الحوراء، وهي صفة للبقر، صارت كالعلم لها، والحَوَر: شدة بياض بياض العين مع شدة سواد سوادها. والغر: البيض، أو التي غُرَّتها (البياض في جبهتها) في وسط الجبهة أكبر من الدرهم، لم تمل على الخدين أو العينين، ولم تسل سفلاً. الجزع: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض، وجعله مثقب لأنه معمول عقداً فثقب من طرفيه.
(٦) يتحوب: يتوجع ويتشكى ويحزن.

٧٨/٢ ٢٤٩١ قال الأصمعيّ : قال أعرابيّ يهزَأ بصاحبه : اشترِ لي شاةً فقماء كأنها تضحَك ، مُندلِقةً[1] خاصِرتاها ، لها ضَرْع أرقط كأنّه ضَبٌّ[2] . قال : فكيف العَطَل ؟ قال : أنّى لهذه عَطَل !

العطل : العُنق ، يقول : من سِمَنها يُحسب أنه لا عُنق لها[(١)] .

٢٤٩٢ ومما تقوله العَرب على ألسنة البهائم : قالت الضائنة : أُوَلِّد رِخَالاً ، وأُجَزُّ جُفَالاً ، وأُحلَب كُثَباً ثِقالاً ، ولم تَر مِثْلي مالاً حُفَالاً[(٢)] .

تقول : أُجَزُّ مرّة ، وذلك أن الضائنة إذا جُزَّت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يُؤتى عليه . والكُثَب : جمع كُثْبة ، وهي الدَّفعةُ من اللبن ، تقول : أُحْلَبُ دُفَعاً ثقالاً من اللبن ، وذلك لأن لبنها أدسَم وأخثَر من لبن المعز ، فهو أثقل .

* * *

---

(1) كب : منذلفة .　　(2) كب : صيب ، مص : جيب .

---

(١) الفقم : تقدم الثنايا العليا . الاندلاق : البروز والخروج .

(٢) الرخال : جمع رخل ورخلة ، وهي الأنثى من ولد الضأن . والجفال : الصوف المجتمع الكثير ، ولا يوصف بالجُفال إلا في كثرة . والكثب : جمع الكُثْبة ، وهي القليل من اللبن ، ملء القدح ، وأرادت الدفعة منه . والحفال : العظيم .

السِّبَاع وما شَاكَلَها

٢٤٩٣ يقال : إنه ليس شيء من السِّباع أطيبَ أفواهاً من الكلاب[1] ، ولا في الوحوش أطيب أفواهاً من الظِّباء . ويقال : ليس شيء أشدّ بَخَراً من أسد وصَقْر(١) ولا في السباع أسبح من كلب .

٢٤٩٤ وليس في الأرض فَحْلٌ من جميع أجناس الحيوان لذَكَره حَجْم ظاهرٌ إلا الإنسان والكلب .

٢٤٩٥ والأسد لا يأكل الحارَّ ، ولا يدنو من النار ، ولا يأكل الحامض[2] ، وكذلك أكثر السِّباع .

٢٤٩٦ وتقول الرُّوم : إن الأسد يُذْعَر مِنْ صوت[3] الدِّيك ، ولا يدنو من المرأة الطامِث .

٢٤٩٧ والأسدُ إذا بال شَغَرَ كما يشغَر الكلب ، وهو قليل الشرب للماء ، ونَجْوُه يشبه نَجْو ٢/٧٩ الكلب ، ودواءُ عَضَّته دواءُ عَضَّة الكَلْب الكَلِبِ(٢) .

٢٤٩٨ وقالوا : العيونُ التي تضيء بالليل عيونُ الأُسْد والنُّمور والسَّنانير والأفاعي(٣) .

٢٤٩٩ والعرب تقول : هو « أحمقُ من جَهِيزَةَ » ، وهي الذِّئبة ، لأنها تدعُ ولدَها وتُرْضع ولدَ الضَّبُع . ويقولون : إنَّ الضَّبعَ إذا صِيدت أو قُتلت عالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم . قال الكُمَيْت :

كَمَا خَامَرَتْ في بَيْتِها أُمُّ عَامِرٍ   لَدَى الحَبْلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيالَهَا

أوسٌ : الذئب(٤) .

---

(1) كب : الكلب .   (2) كب : الحموضة .
(3) كب : لصوت الذئب ، مص : بصوت .

---

(١) البخر : النتن يكون في الفم . وفي حياة الحيوان ١/٣ : الأسد يوصف بقلة الريق ، ولذلك كان شديد البخر . وفيه أيضاً ٦٦/٢ : لبرد مزاج الصقر ، فهو لا يشرب ماء ولو أقام دهراً ، ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم .
(٢) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه ليبول . والنجو : البراز .
(٣) السنانير : جمع سُنَّار وسِنَّور ، وهو الهر .
(٤) خامرت : استترت ، فلزمت وِجارها ولم تبرحه . وأم عامر : الضبع . الحبل : ما طال من الرمل وامتد كالحبل ، ورواية الديوان : لذي الحبل ، أي لصاحب الحبل ، يريد الصائد الذي يعلق الحبل في عرقوب الضبع . وفي الأشباه والنظائر ٢٦٢/٢ : وهذا باب من خرافات الأعراب ومحالاتهم .. لأن الذئب لو تمكن من الضبع لأكله ، فكيف يعول ولده ؟

٢٥٠٠ وقالوا : ثلاثةٌ من الحيوان تَرْجِع في قَيْئِها : الأسدُ والكلب والسِّنَّوْر ، ويقال : الضَّبُّ أيضاً .

٢٥٠١ وأمراض الكلاب ثلاثةٌ : الكَلَبُ وهو جنون ، والذُّبْحة ، والنِّقْرِس(١) .

٢٥٠٢ والعرب تقول : دماء الملوك شِفاءٌ من عَضَّةِ الكَلْب الكَلِبِ والجنونِ والخَبَلِ ؛ قال الفرزدق :

مِنَ الدَّارِمِيِّينَ الَّذِينَ دِمَاؤُهُمْ شِفَاءٌ مِنَ الدَّاءِ : المَجَنَّةِ والخَبَلْ(٢)

٢٥٠٣ وبَلَغني عن الخليل بن أحمد ، أنه قال : دماء عَضَّة الكَلْبِ الكَلِبِ الذَّراريحُ(٣) والعدَس والشراب العتيق يُصنع . وقد ذَكَر كيف صَنْعته ، وكم يُشْرَب منه ، وكيف يُتعالج به .

٢٥٠٤ والكَلْبُ الكَلِبُ إذا عَضَّ إنساناً فربما أحاله نَبَّاحاً مثله ، ثم أَحْبَلَه وأَلْقَحه بأجْرٍ[1](٤) صِغارٍ يَبولُها[2] عَلَقاً في صُوَرِ الكلاب .

٢/٨٠ ٢٥٠٥ قال أبو اليَقْظان : كان الأسود بن أوس بن الحُمَّرة أتى النجاشيَّ فعلَّمه دواء الكَلَب ، فهو في ولده إلى اليوم . فمن ولده المُحِلُّ ، وقد داوى [ابنُ] المُحِلُّ عُتَيبةَ بنَ مِرداس [وهو ابن فَسْوة الشاعر] ، فأخرج منه مثل جِرَاء الكلاب عَلَقاً ، فقال[3] ابن فَسْوَة حين برأ :

وَلَوْلا دَوَاءُ ابْنِ المُحِلِّ وعِلْمُهُ هَرَرْتُ إذا ما النَّاسُ هَرَّ كَلِيبُهَا
وأَخْرَجَ بَعْدَ اللهِ أَوْلادَ زَارِعٍ مُوَلَّعَةً أَكْتَافُهَا وجُنُوبُهَا(٥)

الكَلِيب : جمع كلبٍ على غير قياسٍ ، مثل عبد وعبيد .

٢٥٠٦ وعَضَّ رجلاً من بني العنبر كلبٌ كَلِبٌ فبال عَلَقاً في صُوَر الكلاب ، فقالت امرأته :

---

(1) كب : بأخر . (2) كب ، مص : تراها ، تحريف. (3) كب ، مص : قال .

---

(١) الذبحة : التهاب في الحلق . والنقرس : مرض مؤلم في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر ، وهو ما كان يسمى : داء الملوك ، لأن سببه الإفراط في أكل اللحوم .
(٢) المجنة : الجنون ، يقال : به جِنَّة ، وجنون ، ومَجَنَّة .
(٣) الذراريح : جمع ذُرُّوح ، وهي حشرة حمراء منقطة بسواد ، أعظم من الذباب شيئاً .
(٤) الأجر : جمع جرو .
(٥) زارع : اسم كلب ، ومنه قيل للكلاب أولاد زارع . والتوليع : أن يكون فيها ضروب من الألوان . والجنوب : جمع الجَنْب والجانب ، وإنما للكلب جانب واحد ، فجمعه بما حوله ، فهو من الواحد الذي فُرِّق فصار جمعاً .

أبَــالَــكَ أدْرَاصــاً وأوْلادَ زَارِعٍ   وتِلْكَ لَعَمْرِي نُهْيَةُ المُتَعَجِّبِ(١)

٢٥٠٧ ويزعمون أنّه يطلب الماء أشدَّ طلبٍ ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد ، لا أريد ، أو شيئاً في معنى ذلك .

٢٥٠٨ قالوا : وتمامُ[1] حَمْلِ الكلْبة ستّون يوماً ، فإن وضَعت في أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش .

٢٥٠٩ وإناث الكلابِ تحيض في كل سبعةِ أيامٍ ، وعلامة ذلك أن يَرِمَ ثَفْر(٢) الكلبة ولا تُريد السِّفادَ في ذلك الوقت .

٢٥١٠ وذكُورُ السَّلُوقيّة تعيش [عشر سنين ، وبعض الأجناس تبقى] عشرين سنة ، والإناثُ تعيش اثنتي عشرةَ سنة .

٢٥١١ وليس يُلقي الكلب شيئاً من أسنانه سوى النابَين .

٢٥١٢ قالوا : وعلامةُ سرعةِ الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ، ويكونَ قصيرَ الظهر .

٢٥١٣ ويوصف الكلب بصغر الرأسِ ، وطول العُنُق وغِلظها ، وإفراط الغَضَفِ ، وزَرَق العينين ، وعِظم المقلتين ، وطول الخَطْم مع اللطافة ، وسَعة الشِّدقين ، ونُتوء الحَدَقة(٣) ، ونتوء الجَبْهة وعِرَضها ، وأن يكون الشَّعْر الذي تحت حَنَكه طاقةً طاقةً ويكونَ غليظاً ، وكذلك شَعْر خَدّيه ، ويكونَ قصيرَ اليدين ، طويلَ الرجلين ، عريضَ الظهر ، طويلَ الصدر ، في ركبته انحناء .

٢/ ٨١

٢٥١٤ ويكره للذكور طول الأذنابِ .

٢٥١٥ ومن علامةِ الفَراهة(٤) التي لا تكاد تَخَلَّف أن يكون على ساقيه ، أو على إحداهما[2] ، أو على رأس الذَّنَب ، مِخْلَبٌ . وينبغي أن يُقْطَع من الساقين(٥) .

---

(1) كب : أيام .   (2) كب ، مص : أحدهما ، والساق مؤنثة .

---

(١) أدراص : جمع درص ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . النهية : غاية الشيء وآخره ، كالنهاية .
(٢) الثفر : الحياء .
(٣) الغضف : استرخاء الأذن . والمقلة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد . وفي الحيوان ٢/ ٤٦ : « طويل المقلتين » والطول غير العظم . والخطم : مقدم الأنف والفم . والحدقة : سواد العين .
(٤) الفراهة : الحسن والنشاط والاستواء في الخلقة .
(٥) أي ينبغي أن يقطع المخلب من الساقين لئلا يمنعه من العدو .

٢٥١٦ وسودُ الكلاب أعقرُها ، ولذلك أُمر بقتلها .

٢٥١٧ قالوا : وإذا هَرِم الكلبُ أُطعِمَ السَّمْنَ مِراراً ، فإنه يعود كالشابّ .

٢٥١٨ وإذا حفي دُهِنت آسته وأُجِمَّ ، ومُسح على يديه ورجليه القَطِرانُ(١) .

٢٥١٩ وإذا بَلَغ أن يَشْغَر فقد بلغ الإلقاحَ(٢) .

٢٥٢٠ والكلب من الحيوان الذي يحتلم .

٢٥٢١ وقالوا في[1] الكلبة : إنه يسفِدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدّي إلى كلّ سافِدٍ شَكْلَه وشَبَهه(٣) .

٢٥٢٢ قعد جماعة من أصحابنا يعدُّون ما جاء في الكلب من الأمثال ، فحفظت منه :

« ألأمُ من كلبٍ على عَرْق(٤) » .

و « أجِعْ كلبك يتبعْك »(٥) .

و « نَعِيمُ كلبٍ في بُؤس أهله(٦) » .

و « أسْمِنْ كلبك يأكلْك » .

و « أحرصُ من كلبٍ على عِقْي صبيّ(٧) » .

و « أجوعُ من كلبةِ حَوْمَلَ(٨) » .

و« أبْوَلُ[2] من كلبٍ » .

و « جلس فلان مَزْجَر الكلب(٩) » .

---

(1) كب : قالوا وفي . (2) كب : أبرأ .

---

(١) الحفا : رقة القدم . وأجم : ترك ليستعيد قوته .

(٢) شغر الكلب : رفع إحدى رجليه ليبول .

(٣) مضى من كلام عمر بن الخطاب برقم ٢٣٩٣ .

(٤) العرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة .

(٥) يضرب في معاشرة اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به .

(٦) وذلك لأن الجدب والبؤس يكثر الموتى والجيف ، وذلك نعيم الكلب .

(٧) العقي : أول براز الصبي ، والكلب حريص على أكله .

(٨) حومل : امرأة من العرب ، كانت تجيع كلبة لها وهي تحرسها ، فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار ، وتقول : التمسي لنفسك لا ملتمس لك . فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع .

(٩) المزجر : اسم مكان الزجر ، أي النهر والردع ، والمعنى أنه بتلك المنزلة .

و « الكلابَ على [البقر][1] » .

و « الكلبُ أحبُّ أهله إليه الظاعن[2] » .

و « هو كالكلب في الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابّة تعتلف » .

* * *

---

(١) يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة . و « الكلاب » بالرفع أو النصب ، فالنصب على إضمار فعل تقديره : « خَلِّ » أو « دع » ، والرفع على الابتداء وما بعده خبر .

(٢) الظاعن : المسافر ، وذلك أن المسافر ربما عطبت راحلته فتصير طعاماً للكلب .

الذئب

٢٥٢٣ الذئب إذا سفَد الذئبة فالْتحم الفَرْجان ، وهجم عليهما هاجِمٌ ، قتلهما كيف شاء ، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك ، لأن الذئب إذا أراد السِّفاد تَوخَّى موضعاً لا يَطؤه أنيس خوفاً على نفسه .

٢٥٢٤ وتقول الروم : إن الذئب إذا نَهَش شاةً ثم أفْلَتَتْ منه طابَ لحمها وخفَّ ، وسَلِمت من القِرْدان(١) .

٢٥٢٥ قالوا : والذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان أبَحَّ الذئبُ صوتَ ذلك الإنسان .

٢٥٢٦ وقالوا : في طَبْع الذئب محبّة الدّمِ ، ويبلغ به طَبْعُه أنّه يرى الذئبَ مثلَه قد دَمِيَ فيثِب عليه فيُمَزِّقه ؛ قال الشاعر :

وكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لمَّا رأَى دَماً ... بصَاحِبِهِ يَوْماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ(٢)

٢٥٢٧ قالوا : والفرس إذا وطِيء أثَر الذئب ثَقُلت قائمتُه التي وطِيء بها .

٢٥٢٨ وفي كتاب عليّ رضي الله عنه إلى ٱبن عبّاس : لمّا رأيتَ العدوّ على ٱبن عمّك قد حَرِب[1] ، والزمانَ قد كَلِب ، قَلبت لابن عَمِّك ظهرَ المِجَنّ بفراقه مع المفارقين ، وخِذْلانه مع الخاذلين ، وٱختطفْتَ ما قَدَرْتَ عليه من الأموال ٱختطافَ الذئبِ الأزَلِّ داميةَ المِعْزَى(٣) .

٢٥٢٩ ويقولون : إنّ الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى ، قال[2] حُمَيْد بن ثَوْر :

يَنَامُ بِإحْدَى مُقْلَتَيْهِ ويَتَّقي ... بأُخْرَى المَنَايا فَهْوَ يَقْظانُ هاجِعُ

٢٥٣٠ والذئب أشدُّ السِّباع مطالبة ، وإذا عَجز عَوَى عُوَاء ٱستغاثةٍ ، فتسامعت الذئاب ، فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكلَه . وليس شيء من السِّباع يفعل ذلك .

---

(1) كب : جرب .   (2) كب ، مص : وقال .

---

(١) القردان : جمع القُراد ، وهي حشرة متطفلة ذات أرجل كثيرة ، ومنها أجناس .

(٢) أحال على الشيء : أقبل عليه .

(٣) مضى كتاب علي بن أبي طالب برقم ٢٩٤ كتاب السلطان .

الفيل

٢٥٣١ قالوا : ولِسان[1] الفيل مقلوبٌ طَرَفُه إلى داخل ، والهند تقول : لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلَّم .

٢٥٣٢ والفيل إذا ساء خُلُقه وصَعُبَ[2] عَصَبوا رجليه فسَكَن .

٢٥٣٣ وليس في جميع الحيوان شيءٌ لذكوره ثَدْي في صدره إلا الإنسانُ والفيلُ .

٢٥٣٤ والفيل المغتلِم إن سَمِعَ صوتَ خِنَّوص من الخنازير ٱرتاع ونفَر(١) .

٢٥٣٥ والفيل يفزَع من السِّنَّور(٢) .

٢٥٣٦ وتزعم الهند أن نابَيْ الفيل هم قَرْناه ، يخرُجان مستبطنين حتى يخرقا الحَنَك ويخرُجا أعْقَفين .

٢٥٣٧ وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعمائة سنة ، وقال : حَدَّثني شيخٌ لنا ، قال : رأيت فيلاً أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر .

٢٥٣٨ والفِيلة تضعُ في سبع سنين .

الفَهْد

٢٥٣٩ قالوا : والسِّباع[3](٣) تشتهي رائحةَ الفَهْد ، فإذا سَمِن الفهد عَرَفَ أنّه مطلوب وأنّ حركته قد ثَقُلت ، [4]فهو يُخْفي[4] نفسَه [بجهده] حتى ينقضي الزمانُ الذي تسمَن فيه الفُهود .

٢٥٤٠ ويعتري الفهدَ داءٌ يقال له خانقةُ الفهود ، فإذا ٱعتراه أكل العَذِرة فبرأ(٤) .

---

(1) مص : لسان (بسقوط الواو) .
(2) كب : ضعف .
(3) مص : السباع (بسقوط الواو) .
(4 - 4) كب ، مص : فأخفى .

---

(١) المغتلم : المشتهي النكاح . والخنوص : ولد الخنزير .
(٢) السنور : الهر .
(٣) السباع : جمع السبع ، وهو الأسد .
(٤) العذرة : البراز .

٢٥٤١ والوحشيّ المُسنّ منها في الصيد أنفع من الجَرْو المُربَّب[(١)] .

الأرنَب

٢٥٤٢ قالوا : والأرنب[1] تَحيض ، ولا تسمن إلا بزيادة اللحم[(٢)] .

٢٥٤٣ وقضيب الذَّكَر من الأرانب ربما كان من عَظْم ، وكذلك قضيب الثعلَب .

٢٥٤٤ والأرنب تنامُ مفتوحةَ العين .

٢٥٤٥ وإنْفَحة الأرنب إذا شربتها المرأةُ من بعد أن تطهُر من المحيض مُنِعت من الحَبَل[(٣)] .

٢٥٤٦ والكَلَف إن طُلي بدم الأرنب أذهبه[(٤)] .

٢/ ٨٤

القِرْد والدُّبّ

٢٥٤٧ قال : حَدَّثني محمد بن خالد بن خِدَاش ، قال : حَدَّثني سَلْم بن قُتَيبة ، عن هُشَيم[2] ، عن حُصَين وأبي بَلْج :

عن عمرو بن ميمون ، قال : زَنَتْ قِرْدَةٌ في الجاهليّة فرجَمها القرود ورجمتُها معهم .

٢٥٤٨ قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغَيرة إلا الإنسانُ والقِردُ .

٢٥٤٩ قالوا[3] : والدَّيْسَم جِرْو الدُّبّ تضعه أمُّه وهو كَفِدْرَة لحم [غير متميز الجوارح] ، فتهرُب به في المواضع العالية من الذَّرّ والنّمل حتى تشتدّ أعضاؤُه [وتنفرج][(٥)] .

---

(1) مص : الأرنب (بسقوط الواو) .　　(2) كب ، مص : هشام ، تحريف .

(3) عوّلنا في قراءة النص على الجاحظ في الحيوان ٧/ ٣٦ .

---

(١) المربب : المربى المدرب .

(٢) يزعمون أن الأرانب لا تستحيل لحومها ولا تنقلب شحوماً ، وإنما سمنها بكثرة اللحم (الحيوان ٦/ ٣٥٣) .

(٣) الإنفحة : هي المعدة الحقيقية التي يحصل فيها الهضم عند الحيوانات المجترة ، وتستخدم في تخثير اللبن .

(٤) الكلف : النمش يعلو الوجه كالسمسم .

(٥) الجرو : الولد . والفدرة : القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة . الذر : النمل الأحمر .

مصايد السباع العادِيَة

٢٥٥٠ السباع العادِيَة : تُصطاد بالزُّبَى والمُغَوَّيات ، وهي آبار تُحفر في أنشَازِ[1] الأرض ، فلذلك يقال : قد بلغ السيلُ الزُّبَى(١) .

٢٥٥١ قال صاحب الفِلاحة : ومما تُصاد به السباعُ العادية أن يؤخذ سَمَك من سمك البحر الكِبار السمّان ، فتقطع قِطعاً ، ثم تُشرَّح ، ثم تُكتَّل كُتَلاً ، ثم تؤجّج نارٌ في غائطٍ(٢) من الأرض تَقْرَب[2] منه السباع ، ثم تُقْذف تلك الكُتل في النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُـتَار(٣) تلك الكتل في تلك الأرض ، ثم تُطرح حولَ تلك النارِ قطعٌ من لحم قد جُعِل فيها الخَرْبَق الأسود(٤) والأفْيُون ، وتكون تلك النار في موضع لا تُرَى فيه ، حتى تُقْبِل السباع لريح القُتار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويُغشَى عليها ، فيصيدها الكامنون لها كيف شاؤوا .

النَّعَام

٢/ ٨٥

٢٥٥٢ قالوا في الظَّليم : إن الصيف إذا أقبلَ ، وأبتدأ البُسْر في الحُمْرة ، أبتدأ لونُ وَظيفيه بالحُمْرة . ولا يزالان يتلوّنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البُسْر ، ولذلك قيل له : خاضِب(٥) .

٢٥٥٣ وفي الظليم : إنَّ كل ذي رِجْلين إذا أنكسرت إحدى رِجْليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلَعِ غيرَه ، فإنه إذا أنكسرت إحدى رجليه جَثَم ، ولذلك قال الشاعر في نفسه وأخيه :

فـإنِّـي وإيَّـاه كَـرِجْلَـيْ نَعَـامَـةٍ ... عَلَـى مـا بِنَـا مِـنْ ذي غِنًـى وفَقِيـرِ

---

(1) كب : أبشار ، تصحيف . (2) كب ، مص : يقرب فيه .

---

(١) المغويات : جمع المغواة ، وهي حفرة كالزبية ، تُجعل في موضع عال وتغطى فوهتها ، فإذا وطئتها السباع وقعت فيها . وأنشاز الأرض : أماكنها المرتفعة ، جمع نشز . والزبى والمغويات لا تتخذ إلا في رابية أو هضبة أو رأس جبل ، فإن قالوا : بلغ السيل الزبى ، أي جل الأمر عن أن يغير ويصلح لتجاوزه الحد .

(٢) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض .

(٣) أي ريح تلك الكتل .

(٤) الخربق : نبت كالسم يغشى على آكله ، والإفراط منه يقتل .

(٥) الظليم: ذكر النعام. والبسر: التمر قبل أن ينضج. والوظيف من كل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق، حيث يوضع القيد من يديه . يقول : عند نضوج التمر يبدأ وظيفه بالاحمرار وينتهي مع انتهائه.

يقول : لا غنى بواحد منّا عن الآخر .

وقال آخر :

إذا ٱنْكَسَرَتْ رِجْلُ النَّعَامَةِ لم تَجِدْ عَلَى أُخْتِهَا نَهْضاً ولا باسْتِهَا حَبْوَا[1]

٢٥٥٤ قالوا : وعلّة ذلك أنه لا مُخَّ له في ساقيه ، وكلُّ عظم فهو ينجبر إلا عظماً لا مُخَّ فيه ، وزَماخِرُ[(١)] الشّاءِ لا تنجبر ؛ قال الشاعر :

أَجِـدَّكَ لـم تَظْلَـعْ بِـرِجْـلِ نَعَـامَـةٍ ولَسْـتَ بِنَهَّـاضٍ وعَظْمُـكَ زَمْخَـرُ

أي أجوف لا مُخَّ فيه .

٢٥٥٥ والظليم يغتذِي المَرْوَ[(٢)] والصَّخْرَ ، فتُذيبه قانِصتُه[(٣)] بطبعها حتى يصيرَ كالماء ، قال ذو الرُّمَّة يذكره :

٨٦/٢ أَلْهَـــاهُ آءٌ وتَنُّـــومٌ وعُقْبَتُـــهُ مِنْ لائِحِ المَرْوِ والمَرْعَى له عُقَبُ[(٤)]

[و] قال أبو النجم :

والمَـــرْوُ يُلْقِيـــهِ إلـــى أمْعَـــائِـــهِ فـي سَـرْطَـمٍ هَـادٍ عَلَـى ٱلْتِـوَائِـهِ[(٥)]

٢٥٥٦ والظليم يتبلع الجَمرة ، وربما أُلقِي الحَجَر في النار حتى إذا صار كأنّه جمرة قُذِفَ به بين يديه فيبتلعه ، وربما ٱبتلع أوزانَ الحديد .

٢٥٥٧ وفي النعامة : إنها أخذت من البعير المَنْسِم والوظيفَ والعُنُقَ والخِزَامَة ، ومن الطائر الرِّيشَ والجناحين والمنقار ، فهو لا بعير ولا طائر ، قال[2] أَوْس بن حَجَر :

---

(1) كب : جبرا . (2) كب ، مص : وقال .

---

(١) الزماخر : جمع زمخرة ، وهي كل عظم أجوف لا مخ فيه .

(٢) المرو : جمع مروة ، بللور الصخر ، وهي ضروب من الصوان توجد في الأرض على أشكال شتى أهمها الرمال . ومن المعروف أن النعام إنما يبتلع بعض صغار الحصى لتسهيل الهضم في معدته ، ولكنه لا يغتذي بها ولا يذيبها .

(٣) القانصة : جزء عضلي من المعدة يتم فيه جرش الغذاء وطحنه .

(٤) آء : ضرب من النبات ، وهو من مراتع النعام ، واحدته آءة . وكذلك التنوم ، وأظنه ـ من وصف العرب له ـ أنه عباد الشمس . العقبة : أن ترعى في هذا مرة وفي هذا مرة ، وأصله من الاعتقاب ، أي التناوب ، يريد أنها ترعى النبت مرة وترعى المرو مرة . ولائح المرو : ما ظهر منه .

(٥) السرطم : الطويل ، وعنى عنقه ، ووصف العنق بالهادي ، كأنه دليل يَقْدُم القوم ويصف لهم الطريق ، لأن العنق تتقدم على البدن وتهدي سائر الجسد .

وتَنْهَى ذَوي الأحْلامِ عَنِّي حُلومُهُمْ   وأرْفَعُ صَوْتي للنَّعَامِ المُخَزَّمِ(١)

جعله مخزَّماً للخَرْقين اللذين في عَرْض أنفه في موضع الخِزَامة من البعير .

[و] قال يحيى بن نَوْفَل :

ومِثْـلُ نَعَـامَـةٍ تُـدْعَـى بَعِيـراً   تَعَاظُمِهَا[1] إذا ما قِيلَ طِيرِي(٢)

فـإنْ قِيـلَ ٱحْمِلِـي قـالَـتْ فـإنِّـي   مِنَ الطَّيْرِ المُرِبَّةِ في الوُكُورِ(٣)

٢٥٥٨ وتقول العرب في المثل : هذا « أمْوَقُ من نعامةٍ »(٤) ، وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطُّعْم فمرّت ببَيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ، ولذلك قال الشاعر ـ وهو ٱبن هَرْمَة ـ :

٢/ ٨٧

وإنِّي وتَرْكي نَدَى الأكْرَمِينَ   وقَدْحِي بِكَفِّيَ زَنْداً شَحَاحَا(٥)

كَتَـارِكَـةٍ بَيْضَهَـا بـالعَـرَاءِ   ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا(٦)

وقال سَهْم بن حَنْظَلة :

إذا مـا لَقِيـتَ بنـي عـامِـرٍ   رَأَيْتَ جَفَاءً ونُـوكـاً كبيـراً(٧)

نَعَـامٌ تَمُـدُّ بـأعْنَـاقِهَـا   ويَمْنَعُهَـا نُـوكُهَـا أنْ تَطِيـرَا

٢٥٥٩ ويُضربُ بها المَثَل في الشِّراد والنِّفَار ، قال بِشْر بن أبي خازم :

---

(1) مص : تعاصينا .

---

(١) الأحلام : العقول ، والحِلْم : الأناة والصبر والتثبت والركانة ، وذلك شعار العقلاء ، وهو ضد السفه والطيش . يقال : حَلُم يَحْلُم ، إذا صار حليماً بعيد السفه ، قريب الأناة والعقل . والحليم : العاقل المتثبت في الأمور . وعنى بالنعام الجهلة ، وخصه لنفاره وشروده وحمقه . يقول : الحليم يكفينيه حلمه ، والجاهل أزجره أشد الزجر .

(٢) تعاظمها : أي ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور .

(٣) المربة : المقيمة ، من قولهم : أرب الطائر بوكره ، إذا لزمه ولم يفارقه .

(٤) الموق : الحمق في غباوة ، وهو مائق والأنثى مائقة ، والجمع مَوْقى .

(٥) الندى: السخاء الذي لا تكلف فيه ، والكرم بلا جهد ولا منة . والزند في الأصل: العود يقتدح به النار، ويقال : هو واري الزند وَريت بك زنادي ، وهو أوراهم زنداً ، للدلالة على النصرة والنجاح والظفر والمعونة المؤدية إلى قضاء الحاجة، وعكسه الزند الشحاح: وهو الذي لا يوري كأنه شح بالنار.

(٦) يضرب هذا البيت مثلاً لمن ترك ما يجب عليه الاهتمام به والجد فيه ، واشتغل بما لا يلزمه ولا منفعة له فيه .

(٧) النوك : أبلغ الحماقة .

وأمَّـا بَنُـو عَـامِـرٍ بـالنِّسَـارِ فكَـانُـوا غَـدَاةَ لَقُـونَـا نَعَـامـا(١)

يُريد : مَرُّوا منهزمين .

٢٥٦٠ وربما حَضَنت النعامةُ أربعين بيضة، أو نحوها، وأخرجت ثلاثين رَأْلًا، قال ذو الرُّمَّة :

أذَاكَ[1] أمْ خاضِبٌ بالسِّيِّ مَرْتَعُهُ أبُو ثَلاثِينَ أمْسَى فهو[2] مُنْقَلِبُ(٢)

والباقي من بيضها الذي لا تَنْقُفه[3] يقال لها : التَّرَائِكُ(٣) .

٢٥٦١ وأشدُّ ما يكون الظليم عَدْواً إذا ٱستقبل الريح ، لأنه يضع عُنقه على ظهره ثم يَخْرِق الريح ، وإذا ٱستدبرها كبَّته من خلفه .

٢٥٦٢ والنعامة تضع بيضها طولاً ، ثم تغطّيها كلَّ بيضةٍ بما يصيبها من الحَضْن ، قال ٱبن أحمر :

وُضِعْنَ وكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارِ(٤)

وقال آخر :

عَلَى غِرارٍ كٱسْتِوَاءِ المِطْمَرِ

---

(1) كب ، مص : كأنه خاضب . (2) كب ، مص : وهو .

(3) كب : تنقبه ، والنَّقْب إنما يكون في الجلد والجدار ونحوهما .

---

(١) النسار : هي الأنْصَر حالياً ، أبارق تقع في دماث من الأرض ، تبرز فيها ثلاثة جبيلات صغار متفرقة ، وتتبع إمارة الدوادمي السعودية (المعجم الجغرافي ، عالية نجد ١/ ١٧٦) . ويوم النسار : كان بين بني أسد وأحلافها وبين بني عامر ، وفيه قتلت بنو عامر قتلة شديدة . يقول : انهزموا ومروا مسرعين كالنعام الشارد . والنعام أقل الوحش أنساً ، فإذا أحس نبأة شرد ونفر . يصفهم بالخور والضعف والجبن ، وسرعة الفرار من شدة الخوف .

(٢) يقول : أذاك الثور ـ ووصفه في أبيات سابقة ـ شبه ناقتي في سرعتها أم ظليم ، وهو الذكر من النعام ، هذه صفته . والخاضب : الظليم الذي أكل الربيع فاحمرت ساقاه وأطراف ريشه ، ويقال إنما يناله ذلك من ألوان الزهر ، ولا يعرض ذلك للأنثى ، ولا يقال ذلك إلا للظليم دون النعامة (وانظر ما مضى برقم ٢٥٥٢) . والسي : ما استوى من الأرض ، وهي علم لفلاة على جادة البصرة إلى مكة . أبو ثلاثين : يريد الظليم ، لأنه أبو ثلاثين فرخاً أو ثلاثين بيضة . أمسى : دخل في المساء . منقلب : منصرف ، راجع إلى فراخه .

(٣) نقف الفرخ البيضة : ثقبها ليخرج منها .

(٤) عجز البيت : هِجانُ اللَّونِ قد وَسَقَتْ جَنينا

على غرار : أي إن البيضات على استواء في الطول ، ومثال واحد ، لا تخرج واحدة عن الأخرى . هجان اللون : بيض اللون ، الخالصة اللون والعتق . وسقت : حملت .

والمِطمَر : خيط البَنّاء .

إلا أن ثعلبة بن صُعَير خالف ذلك ، فقال يذكر الظليم والنعامة :

فتَذَكَّرا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَ ما   أَلْقَتْ ذُكَاءُ يمينَهَا في كَافِرِ

والرثيد : المنضود بعضه على بعض(١) .

٢٥٦٣ قالوا : الوَحش في الفلَوات ما لم تَعرف الإنسانَ ولم تره لا تَنفِرُ منه إذا رأته ، خلا النعامَ فإنه شارد أبداً ، قال ذو الرُّمَّة :

وكُلُّ أحَمِّ المُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ   أَخُو الإِنْسِ مِنْ طُولِ الخَلاءِ المُغَفَّلِ[1](٢)

يريد : أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه في خَلاء ولم ير أحداً قبل ذلك .

٢٥٦٤ وقال الأُحَيمر السعديّ : كنتُ حين خلعني قومي، وطَلَّ[2] السلطانُ دَمي(٣) ، وهربَتُ وترددتُ في البوادي ، ظننتُ أني قد جُزت نخْل وَبَار(٤) أو قريبٍ منها ، وذلك أني كنت أرى النَّوى في رَجْع الذئاب ، وكنت أغشى الظباءَ وغيرَها من بهائم الوَحش فلا تنفِرُ منّي ، لأنها لم تر أحداً قبلي ، وكنت أمشي إلى الظبي السَّمين فآخذُه ، وعلى ذلك رأيتُ جميعَ تلك الوحوش ، إلا النعامَ فإنه لم أره قَطُّ إلا نافِراً فَزِعاً .

* * *

(1) كب : المعقل .   (2) مص : أطَلَّ ، وكلاهما صواب .

(١) الثقل : المتاع ، وكل شيء مصون ، وأراد بيض النعامة . ذكاء : اسم للشمس . والكافر : الليل ، لأنه يغطي بظلمته كل شيء ، وكل ما غطى شيئاً فقد كفره . وقوله : ألقت يمينها في كافر ، أي تهيأت للمغيب .

(٢) الخلاء المغفل : الذي لا علامة فيه ولا أثر ، كأنما غفل عنه . يقول : كل ثور أسود العينين كأنه أخو الإنس لا ينحاش من الناس ، لا يفزع منهم لأنه لا يعرفهم .

(٣) طَلَّ دمي : أهدره ، فلا يُثأر به ولا تُقبل ديته .

(٤) وبار : هو القسم المتوسط مما يعرف الآن باسم الربع الخالي ، وهو أبعد ما يكون عن الأماكن المأهولة ، والجوانب التي ترتادها البادية لرعي أنعامهم . وهو أغزر أمكنة الربع الخالي رمالاً ، ولهذا فقد كان منذ القدم إلى عهد قريب تحاك حوله الخرافات لصعوبة السير فيه ، حتى توهم بعضهم أنه محل جنة شداد بن عاد في الأساطير (المنطقة الشرقية ٤/ ١٧٩٢) .

الطير

٢٥٦٥ قال : حَدَّثني زياد بن يحيى ، قال : حَدَّثنا أبو عَتَّاب ، قال : حَدَّثنا طلحة بن زيد[1] الشاميّ ، عن بَقيّة بن الوليد ، عن عبد الله بن أبي كبشة ، عن أبيه ، قال :

كان النبيّ عليه السلام يُعجبه أن ينظر إلى الأُتْرُجّ وإلى الحَمام الأحمر(١) .

٢٥٦٦ حَدَّثني الرِّياشيّ ، قال : ليس شيء يغيبُ أذناه إلا وهو يبيض ، وليس شيء يظهر أذناه إلا وهو يلد .

وروي ذلك عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

٨٩/٢ ٢٥٦٧ حَدَّثني محمد بن عبيد، عن معاوية بن[2] عمرو ، عن أبي إسحاق ، عن ابن جريج :

قال ابن شهاب: قال رسول الله ﷺ : « أربع لا يُقتَلن : النملةُ ، والنحلةُ ، والهُدهُد ، والصُّرَد »(٢) .

٢٥٦٨ بلغني عن مكحول ، قال : كان من دعاء داود النبيّ عليه السلام : يا رازقَ النَّعَّاب في عُشّه .

وذلك أن الغراب إذا فَقَص عن فِراخه خرجت بِيضاً ، فإذا رآها كذلك نَفَر عنها ، فتفتحُ أفواهَها ، ويُرسلُ اللهُ لها ذُباباً فيدخلُ في أجوافها ، فيكون غِذاءَها حتى تسودَّ ، وإذا اسودَّت عاد الغرابُ فغَذَّاها ، ويرفعُ اللهُ عنها الذبابَ .

---

(1) كب ، مص : يزيد ، تحريف .　　(2) كب ، مص : عن ، تحريف .

---

(١) إسناده باطل ، ولنا عليه كلام ، والحديث موضوع ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .
والأترج : ثمر كالليمون الكبار ، ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، حامض الماء ، ونسميه بالشام النَّارنج.

(٢) إسناده منقطع ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
والنهي إنما جاء في قتل النمل في نوع منه خاص ، وهو الكبار منها ، ذوات الأرجل الطوال ، وذلك لأنها قليلة الأذى والضرر . وأما الهدهد والصرد فالنهي عن قتلهما يدل على تحريم لحومهما ، وذلك أن الحيوان إذا نهي عن قتله ولم يكن ذلك لحرمته ، ولا لضرر فيه ، كان ذلك لتحريم لحمه .
والصرد : طائر أكبر من العصفور ، ضخم الرأس والمنقار ، يصيد الحشرات ، وربما صاد العصفور ، وكانوا يتشاءمون به .

٢٥٦٩ قال : حَدَّثني أحمد بن الخليل ، عن محمد بن الوليد[1] ، عن عَبَّاد بن كثير :

عن عبد الملك بن يحيى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَطرقُوا الطيرَ في أوكارها ، فإنَّ الليلَ أمانُ الله »(١) .

٢٥٧٠ حَدَّثني أبو سفيان الغَنَويُّ ، عن معاويةَ بن عمرو ، عن طلحةَ بن زيد ، عن الأحوص بن حكيم ، عن خالد بن مَعْدان :

عن رجل من الأنصار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الدِّيك الأبيضُ صَديقي ، وصديقُ صديقي ، وعَدُوُّ عدوِّ الله ، يحرسُ دارَ صاحبه وسبعَ أدْوُر »(٢) .

٢٥٧١ وكان النبيّ عليه السلام يُبيته معه في البيت .

٢٥٧٢ قالوا : الطير ثلاثةُ أضربٍ : بهائمُ الطير : وهو ما لَقَط الحبوبَ والبزورَ ، وسباعُ الطير : وهي التي تغتذي اللحمَ ، والمشتركُ : وهو مثلُ العصفور يشارك بهائمَ الطير في أنه ليس بذي مِخْلَب ولا مِنْسرٍ ، وإذا سقط على عود قدّمَ أصابعه الثلاث وأخر الدَّابرة ، وسباعُ الطير تُقدّم إصبعين وتُؤخّر إصبعين ، ويشاركُ سباعَ الطير بأنه يُلْقِمُ فراخَه ولا يَزُقّ ، وأنه يأكل اللحمَ ، ويصطاد الجرادَ والنملَ .

٢٥٧٣ قالوا : والعصفورُ شديدُ الوطء ، والفيلُ خفيفُ الوطء(٣) . ٢/ ٩٠

٢٥٧٤ والوَرَشانُ(٤) يُصرَعُ في كلّ شهر مرةً .

٢٥٧٥ قالوا : وأسوأ الطير هدايةً الأسودُ ، والأبيضُ لا يجيء من الغاية[2] لضعف قوّتِه ، وأجودُها هِدايةً الغُبْر[3] والنُّمْر .

---

(1) كب، مص: عباد عن الوليد، تحريف. (2) كب : الغابة . (3) في الحيوان ٢/ ٧٩: الخُضْر .

---

(١) إسناده واهن ومنقطع ، والحديث موضوع ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله . وطرق الطير : صاده ليلاً ، وكل آتٍ بالليل فهو طارق .

(٢) في الإسناد مجهول ومن لم يُعرف ، والحديث موضوع ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٣) قال الجاحظ : لا يقدر العصفور على المشي ، وليس عنده إلا النقزان ـ أي الوثب ـ ، ولذلك يسمى النقَّاز ، وإنما يجمع رجليه ثم يثب ، وذلك في جميع حركاته وفي جميع ذهابه ومجيئه . . وإن هو مشى هذه المشية ـ أي النقزان ـ على سطح وإن ارتفع سمكه ، فكأنك تسمع لوطئه وقع حجر لشدة وطئه ولصلابة مشيه . وهو ضد الفيل ، لأن إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيل لما شعر به ، لخفة وقع قوائمه (الحيوان ٢/ ٣٣٠) .

(٤) الورشان : اسمه ساق حر ، وهو ذكر القَمَاري ، طائر من الفصيلة الحمامية ، مطَوّق ، حسن الصوت ، أكبر قليلاً من الحمامة المعروفة ، يستوطن أوربة ، ويهاجر جماعات إلى العراق والشام .

٢٥٧٦ قال صاحب الفِلاحة : الحَمَام يُعْجَبُ بالكَمُّون ، ويألفُ الموضعَ الذي يكون فيه الكمُّونُ وكذلك العَدَسُ ، ولا سيما إذا أُنقِعَا في عصير حلو . ومما يَصلُحنَ عليه ويكثُرنَ أن تدخَّنَ بيوتُهنّ بالعِلْك .

وأسلمُ مواضِعها وأصلحُها أن يُبنَى لها بيتٌ على أساطين خشَب ، ويُجعَل فيه ثلاثُ كُوَى : كُوَّة في سَمْك البيت ، وكُوَّت من قبل المشرِق ، وكوَّة من قِبل المغرب ، وبابان من قِبل مَهبّ الجَنوب .

٢٥٧٧ قال : والسَّذَاب إذا أُلقي في البرج تَحامتْه السَّنَانيرُ البَريّة[1] .

٢٥٧٨ حدّثني آبن أبي سَعد ، عن عليّ بن الصَّباح ، عن أبي المنذر هشام بن محمد ، قال : حدّثني الكلبيّ أن أسماء كَنائن[1] نوح إذا كُتبن في زوايا بيتِ حَمَامٍ نَمَت الفروخُ وسلِمت من الآفات .

قال هشام : قد جرَّبته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي .

قال : وآسم امرأة سام بن نوح « مَحْلَثْ مَحْو » ، واسم آمرأة حام « أَذْنَف نشا » ، وآسم آمرأة يافث « زَذْقَت نبث » .

٢٥٧٩ قالوا : وأمراض الحمام أربعةٌ : الكُبَادُ ، والخُنَانُ ، والسِّلُ والقُمَّلُ[1] . فدواء الكُبَاد الزعفرانُ والسكَّر الطَّبَرْزَذُ وماء الهِنْدَباء ، يُجعلُ في سُكُرُّجةٍ ، ثم يُمَجّ في حلقه قبل أن يلتقِطَ شيئاً[1] .

ودواءُ الخُنَانِ : أن يُليَّن لسانُه يوماً أو آثنين بِدُهْنِ البنَفْسَج ثم بالرّماد والمِلح ، ويُدلكَ بهما حتى تَنْسَلِخَ الجلدةُ العليا التي غَشِيَت لسانَه ، ثم يُطْلَى بِعَسلٍ ودهنِ ورد حتى يبرأ .

ودواء السِّلِّ أن يُطْعمَ الماشَ المقشورَ[1] ، ويُمجَّ في حلقه لبنٌ حليبٌ . ويُقطعَ من

---

(١) السذاب : جنس نباتات كبية من الفصيلة السذابية . والسنانير : جمع سنور ، وهو الهر .

(١) الكنائن : جمع كنة بالفتح ، وهو جمع نادر ، وهي امرأة الابن أو الأخ .

(١) الكباد : وجع الكبد . والخنان : داء يأخذ الطير في حلوقها ، وفي العين . والقمل : الإصابة بالقَمْل ، وهي حشرات تتولد على البدن عند دفعه العفونة إلى الخارج .

(١) السكر الطّبرزذ : الأبيض الصلب . والهذباء (وتخفف الهمزة) : بقل زراعي ، يطبخ ورقه أو يجعل سلطة . والسكرجة : الصحفة .

(١) الماش : حب مدور أصغر من الحمص ، أسمر اللون ، يميل إلى الخضرة ، يؤكل مطبوخاً .

وظيفيه[١] عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المَفْصِل [من باطن] .

ودواء القُمَّل : أن تُطْلَىٰ أصولُ ريشِه بالزِّئبق[1] المخلوط بدُهن البنفسَج ، يُفعلُ به ذلك مراراً حتى يسقُطَ قملُه ، ويُكْنسُ مكانُه الذي يكون فيه كنساً نظيفاً .

٢٥٨٠ قالوا : والطيرُ الذي يخرجُ من وكره بالليل : البومةُ ، والصَّدَى ، والهامةُ ، والضُّوَعُ ، والوَطْواطُ ، والخُفَّاشُ ، وغرابُ الليل[٢] .

٢٥٨١ قالوا : إذا خرج فرخُ الحمامةِ نفخ أبواه في حَلقه الريحَ لتتسعَ الحَوْصَلة من بعد ٱلتحامها وتَنْفَتق[2] [بعد ارتتاقها] ، فإذا اتسعت زَقَّاه عند ذلك اللُّعابَ ، ثم زَقَّاه سورجَ[٣] أصولِ الحيطانِ ليدبُغَا به الحوصلةَ ، ثم زقّاه بعدُ الحبَّ .

٢٥٨٢ قال المُثَنَّى بن زهير : لم أر شيئاً قَطُّ في رجلٍ وٱمرأةٍ إلا وقد رأيتُه في الحَمَام : رأيتُ حَمَامةً لا تريد إلا ذَكَرَها ، [3][وذَكَراً لا يريد إلا أُنْثاه ، إلَّا أن يَهْلَك أحدُهما أو يُفْقَد] ورأيتُ حمامةً لا تمنع شيئاً من الذكور ، ورأيتُ حمامةً لا تَزِيفُ إلا بعد شدَّةِ طَلَبٍ ، ورأيتُ حمامةً تَزِيفُ للذَّكَر ساعةَ يطلبُها ، ورأيتُ حمامةً [لها زوج] وهي تُمكّن آخَرَ ما تَعدوه ، ورأيتُ حمامة تَقْمُطُ حمامةً [ويقال إنها تبيض من ذلك ، ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ] ، ورأيتُ حمامة تقمِط الذَّكَر ، ورأيتُ ذكراً يقمطُ الذكرَ ، ورأيتُ الذكر يقمطُ ما لقي ولا يُزاوجُ ، [وأُنْثى يَقْمُطها كل مَنْ رآها مِنَ الذكور ولا تُزَاوِج] ورأيت ذكراً له أُنْثيان يحضُنُ مع هذه وهذه ، ويَزُقُّ [مع] هذه وهذه[٤] .

---

(1) كب ، مص : بالزنبق ، والتصحيح عن الحيوان للجاحظ ٣/ ٢٧٢ .

(2) قرأتها مص : تنبثق ، والتصحيح عن الحيوان للجاحظ ٣/ ١٥٣ ، وشرح نهج البلاغة ٩/ ١٨٥ .

(3) الزيادة في كل المواضع من حياة الحيوان ١/ ٢٥٨ .

---

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق .

(٢) كانت العرب تقول : إذا قُتل قتيل فلم يُدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهي « الهامة » والذَّكَر « الصدى » ، فيصيح على قبره : اسقوني اسقوني . فإن قُتل قاتله كفَّ عن صياحه . والضوع : ذكر البوم . والوطواط : هو الخفاش ، وذكر الجاحظ أن اسم الخفاش يقع على سائر طير الليل (الحيوان ٢/ ٢٩٨) .

(٣) السورج : الملح يكون في أصول الحيطان ، وهي فارسية .

(٤) تزيف : تمشي مدلة وبغنج . وقمط الطائر أنثاه : نكحها . وزَقَّ الطائر فرخه : أطعمه بفيه .

البَيْض

٢٥٨٣ قالوا : والبَيْض يكونُ من أربعة أشياءَ ، منه : ما يكونُ من السِّفاد ، ومنه ما يكون من التراب ، ومنه ما يكون [من] نسيم الريح يصل إلى أرحامهن[1] ، ومنه شيء يعتري الحَجَل وما شاكله في[2] الطبيعة ، فإن الأنثى منه ربما كانت على سُفَالةِ الريح التي تهُبُّ من شِقّ الذَّكَر في بعض الزمان فتَحتِشي من ذلك بَيْضاً ، وكذلك النخلة تكون بجنب الفُحّال(١) وتحت ريحه فتلقَحُ بتلك الرِّيح[3] وتكتفي بذلك .

٢٥٨٤ والدّجاجةُ إذا هَرِمَت لم يكن لبيضها مُخٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مُخٌّ لم يُخلَق فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طُعْم يغذوه، والفرخ والفرّوج(٢) يُخَلَقان من البياض وغذاؤها الصُّفرةُ.

٢٥٨٥ وإذا باضت الدجاجةُ بيضتين في اليوم ، كان ذلك من علامات موتها .

٢٥٨٦ والطائر إذا نُتف ريشُه أحتبس بيضُه ، وإذا سَمِع صوتَ الرعدِ الشديدِ .

الخُفَّاشُ

٢٥٨٧ قالوا : عجائبُ الخُفَّاشِ أنه لا يُبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة ، وتَحبَلُ وتَلِد ، وتَحيضُ ، وتُرضِعُ ، وتَطيرُ بلا ريش ، وتحملُ الأنثى ولدَها تحت جناحها وربما قَبضتْ عليه بفيها خوفاً عليه ، وربما ولدت وهي تَطير .

ولها أذنانِ ، وأسنانٌ ، وجناحان متصلان برجليها ، وأبصارُها تصحّ على طول العمر، وإنما يظهر في القمر منها المسنّاتُ ، وقال بعض الحكماء : الخفّاش فأر يطير .

الخُطَّافُ والزُّرزُورُ

٢٥٨٨ قالوا : الخُطَّاف(٣) والزُّرزُورُ يتبعُ الربيعَ حيث كان .

٢٥٨٩ قالوا : وتُقلَعُ إحدى عينيه فترجعُ .

---

(1) كب ، مص : أرحامها .　(2) كب : من .　(3) كب : الرائحة ، مص : الريحة .

---

(١) شق الذكر : جهته . والفحال : ذكر النخلة خاصة .

(٢) الفروج : الفتي من ولد الدجاج ، والجمع فراريج .

(٣) الخطاف : السنونو .

٢٥٩٠ والزُّرزورُ لا يمشي ، ومتى وقع بالأرض لم يَستقلَّ وأُخِذ ، وإنما يُعشِّشُ في الأماكن المرتفعة ، فإذا أراد الطيرانَ رمى بنفسه في الهواء فطار ، وإذا أراد أن يشربَ الماءَ أنقضّ عليه فشرب منه أختلاساً من غير أن يَسقُطَ بالأرض .

العُقَابُ والحِدَأَةُ

٢٥٩١ قالوا : العُقابُ(١) تبيض ثلاثَ بيضات في أكثر حالاتها ، فإذا فرّخَت غَذَّتِ أثنين وباعدت عنها واحداً ، فيتعهدُ فرخَها طائرٌ يقال له : كاسرُ العظام ، ويَغذُوه حتى يَكْبَرَ ويَقوَى .

٢٥٩٢ وقال صاحب الفلاحة : العُقَابُ والحِدَأَةُ يَتَبدّلانِ ، فتصيرُ العقابُ حِدَأَةً والحِدَأَةُ عُقَاباً ، قال : وكذلك الأرانب تتبدّل[1] فيصيرُ الذكر منها أنثى وتصيرُ الأنثى ذكراً .

٢٥٩٣ قال صاحب المنطِق : العُقاب إذا أشتكت كَبِدَها مِنْ رفعها الثعلبَ والأرنبَ في الهواء وحَطِّها لذلك وأشباهه تعالَجتْ بأكل الأكباد حتى تَبرأَ .

الغــراب

٢/ ٩٤

٢٥٩٤ الغِربانُ لا تقرَبُ النخلَ المواقيرَ ، وإنما تسقطُ على النخل المصرومة فتلقُط ما يسقط من التمر في القُلْبَة وأُصول الكَرَب(٢) .

٢٥٩٥ وعلى[2] إناث الغِربان الحَضْنُ ، وعلى الذكور أن تأتيَ الإناثَ بالطُّعْم ، و[أمّا] الإوَزَّةُ [فإنها هي التي تحضُن وتأتي بالطُّعْم] دون الذَّكَر .

٢٥٩٦ والغربانُ أكتمُ شيء للسِّفاد .

---

(1) كب : يتبدلان .
(2) عوّلنا في قراءة النص على الجاحظ في الحيوان ٣/ ١٨٢ ـ ٤٥٥ .

---

(١) العقاب أنواعها كثيرة ، وهي جنس طيور من رتبة الكواسر وفصيلة الصقريات ، وتضم أنبل الجوارح وأشدها بأساً .
(٢) المواقير : الكثيرة الحمل . المصرومة : المقطوعة ، من صرم النخل : إذا جزه وقطعه . القلبة : جمع قُلْب ، وهو شحمة النخل ولبه ، أو سعفه وورقه . والكرب : أصول السعف الغلاظ العراض .

القَطَا

٢٥٩٧ قالوا : والقَطَا لا تضعُ بيضَها أبداً إلا أفراداً ، قال أبو وَجْزَةَ :

وهُـنَّ يَنْسُبْـنَ وَهْنـاً كُـلَّ صَـادِقَـةٍ   بـاتَـتْ تُبَـاشِـرُ عُـرْمـاً غَيْـرَ أزْوَاجِ[1]

٢٥٩٨ الحيوانُ الذي لا يصلُحُ شأنه إلا برئيسٍ أو رقيب : الناسُ ، والغرانيقُ ، والكَراكي والنحـل ، فأما الإبلُ والبقـر والحمير فتتخِذُ رئيساً من غير رقيب .

* * *

(١) الوهن : نحو نصف الليل . يصف حميراً وردت ليلاً ماء ، فمرت بقطا وأثارتها ، فصاحت القطا : قطا قطا ، وهو صوتها ، فذلك انتسابها . فجعلها صادقة لكونها خبَّرت باسمها . وقوله : تباشر عرماً ، عنى به بيضها ، والأعرم : الذي فيه نقط بياض ونقط سواد ، وكذلك بيض القطا . وقوله : غير أزواج ، يريد أن بيض القطا أفراد ولا يكون أزواجاً .

باب مصايد الطير

٢٥٩٩ قال صاحب الفِلاَحة : مَنْ أراد أن يحتالَ للطير والدّجاج حتى يتحيّرنَ ويُغشَى عليهنّ حتى يَصِيدَهنَّ : عَمَد إلى الحِلْتِيت فداقَه بالماء ، ثم جَعَل في ذلك الماءِ شيئاً من عَسَل ، ثم أنقعَ فيه بُراً يوماً وليلة ، ثم ألقى ذلك البرَّ للطير ، فإنها إذا ٱلتقطته تحيّرت وغُشِيَ عليها ، فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسقَى لبناً خالطه سمنٌ[١] . ٩٥/٢

٢٦٠٠ قال : وإن عُمِد إلى طَحين بُرّ غير منخول فعُجِنَ بخمر ، ثم طُرِحَ للطير والحَجَل فأكلَن منه تحيرن .

= وإن جُعِل خمرٌ في إناء وجُعِلَ فيه بَنْجٌ فشربنَ منه غُشِيَ عليهنّ[٢] .

٢٦٠١ قال : ومما يُصادُ به الكراكي وغيرها من الطير أن يُوضَعَ لهنَّ في مواقعهن إناءٌ فيه خمر وقد جُعِل فيه خَرْبَقٌ[٣] أسودُ وأُنقِع فيه شعيرٌ ، فإذا أكلنَ منه أخذهنّ الصائدُ كيف شاء .

٢٦٠٢ قال غيره : ومما تُصادُ به العصافيرُ بأسهلِ حيلةٍ أن تُؤخذَ سَلَّة[1] في صورة المِخْبرة اليهودية المنكوسة ويُجعلَ في جوفها عصفورٌ ، فتنقضّ عليه العصافيرُ ويَدْخلن عليه ، وما دخل منها لم يقدِر على الخروج ، فيصيدُ الرجلُ في اليوم الواحد مائتين وهو وادعٌ .

٢٦٠٣ قال : ويُصاد طيرُ الماء بالقَرْعَة ، وذلك أن تُوخذَ قَرْعةٌ يابسةٌ صحيحةٌ فيُرمَى بها في الماء فإنها تتحرّك ، فإذا أبصرها الطيرُ تتحرّك فَزِعَ ، فإذا كثُر ذلك عليه أنِسَ حتى لربما سقط عليها ، ثم تؤخذ قَرْعة [أخرى ، أو تؤخذ هي بعينها] فيُقطَعَ رأسُها ويُخرقَ فيها موضعُ عينين ثم يُدخِلَ الصائدُ رأسَه فيها ، ويَدخُلَ الماءَ فيَمْشي إليها

(1) كب : سلة في صدرها المحبرة ، مص : شبكة .

(١) الحلتيت : نبات أسود وأبيض ، أصله أغلظ من الإصبع ، يتفرع كثيراً ، وله قرون كقرون اللوبياء فيها بذر كالعدس أسود حار وأبيض لطيف . وداف : خلط . والبر : القمح .

(٢) البنج : جنس نباتات طبية مخدرة ، من الفصيلة الباذنجانية .

(٣) الخربق : جنس زهر من الفصيلة الشقارية .

مشياً رويداً ، فكلّما دنا من طائرٍ أدْخَل يده في الماء فقبضَ على رجليه ثم غَمسه في الماء ثم دَقّ جناحَه وخَلاّه ، فبقي طافياً فوق الماء يَسبَحُ برجله ولا يُطيقُ الطيرانَ ، وسائرُ الطير لا يُنْكِر[1] انْغماسَه ، فإذا فرَغ من صيد ما يُريد رَمَى بالقَرعةَ ، ثم يَلْتقطُها [ويجمعها] ويحملها[(١)] .

* * *

(1) قرأتها مص : يمكن . وعوّلنا في قراءة النص على الجاحظ في الحيوان ٥/٥٣٩ .

(١) القرعة : اليقطين .

الحَشَـــرات

٢٦٠٤ حَدَّثني يزيد بن عمرو ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن الربيع ، قال : أخبرنا هشام بن أبي عبد[1] الله ، عن قتادة :

عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : الفأرةُ يهوديةٌ ، ولو سقيتَها ألبانَ الإبل ما شَرِبتْها .

٢٦٠٥ والفأر أصناف ، منهنّ : الزَّباب ، وهو أصمّ ؛ قال الحارثُ بنُ حِلِّزَة :

وهُـــمُ زَبَـــابٌ حَـــائِـــرٌ لا تَسْمَـــعُ الآذانُ رَعْـــدَا[١] ٩٦/٢

[2]وتقول العرب : هو « أسرقُ من زَبَابَةٍ[٢] » .

والخُلْدُ : وهو أعمى[2] .

وفأرةُ البِيش ، والبِيش سمٌّ قاتل ، ويقال : هو قرونُ السُّنبل ، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره .

ومن غير هذا : فأرةُ المِسك .

وفأرةُ الإبل : [فَوْحُ] أرواحِها إذا عَرِقت .

٢٦٠٦ قالوا : ومن الحَيَّات ما يقتُل ولا يخطيء : الثُّعْبانُ ، والأفعى ، و[الحَيَّة] الهِنديَّةُ . فأما سِوى هذه فإنما يقتُل بما يمدُّه من الفزع ، لأنه إذا فَزِع تَفتَّحت مَنافسه ، فوغَل السّم إلى مواضع الصَّميم وعُمقِ البدن ، فإن نَهَشت النائمَ والمُغمَى عليه والطِّفلَ الصغيرَ والمجنونَ الذي لا يَعقلُ لم تَقتل .

٢٦٠٧ وأذنابُ الأفاعي تُقطَع فتَنبتُ، ونابها يُقطعُ بالكاز[3] فينبُتُ حتى يعود في ثلاث ليال[٣] .

---

(1) مص : بن عبد الله ، تحريف .

(2 - 2) كب ، مص : والخلد وهو أعمى ، وتقول العرب هو أسرق من زبابة .

(3) قرأتها مص : بالعكاز .

---

(١) أي لا تسمع آذانهم صوت الرعد ، لأنهم صم طرش .

(٢) مضى برقم ٢٤٣٥ .

(٣) الكاز : المقص بالفارسية .

٢٦٠٨ قالوا[1] : والحيّة إن نُفِث في فيها حُمّاض الأترُجّ ، وأُطبق لَحْيها الأعلى على الأسفل ، لم تَقتُلْ بعضّتها أياماً صالحة .

٢٦٠٩ ومن الناس من يبصُق في فم الحية فيقتلُها بريقه .

٢٦١٠ والحيّات تكره ريحَ السَّذَابِ والشِّيح ، وتُعجَبُ باللُّفَّاح والبِطِّيخِ والحُرْف[2] والخَردل المَرْخُوف[3] واللبن والخمرِ(١) .

٢٦١١ وليس في الأرض حيوانٌ أصبرُ على جوع من حيةٍ ، ثم الضَّبُّ بعدها ، فإذا هَرِمت صغُرت في بدنها ، وأقنعَها النسيم ولم تشته الطعامَ ، ولذلك قال الراجز :

حارِيَةٌ[4] قدْ صَغُرَتْ مِنَ الكِبَرْ(٢)

٩٧/٢ ٢٦١٢ وقال صاحب الفِلاَحة : إن الحية إن ضربتَها بقَصَبة مرة أوهَنَتْها القَصبةُ في تلك الضربة وحيّرتْها ، فإن ألححتَ عليها بالضرب انسابت ولم تكترِث .

٢٦١٣ قال : ومن جَيِّد ما يُعالَجُ به الملسوعُ أن يُشَقَّ بطنُ الضِّفدَعِ ثم يُرفَد به موضِعُ لسعة العقرب .

٢٦١٤ وقال[5] : والضِّفدَعِ لا يَصيحُ حتى يُدِخَل فكه[6] الأسفلَ في الماء [ويترك الأعلى] ، فإذا صار في فيه بعضُ الماءِ صاح ، ولذلك لا تَسمع للضفادع نقيقاً إذا خرجن من الماء ، قال الراجز :

يُدْخِلُ في الأشْدَاقِ ماءً يُنْصِفُهْ[7] حَتَّى يَنِقَّ والنَّقِيقُ يُتْلِفُهْ(٣)

---

(1) سقطت من مص .
(2) كب : الحرب .
(3) كب : الموحف ، مص : الموخف .
(4) كب : جارية ، تصحيف .
(5) كب : قال (بسقوط الواو) ، وسقطت من مص .
(6) كب ، مص : حنكه . وعوّلنا على الجاحظ في الحيوان ٣/ ٢٦٦ في قراءة النص .
(7) كب : ينطفه .

---

(١) السذاب : جنس نباتات طبية من ذوات الفلقتين ، يمتاز بضيق ورقه . والشيح : نبات سهلي يتخذ من بعضه المكانس ، له رائحة طيبة وطعم مر ، وهو مرعى للخيل والنعم ، ومنابته القيعان والرياض . اللفاح : نبات يقطيني أصفر شبيه بالباذنجان ، طيب الرائحة . والحرف : حب الرشاد . المرخوف : الذي وضع عليه الماء فاسترخى .

(٢) الحارية : اسم للأفعى ، لأن جسمها قد حَرَى أي نقص من طول العمر .

(٣) ينصفه : أي يبلغ نصف فكه الأعلى . وإنما النقيق يتلفه لأنه يدل عليه حية البحر .

يريد أن النقيقَ يدل عليه حيةَ البحر ، كما قال الآخر :

ضَفَادِعُ في ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَـدَلَّ عليها صَـوْتُهَـا حَيَّـةَ البَحْـرِ

٢٦١٥ وقال في اليَخِّ[1] : إنه إن ٱنخرق فيه خَرْق بمقدار منخر الثور حتى تدخلَه الريحُ ٱستحال ذلك اليَخُّ[2] ضفادع(١) .

٢٦١٦ والضَّفادع لا عِظام لها ، ويُضرب بها المَثَلُ في الرَّسَح[3] ، فيقال : « أرسحُ من ضِفدَعٍ » ، و « أجحظُ عيناً من ضِفدعٍ »(٢) .

٢٦١٧ قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرّك فكَّه الأسفل ، إلا التمساحَ فإنه يُحرّكُ فكه الأعلى .

٢٦١٨ وبمصر سمكٌ يقال له الرَّعَّادُ ، مَنْ صاد منه سمكةً لم تزل يده تَرعدُ وتَنتفِضُ ما دام في شبكته أو شِصِّه(٣) .

٢٦١٩ والجُعَلُ(٤) إذا دفنتَه في الوَرد سَكنتْ حركتُه ، حتى يتوهَمَ مَنْ رآه أنه قد مات ، فإذا أعَدتَه إلى الروث تحرّك ورَجَعَ حِسُّه[4] .

٢٦٢٠ والبعيرُ إذا ٱبتلع في علفه خنفساءَ قتلتْه إن وصلتْ إلى جوفه حيةً . ٩٨/٢

٢٦٢١ وأطولُ شيء ذَماءً الخنفساءُ ، فإنها يُسرَجُ على ظهرها فتصبرُ وتَمشي(٥) .

٢٦٢٢ والضبُّ يُذْبحُ فيمكث ليلة ، ثم يُقرَّبُ من النار فيتحرّك .

٢٦٢٣ والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياماً تتحرّك ، وإن وطئها واطيء نهشته ، ويُقْطعُ ثلثها الأسفلُ فتعيشُ ويَنبُت ذلك المقطوعُ .

٢٦٢٤ والكلبُ والخنزيرُ يُجرحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

---

(1) مص : السَّبخ ، تحريف .
(2) كب : البيخ، مص: السَّبخ، وكلاهما تحريف .
(3) كب : الرشح . . أرشح .
(4) كب ، مص : في حسه .

---

(١) اليخ (بفتح الياء وتشديد الخاء المعجمة) : الثلج ، وهي من الفارسية .

(٢) الرسح : خفة لحم العجز والفخذين .

(٣) الشص : الصنارة ، حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

(٤) الجعل : حشرة سوداء أكبر من الخنفساء ، تكثر في المواضع الندية .

(٥) الذماء : بقية النفس . يسرج : يوقد ، وقال الفضل العنبري : يغرز في ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل الدار وهي تدب بها وتجول (الحيوان ٣/٥٠٩) .

٢٦٢٥ قالوا : وللضبّ ذَكَرانِ وللضبّة حِرانِ ، خَبّرني بذلك سَهْل ، عن الأصْمَعيّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نَزْكٌ[1] ، وأنشد :

سِبَحْـلٌ لَـهُ نـزْكَـانِ كَـانَـا فَضِيلَـةً ... على كُلِّ حَافٍ في البِلادِ ونَاعِلِ(١)

٢٦٢٦ وكذلك الحِرذونُ .

٢٦٢٧ والذِّبّانُ(٢) لا تَقَربُ قِدراً فيها كَماةٌ .

٢٦٢٨ وسَامُّ أبرصَ[2] لا يدخل بيتاً فيه زعفرانٌ(٣) .

٢٦٢٩ ومَنْ عَضَّه الكَلْبُ الكَلِبُ آحتاج إلى أن يستر وجهه من الذّباب لئلا يسقطَ عليه .

٢٦٣٠ وخُرطومُ الذباب يدُه ، ومنه يُغَنّي ، وفيه يُجري الصوتَ كما يُجري الزامرُ الصوتَ في القصبةِ بالنفخِ .

٢/٩٩ ٢٦٣١ قالوا : ليسَ شيء يَدْخَرُ إلا الإنسانُ والنملةُ والفأرةُ .

٢٦٣٢ والذَّرَّةُ تَدَّخرُ في الصيف للشتاء ، فإذا خافَتِ العَفَنِ على الحبوب أخرجتْها إلى ظاهرِ الأرض فشَرَّرَتْها ، وأكثرُ ما تَفعلُ ذلك ليلاً في القمر . فإن خافتْ أن ينبتَ الحبُّ نقرتْ وسطَ الحبة لئلا تنبتَ(٤) .

٢٦٣٣ والسُّلحْفَاةُ إذا أكلتْ أفْعى أكلتْ سَعْتَراً جَبَلياً .

٢٦٣٤ وآبنُ عِرْسٍ إذا قاتَلَ الحيةَ أكلَ السَّذَابَ .

٢٦٣٥ والكلابُ إذا كان في أجوافها دودٌ أكلتْ سُنبلَ القَمحِ[3] .

٢٦٣٦ والأيِّلُ(٥) إذا نهشتْه الحيةُ أكل السَّراطينَ . قال آبن ماسَوَيْه : فلذلك يُظنّ أن السراطينَ صالحةٌ لمن نُهشَ من الناس .

---

(1) كب : نزل ، تصحيف .
(2) كب : الأبرص .
(3) كب : الفنج .

---

(١) السبحل : الضخم . والحافي : العاري القدمين ، ويريدون به عامة الناس . والناعل : ذو النعل ، ويريدون به أشراف الناس وساداتهم للبسهم النعال .
(٢) الذبان : جمع الذباب .
(٣) سام أبرص : أبو بريص كما تسميه العامة في الشام .
(٤) الذرة : واحدة الذر ، وهي صغار النمل . شررتها : نشرتها في الشمس لتجف .
(٥) الأيل : ذكر الأوعال ، وهي التيوس الجبلية .

٢٦٣٧ والوَزَغ(١) يُزاقُ الحيّاتِ ويُقارِبُها[1] ، ويَكرع في اللبن والمَرَق ثم يَمُجّ في الإناء .

٢٦٣٨ وأهلُ السِّجْنِ يعملون من الوَزَغ سماً أنفذَ من [سم] البِيشِ ومن رِيق الأفاعي ، وذلك أنهم يُدخلون الوَزَغةَ قارورةً ثم يَصُبُّون فيها من الزيت ما يغمُرها ، ويضعونها في الشمس أربعينَ يوماً[2] حتى تتهرأ في الزيت [وتصير شيئاً واحداً] ، فإنْ مُسِحَتْ على اللُّقْمةِ منه مَسْحةٌ وأكله آكل مات من يومه(٢) .

٢٦٣٩ والجرادُ إذا طَلَع فعُمِدَ إلى التُّرمُس والحَنظلِ فطُبخا بماء ، ثم نُضحَ ذلك الماءُ على زرع تَنكَّبَه الجرادُ . ٢/١٠٠

٢٦٤٠ وإذا زُرع خَرْدَلٌ في نواحي زرع نجا من الدَّبَى[3](٣) .

٢٦٤١ وإذا أُخذ المُرْدَاسَنْجُ(٤) فعُجِن بعجين ، ثم طُرح للفأر فأكلته مُوِّتن عنه ، وكذلك بُرايةُ الحديد .

٢٦٤٢ وإذا أُخِذ الأفيون والشُّونيز والباذَروج[4] وقرنُ الأُيَّل وباذهنج[5] وظلفٌ من أظلاف المعز فَخُلِط ذلك جميعاً ، ثم دُقّ وعُجن بخلٍّ عتيق[6] ، ثم قُطِعَ قطعاً ، فدُخِّن بقطعة منه ، نفرت لذلك الحيّاتُ والهوامُّ والنملُ والعقاربُ ، وإن أُحرِقَ منه شيء ودُخِّن به هرب ما وَجَدَ منها تلك الريحَ(٥) .

٢٦٤٣ والنملُ تهرُبُ من دُخَان أصول الحَنْظل .

٢٦٤٤ وإن عُمِدَ إلى كبريت وسَذَابٍ وخَرْبَقٍ[7] فَدُقَّ ذلك جميعاً وطُرِحَ في قرية النملِ قتلها[8]

---

(1) كب : يغارها .
(2) كب : ليلة .
(3) كب : الوباء .
(4) كب ، مص : البارزذ .
(5) كب ، مص : بابونج .
(6) كب : نقيف .
(7) كب : خبق .
(8) كب : قتلهم ظهورهن ، وكتب في الهامش : لعله منعهم . وفي مص : قتلها ومنعها .

---

(١) الوزغ : سام أبرص ، وهو أبو بريص .
(٢) أهل السجن : القوامون بأمر السجن ، ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤونة المراقبة ، أو تنفيذاً لما يوحي به إليهم أولي الأمر . والبيش : نبت بالهند وبالصين ، سبط الأوراق ، يطول إلى ذراع ، يقال إنه أسرع فتكاً بالإنسان من سم الأفاعي .
(٣) الدبى : صغار الجراد والنمل .
(٤) المرداسنج : الرصاص ، معرب مردار سنك ومعناه الحجر الخبيث .
(٥) الشونيز : الحبة السوداء، وهي في الشام «حبة البركة» و«الحبة المباركة». والباذروج : نبت طيب الريح .

ومنع ظهورهن من ذلك الموضع وذهبن[1] .

٢٦٤٥ والبعوضُ تهرُب من دخان القَلْقَديس[(١)] إذا دُخِّن به ومعه حبُّ السوس ، وتهرُب من دخان الكبريت والعِلْك .

٢٦٤٦ وقالت الأطباء : لحمُ أبن عِرس نافعٌ من الصَّرْع[(٢)] .

٢٦٤٧ ولحمُ القُنفذ نافع من الجُذام والسِّلِّ والتشنُّج ووجع الكُلَى ، يُجفَّفُ ويُشرب ، ويُطعَمُه العليلُ مطبوخاً ومشوياً ، ويُضمدُ به المتشنِّج[2] .

٢٦٤٨ والعقرب إذا شُقَّ بطنُها ثم شُدَّ على موضع اللسعة نَفَعت[(٣)] .

٢/١٠١ ٢٦٤٩ وقد تُجْعل في جوف فَخَّار مشدود الرأس ، مُطَيَّن الجوانب ، ثم يوضع الفخّارُ في تَنُّور ، فإذا صارت العقربُ رَماداً سُقيَ منْ ذلك الرمادِ من به الحصاة ، مقدارَ نصف دانِق[(٤)] وأكثر ، فيُفَتِّتُ الحصاةَ من غير أن يضرَّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط[(٣)] .

٢٦٥٠ وقد تَلْسَعُ العقربُ مَنْ به حُمَّى عتيقةٌ فتقلعُ ، وتلسعُ المفلوجَ فيذهبُ عنه الفالج[(٣)] .

٢٦٥١ وتُلْقَى في الدُّهْن وتُترك فيه حتى يأخذَ الدُّهنُ منها ويَجتذبَ قُواها [كُلَّها بعد الموت] فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفَرِّقاً للأورام الغليظة[(٣)] .

٢٦٥٢ ومن طَبْع العقرب أنك إن ألقيتها في ماء غَمْرٍ بقيتْ في وسط الماء لا تَطفو ولا تَرسُبُ ، وهي من الحيوان الذي لا يَسبحُ .

٢٦٥٣ وعينُ الجرادة وعينُ الأفعى لا تَدورانِ .

٢٦٥٤ وإنما تَنسُجُ من العناكب الأنثى ، والذَّكَر هو ٱلخَذْرَنَقُ ، وولد العنكبوت يَنسِجُ ساعةَ يولدُ .

---

(1) كب ، مص : ذهبن (بسقوط الواو) . (2) كب : التشنج .

---

(١) القلقديس : كبريتات الحديد .

(٢) ستأتي من قول بعض الأطباء برقم ٢٦٦٣ . والصَّرْع : علّة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة وتشنج في العضلات .

(٣) ستأتي من قول بعض الأطباء برقم ٢٦٦٣ .

(٤) الدانق : هو اليوم ما يعادل حوالي ٠,٥ غراماً .

٢٦٥٥ والقَمْلُ يُخْلَق في الرؤوس على لون الشعر إن كان أسودَ أو أبيضَ أو مخضوباً بالحِنّاء.

٢٦٥٦ والحَلْكاءُ[1] دُوَيبَّة تغوص في الرمل كما يغوص طائرُ الماء في الماء .

٢٦٥٧ وبناتُ النَّقَا كذلك ، وهي التي يُقال لها : شحمةُ الأرض .

٢٦٥٨ وأمُّ حُبَيْنٍ لا تُقيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ ، والسّرفةُ : دويبَّة يُضربُ بها المثلُ في الصَّنْعة فيقال : أصْنَعُ مِنْ سُرْفَةٍ(١) .

٢٦٥٩ ومن أحسنِ ما قيل في الأفعى[2] قول امرأة من الأعراب :

خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عِزِينَ وَرَأْسُهُ ... كالقُرْصِ أَفْطَحَ[3] مِنْ دَقيقِ شَعيرِ(٢) ١٠٢/٢

وكَأَنَّ مَلْقَاهُ بكُلِّ تَنُوفَةٍ ... مَلْقَاكَ كِفَّةَ مِنْخَلٍ[4] مَأْطُورِ(٣)

ويُدِيرُ عَيْناً للوِقَاعِ كأنَّها ... سَمْرَاءُ طاحَتْ مِنْ نَفِيضٍ[5] بَرِيرِ(٤)

٢٦٦٠ قيل لمَاسَرْجُويَه : نَجدُ ملسوعَ العقرب يُعالَج بالمَسُوس[6](٥) فينفعه ، وآخر يُعالج بالبندق فينفعه ، وآخر يَشربُ الأنقاس(٦) فتنفعه ، وآخر يأكلُ التّفاحَ الحامضَ فينفعُه ، وآخر يَطليه بالقِلْي(٧) والخلّ فيحمَدُه ، وآخر يَعْصِبُ عليه الثومَ الحارَّ المطبوخَ ، وآخر يُدخِلُ يدَه في مِرْجَلٍ حارٍّ لا ماء فيه فيحمَدُه ، وآخر يعالجه بالنُّخَالة الحارّة فيحمَدها ، وآخر يَحجِمُ ذلك الموضعَ فيحمَده ، ثم رأيناه يتعالج بعد ذلك الشيء

---

(1) مص : الحلكاء (بسقوط الواو) .
(2) كب : أفعى .
(3) كب : قطع ، مص : فرطح .
(4) مص : منجل .
(5) كب : فقيص .
(6) كب : بالأسفيون ، مص : بالأسفيوش ، تحريف . والأسفيوش إنما يستعمل في حالة الإمساك المستعصي.

---

(١) السرفة : دودة القز ، ومضى المثل برقم ٢٤٣٤ .
(٢) اللهازم : أصول الحنكين . عزين : متفرقة . والقرص : الرغيف ، أي كالقرص من دقيق شعير . وأفطح : عريض الرأس ، وتروى فرطح وفلطح ، ويقال : فرطح الخبز وفلطحه ، بسطه وعرَّضه .
(٣) التنوفة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير ، والمأطور : ذو الإطار .
(٤) الوقاع : المواقعة في الحرب . سمراء : أراد ثمرة سمراء . طاحت : سقطت . والبرير : ثمر الأراك ، وهي حمر دكناء ، والأراك : شجر المسواك ، ونفيضه : ما نفض منه ، أي ما سقط منه . وفي المعاني الكبير ٢/ ٦٧٢ : أرادت أنها تنظر يميناً وشمالاً لأن المقلة لا تزول ، والحية تبدي السلخ من ناحية عيونها في الربيع والخريف ، ولذلك يظن من يعاينها في ذلك الوقت أنها عمياء .
(٥) المَسُوس ، كصبور : الترياق الذي يعالج به الملسوع والملدوغ .
(٦) الأنقاس : الحوامض .
(٧) القلي : الصودا كما تسميه العامة ، وهو بيكربونات الصوديوم .

٢/١٠٣ للسعة أخرى فلا يحمده ! فقال : لما ٱختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقَدْر والزمان ، وباختلاف ما لاقاه ، ٱختلفَ الذي يوافقه على حسب ٱختلافه .

٢٦٦١ قالوا : وأشدُّ ما تكون لسعتُها إذا خرج الإنسانُ من الحمّام ، لتفتّح المنافس وسَعَةِ المجاري وسُخُونة البدن .

٢٦٦٢ وحَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال :

قال أبو بكر السَّبْري[1] : ما من شيء يضرّ إلّا وفيه منفعة .

٢٦٦٣ وقيل لبعض الأطباء : إن قائلاً قال : أنا مثلُ العقرب أضرّ ولا أنفعُ . فقال : ما أقلَّ علمَه بها ، [لَعَمْري] إنها لتنفع إذا شُقَّ بطنُها ثم شُدّ[2] على موضع اللَّسْعة [فإنها حينئذٍ تنفع منفعةً بيّنة] ؛ وقد تُجعل في جوف فَخّارٍ مشدودِ الرأس مُطيّنِ الجوانب ثم يُوضعُ الفخّار في تَنُّور ، فإذا صارت العقربُ رَماداً ، سُقيَ من ذلك الرمادِ مقدارَ نصف دانق أو أكثر قليلاً ، مَنْ به الحصاةُ فَفَتَّها من غير أن يضرَّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط ؛ وقد تَلْسعُ العقربُ مَنْ به الحُمَّى العتيقةُ فتُقلِعُ عنه . ولَسعتِ العقرب رجلاً مفلوجاً فذهب عنه الفالج . وقد تُلْقَى[3] العقربُ في الدهن وتترك فيه حتى يأخذَ الدهنُ منها ويَجتذبَ قواها ، فيكون ذلك الدّهنُ مُفرّقاً للأورام الغليظة(١) .

٢٦٦٤ قال أبو عبيدة : ولَسعتْ أعرابياً عقربٌ بالبصرة ، وخيفَ عليه فاشتدَّ جزعُه ، فقال بعضُ الناس له : ليس شيء خيراً مِنْ أن تُغْسَلَ له خُصيةُ زِنجيّ عَرِقَ ففعلوا ، وكان ذاك في ليلةٍ وَمِدَةٍ(٢) ، فلما سَقوهْ قَطَّب ، فقيل له : طعمَ ماذا تَجِدُ ؟ قال : أجدُ طعمَ قِرْبَةٍ جديدةٍ .

٢٦٦٥ قال المأمون : قال لي بَخْتِيَشُوع وسَلْمَوَيْه وٱبن ماسَوَيْه : إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لسعة الزُّنبور هَدَأ وسكن الألمُ ، فلسعني زُنبورٌ فحككتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سَكَن الألمُ إلّا في قَدْر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج ، فلم يبقَ في يدي منهم إلّا أن يقولوا : كان هذا الزنبورُ حَتْفاً قاضياً ، ولولا ذلك العلاجُ لقتلكَ[4] . ٢/١٠٤

٢٦٦٦ قالوا : ومما ينفع من اللسعة أن يُصيروا على موضعها قطعةَ رَصاصٍ رقيقةً وتُشدّ عليه

---

(1) كب : الهجري ، مص : البحري .　(2) كب ، مص : شدت .
(3) كب : يترك .　(4) كب ، مص : قتلك .

---

(١) انظر ما مضى برقم ٢٦٤٨ ، ٢٦٤٩ ، ٢٦٥٠ ، ٢٦٥١ .
(٢) ليلة ومدة : شديدة الحر ، ثقيلة الندى مع سكون الريح .

أياماً ، وقد يُمَوِّهُ بهذا قومٌ فيجعلونه خاتَماً فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهِشَ في إصبعه .

٢٦٦٧ قال محمد بن الجَهْم : لا تتهاونوا بكثيرٍ مما تَرَوْن من علاج [القوابل] العجائز ، فإن كثيراً منه وقع إليهن من قدماء الأطباء ، كالذِّبّان يُلْقَى في الإثمِد فيسحقُ معه ، فيزيدُ ذلك في نور البصر ونفاذِ النظر وتشديدِ مراكز الشعر في حافات الجفون .

٢٦٦٨ قال : وفي أُمّة من الأمم قومٌ يأكلون الذِّبّانَ فلا يرمَدون ، وليس لذلك يأكلونه ، ولكن كما يأكل غيرُهم فِراخَ الزنابير .

٢٦٦٩ وقال ابن ماسَوَيْه : المجرَّبُ للسع العقرب أن يُسقَى من الزَّراوَند المدحرجِ(١) ويُشربَ عليه ماء بارد ، ويُمضغَ ويوضعَ على اللسعة .

٢٦٧٠ قال : وللسع الأفاعي والحيّات ورقُ الآس الرطب ، يُعْصَرُ ويُسقَى من مائه قَدْرَ نصف رطل ، وكذلك ماء المَرْزَنْجُوش(٢) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور[1] مع المطبوخ ، ويُضمد الموضعُ بورق التفاح المدقوق .

٢٦٧١ وللأدوية والسموم القاتلة البندق والتين والسَّذَابُ ، يُطعم ذلك العليلُ .

٢٦٧٢ قال : والثُّوم والملح وبَعْر الغنم نافع جداً إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحيّة إلا أن تكون أَصَلةً ، فإن الأصَلَةَ تُوضعُ على لسعها الكُلْيتان جميعاً بالزيت والعسل(٣) . ٢/ ١٠٥

٢٦٧٣ والخِطميُّ إذا أُخِذَ ورقُه فدُقّ ثم وُضع على لسعة قَملة النّسر كان دواءً له . وإن طَلَى أحدٌ[2] به يديه أو جسدَه لم يَلدغْ ذلك الموضعَ منه زُنْبورٌ ، وإن لَدغَ أحداً زنبورٌ فآذاه فشرب من مائه نفعه(٤) .

٢٦٧٤ والبَلْخَشكوك[3] وهو الطَّرْخون إن دُقَّ فضُمد به لسعةُ العقرب نفع إذا أُغلي[4] أو شُرِب من عصيره .

٢٦٧٥ قالوا: وإن أخَذَ مَنْ حذرَ على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونيز على الريق وَقاه(٥) .

---

(1) كب : المعصور (بسقوط الواو) . (2) كب : أحديه به أوجده .
(3) كب، مص: البشكول وهو الطرشقوق، تحريف. (4) كب : غلي .

---

(١) الزراوند المدحرج : نبت أغصانه دقيقة ، عريض الأوراق .
(٢) المرزنجوش : الياسمين .
(٣) الأصلة : حية قصيرة ، كبيرة الرأس ، خبيثة ، تثب وتهلك .
(٤) الخطمي : جنس نبات من فصيلة الخبازيات ، أشهر أنواعه الخطمي الوردي أو الدمشقي . وقملة النسر : حشرة أعظم من القمل ، إذا عضت قتلت ، وسميت قملة النسر لأنها تخرج منه .
(٥) الشونيز . الحبة السوداء ، ونسميها بالشام حبة البَرَكة ، والحبة المباركة .

النبــات

٢٦٧٦ حَدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حَدَّثنا قريشُ بن أنس :
عن كُلَيب بن[1] وائل ـ رجل من المُطَّوِّعة ـ قال : رأيتُ ببلاد الهند شجراً له ورد أحمر مكتوب فيه ببياض : « محمد رسول الله » .

٢٦٧٧ والعرب تقول في مثل هذا : هو « أشكَر من البَرْوَق[2] » ، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم(١) .

٢٦٧٨ ويزعم قوم أن النَّارَجِيلَ هو نخل المُقْل قَلَبه طِباعُ البلد(٢) .

٢٦٧٩ وقال صاحب الفِلاَحة : بين الكُرُنب وبين الكَرْم عداوةٌ ، فإذا زُرِعَ الكرنبُ بحضرة الكَرْم[3] ذَبَلَ أحدهما وتشنَّج ، ولذلك يُبطيء السُّكْرُ عمن أكل منه وريقاتٍ على ريق النفس ثم شرب .

٢٦٨٠ وقُضبان الرمّان إذا ضُرِبَ بها ظهرُ رجل اشتدّ عليه الألم .

٢٦٨١ قالوا : وكلّ زَهر ونَوْرٍ فإنه ينحرفُ مع الشمس ويُحَوِّل إليها وجهَه ، ولذلك يقال : هو يُضاحِكُ الشمسَ . قال الأعشى : ٢/١٠٦

مــا رَوْضَــةٌ مِـنْ رِيـاضِ الحَـزْنِ مُعْشِبَـةٌ   خَضْــراءُ جَــادَ عَلَيْهَــا مُسْبِـلٌ هَطِـلُ(٣)

---

(1) كب ، مص : أبو ، تحريف .   (2) كب : البروت ، مص : البروقة .
(3) كب : كرم .

---

(١) البروق : جمع البَرْوَقة ، وهي ما يكسو الأرض من أول خضرة النبات ، وقالوا : أشكر من بروقة ، لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء فتخضر .

(٢) النارجيل : جنس شجر من الفصيلة النخلية ، ومن أسمائه : الشُّعْضُور والرَّانج ، ويزرع لثمره المسمى : جوز الهند . والمقل : الدَّوْم ، شجر عظام من الفصيلة النخيلية ، يكثر في صعيد مصر ، ثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر ، وله نواة ضخمة ذات لب إسفنجي .

(٣) الحزن : المرتفع من الأرض ، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها ، ولأن الأقدام لا تطأها . مسبل : أي مطر مسبل ، وأسبل المطر : أنزل الماء . والهطل : المتتابع المطر ، العظيم القطر ، المسترخي .

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مُـؤَزَّرٌ بِعَمِيـمِ النَّبْـتِ مُكْتَهِـلُ(١)

وقال آخر :

فَنُوَّارُه مِيلٌ إلى الشَّمْسِ زَاهِرُهْ(٢)

٢٦٨٢ والخُبَّازَى(٣) يَنضمُّ ورقُهُ بالليل ويَنفتِحُ بالنهار .

٢٦٨٣ والنَّيْلُوفَرُ[1] يَنبتُ في الماء فيغيب الليلَ كلّه ويظهرُ إذا طلعتِ الشمسُ .

٢٦٨٤ وقالوا في الطُّحلُب : إن أُخذ فجُفِّفَ في الظلّ ثم سقطَ في النار لم يَحترق .   ١٠٧/٢

٢٦٨٥ وذكروا أن قَساً راهنَ على صليب في عنقه من خشب أنه لا يَحترق ، وقال : هو من العود الذي صُلِبَ عليه المسيحُ ، فكاد يَفتِنُ بذلك خَلْقاً حتى فَطَن له بعضُ أهلِ النظر فأتاهم بقطعة عُود تكون بكِرمانَ فكان أبقى على النار من صليبه .

٢٦٨٦ والطَّلَقُ كذلك لا يصير جمراً(٤) .

٢٦٨٧ وطِلاءُ النفّاطين طَلَقٌ وخِطْميٌّ ومَغَرَةٌ(٥) .

---

(1) كب : اللينوفر .

---

(١) الكوكب : ما طال من النبات . والشرق : الريان الممتليء . مؤزر : ملتف ، كأنه لابس إزاراً . مكتهل : تام الطول . وبعد البيت :

يَوْماً بأطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ   ولا بأحْسَنَ منها إذ دَنَا الأُصُلُ

الأصل : جمع الأصيل ، وهو وقت الغروب .

(٢) صدره :   بمُسْتَأْسِدِ القُرْيَانِ حُوٌّ تِلاعُهُ

وقبل البيت :

عَفَا مُسْحَلانُ عن سُلَيمى فحامِرُهْ   تُمَشَّى بـه ظِلْمَـانُـهُ وجـآذِرُهْ

مسحلان وحامر : موضعان . الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام . والجآذر : أولاد البقر . يقول : عفا وخلا من الأنيس حتى ألفته الظلمان والبقر . واستأسد النبت : طال وتم . والقريان : مجاري الماء إلى الرياض . الحو : التي قد اشتدت خضرتها حتى ضربت إلى السواد . والتلاع : مسيل الماء إلى الوادي . النوار : النور ، وهو الزهر ، والهاء للنبت . وزاهره : ما زهر منه . يقول : نوار هذه الروضة يميل زاهره حيال الشمس .

(٣) الخبازى : عبّاد الشمس .

(٤) الطلق : حجر برّاق شفاف ذو أطباق ، يتشظى إذا دق صفائح ، ويطحن فيكون مسحوقاً أبيض يذر على الجسد فيكسبه برداً ونعومة .

(٥) النفاطون : الرماة بالنفط ، وهو القطران . والمغرة : الطين الأحمر ، واسمه الكيميائي مسحوق أكسيد الحديد .

٢٦٨٨ وقالوا : إذا أُخذَ بزرُ السَّذاب البريّ وزُرع ، وطال به ذلك ، تَحوّل حرملاً .

٢٦٨٩ والنمّامُ إذا أعتقَ تحوّل حَبَقاً[١] .

٢٦٩٠ قالوا : والقُسْطُ إنما هو جَزَرٌ بحريّ[٢] .

٢٦٩١ قالوا : بالسند نبتٌ من الحشيش يُسمّى تِريَّةً ، إذا أخذ فطُبخ ثم صُفّي ماؤه فجُعِلَ في وِعاء لم يلبَث إلا يسيراً حتى يشتدّ ويُسكِر شاربَه إسكارَ الخمر .

٢٦٩٢ قال صاحب الفِلاحة : من أراد أن يضرّ بمَبْقَلَةٍ[٣] عَمَد إلى شيء من خُرء البَطّ فخلط به مثلَه من ملح ، ثم طُرِحا في ماء فديفًا فيه ، فيُنضَحُ ذلك الماءُ على البقل فإنه يَفْسُدُ .

٢٦٩٣ قال : ومن أراد إفسادَ الرمّان الكثير ألقى في أضعافه نَوَى التمر والملح[1] الجريش[٤] .

٢٦٩٤ ومَن أراد قتلَ السمك في الماء القائم عَمَد إلى نبت يسمى « ماهي زهره »[٥] فدُقّ وطُرِحَ في الماء ، فإنه يموت سمكُ ذلك الماءِ .

٢٦٩٥ والمازريون يفعل ذلك[٦] .

٢٦٩٦ قال : ومما يَجِفُّ له الشجر أن يُعمَد إلى مِسمار من حديد فيُحمَى بالنار حتى تشتدّ حُمرته ثم يُدَقّ في أصل الشجرة ، وأن يُعْمد إلى وتد من طَرْفاءَ[٧] فيُثقَبَ أصل الشجرة بمِثْقَب حديد ثم يُجعلَ ذلك العودُ على قَدْر [الثَّقْب] في المِثقَب فتجفّ الشجرةُ إن كان غِلظُ العُود على قَدْر الثَّقب .

١٠٨/٢

(1) كب : أو الملح الجريش ، مص : الملح والجريش ، والجريش : دقيق فيه غلظ .

(١) النمام : يطلق على نوح من السعتر هو السعتر البري ، وعلى نوع من النعنع يسمى نعنع الماء وحَبَق الماء . والحبق : البابونج .

(٢) القسط : عشبة من أعشاب البحر .

(٣) المبقلة : الأرض التي يزرع فيها البقول ، نحو الخس والبصل والثوم ونحوها .

(٤) الجريش : المتفتت المجروش .

(٥) ما هي زهره : لفظ فارسي بمعنى سم السمك .

(٦) المازريون : شجر ورقه كورق الزيتون ، وزهره إلى البياض .

(٧) الطرفاء : جنس شجر ، جيد الخشب ، كثير الأغصان متعقدها ، دقيق الورق .

٢٦٩٧ قيل لمَاسَرْجُويَه : ما بالُ الأَكرَةِ وسُكَّانِ البساتينِ مع أكلهم الكُرَّاثَ والتّمرَ ، وشُربِهم الماءَ الحارّ على السّمكِ المالح ، أقلُّ عُمياناً وعُوراناً وعُمشاناً ؟ قال : فكَّرتُ في ذلك فلم أجدْ عِلّةً إلا طولَ وُقوعِ أبصارهم على الخضرة[1] .

* * *

(١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحرَّاث . والكراث : نسميه بالشام البصل الأخضر ، ويسمونه في مصر كراث أبو شوشة ، وأنواعه متعددة . والعمى : ذهاب البصر كله من العينين كلتيهما . والعَوَر : ذهاب حس إحدى العينين . والعمش : ضعف البصر مع سيلان دمع العين في أكثر الأوقات .

الحجـــارة

٢٦٩٨ [1]قال أرسطاطاليس : حَجرُ سنقيلا[2] إذا رُبط على بطن صاحب الاستسقاء نَشَّفَ منه الماءَ ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن [كان] على بطنه فيوجدُ قد زاد في وزنه .
وذاكرتُ بهذا رجلاً من علماء الأطبّاء فعرفه ، وقال : هذا الحجر مذكور في التوراة .

٢٦٩٩ وحجر المغناطيس يَجذبُ الحديدَ من بُعْدٍ ، [و] إذا وُضِعَ عليه عَلِقَه ، فإن دُلِكَ بالثُّوم بطلَ عملُه .

٢٧٠٠ قالوا : والرّمانُ[3] والقِلْيُ يُدبَّران فيستحيلان حجارةً سُوداً تَصلُح للأرحاء(١) .

٢٧٠١ ومِن الحجارة حصاةٌ في صورة النواة تَسبحُ في الخلّ كأنها سمكةٌ .
= ومنها خَرَزة[4] تصير في حِقْوِ(٢) المرأة فلا تَحْبَلُ .
= وحجر يُوضَع على حرف التّنور فيتساقط خبزُ التنوّر كلّه .

٢٧٠٢ وبمصر حجر منْ قَبضَ عليه بجميع كَفّيهِ فأكل شيئاً في جوفه فإن هو لم يَنْبُذْه من كفّه خِيفَ عليه .

٢٧٠٣ ومن الحجارة النَّشَفُ ، ليس شيء من الحجارة يَطْفُو على الماء غيره وفيه حُفَرٌ صِغَارٌ(٣) .

١٠٩/٢ ٢٧٠٤ قالوا : الرصاص قد يدبَّرُ فيستحيلُ مُرْدَا سَنْجاً .

٢٧٠٥ وإقليمياء النّحاس يدبَّر فيصيرُ تُوتياء(٤) .

٢٧٠٦ وحجر البازَهْر يُفرِّقُ الأورامَ(٥) .

---

(1) في هامش كب : فائدة .
(2) في تأويل مختلف الحديث ٣٣٨: حجر السَّنْفيل . ولم أهتد إليه .
(3) كب ، مص : الرماد .
(4) مص : خرزة العقر إن كانت في حقو .

---

(١) الأرحاء : جمع رحى ، وهو حجر يطحن به .
(٢) الحقو : الخصر .
(٣) النشف : نسميه اليوم حجر الحمام ، وهي حجارة سود ينقى بها الوسخ في الحمامات .
(٤) الإقليمياء : ثفل يرسب تحت المعدن عند سبكه .
(٥) البازهر : فارسي مركب من باد ، بمعنى : روح أو ضد ، وزهر ، بمعنى : سم .

٢٧٠٧ وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض ويَبسَ ٱستحال وصار شباً ، وهو هذا الشبّ اليمانيّ(١) .

٢٧٠٨ حَدَّثنا الرِّياشيّ ، عن الأصمعيّ ، قال : أربعةُ أشياءَ قد ملأتِ الدنيا لا تكون إلا باليمن : الوَرْسُ والكُنْدُرُ والخِطْرُ والعَصْب1(٢) .

٢٧٠٩ وبمصر حجر تُحرّكه فتسمعُ في جوفه شيئاً يَتقلقلُ كالنواة .

٢٧١٠ حَدَّثني شيخٌ لنا ، عن عليّ بن عاصم ، عن خالد الحَذَّاء :

عن محمد بن سِيرِين قال : ٱختصمَ رجلان إلى شُرَيح ، فقال أحدهما : إنّي ٱستودعتُ هذا وديعةً فأبى أن يردّها عليّ . فقال له شُرَيح : رُدَّ على هذا الرجل وديعتَه . قال : يا أبا أُمَيّةَ ، إنه حجرٌ إذا رأته الحُبْلَى ٱلقتْ ولدَها ، وإذا وَقَع في الخلّ غَلَى ، وإذا وُضِع في التنُّور بَرَدَ . فسكتَ شُرَيحٌ ولم يَقُلْ شيئاً حتى قاما .

* * *

(1) كتب في هامش كب : قلت : وعصرنا زاد خامساً وهو القهوة .

(١) الشب : ملح متبلور ، واسمه الكيميائي : كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم .

(٢) الورس : نبت من الفصيلة القرنية الفراشية ، وثمرته قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء عليها زغب قليل ، ويستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء وعلى راتينج أي صموغ وزيوت . والكندر : اللبان ، وهو نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغاً . والخطر : نبات يختضب به . والعصب : ضرب من برود اليمن ، سمي عصباً لأن غزله يعصب ، أي يطوى ويشد ، ثم يصبغ ، ثم يحاك .

الجِنّ[1]

٢٧١١ قالوا : الشياطينُ مَرَدَةُ الجنّ ، والجانّ ضَعَفةُ الجنّ(١) .

٢٧١٢ وبلغني عن يحيى بن آدم ، عن شَريك ، عن لَيْث :

عن مُجاهد ، قال : قال ـ يعني إبليس عليه لعنة الله ـ : أُعطينا أنّا نَرَى ولا نُرَى ، وأنا ندخُل تحت الثَّرَى ، وأنّ شيخنا يُرَدّ فَتَى .

٢/ ١١٠ ٢٧١٣ حَدَّثنا عبد الرحمن ، عن عمّه ، قال : حَدَّثني يَعْلَى بن عُقْبة ـ شيخ من أهل المدينة مولًى لآل الزُّبَير ـ : أن عبد الله بن الزبير بات بالقَفْر ، فقام ليَرْحَلَ فوجدَ رجلاً طُوله شِبرانِ عظيمَ اللحية على الوَلِيّة[2] ، فنفَضَها فوقع ، ثم وضَعَها على الراحلة . وجاء وهو بين الشَّرْخَينِ(٢) ، فنفضَ الرحلَ ثم شدّه ، وأخذ السوطَ ثم أتاه ، فقال : منْ أنتَ ؟ قال : أنا إِزْبُ[3] . قال : وما إِزْبُ ؟ قال : رجلٌ من الجِنّ . قال : افتح فاك أنظر . ففتح فاه ، قال : أهكذا حُلوقُكُم ! لقد شُوِّه حُلوقُكُم ! ثم قَلَبَ السوطَ فوضعه في رأس إزْبِ حتى شقّه .

٢٧١٤ حَدَّثني[4] خالد بن محمد الأزديّ ، قال : حَدَّثنا عمر بن يونس ، قال : حَدَّثنا عِكْرِمة بن عمّار ، قال : حَدَّثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاريّ ، قال(٣) :

حَدَّثني أنس بن مالك ، قال : كانت بنتُ عوف ابن عفراء مُضطجِعَةً في بيتها قائلةً(٤) ، إذ اْستيقظَتْ وزنجيّ على صدرها آخذاً بحلقها ، قالت : فأمسكَني ما شاء الله ، وأنا حينئذ قد حَرُمَتْ عليّ الصلاةُ . فبينا أنا كذلك نظرتُ إلى سقف البيت يَنْفَرِج ، حتى نظرتُ إلى السماء فإذا صحيفةٌ صفراء تَهْوي بين السماء والأرض حتى وقعَتْ على

---

(1) في هامش كب : أخبار الجن .
(2) كب : الوية ، وفي الهامش : الوية : البرذعة .
(3) مص : أَزَب ، وانظر تاج العروس : أزب ، وآكام المرجان ٣٦ .
(4) في هامش كب : حكاية .

---

(١) المردة : جمع مارد، وهو الخبيث الشرير ، الذي مرن على الشر حتى بلغ الغاية ، فتطاول عتواً وتجبراً.
(٢) الولية : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه ، كالسرج للفرس. الشرخان : حرفا الرحل وجانباه.
(٣) رجاله ثقات .
(٤) قائلة : من القيلولة ، وهي استراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم .

صدري ، فنشرها وأرسل حَلقي فقرأها ، فإذا فيها : من رَبِّ لُكَيزٍ إلى لُكيزٍ ، اجتنب ٱبنةَ العبد الصالح ، إنه لا سبيل لك عليها . ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفةُ لكان دمٌ . ـ أي لذبحتُكِ ـ فاسودّتْ ركبتي حتى صارت مثلَ رأس الشاة ، فأتيت عائشة ، فذكرت لها ذلك ، فقالت لي[1] : يا بنة أخي ، إذا حِضتِ فألزِمي عليك ثيابَكِ ، فإنه لا سبيل له عليكِ إن شاء الله .

فحفظها الله بأبيها ، وكان ٱستُشهِدَ يوم بدر .

٢٧١٥ أبو يعقوب الثقفيّ ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن الشَّعْبيّ :

عن زياد بن النضر : أن عجوزاً سألت جِنياً فقالت : إن بنتي عَروسٌ وقد تَمَرّط شَعَرُها من حُمَّى رِبْع بها ، فهل عندكَ دواء ؟ فقال : ٱعْمِدِي إلى ذُباب الماء الطويل القوائم ٢/١١١ الذي يكون بأفواه الأنهار فاجعليه في سبعة ألوان من العِهْنِ : أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ وأزرقَ وأبيضَ وأسودَ وأغبرَ ، ثم ٱجعليه في وسطه وٱفتِليه بأصبعك هكذا ، ثم ٱعقِديه على عَضُدها اليسرى . ففعلَتْ ، فكأنّها أُنشِطَتْ من عِقَالٍ(١) .

٢٧١٦ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصمعيّ ، قال : أخبرني محمد بن مسلم الطائفيّ ـ في حديث ذَكَره ـ أن الشياطين لا تستطيعُ أن تُغَيِّرَ خَلْقَها ، ولكنها تُسَخَّرُ .

٢٧١٧ وقال الأصمعيّ : حَدَّثنا أبو عمرو بن العلاء ، قال :

حَدَّثنا النَّهَّاسُ بن قَهْم[2] ، قال : دخلتُ مِرْبَداً لنا فإذا فيه شيء كالعِجَّوْلِ له قرنان وله ريشٌ ينظرُ إليّ كأنه شيطانٌ(٢) .

٢٧١٨ حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد [الله] ، عن عمه ، قال :

سَمِعَ رجلٌ بأرضٍ ليس بها أحدٌ قائلاً من تحته يقول : مَنْ يُحرّك شُعَيراتي ؟ ذاك مَقيلي ، وظِلّ مَظَلّي ، حاشا الغُزَيّل وعبد الملك وجمعِه الأُدْم .

---

(1) كب : لها . (2) كب : فهم ، تصحيف .

---

(١) تمرط شعرها : تساقط وتحات . وحمى الربع : هي التي تعرض للمريض يوماً وتدعه يومين ، ثم تعود إليه في اليوم الرابع ، وتسمى ملاريا الربع . العهن : الصوف . العقال : الحبل الذي تعقل به البعير أي تجمع قوائمها به . ويقال للآخذ بسرعة في أي عمل كان ، وللمريض إذا برأ ، وللمغشي عليه إذا أفاق ، وللمُرْسَل في أمر يُسْرع فيه عزيمته : كأنما أُنشط من عقال ، أي حُلّ .

(٢) المربد : الموضع الذي تحبس فيه العجول والإبل . والعجول : ولد البقرة .

وكانوا يَرَوْن أنّ الأصمعيّ سَمِعَ هذا ، وذاك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه .

٢٧١٩ حَدَّثني سهل بن محمد ، عن الأصمعيّ ، قال : أخبرنا عمرو[1] بن الهيثم :

عن عُمَير بن ضُبَيْعة ، قال : بينا أنا أسيرُ في فلاةٍ أنا وٱبنُ ظبيانَ ـ أو رفيقٌ له آخر ذكره ـ عَرَضتْ لنا عجوزٌ ـ كذا سمعته يقول ، إن شاء الله ـ أو شيخ ـ ورأيتُ في كتاب محمدٍ ٱبنِه : وصبيٌّ يبكي ـ فقال : إني مُنْقطعٌ بي في هذه الفلاة فلو تحمّلتماني ! فقال صاحبُ عمير : لو أردفتَه ! فحمله خلفَه . فمكثنا ساعة ، فنظر في وجه عمير وتنفّس فخرج مِنْ فيهِ نارٌ مِثلُ نار الأَتُون ، فأخذَ له عمير السيف ، فبكى وقال : ما تريد مني ؟ وبكى ، فتركه ولم يُعْلِم صاحبَه . ثم عاد الثالثةَ ففغر في وجهه ، فحمل عليه بالسيف ، فلما رأى الجِدَّ وثَب وقال : قاتلَكَ اللهُ ما أشدَّ قلبَك ! ما فعلتُه قَطُّ في وجه رجل إلا ذهب عقلُه .

٢/ ١١٢

٢٧٢٠ بلغني[2] عن محمد بن عبد الله الأسديّ ، عن سفيان ، عن ٱبن أبي ليلى ، عن أخيه ، عن عبد الرحمن :

عن أبي أيُّوب الأنصاريّ : أنه [3]كانت له سَهْوَة فيها تَمْر ، فكانت تجيءُ الغُولُ فتأخذ منه[3] ، فشكاها إلى النبيّ ﷺ ، فقال : « إذا رأيتَها فقُل : باسم اللهِ أجيبي رسولَ الله » . فجاءت فقال لها ذلك ، فأخذها فقالت : لا أعود . فأرسلها ، فقال له النبيّ عليه السلام : « ما فَعل أسيرُكَ ؟ » فأخبره ، فقال : « إنها عائدة » ، ففعلتْ ذلك مرتين أو ثلاثاً ، وقالت في آخرها : أرسِلْني وأُعلِّمك شيئاً تقوله فلا يضرّك شيء : آيةَ الكرسيّ . فأتى النبيّ عليه السلام فأخبره ، فقال : « صَدَقَتْ وهي كَذُوبٌ »(١) .

٢٧٢١ حَدَّثني زيدُ بن أخزَمَ ، قال : حَدَّثنا عبد الصمد ، عن همّام :

عن يحيى بن أبي كثير ، أن عاملَ عُمَانَ كتب إلى عمرَ بن عبد العزيز : إنّا أُتينَا بساحرة

---

(1) كب ، مص : عمر ، تحريف .
(2) في هامش كب : حكاية الجني مع أبي أيوب .
(3 - 3) كب ، مص : كان في سفرة له وكانت الغول تجيء .

---

(١) إسناده حسن ، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
السهوة : بيت صغير منحدر في الأرض ، شبيه بالخزانة يكون فيها المتاع ، وقيل : السهوة شبه الرف أو الطاق يوضع فيها الشيء ، سميت بذلك لصغرها .

فألقيناها في الماء فطَفَتْ . فكتب إليه عمرُ : لَسْنَا من الماءِ في شيء إن قامتِ البينةُ ، وإلا فَخَلِّ عنها[١] .

٢٧٢٢ حَدَّثني يزيد بن عمرو ، قال : حَدَّثنا أبو عاصم ، قال : حَدَّثنا ٱبن جُريج :

عن ٱبن أبي الحسين المكيّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نِعْمَتِ الدُّخْنةُ اللُّبانُ ، واللُّبانُ دُخْنةُ الأنبياءِ ، ولن يَدخُلَ بيتاً دُخْنَ فيه بِلُبَانٍ ساحِرٌ ولا كاهِنٌ » .

٢٧٢٣ حَدَّثني عبد الله بن أبي سعد[1] ، قال : حَدَّثني أبو عبد الله مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجةَ ، قال : سمعت سفيان بن عُيَيْنة يقول :

سمعتُ أعرابيةً تقول : من يشتري منّي الحَزَا ؟ فقلتُ : وما الحزأ ؟ قالت : يشتريه أكايسُ النساء للطَّشَّة والخافية والإقلاتِ . ١١٣/٢

قال عبد الله : سألتُ ٱبنَ مُنَاذِرٍ ، فقال : الطَّشَّةُ : شيء يُصيبُ الصبيانَ كالزُّكام . والخافيةُ : الجنّ . والإقلاتُ : قِلةُ الولد ، يريد أن المرأةَ إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد ، يقال : ٱمرأة مِقْلاتٌ .

٢٧٢٤ بلغني[2] عن شيخ من بني نُمير أنه قال : أَضْلَلْتُ أباعر لي بالشُّرَيف[٢] ، فخرجتُ في بُغائِها ، فَدَأَبْتُ أياماً ، فأمسيتُ عشيَّةً بوادٍ مُوحِشٍ وقد كَدَدْتُ راحلتي ، فٱختليتُ[٣] لها من الشجر وأصبتُ لها من الماء ثم قيّدتُها وٱضطجعتُ مغموماً ، فلما جَرى وَسَنُ النوم في عيني إذ هَمس قَدَمٌ قريباً منّي ، فانتبهتُ فَزِعاً وإذا شيخ يتنحنح وهو يقول : لا رَيْعَةَ عليك[٤] ! ثم سلَّم وجلس ، ثم جاء آخر وآخر حتى تألّفوا أربعة فقالوا : ما بك أيها المسلم ؟ فقلت : أضللتُ أباعرَ لي وأنا في طلبها منذ أيام . فقال لي الأوّل منهم : كُنَّ لك ما كُنَّ ، وقد وَدَّعنَ فبِنَّ ، وصِرنَ حيث صِرنَ ، فلا تَتعَنَّيْنْ . فٱجترأت على المسألة فقلت : أَمِن الخافيةِ أنتم نشدتكم بإلٰهكم ؟ قالوا :

---

(1) كب ، مص : سعيد ، قال : حدّثني عبد الله بن مروان ، تحريف .

(2) في هامش كب : حديث الجن الأربعة .

---

(١) أي إن قامت البينة على تعاطيها السحر فعاقبها ، وإلا فاتركها .

(٢) الشريف : بلاد واسعة في عالية نجد ، فيها جبال وهضاب وأودية ، وفيها مياه كثيرة ، وهي صحراء مرتفعة طيبة المراعي ، ومن بلدانها اليوم : الدوادمي والشعراء (عالية نجد ٧٤٨/٢) .

(٣) اختليت لها : جزرت لها الخلى ، وهو الحشيش تعلف به الدواب .

(٤) لا ريعة عليك : لا فزع .

نعم ، وإلٰهنا وإلٰهكم واحد . فقلت : علِّموني مما علّمكم الله شيئاً أنتفع به . قالوا[1] : إذا أردتَ حفظَ مالِكَ فاقرأ عليه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ إلى آخر ثلاث[2] الآيات ، وآية الكرسيّ . وإذا أمسيتَ في خَلاءٍ وحدَك فاقرأ المعوِّذتين . وإن أحببتَ ألا يعبَثَ بك ولا بأهلك وولدك عابثٌ منّا فعليك بالديكِ الأبيض ، واجعل في حجور صبيانك بَريماً ـ يعني خيطاً من صوف أبيض وأسود ـ ، واحشُوا بالإذخِر(١) يُنشر[3] في الصوف . فحَدَّثوني كحديثنا تلك الليلةَ ، فلما أصبحت رَجَعتُ .

٢/ ١١٤ ٢٧٢٥ قال المدائنيّ : كانت وفاةُ زِياد بالعَرْفَةِ(٢) ظهرتْ في إصبعه ، واشتدّ عليه الوجع ، فجمع الأطبّاء فشاورهم في قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم : أتجد الوجعَ في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي . قال : عِش سليماً ومُتْ سليماً . وأمره أن يَغمسها في الخل[4] ، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضَ الوجع ، فمكث بذلك سبعة عشر يوماً ثم مات .

وسَمِعَ أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلا يقول : أنا النقادُ ذو الرُّقْيَة ، قد كفيتُكم الرجلَ .

٢٧٢٦ والعرب تدعو الطاعونَ : رماحَ الجنّ .

٢٧٢٧ وقال النبيّ ﷺ : « إنه وَخزٌ من الجنّ »(٣) يعني الطاعونَ . والله أعلم[5] .

---

(1) في هامش كب : فائدة .

(2) كب : الثلاث آيات .

(3) كب : ينثر .

(4) في هامش كب : منفعة الخل .

(5) كتبت بعدها كب ، وتابعتها مص : تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ، ويتلوه في الكتاب الخامس كتاب العلم. والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحابته وأهل بيته أجمعين. وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ؛ وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية . ثم تلته في كب اختيارات من الناسخ . وزادت مص : إلى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩م ، وسنعتمد في مراجعة الجزء الخامس إلى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى المصادر التي يعوَّل عليها في تصحيح الكتاب.

---

(١) الإذخر : ضرب من الحشيش ، طيب الريح ، إذا جف ابيض ، ويسقف به البيوت فوق الخشب .

(٢) العرفة : قرحة تخرج في بياض الكف .

(٣) الحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
والوخز : الطعن . وقال المناوي : وصف ﷺ طعن الجن بأنه وخز لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر ، فيؤثر في الباطن أولاً ثم في الظاهر وقد لا ينفذ . والطاعون : داء ورمي وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان .



بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابُ العِلْمِ وَالبَيَانِ[٧]

٢٧٢٨ حَدَّثني الزِّيادي ، قال : حَدَّثنا عيسى بن يونس ، عن الأَوْزاعي ، عن عبد الله بن سَعْد ، عن الصُّنَابحي[1] :

عن معاوية بن أبي سفيان ، قال[(١)] : نهى رسول الله ﷺ عن الأُغْلُوطات .

قال الأَوْزاعي : يعني صِعاب المسائل[(٢)] .

٢٧٢٩ حَدَّثني سهل[2] بن محمد ، عن الأَصْمَعي ، قال : سمعت عِمْران بن حُدَيْر[3] ، يُحدِّث عن رجل من أهل الشام قد سمَّاه ، قال :

قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف رأيكم في أبي مسلم الخَوْلاني ؟ فقالوا : ما أحسَنَ رأْيَنَا فيه وأَخْذَنَا عنه ! فقال : إنَّ أَزْهَدَ الناس في العالم[4] أَهْلُه ، ١١٨/٢ وإنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ الحَمَّة[5][(٣)] تكون في القوم فيرغب فيها الغرباء ، ويزهد فيها القرباء ؛ فبينا ذلك [إذ] غار ماؤها ، فأصاب[6] هؤلاء منفعتَهَا ، وبقي هؤلاء يتفكنون . ـ أي يتندمون[(٤)] ـ .

٢٧٣٠ وفي « الإنجيل » أن عيسى صلى الله عليه لما أراهم العجائبَ ، وضَرَب لهم الأمثالَ

---

(1) كب : الصنايجي ، تصحيف .
(2) مص : سهيل ، خطأ في القراءة .
(3) في الأصل : جدير ، تصحيف .
(4) الأصل ، ومص : الحاكم ، تحريف .
(5) كب ، مص : الجامة ، وفي المعارف ٤٣٩ : الجنة ، وكلاهما خطأ .
(6) الأصل ، ومص : وأصاب .

---

(١) إسناده ضعيف ، والحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٢) أي نهى ﷺ عن اعتراض العلماء بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط ليستزلوا بها ويستسقط رأيهم فيها ، لأنها غير نافعة في الدين ، ولا تكاد تكون إلا فيما لا يقع . والأغلوطات : جمع أغلوطة ، من الغلط : وهو أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه .
(٣) الحمة : العين فيها ماء حار يستشفى بالاغتسال من مائها ، وندعوها اليوم بالحمامات الكبريتية .
(٤) يقال : تَفَكَّنَ على الشيء ، إذا تأسف وتلهَّفَ على فوته .

والحكمةَ ، وأظهر لهم هذه الآياتِ ، قالوا[1] : أليس هذا ابنَ النَّجّار ! أو ليست أُمُّه مريمَ ، وأخوه يعقوبَ ويوسفَ وشمعون ويهوذا ، وأخواتُه كلُّهن عندنا ! فقال لهم عيسى : إنه لا يُسَبّ النبي ولا يُحَقَّر إلَّا في مدينته وبيئته[2](١) .

٢٧٣١ حَدَّثنا الرِّياشي ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، قال :

قيل لدَغْفَل النَّسَّابة : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم ؟ فقال : بلسانٍ سَؤول ، وقلبٍ عَقول(٢) . وكنتُ إذا لَقيت عالماً ، أخذتُ منه ، وأعطيتُه .

٢٧٣٢ حَدَّثني أبو حاتم ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، قال : حَدَّثنا العلاء بن أسلم :

عن رُؤْبة بن العَجَّاج ، قال : أتيتُ النَّسَّابة البكري ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت : أنا ابنُ العَجَّاج . قال : قَصَّرتَ وعَرَّفْتَ . لعلك من قومٍ إن سكتُّ عنهم لم يسألوني ، وإن تكلمتُ لم يَعُوا عني . قلت : أرجو ألَّا أكون كذلك . قال : ما أعداءُ المروءةِ ؟ قلت : تُخبرني . قال : بنو عَمِّ السوء : إن رأوا حسناً ستروه ، وإن رأوا سَيِّئاً أذاعوه . ثم قال : إن للعِلْم آفةً ، وهُجْنة ، ونكداً(٣) . فآفتُه نسيانُه ، ونَكَده الكذبُ فيه ، وهُجنته نشره عند غير أهله .

٢٧٣٣ كان يقال : لا يزال المرءُ عالماً ما طَلَب العلم ، فإذا ظن أن قد عَلم ، فقد جَهِل .

٢/١١٩ ٢٧٣٤ حَدَّثني شيخٌ لنا ، هو[3] محمد بن عُبَيْد ، عن الصَّلْت بن مهران ، عن رجل ، عن الشَّعْبي :

عن عبد الله ، [قال(٤)] : قال رسول الله ﷺ : « من تعلَّم العلمَ لأربعةٍ دخل النار : ليُبَاهي به العلماء ، أو يماريَ به السفهاء ، أو يُميلَ به وجوهَ الناسِ[4] ، أو يأخُذَ به من الأمراء » .

---

(1) سقطت من كب وألحقت بالهامش . (2) هامش كب : بيته ، وكلاهما صواب .
(3) كب ، مص : عن ، خطأ .
(4) كب : يميل به وجوه السفهاء ، ثم شطبها وصححها .

---

(١) البيئة : المنزل ، وهو الباءة والمباءة .
(٢) سؤول : كثير السؤال . عقول : شديد الفهم والحفظ .
(٣) الآفة : العاهة . والهجنة : ما يلزم منه العيب . والنكد : الشؤم واللؤم وكل شيء جرَّ على صاحبه شراً .
(٤) إسناده ضعيف ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة . وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .

٢٧٣٥ وحَدَّثني عن أبي معاوية ، عن حَجَّاج :

عن مكحول ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يُخْلِص العبادة لله أربعين يوماً ، إلَّا ظهرتْ ينابيعُ الحكمةِ من قلبه على لسانه »(١) .

٢٧٣٦ وقرأتُ في حِكَم لُقمان ، أنه قال لابنه : يا بنيَّ ، اُغْدُ عالماً ، أو متعلِّماً ، أو مستمعاً ، أو مُحباً ، ولا تكن الخامسَ فتهلك .

٢٧٣٧ حَدَّثني محمد بن داود ، عن سويد بن سعيد ، عن [ابن] إسماعيل ، عن ابن عَيَّاش ، عن مُعَان[1] بن رِفاعة :

عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُوله ، يَنْفُون عنه[2] تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المُبْطلين ، وتأويلَ الجاهلين »(٢) .

٢٧٣٨ وروى أبو خالد الأحمر[3] ، عن عمرو بن قيس ، عن أبي إسحاق ، قال :

قال عليٌّ عليه السلام : كلماتٌ لو رَحَّلْتم المَطيَّ فيهنَّ لا تُصيبوهنَّ قبل أن تُدركوا مثلهنَّ : لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ إلَّا ربَّه ، ولا يخافَنَّ إلَّا ذَنْبَه ، ولا يَسْتَحِيَنَّ[4] من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يَسْتَحِيَنَّ إذا سُئل عمَّا لا يعلم أن يقول : الله أعلم . واعلموا أن منزلةَ الصبرِ من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذَهَب الرأسُ ذهبَ الجسد ، وإذا ذَهَب الصبرُ ذَهَب الإيمانُ .

٢٧٣٩ وكان يقول : من حَقِّ العالم عليك إذا أتيتَه : أن تُسَلِّم على القوم عامة وتَخُصَّه بالتحية ، وأن تَجْلِس قُدَّامه ، ولا تُشيرَ بيدك ، ولا تَغْمِز بعينك ، ولا تقول : قال فلان ، خلافاً لقوله ، ولا تَغتابَ عنده أحداً . ولا تُسَارَّ في مجلسه ، ولا تأخُذَ بثوبه ، ١٢٠/٢

---

(1) مص : معاذ ، تحريف . (2) كب : به ، تحريف .

(3) كب ، مص : بن الأحمر ، خطأ .

(4) كب ، مص : يستحي ، في كلا الموضعين .

---

(١) إسناده مرسل ، والحديث موضوع ، وضعفه المنذري وعلي القاري ، وسيأتي تخريجه .

(٢) إسناده مرسل ، وطرق الحديث كثيرة ، وكلها ضعيفة . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . والخَلَف والخَلْف : كل من يجيء بعد من مضى ، إلا أنه بالتحريك في الخير ، وبالتسكين في الشر ؛ يقال : خَلَفُ صِدْق ، وخَلْفُ سوء ، ومعناهما جميعاً القَرْن من الناس . والغالون : المتشددون في أمور الدِّين ، وأصل الغلاء : مجاوزة القَدْر في كل شيء ومجاوزة الحد .

ولا تُلحَّ عليه إذا كَسِل ، ولا تَغْرَض[١] مِنْ صُحْبته لك ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة ، لا يزال يَسْقط عليك منها شيء .

٢٧٤٠ وفيما قال عليٌّ عليه السلام لكُمَيل[1] : العلمُ خيرٌ من المال ، لأن العلمَ يَحْرُسك ، وأنت تَحْرُس المالَ ، والمالَ تَنَقَّصُه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق .

٢٧٤١ وقال : قيمةُ كلِّ امرىءِ ما يُحْسِن .

٢٧٤٢ ويقال : إذا أرذل اللهُ عبداً حَظَرَ عليه العلم .

٢٧٤٣ وقال الشاعر :

يُعَدُّ رَفيعَ القَوْمِ مَنْ كَانَ عالماً وإنْ لم يَكُنْ في قَوْمِهِ بحَسيبِ[٢]
وإنْ حَلَّ أرْضاً عَاشَ فيها بِعِلْمِهِ وما عَالِمٌ في بَلْدَةٍ بغَرِيبِ

٢٧٤٤ قال بُزُرْجِمِهْر : ما وَرَّثت الآباءُ الأبناءَ شيئاً أفضلَ من الأدب ، لأنها تكتسب المالَ بالأدب ، وبالجهل تُتْلفه[2] ، فتَقْعُد عُدْماً منهما .

٢٧٤٥ قال رجل لخالد بن صفوان : مالي إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبارَ ، وتتدارسونَ الآثارَ ، وتتناشدونَ الأشعارَ ، وَقَعَ عليَّ النومُ ؟ قال : لأنَّك حِمارٌ في مِسلاخ إنسان[٣] .

٢٧٤٦ خرج الوليدُ بن يزيد حاجاً ومعه عبدُ الله بنُ معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر ، فكانا ببعض الطريق يَلْعَبان بالشِّطْرَنج ، فاستأذنَ عليه رجلٌ من ثَقيف ، فأَذِن له ، وسَتَر الشِّطْرَنج بمِنْدِيل ، فلمّا دخل سَلَّمَ ، فسأله حاجَتَه ؛ فقال له الوليد : أقرأتَ القرآن ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين شغلتْني عنه أمورٌ وهَنَات[٤] . قال : أفتعرف الفِقْه ؟ ١٢١/٢

---

(1) كب : تكميل ، مص : يا كميل . (2) كب : تتلفها .

---

(١) كسل عن الشيء : تثاقل وفتر عما لا ينبغي أن يتثاقل عنه . لا تغرض : لا تضجر ، والغَرَض : الضجر والملال .

(٢) الحَسَب : الفعال الصالح الحسن والكرم والمال الذي يحسب في مناقب الرجل ، ومنه رجل حسيب وذو حسب . قال ابن السِّكِّيت : « الحسب والكرم يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف . ورجل حسيب : كريم بنفسه . وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص إلا إذا كان فيه وفي آبائه » (الخزانة ٤/ ٣٢) .

(٣) المسلاخ : الجلد .

(٤) هنات : شدائد وأمور عظام .

قال : لا . قال : أفَرَوَيْت من الشِّعر شيئاً ؟ قال : لا . قال : أفعلمتَ من أيام العرب شيئاً ؟ قال : لا .

قال : فكَشَفَ المِنْدِيلَ عن الشِّطْرَنْج ، وقال : شاهَك[1] . فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسْكُت ، فما معنا أحد !

٢٧٤٧ وفي « كتاب للهند » : العالم إذا اغترب ، فمعه من عِلْمه كافٍ ؛ كالأسد معه قوَّتُه التي يعيش بها حيثُ تَوَجَّه .

٢٧٤٨ وكان يقال : العلم أشرفُ الأحساب ، والمودَّةُ أشدُّ الأسباب[٢] .

٢٧٤٩ قال الشاعر :

الحِلْـــمُ والعِلْـــمُ خَلَّتَـــا كَـــرَمٍ ... لِلْمَـــرْءِ زَيْـــنٌ إذا هُمَـــا اجْتَمَعَـــا
صِنْـــوَانِ لا يَسْتَتِـــمُّ حُسْنُهُمَـــا ... إلَّا بجَمْـــعٍ لِـــذا وذَاكَ مَعَـــا[٣]
كمْ مِنْ وَضيعٍ سَمَا بِهِ العِلْمُ والـ ... ـحِلْـمُ فَنَـالَ العَـلاءَ وارْتَفَعَـا[٤]
ومِـــنْ رَفيـــعِ البِنَـــا أضَـــاعَهُمَـــا ... أخْمَلَـــهُ مـــا أضَـــاعَ فـــاتَّضَعَـــا[٥]

٢٧٥٠ قال الأحنف : كادَ العُلماءُ أن يكونوا أرْباباً . وكلُّ عِزٍّ لم يُوَطَّد[1] بعِلْم ، فإلى ذُلٍّ ما يصير .

٢٧٥١ وقال ابن المُقَفَّع : إذا أكرمك الناسُ لمالٍ أو سُلْطانٍ فلا يُعْجِبَنَّك ذلك ، فإن زوالَ الكرامةِ بزوالهما ؛ ولكن لِيُعْجبك إن أكرموك لِدِينٍ أو أدب .

٢٧٥٢ وفي بعض الحديث المرفوع : « مَثَلُ العلماءِ في الأرض مَثَلُ النجومِ في السماء »[٦] .

---

(1) كب ، مص : يؤكد ، وفي تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٣١ : يؤيد .

---

(١) الشاه : الملك ، رئيس أحجار رقعة الشطرنج .
(٢) سيأتي بتمامه برقم ٥٥١٢ كتاب النساء ، وانظر بعضه برقم ٤٣٢٧ كتاب الإخوان .
(٣) الصنو : المثل ، ولا يسمى صنواً حتى يكون معه آخر ، فهما حينئذ صنوان ، وكل واحد منهما صنو صاحبه . وأصله أن تطلع نخلتان أو أكثر من عرق واحد .
(٤) العلاء : الرفعة والشرف .
(٥) يقال : خَمَل يَخْمُل ، وأخمله الله ، إذا صار خفي الذكر ، ساقطاً ، لا نباهة له . واتضع : ذل وهان .
(٦) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

٢٧٥٣ وكان يقال : اسْتُدِلَّ على فَضْل العلم أنه ليس أحدٌ يحب أنَّ [ليس] له بحظه منه خَطَراً[١] .

٢٧٥٤ قال يونس بن حبيب : عِلْمُك مِنْ رُوحك ، ومالُكَ مِنْ بَدَنك .

٢٧٥٥ قال أبو الأسْوَد : المُلُوكُ حُكَّامٌ على الناس ، والعلماءُ حُكَّامٌ على الملوك .

٢/ ١٢٢ ٢٧٥٦ قيل لبُزُرْجِمِهْر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياء ؟ فقال : العلماء . فقيل له : فما بالُ العلماء بأبواب الأغنياء أكْثَرُ من الأغنياء بأبواب العلماء ؟ فقال : لمعرفة العلماء بفضل الغِنى ، وجَهْلِ الأغنياء بفضل العلم .

٢٧٥٧ وفي الحديث : « ليس المَلَقُ من أخلاق المؤمن إلَّا في طلب العلم »[٢] .

٢٧٥٨ قال ابن عَبَّاس : ذَلَلْتُ طالباً ، فعَزَزْتُ مطلوباً .

٢٧٥٩ وكان يقول : وجدتُ عامةَ عِلْم رسول الله ﷺ عند هذا الحيِّ من الأنصار ، إنْ كنتُ لأقيل[٣] بباب أحدهم ، ولو شئتُ أُذن لي ، ولكنْ أبتغي بذلك طِيبَ نفسه .

٢٧٦٠ وكان يقال : أول العلم : الصَّمتُ ، والثاني : الاستماعُ ، والثالث : الحِفْظ ، والرابع : العملُ[1] [به] ، والخامس : نَشْرُه .

٢٧٦١ ويقال : إذا جالستَ العلماءَ ، فكن على أن تَسْمَعَ أحرصَ منك على أن تقول .

٢٧٦٢ قال الحسن : مَنْ أحسنَ عبادةَ اللهِ في شبيبته ، لَقَّاه اللهُ الحكمةَ في سِنِّه ، وذلك قولُه [تعالى] : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ[2] ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ١٤] .

٢٧٦٣ قال بعض الحكماء من الصحابة : تقول الحكمة : من التمسني فلم يَجِدْني ، فليَفْعَلْ بأحسنَ ما يعلم ، وليترك أقبحَ ما يَعلم . فإذا فَعَل ذلك ، فأنا معه ، وإن لم يعرفني .

---

(1) كب ، مص : العقل .

(2) سقطت من الأصل ، وألحقت بالهامش .

---

(١) الخطر : الحظ والنصيب .

(٢) الحديث موضوع ، وضعه الكاذبان : الخصيب بن جحدر ، ومحمد بن علاثة .
الملق : الترفق والمداراة ، والمبالغة في التودد .

(٣) أقيل : أنتظر حتى نصف النهار وقت اشتداد الحر ، والقيلولة والمَقيل : الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم .

٢٧٦٤ وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالماً حتى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يَحْقِر مَنْ دونه في العلم ، ولا يَحْسُد مَنْ فوقه ، ولا يأخُذ على علمه ثمناً .

٢٧٦٥ وقال ابن عُيَينة : يُسْتحب للعالم إذا عَلَّم ألَّا يُعَنِّف ، وإذا عُلِّم ألَّا يَأْنَف .

٢٧٦٦ وفي كلام لغَيْلان : لا تكن كعلماء زمن الهَرْج(١) ، إن عُلِّموا أنِفوا ، وإن عَلَّمُوا عَنَّفوا .

٢٧٦٧ وفي حكمة لُقْمان : إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ إلى علمه بالصَّمْت والوَقَار ، وإن العالم الأخْرَق يَطْرُد الناسَ عن علمه بالهَذَر والإكثار .

٢٧٦٨ قال إبراهيم لمنصور[1] : سَلْ مسألةَ الحَمْقَى ، واحْفَظ حِفظ الأكياس .

٢٧٦٩ وأنشد ابن الأعرابي :

٢/١٢٣

مـا أَقْـرَبَ الأشْيـاءَ حِيـنَ يَسُـوقُهَا ... قَــدَرٌ وأبْعَــدَهـا إذا لــم تُقْــدَرِ

فَسَــلِ الفَقِيــهَ تَكُــنْ فَقِيهـاً مِثْلَــهُ ... مَـنْ يَسْـعَ فـي عَمَـلٍ بِفِقْـهٍ يَمْهَـرِ

وتَــدَبَّـرِ الأمْـرَ الَّـذِي تُعْنَـى بِـهِ ... لا خَيْـرَ فـي عَمَـلٍ بغَيْـرِ تَـدَبُّـرِ

فلَقَـدْ يَجِـدُّ المَـرْءُ وهْـوَ مُقَصِّـرٌ ... ويَخِيـبُ جِـدُّ المَـرْءِ غَيْـرَ مُقَصِّـرِ

ذَهَبَ الرِّجَالُ المُقْتَدَى بفَعَالِهِمْ ... والمُنْكِـرُونَ لكُـلِّ أمْـرٍ مُنْكَـرِ

وبَقِيتُ في خَلَفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُمْ ... بَعْضـاً لِيَـدْفَـعَ مُعْـوِرٌ عـن مُعْـوِرِ

٢٧٧٠ وقال الشاعر :

شِفَــاءُ العَمَــى طُــولُ السُّــؤَالِ وإنَّمَــا ... تَمَامُ العَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الجَهْلِ(٢)

٢٧٧١ وقال بعضهم : خيرُ خِصال المرءِ السؤالُ .

٢٧٧٢ ويقال : إذا جلست إلى عالم فسَلْ تَفَقُّهاً ، ولا تَسَلْ تَعَنُّتاً(٣) .

٢٧٧٣ قال الحسن : من استتر عن الطَّلَب بالحياء لَبِس للجهل سِرباله ، فقَطِّعُوا سرابيل الحياء ، فإنه منْ رَقَّ وجهُه رَقَّ علمه .

---

(1) كب ، مص : إبراهيم بن المنصور ، خطأ .

---

(١) الهرج : الفتنة ، يقال : هَرَج القوم ، إذا وقعوا في فتنة واختلاط وتقاتل .

(٢) العمى : مستعار للضلال والخطأ والجهالة .

(٣) تعنتاً : أي طالباً زلله ، فتسأله عن شيء تريد به اللبس عليه والمشقة ، وتكابره عناداً .

٢٧٧٤ وقال : إني وجدتُ العلم بين الحَيَاء والسَّتْر .

٢٧٧٥ وقال الخليل : منزلةُ الجهل بين الحياء والأَنَفة(١) .

٢٧٧٦ وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : قُرِنت الهَيْبَة بالخَيْبة ، والحياءُ بالحِرمان ؛ والحكمة ضالَّةُ المؤمن ، فليطْلُبْها ولو في يَدَيْ أهلِ الشرك(٢) .

٢٧٧٧ وقال عُرْوةُ بن الزُّبَيْر لبنيه : تَعَلَّموا العلم ، فإن تكونوا صِغارَ قومٍ فعسى أن تكونوا كِبار قومٍ آخرين(٣) . ويا[1] سَوْءَتَا ماذا أَقبَح مِنْ جهلٍ بشيخ .

٢٧٧٨ وكان يقال : عَلِّم عِلْمَكَ مَنْ يجهل ، وتَعَلَّم ممن يَعْلَم ، فإنك إذا فعلتَ ذلك عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ ، وحَفِظْتَ ما عَلِمْتَ .

٢٧٧٩ قيل لبُزُرْجِمِهْر : بم أدركتَ ما أدركتَ من العلم ؟ فقال : ببكُورٍ كبُكُور الغُرَاب ، وحِرْصٍ كحرص الخِنْزير ، وصَبْرٍ كصَبْر الحمار .

٢/ ١٢٤ ٢٧٨٠ وقال الحسن : طَلَبُ العلم في الصِّغر كالنَّقْش في الحَجَر ، وطلبُ العلم في الكِبَر كالنَّقْش على الماء .

٢٧٨١ ويقال : التفقُّه على غير علم كحمار الطاحونة ، يدور ولا يَبْرَح .

٢٧٨٢ وفي الحديث المرفوع : « ارحموا عزيزاً ذَلَّ ، ارحموا غنياً افتقر ، ارحموا عالماً ضاع بين جُهَّال »(٤) .

٢٧٨٣ ويقال : أحقُّ الناس بالرحمة عالمٌ يجوز عليه حُكْمُ جاهل .

٢٧٨٤ قال المسيح عليه السلام : يا بني إسرائيلَ لا تُلْقوا اللؤلؤ إلى الخنازير ، فإنها لا تَصْنع به شيئاً . ولا تُعْطُوا الحكمةَ من لا يُريدها ، فإن الحكمة أفضلُ من اللؤلؤ ،

---

(1) كب ، مص : فيا .

---

(١) الأنفة : التكبر .

(٢) الهيبة : المهابة ، وهي الإجلال والمخافة . والخيبة : الحرمان والخسران . والضالة : ما ضل من البهائم ، وهو للذكر والأنثى سواء ، ويقال : ضَلَّ الشيء ، إذا ضاع . أراد أن الحكمة لا يزال المؤمن يتطلبها كما يتطلب الرجل ضالته .

(٣) تمام الخبر عند الآبي : إني كنت صغيراً لا يُنظر إليَّ ، فلما أدركتُ من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني . فما أشدَّ على امرىء أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله .

(٤) الحديث موضوع ، وإنما يعرف من كلام الفضيل بن عياض . وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .

ومن لا يُريدُها شَرٌّ من الخنازير .

٢٧٨٥ قال دِيمُقْراط : عالمٌ معانِدٌ خيرٌ من مُنْصِفٍ جاهل .

٢٧٨٦ وقال آخر : الجاهل لا يكون منصِفاً ، وقد يكون العالم معانداً .

٢٧٨٧ قال سفيان : تَعَوَّذُوا بالله من فتنة العابدِ[1] الجاهل ، وفتنةِ العالمِ الفاجر .

٢٧٨٨ قيل للحسن : [لم صارت] الحِرْفةُ في أهل العلم ، ولغيرهم الثروة ؟ فقال : إنك طلبتَ قليلاً في قليلٍ فأعجزك . طلبتَ المالَ ، وهو قليلٌ في الناس ، في أهل العلم ، وهم قليلٌ في الناس(١) .

٢٧٨٩ وقال الخُرَيمي[2] :

لا تَنْظُــرَنَّ إلَــى عَقْــلٍ ولا أدَبِ ... إنَّ الجُدُودَ قَرِينَاتُ الحَمَاقَاتِ(٢)

٢٧٩٠ وقال آخر :

ما ازْدَدْتُ مِنْ أدَبي حَرْفاً أُسَرُّ بِهِ ... إلَّا تَـزَيَّـدْتُ حَـرْفـاً تَحْتَهُ شُـومُ

إنَّ المُقَــدَّمَ فــي حِــذْقٍ بصَنْعَتِــهِ ... أنَّـى تَـوَجَّـهَ مِنْهَـا فَهْـوَ مَحْـرُومُ

٢٧٩١ وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك :

أبَــا جَعْفَــرٍ إنَّ الجَهَــالَــةَ أُمُّهَــا ... وَلُودٌ وأُمُّ العِلْمِ جَدَّاءُ[3] حائِلُ(٣)

٢٧٩٢ قال الثَّوْري : مَنْ طَلَبَ الرِّئاسة بالعلم سريعاً فاته علمٌ كثيرٌ . ١٢٥/٢

٢٧٩٣ وقال : يهتف العلم بالعمل ، فإن أجابه ، وإلا ارتحل .

٢٧٩٤ قال بعض أهل العلم : يُغْفَر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغْفَر للعالم ذنبٌ واحد .

٢٧٩٥ قال بلال بن أبي بُرْدة : لا يمنعنَّكُم سوءُ ما تعلمون منا أنْ تَقْبلوا أحسنَ ما تسمعون [منا] .

---

(1) كب : العالم ، تحريف . (2) كب ، مص : الخزيمي ، تصحيف .

(3) مص : جذاء ، بالذال المعجمة ، وكلاهما صواب .

---

(١) تمام الخبر : ولو نظرتم إلى من احترف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر .

(٢) الجدود : جمع الجَد ، وهي الحظ والسعادة والغنى .

(٣) الجداء : القليلة اللبن ، اليابسة الضرع عن عيب . والحائل : العاقر ، التي لا تحمل . أراد أن أهل العلم قليلون .

٢٧٩٦ وقال الخليل بن أحمد :

اعْمَـلْ بِعِلْمِـي ولا تَنْظُـرْ إلَـى عَمَلـي يَنْفَعْـكَ عِلْمِـي[1] ولا يَضْـرُرْكَ تَقْصِيري

٢٧٩٧ كَتَب رجلٌ إلى أخٍ له : إنك قد أُوتيت علماً ، فلا تُطْفِئَنَّ نورَ علمك بظُلْمة الذنوب ، فتَبْقَى في الظُلمة يوم يسعى أهلُ العلمِ بنور علمهم .

٢٧٩٨ وقال بعضُ الحكماء : لولا العلمُ لم يُطْلَب العمل ، ولولا العملُ لم يُطلب العلم ؛ ولأن أدَعَ الحقَّ جهلاً به ، أحبُّ إليَّ من أنْ أدَعَه زُهداً فيه .

٢٧٩٩ وقال مالك بن دينار : إن العالِمَ إذا لم يَعْمَل بعلمه ، زَلَّت موعظتُه عن القلوب كما يَزِل القَطْرُ عن الصَّفا⁽¹⁾ .

٢٨٠٠ ونحوه قولُ زياد : إذا خَرَج الكلامُ من القلب وَقَع في القلب ، وإذا خَرَج من اللسان لم يُجَاوِز الآذان .

٢٨٠١ ويقال : العلماءُ إذا عَلِمُوا عَمِلوا ، فإذا عَمِلُوا شُغِلوا ، فإذا شُغِلوا فُقِدوا ، فإذا فُقِدوا طُلِبوا ، فإذا طُلِبوا هَرَبوا .

٢٨٠٢ قال الحسن : ما أحسنَ الرجلَ ناطقاً عالِماً ، ومستمعاً واعياً ، وواعياً عامِلاً .

٢٨٠٣ وقال ابن مسعود : إني لأَحسَب الرجلَ يَنْسَى العلمَ بالخطيئة يَعْمَلُها .

٢٨٠٤ وقال ابن عباس : إذا تَرَك العالمُ قولَ لا أدري أُصيبت مقاتله⁽²⁾ .

٢٨٠٥ وقال يزيد بن الوليد[2] بن عبد الملك :

إذا مــا تَحَــدَّثْــتُ فــي مَجْلِـسٍ تَنَاهَى حَدِيثي إلَى ما عَلِمْتُ⁽³⁾
ولَــمْ أعْــدُ عِلْمِــي إلــى غَيْــرِهِ وكَـانَ إذا مــا تَنَـاهَــى قَصَــرْتُ

٢/١٢٦ ٢٨٠٦ وقال آخر :

إذا ما انْتَهَى عِلْمي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أطَالَ فأمْلَى أمْ تَنَاهَى فأقْصَرَا
ويُخْبِرُني عَنْ غائِبِ المَرْءِ فِعْلُهُ كَفَى الفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ المَرْءُ مَخْبَرَا

---

(1) كب ، مص : قولي ، ولها وجه . (2) كب : الملك ، ثم شطبها .

---

(١) الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم لا ينبت .
(٢) مقاتل الإنسان : المواضع التي إذا أصيبت منه قتلته ، جمع مَقْتَل ، أراد أنه يزل زللاً بيناً .
(٣) تناهي : بلغ غايته ومنتهاه .

٢٨٠٧ قال عمر بن الخطاب : لا أدركتُ ، لا أنا ولا أنتَ ، زماناً يَتغايَرُ الناس فيه على العلم كما يتغايرون على الأزواج .

٢٨٠٨ قال سَلْمان : علمٌ لا يقال به ككنز لا يُنْفَق منه .

٢٨٠٩ وفي الحديث المرفوع : « العلم علمان : علمٌ في القلب ، فذلك العلمُ النافعُ . وعلمٌ على اللسان ، فذلك حُجَّة الله على ابن آدم »[١] .

٢٨١٠ قال عمر بن عبد العزيز : ما قُرِن شيءٌ إلى شيء أحسن من حِلْم إلى عِلْم ، ومن عَفْوٍ إلى قُدْرة .

٢٨١١ قال أبو الدرداء : مَنْ يَزْدَدْ علماً يَزْدَدْ وَجَعاً .

٢٨١٢ قال أفلاطون : لولا أنَّ في قولِ لا أعلم سبباً لأني أعلم ، لقلتُ إني لا أعلم .

٢٨١٣ وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأني لستُ أعلم .

٢٨١٤ قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رَجُلٌ يَدْري ويَدْري أنه يَدْري [فذلك عالم] فسَلُوه ، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك[1] ناسٍ فذَكِّروه ، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلِّموه ، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفُضوه .

٢٨١٥ كتب كِسرى إلى بُزُرْجِمِهْر وهو في الحبس : كانتْ ثمرةُ علمك أنْ صرتَ بها أهْلاً للحبس والقتل . فكتب إليه بُزُرْجِمِهْر : أمَّا ما كان معي الجَدُّ[٢] ، فقد كنتُ أنتفعُ بثمرةِ العلم . فالآن إذ لا جَدَّ ، فقد صِرتُ أنتفع بثمرة الصبر ، مع أني إنْ كنتُ فقدتُ[2] كثيرَ الخيرِ ، فقد استرحتُ من كثير الشر .

٢٨١٦ قال بُزُرْجِمِهْر : مَنْ صَلَح له العُمْرُ صَلَح له التعلُّمُ . ٢/ ١٢٧

٢٨١٧ وقيل لبعض الحكماء : أيحسُن بالرجل أن يتعلَّم ؟ فقال : إن كانت الجَهَالة تَقْبُح به ، فإن العلم يَحْسُن به .

٢٨١٨ ويقال : التودُّد زَيْن العلم .

---

(1) كب ، مص : فذاك .
(2) ساقطة من كب ، وألحقت بالهامش .

---

(١) الحديث حسنه المنذري ، وصححه الحافظ العراقي ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٢) الجد : الحظ .

٢٨١٩ قال عمر بن الخطاب : ما من غاشية(١) أدْوَمُ أرَقاً ، وأبطأ شِبعاً من عالم .

٢٨٢٠ قال مالك بن دينار : مَنْ طَلَب العلم لنفسه فالقَليل منه يكفيه[1] ، ومَنْ طَلَبه للناس فحوائج الناس كثيرةٌ .

٢٨٢١ قال أبقراط : العلم كثير ، والعُمر قصير ، والصَّنعةُ طويلة ، والزمان حَديد[2] ، والتجربةُ خطأ .

٢٨٢٢ قال المسيح عليه السلام : إلى متى تَصِفون[3] الطريقَ للمُدْلجين(٢) ، وأنتم مقيمون مع المتحيِّرين ؟ إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير .

٢٨٢٣ قال سَلْمان : لو حدَّثْتُ الناسَ بكل ما أعلم ، لقالوا : رَحِم الله قاتِلَ سَلْمان .

٢٨٢٤ كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتُتَّهَم فيما تَعْلَم .

٢٨٢٥ وكان يقال : العلم قائد ، والعقل[4] سائق ، والنَّفْس حَرُون(٣) ؛ فإذا كان قائد بلا سائق بَلُدَت [الماشية] ، وإذا كان سائقٌ بلا قائد عَدَلت يميناً وشمالاً ، فإذا اجتمعا أنابتْ طوعاً وكَرْهاً .

٢٨٢٦ قال أيوب : لا يعرف الرجلُ خطأَ معلمِه حتى يعرفَ الاختلاف .

٢٨٢٧ ويقال : غَريزة العقل أُنْثى ، وما يستفاد من العلم ذَكَرٌ ، ولن يَصْلَحا إلا معاً .

٢٨٢٨ قال المسيح عليه السلام : إن أبْغَض العلماء إلى الله رجلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بالمَغيب ، ويُوَسَّع له في المجالس ، ويُدْعَى إلى الطعام ، وتُفْرَغ له المَزَاوِد(٤) . بحقٍّ أقول لكم : إن أولئك قد أخذوا أجورَهم في الدنيا ، وإن الله يُضَاعِف لهم العذابَ يوم القيامة .

١٢٨/٢ ٢٨٢٩ لما دُلِّي زيد بن ثابت في قبره ، قال ابن عباس : من سَرَّه أن يَرى كيف ذَهَب العلمُ ، فهكذا ذهاب العلم .

---

(1) كب ، مص : يكفي . (2) مص : جديد ، تصحيف .
(3) كب : يصفون ، ولها وجه إن أراد الأنبياء . (4) كب ، مص : العمل .

---

(١) الغاشية : السؤال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك .
(٢) المدلجون : السائرون ليلاً ، أراد السائرين في الضلالة ، الذين لا يهتدون لطريقهم ومذهبهم .
(٣) الحرون : التي لا تنقاد ، شبهها بالدابة الحرون التي تركب رأسها .
(٤) المزاود : جمع مزود كمنبر ، وهو وعاء الزاد .

٢٨٣٠ ويقال : إذا أردتَ المحبة من الله فكن عالماً كجاهل .

٢٨٣١ وقال بعض الشعراء في تلاقي العلماء :

إذا تَـلاَقَـتِ القُـيُـولُ[1] وازْدَحَمَـتْ فَكَيْفَ حَالُ البَعُـوضِ فـي الـوَسَـطِ[(١)]

٢٨٣٢ وقال ابن الرِّقاع :

ولقـد أَصَبْـتُ مِـنَ المَعِيشَـةِ لَـذَّةً ولَقِيتُ مِنْ شَظَفِ الخُطُوبِ شِدَادَهَا[(٢)]

وعَلِمْـتُ حَتَّـى لَسْـتُ أَسْـأَلُ عـالِمـاً عَـنْ حَـرْفِ وَاحِـدَةٍ لِكَـيْ أَزْدَادَهَـا

٢٨٣٣ ويقال : أربعٌ لا يَأْنف منهن الشريف : قيامُه عن مجلسه لأبيه ، وخِدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فرسه وإن كان له مائةُ عبدٍ ، وخدمتُه العالمَ ليأخذَ مِنْ علمه .

٢٨٣٤ قيل لعطاء بن مصعب : كيف غَلَبْتَ على البرامكة ، وعندهم مَنْ هو آدبُ منك ؟ قال : ليس للقرباء ظَرَافةُ الغرباء . كنتُ بعيدَ الدار ، غريبَ الاسم ، عظيمَ الكِبْر ، صغيرَ الجِرْم ، كثيرَ الالتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛ فقربني إليهم تباعدي منهم ، ورغَّبهم فيَّ رغبتي عنهم .

٢٨٣٥ قال أبو يعقوب الخُرَيمي[2] : تلقَّاني سعيدُ بن وَهْب مع طلوع الشمس ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أدور لعلِّي أسمع حديثاً حسناً . ثم تلقَّاني أنس بن أبي شيخ ، فقلتُ : أين تريد ؟ قال : عندي حديثٌ حَسَنٌ ، فأنا أطلبُ له إنساناً حَسَنَ الفَهْم حَسَنَ الاستماع . قلتُ : حَدِّثني به . قال : أنت حَسَنُ الفهم ، سَيِّءُ الاستماع ؛ وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيل بن غَزْوان .

٢٨٣٦ وقال الطائي في نحو هذا :

وكُنْـتَ أعَـزَّ عِـزاً مِـنْ قَنُـوعٍ تَعَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولِ[(٣)] ١٢٩/٢

فصِـرْتَ أَذَلَّ مِـنْ مَعْنًـى دَقِيـقٍ بِـهِ فَقْـرٌ إلَـى فَهْـمٍ جَلِيـلِ

---

(1) مص : الفيول ، بالفاء الموحدة ، تصحيف . وفي كب ، مص : تلاقى .

(2) كب : الخزيمي ، تصحيف .

---

(١) القيول : جمع قَيْل ، وهي الناقة التي يشربون لبنها نصف النهار .

(٢) الخطوب : جمع خَطْب ، وهو الأمر الجلل . وأراد بشظف الخطوب : شدة العيش وضيقه .

(٣) البيتان في هجاء عَيَّاش بن لهيعة . والقنوع هنا : الخروج من الشيء والميل إلى غيره ، أراد ما يعتاضه من الخروج من وده إلى ود غيره .

٢٨٣٧ كان يقال : إذا أردتَ أن تكونَ عالِماً فاقصِدْ لفنٍّ من العلم ، وإذا أردتَ أن تكونَ أديبا فخذ من كل شيء أَحْسَنَه .

٢٨٣٨ قال إبراهيم بن المهدي :

قَـدْ يُـرْزَقُ المَـرْءُ لـم تَتْعَـبْ رَوَاحِلُـهُ ... ويُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لم يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ
مـعْ أَنَّنـي وَاجِـدٌ فـي النَّـاسِ واحِـدَةً ... الـرِّزْقُ أرْوَغُ شَـيءٍ عَـنْ ذَوِي الأَدَبِ
وخَلَّـةٍ لَيْـسَ فيهـا مَـنْ يُخَـالِفُنـي ... الرِّزْقُ والنَّوْكُ مَقْرُونَانِ في سَبَبِ[1][(١)]
يـا ثَـابِتَ العَقْـلِ كَـمْ عَـايَنْـتَ ذا حُمُـقٍ ... الـرِّزْقُ أغْـرَى بِـهِ مِـنْ لازِمِ الجَـرَبِ

٢٨٣٩ قال أَنُوشَِرْوان للمُوبَذ : ما رأسُ الأشياء ؟ قال : الطَّبيعة النقيَّة تكتفي من الأدب برائحته ، ومن العلم بالإشارة إليه ؛ وكما يَذْهَب البَذْرُ في السِّباخ ضائعاً ، كذلك الحكمةُ تموت بمَوْت الطبيعة ؛ وكما تَقلبُ[2] السِّباخُ طَيِّبَ البَذْر إلى العَفَن ، كذلك الحكمة تَفْسُد عند غير أهلها . قال كِسْرى : قد صدقتَ ، وبحقٍّ قلَّدناك ما قلَّدناك[(٢)] .

٢٨٤٠ قال بعضُ السلف : يكون في آخر الزمان علماءُ يُزَهِّدون في الدنيا ولا يَزْهَدُون ، ويُرَغِّبون في الآخرة ولا يَرْغبون ، يَنْهَوْن عن غِشيان الوُلاة ولا ينتهون ، يُقَرِّبون الأغنياء ويُباعدون الفقراء ، ويَنْقَبضون عند الحُقَراء ، وينبسطون عند الكُبَراء ، أولئك الجبَّارون أعداءُ الرحمن .

٢ / ١٣٠

٢٨٤١ نافع ، عن ابن عمر ، قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسُنَّة ماضية ، ولا أدري[(٣)] .

* * *

---

(1) كب : نسب ، وكلاهما صواب .   (2) كب ، مص : تغلب .

---

(١) النُّوك : أبلغ الحمق . والسبب : الحبل ، أراد أنهما معاً ، والأصل في القَرْن : الجمع بين دابتين في حبل .

(٢) الموبذ : فقيه الفرس وعالمهم . والسباخ : جمع السبخة ، وهي الأرض التي غلب عليها الملح فلا تصلح للزراعة .

(٣) الصواب : وفريضة عادلة ، والفريضة : قسمة المواريث ، أي العدل في القسمة بحيث تكون كما في الكتاب والسنة ، وقيل : أراد أنها تكون مستنبطة من الكتاب والسنة وإن لم يرد بها نص فتكون معادلة للنص (اللسان : فرض) .

الكُتُب والحفظ

٢٨٤٢ حَدَّثني إسحاق بن إبراهيم ، قال : حَدَّثنا قريش بن أنس ، قال : سمعت الخليل بن أحمد يقول : اسْلَمْ مِنَ الوَحْدة . فقيل له : قد جاء في الوَحْدة ما جاء . فقال : ما أفسدَها للجاهل .

٢٨٤٣ قال بعض الشعراء في قوم يَجْمعون الكُتُب ولا يَعْلَمون :

زَوَامِلُ لِلأَسْفَارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمْ ... بجَيِّدِهَا إلَّا كَعِلْمِ الأبَاعِرِ(١)
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي المَطِيُّ إذا غَدَا ... بأَحْمَالها أوْ رَاحَ ما في الغَرَائِرِ(٢)

٢٨٤٤ قال يحيى بن خالد : الناسُ يكتبون أحسنَ ما يَسْمعون ، ويَحْفظون أحسنَ ما يكتبُون ، ويتحدثون بأحسنَ ما يَحْفظون .

٢٨٤٥ قال الشَّعْبي : لو أن رجلاً حَفِظ ما نَسيت كان عالماً .

٢٨٤٦ ووصف رجلٌ رجلاً ، فقال : كان يَغْلط في علمه من وُجُوه أربعة : يَسمع غيرَ ما يقال له ، ويَحفظ غيرَ ما يَسمع ، ويكتُب غيرَ ما يحفظ ، ويحدِّث بغير ما يَكْتُب .

٢٨٤٧ قيل لأبي نُوَاس : قد بَعَثوا إلى أبي عُبَيدة والأصْمَعي ليُجْمَعَ بينهما . فقال : أمَّا أبو عُبَيدة ، فإن مَكَّنُوه[1] من سِفْرِه(٣) قرأ عليهم أساطيرَ الأولين . وأما الأصمعي فبُلْبُل في قفص يُطْرِبهم بنَغَماته .

* * *

(1) كب : أمكنوه من شفره ، مص : أمكنوه من شقره .

(١) الزوامل : جمع زاملة ، وهو البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع ، من الزَّمْل وهو الحمل . والأسفار : الكتب الكبار ، واحدها سفر (بكسر فسكون) . الأباعر : جمع البعير .
(٢) المطي : جمع المطية ، وهو ما يركب من الدواب ، تذكر وتؤنث ، فالبعير مطية والناقة مطية . والغرائر : جمع غِرارة ، وهو وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه ، أراد أحمالها .
(٣) سفره : كتبه ، سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه ، يقال : أسْفَرَ الصبح ، إذا انكشف وأضاء إضاءة لا يشك فيه .



القــرآن

٢٨٤٨ حَدَّثني الزِّيادي ، قال : حَدَّثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن الجُرَيري :

عن عبد الله بن شَقيق ، قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون بَيْعَ المصاحِف ، ويَرَوْنه عظيماً . وكانوا يكرهون أنْ يأخذ المعلم على تعليم الغِلْمان شيئاً .

٢٨٤٩ حَدَّثني محمد بن عبد العزيز ، عن خالد الكاهلي ، عن أبي إسحاق :

عن الحارث ، عن علي عليه السلام ، قال : مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجَّة(١) ، ريحُها طَيِّب ، وطعمها طَيِّب . ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأ القرآن مَثَلُ التمرة ، طعمها طَيِّب ، ولا ريحَ لها . ومَثَلُ الفاجرِ الذي لا يقرأ القرآن مَثَلُ الحَنْظَلة ، طعمها مُرٌّ ، ولا ريحَ لها .

٢٨٥٠ وحَدَّثني محمد بن عُبيد ، عن معاوية بن عمرو ، عن أبي[1] إسحاق ، عن إسماعيل ابن أمية . [ح] ولَيْث بن أبي سُلَيم ، عن نافع :

عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو ، فإني أخاف أن يَناله العدو »(٢) .

٢٨٥١ حَدَّثني أبو سفيان الغَنَوي ، قال : حَدَّثنا عُمَير بن عمران العلاف ، قال : حَدَّثنا خُزيمة[2] بن أسد المري ، قال :

كان سعيد بن المسيَّب يستفتح القراءة بـ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، ويقول : إنها

---

(1) كب : أبيه ، تحريف . (2) كب : حزيمة .. المراي .

---

(١) الأترجة : واحدة الأترج ، وهو النارنج في الشام ، ثمر كالليمون الكبار ، ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، حامض الماء .

(٢) الإسناد الأول صحيح ورجاله ثقات ، والإسناد الثاني فيه ليث بن أبي سليم . والحديث صحيح ، له طرق صحيحة . وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .
وأراد ﷺ بالقرآن القرآن المكتوب في المصحف لا المحفوظ في الصدور ، وهذا إذا خيف عليه أن يناله العدو لقلة الجيش المسلم ونحو ذلك ، وإلا فلا مانع منه .

أَوّلُ شيءٍ كُتب في المصحف ، وأولُ الكُتُب ، وأولُ ما كَتَب به سليمانُ بن داود إلى المرأة(١) .

٢٨٥٢ وحَدَّثني أبو حاتم ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، قال : حَدَّثنا رجلٌ : ٢/ ١٣٢

عن عِمْران بن حُدَيْر[1] ، قال : قرأتُ على أعرابي آخرَ سورةِ « براءة » ، فقال : كأن[2] هذا من آخر ما نَزَل . قلت[3] : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقْضى ، وعهوداً تُنْبَذ . قال : وقرأتُ عليه سُورة « الأحزاب » ، فقال : كأنها ليست بتامَّة .

٢٨٥٣ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا سفيان بن عُيَينة ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال :

قال ابن مسعود : ﴿ حم ﴾ ديباج القرآن(٢) .

٢٨٥٤ قال : وزاد فيه مِسْعر :

قال عبد الله : إذا رَتَعْتُ[4] في آل ﴿ حم ﴾ ، رَتَعْتُ في روضات دَمِثات أتأنق فيهن(٣) .

٢٨٥٥ حَدَّثني شيخٌ لنا، عن المُحاربي، قال : حَدَّثنا بكر بن خُنَيس ، عن ضِرار بن عمرو :

عن الحسن ، قال : قُرّاء القرآن ثلاثةٌ : رجلٌ اتخذه بِضاعة ، يَنْقُله من مِصْر إلى مِصْر ، يطلُب به ما عند الناس . وقومٌ حَفِظوا حروفَه ، وضيَّعوا حدودَه ، واستدرُّوا به الولاة ، واستطالوا به على أهل بلادهم ـ وقد كَثَّر الله هذا الضَّرْبَ في حَمَلة القرآن ، لا كَثَّرَهم الله ـ . ورجلٌ قرأ القرآن ، فبدأ بما يَعْلَم من دواء القرآن ، فوَضَعه على داءِ قلبِه ، فسَهِر ليلَه ، وهَمَلَت عيناه(٤) ، تَسَرْبَل[5] الخُشُوع(٥) ، وارتدى بالحُزْن ، ورَكَد

---

(1) كب : جدير ، تصحيف .
(2) كب ، مص : كان .
(3) كب ، مص : قالوا .
(4) كب ، مص : وقعت ، في كلا الموضعين .
(5) كب ، مص : تسربلوا ، بصيغة الجمع ، وكل ما سيأتي كذلك .

---

(١) المرأة هي بلقيس ، بكسر الباء والقاف ، ملكة سبأ .
(٢) الديباج : الثياب المنقشة والمزينة ، المعمولة من الحرير . أراد الحواميم وهي السور المبدؤة بحاء ميم .
(٣) روضة دمثة : سهلة لينة . وأتأنق فيهن : أتتبع محاسنهن ، وأُعجب بهن ، وأستلذ قراءتهن ، وأتمتع بمحاسنهن ، ومنه قيل : منظر أنيق ، إذا كان حسناً معجباً ، فتعلقه ولا تفارقه .
(٤) هملت عيناه : فاض دمعها وسال .
(٥) تسربل الخشوع : لبسه ، أراد جعل الخضوع والانقياد لله ملازماً له .

في محرابه ، وجَثَا[1] في بُرْنُسه(١) ، [فبذاك وأمثاله] يُسْقِي[2] اللهُ الغيثَ ، ويُنزل النصر ، ويرفع البلاء . واللهِ ، لهَذا الضَّرْب في حَمَلة القرآن أقلُّ من الكبريت الأحمر .

٢/ ١٣٣

٢٨٥٦ روى الحارث الأعور ، عن عليٍّ عليه السلام(٢) :

عن النبي ﷺ ، أنه قال : كتابُ الله فيه خَبَرُ ما قبلكم ، ونبأُ ما بعدكم ، وحُكْم ما بينكم . هو الفصلُ(٣) ، ليس بالهزل . هو الذي لا تُزيغ به الأهواء ، ولا تَشْبَع منه العلماء ، ولا يَخْلُق من[3] كثرة الردِّ ، ولا تنقضي عجائبه . هو الذي مَنْ تَرَكَه مِنْ جَبَّار قَصَمه الله(٤) ، ومَنِ ابتغى الهدى من[4] غيره أضلَّه الله . هو حَبْلُ الله المتين(٥) ، والذِّكر الحكيم(٦) ، والصراط المستقيم ، خذها إليك يا أعور .

٢٨٥٧ المحاربي ، قال : حَدَّثنا مالك بن مِغْول[5] ، عمن أخبره ، عن المُسَيَّب بن رافع :

عن عبد الله بن مسعود ، قال : ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرَف بليله إذْ[6] الناس نائمون ، وبحُزْنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون . وينبغي لحامل القرآن أن يكون عليماً ، حكيماً ، ليناً ، سِكِّيتاً[7] .

٢٨٥٨ وكيع ، عن أبي مَعْشَر المدني[8] :

عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من تعظيم جَلال الله

---

(1) كب : خثوا .
(2) كب ، مص : فبهم يسقي .
(3) كب ، مص : عن .
(4) كب ، مص : في .
(5) كب : معول ، تصحيف .
(6) كب : إذا (في جميع المواضع) .
(7) كب : سكينا ، مص : مستكينا .
(8) كب ، مص : المديني ، تحريف .

---

(١) البرنس : قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام . والغيث : المطر الذي يغيث الناسَ وينجدهم بعد شدة نالتهم من انقطاعه ، ولا يكاد يقال « مطر » إلا في الماء المفسد للأرض المهلك للأنعام . والكبريت الأحمر : الياقوت .

(٢) الحديث ضعيف جداً ، وكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يرويه الحارث بن عبد الله الأعور عن سيدنا علي باطل (تهذيب الكمال ٥/ ٢٤٤) ، وسيأتي تخريج الحديث في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٣) الفصل : الفاصل بين الحق والباطل .

(٤) قصمه الله : أهلكه ، وأصل القَصْم : كسر الشيء الشديد حتى يبين ، وأما الفَصْم (بالفاء) فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين .

(٥) حبل الله المتين : عهده وأمانه من العذاب ، ونور هداه . والعرب تشبه النور الممتد بالحبل والخيط .

(٦) الذكر : الشرف والفخر ، ووصف ﷺ القرآن بالحكيم ، أي المحكم العاري من الاختلاف .

إكرامَ ذي الشَّيْبة في الإسلام ، وإكرامَ الإمامِ العادل ، وإكرامَ حاملِ القرآن »(١) .

٢٨٥٩ قال بعضُ المفسرين في قول الله جلَّ وعزَّ[1] : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، أحْرِمهم فَهْم القرآن .

٢٨٦٠ سَمِع أعرابي ابنَ عباس وهو يقرأ : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، فقال : واللهِ ما أنقذهم منها وهو يريد أن يدخلهم فيها . فقال ابن عباس : خذها من غير فقيه . ١٣٤/٢

* * *

(1) مص : عزَّ وجلَّ .

(١) إسناده ضعيف وللحديث طريق حسن عند أبي داود ، ووهم ابن الجوزي فعد الحديث من الموضوعات . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

الحديث

٢٨٦١ حَدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حَدَّثنا محمد بن فُضَيل :

عن الأعمش ، قال : كان إسماعيل بن رجاء يجمع صِبْيان الكُتَّاب فيحدثهم كيلا ينسى حديثَه .

٢٨٦٢ وحَدَّثني إسحاق الشَّهيدي ، قال : حَدَّثنا أبو بكر بن عياش :

عن الأعمش ، قال : قال لي حبيبُ بنُ أبي ثابت : لو أنَّ رجلاً حَدَّثني عنك بحديثٍ ، ما باليتُ أن أرويه عنك .

٢٨٦٣ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، عن نافع :

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : ألفٌ عن ألفٍ ، خيرٌ من واحدٍ عن واحدٍ . إنَّ فلاناً عن فلانٍ يَنْتَزِع السُّنة من أيديكم(١) .

٢٨٦٤ حَدَّثني الرِّياشي ، قال : روي عن محمد بن إسماعيل ، قال : حَدَّثني مُعْتَمر[1] ، عن أيوب :

عن الحسن ، قال : وَيْحُ : رحمة .

٢٨٦٥ حَدَّثنا الرِّياشي ، قال : روى ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سهيل بنِ أبي صالح ، عن أبيه :

عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ قَضَى باليمين مع الشاهد(٢) .

قال ربيعة : ثم ذاكرتُ سهيلاً بهذا الحديث ، فلم يحفظه . فكان بعد ذلك يرويه عني ، عن نفسه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة .

---

(1) كب ، مص : عن معتمر ، قال : حدثني منقذ ، تحريف .

---

(١) يفاضل بين أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة .

(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

أي إنه ﷺ قضى للمدعي بيمينه مع شاهد واحد ، فكأنما أقام اليمين مقام شاهد آخر فصار كالشاهدين ، وهذا خاص في الأموال دون غيرها . وخالف أهل الكوفة هذا الرأي .

٢٨٦٦ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، عن شُعْبة ، قال :

كان قَتادة إذا حَدَّث بالحديث الجيِّد ثم ذهب ، يجيء بالثاني غُدْوة .

٢٨٦٧ بلغني عن ابن مهدي ، قال : سُئل شُعْبة : مَنِ الذي يُتْرك حديثه ؟ فقال : الذي يُتَّهم بالكذب ، ومَنْ تكَثَّر بالغَلَط ، ومَنْ يُخطيء في حديثٍ مُجْمَع عليه فلا يَتَّهم نفسه ويُقيم على غَلَطه ، ورجلٌ روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون . ١٣٥/٢

٢٨٦٨ وعن مالك ، أنه قال : لا يؤخذ العلم من أربعة : سفيهٍ معْلِن بالسَّفَه ، وصاحبِ هوىً ، ورجلٍ يكذب في أحاديث الناس وإنْ كنتَ لا تتهمه في الحديث ، ورجلٍ له فَضْل وتعففٌ وصلاحٌ لا يعرِفُ ما يحدِّث .

٢٨٦٩ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن الأصْمَعي ، أنه رثى سفيان بن عُيَيْنة فقال :

فَلْيَبْكِ سُفْيَانَ باغي سُنَّةٍ دَرَسَتْ ... ومُسْتَبِيتُ أثَارَاتٍ وآثَارِ(١)

ومُبْتَغي قُرْبَ إسْنَادٍ ومَوْعِظَةٍ ... وأَفَقِيُّونَ مِنْ طَارٍ ومِنْ طَارِ(٢)

أمْسَتْ مَجَالِسُهُ وَحْشاً مُعَطَّلَةً ... مِنْ قَاطِنِينَ وحُجَّاجٍ وعُمَّارِ

مَنْ للحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ حِينَ ثَوَى ... أوْ للأحَاديثِ عَنْ عَمْرِو بنِ دِينارِ

لَنْ[1] يَسْمَعُوا بَعْدَهُ مَنْ قالَ : حَدَّثنا الـ ... ـزُّهْرِيُّ ، مِنْ أهْلِ بَدْوٍ أوْ بإحْضَارِ

لا يَهْنَإِ الشَّامِتُ المَسْرُورُ مَصْرَعَهُ ... مِنْ مارِقِينَ ومِنْ جُحَّادِ أقْدَارِ(٣)

ومِنْ زَنَادِقَةٍ جَهْمٌ يَقُودُهُمُ ... قَوْداً إلى غَضَبِ الرَّحْمٰنِ والنَّارِ(٤) ١٣٦/٢

---

(1) كب : لو .

---

(١) المستبيت : الفقير ، وأراد به الطالب . أثارات : جمع أثارة ، وهي البقية من العلم تؤثر . والآثار : جمع أثر ، وهو الخبر ، وأراد الحديث الشريف (الخبر المروي عن الرسول ﷺ) .

(٢) أفقيون : جمع أَفقي ، وهو الرجل الغريب من آفاق الأرض ، أي نواحيها ، منسوب إلى الآفاق . وعنى بالطاري : نواحي الأرض .

(٣) المارقون : الخوارج ، كأنهم مرقوا من الدين لغلوهم فيه ، والمروق : سرعة الخروج من الشيء . وجحاد الأقدار : هم القَدَرية ، يجحدون القدر ، أي علم الله بما الخلق صائر إليه من السعادة والشقاء .

(٤) الزنادقة : جمع زنديق ، وهو الملحد بالدين الحنيف ، وكل مجاهر بالفسق والإثم . وأصل الزندقة فارسي ، أطلقه الفرس على من يؤولون « الأفستا » كتاب زرادشت تأويلاً ينحرف عن ظاهر نصوصه ، فنعتوا به دعوة ماني ومن فُتنوا بها من الفرس . وجهم : هو جهم بن صفوان الراسبي السمرقندي صاحب الجهمية وهو من الجبرية الخالصة ، مات مقتولاً بمرو في آخر أيام بني أمية .

ومُلْحِدِينَ ومُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا   بسُنَّـةِ اللهِ أهْتَـاراً بـأهْتَـارِ(١)

٢٨٧٠ وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه(٢) :

يَأْبَى الجَوَابَ فَمَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً   والسَّـائِلُـونَ نَـوَاكِسُ الأذْقَـانِ

هـدْيُ التَّقِـيُّ وعِـزُّ سُلْطَانِ التُّقَـى   فَهْـوَ المُطَـاعُ ولَيْـسَ ذا سُلْطَـانِ

٢٨٧١ حَدَّثنا أبو الخَطَّاب ، قال : حدّثنا محمد بن سَوَاء[1] ، قال :

حَدَّثنا هِشام بن حَسَّان ، قال : كان الحسن يحدّثنا اليومَ بالحديث ، ويرُدُّه الغَد ، ويزيد فيه ، وينقُص ، إلا أن المعنى واحد .

٢٨٧٢ حَدَّثني أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا [ابن] ميمون ، قال : حَدَّثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال :

قال حذيفة بن اليمان : إنَّا قومٌ عرب ، فنقدِّم ونؤخر ، ونَزيد ونَنْقُص ، ولا نريد بذلك كذباً .

٢٨٧٣ أبو معاوية ، قال : قال أبو إسحاق الشيباني[2] : لو كان هذا الحديث من الخُبْز نَقَص .

٢٨٧٤ أبو أسامة ، قال : قال مِسعر : من أبغضني جعله[3] الله محدثاً .

٢٨٧٥ أبو معاوية ، قال : سمعتُ الأعمش ، يقول : والله لأَنْ أتصدَّق بكِسْرَةٍ ، أحبُّ إليَّ من أنْ أتحدث بستين حديثاً(٣) .

٢٨٧٦ أبو أسامة ، قال : سمعتُ سفيان ، يقول : لودِدتُ أنها قُطِعتْ من هامتي ـ وأوْمَأ إلى المَنْكب ـ وأني لم أسمع شيئاً[4] .

١٣٧/٢ ٢٨٧٧ قال ابن عُيَينة : ما أُحِب لمن أحَب أن يكونَ أحفظَ الناسِ للحديث .

---

(1) كب ، مص : سوار ، تصحيف .   (2) كب ، مص : الشامي ، تحريف .

(3) كب ، مص : فجعله .   (4) كب ، مص : منه شيئاً .

---

(١) الملحدون : جمع ملحد ، وهو الشاك في الله ، المائل عن الحق . وأصل الإلحاد : الميل والعدول عن الشيء . والأهتار : جمع هِتْر ، وهو الباطل والسقط من الكلام .

(٢) مضى البيتان برقم ١٥٦٨ كتاب السؤدد .

(٣) الكسرة : عنى الكسرة من الرغيف ، وهي القطعة منه .

٢٨٧٨ قال بعضهم : إنّي لأسمع الحديثَ عُطْلاً فأُشَنِّفُه ، وأُقَرِّطُه ، وأقلِّدُه ، فيَحْسُن ؛ وما زِدْتُ فيه معنىً ، ولا نَقَصتُ منه معنى(١) .

٢٨٧٩ أبو أسامة ، قال : سأل حفصُ بنُ غياث الأعمشَ عن إسناد حديثٍ ، فأخذ بحَلْقه وأسْنَده إلى الحائط وقال : هذا إسنادُه .

٢٨٨٠ وحَدَّث ابنُ السَّمَّاك بحديثٍ ، فقال له رجلٌ : ما إسناده ؟ فقال : هو من المُرْسَلات عُرْفاً .

٢٨٨١ وحَدَّث الحسن بحديثٍ ، فقال له رجلٌ : يا أبا سعيد ، عَمَّنْ ؟ قال : وما تَصْنع[1] بعَمَّنْ ؟ أمَّا أنت ، فقد نالتك موعظتُه ، وقامت عليكَ حُجَّتُه .

٢٨٨٢ يَعْلَى قال : قال الأعمش : إذا رأيتُ الشيخَ لم يطلب الفقه أحببتُ أن أصْفَعه .

٢٨٨٣ ابن عُيَينة ، قال : قال الأعمش : لولا تَعَلُّم هذه الأحاديث كنتُ كبعض بَقَّالي الكوفة(٢) .

٢٨٨٤ ازدحم الناس يوماً على بابِ ابنِ عُيَينة أيام المَوْسم(٣) ، وبالقرب منه رجلٌ من حاجٍّ خُراسان قَد حَطَّ بمَحْمِلِه ، فَديس ، وكُسِر ما كان معه ، وانْتُهِب كعكه وسَوِيقه(٤) . فقام يشير[2] إلى سُفيان ، ويدعو ، ويقول : إني لا أُحِلُّ لك ما صنعتَ . فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السَّمَاع رحمك الله .

٢٨٨٥ أنشدني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، للعلاء بن المنهال الغَنَوِيّ في شَريك(٥) :

لَيْتَ أبا شَرِيكٍ كَان حَياً ... فيُقْصِرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكُ

١٣٨/٢

---

(1) كب ، مص : يصنع .

(2) كب ، مص : يسير .

---

(١) العطل : الخالي من الصور وأساليب البيان ، وأصله من عَطِلت المرأة : إذا لم يكن عليها حلي ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد . وأصل الشَّنْف : الحلي الذي يلبس في أعلى الأذن . والقرط : الذي يلبس في أسفلها .

(٢) البقال : بائع البقول ، والبقول : هي الخس والبصل والثوم وغيرها .

(٣) الموسم : الحج .

(٤) السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير ، يكون طعاماً ، ويكون ثريداً ، ويجعل شراباً يخلط بالماء ويحلى ويضرب .

(٥) مضى البيتان برقم ٣٣٦ كتاب السلطان .

ويَتْـرُكُ مِـنْ تَـدَرِّيـهِ[1] عَلَيْنَـا إذا قُلْنَـا لَـهُ هـذا أبُـوكَ[2]

٢٨٨٦ وقال آخر :

تَحَـرَّزَ سُفْيَـانُ وَفَـرَّ بِـدِينِـهِ وأمْسَى شَرِيكٌ مُرْصَداً للدَّرَاهِمِ[١]

٢٨٨٧ وقال آخر في شَهْر بن حَوْشَب :

لَقَـدْ بَـاعَ شَهْـرٌ دِينَـهُ بخَـرِيطَـةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ القُرَّاءَ بَعْدَكَ يا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيتَ المال فسَرَق خريطةً ، ورَافَق رجلاً من أهل الشام فسَرَق عَيْبَته[٢] .

٢٨٨٨ وقال ابن مُنَاذِر :

١٣٩/٢

ومَـنْ يَبْـغِ الـوَصَـاةَ فـإنَّ عِنْـدِي وَصَـاةً لِلْكُهُـولِ وللشَّبَـابِ

خذُوا عَنْ مَالِكٍ وعَنِ ابْنِ عَوْنٍ ولا تَرْوُوا أحَادِيثَ ابْنِ دَابِ[٣]

٢٨٨٩ عبد العزيز بن أبان ، عن سفيان :

عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : طلبنا هذا الأمرَ ومالنا فيه نِيَّة ، ثم إن النِّية جاءتْ بعد . فقال سفيان : قال زيد بن أَسْلَم : رأيتم رجلاً مَدَّ رِجله ، فقال : اقطعوها سوف أجْبُرها .

---

(1) كب : تذربه ، وأخشى أن تكون صحيحة ، من قولهم : ذَرِب يَذْرَب ، إذا كان حاداً قاطعاً ، ولسان ذرب : حديد الطرف .

(2) مص : أبوكا .

---

(١) لم يل سفيان بن عُيَينة شيئاً من أمر السلطان ، فهذا هو فراره بدينه . وشريك بن عبد الله النَّخَعي استقضاه المنصور على الكوفة سنة ١٥٣ ثم عزله ، وأعاده المهدي ، فعزله موسى الهادي . فهذا هو رصده للدراهم . والرَصَد والرَّصْد والتَّرَصُّد : الترقب والانتظار ، وإنما أراد مكافأة السلطان له على عمله في القضاء .

(٢) شهر بن حوشب الأشعري : من كبار علماء التابعين الثقات ، تكلم في حفظه ابن قتيبة وغيره بغير حجة (المعارف ٤٤٨ ، تهذيب الكمال ١٢/٥٧٨) وإسناد الخبر منقطع ، والشعراء يتقولون . وقال الذهبي : أو أخذها متأولًا أن له في بيت مال المسلمين حقاً (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٥) .
والخريطة : وعاء من جلد أو نحوه يكون كالكيس يُشَد على ما فيه . والعيبة : وعاء من جلد يكون فيها المتاع .

(٣) ابن دأب : هو الكاذب عيسى بن يزيد الليثي ، كان يضع الحديث بالمدينة . ومن المضحك أن ابن مناذر ، معدود في جملة الوضاعين .

٢٨٩٠ قيل لرَقَبة : ما أكثر شَكَّك . فقال : محاماةً عن اليقين .

٢٨٩١ وقال بعضهم : سأل شُعْبَةُ أيوبَ السَّخْتِياني عن حديثٍ ، فقال : أنا أشُكُّ فيه . فقال : شَكُّك أحبُّ إليَّ من يقينِ سبعة .

٢٨٩٢ حَدَّثني زيد بن أخْزَم[1] ، قال :

سمعتُ عبد الله بن داود يقول : رأيتُ الأعْمَش يَضُم كفيه ثم يَضْرِب بهما صدرَه ، ويقول : اسكُنْ .

٢٨٩٣ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال :

حَدَّثني بعضُ الرُّواة ، قال : قلتُ للشَّرَقي[2] بنِ القُطَامَى[3] : ما كانتِ العربُ تقول في صلاتها على موتاها ؟ فقال : لا أدري . [4]فقلت : فأكْذِب له ، كانوا يقولون[4] :

ما كُنْتَ وَكْوَاكاً ولا بزَوَنَّكٍ ... رُوَيْدَكَ حَتَّى يَبْعَثَ الحَقَّ باعِثُهْ

وَكْوَاك : غليظ . وزَوَنَّك : قصير . قال : فإذا أنا به يحدِّث به في المقصورة يومَ الجمعة .

٢٨٩٤ قال أبو نُوَاس :

حَدَّثني الأزْرَقُ المُحَدِّثُ عَنْ ... عَمْرِو بنِ شَمْرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودِ(١) ٢/ ١٤٠

لا يُخْلِفُ الوَعْدَ غَيْرُ كافِرِهِ ... وكافِرٍ في الجَحِيمِ مَصْفُودِ

٢٨٩٥ حَدَّثني مِهْيار ، قال : حَدَّثني هَدِيَّة[5] بن عبد الوهاب :

عن شقيق البَلْخي ، أنه أطرى يوماً أبا حنيفة رحمه الله بمَرْو ، فقال له علي بن إسحاق : لا تُطْرِه بمَرْو ، فإنهم لا يحتملون ذلك . فقال شقيق : قد مَدَحه مُسَاور الشاعر ، فقال :

إذا ما النَّاسُ يَوْماً قَايَسُونَا ... بآبِدَةٍ مِنَ الفُتْيَا طَرِيفَهْ[6](٢)

---

(1) كب : أخرم ، تصحيف . (2) كب : للمشرقي ، تحريف .
(3) مص : قطامى ، وكلاهما صواب .
(4 - 4) كب ، مص : فقال : لا أدري . فأكذب له ، فقلت : كانوا يقولون .
(5) كب ، مص : هدبة ، تصحيف . (6) كب : مص : ظريفة، والظَّرْف: الحذق والكياسة .

---

(١) الأزرق المحدِّث : هو إسحاق بن يوسف بن مرداس المخزومي ، وهو ثقة ، صحيح الحديث . وعمرو ابن شمر الجُعْفي (وشمر بكسر الميم وأسكنها للوزن) : إمام مسجد جُعْفى ، وكان قاصاً ، ضعيفاً جداً ، متروك الحديث (الطبقات الكبير ٨/ ٥٠١ ، المجروحين ٢/ ٧٥) .
(٢) آبدة من الفتيا : أي فتيا غريبة ، يبقى ذكرها على الأبد . وطريفة : حديثة مستحسنة .

أتينــاهُــمْ بمِقْيَــاسٍ صَحِيــحٍ   تِلادٍ مِنْ طِرازِ أبي حَنِيفَهْ(١)
إذَا سَمِعَ الفَقِيهُ بها وَعَاهَا   وأثْبَتَهَا بِحِبْرٍ فـي صَحِيفَـهْ

فقال له : قد أجابه بعض أصحابنا :

إذا ذُو الرَّأي خَاصَمَ عَنْ[1] قِياسٍ   وجَـاءَ بِبِـدْعَـةٍ هَنَـةٍ سَخِيفَـهْ
أتينــاهُــمْ بقَــوْلِ اللهِ فيهــا   وآثــارٍ مُبَــرَّزَةٍ شَــرِيفَــهْ
فَكَمْ مِنْ فَرْجِ مُحْصِنَةٍ عَفِيفٍ   أُحِـلَّ حَـرَامُـهُ بـأبـي حَنِيفَـهْ
أَقَـالَ[2] أبـو حَنيفـةَ بنتُ صُلْـبٍ   تكُونُ منَ الزِّنا عُرْساً صَحِيحَهْ

٢٨٩٦ سَمِع رجلٌ منادياً يُنادي : منْ يَدُلُّنا على شيخٍ ضلَّ ؟ فقال : ما سمعتُ كاليوم شيخٌ يُنَادَى عليه ! ثم جاء به إلى بشر المِرِّيسي ، فقال : هذا شيخٌ ضالٌ فخُذْ بيده .
[3]وكان بِشْرٌ يقول بخَلْق القرآن[3] .

---

(1) مص : في ، وكلاهما له وجه .   (2) سقط البيت من كب ، وألحق بالهامش .
(3 - 3) سقطت من كب ، وألحقت بالهامش .

---

(١) التلاد : القديم الموروث ، وهو مما يضن به .

الأهواء والكلام في الدِّين

٢٨٩٧ قال المأمون يوماً لعليِّ بن موسى الرِّضَى[1] عليهما السلام : بم تدَّعون هذا الأمر ؟ قال : بقرابة عليٍّ من النبي ﷺ ، وبقرابة فاطمةَ رضي الله عنها . فقال المأمون : إن لم يكن هاهنا شيءٌ إلا القرابةَ ، ففي خَلَفِ رسولِ الله ﷺ مِنْ أهلِ بيتِه مَنْ هو أقْرَبُ إليه مِنْ عليٍّ ، ومَنْ هو في القرابة مثلُه . وإن كان بقرابةِ فاطمةَ من رسول الله ، فإنَّ الحقَّ بعد فاطمةَ للحسن والحسين ، وليس لعليٍّ في هذا الأمرِ حقٌّ وهما حَيَّانِ . وإذا كان الأمرُ على ذلك ، فإنَّ علياً قد ابتزَّهُما جميعاً وهما حَيَّان صحيحان ، واستولى عليٌّ على ما لا يجب له . ١٤١/٢

فما أحار عليُّ بن موسى نطقاً .

٢٨٩٨ حَدَّثنا الرِّياشي ، قال : سمعتُ الأصمعيَّ ينشد :

وإنِّـي لأغْنَـى النَّـاسِ عَـنْ مُتَكَلِّـمٍ   يَرَى النَّاسَ ضُلاَّلاً ولَيْسَ بمُهْتَدِ

٢٨٩٩ وأنشدني أيضاً الرِّياشي :

وعَـاجِـزُ الـرَّأْيِ مِضْيَـاعٌ لفُـرْصَتِـهِ   حَتَّى إذَا فَاتَ أمْرٌ عَاتَبَ القَدَرا(١)

٢٩٠٠ وقال آخر :

إذا عُيِّـرُوا قـالُـوا مَقَـاديـرُ قُـدِّرتْ   ومـا العَـارُ إلَّا مـا تَجُـرُّ المَقَـادِرُ

٢٩٠١ وأنشدني سَهْل ، عن الأصْمَعي :

يـا أيُّهَـا المُضْمِـرُ هَمـاً لا تُهَـمْ   إنَّكَ إنْ تُقْدَرْ لَكَ الحُمَّى تُحَمْ
ولَـوْ غَـدَوْتَ شـاهِقـاً مِـنَ العَلَـمْ   كَيْفَ تَـوَقِّيكَ وقَـدْ جَفَّ القَلَـمْ

٢٩٠٢ وأنشدني غيره :

هِـيَ المَقَـاديـرُ فَلُمْنـي أوْ فَـذَرْ   إنْ كُنْتُ أخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ القَدَرْ

---

(1) كب : الرضا .

---

(١) مضى البيت في كتاب السلطان برقم ١٥٤ .

٢٩٠٣ قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام(١) تَزَنْدق ، ومن طَلَب المال بالكيمياء أفْلَسَ ، ومن طَلَبْ غرائبَ الحديث كُذِّب .

٢/ ١٤٢ ٢٩٠٤ كان مسلم بن أبي مريم - وهو مولىً لبعض أهل المدينة ، وقد حُمِل عنه الحديث - شديداً على القَدَرية(٢) ، عائباً لهم ولكلامهم . فانكسرتْ رِجْله ، فتركها ولم يُجَبِّرْهَا ، فكُلِّم في ذلك ، فقال : يَكْسِرها هو وأجْبُرها أنا ! لقد عاندتُه إذاً .

٢٩٠٥ قال رجلٌ لهشام بنِ الحكم : أترى الله عزَّ وجلَّ في فَضْله وكَرَمه وعَدْله كَلَّفَنا ما لا نُطيقه[1] ثم يُعَذِّبنا [عليه] ؟ فقال هشام : قد واللهِ فَعَل ، ولكننا لا نستطيع أن نتكلم .

٢٩٠٦ حَدَّثني رجلٌ من أصحابنا ، قال : صَاحَبَ رجلٌ من القَدَرية مجوسِياً في سَفَر ، فقال له القَدَري : يا مجوسيُّ : ما لك لا تُسْلم ؟ قال : حتى يشاء الله ! قال : قد شاء اللهُ ذلك ، ولكن الشيطانَ لا يَدَعُك . فقال[2] المجوسيُّ : فأنا مع أقواهما .

٢٩٠٧ اجتمع أبو عَمْرو بن العلاء وعمرو بن عُبَيد ، فقال عمرو : إنَّ الله وَعَد وَعْداً ، وأوْعَد إيعاداً ، وإنه مُنْجزٌ وعْدَه ووعيدَه . فقال له أبو عمرو : أنت أعْجَم . لا أقول إنك أعْجَمُ اللسانِ ، ولكنك أعْجَمُ القلب . أما تعلم ، ويحك ، أن العربَ تَعُدُّ إنجازَ الوَعْد مَكْرُمة ، وتَرْك إيقاع الوعيد مكْرُمة ؟ . ثم أنشده :

وإنِّـي وإنْ أوْعَـدْتُـهُ أوْ وَعَـدْتُـهُ   لمُخْلِفُ إيعَادِي ومُنْجِزُ مَوْعِدي

٢/ ١٤٣ ٢٩٠٨ حبيب بن الشهيد ، قال : قال إياس بن معاوية : ما كلَّمْتُ أحداً بعقلي كلِّه إلا صاحبَ القَدَر ، قلت : ما الظلم في كلام العرب ؟ قال : هو أن يأخُذَ الرجلُ ما ليس له . قلت : فإنَّ الله له كلُّ شيء .

٢٩٠٩ وفي « كتاب للهند » : اليقين بالقَدَر لا يمنع الحازمَ تَوَقِّي[3] المهالك ، وليس على أحدٍ النَّظَرُ في القَدَر المُغَيَّب ، ولكن عليه العمل بالحَزْم ، ونحن نَجْمع تصديقاً بالقَدَر وأخْذاً بالحزم .

---

(1) كب ، مص : نطيق .   (2) كب مص : قال .
(3) مص : توفي ، تصحيف .

---

(١) الكلام : الفلسفة .
(٢) القدرية : جاحدو القدر (انظر ما مضى برقم ٢٨٦٩) .

٢٩١٠ حَدَّثني خالد بن محمد الأزدي ، قال : حَدَّثنا شَبَابة بن سَوَّار ، قال : سمعتُ رجلاً من الرافضة يقول : رحم الله أبا لُؤلُؤة ؛ فقلت : تترحم على رجلٍ مَجُوسي قَتَل عُمَرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه ! فقال : كانت طعنتُه لعُمَر إسلامَه .

٢٩١١ حَدَّثني أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، قال : ١٤٤/٢

أخبرني عاصم بن محمد العُمَري ، قال : كنتُ جالساً عند أميرٍ من أمراء المدينة ، فأُتي برجلٍ شَتَم أبا بكرٍ وعُمَر ، فأسْلَمَه حَجَّاماً حتى حَذَق(١) .

٢٩١٢ وقال بعضُ شعراءِ الرافضة في محمد ابن الحَنَفية :

أَلَا قُـلْ لِلْـوَصِـيِّ فَـدَتْـكَ نَفْـسِـي ... أطَلْتَ بذلك الجَبَلِ المُقَامَا(٢)

أضَـرَّ بمَعْشَـرٍ وَالَـوْكَ[1] مِنَّـا ... وسَمَّـوْكَ الخَلِيفَـةَ والإمَـامَـا

وعـادَوْا فيـكَ أهْـلَ الأرْضِ طُـراً ... مُقَـامَـكَ عَنْهُـمُ سَبْعِيـنَ[2] عَـامَـا

ومـا ذَاقَ ابْـنُ خَـوْلَـةَ طَعْـمَ مَـوْتٍ ... ولا وَارَتْ لـه أرْضٌ عِظَـامـا(٣)

لَقَدْ أمْسَى بِمُورِقِ شِعْبِ رَضْوَى ... تُرَاجِعُهُ المَلائِكَةُ الكَلَامَا(٤)[3]

٢٩١٣ وقال كُثَيِّر عَزَّة فيه ، وكان رافضياً يقول بالرَّجْعة :

أَلَا إنَّ الأئمَّـةَ مِـنْ قُـريـشٍ ... وُلَاةُ الحَـقِّ أرْبَعَـةٌ سَـوَاءُ

علـيٌّ والثَّـلاثَـةُ مِـنْ بَنِيـهِ ... هُمُ الأسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ(٥)

---

(1) كب : واروك ، تصحيف .

(2) كب ، مص : ستين ، خطأ .

(3) كب : الكراما .

---

(١) أسلمه حجاماً : دفعه إليه ، ليتعلم منه . وحذق : أي حذق الحجامة ، بمعنى مَهَر فيها . وإنما فعل ذلك به ليمتهنه ويهينه .

(٢) عنى جبل رَضْوى ، ورَضْوى : من أشهر جبال جزيرة العرب ، مطل على وادي ينبع ، غرب المدينة المنورة بنحو ١٥٠كم . وكان قوم من القائلين بإمامة محمد ابن الحنفية يزعمون أنه حي لم يمت ، وأنه في جبل رضوى ، وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه ، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه .

(٣) ابن خولة : محمد ابن الحنفية ، وهي أمه ، وهو محمد بن علي بن أبي طالب .

(٤) راجعه الكلام : حاوره إياه .

(٥) الأسباط : جمع السبط ، وهو ولد الولد أو ولد البنت خاصة . والسبط الأول هو سيدنا الحسن ، والثاني هو الحسين، والثالث محمد ابن الحنفية ـ وهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، ولا تقوم الساعة حتى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويحيي الموتى فيرجعون إلى الدنيا، ويكون الناس أمة واحدة ـ.

فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبُلاءُ

٢/ ١٤٥ وسِبْطٌ لا يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى ... يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُها[1] اللِّوَاءُ

تغَيَّبَ لا يُرَى عَنْهُمْ زَمَاناً ... بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ ومَاءُ

وهم يذكرون أنه دخل شِعباً باليمن في أربعين من أصحابه فلم يُرَ لهم أَثَر .

٢٩١٤ قال طلحة بن مُصَرِّف لرجل : لولا أني على وضوء لأخبرتُك بما تقول الشِّيعة .

٢٩١٥ قال هارون بن سعد العِجْليّ ، وكان رأسَ الزَّيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا ... فَكُلُّهُمُ في[2] جَعْفَرٍ قالَ مُنْكَرَا

فطائِفَةٌ قالُوا إمامٌ[3] ومِنْهُمُ ... طَوائِفُ سَمَّتْهُ النَّبِيَّ المُطَهَّرَا

فإنْ كانَ يَرْضَى ما يَقُولُونَ جَعْفَرٌ ... فإنِّي إلى رَبِّي أُفَارِقُ جَعْفَرَا

ومِنْ عَجَبٍ لم أَقْضِهِ جِلْدُ جَفْرِهِمْ ... بَرِئْتُ إلى الرَّحْمَنِ مِمَّنْ تَجَفَّرَا(١)

بَرِئْتُ إلى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رافِضٍ ... بَصِيرٍ[4] بباب الكُفْرِ ، في الدِّينِ أَعْوَرَا

إذَا كَفَّ أَهْلُ الحَقِّ عنْ بِدْعَةٍ مَضَى ... عَلَيْهَا وإنْ يَمْضُوا على الحَقِّ قَصَّرَا

ولو قالَ إنَّ الفِيلَ ضَبٌّ لَصَدَّقُوا ... ولو قال زِنْجِيٌّ ، تَحَوَّلَ أَحْمَرَا

وأَخْلَفُ مِنْ بَوْلِ[5] البَعِيرِ فإنَّهُ ... إذَا هُوَ لِلإقْبَالِ وُجِّهَ أَدْبَرَا

فَقَبَّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفِرْيَةٍ ... كما قالَ في عِيسَى الفِرَى مَنْ تَنَصَّرَا

٢/ ١٤٦ ٢٩١٦ سمعتُ بعضَ أهلِ الأدب يقول : ما أَشْبه تأويلِ الرافضة للقرآن بتأويلِ رجلٍ

---

(1) كب : تقدمها . (2) كب : من .
(3) مص : إله ، وما أثبتناه هي رواية كب ، ورواية تأويل مختلف الحديث ١٢٣ .
(4) كب : يصير ، تصحيف . (5) كب : قول ، تصحيف .

---

(١) تتحدث روايات الشيعة عن وجود أربعة جفار عند أئمتهم : الأول ـ كتاب الجفر ، وهو ما أملاه الرسول ﷺ في أواخر حياته لعلي بن أبي طالب ، وفيه علم الأولين والآخرين ، وصفة كل زمان ومكان ؛ كتبه علي بن أبي طالب بطريقة رمزية خاصة لا يفهمها إلا خواص الأئمة والمقربون إليهم . الثاني ـ الجفر الأبيض ، وهو وعاء من جلد شاة ، يتضمن كتاب « الجامعة » في الأحكام الشرعية ، وجملة من الكتب المقدسة ، و « مصحف فاطمة » (ومصحف فاطمة يشمل ما مرَّ من الأخبار عن رسول الله ﷺ ومكانه وما سيكون بعد فاطمة الزهراء في ذريتها . أوحى لها به جبريل بعد وفاة أبيها الرسول ﷺ) . الثالث ـ الجفر الأحمر ، وهو وعاء من جلد شاة يحتوي على سلاح رسول الله ومختصاته ، لا يفتح إلا للدم . الرابع ـ جلد الثور ، وهو وعاء كبير يحتوي على الجفار الثلاثة (بحار الأنوار ١/ ٢١٩ ، ٢٦/ ٢٦ ، ١٨٧ بصائر الدرجات ١٤٧ ، ١٥٧ أصول الكافي ١/ ٢٣١ ، ٢٣٩) .

[مَضْعُوفٍ من بني مخزوم] للشِّعْر ، فإنه قال يوماً : ما سمعتُ بأكذبَ من بني تميم ! زعموا أن قولَ القائل :

بَيْتــاً[1] زُرَارَةُ مُحْتَــبٍ بِفِنَــائِــهِ   ومُجَاشِعٌ وأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ(١)

إنما هو في رجال منهم . قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيتُ بيتُ الله ، وزُرَارة الحجر[2] . قيل لـه : فمجاشـع ؟ قـال : زمـزم جَشِعـت بـالمـاء(٢) . قيل لـه : فأبو الفوارس ؟ قال : أبو قُبَيْس . قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أُسْده[3] . وفكَّرَ ساعةً ، ثم قال : نعم ، نهشل مِصباح الكعبة ، طويلٌ أسودُ ، فذاك نهشل ! .

٢٩١٧ قال أعشى هَمْدَان ، يذكر قَتْلَ الرافضةِ الناسَ :

إذا سِرْتَ في عِجْلٍ فَسِرْ في صَحَابَةٍ   وكِنْدَةَ فاحْذَرْهَا حِذَارَكَ للخَسْفِ

وفي شِيعَةِ الأعْمَى زِيارٌ[4] وغِيلَةٌ   ولَسْبٌ وإعْمَالٌ لجَنْدَلَةِ القَذْفِ

الأعمى : هو المغيرة(٣) . وزِيار : يعني الخَنْق(٤) . واللَّسْب : السم . وإعمالٌ لجندلة القذف : يريد رضخهم رؤوسَ الناس بالحجارة .

ثم قال :

وكُلُّهُــمُ شَــرٌّ عَلَــى أنَّ[5] رَأْسَهُــمْ   حَمِيدَةُ والمَيْلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ   ١٤٧/٢

والكِسْف هذا : هو أبو منصور ، سُمِّي بذلك لأنه قال لأصحابه : فيَّ نَزَل : ﴿ وَإِن يَرَوْا

---

(1) مص : بيت ، خطأ .
(2) كب : الحجبى ، تحريف .
(3) كب : أشده ، مص : أشد .
(4) كب ، مص: زياد في كلا الموضعين، تصحيف.
(5) كب : على رأس رأسهم .

---

(١) زرارة بن عدس بن زيد الدارمي من رهط الفرزدق . ومجاشع جده ، مجاشع بن دارم ونهشل بن دارم . وبيتاً بدل من قوله :

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا   بيتـاً دعـائمُـهُ أعَـزُّ وأطْـوَلُ

(٢) جشعت بالماء : أي حرصت عليه فخزنته في جوفها فصارت نبعاً .
(٣) المغيرة بن سعيد البجلي ، صاحب المغيرية ، من الذين استحلوا خنق مخاليفهم ، أخذه خالد بن عبد الله القسري ، وقت خروجه ، وصلبه بواسط (وانظر ما سيأتي برقم ٢٩١٩) .
(٤) الزيار في الأصل : شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة . والغيلة : القتل خديعة .

﴿ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا ﴾ [الطور : ٤٤] وكان يَدين بخَنْق الناس وقتلهم(١) .

ثم قال :

مَتَى كُنْتَ في حَيَّيْ بَجِيلَةَ فاسْتَمِعْ ... فإنَّ لَهُمْ قَصْفاً يَدُلُّ على حَتْفِ(٢)

كان المغيرة بَجَلياً مولًى لهم :

إذا اعْتَزَمُوا يَوْماً عَلَى قَتْلِ زَائِرٍ ... تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بالنُّبَاحِ وبالعَزْفِ(٣)

٢٩١٨ وكان ابن عُيَينة يُنشد :

إذا مــا سَــرَّكَ العَيْــشُ ... فَـلا تَـأْخُـذْ علـى كِنْـدَهْ

يريد أن الخنَّاقين من المنصورية أكثرُهم بالكوفة من كِندة ، منهم أبو قُطْبة الخَنَّاق .

٢/١٤٨ ٢٩١٩ حَدَّثني أبو حاتم ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، عن ابن أبي زائدة ، قال :

قال هاشم[1] بن القاسم : أخَذ خالد[2] بنُ عبدِ اللهِ المغيرةَ ، فقتله ، وصَلَبه بواسِط عند مَنْظَرة العاشر(٤) ، فقال الشاعر :

طَـالَ التَّجَـاوُرُ مِـنْ بَيَـانٍ وَاقِفـاً ... ومِنَ المُغِيرَةَ عِنْدَ جِذْعِ العَاشِرِ

---

(1) كب ، مص : هشام ، تصحيف .　　(2) كب : خلف ، تحريف .

---

(١) أبو منصور العجلي زعم أنه عرج إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده على رأسه وقال له : يا بني ، انزل فبلغ عني . ثم أهْبَطَه إلى الأرض ، فهو الكسف الساقط من السماء . صلبه يوسف بن عمر الثقفي أيام هشام بن عبد الملك .

وحميدة هي إحدى أصحاب ليلى الناعطية ، ولها رئاسة في الغالية ، وهم الذين غلوا في حق أئمتهم فأخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية .

(٢) القصف : الجَلَبة والإعلان باللهو ، وهو من قولهم : رعد قاصف ، أي شديد الصوت ، بالغ الغاية في الشدة . والحتف : الموت ، وكانوا ـ كما سيأتي ـ يدقون الدفوف والطبول ويحدثون ضروباً من الجلبة ليستروا أمرهم .

(٣) كان الخناقون لا يسيرون إلا معاً ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك ، فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب على دف أو طبل على ما يكون في دور الناس ، وكانوا يرتبطون كلاباً ، فإذا تجاوبوا بالعزف ، ليختفي صوت مخنوقهم ، ضربوا تلك الكلاب فنبحت ، وربما كان منهم معلم يؤدب في الدرب ، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب (الحيوان ٦/٣٨٩) .

(٤) المنظرة : الموضع الذي ينظر منه ، ويغلب على المواضع التي يشرف منها على الطريق وغيره ، وقد اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط ، فكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً ، وإن كان ليلاً أشعلوا نيراناً .

يا لَيْتَهُ قَدْ شَالَ جِذْعَا نَخْلَةٍ بأبي حَنِيفَةَ وابْنِ قَيْسِ النَّاصِرِ

وبيان هذا هو بيان التَّبَّان ، وكان يقول : إليَّ أشار اللهُ إذ يقول : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] ، وهو أول مَنْ قال بخَلْق القرآن(١) .

وأما المغيرة فكان مولًى لبَجيلة ، وكان سَبَائياً[1] ، وصاحِبَ نِيْرَنْجَات(٢) . ١٤٩/٢

٢٩٢٠ قال الأعْمَش : قلت للمغيرة : هل كان عليٌّ يُحْيي الموتى ؟ فقال : لو شاء لأحْيَا عاداً وثموداً ، وقروناً بين ذلك [كثيراً] .

٢٩٢١ بَلَغني عن أبي عاصم ، عن إسماعيل بن مسلم المكي ، قال : كنتُ بالكوفة ، فإذا قومٌ من جيراني يكثرون الدخولَ على رجل ، فقلتُ : مَنْ هذا الذي تَدْخُلُون عليه ؟ فقالوا : هذا عليُّ بنُ أبي طالب . فقلتُ : أدْخِلوني معكم . فمضيتُ معهم ، وخبأتُ معي سَوْطاً تحت ثيابي . فدخلتُ ، فإذا شيخٌ أصلعُ بَطين ، فقلتُ له : أنتَ عليُّ بنُ أبي طالب ؟ فأومأ برأسه ، أي نعم . فأخرجتُ السوط ، فما زلتُ أُقَنِّعه(٣) ، وهو يقول : لتاوى ، لتاوى . فقلتُ لهم : يا فَسَقة ! عليُّ بنُ أبي طالب نَبَطيٌّ ؟ ثم قلتُ له : ويلك ، ما قصتك ؟ قال : جُعِلت فداك ! أنا رجلٌ من أهل السَّوَاد(٤) ، أخذني ١٥٠/٢ هؤلاء فقالوا : أنتَ عليُّ بن أبي طالب .

٢٩٢٢ حَدَّثني رجلٌ من أصحاب الكلام ، قال : دَخَل هِشام بنُ الحكم على بعضِ العباسيين ، فقال رجلٌ للعباسيِّ : أنا أقرِّرُ هشاماً بأن علياً كان ظالماً . فقال له : إن فعلتَ ذلك ، فلك كذا . فقال له : يا أبا محمد ، أما[2] علمتَ أن علياً نازع العباسَ

---

(1) كب : سبابيا ، تصحيف . (2) كب : ما .

---

(١) هو بيان بن سمعان التميمي ، زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه ، وأنه يفنى كله إلا وجهه ، متأولاً قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ زاعماً أنه يعرف اسم الله الأعظم، وأنه يهزم به العساكر. صلبه خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٩ .

(٢) سبائياً : من أتباع عبد الله بن سبأ ، صاحب السبائية ، غلا في سيدنا علي بن أبي طالب فزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه فزعم أنه إله . والنيرنجات : أُخَذ كالسحر ليست بحقيقته ، وإنما هي تشبيه وتلبيس . والمغيرة هو ابن سعيد البجلي ، زعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة ، وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء ، قتله خالد القسري سنة ١١٩ .

(٣) قنعه بالسوط : علاه به .

(٤) النبطي : نسبة إلى النبط ، وهم أخلاط الناس من غير العرب (ومضى الكلام عنهم برقم ١٨٣٩ كتاب السؤدد). والسواد: الريف، وسواد العراق: ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى والرساتيق.

إلى أبي بكر ؟ قال : نعم . قال : فأيُّهما كان الظالمَ لصاحبه ؟ فتوقَّف هشامٌ ، وقال : إنْ قلتُ العباسَ خِفْتُ العباسيَّ ، وإنْ قلتُ علياً ناقضتُ قولي . ثم قال : لم يكن فيهما ظالمٌ . قال : فيختصم اثنان في أمرٍ وهما مُحِقَّان جميعاً ؟ قال : نعم ، اختصم المَلَكان إلى داود وليس فيهما ظالمٌ ، إنما أرادا أن يُنَبِّهاه على ظُلْمه[1] ، كذلك اختصم هذان إلى أبي بكرٍ ليُعَرِّفاه ظُلْمه .

٢٩٢٣ قال حسان بن ثابت في النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :

ثَــلاثَــةٌ بَــرَّزُوا بسَبْقِهُــمُ   نَضَّـرَهُـمُ رَبُّهُـمْ إذا نُشِـرُوا[2]
عـاشُـوا بـلا فُـرْقَـةٍ حَيَـاتَهُـمُ   واجْتَمَعُوا في المَمَاتِ إذ قُبِرُوا
فلَيْــسَ مِــنْ مُسْلِـمٍ لَــهُ بَصَــرٌ   يُنْكِـرُ مِـنْ فَضْلِهِـمْ إذَا ذُكِـرُوا

٢/ ١٥١ ٢٩٢٤ وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إلَيْكَ ابْنَ خَيْرِ النَّاسِ إلَّا مُحَمَّداً   وإلَّا أبـا بَكْـرٍ نَـرُوحُ ونَغْتَـدِي

٢٩٢٥ وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء ، وكان أُسِر ، فأطلقه رسولُ الله ﷺ بغير فِداء ، لأنه كان مسلماً ، مُكْرَهاً على الخروج :

وهُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ راضِياً   وسُـرَّ أبُـو بَكْـرٍ بهـا ومُحَمَّـدُ

٢٩٢٦ وقال عبيد الله بن عمر :

أنــا عُبَيْــدُ اللهِ يَنْمِينــي عُمَــرْ   خَيْرُ قُرَيشٍ مَنْ مَضَى ومَنْ غَبَرْ[3]
بعْـدَ رَسُـولِ اللهِ والشَّيْـخِ الأغَـرّْ   مَهْـلاً عُبَيْـدَ اللهِ فـي ذَاكَ نَظَـرْ

٢٩٢٧ وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكرٍ رضي الله عنه :

إذا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أخي ثِقَةٍ   فاذْكُرْ أخَاكَ أبَا بَكْرٍ بما فَعَلا

---

(١) يشير إلى اختلاف سيدنا سليمان وداود في قضية الحرث ، ومضت الإشارة إليها في كتاب السلطان برقم ٢٣ .

(٢) نضرهم ربهم : نعَّمهم وحسَّنهم ، والنَّضْرة : النعمة والعيش والغنى ، وهي في الأصل حُسْنُ الوجه واللون والبريق . ونشروا : بعثوا بعد الممات .

(٣) يقال نمى الشيء : رفعه وأعلى شأنه ، يقال : فلان ينميه حسبه ، ونمى فلاناً إلى فلان : نسبه إليه . وغبر : بقي ، وهي من الأضداد .

خَيْـرَ البَـرِيَّـةِ أتْقَـاهَـا وأعْـدَلَهـا بَعْدَ النَّبِيِّ وأوْفَاهَا[1] بما حَمَلا
والثَّانِيَ[2] التَّالِيَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ وأوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلا
وكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا مِـنَ البَـرِيَّـة لـم يَعْـدِلَ بِـهِ رَجُـلا

٢٩٢٨ حَدَّثني مِهْيار الرَّازي ، قال : قال جرير بن ثعلبة : حَضَرْتُ شيطاناً مرة ، فقال : ارْفُق بي ، فإني من الشِّيعة . فقلتُ : فمنْ تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش . فخلَّيتُ سبيله .

٢٩٢٩ قال أبو هريرة العِجْلي لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

أبَـا جَعْفَـرٍ أنْـتَ الـوَلِـيُّ أُحِبُّـهُ وأرْضَى بِمَا تَرْضَى بِهِ وأُتَابِعُ
أتَتْنَـا رِجَـالٌ يَحْمِلُـونَ عَلَيْكُـمُ أحَادِيثَ قَدْ ضَاقَتْ بِهِنَّ الأضَالِعُ
أحَـادِيـثَ أفْشَـاهَـا المُغِيـرَةُ فيهـمُ وشَرُّ الأُمُورِ المُحْدَثَاتُ البَدَائِعُ(١)

٢٩٣٠ حَدَّثني هارونُ بنُ موسى ، عن الحسن بن موسى الأشْيَب ، عن حمَّاد بن زيد ، عن ١٥٢/٢ يحيى بن سعيد ، قال :

قال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَل دينَه غَرَضاً للخصومات ، أكثَرَ التنقُّل .

٢٩٣١ قال :

ما ضَرَّ مَنْ أصْبَحَ المَأمُونُ سائِسَهُ إنْ لم يَسُسْه أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ

* * *

(1) كب : أدفاها . (2) كب : الثاني (بسقط الواو) .

(١) المغيرة : هو المغيرة بن سعيد البجلي ، صاحب المغيرية ، ومضى الكلام عليه برقم ٢٩١٧ .

الرَّدُّ عَلَى المُلْحِدِين

٢٩٣٢ قال بعض المُلْحدين لبعض أصحاب الكلام : هل مِنْ دليل على حَدَث[1] العالَم ؟ [قال : الحركة والسُّكون] . فقال : الحركة والسُّكون من العالَم ، فكأنك إذاً قلتَ : الدليلُ على حَدَث العالَم العالَمُ . فقال له : وسؤالُك إيايَ من العالَم ، فإذا جئت بمسألةٍ من غيرِ العالَم جئتك بدليلٍ من غير العالَمِ .

٢٩٣٣ قال المأمون لثَنَويٍّ(١) يُنَاظر عنده : أسألُك عن حرفين فقط[2] ، خَبِّرْني : هل نَدِم مُسيءٌ قطُّ على إساءته ؟ قال : بلى . قال : فالنَّدَم على الإساءة إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : بل إحسان . قال : فالذي نَدِم ، هو الذي أساء أو غيرُه ؟ قال : بل هو الذي أساء . قال : فأرى صاحبَ الخيرِ هو صاحبُ الشر ، وقد بطل قولُكم : إنَّ الذي ينْظُر نَظَر الوعيد هو الذي ينظُر نَظَر الرحمة . قال : فإني أزعم أنَّ الذي أساء غيرُ الذي نَدِم . قال : فنَدِم على شيء كان من غيره ، أو على شيء كان منه ؟ فأسْكَتَه .

١٥٣/٢ ٢٩٣٤ دَخَل المُوبَذُ على هشام بن الحكم(٢) ، فقال له : يا هشام ، حولَ الدنيا شيء ؟ قال : لا . قال : فإنْ أخرجتُ يدي فثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها ؟ قال هشام : ليس ثَمَّ شيءٌ يَرُدُّها[3] ، ولا شيء تُخْرِج يدَك فيه . قال : فكيف أعرِف هذا ؟ قال له : يا مُوبَذ ، أنا وأنت على طرف الدنيا ، فقلتُ لك : يا مُوبَذ ، إني لا أرى شيئاً ؟ فقلتَ لي : ولِم لا تَرَى ؛ فقلتُ لك : ليس هاهنا ظلامٌ يمنعُني ؛ [فـ]ـقلتَ لي[4] : يا هشام ، إني

---

(1) مص : حدوث ، في كلا الموضعين .
(2) كب ، مص : قط .
(3) كب ، مص : يردك .
(4) كب ، مص : لي أنت .

---

(١) الثنوي : واحد الثنوية ، وهم أصحاب الإثنين الأزليين ، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأبدان والأرواح .

(٢) الموبذ : فقيه الفرس وعالمهم . وهشام بن الحكم : صاحب الهشامية ، زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق ، وأن طوله مثل عرضه مثل عمقه ، وهو نور ساطع ، وهو ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته ، ورائحته هي مجسته .

لا أرى شيئاً ؛ فقلتُ لك : ولم لا ترى ؟ قلتَ : ليس ضياءٌ أنظرُ به ؟ فهل تكافأتِ المِلَّتان في التناقض ؟ قال : نعم . قال : فإذا تكافَأتَا في التناقض لم تتكافآ في الإبطال أنْ ليس شيءٌ ؟

فأشار المُوبَذ بيده أن أصبتَ .

ودَخَل عليه يوماً آخرَ ، فقال : هما في القُوَّة سواء ؟ قال : فجوهَرُها واحد ؟ قال المُوبَذ لنفسه ، ومَنْ حَضَر يسمع : إن قلتُ إنَّ جوهرَهُما واحد عادا في نَعْتٍ واحد ، وإنْ قلتُ : مُخْتَلِفٌ ، اختلفا أيضاً في الهِمَم والإرادات ، ولم يتفقا في الخَلْق ؛ فإن أراد هذا قصيراً أراد هذا طويلاً . قال هشام : فكيف لا تُسْلم ؟ قال : هيهات .

٢٩٣٥ وجاءه رجلٌ مُلْحِدٌ ، فقال له : أنا أقول بالاثنين ، وقد عَرَفْتُ إنصافك ، فلستُ أخاف مشاغَبَتكَ . فقال هِشام ، وهو مشغول بثوبٍ ينشره ، ولم يُقْبِل عليه : حَفِظك الله ، هل يَقْدِر أحدُهما أن يَخْلُق شيئاً لا يستعين بصاحبه عليه ؟ قال : نعم . قال هشام : فما ترجو من اثنين ؟ واحدٌ خَلَق كلَّ شيءٍ أصحُّ لك . فقال : لم يكلمني بهذا أحدٌ قبلَك . ١٥٤/٢

٢٩٣٦ قال المأمون لمُرْتَدٍّ إلى النصرانية : خَبِّرْنا عن الشيء الذي أوْحَشَك من ديننا ، بعد أُنْسِك به ، واستيحاشِك مما كنتَ عليه ؟ فإنْ وجدتَ عندنا دواءَ دائِك تعالجتَ به ، وإنْ أخطأ بكَ الشفاءُ ، ونبا عن دائك الدواء ، كنتَ قد أُعذرتَ ، ولم ترجع على نفسك بلائمة . وإنْ قتلناك قتلناك بحكم الشريعة ، وتَرْجِع أنتَ في نفسك إلى الاستبصار والثقة ، وتَعْلم أنك لم تُقَصِّر في اجتهادٍ ، ولم تُفَرِّط في الدخول من باب الحزم . قال المرتد : أوحشني ما رأيتُ من كَثْرة الاختلافِ فيكم . قال المأمون : لنا اختلافان : أحدُهما كالاختلاف في الأذان ، والتكبيرِ في الجنائز ، والتشهُّدِ ، وصلاةِ الأعياد ، وتكبيرِ التشريق ، ووجوهِ القراءات ، ووجوهِ الفُتْيا . وهذا ليس باختلافٍ ، إنما هو تخيُّرٌ ، وسعَةٌ ، وتخفيفٌ من السُّنَّة[1] . فمَنْ أذَّنَ مَثْنى ، وأقام مَثْنى ، لم يُخَطِّيء منْ أذَّنَ مَثْنى وأقام فُرَادى . ولا يَتَعايرون بذلك ، ولا يَتَعايَبُون[2] . والاختلافُ الآخر كنحو اختلافِنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويلِ الحديث ؛ مع اجتماعنا على

---

(1) كب ، مص : المحنة ، تصحيف .

(2) كب : يتعايبون ، يتعاينون ، على الوجهين ، وأخشى أن تكون من قولهم : اعتان للقوم ، إذا صار عيناً لهم ، يرصد أعداءهم ، ويتجسس أخبارهم .

أصل التنزيل ، واتفاقِنا على عَيْن الخبر . فإنْ كان الذي أوْحَشَك هذا حتى أنكرتَ هذا الكتابَ ، فقد ينبغي أن يكونَ اللفظُ بجميع التوراةِ والإنجيل مُتَّفَقاً على تأويله ، كما يكون متَّفقاً على تنزيله ، ولا يكون بين جميعِ اليهودِ والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات . وينبغي لك ألَّا تَرْجع إلَّا إلى لغةٍ لا اختلافَ في تأويل ألفاظها . ولو شاء اللهُ أنْ يُنَـزِّلَ كُتُبَه ، ويجعلَ كلامَ أنبيائه وورثةِ رُسُلِه لا يحتاج إلى تفسير ، لَفَعَل . ولكنَّا لم نَرَ شيئاً مِنَ الدِّين والدُّنْيا دُفِع إلينا على الكفاية . ولو كان الأمرُ كذلك ، لسقطَتْ البلوى والمِحنة ، وذهبتِ المسابقةُ والمنافسةُ ، ولم يكن تفاضلٌ . وليس على هذا بَنَى اللهُ الدنيا .

٢/ ١٥٥

قال المرتد[1] : أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ المسيحَ عبدٌ ، وأنَّ محمداً صادقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حَقًّا .

* * *

(1) كب : الموبذ ، تصحيف .

الإعراب واللَّحْن

٢٩٣٧ حَدَّثني أبو حاتم، عن الأصْمَعي ، قال : سمعتُ مَوْلى لآل عمر بن الخطاب يقول:
أخَذ عبدُ الملك بنُ مروان رجلاً كان يرى رأْيَ الخوارج ـ رأْيَ شَبيب ـ ، فقال له :
ألستَ القائل :

ومِنَّا سُوَيْدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ ومِنَّا أميرُ المُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فقال : إنما قلتُ : « ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ » بالنصب ، أي : يا أميرَ المؤمنين .
فأمر بتخلية سبيله(١) .

٢٩٣٨ حَدَّثني عبدُ الله بن حيان ، قال : كَتَبَ أبو غسان رَفيع[1] ، المعروف بدَمَاذ ، إلى ١٥٦/٢
أبي عثمان النحوي :

تَفَكَّرْتُ في النَّحْوِ حَتَّى مَلِلْـ ـتُ وأتْعَبْتُ نَفْسي بِهِ والبَدَنْ
وأتْعَبْتُ بَكْراً وأصْحَابَهُ بِطُولِ المَسَائِلِ في كُلِّ فَنّْ(٢)
فكُنْتُ بظَاهِرِهِ عالماً وكُنْتُ بباطِنِهِ ذَا فِطَنْ
خَلاَ أنَّ باباً عَلَيْهِ العَفَا ءُ لِلْفَاءِ يا لَيْتَهُ لم يَكُنْ
وَلِلْوَاوِ بَابٌ إلَى جَنْبِهِ مِنَ المَقْتِ أحْسِبُهُ قَدْ لُعِنْ
إذا قُلْتُ هَاتُوا لماذا يُقَـ ـالُ لَسْتُ بآتيكَ أوْ تَأْتِيَنّْ
أجِيبُوا لما قِيلَ هذا كَذَا عَلَى النَّصْبِ قَالُوا لإضْمَارِ أنْ(٢)

(1) كب : غسان بن رفيع ، خطأ . مص : رفيع بن سلمة .

(١) هو شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي . وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنب ، وقعنب بن سويد ، من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده وأهل الرأي فيهم .

(٢) عنى ببكر أبا عثمان المازني ، ولما بلغ المازني ذلك قال : والله ما أحسب أنه سألني قط ، فكيف أتعبني ! (النوادر للقالي ١٨٦) وبعد البيت :

فَمِنْ عِلْمِهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ ومِنْ عِلْمِهِ غامِضٌ قد بَطَنْ

(١) بعده :

وما إنْ رَأَيْتُ لها مَوْضِعاً فأعْرِفَ ما قيلَ إلّا بظَنّْ
فَقَدْ خِفْتُ يا بَكْرُ منْ طُولِ ما أُفَكِّرُ في أمْرِ « أنْ » أنْ أُجَنّْ

٢/١٥٧ ٢٩٣٩ قال ابنُ سِيرِين : ما رأيتُ على رَجُل أحسنَ من فَصَاحة ، ولا على امرأةٍ أحسنَ من شَحْم .

٢٩٤٠ وقال ابن شُبْرُمة : إذا سَرَّك أن تَعْظُم في عين مَنْ كنتَ في عينه صغيراً ، ويَصْغُرَ في عينك مَنْ كان في عينك عظيماً ، فتعلَّمِ العربيةَ ؛ فإنها تُجْرِيك على المنطق ، وتُدْنيك مِنَ السلطان .

٢٩٤١ ويقال : النحو في العلم بمنزلة المِلْح في القِدْر والرَّامِك في الطِّيب[1] .

٢٩٤٢ ويقال : الإعراب حِلْيَةُ الكلامِ ووَشْيُه .

٢٩٤٣ وقال بعضُ الشعراء :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ   والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذا لَمْ يَلْحَنِ
وإذا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا   فَـأَجَلُّهَـا مِنْهَـا مُقِيـمُ الأَلْسُـنِ

٢٩٤٤ قال رجلٌ لأعرابي : كيف أهِلُك ؟ ـ بكسر اللام ـ ، يريد : كيف أهلُكَ . فقال الأعرابي : صَلْباً .

ظنَّ أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون .

٢٩٤٥ وقيلَ لأعرابي : أتَهْمِز إسرايِيل[2] ؟ قال : إني إذاً لرجلُ سَوْء . قيل له : أتَجُرُّ فلسطين ؟ قال : إني إذاً لقويٌّ .

٢٩٤٦ وقيل لآخر : أتَهْمِز الفارةَ ؟ فقال : الهِرَّة تَهْمِزُها .

٢٩٤٧ وقيل : كان بِشْر المَرِّيسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائجَ على أحْسنِ الوُجُوهِ وأهنؤها . فقال قاسم التَّمَّار [بعد أن ضحك الناس من لحن بشر : هذا صواب] ، هذا كما قال الشاعر :

٢/١٥٨ إنَّ سُلَيْمَـــى واللهُ يَكْلَـــؤُهَـــا   ضَنَّتْ بشَيءٍ ما كانَ يَرْزَؤُها[3]

---

(١) الرامك : ما يخلط بالطيب والمسك .

(٢) أصل الهمز : الدفع والضرب .

(١) تمام الخبر : فشُغل الناس بتفسير التَّمَّار عن لحن بشر . والبيت لابن هَرْمة إبراهيم بن هَرْمة القرشي ، وقيل له : إن قريشاً لا تهمز . فقال : لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش (شعره ٥٥) كلأه الله : حفظه وحرسه . ضنت : بخلت ، والضَّنُّ إنما يكون بالشيء النفيس ، وعنى مودتها ووصالها . يرزؤها : يتنقصها .

٢٩٤٨ سَمِع أعرابي مؤذناً يقول : أشهَدُ أنَّ محمداً رسولَ الله ـ بنصب رسول ـ ، فقال : وَيْحَك ! يفعل ماذا ؟

٢٩٤٩ قال مَسْلَمة بن عبد الملك : اللحنُ في الكلام أقبحُ من الجُدَري في الوجه .

٢٩٥٠ وقال عبد الملك : اللحن في الكلام أقبحُ من التفتيق[1] في الثوب النفيس .

٢٩٥١ قال أبو الأسْوَد : إني لأجدُ للَّحْن غَمْزاً كغَمْز اللحم .

٢٩٥٢ قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابي :

وإنَّ كِـلابـاً هَـذِهِ عَشْـرُ أبْطُـنٍ وأنْتَ بريءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا العَشْرِ

فجعلتُ أعجب من قوله : « عَشْر أبطن » حين أنَّثَ ، لأنه عَنَى القبيلة . فلما رأى عَجَبي من ذلك ، قال : أليس هكذا قولُ الآخر :

فكَانَ مِجَنِّي دُونَ منْ كُنْتُ أتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ ومُعْصِرُ(١)

٢٩٥٣ قال رجلٌ مِنَ الصالحين : لئن أعْرَبْنا في كلامنا حتى ما نَلْحَن ، لقد لَحَنَّا في أعمالنا حتى ما نُعْرِب . ١٥٩/٢

٢٩٥٤ دخل أعرابيٌّ السُّوقَ ، فسمِعَهم يَلْحَنُون ، فقال : سبحان الله ، يَلْحنُون ويَرْبَحُون ، ونحن لا نَلْحَن ولا نَرْبَح .

٢٩٥٥ دخل رجلٌ على زِيادٍ فقال له : إنَّ أبينا هَلَك ، وإنَّ أخِينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا . فقال زياد : ما ضيعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك .

---

(1) كب : النقش .

---

(١) المجن : الترس . والنحاة ينشدون هذا البيت في باب العدد على جواز مراعاة معنى المعدود لا لفظه ، فهو لما عنى بالشخوص « نساء » ذكَّر العدد ، فقال : ثلاث شخوص ، ولو أنه راعى لفظ المعدود لأنَّث العدد فقال : ثلاثة شخوص . لأن الشخص : الذي هو واحد الشخوص مذكر ، والكثير في العربية مراعاة لفظ المعدود . كاعبان : مثنى كاعب ، وهي التي كَعَب ثدياها ونشزا واستويا ، فلا استرخاء فيهما ولا لين ، وذلك في فورة شبابها وخير أيامها . والمعصر : الجارية أول ما أدركت ، والإعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام . وقبل البيت :

فقـالـتْ لأُخْتيهـا أَعِينَـا عَلَـى فتًـى أَتَـى زائـراً والأمْـرُ لـلأمْـرِ يُقْـدَرُ

فـأقْبلَتَـا فـارْتـاعَتَـا ثـم قـالتـا أقِلِّي عليكِ اللَّوْمَ فـالخَطْبُ أيْسَـرُ

فقالت لها الصُّغْرَى : سأُعْطيه مُطْرَفي ودِرْعي وهـذا البُـرْدَ إنْ كـان يَحْـذَرُ

٢٩٥٦ قال الرِّياشي ، عن محمد بن سَلاَّم ، عن يونس ، قال :

قال بلالٌ لشَبيب بن شَيْبَة ، وهو يستعدي على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، قال : أحْضِرْنِيه . قال : قد دعوتُه ، لِكُلٌّ ذلك يأبى ـ برفع كلّ ـ . قال بلال : فالذنبُ لكلّ .

٢٩٥٧ قال بعضُ الشعراء :

إمَّـا تَـرَيْنـي وأثْـوَابـي مُقَـارِبَـةٌ ليْسَتْ بخزٍّ ولا مِنْ خَزٍّ[1] كَتَّانِ[١]

فإنَّ في المَجْدِ هِمَّاتي ، وفي لُغَتي عُلْوِيَّةٌ ، ولِسَاني غَيْرُ لَحَّانِ[٢]

٢٩٥٨ وقال فِيلٌ مولى زياد ، لزياد : أهْدَوا لنا هِمار وَهْشٍ[2] . فقال : ما تقول ؟ وَيْلَكَ ! فقال : أهْدَوا لنا أيْراً[٣] . فقال زياد : الأوّلُ خيرٌ .

٢/١٦٠ ٢٩٥٩ سَمِع أعرابيٌّ والياً يَخْطُب ، فلَحَن مرة أو اثنتين ، فقال : أشْهَدُ أنك مَلَكْتَ بقَدَرٍ .

٢٩٦٠ وسَمِع أعرابيٌّ إماماً يقرأ : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ [3][بفتح تاء تنكحوا][3] . فقال : سبحانَ الله ! هذا قبلَ الإسلام قبيحٌ ، فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لَحَنَ ، والقراءةُ : ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ﴾ فقال : قبَّحه اللهُ ، لا تجعلوه بعدها إماماً ، فإنه يُحِلُّ ما حَرَّمَ الله .

٢٩٦١ قال الشاعر في جارية له :

أوَّلُ مـا أسْمَعُ مِنْهَـا فـي السَّحَـرْ تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وتَأْنِيثُ الذَّكَرْ

والسَّوْءَةُ السَّوْءَاءُ في ذِكْرِ القَمَرْ[٤]

٢٩٦٢ قال الحَجّاج لرجلٍ مِنَ العَجَم نَخَّاسٍ : أتبيع الدَّوابَّ المَعيبةَ جُنْدَ[4] السلطان ؟

---

(1) مص : نسج ، ورواية كب أبلغ في السخرية . (2) كب : جهش .

(3 - 3) ليست في كب .

(4) كب : المعيبة من السلطان ، مص : المعيبة من جند السلطان .

---

(١) مقاربة : ليست بنفيسة .

(٢) اللغة العلوية : لغة عالية الحجاز ، نجد وتهامة وما وراء مكة ، وهي أعلاها بلداً ، وأشرفها موضعاً ، وأفصحها لغة .

(٣) يريد عيراً ، وهو الحمار أيا كان أهلياً أو وحشياً ، وغلب على الوحشي .

(٤) السوءة السوءاء : الخلة القبيحة . وذلك لأنها كانت إذا أرادت أن تقول : « القمر » قالت : « الكَمَر » ، والكمر : جمع كمرة ، وهي حشفة الذكر .

فقال : شَرِيكاننا[1] في هَوَازِها[2] و [شريكاننا في] مَدَايِنِها ، وكما تجيء نكون[3] ! فقال الحجاج : ما تقول ؟ ففَسَّروا له ذلك ، فضحك ، وكان لا يضحك(١) .

٢٩٦٣ أمَّ الحجَّاج قوماً ، فقرأ : ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾ وقرأ في آخرها : ﴿ أنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ بنصب أنَّ . ثم تنبه على اللام في « لَخَبِير » ، وأنَّ « إنَّ » قبلها لا تكون إلا مكسورة ، فحَذَف اللام من « لخبير » ، فقرأ : ﴿ أنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴾ .

٢٩٦٤ قال أبو زيد : قلتُ للخليل بن أحمد : لم قالوا في تَصْغير واصِلٍ « أُوَيْصِل » ، ولم يقولوا : وُوَيْصِل ؟ فقال : كَرِهوا أن يُشَبَّه كلامُهم بنبح الكلاب[4] .

* * *

(1) كب ، مص : شريكاتنا ، تصحيف . (2) كب : هوان ، تحريف .
(3) كب : يكون ، وأخشى أن تكون بمعنى : يكون بيعها ، مص : تكون .
(4) كب : الكلام ، تحريف .

(١) النخاس : بائع الدواب والرقيق . وجمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون في جمع مَرد ، بمعنى رجل ، مَردان . وعبارة الجاحظ أكثر وضوحاً ، قال : فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخَطَاء وكلام العُلُوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يبعثون إلينا بهذه الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها (البيان والتبيين ١/ ١٦٢) .

٢٩٦٥ حَدَّثني سَهْل ، عن الأَصْمَعي ، قال : كان عيسى بن عُمَر لا يَدَع الإعرابَ لشيء .

٢٩٦٦ وخاصَمَ إلى بلال بن أبي بُرْدة في جاريةٍ اشتراها مُصابة ، فقال : لأَنْ يذهبَ بعضُ حَقِّ هذا ، أحبُّ إليه مِنْ أنْ يَلْحَن . فقال له : ومَنْ يعلم ما تقول ؟ فقال : ابن الطُّرْطُبَّة[1](١) .

٢٩٦٧ وضربه عمرُ بنُ هُبَيرة ضرباً كثيراً ، في وديعةٍ أودعها إياه إنسانٌ فطَلَبها ، فما كان يزيد على أن يقول : واللهِ ، إنْ كانت إلا أُثَيَّاباً في أُسَيْفاطٍ قَبَضَها عَشَّارُوك(٢) .

٢٩٦٨ تَبع أبو خالدٍ النُّميري ، صاحبُ الغريب ، جاريةً مُتَنَقِّبة ، فكلَّمَها فلم تكلمه ، فقال : يا خَريدةُ ، لقد كنتِ عندي عَرُوباً أنْمَقُك ، وتَشْنَئينا(٣) !

٢٩٦٩ وقال سهل بن هارون لجاريةٍ له رُوميَّة أعجمية : إنَّ أقلَّ ما يَنْطوي عليه ضميري من رَسيس حُبِّك(٤) ، لأَجَلُّ من كل جليل ، وأكثرُ من كل كثير .

٢٩٧٠ وقال مالك بن أسماء في جارية له(٥) :

أمُغَطّى[2] مِنّي عَلى بَصَرِي لِلْـ ـحُبِّ ، أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ[3] النّاسِ حُسْنا

---

(1) كب ، مص : طرنوبة ، تحريف .
(2) كب : أيغطى . . بالحب .
(3) كب : أكرم .

---

(١) الطرطبة : العظيمة الثديين ، التي استرخى ثدياها وطالا .

(٢) لما ولي يوسف بن عمر الثقفي ، وهو ابن عم الحجاج ، العراقيين ، حاسب خالد بن عبد الله القسري وعذبه حتى الموت ، كما حاسب عماله ، وكان قد نمي إليه أن بعض جلساء خالد استودع عيسى بن عمر وديعة ، فأتي به ، وضُرب .
وأثياب : جمع ثوب ، مع تصغير لفظ الجمع . والأسيفاط : جمع سَفَط ، وهو الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . والعشار : آخذ العشر وجابيه وملتزمه ، والعشر : ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها ، وهي التي أحياها المسلمون من الأرضين والقطائع .

(٣) الخريدة : البكر التي لم تمسس ، فهي بعد حيية ، خافضة الصوت ، متسترة ، تحب اللهو وتستحي منه ، فهي أغلب على لب الرجال . العروب : المتحببة إلى زوجها . وأنمقك : أحبك . وتشنئينا : تبغضينا ، والشَّنآن والشَّناءة : البغض الشديد يكشف عنه الغيظ الشديد .
وتمام الخبر : « فقالت : يابن الخبيثة ، أتُجَمِّشُني بالهَمْز ؟! » . والتجميش : المغازلة والملاعبة . كأنها تعرِّض به أنه من أنطاع بني تميم ، وهم ينطقون بالهمز . تعيب عليه الهمز في قوله « وتشنئينا » ، وكانت قريش وهذيل لا ينبرون الحروف .

(٤) رسيس الحب : بقيته وأثره ، يقال : رَسَّ الهوى في قلبه ، إذا دخل فيه وثبت ، فلزمه ولم يبارحه .

(٥) مضت الأبيات في خطبة الكتاب .

وحَـدِيـثٍ أَلَــذُّهُ هُــوَ مِمَّــا   يَشْتَهِي النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا   ١٦٢/٢
مَنْطِقٌ صَـائِبٌ[1] وتَلْحَنُ أحْيَـا   نًا وأحْلَى الحَدِيثِ ما كَانَ لَحْنَا

[2]قال ابنُ دُرَيد[2] : استثقل منها الإعراب .

٢٩٧١ دخل أبو علقمة على أعْيَن الطبيب ، فقال له : أمْتَعَ اللهُ بك ، إني أكلتُ من لحوم هذه الجَوَازِلِ ، فطَسِئْتُ طَسْأَةً ، فأصابني وَجَعٌ ما بين الوَابِلَةِ إلى دَأْيَة العنق ، فلم يزل يَرْبُو وينمي ، حتى خالَطَ الخِلْبَ والشَّرَاسِيف ؛ فهل عندك دواءٌ ؟ فقال أعْيَن : نعم ، خذ خَرْبَقاً[3] ، وشَلْجَماً ، وشِبْرِقاً ؛ فزَهْزِقه ، وزَقْزِقه ، واغسِلْه بماء ذَوْبٍ[4] . واشربْه . فقال أبو عَلْقَمة : لم أفهمْ عنك . فقال أعْيَن : أفهمتُك كما أفهمتني(١) .

٢٩٧٢ وقال له يوماً آخر : إني أجد مَعْمَعةً في بطني وقَرْقرة . فقال له : أما المعمعةُ فلا أعرِفها ، وأما القرقرةُ فهي ضُراط لم يَنْضَج .

٢٩٧٣ أتى رجلٌ العُرْيان بن الهَيْثَم بغَرِيم له قد مَطَله حقَّه ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنَّ لي على هذا حَقاً قد غلبني عليه . فقال له الآخر : أصلحك الله ، إنَّ هذا باعَني عَنْجَداً[5] ، واستنسأتُه حَوْلاً ، وشَرَطتُ عليه أنْ أُعطيه مُشَاهرة ، فهو لا يلقاني في لَقَمٍ[6] إلّا [7]فثَأني عَنْ وَجْهي ، وأنا مُهَيِّىءٌ مالَه إلى انقضاء الأَجَل(٢) [7] . فقال له الهيثم :   ١٦٣/٢

---

(1) كب : عاقل ، وصححها بالهامش .   (2 - 2) سقطت من كب ، وألحقت في الهامش .
(3) كب : خرنقاً وشلفقا ، مص : خريقا وشلفقا ، وكلاهما تصحيف .
(4) كب ، مص : روث ، تصحيف .   (5) في هامش كب : عنجد : زبيبه .
(6) في هامش كب : اللقم : الطريق .
(7-7) كب ، مص: اقتضاني. وعوّلنا في قراءة النص على أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٩/ ٧٤.

---

(١) أمتع الله بك : أبقاك ليستمتع الآخرون بك فيما يحبون من الانتفاع بك والسرور بمكانك . والجوازل : فراخ الحمام ، الواحد جَوْزَل . وطسئت : اتخمت من الطعام ، والدسم إذا غلب على قلب الآكل فاتَّخم قيل : طسيء . الوابلة : طرف رأس العضد في الكتف . والدأية : فقرة العنق . الخلب : حجاب بين القلب والكبد . والشراسيف : جمع شُرْسوف ، وهو الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن .
الخربق : جنس زهر من الفصيلة الشقارية . والشلجم والسلجم : الفجل . والشبرق : الأرضي شوكي . وزهزقه وزقزقه: نقيه ونظفه، وأصل الزهزقة والزقزقة : حركة ترقيص الأم لولدها . ذوب : أي عسل صاف.
(٢) العنجد : الزبيب . واستنسأته : سألته أن ينسأني ديني ، أي يؤخره . الحول : العام . والمشاهرة : أي في كل شهر . اللَّقَم : الطريق . فثأني عن وجهي : كفَّني ولواني ، وهو من قولهم : فثَأ الرجلَ ، وفثَأ غضبَه ، إذا كسر غضبه وسَكَّنه بقول أو غيره . يقول إنه ماطله بجميل القول وزخرفه .

أمِنْ بني أمية أنت ؟ قال : لا . قال : فمن بني هاشم ؟ قال : لا . قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا . قال : ويلي عليك ! انْزَع ثيابَه يا جِلْواز(١) . فلما أرادوا نَزْع ثيابه ، قال : أصلحك الله ، إنَّ إزاري مُرَعْبَل(٢) . قال : دعوه ، فلو تَرَكَ الغريبَ في وقتٍ لتركه في هذا الوقت .

٢٩٧٤ ومَرَّ أبو علقمة ببعض الطُّرُقِ[1] بالبصرة ، فهاجت[2] به مِرَّةٌ فسَقَط ، وَوَثَب عليه قومٌ ، فأقبلوا يَعْصِرون إبهامَه ، ويُؤَذِّنون في أذنه ، فأُفْلِتَ من أيديهم وقال : ما لكم تَتَكَأْكَؤُن عليَّ كما تَتَكأْكَؤُون على ذي جِنَّة ؟ افرنقعوا عني . فقال رجلٌ منهم : دَعُوه ، فإنَّ شيطانَه هندي ؛ أما تسمعونه يتكلم بالهندية(٣) .

٢٩٧٥ وقال لحَجَّام يَحْجمه : انظُر ما آمُرك به فاصْنَعْه ، ولا تكن كمن أُمِر بأمرٍ فضَيَّعه . أنْقِ غَسْلَ المَحَاجم ، واشدُدْ قَصَب[3] المَلاَزِم ، وأرْهِفْ ظُبَاتِ المَشَارِط ، وأسْرِعِ الوَضْع ، وعَجِّلِ النَّزْعَ ، وليَكُنْ شَرْطُك وَخزاً ، ومَصُّكَ نَهزاً ، ولا تُكْرِهنَّ أبياً[4] ، ولا تَرُدَّنَ آتِياً .

٢/ ١٦٤

فوضع الحجَّام محاجمه في جُونته ، ومضى(٤) .

٢٩٧٦ سَمِع أعرابي أبا المكْنُون النحوي في حلقته ، وهو يقول في دعاء الاستسقاء : اللهم ، رَبَّنا وإلهنا ومولانا ، صَلِّ على محمدٍ نبيِّنا . اللهم ، ومنْ أراد بنا سُوءاً ، فأحِطْ ذلك السُّوءَ به كإحاطةِ القلائدِ على تَرائِب الوَلائد ؛ ثم أرْسِخْه على هامَتِه كرُسُوخ السِّجِّيل على هام أصحابِ الفيل . اللهم ، اسْقِنا غَيْثاً مُغيثاً ، مَريئاً مَريعاً ،

---

(1) كب : الطريق .
(2) كب : وهاجت .
(3) كب ، مص : قضب .
(4) كب : آبياً .

---

(١) الجلواز : الشرطي .
(٢) مرعبل : ممزق ، يقال : رَعْبَلَ الثوب فتَرَعْبَلَ ، إذا مزقه فتمزق .
(٣) التكأكؤ : التجمع والازدحام . والجنة : الجنون . افرنقعوا : انكشفوا وتنحوا عني ، وقال ابن الأثير : أي تحولوا وتفرقوا ، والنون زائدة (اللسان : فرقع) .
(٤) الملازم : جمع ملزم ، بكسر الميم : خشبتان مشدود أوساطهما بحديدة تُجعل في طرفها مفتاح معوج طويل ، فتلزم ما فيها لزوماً شديداً ، تكون مع الصياقلة والأبارين والنجارين ومجلدي الكتب وغيرهم . أرهف : حدِّد . والظبات : جمع ظبة ، وهي حد المشرط . النهز : السريع ، وهي في الأصل الغنيمة والفرصة ، كأنما المص صيد له . الجونة : سليلة مغشاة أدماً تكون مع العطارين .

مُجَلْجلاً مُسْحَنْفِراً ، هَزِجاً سَحاً ، سَفُوحاً طَبَقاً ، غَدَقاً مُثْعَنْجراً[1](١) . فقال الأعرابيُّ : يا خليفةَ نوحٍ ، [هذا] الطُّوفان وربِّ الكعبة ! دعني آوي إلى جبلٍ يَعْصِمني مِنَ الماء .

٢٩٧٧ أبو الحسن ، قال : كان غلامٌ يُقَعِّر(٢) في كلامه ، فأتى أبا الأسود الدؤلي يلتمس ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فَعَل أبوك ؟ قال : أخذتْه الحُمَّى ، فطَبَخَتْه طَبْخاً ، وفضَخَتْه فَضْخاً ، وفَنَخَتْه[2] فَنْخاً ، فتركَتْه فَرْخاً(٣) . قال أبو الأسود : فما فعلتْ ١٦٥/٢ امرأتُه التي كانت تُجَارُّه ، وتُشَارُّه ، وتُزَارُّه ، وتُهَارُّه(٤) ؟ قال : طَلَّقها ، فتزوجَتْ غيرَه ، فرضِيتْ ، وحَظِيت ، وبَظِيت . قال أبو الأسود : قد عرفنا حَظيت ، فما بَظِيت ؟ قال : حرفٌ من الغريب لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بْنَ أخي ، كلُّ حرفٍ من الغريب لم يبلغ عَمُّك ، فاسْتُرْه كما تَسْتر السِّنَّوْر(٥) خُرْأَها .

٢٩٧٨ قال زيد بن كَثْوة[3] : أتيتُ بابَ كبيرِ دارٍ وهناك حَدَّادٌ ، فأردتُ أنْ ألج الدارَ فدَلَظني دَلْظَة ، فادَّارَسَ[4] الناسُ عليه . فوالله إنْ زِلْنَا نَظَارِ نَظَارِ حتى عَقَل الظِّلُّ(٦) .

---

(1) كب : مثعجراً .
(2) كب : فتخته فتخاً .
(3) كب ، مص : كثيرة ، تحريف .
(4) كب ، مص: وادرس الناس عليهم ، تصحيف .

---

(١) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، وهي أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، والمرأة تعلم موضع الفتنة من هذا المكان فهي تحتال للكشف عنه ، يقول كإحاطة القلائد بالعنق . السجيل : حجارة من طين ، تعريب سنك وكل ، أي حجارة وطين . الغيث المريع : المطر الذي تُمرع عنه الأرض ، أي تعشب . والغيث : المطر الذي يغيث الناس وينجدهم بعد شدة نالتهم من انقطاعه .

والمجلجل : الذي فيه رعد . والمسحنفر : الكثير الصب الواسع . الهزج : المرعد ، مثل المجلجل. السح : الشديد الانصباب . والسفوح : المنهمر ، لا يمنعه شيء من انصبابه . الطبق : العام الواسع . الغدق : الكثير العام المخصب . المثعنجر : الجاري الذي يملأ الأرض .

(٢) التقعير في الكلام : التشدق والكلام بأقصى الحلق .

(٣) فضخته : طبخته . وفنخته : أوهنته وأضعفته . والفرخ : الضعيف المنهوك .

(٤) تجاره: تطاوله وتغالبه . وتشاره : تخاصمه ، أي تتمادى عليه وتتجاسر في لجاجها . وتزاره : تصيح به غاضبة وتقاطعه، من قولهم: زأر الأسد يَزْئِر ويَزْأَر . وتهاره : تهر في وجهه كما يهر الكلب ، والكلب إذا أحس شراً، أو رأى غريباً لم يألفه، أقبل ينبح ويكشر عن أنيابه ، كأنه يهم به ، فيقال : هَرَّ الكلب.

(٥) السنور : القطة . وأتى باللفظ « بظيت » إتباعاً لحظيت ، مثل قولهم: حسن بسن ، لأنه ليس في كلامهم « بظى » .

(٦) الحداد : البواب ، لأنه يَحُدّ الناس ، أي يمنعهم من الدخول . ودلظني : دفعني في صدري ، يقال : دَلَظَه وَوَكَزه ولَهَزَه ، إذا دفعه دفعاً شديداً . وادارس الناس عليه : أي وطأوه وداسوه بأقدامهم لشدة اندفاعهم . ونظار : اسم فعل أمر بمعنى انتظر ، أي فما زلنا يقال لنا انتظروا . عقل الظل : قام قائم الظهيرة عند انتصاف النهار .

٢٩٧٩ وقال أيضاً : أتيتُ بابَ كبيرٍ ، فإذا[1] الرجالُ صَتيتَانِ ، وإذا أرْمِداء كثيرةٌ ، وطُهاةٌ[2] لا أُحْصيهم ، ولِحَامٌ كأنها آكام(١) .

٢٩٨٠ وقال الطائي(٢) :

أيُوسُفُ جِئْتَ بالعَجَبِ العَجِيبِ ... تَرَكْتَ النَّاسَ في شَكٍّ مُرِيبِ
سمِعْـتُ بكُـلِّ دَاهِيَـةٍ نَـآدٍ ... ولَـمْ أسْمَعْ بسَرَّاجٍ أدِيـبِ(٣)
أمَـا لَـوْ أنَّ جَهْلَـكَ كَـانَ عِلْمـاً ... إذاً لَنَفـذْتَ فـي عِلْـمِ الغُيُـوبِ
ومَا لَكَ[3] بالغَرِيبِ يَدٌ ولكنْ ... تَعَاطِيكَ الغَرِيبُ مِنَ الغَرِيبِ

١٦٦/٢

٢٩٨١ قال رُؤْبَة بن العَجَّاج : خرجتُ مع أبي نريد[4] سليمانَ بنَ عبد الملك ، فلما صِرْنا في الطريق ، أُهدي لنا جَنْبٌ من لحمٍ عليه كرافيءُ الشحم ، وخريطةٌ من كمأة ، ووطْبٌ من لبنٍ ، فطبَخْنا هذا بهذا . فما زال ذِفْرِياي يَثُجَّان[5] منه إلى أن رجعتُ .

الكرافيء : الطبقات ، كذلك كرافيء السحاب(٤) .

* * *

---

(1) كب ، مص : وإذا .
(2) كب : طهارة .
(3) كب ، مص : فما .
(4) كب : يزيد ، تصحيف .
(5) مص : ينتحان ، وكلاهما صواب : الثَّجُّ : الصب الكثير ، والنَّتْح : خروج العَرَق من الجلد . والأولى أبلغ .

---

(١) صتيتان : فرقتان . والأرمداء : جمع رماد .
(٢) يهجو يوسف السراج الشاعر المصري
(٣) داهية نآد : شديدة فادحة .
(٤) وهي طبقاته الكثيفة المتراكمة . الخريطة : وعاء من أدم وغيره . والوطب : سقاء اللبن . والذِفرى : العظم الشاخص خلف الأذن ، وهما ذفريان . تثجان : ترشحان بالعرق ، فتصبان صباً كثيراً .

وصايا المُعَلِّمين

٢٩٨٢ قال عُتبة بن أبي سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولدِه : ليكن إصلاحُك بَنيَّ إصلاحَك نَفسِك ، فإنَّ عُيوبَهم معقودةٌ بعَيْبك ؛ فالحَسَنُ عندَهم ما استحسنتَ ، والقبيحُ ما استقبحتَ . وعلِّمهم سِيرَ الحكماءِ ، وأخلاقَ الأدباء . وتهدَّدْهم بي ، وأدِّبهم دوني . وكن لهم كالطبيب الذي لا يَعْجل بالدواء حتى يَعْرِف الداء . ولا تَتَّكِلَنَّ على عُذْر مني ، فإني قد اتَّكلتُ على كِفاية منك .

٢٩٨٣ قال الحَجَّاج لمؤدِّب بنيه : علِّمهم السباحةَ قبل الكتابة ، فإنهم يجدون مَنْ يكتُبُ عنهم ، ولا يَجِدون مَنْ يَسْبَح عنهم .

٢٩٨٤ وقال عبد الملك لمؤدِّب ولدِه : علِّمْهم الصدق كما تُعَلِّمهم القرآن ، وجَنِّبْهم السَّفِلة فإنهم أسوأُ الناسِ رِعَةً[١] ، وأقلُّهم أدباً . وجَنِّبْهُم الحَشَم[٢] ، فإنهم لهم مَفْسَدة . وأحْفِ شُعُورَهم[٣] تَغْلُظ رِقابُهم . وأطْعِمْهم اللحمَ يَقْوَوا . علِّمهم الشِّعر يَمْجُدوا ، ويَنْجُدُوا[٤] . ومُرْهم أن يَستاكوا عَرْضاً ، ويَمُصُّوا الماءَ مَصاً ، ولا يَعُبُّوه عَباً . وإذا احتجتَ إلى أن تتناولَهم بأدبٍ فليكُنْ ذلك في سِتْرٍ ، لا يعلَمُ به أحدٌ من الغاشية[٥] فيَهُونُوا عليه . ١٦٧/٢

٢٩٨٥ وقال آخر لمؤدِّب ولدِه : لا تُخْرجهم من علم إلى علم حتى يُحْكِموه ، فإنَّ اصطِكاك العلم في السَّمْع ، وازدحامَه في الوهم ، مَضَلَّة للفهم .

٢٩٨٦ وكان لشُرَيحٍ ابنٌ يلعب بالكلاب ، فكتَبَ شُرَيح إلى معلمه :

تَـرَكَ الصَّـلاةَ لأكْلُـبٍ يَسْعَـى بهـا   طَلَبَ الهِرَاشَ مَعَ الغُوَاةِ الرُّجَّسِ[٦]

---

(١) يقال : هو سيء الرعة ، إذا كان قليل الاحتشام والورع .
(٢) الحشم : خدم الرجل ، سموا بذلك لأنهم يغضبون لسيدهم ، من قولهم : أحشم له ، إذا غضب له وخف لنجدته .
(٣) أحف شعورهم : بالغ في قص شعرهم .
(٤) ينجدوا : يصيروا شجعان ذوي بأس وشدة مع نبل ورفعة .
(٥) الغاشية : القوم الحضور الذين يأتون للخدمة أو الزيارة .
(٦) الهراش : التحرش بالكلاب ومقاتلتها .

فـإذا خَلَـوْتَ فَعَضَّـهُ بمَـلامَـةٍ وعِظْنَهُ وَعْظَكَ للأرِيبِ الكَيِّسِ
وإذا هَمَمْــتَ بضَــرْبِـهِ فبِـدِرَّةٍ وإذا بَلَغْتَ بها ثَلاثاً فاحْبِسِ(١)
واعْلَمْ بأنَّكَ ما فَعَلْتَ فَنَفْسُهُ مَعَ ما يُجَرِّعُني أعَزُّ الأنْفُسِ

٢٩٨٧ وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب :

أيُهـا المُبْتَلَـى بحُـبِّ الكِـلابِ لا يُحِبُّ الكِلابَ إلَّا الكِلابْ
لوْ تَعَرَّيْتَ وَسْطَهَا كُنْتَ مِنْهَا إنَّمـا فُقْتَهـا بلُبْـسِ الثِّيَـابْ

٢/ ١٦٨ ٢٩٨٨ وقال آخر :

لتَبْـكِ[1] أبَـا أحْمَـدَ قِـرْدَةٌ وكَلْبُ هِرَاشٍ ودِيكٌ صَدُوحُ
وطَيْـرٌ زِجَـالٌ وقُمْـرِيَّـةٌ هَتُوفُ العَشِيِّ وكَبْشٌ نَطُوحُ(٢)

٢٩٨٩ بلغني عن أبي الحسين[2] العُكْلي ، عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني ، قال : سمعتُ أبي يقول : قال لُقْمان : ضربُ الوالدِ ولَدَه كالسماد للزرع .

٢٩٩٠ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، عن معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن أسامة بن زيد :

عن مكحول ، قال : كَتَبَ عمر إلى أهل الشام : عَلِّموا أولادَكُم السِّباحة والرَّمْي والفُرُوسية .

٢٩٩١ وكانت العرب تسمي الرجل إذا كان يكتُبُ ، ويُحْسِن الرَّمْي ، ويُحْسِن العَوْم ـ وهي السباحة ـ ، ويقول الشعر : الكاملَ .

* * *

---

(1) كب : لنبك أبا أحمد قرده . (2) كب ، مص : الحسن ، تحريف .

---

(١) الدرة : سوط صغير كان السلطان يضرب به تأديباً .
(٢) زجال : ذات صوت رفيع وعال ، وعنى الحمام الزاجل الذي يرسل إلى مسافات بعيدة بالرسائل . والقمرية : ضرب من الحمام مطوّق ، حسن الصوت .

البيان

٢٩٩٢ حَدَّثني عَبْدة بن عبد الله ، قال : حَدَّثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمَير ، عن عبد الرحمن بن يزيد :

عن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ منَ البيان سِحراً ، فأطيلوا الصلاةَ وأقْصِروا الخُطَب »(١) .

٢٩٩٣ وقال العباس : يا رسولَ الله ، فيم الجمال ؟ قال : « في اللسان »(٢) .

٢٩٩٤ وكان يقال : عَقْلُ الرجلِ مدفونٌ تحت لسانه .

٢٩٩٥ وقال يزيد بن المُهَلَّب : أكره أن يكونَ عقلُ الرجلِ على طَرَف لسانه .

يريد أنه لا يكون عقلُه إلا في الكلام .

٢٩٩٦ وقال الشاعر :

كَفَى بالمَرْءِ عَيْباً أنْ تَرَاهُ   لَهُ وَجْهٌ ولَيْسَ لَهُ لِسَانُ ١٦٩/٢

وما حُسْنُ الرِّجَالِ لَها[1] بِزَيْنٍ   إذا لَمْ يُسْعِدِ الحُسْنَ البَيَانُ

٢٩٩٧ وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك ، فإنه كان يَقْري العَيْنَ جمالاً ، والأذنَ بياناً(٣) .

٢٩٩٨ وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

أَعِذْني رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ   ومِنْ نَفْسٍ أُعَالِجُهَا عِلاَجَا(٤)

---

(1) مص : لهم ، وكلاهما صواب .

---

(١) إسناده حسن ، والحديث صحيح له طريق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .

وقوله ﷺ : في اللسان : أي في فصاحة اللسان .

(٣) يقري العين : يملؤها ، كأنه يجمع طرائق الجمال وأنواعه ثم يعرضها على عيني رائيه .

(٤) الحصر والعي : العجز في المنطق ، وعدم القدرة على البيان .

ومِنْ حَاجَاتِ نَفْسي فاعْصِمَنيّ   فإنَّ لمُضمِرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا[1]

٢٩٩٩ وصف أعرابيٌّ رجلاً يتكلم فيُحْسِن ، فقال :

يَضَعُ الهِناءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ[2]

٣٠٠٠ ومثلُه قولُهم : فلانٌ يُجيد الحَزَّ ، ويُصيب المَفْصِل . وربما قالوا : يُقِلُّ الحَزَّ .

٣٠٠١ وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إذا قَالَ لَم يَتْرُكْ مَقَالاً ولَم يَقِفْ   لِعِيٍّ ، ولم يَثْنِ اللِّسانَ عَلَى هُجْرِ[3]

يصَرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسَانَ إذا انْتَحَى   ويَنْظُرُ في أعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ[4]

٣٠٠٢ وقال حسان فيه :

إذا قَالَ لَم يَتْرُكْ مَقَالاً لقَائِلٍ   بمُلْتَقَطَاتٍ لا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلا

شفَى وكَفَى ما في النُّفُوسِ فلم يَدَعْ   لِذِي إرْبَةٍ في القَوْلِ جِداً ولا هَزْلاً[5]

٢/ ١٧٠

سمَوْتَ إلى العَلْيَا بغَيْرِ مَشَقَّةٍ   فنِلْتَ ذُرَاهَا لا دَنِياً ولا وَغْلا[6]

٣٠٠٣ ويقال : الصمت منامٌ ، والكلام يقظةٌ .

٣٠٠٤ ويقال : خيرُ الكلام ما لم يُحْتَج بعدَه إلى الكلام .

٣٠٠٥ ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً ، فقال : ألفاظُه قوالبُ معانيه .

٣٠٠٦ ومدح أعرابيٌّ رجلاً ، فقال : كلامه الوَبْل على المَحْل[7] ، والعَذْب البارد على الظَّمأ .

---

(١) الحاج : جمع الحاجة .

(٢) صدره : مُتَبَذِّلًا تبدو محاسِنُهُ .

وقبل البيت :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله   كاليومِ طالي أيْنُقٍ جُرْبِ

وهي من أبيات في الخنساء ، وكان دريد بن الصِّمَّة رآها تهنأ بعيراً ، وخطبها فردته . والهناء : القطران . والنقب : جمع نقبة ، وهي أول ما يبدو من الجرب ، وعجز البيت يضرب لمن لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام ، مثل الطالي الرفيق الذي يضع الهناء مواضع النقب (العقد الفريد ٢/ ٢٦١) .

(٣) الهجر : الإفحاش في المنطق .

(٤) انتحى : جد وقصد ، أراد بدأ بالكلام . العطف : المنكب .

(٥) الإربة : الحاجة ، وأرِب بالشيء : بلغ فيه جهده وغاية دهائه وفطنته .

(٦) الوغل : الضعيف ، النذل ، الساقط ، المقصر في الأشياء .

(٧) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر الحثيث . والمحل : الجدب .

٣٠٠٧ وقال الحُطَيئة :

وأخَذْتَ أقْطارَ الكَلامِ فَلَمْ تَدَعْ[1] ذَماً يَضُرُّ ولا مَدِيحاً يَنْفَعُ(١)

٣٠٠٨ وكان الحُطَيئة يقول : إنما شِعْري حَسَبٌ موضوع . فسَمِع ذلك عَمْرو بنُ عبيد ، فقال : كَذَب ، تَرَّحَه الله ، إنما ذلك التقوى(٢) .

٣٠٠٩ قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟ فقال : ما بلَّغك الجنَّة ، وعَدَل بك عن النار . [قال السائل : ليس هذا أريد . قال :] ما[2] بَصَّرك مواقعَ رُشْدك ، وعواقِبَ غَيِّك . قال السائل: ليس هذا أريد. قال : من لم يُحسن الاستماع ، لم يُحسن القول . قال: ليس هذا أريد . قال : قال النبيُّ ﷺ : « إنَّا مَعْشَرَ الأنبياءِ بِكَاءٌ »(٣) ؛ وكانوا يكرهون أن يزيد مَنْطقُ الرجلِ على عقله . قال : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون[3] من فِتنة القول ومنْ سَقَطات الصمت . قال : ليس هذا أريد . قال : فكأنك إنما تريد تخيُّر اللفظ في حُسْن إفهام . [قال : نعم . قال :] إنك إنْ أردتَ تقريرَ حُجَّةِ اللهِ في عقول المُكَلَّفين ، وتخفيفَ المؤونةِ على المستمعين ، وتزيينَ تلك المعاني في قلوب المُريدين ، بالألفاظِ المُسْتَحْسَنة في الآذان ، المقبولةِ عند الأذهان ، رغبةً في سُرْعة استجابتهم ، ونَفْي الشواغلِ عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنةِ من الكِتاب والسُّنة ، كنتَ قد أُوتيتَ فَصْلَ الخِطاب(٤) ، واستوجبتَ على الله جزيلَ الثواب . ١٧١/٢

٣٠١٠ قال بعضهم : ما رأيتُ زياداً كاسراً إحدى عينيه ، واضعاً إحدى رِجليه على الأخرى ، يُخاطب رجلاً إلا رحمتُ المُخَاطَب .

---

(1) كب ، مص : أدع ، خطأ .

(2) كب : وما ، وستأتي مصادر الخبر في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(3) كب : يكرهون .

---

(١) قبل البيت :

ومَنَعْتَني شَتْمَ البخيلِ فلم يَخَفْ شَتْمي فأصْبَحَ آمناً لا يَفْزَعُ

والأقطار : جمع قُطر ، وهي الناحية والجانب . يقول : ملكت نواصي الكلام كله . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حبس الحطيئة لسلاطة لسانه ، ولما عفا عنه منحه ثلاثة آلاف درهم كيلا يهجو أعراض المسلمين .

(٢) عني بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به . وترحه الله : أحزنه ونغَّصه .

(٣) بكاء : جمع بكيء ، وهو من قل كلامه خلقة .

(٤) فصل الخطاب : وضوح الكلام وظهوره ، وبيانه يفصل بين الحق والباطل .

٣٠١١ وقال آخر : ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحْسن إلا أحببتُ أن يَصْمُت خوفاً من أن يُسيء ، إلا زياداً ، فإنه كلما زاد زاد حُسْناً .

٣٠١٢ وقال :

وقَبْلَكَ ما أعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ زِياداً فَلَمْ تَعْلَقْ عَلَيَّ حَبائِلُهْ(١)

٣٠١٣ قال محمد بن سَلاَّم : كان عمر بن الخطاب إذا رأى رجلاً يُلَجْلج في كلامه ، قال : خالقُ هذا وخالق عَمْرو بن العاص واحد(٢) ! .

٣٠١٤ وتكلَّم عمرو بن سعيد الأشْدَق ، فقال عبد الملك : لقد رَجَوْتُ عَثْرَته لما تكلَّم ، فأحْسَنَ حتى خَشِيت عَثْرَته إن سكتَ .

٢/١٧٢ ٣٠١٥ أبو الحسن ، قال : قال معاوية لصُحَار العَبْدي : ما هذه البلاغةُ التي فيكم ؟ فقال شيءٌ تَجِيشُ به صدُورُنا ثم تَقْذِفُه على ألسنتنا . فقال [له] رجلٌ من القوم : هؤلاء بالبُسْر(٣)[1] أبصَرُ [منهم بالخُطَب] . فقال صُحَار : أجلْ والله ، إنَّا لنعلم أنَّ الريح تُلقحه ، وأنَّ البرد يُعْقِده(٤) ، وأنَّ القمر يَصْبغه ، وأنَّ الحرَّ يُنْضِجه . فقال معاوية : ما تَعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال : وما الإيجاز ؟ قال : أن تُجيب فلا تُبْطيء ، وتقولَ فلا تُخْطيء . ثم قال : [أقلني] يا أمير المؤمنين ، حُسْنُ الإيجاز : ألَّا تُبْطيء ، ولا تُخْطيء(٥) .

٣٠١٦ أبو الحسن[2] قال : وَفَد الحسن بن علي على معاوية الشامَ ، فقال عمرو بن

---

(1) الكلمة مطموسة في الأصل ولم يظهر منها غير أوائل حروفها . وعوَّلنا على الجاحظ في البيان والتبيين ٩٦/١ والحيوان ١/ ٩٠ في قراءة النص ، وستأتي مصادر الخبر في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(2) كب : الحسين ، وفي الهامش : قف على وفود سيدنا الحسن على سيدنا معاوية رضي الله عنهما وكلامه معهما .

---

(١) البيت للفرزدق قاله لجرير . وكان زياد بن أبيه قد طلب الفرزدق لما أنهب إبله بالمربد ، فهرب ، ولم يزل يطوف بالبلاد حتى مات زياد . فذلك الذي أعياه به .

(٢) يريد أن الله وحده هو خالق الأضداد . واللجلجة في الكلام : ثقله ، فيكون غير بيِّن ، وهو من قولهم : لجلج اللقمة في فيه ، إذا أدارها من غير مضغ ولا إساغة .

(٣) البسر : التمر قبل إرطابه ، وذلك إذا لوَّن ولم ينضج .

(٤) يعقده : يغلظه .

(٥) استطال الكلام الأول فاستقال منه ، وتكلم بأوجز منه . والخطأ أي الخطأ في القول والبطء في الجواب .

العاص : إنَّ الحسنَ رجلٌ أَفَةٌ[١] ، فلو حملتَه على المنبر فتكلم فسَمِع الناسُ من كلامه عابُوه . فأمَرَه ، فصَعِد المنبر فتكلم فأحسن ؛ وكان في كلامه أنْ قال : أيها الناس ، لو طلبتُم ابناً لنبيِّكُم ؛ ما بين جابَرْس إلى جابَلْق[٢] لم تجدوه غيري وغيرَ أخي ؛ وإنْ أدري لعلَّه فتنةٌ لكم وَمَتَاعٌ إلى حين .

فساء ذلك عَمْراً ، وأراد أن يَقْطع كلامه ، فقال : يا أبا محمد ، هل تَنْعَت الرُّطَب ؟ فقال : أجل ، تُلْقِحه الشَّمَال ، وتُخَرِّجه الجَنوب ، ويُنْضِجه بَرْدُ الليل بحَرِّ النهار . قال : يا أبا محمد ، هل تَنْعَت الخِراءة[٣] ؟ قال : نعم ، تُبعد المَمْشى في الأرض الصَّحْصَح[٤][1] حتى تَتَوارى من القوم ، ولا تستقبل القِبْلة ولا تستدبرها ، ولا تستنجي ١٧٣/٢ بالرَّوْثة ولا العَظْم ، ولا تَبُول في الماء الراكد .

ثم[2] أخَذَ في كلامه .

٣٠١٧ وكان يقال : كلُّ شيء ثَنَيْتَه يقْصُر ما خلا الكلام ، فإنك كلما ثنيتَه طال .

٣٠١٨ قال الحسن : الرجال ثلاثةٌ : رجلٌ بنفسه ، ورجلٌ بلسانه ، ورجلٌ بماله .

٣٠١٩ تكلَّم صَعْصَعة بن صُوحان عند معاوية فعَرِق ، فقال معاوية : بَهَرك القولُ[٥] . فقال صعصعة : إن الجيادَ نَضَّاحةٌ للماء .

٣٠٢٠ ويقال : أبلغُ الكلامِ ما سابقَ معناه لفظَه .

٣٠٢١ وفي « كتابِ للهند » : أوّلُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغة ، وذلك أن يكونَ الخطيبُ رابطَ الجأشِ[٦] ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللَّحْظِ ، مُتَخَيِّرَ اللَّفظ ، لا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الأُمَّةِ بكلام الأَمَة ، ولا الملوكَ بكلام السُّوقة . ويكونَ في قُوَاه فَضْلٌ للتَّصَرُّف في كُلِّ

---

(1) كب : الضحضح .　　(2) كب ، مص : وأخذ .

---

(١) أفه : عيي في منطقه .
(٢) جابرس : مدينة بأقصى المشرق . وجابلق : مدينة بأقصى المغرب .
(٣) الخراءة : الجلسة للتخلي والتنظف منه والأدب فيه .
(٤) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار ، ليس بها شيء ولا شجر ولا قرار للماء ، وقلما تكون إلا إلى سَنَد واد أو جبل قريب من سند واد ، والصحراء أشد استواء منها .
(٥) بهرك القول : أعياك وأعجزك فانقطع نَفَسك إعياء وعجزاً ، يقال : بَهَره ، إذا قطع نفسه حتى تتابع من شدة الإعياء .
(٦) الجأش : القلب ، ورابط الجأش : ثابت عند الشدائد ، قوي الشكيمة والفؤاد ، غير هياب .

طبقة . ولا يُدَقِّقُ المعاني كلَّ التدقيق ، ولا يُنَقِّحُ الألفاظَ كُلَّ التنقيح ، ولا يُصَفِّيها كلَّ التَّصْفِيَة ، [ولا يُهَذِّبها غايةَ التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادفَ حكيماً أو فيلسوفاً عليماً] ويكونَ قد تعوَّد حَذْفَ فُضولِ الكلام ، وإسقاطَ مشتركات الألفاظ . قد نَظَر في صِناعة المَنْطِقِ على جِهة الصِّناعة والمُبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتَّصَفُّح .

٣٠٢٢ ونحو هذا قولُ جعفرَ بنِ يحيى البرمكي ، وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكونَ الاسمُ يُحيط بمعناك ، ويحكي عن مَغْزاك ، ويُخْرِجه[1] من الشُّرْكة ، ولا تستعين[2] عليه بالفِكْرة . والذي لا بُدَّ له منه أن يكونَ سليماً من التَّكَلُّفِ ، بعيداً من الصَّنْعة ، بريئاً من التعقيد[3] . غنياً عن التأويل .

٢/ ١٧٤ ٣٠٢٣ قال الأصْمَعي : البليغ مَنْ طَبَّقَ المَفْصِل وأغناك عن المُفَسِّر(١) .

٣٠٢٤ قال المدائني : كَتَب قُتَيبة بنُ مسلم إلى الحَجَّاج يشكو قِلَّة مَرْزِئته(٢) من الطعام ، وقِلَّةَ غِشيانه النساء ، وحَصَرَه على المنبر . فكتب إليه : استكثر من الألوان لتُصيب من كلِّ صَحْفة شيئاً ، واستكثر مِنَ الطَّرُوقة(٣) تجدْ بذلك قوةً على ما تريد ، وأنْزِلِ الناسَ بمنزلةِ رجلٍ واحدٍ من أهلِ بيتكِ وخاصَّتِك ، وارْمِ ببصرك أمامَكَ تبلُغْ حاجتك .

٣٠٢٥ قال بعضُ الشعراء :

إنْ كَانَ في العِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ ... ففي البَلاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيها

٣٠٢٦ تكلَّم رجلٌ عند معاوية فهَذَر(٤) ، فلما أطال ، قال : أأسكتُ يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : وهل تكلمتَ ؟!

٣٠٢٧ ويقال : أعيا العِيِّ بلاغةٌ بِعِيٍّ ، وأقْبَحُ اللَّحْنِ لَحْنٌ بإعراب .

٣٠٢٨ وقال أعرابي : الحظ للمرء في أُذُنه ، والحظ لغيره في لسانه(٥) .

---

(1) مص : تخرجه ، وهم في القراءة . (2) كب : لا يستعين .
(3) كب ، مص : التعقد .

---

(١) طبق المفصل : أحسن الإصابة بالقول ، وأصلها إصابة المفصل إصابة محكمة فيبين عضو من عضو .
(٢) المرزئة من الطعام : الإصابة منه .
(٣) الطروقة : زوجة الرجل ، وكل امرأة طروقة زوجها ، نعتٌ لها من غير فعل لها .
(٤) هذر في كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغي .
(٦) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يقال ، والحظ في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم فإنما الحظ والفائدة فيه لغيره . وسيأتي الكلام برقم ٣٠٥٢ منسوباً لقشيري .

٣٠٢٩ ويقال : ربَّ كلمةٍ تقول : دعني[١] .

٣٠٣٠ ويقال : الصمتُ أبلغُ من عِيٍّ ببلاغة .

٣٠٣١ ونحوه قول الشاعر :

أَرَى الصَّمْتَ أدْنَى لبَعْضِ الصَّوَابِ   وبَعْضُ التَّكَلُّمِ أدْنَى لِعِيِّ

٣٠٣٢ وقال جعفر البرمكي : إذا كان الإكثارُ أبلغَ ، كان الإيجازُ تقصيراً . وإذا كان الإيجازُ كافياً ، كان الإكثار عِيّاً .

٣٠٣٣ قال ابن السَّمَّاك : العربُ تقول : العَيِيُّ الناطق أعيا من العَيِيِّ الصامت . ١٧٥/٢

٣٠٣٤ قال أَنُوشِرْوان لبُزُرْجِمِهْر : متى يكون العييُّ بليغاً ؟ فقال : إذا وَصَف حبيباً .

٣٠٣٥ قال يونس بن حبيب : ليس لعييٍّ مروءةٌ ، ولا لمنقوصِ البيان بَهَاء ، ولو بَلَغ يأفُوخُه أعنانَ السماءِ[٢] .

٣٠٣٦ قال بعض الشعراء :

عَجِبْتُ لإدْلالِ العَيِيِّ بنَفْسِهِ   وصَمْتِ الَّذي قَدْ كَانَ بالحَقِّ أعْلَمَا[٣]

وفي الصَّمْتِ سَتْرٌ للعَيِيِّ وإنَّمَا   صَحِيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أنْ يَتَكَلَّمَا

٣٠٣٧ قال سعيد[1] بن العاص : موطنان لا أستحيي من العِيِّ فيهما : إذا أنا خاطبتُ جاهلاً ، وإذا أنا سألتُ حاجةً لنفسي[٤] .

٣٠٣٨ ذَكَر أعرابيٌّ رجلاً يعيا ، فقال : رأيتُ عوراتِ الناسِ بين أرجلهم ، وعورةَ فلانٍ بين فَكَّيْه .

٣٠٣٩ وعابَ آخرُ رجلاً ، فقال : ذاك منْ يَتَامَى المَجْلِس ، أبْلَغُ ما يكون في نَفْسِه ، أعْيَا ما يكون عند جلسائه .

٣٠٤٠ قال ربيعة الرأي : الساكت بين النائم والأخرس .

---

(1) كب : سعد ، تحريف .

---

(١) انظر ما مضى برقم ١٨٤٧ كتاب السؤدد .

(٢) أعنان السماء : نواحيها .

(٣) الإدلال : الافتخار والجرأة .

(٤) سيأتي برقم ٤٨٨٦ كتاب الحوائج .

٣٠٤١ تذاكر قومٌ فَضْلَ الكلامِ على الصمت ، وفَضْلَ الصمتِ على الكلام ، فقال أبو مُسْهِر : كلا ، إن النجم ليس كالقمر ؛ إنك تَصِفُ الصمتَ بالكلام ، ولا تصف الكلامَ بالصمت .

٢/ ١٧٦ ٣٠٤٢ وذمَّ قومٌ في مجلس سليمانَ بنِ عبد الملك الكلامَ ، فقال سليمان : اللهم غفراً ، إنَّ مَنْ تكلَّم فأحْسَنَ قَدَر أن يَصْمُت فيُحْسِن ، وليس مَنْ صَمَتَ فأحْسَنَ قادراً على أن يتكلم فيُحْسِن .

٣٠٤٣ قال بكر بن عبد الله : طولُ الصمتِ حُبْسَة(١) .

٣٠٤٤ ونحوه قولُ عمرَ بنِ الخطاب : تَرْكُ الحركةِ عُقْلة .

٣٠٤٥ وكان نوفل بن مساحِق إذا دخل على امرأته صَمَت ، وإذا خَرَج من عندها تكلم ، فقالت له : أما عندي فتُطْرِق ، وأما عند الناس فتَنْطِق ! فقال : [لأني] أدِقُّ عن جَلِيلِك ، وتَجِلِّين عن دقيقي .

٣٠٤٦ وفي حكمة لقمان : يا بني ، قد نَدِمتُ على الكلام ولم أنْدَم على السكوت .

٣٠٤٧ قال ابن إسحاق : النَّسْنَاس خَلْقٌ باليمن ، لأحدهم عَيْنٌ ويَدٌ ورِجْلٌ يَقْفِزُ[1] بها ، وأهلُ اليمن يصطادونهم . فخرج قومٌ في صيدهم ، فرأَوْا ثلاثةَ نَفَرٍ منهم ، فأدركوا واحداً ، فعقروه وذبحوه ، وتوارى اثنان في الشجر . فقال الذي ذَبَحه : إنه لسمين . فقال أحدُ الاثنين(٢) : إنه أكَلَ ضِروْاً(٣) . فأخذوه فذَبَحُوه ، فقال الذي ذَبَحه : ما أنفعَ الصمتَ . قال الثالث : فهأنا [ذا] الصُّمَيْتُ[2] . فأخذوه وذبحوه .

الضِّرْو : الحبة[3] الخضراء .

٣٠٤٨ كان يقال : إذا فاتَكَ الأدبَ فالزمِ الصمتَ .

٢/ ١٧٧ ٣٠٤٩ وقال بعضهم : لا يجتريء على الكلام إلَّا فائقٌ أو مائقٌ(٤) .

---

(1) كب : ينقر .
(2) كب : الصميميت .
(3) كب ، مص : حبة .

---

(١) الحبسة : اسم من الاحتباس ، وهو تعذر الكلام عند إرادته .
(٢) أي أحد النسناسين اللذين تواريا من القوم .
(٣) الضرو : الحبة الخضراء ، من شجر الجبال ، يشبه شجر البلوط ، ويتخذ منه السواك ، ومنابته باليمن .
(٤) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الهالك حمقاً وغباوة .

٣٠٥٠ وقال الشاعر يمدح رجلاً :

صَمُوتٌ إذا ما الصَّمْتُ زَيَّنَ أَهْلَهُ   وفَتَّاقُ أبْكَارِ الكَلَامِ المُخَتَّمِ[1]

٣٠٥١ قال أبو الدرداء : أنْصِفْ أذنيك مِنْ فِيك ، فإنما جُعل لك أذنانِ وفَمٌ واحدٌ لتَسْمَعَ أكثرَ مما تقول .

٣٠٥٢ حَضَر قُشَيري مجلساً من مجالس العرب ، فأطال الصمت ، فقال له بعضُهم : بحقٍّ سُمِّيتم خُرْسَ العرب . فقال القُشَيري : يا أخي ، إن حظَّ الرجلِ في أذنه لنفسه ، وحظَّه في لسانه لغيره(١) .

٣٠٥٣ وقال بعضُ الحكماء : أكثِرِ الصمتَ ما لم تكن مسؤولاً ، فإنَّ فَوْتَ الصوابِ أيسرُ مِنْ خَطَلِ القول . وإذا نازعتْكَ نفسُك إلى مراتب القائلين المُصِيبين ، فاذكُرْ ما دون الصوابِ مِنْ وَجَلِ الخطأ وفضائحِ المُقَصِّرين .

٣٠٥٤ تكلَّم رجلٌ في مجلس الهيثم بن صالح بخطأ ، فقال له الهيثم : يا هذا ، بكلام مثلك رُزِق أهلُ الصمتِ المحبة .

٣٠٥٥ وقال أبو نُوَاس :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرامِ   وامْضِ عَنْهُ بِسَلامِ
مُتْ بداءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ   لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلامِ
إنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـ   ـجَمَ فَاهُ بِلِجامِ

١٧٨/٢

٣٠٥٦ وقال آخر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ   إذا سَاسَهُ الجَهْلُ لَيْثاً مُغيرا

٣٠٥٧ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : حَدَّثنا صاحبٌ لنا :

عن مالك بن دينار ، أنه قال : لو كانتِ الصُّحُف من عندنا لأقْلَلْنا الكلام .

٣٠٥٨ وقال الأصْمَعي : إذا تظرَّف العربيُّ كَثُر كلامُه ، وإذا تظرَّف الفارسيُّ كَثُر سكوتُه .

٣٠٥٩ قال حاتم طيء : إذا كان الشيءُ يَكْفيكَهُ التَّرْكُ فاتركه .

---

(1) كب : المحبر ، وهي صحيحة المعنى ، غير أن القافية ميمية .

---

(١) مضى برقم ٣٠٢٨ دون عزو .

٣٠٦٠ قال عبد الله بن الحسن[1] لابنه : استعِنْ على الكلام بطول الفِكْر في المَوَاطن التي تدعوكَ فيها نفسُك إلى القول ، فإنَّ للقولِ ساعاتٍ يضُرُّ فيها الخطأُ ولا ينفع فيها الصواب .

٣٠٦١ وقال إياس بن قَتادة :

تُعَاقِبُ أيْدِينَا ويَحْلُمُ رَأيُنَا ونَشْتُمُ بالأفْعَالِ لا بالتَّكَلُّمِ[١]

٣٠٦٢ تكلَّم ابنُ السَّمَّاك يوماً ، وجاريةٌ له تسمع كلامَه ، فلما دخل إليها قال : كيف رأيتِ كلامي ؟ قالتْ : ما أحْسَنَه ، لولا أنك تُكْثر تَرْداده . قال : أُردده حتى يَفْهَمه مَنْ لم يفهمه . قالت : إلى أنْ يَفْهَمه مَنْ لم يَفْهَمه [يكون] قد مَلَّه مَنْ فَهِمَه .

٣٠٦٣ قال عيسى ابن مريم : مَنْ كان مَنْطِقه في غير ذِكرٍ فقد لَغَا ، ومَنْ كان نظرُه في غير اعتبار فقد سها ، ومَنْ كان صَمْتُه في غير فكْرٍ فقد لَهَا[٢] .

١٧٩/٢ ٣٠٦٤ كان العباس بن زُفَر لا يكلم أحداً حتى تَنْبَسط الشمس ، فإذا انفتل عن صلاته[٣] ضَرَب الأعناقَ ، وقَطَع الأيدي والأرجل .

٣٠٦٥ وكان جريرٌ لا يتكلم حتى تبزغَ الشمس ، فإذا بَزَغَت قَذَف المُحْصَنات[٤] .

٣٠٦٦ قال قتادة : مكتوبٌ في التوراة : لا يُعاد الحديثُ مَرَّتين .

٣٠٦٧ قال الزُّهْري : إعادةُ الحديثِ أشدُّ [عليَّ] مِنْ رَفْع[1] الصَّخْرِ .

٣٠٦٨ وفي « كُتُب العجم » : أن أربعة من الملوك اجتمعوا ، فقالوا كلُّهم كلمةً واحدة كأنها رِميةٌ بسهمٍ : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم : إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكَتني ولم أمْلِكها . وقال آخر : قد نَدِمْت على ما قلتُ ولم أنْدَم على ما أقُل . وقال آخر : أنا على رَدِّ ما لم أقل أقدرُ مني على ردِّ ما قلت .

---

(1) كب : الحسين ، تصحيف .　(2) كب ، مص : وقع ، تصحيف .

---

(١) مضى برقم ١٥٠٧ كتاب السؤدد .

(٢) الذكر : الدعاء إلى الله والثناء عليه . ولغا : أخطأ وقال باطلاً ، واللَّغْو : السَّقَط ، وما لا يعتد به من الكلام ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . الاعتبار : الموعظة . سها : نسي وغفل ، فذهب قلبه عن الحق إلى غيره .

(٣) انفتل عن صلاته : انصرف عنها .

(٤) القذف : السب ، وأراد رمي المرأة بالزنا ونحوه . والمحصنات : العفيفات الطاهرات ، وأصل الحَصانة : المنع ، وإحصان المرأة ، إحصانها فرجها ، وهو إعفافها .

وقال آخر : ما حاجتي إلى أن أتكلم بكلمةٍ إنْ وقعتْ عليَّ ضرَّتْني ، وإن لم تقع عليَّ لم تنفعني .

٣٠٦٩ قال زُبَيد اليامي[1] : أسكتتني كلمةُ ابنِ مسعودٍ عشرينَ سنة : مَنْ كان كلامه لا يُوافق فعلَه فإنما يُوَبِّخ نفسه .

٣٠٧٠ وفي كتاب « كليلة ودمنة » : ثلاثةٌ يؤمرون بالسكوت : الراقي في جبلٍ طويل ، وآكلُ السمك ، والمُرَوِّي في الأمر الجسيم(١) .

٣٠٧١ قال بعض الشعراء :

قَدْ أفْلَحَ السَّالمُ الصَّمُوتُ كَلامُ واعـي الكَـلاَمِ قُـوتُ
مـا كُـلُّ نُطْـقٍ لَـهُ جَـوَابٌ جَوَابُ ما يُكْـرَهُ السُّكُـوتُ
يـا عَجَبـاً لامْـرِىءِ ظَلُـومٍ مُسْتَيْقِـنٍ أنَّـهُ يَمُـوتُ

٢/ ١٨٠

٣٠٧٢ بلغني عن أبي أسامة ، عن ابن عَوْن ، عن الحسن ، قال :

جلسوا عند معاوية [وقد أخَذَ البَيْعة لابنه يزيد] فتكلموا ، وصَمَتَ الأحنف ، فقال معاوية : يا أبا بحر ، ما لك لا تتكلم ؟ قال : أخافُكم إن صَدَقْتكم ، وأخاف الله إن كَذَبت .

٣٠٧٣ حَدَّثني محمد بن داود ، قال : حَدَّثنا الحُميدي ، قال : حَدَّثنا أبو الحكم مروان بن عبد الحميد[2] ، عن موسى بن أبي درم[3] ، عن وَهْب بن مُنَبِّه ، قال :

قال ابن عباس : كفى بك ظالماً ألَّا تزال مخاصِماً ، وكفى بك آثماً ألَّا تزالَ مُمارياً(٢) ، وكفى بك كاذباً ألَّا تزالَ محدِّثاً بغير ذكرِ الله تعالى .

٣٠٧٤ وقال بعضهم :

يَمُـوتُ الفَتَـى مِـنْ عَثْـرَةٍ بِلِسَـانِـهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْـرَتُـهُ مِـنْ فِيـهِ تَـرْمـي بـرأسِـهِ وعَثْـرَتُـهُ بـالـرِّجْلِ تَبْرَا عَلَـى مَهْـلِ

---

(1) كب : النامي ، تصحيف . (2) كب ، مص : عبد الواحد ، تحريف .
(3) كب ، مص : درهم ، وهي رواية النسخة المخطوطة عام ٧٠٢ من التاريخ الكبير ، المحفوظة بإستنبول، وفي التاريخ الكبير المطبوع ، والجرح والتعديل ٤/ ١/ ١٤٢ ، ٢٧٥ « درم » وهي الصواب.

---

(١) المروي : من قولهم : روَّى في الأمر ورَوَّاً فيه ، إذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب .
(٢) المماري : المجادل ، المخالف للحق .

٣٠٧٥ سُئِل بعضُ الحكماء عن البلاغة ، فقال : مَنْ أخَذَ معاني كثيرةً فأدَّاها بألفاظٍ قليلة ، أو أخَذ معانيَ قليلةً فوَلَّد فيها ألفاظاً كثيرة .

٣٠٧٦ بلغني عن أبي إسحاق الفَزَاري ، قال : كان إبراهيم يُطيل السكوتَ ، فإذا تكلَّم انبسط . فقلتُ له ذاتَ يوم : لو تكلمتَ . فقال : الكلامُ على أربعةِ وُجُوهٍ ، فمنه : كلامٌ ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته ، فالفَضْل منه السلامة . ومنه : كلامٌ لا ترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه ، فأقلُّ مالَكَ في تَرْكه خِفَّةُ المَؤُونة على بَدَنك ولسانك . ومنه : كلامٌ لا ترجو منفعته وتخشى عاقبتَه ، وهذا هو الدَّاء العُضال[1] . ومِنَ الكلام كلامٌ ترجو منفعته وتأمَنُ عاقبته ، فهذا الذي يجب عليك نَشْره .

قال : فإذا هو قد أسقط ثلاثةَ أرباعِ الكلام .

* * *

(١) الداء العضال : الشديد المنكر ، الذي يعجز الأطباء فلا دواء له .

الاستدلال بالعين والإشارة والنُّصبة(١)

٣٠٧٧ يقال : رُبَّ طَرْفٍ أفصحُ من لسان .

٣٠٧٨ قال أعرابي(٢) :

إنَّ كـاتَمُـونَـا القِلَـى[1] نَمَّـتْ عُيُـونُهُـمُ والعَيْنُ تُظْهِرُ ما في القَلْبِ أوْ تَصِفُ(٣)

٣٠٧٩ وقال آخر :

إذا قُلُوبٌ أظْهَرَتْ غَيْرَ ما تُضْمِرُه أنْبَتْكَ عَنْهَا العُيُونْ

٣٠٨٠ آخر :

أمَـا تُبْصِـرُ فـي عَيْنَـيَّ؟ عُنْـوَانَ الَّـذي أُبْـدِي

٣٠٨١ وقال ذو الرُّمَّة :

نَعَـمْ هَـاجَـتِ الأطْـلاَلُ شَـوْقـاً كَفَـى بِـهِ مِـنَ الشَّـوْقِ إلَّا أنَّـهُ غَيْـرُ ظَـاهِـرِ
فمَـا زِلْـتُ أطْـوِي النَّفْـسَ حَتَّـى كـأنَّهَـا بِذِي الرِّمْثِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكِرِ(٤)
حيَـاءً وإشْفَـاقـاً مِـنَ الـرَّكْـبِ أنْ يَـرَوْا دَلِيـلاً عَلَـى مُسْتَـوْدَعَـاتِ الضَّمَـائِـرِ(٥)

---

(1) كب : العلى ، تصحيف .

---

(١) النصبة : هي الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد .

(٢) سيأتي برقم ٥٧٩٥ كتاب النساء ، وهو مع آخر برقم ٤٤٤٠ كتاب الإخوان .

(٣) القلى : الكره وغاية البغض . ونمت عيونهم : أذاعته وأشاعته على جهة الإفساد والشر .

(٤) أطوي النفس : أضمر ما في النفس من الشوق وحب مية ، وسيبين سبب ذلك في البيت الآتي . وقوله : بذي الرمث : هو المكان الذي جمعهم فيه المرتبع ، وهو واد لبني أسد . لم تخطر : يعني مية . والذاكر عنى به نفسه .

(٥) مستودعات الضمائر : ما أضمر في قلبه من حب . يقول : أطوي النفس حياء وإشفاقاً من الركب أن يروا أمراً يستدلون به على ما أضمر .

٣٠٨٢ وقال الحارثي يذكر ميتاً[١] :

أتَيْنَـــاهُ زُوَّاراً فـــأمْجَـــدَنـــا قِـــرىً مِنَ البَثِّ والدَّاءِ الدَّخِيلِ المُخَامِرِ[٢]

[1]وأسْمَعَنا بالصَّمْتِ رَجْعَ جَوَابِهِ[1] فأعْجِبْ بِهِ مِنْ ناطِقٍ لم يُحَاوِرِ

٢/ ١٨٢ ٣٠٨٣ ومثْل هذا قولُ القائل : سَلِ الأرضَ فقُلْ لها : مَنْ شَقَّ أنهارَك ، وغَرَس أشجارَك ، وجَنَى ثِمَارَك ؟ فإن لم تُجِبْك حِواراً أجابتْك اعتباراً[٣] .

٣٠٨٤ قال أبو العَتَاهية[٤] :

وللْقَلْبِ عَلَى القَلْبِ دَلِيـــلٌ حِيـــنَ يَلْقَـــاهُ
وللنَّـــاسِ مِـــنَ النَّـــاسِ مَقَـــايِيـــسٌ وأشْبَـــاهُ
يقَـــاسُ المَـــرْءُ بـــالمَـــرْءِ إذَا مـــا هُـــوَ مـــاشَـــاهُ
وفي العَيْنِ غِنًى لِلْعَيْـ ـــنِ أنْ تَنْطِقَ أفْوَاهُ

***

(1 - 1) كب ، مص : وأوسعنا علماً برد جوابنا . وآثرنا قراءة شعر الحارثي عبد الملك بن عبد الرحيم ٦٤ فهي تناسب عجز البيت .

(١) يرثي أخاه سعيداً ، وكان قتل في إحدى غزوات قبيلته .

(٢) أمجدنا : أشبعنا . البث : الغم والحزن ، وأصل البث الإذاعة والنشر ، واستعملت للحزن لأن المحزون يجد في بثه والشكوى إلى خلصائه ما يخفف عنه لواعج الحزن والأسى . والمخامر : الذي خامر الجوف ، أي خالطه ، فأفسده وأضناه .

(٣) الحوار : الجواب والمراجعة في الكلام .

(٤) ستأتي الأبيات برقم ٣٨٩١ ، ٤٢٧٨ كتاب الإخوان .

الشِّــعْر

٣٠٨٥ يقال : خيرُ الشِّعْر ما روَّاك نفسَه .

٣٠٨٦ ويقال : خيرُ الشِّعر الحَوْلي المُنَقَّح المُحَكَّك(١) .

٣٠٨٧ سَمِع أعرابيٌ رجلاً يُنشد شِعراً لنفسه، فقال : كيف ترى ؟ قال : سُكَّرٌ لا حلاوةَ له .

٣٠٨٨ قيل لبعض علماء اللغة : أرأيتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحدِ في لفظٍ واحد ؟ فقال : عقول رجالٍ تَوَافَتْ على ألسنتها .

٣٠٨٩ قال بَشَّار ، يصف نفسه :

زَوْرُ مُلُــــوكٍ عَلَيْــــهِ أُبَّهَــــةٌ يُغْـرَفُ[1] مِـنْ شِعْـرِهِ ومِـنْ خُطَبِـهْ(٢)

لله مـــا رَاحَ فـــي جَـــوَانِحِـــهِ مِـنْ لُـؤْلُـؤٍ لا يُنَـامُ عَـنْ طَلَبِـهْ

يخْـرُجْـنَ مِـنْ فِيـهِ فـي النَّـدِيِّ كَمَـا يَخْـرُجُ ضَـوْءُ السِّـرَاجِ مِـنْ لَهَبِـهْ(٣)

تَــرْنُــو إلَيْــهِ الحُــدَّاثُ غَــادِيَــةً ولا تَمَـلُّ الحَـدِيـثَ مِـنْ عَجَبِـهْ(٤) ٢/١٨٣

تلْعَــابَــةٌ تَعْكُــفُ المُلُــوكُ بِــهِ تَــأْخُـذُ مِـنْ جِـدِّهِ ومِـنْ لَعِبِـهْ(٥)

---

(1) كب : يغرف .

---

(١) قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً ، وزمناً طويلاً ، يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلِّب فيها رأيه . . وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات ، والمقلَّدات ، والمنقَّحات ، والمحكمات (البيان والتبيين ٢/ ٩) وقال ابن جني : ليس جميع الشعر القديم مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه ، والملاطفة له ، والتلُّوم على رياضته ، وإحكام صنعته ، نحوٌ مما يعرض لكثير من المولدين . ألا ترى إلى ما يروى عن زهير من أنه عمل سبع قصائد في سبع سنين ، فكانت تسمى « حوليات » زهير لأنه كان يحوك القصيدة في سنة ؟ (الخصائص ١/ ٣٣٠) .

(٢) الزور : الزائر ، الكثير الزيارة ، وإنما يزور الملوك من كان قريباً من مرتبتهم ، وذلك من شعار السؤدد . الأبهة : العظمة والكبرياء .

(٣) الندي : النادي ، وهو منتدى القوم يجتمعون فيه .

(٤) الحداث : أصحاب الحديث .

(٥) تلعابة : كثير المزاح والمداعبة ، يعني نفسه .

يَــزْدَحِــمُ النَّــاسُ كُــلَّ شَــارِقَــةٍ بِبَــابِــهِ مُشْــرِعِيــنَ[1] فــي أَدَبِــهْ(١)

٣٠٩٠ وقال الطائي يذكر الشعر :

إنَّ القَــوَافــيَ والمَسَــاعــيَ لَــمْ تَــزَلْ مِثْــلَ النِّظَــام إذا أصَــابَ فَــرِيــدا(٢)

هِــيَ جَــوْهَــرٌ نَثْــرٌ فَــإنْ أَلَّفْتَــهُ بِــالشِّعْــرِ صَــارَ قَــلائِــداً وعُقُــوداً(٣)

مِنْ أجْلِ ذَلِكَ كَانَتِ العَرَبُ الأُلَى يَــدْعُــونَ هَــذا سُــؤْدُداً مَحْــدُودا[2](٤)

وتَنِــدُّ[3] عِنْــدَهُــمُ العُــلا إلَّا عُــلاً جُعِلَتْ لَهَــا مِــرَرُ القَــرِيــضِ قُيُــودا(٥)

٣٠٩١ وقال أيضاً :

ولَــمْ أرَ كَــالمَعْــرُوفِ تُــدْعَــى حُقُــوقُــهُ مَغَــارِمَ فــي الأقْــوَامِ وهْــيَ مَغَــانِــمُ

وإنَّ العُــلا مــا لَــمْ تَــرَ الشِّعْــرَ بَيْنَهَــا لكَــالأرْضِ غُفْــلاً لَيْسَ فِيهــا مَعَــالِــمُ(٦)

ومــا هُــوَ إلَّا القَــوْلُ يَسْــري فَيَغْتَــدِي لــه غُــرَرٌ فــي أوْجُــهٍ ومَــوَاسِــمُ(٧)

تَــرَى[4] حِكْمَــةً مــا فِيــهِ وهْــوَ فُكَــاهَــةٌ ويُقْضَى بما يَقْضِي بِهِ وهْوَ ظَالِمُ(٨)

---

(1) كب ، مص : مسرعين ، تصحيف .

(2) كب ، مص : مجدودا ، تصحيف .

(3) كب : يبد .

(4) مص : يرى ، وكلاهما صواب .

---

(١) كل شارقة : كل صباح .

(٢) النظام : الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ ، أي يجمع . والفريد : الدر الذي نظم في العقد وفُصلت حباته بقطع أحجار كريمة أخرى . يقول : القوافي نظام يتم بشرف ممدوحه خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، فيكون هو كالفريد لهذا النظام .

(٣) أي المكارم جوهر نثر حتى ينظمه الشعر ويحصيه ، فيتحلى به الممدوح . وبعد البيت :

فإذا القصائدُ لم تكنْ خُفَرَاءَها لم ترضَ منها مَشْهداً مَشْهُودا

أراد أن المكرمات إذا لم تحفظها القصائد كما تحفظ الخفراء لم تشع ولم تشتهر .

(٤) الألى : الأُوَل . أي من أجل ذلك كانوا يقولون : هو محدود السؤدد ، أي لم يكثر مدحه ، وقصر عن كماله ، إذ لم يقل فيه شعر .

(٥) تند : تنفر ، أي إن المكارم إذا لم تقيد بالشعر تتفرق وتتبدد . وسيأتي لابن قتيبة ما يوافق هذا الكلام (انظر رقم ٣١٠١) .

(٦) الغفل من الأرض : ما لا علامة له .

(٧) أراد أن القول الحسن يصير غرة في وجوه الممدوحين ، أي شرفاً وسيادة . وأصل الغرة : بياض في جبهة الفرس . ويصير كالمياسم خزياً وعاراً في وجوه المذمومين تشينهم وتقبحهم . وأصل السمة : العلامة توسم بها الدواب ، أي تكوى ، لتعرف بها .

(٨) وصف الشعر بالظلم ، لأن الشاعر ربما هجا ظلماً ، فيحط من قدر المهجو ومكانته ويقضي به الناس . ولذلك كانت القبائل حريصة على تجنب ذم الشعراء وهجائهم كي لا تسب به ، فإن أسروا شاعراً أخذوا عليه المواثيق كيلا يهجوهم ، بل ربما شددوا لسانه بنسعة (بكسر فسكون) ـ وهو سير عريض طويل ـ كما صنعت بنو تيم بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أُسر يوم الكُلاب (البيان والتبيين ٤/ ٣٥) .

ولَوْلاَ خِلاَلٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ ما دَرَى   بُغَاةُ العُلاَ مِنْ أيْنَ تُؤْتَى المَكَارِمُ

٣٠٩٢ وقال عمر بن لَجَأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : ولِم ذاك ؟ قال : لأني ١٨٤/٢
أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وابنَ عَمِّه .

٣٠٩٣ قيل لعَقيل بن عُلَّفة : ألا تطيل الهجاء ؟ فقال : يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنُق .

٣٠٩٤ وقال بعضُهم : خيرُ الشعر المُطْمِع .

٣٠٩٥ قيل لكُثَيِّر : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عَسُر عليك قولُ الشعر ؟ قال : أطوف بالرِّباع المُخْلِية[1] والرِّياضِ المُعْشِبة فيسْهُل عليَّ أرْصَنُه ، ويُسْرع إليَّ أحسنه(١) .

٣٠٩٦ ويقال : إنه لم يُسْتَدْعَ[2] شارِدُ الشعر بمثل الماءِ الجاري ، والشَّرَف العالي ، والمكانِ الخَضِر الخالي ـ أو الحالي ـ(٢) .

٣٠٩٧ وقال عبد الملك بن مَرْوان لأرْطَاة بن سُهَيَّة : هل تقول الآن شعراً ؟ قال : ما أشْرَب ، ولا أطْرَب ، ولا أغْضَب ، وإنما يكون الشعر بواحدةٍ من هذه .

٣٠٩٨ وقيل لكُثَيِّر : ما بقي مِنْ شعرِك ؟ فقال : ماتتْ عَزَّة فما أطْرَب ، وذهب الشبابُ ١٨٥/٢
فما أعْجَب ، ومات ابنُ ليلى فما أرْغَب ـ يعني عبدَ العزيز بن مروان ـ ، وإنما الشعر بهذه الخِلال(٣) .

٣٠٩٩ وقيل لبعضهم : مَنْ أشْعَرُ الناسِ ؟ فقال : امرؤُ القيس إذا رَكِب ، والنابغةُ إذا رَهِب ، وزهير إذا رَغِب ، والأعشى إذا طَرِب .

٣١٠٠ وقيل للعَجَّاج : إنك لا تُحْسن الهجاء ؛ فقال : إنَّ لنا أحلاماً تمنعُنا مِنْ أنْ نَظْلِم ، وأحساباً تمنعنا مِنْ أنْ نُظْلَم ، وهل رأيتَ بانياً لا يُحْسِن أنْ يَهْدِم .

٣١٠١ وقلتُ في وصفِ الشِّعْر : الشِّعْر مَعْدِنُ علْمِ العرب ، وسِفْرُ حِكمتها ، وديوانُ أخبارِها[3] ،

---

(1) كب : المخيلة ، تصحيف .   (2) كب : يسرع ، تصحيف .
(3) كب : حكمتها ، ثم شطبها وصححها .

---

(١) المخلية : الخالية من السكان ، يقال : خلت الدار وأخلت . وفي رواية ابن عبد ربه : المحيلة ، بالحاء المهملة ، وهي التي أتت عليها أحوال فغيرتها .

(٢) الخالي : غير الآهل ، فيكثر نبته ويكتمل لعدم تواطؤ الناس عليه . والحالي : المتحلي بالزهر .

(٣) طَرِب منه ، أوْ له : خَفَّ واهتز من فرح وسرور ، أوْ من حزن وغم . وأعجبه الأمر : حمله على العَجَب منه ، وأعجب الشيءُ فلاناً : عَجِب منه وسُرَّ به لقلة اعتياده إياه . ورَغِب إليه : ضرع وطلب وسأله أن يعطيه ويعينه .

ومُسْتودَعُ أيامِها ، والسُّورُ المضْرُوبُ على مآثرها ، والخندقُ المحجوزُ على مفاخرها ، والشاهدُ العَدْلُ يومَ النِّفار(١) ، والحُجَّةُ القاطعةُ عند الخِصام .

ومَنْ لمْ يَقُمْ عندَهم على شرَفه ، وما يَدَّعيه لِسَلَفِهِ[1] مِنَ المَنَاقِبِ الكريمة والفَعَال الحميدة[2] ، بيتٌ منه ، شَذَّتْ مساعيه وإن كانتْ مشهورةً ، ودَرَسَت على مُرور الأيام وإنْ كانتْ جِساماً . ومَنْ قَيَّدَها بقوافي الشِّعْر ، وأَوْثَقَها بأوزانه ، وأشْهَرَها(٢) بالبيت النادر والمَثَلِ السائر والمعنى اللطيف ، أَخْلَدَها على الدهر ، وأَخْلَصَها من الجَحْد ، ورَفَع عنها كَيْدَ العدُوِّ ، وغَضَّ عينَ الحسود[3] .

٣١٠٢ وما جاء في الشِّعْر كثير . وقد أفردتُ للشعراء كتاباً ، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب .

وذكرتُ هذه النُّتْفَةَ في هذا الكتاب ، كراهيةَ أنْ أُخْلِيه مِنْ فَنٍّ مِنَ الفنون .

* * *

(1) كب ، السلفة ، تصحيف .
(2) كب ، مص : الحميد بيته .
(3) كب : الجود ، تصحيف .

(١) النفار : أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما رجلاً فيقضي لأحدهما بالغلبة .

(٢) شذت مساعيه : تفرقت . والمساعي : جمع مَسْعاة ، وهي المكرمة والمعلاة في أنواع المجد والجود . أشهرها : جعلها مشهورة ، أي معروفة مذكورة .

حُسن التشبيه في الشِّعْر

٣١٠٣ من ذلك قولُ ابنِ الزَّبِير الأسدي في الثُّرَيّاً :

وقَدْ لاحَ في الغَوْرِ الثُّرَيَّا كأنَّمَا　　بِهِ رَايَةٌ بَيْضاءُ تَخْفُقُ للطَّعْنِ[1](١)

شبَّه الثريا حين تدلتْ للمغيب برايةٍ بيضاء خَفَقت[2] للطعن .

٣١٠٤ ومن ذلك قولُ عنترةَ في الذُّبَاب :

وخَـلا الـذُّبَـابُ بهـا فَلَيْسَ بنَـازِحٍ　　هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ(٢)

غــرِداً يَحُــكُّ ذِرَاعَــهُ بِــذِرَاعِــهِ　　فِعْلَ المُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأجْذَمِ

شبَّه حكَّه يدَه بيده برجلٍ مقطوعِ الكفَّين يَقْدَح النار بعودين(٣) .

٣١٠٥ ومن ذلك قول أعرابي في العِنَب :

يَحْمِلْـنَ أوْعِيَـةَ السُّـلاَفِ كـأنَّمَـا　　يَحْمِلْنَهَـا بـأَكَـارِعِ النِّغْـرَانِ

أوعية السُّلاف : العنب ، جعله ظرفاً للخمر . وشبَّه شُعَب العناقيد التي تحمل الحَبَّ بأرجل النِّغْران . والنُّغَر : طائر مثل العصفور ، أحمر المنقار .

---

(1) كب : وقد حرم الغور الثريا كأنها　　له راية بيضاء تخفض للطعن

(2) كب : خفضت .

---

(١) الغور : تهامة وما يلي من اليمن . والثريا : مجموعة نجوم تلمع ضمن برج الثور ، وتشاهد في بلادنا واضحة شتاء .

(٢) في بيت سابق وصف عنترة طيب رائحة فم محبوبته ، فشبهه بريح روضة كاملة النبت ، وفي هذا البيت يتابع وصف الروضة . الهزج : الطَّرِب ، الذي يتغنى ، وهو من قولهم : هَزِج يَهْزَج ، إذا تغنى . والهَزَج : كل صوت فيه ترنُّم خفيف مُطرِب فيه بحح ، وخصَّت العرب به صوت الذباب . المترنم : الذي يترنم بالغناء ، أي يمد صوته ويرجعه . شبه غناء الذباب بغناء الشارب .

(٣) الغرد : الذي يمد في صوته ويطرب . المكب : من أكب على الشيء ، إذا أقبل عليه ولزمه . الزناد : الزند ، وهو العود الأعلى ، تورى به النار . والأجذم : المقطوع الكف . شبه الذباب حين وقع في هذه الروضة فحك إحدى ذراعية بالأخرى برجل مقطوع الكفين يوري زناداً ، فهو يمد الزناد بين ذراعيه إذ لم يكن له كفان يمره بينهما . والأجذم : من صفة المكب .

٢/١٨٧ ٣١٠٦ وقال الآخر ، وكان غشي عينيه بياضٌ أو نَـزَل فيهما ماء :

يَقُـولُـونَ مَـاءٌ طَيِّـبٌ خَـانَ عَيْنَـهُ ... وما مَاءُ سُوءٍ خَانَ عَيْنيَّ بطَيِّبِ
ولكِنَّـهُ أزْمَـانَ أنْظُـرُ طَيِّـبٌ ... بِعَيْنيَّ غُدَافِيٍّ عَلا فَوْقَ مَرْقَبِ[1]
كأنَّ ابْنَ جَحْلٍ مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ ... عَلَى مَاءِ إنْسَانَيْهِمَا المُتَغَيِّبِ[2]

شبَّه ما علا الحَدَقة بجناح فَرْخ من فِراخ الزنابير قد مُدَّ على ناظره .

٣١٠٧ ومن ذلك قولُ امرىء القَيْس ، وذكر العُقَاب :

كَـأنَّ قُلُـوبَ الطَّيْـرِ رَطْبـاً ويـابِسـاً ... لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالي

شبَّه الرَّطْب : بالعُنَّاب ، واليابس : بالحَشَف . وشبَّه شيئين بشيئين في بيت واحد[3] .

٣١٠٨ ومن ذلك قولُ أوْس بن حَجَر ، وذَكَر السيف :

كَـأنَّ مَـدَبَّ النَّمْـلِ يَتَّبِـعُ الـرُّبَـى ... ومَـدْرَجَ ذَرٍّ خَـافَ بَـرْداً فـأسْهَـلا

شبَّه فِرِنْد السيف بمدارج الذَّرِّ ومدبِّ النمل[4] .

٣١٠٩ ومن ذلك قولُ أبي نُوَاس في البازي :

---

(١) الغدافي : الشديد السواد ، عنى الغراب ، والعرب تضرب المثل به في صحة النظر ، فيقولون : هو أبصر من غراب (اللسان : غرب) . والمرقب : الموضع المشرف ، يرتفع عليه الرقيب ، لينظر من بعد ويحفظ قومه من خطر عدوهم .

(٢) الجحل : اليعسوب العظيم ، وهو في خلق الجرادة ، وإذا سقط لا يضم جناحه .

(٣) العناب : ثمر أحمر ، حلو ، لذيذ الطعم ، وشجره شائك من الفصيلة السدرية ، يبلغ ارتفاعها ستة أمتار . والحشف : التمر لم يكد يظهر له نوى ، فإذا تقادم صلب وتجعد . والبالي : القديم الفاسد . يقول : تصطاد العقاب الطير ، وتحمله إلى وكرها فتأكله ، وتدع القلوب لأفراخها . وأشار بقوله : رطباً ويابساً ، إلى كثرة ما تأتي به من القلوب حتى تفضل عن حاجة الفراخ . وخص قلوب الطير لأنها أطيب لحوماً .

(٤) قبل البيت :

وأبيـضَ هِنْـديـاً كـأنَّ غِـرارَهُ ... تـلألُؤُ برقٍ في حَبيٍّ تَكَلَّلا

أبيض هندياً ، معطوف على رمح وصفه في بيت سابق ، أي وأعددت أيضاً أبيض هندياً ، وهو السيف . والغرار : حد السيف . والحبي : ما حبا من السحاب ، أي ارتفع وأشرف . وتكلل السحاب : صار بعضه فوق بعض ، وهو أشد لإضاءة البرق .

المدب : الموضع الذي يدب فيه . والربى : جمع ربوة ، وهو ما ارتفع من الأرض ، والمدرج كالمدب وزناً ومعنى . والذر : صغار النمل . وإنما يتبع النمل الربى لأنه يفر من الندى . يقول : اشتد على النمل البرد في أعلى الوادي فأسهل ، أي أتى السهل ، فاستبان أثره . وفرند السيف : جوهره ووشيه .

وَمَنْسِرٌ أَكْلَفُ فِيهِ شَغاً   كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمَانِينَا[1]

٣١١٠ ومن ذلك قولُ أعرابيٍّ في امرأة : ١٨٨/٢

قَامَتْ تَصَدَّى لَهُ عَمْداً لِتَقْتُلَهُ   فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَجْداً مِثْلَ ما وَجَدا[2]
بِجِيدِ آدَمَ لَمْ تُعْقَدْ قَلائِدُهُ   ونَاهِدٍ مِثْلِ قَلْبِ الظَّبْيِ ما نَهَدا[3]
فظَلَّ كالحَائِمِ الهَيْمَانِ لَيْسَ لَهُ   صَبْرٌ ولا يَأْمَنُ الأَعْدَاءَ إِنْ وَرَدا[4]

شبَّه ثديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحداً شبَّه الثدي بقلب الظبي غيرَه .

٣١١١ ومن ذلك قولُ جَحْدر العُكْلي في امرأة :

عَلَى قَدَمٍ مَكْنُونَةِ اللَّوْنِ رَخْصَةٍ   وكَعْبٍ كَذِفْرَى جُؤْذُرِ الرَّمْلِ أَدْرَمَا

شبَّه كعبها بأصل أُذُن الجُؤْذُر ، وهو الصغير من أولاد البقر[5] .

٣١١٢ ومن ذلك قول حُميد بن ثور يصف فَرْخ القطاة :

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنْوَةٍ   إِذَا هُوَ مَدَّ الجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا[6]

٣١١٣ ومن ذلك قول دِعْبل يهجو امرأة :

كَأَنَّ الثَّآلِيلَ فِي وَجْهِهَا   إذا سَفَرَتْ بِدَدُ الكِشْمِشِ[7]

---

(١) المنسر : المنقار ، وخص بالجوارح . والأكلف : الذي لونه بين السواد والحمرة . والشغا : زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تعقف وانعطاف . شبه منسر البازي الذي فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب في الجاهلية ، وصفة عقد الثمانين أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام .

(٢) تصدى له : تتعرض له ، وتميل إليه ، وتُقبل عليه . والوجد : الحب الشديد .

(٣) الجيد : العنق إذا استوى وطال وصفا نحره وحسن ، وليس كل عنق جيداً إذا تأملت النساء . والآدم : الذي أشرب لونه بياضاً . والناهد : الثدي إذا برَز وارتفع وكَعَب ، ويكون ذلك في فورة الشباب وأوله .

(٤) الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء . الهيمان : العطشان .

(٥) المكنونة : البيضاء . والرخصة : الناعمة اللينة . الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والأدرم : المستوى الأملس .

(٦) النور : الزهر . والحنوة : نبات سهلي طيب الريح . والقطاة : واحدة القطا ، وهو نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء ، ويطير جماعات ، ويقطع مسافات شاسعة .

(٧) سيأتي البيتان برقم ٥٥٨١ كتاب النساء .

الثآليل : جمع ثُؤلول ، وهو بثر صغير صلب مستدير ، يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها .

سفرت : كشفت عن وجهها . والبدد : جمع بدة (بكسر ففتح) وهي القطعة . والكشمش : العنب الصغير .

لَهَا شَعْرُ قِرْدٍ إذا زُيِّنَتْ[1] وَوَجْهٌ كبَيْضِ القَطَا الأَبْرَشِ(١)

٢/ ١٨٩ ٣١١٤ ومن ذلك قول أبي نُوَاس ، في وصف البط :

كأنَّمَا يَصْفِرْنَ مِنْ مَلاعِقِ

٣١١٥ ومن ذلك قول بعض الرُّجَّاز في جارية سوداء :

كَأَنَّهَا والكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا تَكْحُلُ عَيْنَيْهَا ببَعْضِ جِلْدِها(٢)

٣١١٦ ومن ذلك قول الجَعْدي[2] في فرس :

خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ ولَمْ يَرْجِعْ إلى دِقَّةٍ ولا هَضَمِ[3]

يقول : هو منتفخ الجَنْبين ، فكأنه زَفَر فانتفخ جنباه ، ثم خِيط على ذلك(٣) .

٣١١٧ ومن ذلك قول الطِّرِمَّاح يصف الثور :

يَبْدُو وتُضْمِرُهُ البِلادُ كأنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ[4](٤)

٣١١٨ ومن ذلك قول النابغة للنعمان :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ[5] أنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

٣١١٩ ومن ذلك قولُه في المرأة :

نَظَرَتْ إلَيْكَ بحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِها نَظَرَ المَرِيضِ إلَى وُجُوهِ العُوَّدِ

يقول : نظرتْ إليك ولم تَقْدِر أن تتكلم ، كما ينظُر المريضُ إلى وُجوه عُوَّاده ولا يَقْدِر

---

(1) مص : ازينت .
(2) كب : الجعفري ، تحريف .
(3) كب : هرم .
(4) كب : يعضد .
(5) كب : قلت .

---

(١) الأبرش : المرقط ، فيه نقط حمر وأخرى غبراء .

(٢) سيأتي برقم ٥٥٩٧ كتاب النساء . والمرود : القلم الذي يكتحل به .

(٣) يقال للفرس : عظيم الزفرة ، إذا كان عظيم الجوف ، كأنه زافر أبداً لسعة جوفه . الهضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهو عيب ، يقال : فرس أهضم .

(٤) يبدو : يعني الثور الوحشي . وتضمره البلاد : تغيبه . ووصفه بالسيف لبياضه ولمعان جلده . الشرف : المكان العالي . والبيت مشهور متداول ، وهو من أبيات المعاني الجيدة والتشبيهات الحسنة .

أن يكلِّمهم(١) .

٢/ ١٩٠

٣١٢٠ ومن ذلك قولُ طَرَفة :

لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ ما أخْطَأَ الفَتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليَدِ(٢)

٣١٢١ ومن ذلك قولُ بعض الضَّبِّيين يصف أباريق الشراب :

كأنَّ أبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إوَزٌّ بأعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الحَنَاجِرِ[1](٣)

٣١٢٢ ونحوه قول أبي الهِنْدِيِّ[2] :

سَيُغْنِي أبَا الهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أبَارِيقُ لم يَعْلَقْ بِهَا وَضَرُ الزُّبْدِ(٤)

مفَدَّمَةٌ قَزاً كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ المَاءِ تَفْزَعُ للرَّعْدِ(٥)

٣١٢٣ ومن ذلك قولُ نُصَيب في عبد العزيز بن مروان :

وكَلْبُكَ آنَسُ بالمُعْتَفِينَ مِنَ الأُمِّ بابْنَتِهَا الزَّائِرَهْ(٦)

٣١٢٤ ومن ذلك قولُ عديٍّ بنِ الرِّقاع في الظبية :

تُزْجِي أغَنَّ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا(٧)

---

(1) كب : المناخر . (2) كب : النبوي ، تحريف .

---

(١) يصف المتجردة امرأة النعمان بن المنذر . يقول : نظرت نظر خائف مراقب ، تريد الكلام معه ، فلم تستطع خشية الرقباء . فالحاجة هنا : الكلام ، وهي كالمريض الذي ينظر إلى من يعوده بطرف فاتر ضعيف ، ولا يقدر على الكلام .

(٢) الطول : الحبل الطويل ، تشد به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترعى . وقوله : ثنياه باليد ، أي ما انثنى على يديه منه . أراد أن الموت في يد من يملك قبض الروح ، كصاحب الفرس الذي قد طوّل له ، إذا شاء اجتذبه وثناه إليه .

(٣) الشمول : الخمر الباردة ، التي عرضت لريح الشمال فبردت . الطف : طف نهر الفرات ، وهو شاطئه . والحناجر : جمع الحنجرة ، وهي الحلقوم ، مجرى النفس في الرقبة . أراد عوج الرقاب .

(٤) الوطب : زِق اللبن ، وعنى زق الخمر . والوضر : وسخ الدسم واللبن .

(٥) مفدمة : عليها فِدام ، وهو ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه . وعدى مفدمة إلى مفعولين لأن المعنى ملبسة أو مكسوة . شبه رقابها في الإشراف والطول برقاب بنات الماء ، وهي الغرانيق ، لأنها إذا فزعت نصبت أعناقها .

(٦) المعتفون : جمع العافي ، وهو الذي يأتيك طالباً فضلاً أو رزقاً .

(٧) تزجي: تسوق سوقاً رفيقاً . أغن : في صوته غنة ، وهي صوت فيه ترخيم يخرج من خياشيمه ، وكذلك صوت صغار الظباء . إبرة روقه : طرف قرنه المحدد . وقرون الظباء غبر الأوساط ، سود الأطراف .

٣١٢٥ ومن ذلك قولُ بَشَّار :

كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وأسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ[١]

١٩١/٢ ٣١٢٦ ومن ذلك قولُه :

جَفَتْ عَيْني عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَـأنَّ جُفُـونَهَـا عَنْهَـا قِصَـارُ

٣١٢٧ ومن ذلك قولُ الآخر :

ومَوْلًى كَأَنَّ الشَّمْسَ بيني وبَيْنَهُ إذا ما الْتَقَيْنَا لَيسَ مِمَّنْ أعَاتِبُهْ

يقول : لا أقْدِر على النظر إليه من بُغْضه ، فكأنَّ الشمس بيني وبينه .

٣١٢٨ ومن ذلك قول الآخر :

كـأنَّ نِيـرانَهُـمْ فـي كُـلِّ مَنْـزِلَـةٍ مُصَبَّغَاتٌ عَلَى أرْسَانِ قَصَّارِ

الناس يستحسنون هذا ، وأنا أرى أن أقول : الأولى أن يُشَبَّه المُصَبَّغات بالنيران لا النيران بالمصبَّغات[٢] .

* * *

(١) النقع : غبار الحرب ، عنى النقع الذي أثارته الخيل والرجال في الزحف .

(٢) المصبغات : الثياب التي صُبغت . والأرسان : جمع رَسَن ، وهو الحبل ، والقصار : المبيض للثياب ، وكان يُهَيِّيء النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقَصَرة وهي قطعة من الخشب .



الأبيات التي لا مِثْلَ لها

٣١٢٩ حَدَّثني أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا مُعْتَمر ، عن ليث ، عن طاوس :

عن ابن عبَّاس ، قال : إنها كلمة نبي :

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً   ويَأْتيكَ بالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

٣١٣٠ حَدَّثني الرِّياشي ، عن الأصْمَعي ، قال : أبرعُ بيتٍ قالته العرب قولُ أبي ذُؤَيب(١) :

والنَّفْـسُ راغِبَـةٌ إذا رَغَّبْتَهَـا   وإذا تُـرَدُّ إلـى قَليـلٍ تَقْنَـعُ

٣١٣١ وأحسن ما قيل في الكِبَر قولُ حُمَيْد بن ثَوْر الهِلالي(٢) :

أَرَى بَصَري قَدْ رَابَني بَعْدَ صِحَّةٍ   وحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا(٣)

٣١٣٢ وأحسن من ابتدأ مرثية أَوْس[1] بن حَجَر في قوله : ١٩٢/٢

أَيَّتُهَـا النَّفْـسُ أجْمِلِـي جَـزَعَـا   إنَّ الَّـذِي تَكْـرَهِيـنَ قَـدْ وَقَعَـا

٣١٣٣ وأغرب من ابتدأ قصيدةً النابغةُ في قوله :

كِلِينـي لِهَـمٍّ يـا أُمَيْمَـةَ نـاصِـبِ   ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بطيءِ الكَوَاكِبِ(٤)

٣١٣٤ حَدَّثني الخَثْعَمي الشاعر ، قال : أحسنُ بيتٍ قيل في الجُبْن قولُ نَهْشَل بن[2] حَرِّي :

فَلَوْ كَانَ لِيَ نَفْسَانِ كُنْتُ مُقَاتِلاً   بإحْدَاهُمَا[3] حَتَّى تَمُوتَ وأسْلَمَا

٣١٣٥ قال : وبيتُ المُخَبَّل في قَساوة القلب :

يُبْكَى عَلَيْنَا ولا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ   لَـنَحْـنُ أغْلَـظُ أكْبَـاداً مِـنَ الإبِـلِ

---

(1) كب : قول أوس بن حجر . (2) كب : من جري ، تصحيف .
(3) كب : بأحديهما .

---

(١) سيأتي برقم ٤٨٤٩ كتاب الحوائج .
(٢) سيأتي برقم ٣٦١٣ كتاب الزهد .
(٣) يريد أن الصحة والسلامة يؤديان إلى الهرم .
(٤) كليني لهم : أي دعيني وهمي ، يقال : وكَله إلى الأمر ، إذا تركه وإياه . وقوله : بطيء الكواكب ، أراد أن الليل قد طال فكأن كواكبه لا تسير .

٣١٣٦ قال : وبيتُ عَبِيد في الاستعفاف :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ ... وسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

٣١٣٧ قال : وبيتُ مَنْجوف بن مُرَّة السُّلَمي في الاحتفاظ بالمال :

وأدْفَعُ عَنْ مَالِيَ الحُقُوقَ وإنَّهُ ... لَجَمٌّ فإنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مَصَائِبُهْ

٣١٣٨ قال : وبيتُ الحُطَيئة في إكرام النفس :

وأُكْرِمُ نَفْسِيَ اليَوْمَ مِنْ[1] سُوءِ طِعْمَةٍ ... ويَقْنَى الحَيَاءَ المَرْءُ والرُّمْحُ شَاجِرُهْ[2](١)

٢/١٩٣ ٣١٣٩ قال : وقولُ كَعْبٍ في الإقدام :

نَصِلُ السُّيُوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنَا ... قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ(٢)

٣١٤٠ قال : وبيتُ عمرو بن الإطْنَابة في الصبر :

وقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وجَاشَتْ ... مَكَانَكِ تُحْمَدِي أوْ تَسْتَرِيحِي(٣)

٣١٤١ وأحسنُ من هذا عندي قولُ قَطَري(٤) :

وقَوْلي كُلَّما جَشَأَتْ لِنَفْسي ... مِنَ الأبْطَالِ وَيْحَكِ لا تُرَاعي

فإنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ ... مِنَ الأجَلِ الَّذي لَكِ لَمْ تُطَاعي

٣١٤٢ قال : وبيتُ مِسكين الدَّارِمي في الجود :

طَعَامي طَعَامُ الضَّيْفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ ... ولَمْ يُلْهِني عَنْهُ الغَزَالُ المُقَنَّعُ(٥)

---

(1) كب ، مص : عن .   (2) كب : شاجر .

---

(١) يقال : هو سيء الطُّعمة ، أي سيء المكسب . ويقنى الحياء : يلزمه . يقول : إنه لا يرضى أن يطعم طعاماً يشعر فيه بالذل ، فالكريم النفس يلزم الحياء والتعفف مهما اشتدت به النوازل ، وكنى عن سوء الحال بقوله : والرمح شاجره ، أي قد طعن فيه .

(٢) يقول : إذا قَصُرت السيوف عن الضريبة تقدموا فلحقوا . والإلحاق : الإدراك .

(٣) مضى برقم ٦٠٤ كتاب الحرب .

(٤) مضى البيتان برقم ٦٠٣ كتاب الحرب .

(٥) سيأتي البيت برقم ٥١٠٩ كتاب الطعام دون عزو .

لم يلهني : لم يشغلني . والمقنع : الذي لبس المقنع والمقنعة ، وهي من لباس المرأة في الرأس . وعنى بالغزال المقنع امرأته .

٣١٤٣ قال : وفي[1] حُسْن الجِوار قولُه(١) :

نــارِي ونَــارُ الجَــارِ واحِــدَةٌ ... وإلَيْــهِ قَبْلِــي تُنْــزَلُ القِــدْرُ

مــا ضَــرَّ جَــاراً لــي أُجَــاوِرُهُ ... أَلَّا يَكُــونَ لِبَــابِــهُ سِتْــرُ(٢)

٣١٤٤ قال : وممن رضي بالقليل جَميلٌ ، قال :

أُقَلِّبُ طَرْفي في السَّمَاءِ لَعَلَّهُ ... يُوَافِقُ طَرْفي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

١٩٤/٢

٣١٤٥ وقولُ الآخر :

أَلَيْسَ اللَّيْـلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرٍو ... وإيَّـانَـا فَـذَاكَ بِنَـا تَـدَانِـي

تَـرَى وَضَـحَ النَّهَـارِ كَمَـا أَرَاهُ ... ويَعْلُوهَا النَّهارُ كَمَا عَلاني

٣١٤٦ قال : وبيتُ عمرو بن كُلْثوم في الجهل :

أَلَا لا يَجْهَلَــنْ أحَــدٌ عَلَيْنَــا ... فنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

٣١٤٧ قال : وبيتُ النابغة في ترك الإلحاح :

واسْتَبْقِ[2] وُدَّكَ لِلصَّدِيقِ ولا تَكُنْ ... قَتَباً يَعَضُّ بغَارِبٍ مِلْحَاحَا(٣)

٣١٤٨ قال : وفي إدراك الثأر ، قولُ مُهَلْهِل :

لَقَــدْ قَتَلْــتُ بَنــي بَكْــرٍ بِــرَبِّهِــمُ ... حَتَّى بَكَيْتُ وما يَبْكي لَهُمْ أحَدُ(٤)

٣١٤٩ قال : وبيتُ عُرْوة بنِ الورد ، في تبليغ العذر في الطلب :

لِتُبْلِــغَ عُــذْراً أوْ تُفيــدَ غَنِيمَــةً ... ومُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ(٥)

٣١٥٠ قال : وبيتُ جميل ، في إنفاقِ المالِ والتوكلِ على الله تعالى :

---

(1) كب : من .   (2) كب ، مص : فاستبق .

---

(١) سيأتي البيتان برقم ٥١١١ كتاب الطعام .

(٢) قيل : كان لمسكين الدارمي امرأة تماظه ، أي تخاصمه وتشاتمه وتنازعه ، فلما قال البيتين قالت له : أجل ، إنما ناره ونارك واحدة لأنه أوقد ولم توقد ، والقدر تنزل إليه قبلك لأنه طبخ ولم تطبخ ، وأنت تستطعمه (الديوان ٤٥) .

(٣) القتب : رحل صغير على قدر السنام . والغارب من الدواب : ما بين العنق والصهوة فوق الكتف ، ويقال للملح الكثير السؤال المديمه : هو قتب يعض بالغارب ، وقتب ملحاح .

(٤) الرب : رئيس القوم .

(٥) مضى البيت برقم ١٠٩٢ كتاب السؤدد منسوباً إلى أوس بن حجر .

كُلُـوا اليَـوْمَ مِـنْ رِزْقِ الإلٰـهِ وأبْشِـرُوا   فـإنَّ عَلَـى الـرَّحْمَـنِ رِزْقَكُـمُ غَـدَا

٣١٥١ قال : وفي الشجاعة ، قولُ العباس بن مِرْداس :

أَشُـدُّ عَلَـى الكَتِيبَـةِ لا أُبَالِـي   أَحَتْفِـي كَـانَ فِيهَـا أَمْ سِـوَاهَـا

٢/ ١٩٥ ٣١٥٢ قال : وبيت عَبيد[1] في المال وتثميره :

قَلِيـلُ المَـالِ تُصْلِحُـهُ فَيَبْقَـى   ولا يَبْقَـى الكَثِيـرُ عَلَـى الفَسَـادِ

٣١٥٣ وأخبرنا دِعْبل بن علي الشاعر ، قال : أهجى بيتٍ قيل قولُ الطِّرِمَّاح في تميم :

تَمِيـمٌ بِطُـرْقِ اللُّـؤْمِ أَهْـدَى مِـنَ القَطَـا   ولَـوْ سَلَكَـتْ طُـرْقَ المَكَـارِمِ ضَلَّـتِ(١)

٣١٥٤ قال : وكذلك قولُ الأخطل(٢) :

قَـوْمٌ إذا اسْتَنْبَـحَ الأضْيَـافُ كَلْبَهُـمُ   قَـالُـوا لأُمِّهِـمُ بُـولِـي عَلَـى النَّـارِ(٣)

٣١٥٥ قال : وكذلك قولُ الحُطَيئة للزِّبْرِقان ، في قِصَر الهِمَّة(٤) :

دَعِ المَكَـارِمَ لا تَـرْحَـلْ لِبُغْيَتِهَـا   واقْعُـدْ فـإنَّـكَ أَنْـتَ الطَّـاعِـمُ الكَـاسِي

٣١٥٦ قال غيره : وقولُ الطِّرِمَّاح في القِلَّة والخُمول :

لَـوْ كَـانَ يَخْفَـى عَلَـى الـرَّحْمَـنِ خَـافِيَـةٌ   مِـنْ خَلْقِـهِ خَفِيَـتْ عَنْـهُ بَنُـو أَسَـدِ

---

(1) مص : المتلمس .

---

(١) طرق : جمع طريق ، وهي ساكنة الراء لضرورة الوزن في البيت ، والأصل فيها بضم الراء . والقطا : نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء ، ويضرب المثل به في الهداية (انظر ما مضى برقم ٢٤٢٨ كتاب الطبائع) ، والبيت سائر مشهور .

(٢) يهجو بني يربوع رهط جرير .

(٣) المستنبح : ابن السبيل ، وكان الرجل إذا سرى ليلاً ، فضل في الليلة الظلماء ، ولم يهتد إلى مكان البيوت ، نبح عندئذ نباح الكلب لتجيبه الكلاب ، فيعرف بصوتها مكان الحي فيقصده ، فيقال : استنبح الضيف الكلاب . وفي العمدة ٢/ ١٧٥ : فنسبهم بالبخل بوقود النار لئلا يهتدي بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة . ورماهم بالبخل بالحطب ، وأخبر عن قِلَّتها ، وأن بَوْلة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهي أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالهم في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم في الماء .

(٤) مضى البيت برقم ١٠٨٤ كتاب السؤدد .

٣١٥٧ ونحوه قولُ الآخر(١) :

وأنـتَ مَليـخٌ كَلَحْـمِ الحُـوَا ... رِ لا أنتَ حُلْوٌ ولا أنتَ مُرّْ(٢) .

٣١٥٨ وكذلك قولُ جريرٍ في التَّيْم :

١٩٦/٢

وإنَّـكَ لَـوْ رَأَيْـتَ عَبِيـدَ تَيْـمٍ ... وتَيْمـاً قُلْـتَ أيُّهُمَـا العَبِيـدُ

ويُقْضَى[1] الأمْرُ حِينَ تَغيبَ تَيْمٌ ... ولا يُسْتَـأذَنُـونَ وهُـمْ شُهُـودُ

٣١٥٩ وأحسن ما قيل في الهيبة(٣) :

يُغْضي حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَـا يُكَلَّـمُ إلَّا حِيـنَ يَبْتَسِـمُ

٣١٦٠ وأغرب ما قيل في مصلوبٍ قولُ محمد بن أبي حَمْزَة مولى الأنصار :

لَعَمْـرِي لَئِـنْ أصْبَحْـتَ فَـوْقَ مُشَـذَّبٍ ... طَـوِيـلٍ تُعَفِّيـكَ الـرِّيـاحُ مَـعَ القَطْـرِ(٤)

لَقَـدْ عِشْـتَ مَبْسُـوطَ اليَـدَيْـنِ مُـرَزَّأً ... وعُوفِيتَ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ(٥)

وأُفْلِـتَّ مِـنْ ضِيـقِ التُّـرَابِ وغَمِّـهِ ... ولم تَفْقِدِ الدُّنْيا فهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ

٣١٦١ وأغرب ما قيل في مجوسي قولُ أعرابي :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ المُشَاشِ ... وأنَّـكَ بَحْـرٌ جَـوَادٌ خِضَـمّْ[2](٦)

وأنَّـكَ سَيِّـدُ أهْـلِ الجَحِيـمِ ... إذَا مـا تَـرَدَّيْـتَ فيمَـنْ ظَلَـمْ

٣١٦٢ ومِنْ أغرب ما قيل في دَعِيٍّ(٧) قولُ إبراهيم بن إسماعيل البنوي :

لَوْ أنَّ مَوْتَى تَميمٍ كُلِّهَا نُشِرُوا ... وأنْبَتُـوكَ لَقِيـلَ الأمْـرُ مَصْنُـوعُ

---

(1) كب : تقضى .   (2) كب : خصم .

---

(١) سيأتي برقم ٥١٨٧ كتاب الطعام .

(٢) مليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذي ينحر حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . والحوار : ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يُفطم .

(٣) مضى برقم ١٥٦٥ كتاب السؤدد .

(٤) مشذب : أي جذع مشذب ، قُشِّر ما عليه من الشوك ، عنى مكان صلبه . تعفيك : تعفو أثرك ، أي تذهبه . والقطر : المطر .

(٥) المرزأ : الكريم ، يصيب الناس خيره ، فكأنهم يأخذون منه ما يعز عليه .

(٦) يقال : هو طيب المشاش ، إذا كان براً كريم النفس . والخضم : السيد الحمول المعطاء .

(٧) الدعي : المتهم في نسبه .

مثْلُ الجَدِيدِ إذَا ما زِيدَ في خَلَقٍ تَبَيَّنَ النَّاسُ أنَّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ[1]

٣١٦٣ ونحوه قولُ الآخر :

أجَارَتَنَا بَانَ الخَلِيطُ فأَبْشِرِي فَمَا العَيْشُ إلَّا أنْ يَبِينَ خَلِيطُ[2]

أعَاتِبُهُ في عِرْضِهِ لِيَصُونَهُ ولا عِلْمَ لي أنَّ الأميرَ لَقِيطُ

١٩٧/٢ ٣١٦٤ ونحوه قولُ دِعْبل في مالك بن طَوْق[3] :

النَّاسُ كُلُّهُمُ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ ما بَيْنَ ذِي فَرَحٍ مِنْهُمْ ومَهْمُومِ

ومَالِكٌ ظَلَّ مَشْغُولاً بِنِسْبَتِهِ يَرُمُّ مِنْهَا خَرَاباً غَيْرَ مَرْمُومِ[4]

يَبْنِي بُيُوتاً خَرَاباً لا أنِيسَ بِهَا ما بَيْنَ طَوْقٍ إلى عَمْرِو بْنِ كُلْثُومِ

* * *

---

(١) الخلق : البالي .

(٢) بان : فارق وارتحل . والخليط : القوم يجتمعون فيخالطون غيرهم ، وكثر ذكره في أشعارهم ، لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع قبائل شتى في مكان واحد ، فتقع بينهم ألفة ومودة ، فإن حان رجوعهم إلى أوطانهم ساءهم ذلك . هذا هو الأصل المتعارف المشهور ، لكن الشاعر عكس ذلك في هذا البيت .

(٣) مالك بن طوق التغلبي والي دمشق للمتوكل سنة ٢٣٢ ، من أحفاد الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة المشهورة ، المملوءة بالإباء والفخر ، وقد بقي التغلبيون يعتزون بهذه المعلقة ويتناشدونها حتى هجوا بذلك .

(٤) رم الشيء يرمه رَماً : أصلحه .

التَّلَطُّف في الكلام والجواب ، وحسن التعريض

٣١٦٥ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال :

تَرَك عَقيلٌ عَلياً ، وذهب إلى معاوية ، فقال معاوية : يا أهلَ الشام ، ما ظنُّكم برجلٍ لم يصلُحْ لأخيه ؟ فقال عَقيل : يا أهل الشام ، إنَّ أخي خيرٌ لنفسه وشرٌّ لي ، وإن معاوية شرٌّ لنفسه وخيرٌ لي .

٣١٦٦ قال : وقال معاوية يوماً : يا أهلَ الشام ، إن عمَّ هذا أبو لَهَب ؛ فقال عَقيل : يا أهلَ الشام ، إن عمة هذا حَمَّالة الحَطَب .

وكانت أم جميل امرأةَ أبي لَهَب ، وهي بنت حَرْب .

٣١٦٧ وحَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : حَدَّثنا أبو هِلال ، عن قَتادة ، قال :

قال عُبَيْد الله بن زياد لقَيْس بن عَبَّاد : ما تقول فيَّ وفي الحسين ؟ فقال : أعْفني أعفاك الله . فقال : لَتَقُولَن . قال : يجيء أبوه يومَ القيامة فيشفَعُ له ، ويجيء أبوك فيشفَعُ لك . قال : قد علمتُ غِشَّك وخُبْثك ، لئن فارقتني يوماً لأضَعَنَّ بالأرض أكثَرَك شَعْراً[1] .

٣١٦٨ قيل لميمون بن مِهْران : كيف رِضاك عن عبد الأعلى ؟ قال : نِعْمَ المرءُ عَمْرُو بن ميمون[2] .

٣١٦٩ مَرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان [يلعبون] وفيهم عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ ، ففروا ووَقَف ، فقال له عمر : ما لكَ لم تَفِرَّ مع أصحابك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أجْرَم فأخافَكَ ، ولم يكن بالطريق ضِيقٌ فأُوسعَ لك .

٣١٧٠ حَدَّثني الفَضْل بن محمد بن منصور بن زياد ـ كاتب البرامكة ـ، قال: قال عبد الله بن طاهر ذاتَ يوم لرجلٍ أمَّرَه بعملٍ: احْذَر أن تُخْطيء فأعاقبَك بكذا [وكذا]. ـ لأمرٍ عظيم ـ ١٩٨/٢

(١) المفارقة : الخروج عن الطاعة . وأراد بأكثرك شعراً : رأسه .

(٢) عبد الأعلى ، وعمرو ، ثقتان ، كلاهما من أولاد ميمون بن مهران . وكلام ميمون عن ابنه عبد الأعلى من لطيف العبارة في علم التعديل والجرح .

فقلتُ[1] له : أيها الأمير ، من كانت هذه عقوبتَه على الخطأ فما ثوابُه على الإصابة ؟!

٣١٧١ رأى رجلٌ من قريش رجلاً له هيئةٌ رَثَّـة ، فسأل عنه ، فقالوا : مِنْ تَغْلِب ؛ فوقف له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رِجْلين قَلَّما وَطِئتا البطحاء . فقال له : البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة ، وهي لي دونك . وبطحاء ذي قار ، وأنا أحق بها منك . وهذه البطحاء ، و ﴿ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾(١) [الحج : ٢٥] .

٣١٧٢ حَدَّثني سَهْل ، عن الأصْمَعي ، عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره :

أنَّ معاوية عَرَض فرساً على عبد الرحمن بن حسان ، فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجَشَّ هَزِيماً . يريد قولَ النَّجَاشي :

ونَجَّى ابْنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلاَلَةٍ[2] أجَشُّ هَزِيمٌ والرِّمَاحُ دَوَاني(٢)

٣١٧٣ حَدَّثني محمد بن عبد العزيز ، قال : حَدَّثنا أبو سَلَمة ، عن حَمَّاد بن سَلَمة ، قال : أخبرنا داودُ بن أبي هند :

عن محمد بن عَبَّاد المخزومي ، أن قريشاً قالت : قَيِّضُوا لأبي بكر رجلاً يأخذه . فقَيَّضُوا له طَلْحة بنَ عُبيد الله ، فأتاه وهو في القوم فقال : يا أبا بكرٍ ، قم إليَّ . قال : إلاَمَ تدعوني ؟ قال : أدعوكَ إلى عبادة اللاَّتِ والعُزَّى . قال أبو بكر : مَنِ اللاَّتُ ؟ قال : بناتُ الله . قال : فمَنْ أُمُّهم ؟ فسكتَ طلحةُ ، وقال لأصحابه : أجيبوا صاحبَكم . فسكتوا ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسولُ الله . فأخذ أبو بكر بيده ، فأتى به النبيَّ ﷺ ، فأسلم(٣) .

١٩٩/٢

٣١٧٤ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، عن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عُبيد الله بن عمر ، أنَّ عُمَرَ قال : من يُخبرنا عن قَنْدَابِيل[3](٤) ؟ فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، ماؤها وَشَلٌ ، وتَمْرُها دَقَلٌ(٥) ، ولِصُّها بَطَلٌ ؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا ، وإن كان بها القليلُ ضاعوا.

---

(1) كب ، مص : قلت .
(2) كب : غلالة .
(3) كب : فندابيل ، تصحيف .

---

(١) مضى برقم ٩٦٢ كتاب الحرب .
(٢) مضى البيت برقم ٧٦٩ كتاب الحرب .
(٣) إسناد الخبر حسن . وقيضوا : هيئوا وانتخبوا له من يرده عن إسلامه .
(٤) قندابيل : مدينة بالسند .
(٥) الوشل : القليل ، وهي من الأضداد . والدقل : أردأ التمر .

قال عمر : لا يسألني اللهُ عن أحدٍ بعثتُه إليها أبداً .

٣١٧٥ حَدَّثني أبو حاتم ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، قال :

مَرِض زيادٌ فدَخَل عليه شُرَيح ، فلما خَرَج بَعَث إليه مسروق [يسأله] : كيف تركتَ الأمير ؟ قال : تركته يأمُرُ ويَنْهَى . فقال [مسروق] : إن شُرَيحاً صاحبُ [تعريضٍ] عَوِيصٍ ، فسَلُوه . قال : تركتُه يأمُر بالوصية ، ويَنْهى عن البكاء .

٣١٧٦ وماتَ ابنٌ لشُرَيح ولم يشْعُر به أحدٌ ، فغدا عليه قومٌ يسألون به ، وقالوا : كيف أصبح مَنْ تَصِل يا أبا أمية ؟ فقال : الآن سَكَن عَلَزُه ، ورجاه أهْلُه[١] .

٣١٧٧ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : حَدَّثني بعضُ الأعراب ، قال :

هَوِي رجلٌ امرأةً ، ثم تزوَّجها ، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزِقاً مِنْ خَمْر ، فشَرِب الرسولُ في الطريق بعضَ الخمر وذَبَح شاةً ، فقالت للرسول لما أراد الانصراف : اقرأ على مولاك السلامَ ، وقل له : إنَّ شهرنا نَقَص يوماً ، وأنَّ سُحَيماً راعي شائنا أتانا مَرْثوماً[٢] . فلما أتى مولاه ، فأخبره ، ضربه حتى أقَرَّ . ٢/٢٠٠

٣١٧٨ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : خَطَب أعرابي إلى قومٍ ، فقالوا : ما تبْذُل مِنَ الصَّدَاق ؟ وارتفع السَّجْف[٣] ، فرأى شيئاً كَرِهَه ، فقال : والله ما عندي نَقْد ، وإني لأكره أن يكون عليَّ دَيْن .

٣١٧٩ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن الأصْمَعي ، قال :

قال سَلْم بن قتيبة للشَّعْبي : ما تشتهي ؟ قال : أعزُّ مفقودٍ ، وأهْونُ موجود . قال : يا غلام ، اسْقِهِ ماءً .

٣١٨٠ المدائني ، قال : كان لابن عَوْنٍ ابنُ عَمٍّ يُؤذيه ، ولاحاه يوماً فقال له ابنُ عونٍ لما بلغ منه[٤] : لتسكُتَنَّ أو لأشتِمَنَّ مُسيلمة .

فشَهِد بعد ذلك عند عُبَيد الله بن الحسن ، فردَّ شهادتَه .

٣١٨١ المدائني قال : قال المُغيرة بن شُعْبة : ما خَدَعني أحدٌ قطُّ غيرُ غلامٍ من بلحارث بن

---

(١) يقال : سأله بكذا ، وعن كذا : استخبره عنه . والعلز : القلق والكرب عند الموت .

(٢) المرثوم : المكسور ، يقال : رثم أنفه ، إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٣) السجف : الستر .

(٤) لاحاه : نازعه وخاصمه وقاوله وشاتمه وباغضه وسابه . وبلغ منه وبه : استقصى في شتمه وأذاه ، فبلغ منه كل مبلغ .

كعب ، فإني ذكرتُ امرأةً منهم ، فقال : أيُّها الأمير ، لا خيرَ لك فيها ، إني رأيتُ رجلاً قد خَلا بها يُقَبِّلُها .

ثم بلغني بعد أنه تزوَّجها ، فأرسلتُ إليه فقلت : ألم تُعْلِمَني أنك رأيتَ رجلاً يُقَبِّلُها ؟ فقال : بلى ، رأيتُ أباها يُقَبِّلُها .

٢/ ٢٠١ ٣١٨٢ قال المدائني : أتَى شُرَيحاً القاضي قومٌ برجلٍ ، فقالوا : إنَّ هذا خَطَب إلينا فسألناه عن حرفته ، فقال : أبيع الدواب ؛ فلما زوَّجْناه ، فإذا هو يبيع السنانير(١) . قال : أفلا قُلْتُم : أيَّ الدوابِّ تبيع ؟! وأجاز ذلك .

٣١٨٣ المدائني ، قال : دخل[1] رجلٌ على عيسى بن موسى وعنده ابنُ شُبْرُمة ، فقال له : أتعرفه ؟ [وكان الرجل قد رمي عند بريبة] ، قال : نعم ، إنَّ له بيتاً وشَرَفاً وقَدَماً . [فخلَّى سبيله] ، فلما خرج قال له أصحابه : أعَرَفته ؟ قال : لا ، ولكني أعلم أنَّ له بيتاً يأوي إليه ، وشَرَفُه أُذُناه ومَنْكِباه ، وقَدَمُه هي قَدَمُه التي يمشي عليها .

٣١٨٤ المدائني ، قال : سُئل الشَّعْبي عن رجل ، فقال : إنه لنافذ الطَّعْنة ، رَكينُ القِعْدة . يعني أنه خياط(٢) .

٣١٨٥ المدائني ، قال : أُتي العُرْيانُ بنُ الهيثم بشابٍّ سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لا يَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ ... وإنْ نَـزَلَـتْ يَـوْمـاً فَسَـوْفَ تَعُـودُ

تَرَى النَّاسَ أفْوَاجاً إلى ضَوْءِ نَارِهِ ... فَمِنْهُـمْ قِيـامٌ حَـوْلَهَـا وقُعُـودُ

فظن أنه من بعض أشراف الكوفة فخلاَّه ، ثم ندِم على ألَّا يكون سأله مَنْ هو ، فقال لبعض الشُّرَط : سَلْ عن هذا . فسأل ، فقالوا : هو ابن بَيّاعِ الباقِلَّى(٣) .

٣١٨٦ دخل حارثة بن بدر الغُدَاني على زياد ، وكان حارثةُ صاحبَ شرابٍ وبوجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة[2] : أصلح الله الأمير ، رَكِبتُ فَرَساً

---

(1) عوَّلنا على ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/ ٤٦٦ في قراءة النص ، وستأتي مصادر الخبر في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(2) كب : زياد .

---

(١) السنانير : جمع السنور ، وهو الهر .

(٢) تمام الخبر : فأتوه ، فقالوا : غَرَّرْتنا . فقال : ما فعلتُ ! وإنه لكما وصفتُ .

(٣) الباقلى : الفول .

لي أشقر فحَمَلني حتى صَدَم بي الحائط . فقال زياد : أمَا إنك لو ركبتَ الأشهبَ لم ٢٠٢/٢
يُصبك مكروه .

عنَى زيادُ اللبنَ ، وعنى حارثةُ النبيذَ .

٣١٨٧ قَعَد قومٌ على نبيذٍ فسَقَط ذُباب في قَدَحِ أحَدِهم ، فقال رجلٌ منهم : غَطِّ التميميَّ .
فقال : غَطِّه ، فإن كان تميمياً رَسَب ، وإن كان أزدياً طَفَا . فقال[1] ربُّ المنزل :
ما يَسُرُّني أنه كان[2] نَقَصَكم حرفاً .

وإنما عَنَى أنَّ أزْدَ عُمَان مَلاَّحون[(١)] .

٣١٨٨ المدائني ، قال : رأى رجلٌ في يد امرأةٍ كانتْ تأتيه خاتَمَ ذَهَبٍ ، فقال لها : ادفعي
إليَّ خاتمك أذْكُرُكِ به . فقالت : إنه ذَهَبٌ ، وأخاف أن تَذْهب ، ولكن خذ هذا العُود
لعلك تَعُود .

٣١٨٩ حَدَّثني الزِّيادي ، قال : حَدَّثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عبد العزيز بن صُهَيب :
عن أنس ، قال : أقبل النبيُّ ﷺ إلى المدينة مُرْدِفاً أبا بكر[3] ، [وأبو بكر] شيخٌ
يُعْرَف ، ورسولُ اللهِ شابٌّ لا يُعْرف ؛ فيَلْقَى الرجلُ أبا بكر ، فيقول : يا أبا بكر ، مَنْ
هذا [الرجلُ الذي] بين يديك ؟ فيقول : [هذا الرجل] يهديني السبيل .

فيَحْسِب السامع أنه يهديه الطريق ، وإنما يعني سبيلَ الخير[(٢)] .

٣١٩٠ كان سِنان بن مُكَمَّل النُّمَيري يُساير ابنَ هُبَيرة يوماً وهو على بغلة ، فقال له عمر بن
هُبَيرة : غُضَّ من [عِنان] بغلتك[(٣)] . قال : كلا ، إنها مكتوبة .

أراد ابنُ هُبَيرة قولَ الشاعر :

---

(1) كب ، مص : قال . (2) مص : قال بعضكم .
(3) كب ، مص : أبا بكر شيخاً يعرف .

---

(١) غطه : غَطِّسه وغَمِّسه في القدح وغوِّصْه فيه . وكان رب المنزل عَدَوْلي من البحرين يتعصب لتميم .
(٢) إسناده حسن ، والخبر صحيح ، له طريق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
شيخ يعرف : أي قد شاب شعر رأسه ، وكان أبو بكر يعرفه أهل المدينة لمروره عليهم أثناء سفره
للتجارة . شاب : أي من حيث عدم انتشار الشيب في رأسه ، وإلا فهو ﷺ أسن من أبي بكر رضي الله
عنه . لا يعرف : لم يعرفه الناس لعدم خروجه من مكة غالباً ، وعدم التقائه بهم .
(٣) العنان : اللجام ، وهو السير الذي تمسك به الدابة . ويقال : غض من لجام فرسك ، أي صَوِّبه وانْقُص
من غَرْبه وحدته .

٢/ ٢٠٣ فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابَا[1]

وأراد سِنان قولَ الآخر :

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِياً خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلُوصِكَ واكْتُبْهَا بأسْيَارِ[2]

٣١٩١ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : قال معاوية للأحنف : يا أحنف ، ما الشيء المُلَفَّفُ في البِجاد ؟ فقال : هو السَّخينة يا أمير المؤمنين .

أراد معاويةُ قولَ الشاعر :

إذَا مـا مَـاتَ مَيْـتٌ مِـنْ تَمِيـمٍ فَسَـرَّكَ أنْ يَعِيـشَ فَجِـيءْ بِـزَادِ
بخُبْـزٍ أوْ بتَمْـرٍ أوْ بسَمْـنٍ أوِ الشَّيْءِ المُلَفَّفِ في البِجَادِ[3]

وأراد الأحنف أن قريشاً تُعَيَّر بأكل السَّخينة[4] .

٣١٩٢ المدائني ، قال : سأل الحَرَسي[5] أبا يوسف القاضي عن السواد ، فقال : النور في السواد .

يعني نورَ العينين في سواد الناظر .

٣١٩٣ المدائني ، قال : لقي شيطانَ الطَّاقِ[6] خارجيٌّ فقال : ما أفارقك أو تبرأ من عليٍّ .

فقال : أنا من عليٍّ ومن عثمان بريءٌ .

يريد أنه من علي ، وبريء من عثمان .

٣١٩٤ سَمِع عمر بنُ الخطاب امرأةً في الطَّوَاف تقول :

---

(١) البيت لجرير في الراعي النميري عُبيد بن حُصين ، وقومه بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأخوه كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . يثني على بني عمومته ، ويذم قومه بني نمير . وقصيدة جرير هذه تسميها العرب الفاضحة ، وسماها جرير الدمَّاغة أو الدَّامغة . وسيأتي البيت برقم ٥٧٩١ كتاب النساء .

(٢) سيأتي البيت برقم ٣٢٤١ . والقلوص : الفتية من الإبل . وكتب الدابة والبغلة والناقة : خزم حياءها بحلقة حديد أو نحاس تضم شُفري حيائها ، لئلا ينزى عليها . وكانت فزارة ترمى بغشيان الإبل .

(٣) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب، وأراد وطب اللبن، يلف فيه ليحمى ويدرك. وكانت تميم تعير بها.

(٤) السخينة : طعام يتخذ من الدقيق ، دون العصيدة في رقته وفوق الحساء ، وإنما كانت تؤكل في شدة الدهر وغلاء السعر وهزال الأنعام ، فعيروا بأكلها .

(٥) الحرسي : الحارس ، واحد الحرس وهم خدم السلطان المرتبون لحفظه وحراسته .

(٦) شيطان الطاق : محمد بن النعمان الأحول ، صاحب الطائفة النعمانية ، من غلاة الشيعة . سكن حصن الطاق بطبرستان فنسب إليه .

فَمِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بعَذْبٍ مُبَرَّدٍ   نُقَاخٍ فَتِلْكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ(١)
ومِنْهُنَّ مَنْ تُسْقَى بأخْضَرَ آجِنٍ   أُجَاجٍ ولَوْلا خَشْيَةُ اللهِ فَرَّتِ(٢)

فعلم ما تشكو [منه] . فبَعَثَ إلى زوجها ، فوجده متغيِّرَ الفم ، فخيَّرَه بين خمسمائةِ درهمٍ أو جاريةٍ من الفَيْءِ ، على أن يطلِّقها . فاختار خمسمائة ، فأعطاه وطَلَّقَها . ٢/٢٠٤

٣١٩٥ حَدَّثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب ، قال : كنتُ واقفاً بهذا المكان ، وأقبلتِ امرأةٌ من هذه الناحية ، وغلامٌ من الناحية الأخرى أبيضُ الوجه رائعه . فنظرتْ[1] إليه المرأةُ ، ولما التقيا قالت له : ما اسمك يا فتى ؟ قال : محمد . قالت : ابن مَنْ ؟ قال : ابن زانة . وتَبَسَّم عن ثَغْرٍ أفْلَج(٣) مختَلَفٍ قبيح ، فقالت : وَاحَرَبَاه على ما قال ! فقلتُ لها : قد وقعتُ لكِ عليها . قالتْ : مِنْ أين ؟ قلتُ : مِنْ كُنْية أبي الخير النصراني كاتب سعيد الحاجب .

أراد أن الياء إذا نُقِلت عن أبي الخير إلى زانة ، صار هذا أبا الخر ، وصار هذا ابنَ زانية .

٣١٩٦ مَرَّ ابنُ أبي علقمة بمجلس بني ناجية ، فكَبَا حمارُه لوجهه ، فضحكوا ، فقال : ما يضحككم ؟ إنه رأى وجوه قُرَيشٍ فسَجَد .

٣١٩٧ قال عمرو بن بحر ، قال أبو الهُذَيل لمحمد بن الجَهْم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إني رجلٌ مُنخرِق الكَفِّ لا أُليق درهماً(٤) ، ويدي هذه صَنَاعٌ في الكَسْب ولكنها في الإنفاقِ خَرْقاء . كم من مائةِ ألفِ درهمٍ قَسَمتها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك ! أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ فقلت[2] : يا أبا الهُذَيل ، ما أشُكُّ فيما تقول .

قال : فلم يرضَ أن حَضَرْتُ حتى استشهدَني ، ولم يرضَ أن[3] استشهدني حتى استحلفني .

٣١٩٨ قال المدائني : بعث يزيد بن قَيْس الأرْحَبي ، وكان والياً لعليٍّ ، إلى الحسن ٢/٢٠٥

---

(1) كب ، مص : ونظرت . . فلما .   (2) كب ، مص : قال .
(3) كب ، مص : إذ .

---

(١) النقاخ : البارد العذب الصافي .
(٢) الآجن : المتغير الطعم واللون . والأجاج : شديد الملوحة والمرارة .
(٣) أفلج : متباعد ما بين الأسنان .
(٤) يقال : هو ما يليق درهماً : أي ما يمسك ، والالتياق : لزوم الشيء الشيءَ .

والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد انصرافه من الولاية وتَرَكَ ابنَ الحَنَفية ، فضَرب عليٌّ عليه السلام على جَنْب ابْنِ الحَنَفية ، وقال :

وما شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرو بِصَاحِبِكِ الَّذي لا تَصْبِحِينا[1][1]

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحَنَفية بهدية سَنِيَّة .

٣١٩٩ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال :

حدَّثنا موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مَرَّ رجلٌ بأعرابي يُوقِد في أصْلِ مِيلٍ ، فقال : كَمْ على الميل ؟ فقال : لستُ أقرأ ، ولكنَّ كِتابَه فيه . قال : وما كِتابُه ؟ قال : مِحْجَنٌ ، وحَلْقَةُ سِمْطٍ ، وثلاثةُ أطْبَاء ، وحَلْقَةٌ مُذَنَّبة .

يعني صورةَ خمسة[٢] .

٣٢٠٠ قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضُبَيعة هو الذي قيل فيه :

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ما تُقْرَعُ العَصَا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلَّا لِيَعْلَمَا[٣]

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملكُ أن يبعث رائداً يرتاد له منزلاً ينزِلُه ، فبَعَث بعمرٍو فأبطأ عليه ، فآلى الملكُ لئن جاء ذاماً أو حامداً ليقتلنّه . فلما جاء عمرٌو وسَعْدٌ عنده ، قال سَعْدٌ للملك : أتأْذَنُ لي فأكلِّمه ؟ قال : إذاً أقطع لسانَك . قال : فأُشير إليه ؟ قال : إذاً أقطع يدك . قال : فأُومِيءُ إليه ؟ قال : أقطعُ حِنْوَ عينك[٤] . قال : فأقرَعُ له العصا ؟ قال : إقْرَعْ .

٢٠٦/٢ فأخذ العصا ، فضرب به عن يمينه ، ثم ضَرَب بها عن شماله ، ثم هَزَّهَا بين يديه ، فلَقِنَ[٥] عَمْرٌو ، فقال : أبَيْتَ اللَّعْنَ ! أتيتُك من أرضٍ زائرُها واقف ، وساكنُها

---

(1) كب : تصحبينا .

---

(١) مضى بيت عمرو بن كلثوم برقم ٢٢٦٣ كتاب الطبائع .

(٢) الميل : منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها ليستدل بها على الطريق . ويريد بالمحجن : رأس الخاء . وبحلقة سمط : الميم . وبثلاثة أطباء : السين . وبحلقة مذنبة : الهاء . والأطباء جمع طبي (بكسر فسكون) حلمات الضرع التي فيها اللبن .

(٣) يقول : إنما يقبل التذكرة والموعظة ذو العقل .

(٤) حنو العين : حجاجها ، وهو العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

(٥) يقال : رجل لقن : سريع الفهم ، حسن التلقين لما يسمعه .

خائف ، والشَّبْعَى بها نائمة ، والمهزولةُ ساهرةٌ جائعة ، فلم[1] أر خِصْباً مَحَلاً ، ولا جَدْباً مُزِيلاً(١)[2] .

٣٢٠١ لما حُكِّم أبو موسى ، وقَدِم ليحكم ، دَسَّ معاويةُ إلى عَمْرٍو رجلاً ليعلَمَ علمَه وينظُرَ كيف رأيُه . فأتاه الرجلُ ، فكلَّمَه بما أمَرَه به ، فعَضَّ عَمْرٌو على إبهامه ولم يُجبه . فنَهَض الرجلُ ، فأتى معاوية فأخبره ، فقال : قاتله الله ! أراد أن يُعْلمني أني فَرَرْتُ قارحاً(٢) .

٣٢٠٢ وحَدَّثني[3] أبو حاتم ، قال : حَدَّثني الأصْمَعي ، قال : حَدَّثنا عيسى بن عمر ، قال:

سأل الحَجّاجُ جَبْرَ بنَ حبيب عن رجل ، وكره أن يعاقِبَه إن دَلَّ عليه ، فقال : تركتُه واللهِ جسداً يُحَرِّكُ رأسُه ، [و] يُصَبُّ في حَلْقِه الماء . واللهِ ، لئن حُمِلَ على سريرٍ ليكونَنَّ عاليه[4] عورة .

قال : فتركه .

٣٢٠٣ حَدَّثني القاسم بن الحسن ، عن خالد بن خِداش ، عن حَمَّاد ، عن مُجَالِد ، عن عُمَير بن روذى ، قال :

خَطَبنا عليٌّ عليه السلام ، فقال : لئن لم يَدْخُلِ الجنةَ إلَّا مَنْ قَتَل عثمانَ لا أدْخُلها ، ولئن لم يَدْخُل النار إلا مَنْ قَتَل عثمان لا أدْخُلها . فقيل له : ما صنعْتَ ! فَرَّقْتَ الناس ! ٢٠٧/٢

فخَطَبَهم ، فقال : إنكم قد أكثرتم في قتل عثمان ، أَلَا وإنَّ اللهَ قَتَلَه وأنا معه .

---

(1) كب ، مص : ولم .
(2) كب ، مص : مزلا ، تحريف .
(3) كب : فحدّثني، مص: حدّثني (بسقوط الواو).
(4) كب ، مص : عليه .

---

(١) المحل : الموضع الذي يُحَل فيه ، أي ينزل به . والمزيل : الذي لا يُنزل به ، من قولهم : أزاله عن مكانه ، إذا مازه وصرفه وفارقه عن موضعه . وقال ابن الأعرابي وأبو عبيدة وابن حبيب ، وغيرهم من الثقات : إن قيساً تدعي هذه الحكومة ، وإن ذا الحلم المشار إليه في البيت ، هو عامر بن الظَّرِب العَدْواني ، وكان حكيم العرب ، فلما كبر خيف عليه الخطأ ، فجعل له ولده أمارة يعرفها إذا أخطأ في الحكم ، فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه عصا ، فإذا زاغ أو هفا قرع له ابنه الجفنة فيرجع إلى الصواب . وإن ربيعة تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث ، واليمن تدعيه لربيعة بن مُخَاشن ، وهو ذو الأعواد .

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها . والقارح : الفرس إذا دخل في السادسة واستتم الخامسة ، وهو زمن تمام قوته ونشاطه . عنى أنه اختبر محنكاً .

قال : فحَدَّثنا خالد ، عن حَمَّاد ، عن حبيب بن الشهيد :

عن محمد بن سِيرِين ، قال : كلمةٌ عربية لها وجهان ؛ أي وسيقتلني معه .

٣٢٠٤ سأل زيادٌ رجلاً بالبصرة : أين منزلك ؟ فقال : وَسَطُها[1] . قال : ما لك من الولد ؟ قال : تِسْعة . فلما قام ، قيل لزياد : كَذَبك في كل ما سألْتَه ، ماله إلا ابنٌ واحد ، وإن منزلَه في [2]طَرَف البصرة[2] . فلما عاد إليه ، قال : ذكرتَ أنَّ لكَ تسعةً من الولد ، وأنَّ منزلَكَ بواسط [البصرة] ؟ قال : نعم . قال : خُبِّرْتُ بغير ذلك . قال : صَدَقْتُ وصَدَقُوك ، دفنتُ تسعةَ بنين فهم لي ، ولي اليوم ابنٌ واحدٌ ولستُ أدري أيكون لي أم لا . وأما منزلي فإلى جانب الجَبَّان(١) بين أهل الدنيا وأهل الآخرة ، فأيُّ منزلٍ أوسطُ منه ؟ قال : صدقتَ .

٣٢٠٥ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، عن عيسى بن عمر ، قال :

قال المختار لجنده: يا شرطةَ الله، لَيَخْرُجَنَّ إلى قريبٍ على الكعبة الحرام دابَّةٌ له ستُّ قوائمٍ، وله رأسٌ بلا عُنُقٍ. ثم التفتَ إلى رجلٍ إلى جانبه ، فقال : أعني اليَعْسُوب(٢) .

٣٢٠٦ كان إبراهيم إذا لم يُعْجبه الرجل ، قال : ما هو بأعجبَ الناسِ إليَّ .

٣٢٠٧ بلغني عن معاوية ، عن[3] حِبَّان ، عن المبارك بن فَضَالة :

عن عبد الله بن مسلم بن يَسَار ، قال : كان أبي إذا غَضِب على البهيمة ، قال : أكلتِ سماً قاضياً .

٢/٢٠٨ ٣٢٠٨ حَدَّثني زيد بن أَخْزَم[4] ، قال : حَدَّثنا أبو قتيبة ، قال: حَدَّثنا أبو المنهال البكراوي ، قال :

كان الحَسَنُ إذا أَخَذَ من لحيته شيءٌ ، قال : لا يكن بكِ السُّوء .

٣٢٠٩ وقيل للحسن : أتى رجلٌ صاحباً له في منزله وكان يُصَلي ، فقال : أدْخُلُ ؟ فقال في صلاته : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر : ٤٦] . فقال : لا بأس .

---

(1) كب ، مص : واسط .
(2 - 2) كب ، مص : بالبصرة .
(3) كب ، مص : بن حيان ، تحريف .
(4) كب : أخرم ، تصحيف .

---

(١) الجبان والجبانة (بالتشديد) : المقبرة ، وهي في الأصل الصحراء ، والمقابر عند العرب إنما تكون في الصحراء ، فهي من بابة تسمية الشيء بموضعه .
(٢) اليعسوب : ذكر النحل . والدابة تذكر وتؤنث .

٣٢١٠ كان محمد بن عليٍّ إذا رأى مُبتلًى أخفى الاستعاذة .

٣٢١١ وكان لا يُسْمَع من داره : يا سائل بورك فيك ، ولا يا سائل خذ هذا ؛ ويقول : سَمُّوهم بالحسن الجميل عبادَ الله ، فتقولون : يا عبدَ الله بُورك فيك .

٣٢١٢ قيل لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوةٌ مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم .

يعني للشمس .

٣٢١٣ كان رَشْمُ عمرَ بنِ مهران الذي يرشُم به على طعامه : اللهم احفظه ممن يَخْطَفه(١) .

٣٢١٤ خَرَج رجلٌ من بني أسد بإبلٍ له يسقيها ، ومعه ابنةٌ له جميلةٌ عاقلة ، حتى دُفِع إلى ماءٍ لبني فَزَارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سَقْي إبله ، فقالوا : على ألَّا تجأْجيءَ(٢) بها . قال : فإذاً لا تشربُ شُرْبَ خيرٍ . قالوا : إن رَضِيتَ وإلَّا فانصرفْ . فقالت له الجارية : اشْرُطْ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك . فأخذ الدلوَ ، وجعلتِ الجاريةُ ترتجز وتقول :

٢٠٩/٢

جَارِيَـةٌ شَبَّـتْ شَبَـابَ العُسْلُـجِ ذَاتُ وِشَاحَيْنِ وذَاتُ دُمْلُجِ(٣)
وذَاتُ ثَغْـرٍ أشْنَـبَ مُفَلَّـجِ وذَاتُ خَلْقٍ مُسْتَتِبٍّ مُدْمَجِ(٤)

في أبيات كثيرة ، فشربتِ الإبلُ حتى رَوِيتْ من غير أن جاْجأ بها .

٣٢١٥ وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدُهما لبناً حازراً(٥) ولا يتنحنح ، فلما شَرِبه تَقَطَّع في حَلْقه ؛ فقال[1] : كَبْشٌ أمْلَح . فقال صاحبُه : فَعَلَها وربِّ الكعبة(٦) . فقال : مَنْ

---

(1) كب ، مص : قال .

---

(١) الرشم : الختم ، يختم به الحبوب وأكداس الغلال .

(٢) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جيء جيء .

(٣) العسلج : الغصن الناعم . والوشاح : نسيج عريض يرصع بالجوهر ، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . والدملج : ما يشد على العضد من الحلي .

(٤) ثغر أشنب : جميل ، رقيق الأسنان ، أبيضها . والشَّنَب : ماء ورِقَّة يجري على الثغر ، ورقة وبَرْدٌ وعذوبة في الأسنان . والمفلج : المتباعد ما بين الأسنان ، وكانت المرأة تفعل ذلك للزينة والجمال . ومستتب : مستقيم . والمدمج : المكتنز غير المسترخي .

(٥) الحازر : الحامض ، يقال : هو حازر وحامز ، بمعنى واحد .

(٦) أي قد تنحنح .

فَعَلَها فقد[1] أفلح .

وكان ما تبايعا عليه كَبْشاً .

٣٢١٦ قال الأصْمَعي : قلتُ لأعرابي معه شاءٌ : لمن هذه الشَّاءُ ؟ فقال : هي لله عندي .

٣٢١٧ حَدَّثني أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا أبو داود ، عن عُمَارة بنِ زاذان :

قال : حَدَّثنا أبو الصهباء ، قال : قال الحَجَّاج لسعيد بن جُبَير : اخْتَرْ أيَّ قِتْلة شئتَ . فقال له : بل اخترْ أنت لنفسك ، فإن القِصاص أمامك .

٣٢١٨ ولي هَرْثَمةُ الحرسَ مكانَ جعفرَ بنِ يحيى ، فقال له جعفر : ما انتقلتْ عني نعمةٌ صارتْ إليك .

٣٢١٩ أَمَر الحَجَّاجُ ابنَ القِرِّيَّة أن يأتي هندَ بنتَ أسماء فيُطَلِّقَها بكلمتين ، ويُمَتِّعَها بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، فأتاها فقال لها : إن الحَجَّاج يقول لكِ : كنتِ فبِنْتِ ، وهذه عشرةُ آلافِ مُتْعةً لك . فقالت : قل له : كنا فما حَمِدْنا ، وبِنَّا فما نَدِمْنا ، وهذه العشرةُ الآلاف[2] لك ببشارتك إياي بطلاقي(١) .

٢/ ٢١٠ ٣٢٢٠ سُئل سفيان بن عُيَينة عن قول طاوُس[3] في ذَكَاة السمك أو الجراد ، فقال ابنه عنه : ذَكَاتُه صيدُه(٢) .

٣٢٢١ اجتمع الناسُ عند معاوية ، وقام الخطباء لبيعة يزيد ، وأظهر قومٌ الكراهة ، فقام رجلٌ من عُذْرَة يقال له : يزيد بن المقنَّع ، واخترط من سيفه شبراً(٣) ، ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا ، ـ وأشار إلى معاوية ـ فإن يَهْلِكْ فهذا ، ـ وأشار إلى يزيد ـ فمن أبَى فهذا ، ـ وأشار إلى سيفه ـ . فقال معاوية : أنت سَيِّدُ الخطباء .

٣٢٢٢ قال رجلٌ من أهل الحجاز لابن شُبْرُمة : مِنْ عندنا خَرَج العلم [إليكم] . فقال[4] ابن شُبْرُمة : ثم لم يَعُدْ إليكم .

---

(1) كب ، مص : فلا .

(2) كب : آلاف .

(3) كب : طاووس .

(4) كب ، مص : قال .

---

(١) سيأتي خبر زواج الحجاج بهند برقم ٤٢٣٣ كتاب الإخوان .

(٢) الذكاة : الذبح أو النحر .

(٣) أي استله من غمده بمقدار شبر .

٣٢٢٣ قال المدائني : قال معاوية لابن عباس : أنتم يا بني هاشم تُصَابون في أبصاركم .
فقال ابن عباس : وأنتم يا بني أمية تُصابون في بصائركم .

٣٢٢٤ وقال له معاوية : ما أبينَ الشَّبَقَ في رجالكم . فقال : هو في نِساتكم أبْيَنُ .

٣٢٢٥ أبو اليقظان ، قال : قال ابنُ ظَبْيان التَّيْمي لزُرْعة بن ضَمْرة : لقد طلبتُك يوم الأهواز ولو ظَفِرْتُ بك لقطعتُ منك طابقاً شحيماً[1] . قال : أفلا أدُلُّك على طابقٍ هو أشْحَمُ وأحْوَجُ إلى القَطْع ؟ قال : بلى . قال : بَظْرٌ بين إسْكَتَيْ أُمِّك(١) .

٣٢٢٦ أبو اليقظان ، قال : بعث الحَجَّاجُ إلى الفُضيل بن بَزَوان العَدْواني ، وكان خَيِّراً ، من أهل الكوفة ، فقال : إني أريد أن أُوَلِّيَـك . قال : أوَ يُعفيني الأميرُ ؟ فأبى ، وكَتَب عَهْدَه(٢) ، فأخذه وخرج من عنده ، ورمى[2] بالعهد وهَرَب . فأُخِذَ وأُتي به الحَجَّاجُ ، فقال : يا عدوَّ الله . فقال : لستُ لله ولا للأميرِ بعدوٍّ . قال : ألم أكرمك ؟ قال : بل أردتَ أن تُهينني . قال : ألم أستعملك ؟ قال : بل أردتُ أن تستعبدَني . قال : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المائدة : ٣٣] الآية . ٢/٢١١
فقال : ما استوجبتُ واحدةً منهن . قال : كلُّ ذلك قد استوجبتَ بخِلافِك .
وأمَرَ رجلاً من أهل الشامِ أن يضرب عُنقه .

٣٢٢٧ سليمان بن أبي شيخ ، قال : حَدَّثني حُجْر بن عبد الجبار :
عن عبد الملك بن عُمَير ، قال : كان في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس بالكوفة في أربعِ زواياه كتابٌ بقلم جليلٍ : الوالي شديدٌ في غير عُنْف ، لَيِّن في غير ضعف ، الأعْطِيةُ لإبّانِها ، والأرزاقُ لأوقاتها ، البُعُوث لا تُجَمَّر(٣) ، المحسن يُجْزَى بإحسانه ، والمسيء يُؤْخذ على يديه .
كلما رفع رأسَه إلى زاويةٍ قرأ ما فيها .

٣٢٢٨ قال سليمان : وحَدَّثنا أبو سفيان الحِمْيَري ، قال : أبْلَى أبو جَهْم بنُ كِنانة يوم

---

(1) كب ، مص : سخنا . . . أسخن .   (2) كب ، مص : فرمى .

---

(١) الطابق: العضو. والبظر: عضو ضامر بين إسكتي الأنثى يقابله قضيب الذكر ، والإسكتان: جانبا الفرج.
(٢) العهد : الميثاق يُكتب الولاة .
(٣) الكتاب : الكتابة ، الاسم لما كُتب . إبان كل شيء : وقته وزمنه وحينه الذي يكون فيه . وتجمير البعوث : جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم .

الراوية ، فقال له الحَجَّاج : مَنْ أنت ؟ قال : أنا أبو جَهْم بنُ كِنانة . قال له الحَجَّاج : قد زدناك في اسمك ألفاً ولاماً ، فأنت أبو الجَهْم ، وزِدنا في عطائك ألفاً .

٣٢٢٩ العباس بن بَكَّار ، عن عُبَيد الله بن عمر الغَسَّاني ، عن الشَّعْبي ، قال :

قال معاوية لشَدَّاد بن أوس : يا شدَّاد ، أنا أفضل أم عليٌّ ، وأيُّنا أحبُّ إليك ؟ فقال : عليٌّ أقدمُ هِجرةً ، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقةً ، وأشجعُ منك قلباً ، وأسلمُ منك نَفْساً ؛ وأمَّا الحبُّ فقد مضى عليٌّ ، فأنت اليومَ عند الناسِ أرجى منه .

٣٢٣٠ قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنتَ أعْلَمُنا بيزيد في ليله ونهارِه ، وسِرِّه وعَلانيته ، فلا تُلْقمه الدنيا وأنتَ تذهب إلى الآخرة .

٢١٢/٢ ٣٢٣١ خَطَب الحَجَّاجُ فشكا سُوءَ طاعةِ أهلِ العراق ، فقال جامعُ المُحَاربي : أمَا إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنئوك(١) لنَسَبِك[1] ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدَعْ ما يباعدهم منك إلى ما يقرِّبُهم إليك ، والتمس العافيةَ مِمَّن[2] دونَكَ تُعْطَها مِمَّن فوقَكَ ، وليكن إيقاعُك بعد وَعِيدِك ، ووَعِيدُك بعد وَعْدِك . فقال الحَجَّاج : واللهِ ما أُراني أَرُدُّ بني اللَّكِيعة(٢) إلى طاعتي إلَّا بالسيف . فقال : أيها الأمير ، إن السيفَ إذا لاقى السيفَ ذَهَب الخِيار . قال الحَجَّاج : الخِيار يومئذٍ لله . قال : أجل ، ولكنك لا تدري لمن يجعلُه اللهُ . فقال : يا هَناه(٣) ، إنك من مُحارِب . فقال جامع :

وِلِلْحَــرْبِ سُمِّينَــا فَكُنَّــا[3] مُحَــارِبــاً إذا ما القَنَا أمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أحْمَرَا

فقال الحَجَّاج : والله لقد هَمَمتُ أن أخلع لسانَك فأضربَ به وجهَك . فقال له : يا حَجَّاج[4] ، إن صَدَقْناك أغضبناك ، وإن كَذَبناك أغضَبْنَا الله ، فغَضَبُ الأميرِ أهونُ علينا من غضب الله .

---

(1) كب : لنفسك .
(2) كب ، مص : فيمن .
(3) كب ، مص : وكنا .
(4) كب : فقال يا جامع ، وصححها في الهامش .

---

(١) الشناءة : البغض يكشف عنه الغيظ الشديد ، يقال : شَنِيء الشيء يَشْنَؤه ، إذا أبغضه بغضاً شديداً .
(٢) اللكيعة : الأمة اللئيمة ، ويقال للأحمق الدنيء : ابن اللكيعة .
(٣) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، فإذا ناديت مذكراً بغير التصريح باسمه قلت : يا هن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء ، فيقال للرجل : يا هناه أقبل . بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم ، وبكسرها لاجتماع الساكنين .

٣٢٣٢ قال الأصْمَعي : أخبرنا شيخٌ من قُضَاعة ، قال : ضَلَلْنا مرَّةً الطريق فاسترشَدْنا عجوزاً ، فقالت : استبْطِنِ الوادي ، وكن سيلاً حتى تبلُغَ .

٣٢٣٣ ابن الكلبي ، قال : كَتَبَ معاويةُ إلى قيس بن سعد : أمَّا بعد ، فإنما أنت يهوديٌّ بنُ يهوديٍّ . إنْ ظَفِرَ أحبُّ الفريقين إليك عَزَلَك واسْتَبْدَلَ بك ، وإنْ ظَفِرَ أبغضُهما إليك قَتَلَك ونَكَّلَ بك ، وقد كان أبوك أَوْتَرَ[1] غيرَ قَوْسِه ورمى غيرَ غَرَضِه(١) ، فأكثر الحَزَّ وأخطأ المَفْصِل(٢) ، فخَذَله قومُه ، وأدركه يومُه ، ثم مات طريداً بحوران ؛ والسلام. ٢١٣/٢

فكتب إليه قيس بن سعد : أما بعد ، فإنما أنتَ وَثَنٌ ابنُ وَثَنٍ ، دخلتَ في الإسلام كُرْهاً ، وخرجتَ منه طَوْعاً ، لم يَقْدُم إيمانُك ولم يَحْدُث نِفاقك ، وقد كان أبي وَتَّرَ قوسَه ورَمَى غَرَضَه ، فشَغَّبَ[2] عليه من لم يَبْلُغ كعبَه ولم يُشَقَّ غُبارَه(٣) ، ونحن أنصارُ الدِّين الذي خرجتَ منه ، وأعداءُ الدِّين الذي خرجتَ إليه ؛ والسلام .

٣٢٣٤ قال يحيى بن سعيد الأُمَوي : سمعتُ الأعمش يقول لخالد بن صفوان : شَعَرْتُ أنَّ منزلَكَ لا يُعرف إلا بي حتى يقالَ عند منزل الأعمش . فقال خالد : صدقتَ ، مثل حَمَّام عنترة .

ويقال : وردان وبيطار ، [وهما] حَيَّان .

٣٢٣٥ قال الربيع لشَرِيك بين يدي المهدي : بلغني أنك خُنتَ أميرَ المؤمنين . فقال شَرِيك : لو فعلنا ذلك لأتاك نصيبُك .

٣٢٣٦ قال رجل من العرب : أُرِيتُ البارحةَ في منامي كأني دخلتُ الجنةَ ، فرأيتُ جميعَ ما فيها مِنَ القُصُور ، فقلتُ : لِمَنْ هذه ؟ فقيل [لي] : للعرب . فقال [له] رجلٌ عندَه مِنَ الموالي : أَصَعِدتَ الغُرَف ؟ قال : لا . قال : فتلك لنا .

---

(1) كب ، مص : وتر قوسه ورمى غرضه . (2) كب ، مص : وشغب .

---

(١) الغرض : الهدف .

(٢) الحز : القطع من الشيء في غير إبانة ، وهم يقولون للمصيب : هو يجيد الحز ويصيب المفصل ، أو يقل الحز ويصيب المفصل .

(٣) شغب عليه : هيج عليه الشر والفتنة والخصام والخلاف . الكعب في الأصل : العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم ، وهما اثنان في كل قدم . ويقال : هو عالي الكعب ، أي شريف القدر ، عالي المنزلة . ولا يشق غباره : أي لا يدرك ، والعرب تقول : هو ما يُشَقّ غباره ، وما يُخَطّ غباره ، تقوله للسابق . وقيس بن سعد بن عبادة ولي مصر لعلي بن أبي طالب .

٣٢٣٧ وكَتَب قُتيبة بن مسلم إلى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : أما بعد ، فإنَّ غَشَمْشَم غَشَم[1] الشجر . فكَتَب إليه ابنُ ظَبْيان : من ذلك الشجر كان بَرْبَط أبيك(١) .

يعني مسلم بن عمرو ، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية .

٣٢٣٨ قال بحر بن الأحنف لجارية أبيه زَبْرَاء : يا فاعلة . فقالت : لو كنتُ كما تقول [لما] أتيتُ أباك بمثلك(٢) .

٣٢٣٩ وقال رجلٌ لابنه : يا بْنَ الفاعلة . فقال : والله لئنْ كنتَ صدقتَ ، ما فَعَلَتْ حتى وجَدَتْكَ فَحْلَ سَوْء .

٣٢٤٠ أتَتْ ابنةُ الخُسِّ[2] عُكَاظ ، فأتاها رجلٌ يَمْتَحِن عقلَها ويَمْتَحِن جوابَها ، فقال لها : إني أريد أنْ أسألكِ . قالتْ : هاتِ . قال : كاد . فقالت : المنتَعِلُ يكون راكباً . قال : كاد. قالت: الفقر يكون كُفْراً . قال : كاد . قالت : العَرُوس يكون[3] مَلِكاً(٣) . قال : كاد . قالت : النَّعَام[4] يكون طائراً . قال : كاد . قالت : السَّرَار يكون سَحَراً(٤) . ثم قالت للرجل : أسألك ؟ قال : هاتي . قالت : عجبتُ . قال : للسِّباخ لا يَنْبُت كلؤُها ولا يَجِفُّ ثَرَاها . قالت : عجبتُ . قال : للحجارة لا يكبَرُ صغيرُها ولا يَهْرَم كبيرُها . قالتْ : عجبتُ . قال : لشُفْرِك(٥) لا يُدْرَك قَعْرُه ولا يُمَلُّ[5] حَفْرُه .

---

(1) كب ، مص : عشمشم أعش ، تحريف (2) كب ، الخش ، تصحيف .
(3) كب، مص: تكون، وصححتها كب في الهامش. (4) كب ، مص : النعامة تكون .
(5) كب ، مص : يملأ .

---

(١) الغشمشم من الرجال : الجريء الماضي ، الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى من شجاعته ، فيَخْبِط الناس ويأخذ كل ما قدر عليه ، والأصل فيه من غشم الحاطب ، وهو أن يحتطب ليلاً فيقطع كل ما قدر عليه بلا نظر ولا فكر . عنى قتيبة قول الشاعر :

وقُلْتُ : تَجَهَّزْ فاغْشِمِ النَّاسَ سائلاً كما يَغْشِمُ الشَّجْرَاءَ بالليلِ حاطِبُ

والبَرْبَط : العود ، وهو من ملاهي العجم ، شُبِّه بصدر البط ، والصدر بالفارسية « بَرْ » فقيل : « بَرْبَط » (المعرب ٧١) .

(٢) مضى الخبر برقم ٢٣٢٣ كتاب الطبائع .

(٣) العرب تقول للرجل عروس ، وللمرأة أيضاً ، ويراد هاهنا الرجل . أي كاد يكون ملكاً لعزته في نفسه وأهله (أمثال الميداني ٢/١٥٩) .

(٤) السرار : الليلة التي يستسر فيها القمر ، أي يختفي ، وهي آخر ليلة من الشهر . والسحر : آخر الليل قبل الصبح .

(٥) الشفر : مكان العفة من المرأة .

٣٢٤١ المدائني قال : كان عُرَام[1] بن شُتَير عند عمر بن هُبَيرة ، فألقى إليه ابنُ هُبَيرة خاتَمه وفصُّه أخضر ، فعقد عُرَام في الخاتم سَيْراً .

أراد عمر قول الشاعر :

لَقَدْ زَرِقَتْ عَيْنَاكَ يا بْنَ مُكَعْبَرٍ كَمَا كُلُّ[2] ضَبِّيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ أَزْرَقُ

وأراد عُرَام :

لا تَـأْمَنَـنَّ فَـزَارِيـاً خَلَـوْتَ بِـهِ على قَلُوصِكَ واكْتُبْهَا بأَسْيَارِ (١)

٣٢٤٢ قال جرير للأخطل : أَرَّقْتُ نومَك ، واستهضمتُ قومَك . فقال[3] الأخطل : قد أرَّقْتَ نومي ، ولو نِمْتُ كان خيراً لك .

٣٢٤٣ أراد معاوية أن يخطُب بصِفِّينَ ، فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإنْ أتيتُ على ما تريد وإلَّا كنتَ مِنْ وراءِ ذلك . فأذِنَ له ، فتكلم بكلمات ، [و] قال : قَدِّموا المُسْتَلْئِمة ، وأخِّروا الحُسَّر ، كونوا مِقَصَّ الشارب (٢) ، أعيرونا أيديَكُمْ ساعةً ، قد بلغ الحقُّ مَفْصِلَه ، إنما هو ظالمٌ أو مظلوم . ٢/ ٢١٥

٣٢٤٤ حَدَّثني ابنُ أبي سعد ، عن محمد بن الحسن التَّسْنيمي[4] ، عن عبد الله بن أحمد الوَضَّاح[5] ، قال :

دخل أعرابيٌّ على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابيُّ صِفِ الخمر . فقال :

شَمُـولٌ إذا شُجَّـتْ وفـي الكَـأْسِ وَرْدَةٌ[6] لهـا فـي عِظَـامِ الشَّـارِبيـنَ دَبِيـبُ (٣)
تُـرِيـكَ القَـذَى مِـنْ دُونِهَـا وهْـيَ دُونَـهُ لِـوَجْـهِ أخِيهـا فـي الإنَـاءِ قُطُـوبُ

فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتَّهَمَك عندي حسنُ صفتِك لها . قال : يا أميرَ المؤمنين ، واتَّهَمَك عندي مَعْرِفتُكَ بحسن صفتي لها .

---

(1) كب : عذام ، (في جميع المواضع) ، تصحيف . (2) كب : كما ظل .
(3) كب ، مص : قال . (4) كب ، مص : التميمي ، تحريف .
(5) كب : بن الوضاح . (6) كب ، مص : مزة .

---

(١) مضى البيت برقم ٣١٥١ .
(٢) المستلئمة : جمع المستلئم ، الذي عليه اللَّأمة ، وهي سلاح المحارب : الدرع والبيضة والرمح والنَّبل ، كلها عدته . يقول : قدموا الطائفة التي عليها اللأم . وقوله : كونوا مقص الشارب ، أي الزموا بعضكم وتراصوا .
(٣) الشمول : الخمر الباردة ، عرضت لريح الشمال فبردت . وشجت : مزجت بالماء .

مقَطَّعاتُ ألفاظٍ تقع في الكِتاب والكلام

٣٢٤٥ لو أخطأتُ سبيلَ إرشادِك لما أخطأتُ سبيلَ حُسْنِ النِّـيَّـةِ فيما بيني وبينك .

٣٢٤٦ لو خَطَر ذلك ببالي مِنْ فِعْلك ما عَرَّضْتُ سترَ الإخاءِ للهَتْك بيني وبينك .

٣٢٤٧ قد أحسنتَ في كذا قديماً ، وفعلُكَ كذا إحدى الحُسْنَيَيْنِ ، بل ألطفهما موقعاً .

٣٢٤٨ أنت رجلٌ لسانُك فوقَ عقلك ، وذكاؤك فوق حَزْمِك .

٣٢٤٩ فَقَدِّم[1] على نفسك مَنْ قَدَّمَك على نفسه .

٣٢٥٠ اللهُ يعلم أنك ما خطرتَ ببالي في وقتٍ من الأوقاتِ إلَّا مَثَّلَ الذِّكْرُ منكَ لي محاسنَ تَزيدني صبابةً إليك وضَناً بك واغتباطاً بإخائك .

٢/٢١٦ ٣٢٥١ لعلَّ الأيامَ أن تُسَهِّلَ لأخيك السبيلَ إلى ما تقتضيه نَفْسُك مِنْ بِرِّك ومُعَاوضتك[2] ببعض ما سَلَف لك .

٣٢٥٢ ما هذا الغَبَا العجيبُ الذي إلى جانبه فِطْنةٌ لطيفة[(١)] .

٣٢٥٣ حُكْمُ الفَلَتَاتِ خِلافُ حُكْمِ الإصْرارِ[(٢)] .

٣٢٥٤ مَنْ أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يُؤْخذ[3] بالعين ، كان حَرِياً أنْ يخطيء في باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

٣٢٥٥ ومِنْ أوّلِ ما أُحِبُّ أنْ أُوثِرَكَ به ، وأقضيَ فيه واجِبَ حَقِّك ، تنبيهُكَ على عظيم ما لله عندك ، وحَثُّكَ على الازدياد مما يَزيدك .

٣٢٥٦ مَنْ كان بِمِثْلِ مَوْضِعِك ، فجُمِعَ له حَمْدُ إخوانِه ، ورضا مُعَامِليه ، والاستقصاءُ مع

---

(1) كب : اتهم . (2) كب : معارضتك .

(3) كب : توحد ، في كلا الموضعين .

---

(١) الغبا : الغباء ، وهي الغفلة وقلة الفطنة ، وعنى طيبة القلب . يُظَن به الحمق ، وإذا فُتش وُجد عاقلاً كيساً .

(٢) الفلتات : جمع فَلْتة ، وهي الزلة ، كأنها كالشيء المنفك بعد وثاق .

ذلك لمن استكفاه ، فقد عَظُمت النعمةُ عليه ؛ ولا أعلم بما أسمع فيك إلّا أنك كذلك والحمد لله .

٣٢٥٧ ما أغنى الفقيرَ عن الحمد ، وأحوجَه إلى ما يجد به طعمَ الحمد .

٣٢٥٨ قد حَسَدَك مَنْ لا ينام دونَ الشِّفاء[1] ، وطَلَبَك مَنْ لا يُقَصِّر دون الظَّفَر .

٣٢٥٩ أنت تَتَجَنَّى على مالِكَ لتُتْلفه بأسباب العِلَل ، كما يدفع عن ماله البخيلُ بوجوه الاعتلال .

٣٢٦٠ أنت طالبُ مَغْنَم ، وأنا دافعُ مَغْرَم . فإنْ كنتَ شاكراً لما مَضَى فاعْذِرْ فيما بَقَى .

٣٢٦١ مَكْرُك حاضر ، ووفاؤك متأخر .

٣٢٦٢ أنا راضٍ بعفوك ، باذلٌ لمجهودي .

٣٢٦٣ نوائبُ الأيامِ رَمَتْ به ناحيتَك ، فإذا[2] رأيتَه أنباك ظاهرُه عن باطنه ، ودعاك إلى محبته قَبولُه ، وهو في الأدب بحيث المستغني عن النَّسَب[3] .

٣٢٦٤ قد آن أنْ تَدَع ما تسمع لما تعلم ، وألّا يكونَ غيرُك فيما يُبْلِغُكَ أوثَقَ مِنْ نفسك فيما تعرفه . ٢١٧/٢

٣٢٦٥ هذا فلان قد أتاك على رِقَّةٍ مِنْ حاله وبُعْدٍ مِنْ شُقَّتِه ، فنَشَدْتُك اللهَ أن تقدِّم شيئاً على تصديق ظَنِّه وسَدِّ خَلَّتِه وبَلِّ ما يَبَّسَت هذه النكبةُ مِنْ أديمه ، فإنه غَذِيُّ نعمةٍ وخدينُ مروءةٍ(١) .

٣٢٦٦ أنا أسأل اللهَ أن يُنجز لي ما لم تزل الفِراسة تَعُدنيه فيك .

٣٢٦٧ الحرية نَسَبٌ .

٣٢٦٨ فهمتُ ما اعتذرتَ به في تأخُّرك ، وغضضتَ به مني طَرْفاً طامحاً إليك ، ونَفْساً تَوّاقةً إلى قُرْبك .

٣٢٦٩ وَصَل كتابُك فكان مَوْقِعُه مَوْقعَ الرُّوحِ مِنَ البَدَن .

---

(1) كب : السفا ، تصحيف .
(2) كب ، مص : وإذا .
(3) كب : السبب .

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر . والخدين : الصديق ، يُخَادنك ـ أي يصاحبك ـ فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن .

٣٢٧٠ فإن أميرَ المؤمنين يجب ألّا يَدَع سبيلاً من سُبُل البِرّ ـ وإنْ عَفَا ودَثَر ـ إلّا أنارَه وأوْضَحَ مَحَجَّته[1] ، ولا خَلَّةً من خِلال الخير لا أوّلَ لها ، إلّا اهتبل الفُرْصَةَ في إنشائها ، واختيارَ مَكْرُمة ابتدائها ، لتَجِبَ له مساهمةُ الفارِطِ في أجره ، ويكونَ أُسوةَ الغابرِ في ثوابه(١) .

٣٢٧١ لولا وُجُوبُ تقديمِ العذرِ لصاحبِ السلطان ، في الذُّهول عن مواصلةِ مَنْ يجب عليه مواصلته ، بما يستولي عليه مِنَ الشُّغْلِ بعمله ، إذاً لَكَثُرَ العَتْبُ .

٣٢٧٢ إنك لكل حَسَنٍ أبليتَه ، ومعروفٍ أسديتَه ، وجميلٍ أتيتَه ، وبَلاءٍ كان لكَ رَبَّيْتَه ، أهْلٌ في الدِّين والحَسَبِ القديم .

٣٢٧٣ لك ـ أعَزَّكَ الله ـ عندي أيادٍ تشفَعُ لي إلى محبتك ، ومعروفٌ يُوجِب عليك الرَّبَّ والإتمام(٢) .

٢/ ٢١٨ ٣٢٧٤ أفعالُ الأميرِ مختارةٌ كالأماني ، متصلةٌ عندنا كالأيام . ونحن نختار الشكرَ لكريمِ فعلِه ، ونُواصل الدعاءَ والذِّكر مواصلةَ بِرِّه .

٣٢٧٥ أبدأ بذكر يدِك التي أجارتني على صرف الزمان ، ووقَتْني نوائبَ الأيام(٣) ، وثَمَّرَتْ لي بقيةَ النِّعْمة ، وصانتْ وجهي عن استعبادِ مِنَنِ الرجال ، وبَسَطَتْ لي الأملَ في بلوغِ ما ناله بك مَنْ رَفَعْتَ خسيسَتَه ونَوَّهْتَ بذكره ، وأعانتني على اتِّبَاع مذهبِ الماضين مِنْ سَلَفي في الوفاء لكم ، وحمايةِ النعمةِ عليهم بكم عن أيدي غيركم ، حتى خَلَصَتْ لهم منكم فعَزُّوا ، ولم يشغَلُوا شكرَهم بغيركم حين شَكَروا ، ولم يحتملوا صنيعةً لسواكم لما اعْتَدُّوا ، ولم تتشعَّبْهم الدنيا عنكم إذا اضطُرُّوا .

٣٢٧٦ إنَّ الله أحَلَّك[2] منا أهلَ البيتِ محلاً نراك به عِوضاً مِنَ الغائبِ ، وخَلَفاً مِنَ الهالك ، ونجدُك مخصوصاً بضَرَّائنا إذْ كنتَ وليَّ سَرَّائنا ، وكنا لك كالجوارح نألَمُ لكل ما ألِمَ منها .

---

(1) كب : بحجته .　　(2) كب : أهلك .

---

(١) المحجة : الطريق . اهتبل الفرصة : اغتنمها ، يقال : اهتبل الفرصة ، واحتال لها ، وافترصها ، واغتنمها . والفارط : السابق المتقدم .

(٢) الرب : الزيادة .

(٣) صرف الزمان : أحداثه ونوائبه . والنوائب : المصائب ونوازل الدهر ، تنوب مرة بعد مرة .

٣٢٧٧ نحن نعوذ بالله مِنْ سَخَطك ، ونستجير به مِنْ غَضَبك ، ونسألُك النظرَ فيما كتبنا به صادقين ، [و] كما سَمِعتَ قَصَص الكاذبين ، فإنَّا على سلامةٍ مما رَقَّوْه(١) .

٣٢٧٨ كتبي ـ أعزك الله ـ تأتيك في الوقتِ بعدَ الوقتِ ، على حسب الدواعي ، وإنْ كان حَقُّك يُلْزمني ألَّا تُغِبَّك ، لولا ما أتذكر مِنْ زيادتها في شُغْلك .

٣٢٧٩ أنت الحامل لكَلِّ إخْوانِهِ(٢) ، الناهضُ بأعباءِ أهل مودَّتِه ، الصابرُ على ما ناب مِنْ حقوقهم .

٣٢٨٠ كنتُ أمسِ ـ أكرمكَ الله ـ عليلاً ، وركبتُ اليومَ على ضَلْعٍ[1](٣) ظاهر ورِقَّةٍ شديدة . ولما[2] انصرفتُ أمرتُ بإغلاقِ البابِ للمتوَدِّعِ ، ووافَقَ ذلك من سوءِ نيتك وإرْصَادِك صديقَك بما يستدعي عَتْبَك عليه وعَتْبَه عليك ما وافق .

٣٢٨١ لا أزال أسألُ[3] الكِتابَ إليكَ في الحاجةِ ، فأتوقفُ أحياناً توقُّفَ المبقي عليكَ من المؤونة ، وأكتب أحياناً كتابَ الراجعِ منكَ إلى الثقة والمعتَمِدِ منكَ على المِقَة(٤) . ٢/ ٢١٩

٣٢٨٢ لا أعْدَمنا اللهُ دوامَ عِزِّك ، ولا سَلَبَ الدنيا بَهْجَتها بك ، ولا أخْلاَنا مِنَ الصُّنْع على يدك وفي كَنَفك ، فإنَّا لا نَعْرِف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعماً ونَدىً إلَّا في ظِلِّك .

٣٢٨٣ إنْ كان هذا مما ترضاه لي ، فلستُ ألتمس أكثرَ منه ، وقوفاً عند الحظُّ الذي رَضِيته لي .

٣٢٨٤ أنا واللهِ أراك في رُتْبة المنعم إجلالاً ، وبمحل[4] الشقيق مِنَ القلب محبةً وإخلاصاً .

٣٤٨٥ أما شكري فمقصورٌ على سالفِ أياديك ، وبه قُصورٌ عنه ، فكيف يتَّسع لما جَدَّدْته !

---

(1) مص : ظلع .
(2) كب ، مص : فلما .
(3) كب : قد سئلت ، مص : لا أزال أبقاك الله أسأل .
(4) كب : المحل .

---

(١) رقوه : رفعوه إليك من الأخبار الكاذبة .
(٢) الكل : العِيال ، الثقيل على صاحبه .
(٣) الضَّلْع : الاعوجاج يكون في المشي من المَيْل ، فإن كان خلقة فهو الضَّلَع بالتحريك ، عنى ضعف حاله ورقته .
(٤) المقة : المحبة والمودة ، وقد فرق بعضهم بين المقة والعشق ، فقالوا : المقة محبة لغير ريبة ، والعشق محبة لريبة (اللسان : ومق) .

٣٢٨٦ لله عندك نِعَمٌ جِسام تتقاضاك الشكر. وَقَاكَ اللهُ شَرَّ نفسك، فإنها أقربُ أعدائك إليك.

٣٢٨٧ ولم أزل وجِلاً مِنْ حادثةٍ كذا عليك، إذ كان ما ينالك ـ لا أنالك اللهُ سوءاً ـ متصلاً بي، ومُدْخِلاً الضررَ عليَّ في رُكْنٍ منكَ أعتمد عليه، وكَنَفٍ لكَ أستذري به(١).

٣٢٨٨ وَصَل إليَّ كتابٌ منك، فما رأيتُ كتاباً أسهلَ فنوناً، ولا أمْلَسَ متوناً، ولا أكثرَ عيوناً، ولا أحسنَ مقاطعَ ومطالع، ولا أشدَّ على كُلِّ مَفْصِلٍ حَزاً(٢)، منه. أنجزت فيه عِدَةَ الرأي وبشرى الفَراسة، وعاد الظَّنُّ بك يقيناً، والأملُ فيك مبلوغاً.

٣٢٨٩ لا غيبَّك الله عن مواطن العز والصُّنع، وأشهدك إياها بعُلُوِّ يدك، وهُبوبِ ريحك، واستقادةِ جميعِ أهلِها بزِمام طاعتك.

٢/ ٢٢٠ ٣٢٩٠ قد رميتَ غَرَضَ الباطل[1] بسَهْم الحق، وحللتَ عِقال الشَّرِّ.

٣٢٩١ كنتُ[2] سالماً إنْ سَلِمْتُ مِنْ عَتْبك.

٣٢٩٢ أنا أتوسل إليك بحُسْن ظني بك، وأسألك بحق صبري على ظُلْمك، لمَّا أسعفتَ بما سألتُك.

٣٢٩٣ ليس ينبغي لك أن تستبطيء فهمي وقد أسأتَ إفهامي.

٣٢٩٤ مَنْ أبْعَدُ مِنَ البُرْءِ مِنْ مريضٍ لا يُؤتى في دائه إلَّا مِنْ جهة دوائه، ولا في عِلَّته إلَّا مِنْ قِبَلِ حِمْيَتِهِ.

٣٢٩٥ لستُ في حالٍ يُقيم عليها حُرٌّ أو[3] يرضى بها كريمٌ. وليس يرضَى بهذا الأمْرِ إلَّا مَنْ لا ينبغي لكَ أنْ ترضَى به.

٣٢٩٦ قد شِخْتُ في ذَرَاك، وهَرِمت في ظِلِّك؛ فإمَّا رددتَ عليَّ شبابي وأعدتَ إليَّ قُوَّتي، وإمَّا دفعتَ إليَّ ما ينوبُ عن الشَّباب ويَجْبُرُ الضَّعف، ولا بدَ من أحدهما. فاخترْ لنفسك، واخرُجْ إلينا مِنْ هذا الدَّيْن، فقد أمسكنا عن التقاضي ما أمكن، وصَبَرنا على المواعيد ما صَلَح؛ ودَعْنا من الحَوَالة، فإنَّ الصَّنيعة لا تتمُّ بالحَوَالة(٣)؛

---

(1) كب، مص: الحق بسهم الباطل. (2) كب: كتبت.
(3) كب: ولا يرضى.

---

(١) الكنف: الستر والحماية. وأستذري به: أحتمي به وألتجأ إليه.
(٢) انظر معنى الحَزّ فيما مضى برقم ٣٢٣٣.
(٣) الحوالة: الحيلة والمكر. والصنيعة: الإحسان والعطية وكل ما أسديته من معروف أو يد.

وإنْ جاز أن تُقِيمَ لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نُقِيمَ[1] لكَ زعيماً بالشُّكر ؛ وإنْ جازَ ألاّ[2] نُؤَمِّلَك ويحقِّقَ آمالَنا غيرُك ، جاز أن نَشْكُرَ غيرَ المُنْعم ونأمُلَ غيرَ المُصْطَنِع .

٣٢٩٧ ما أستعظِمُ أنْ تَسْبِقَ إلى حَسَنٍ ، بل أستعظِمُ أنْ تُسْبَقَ إليه وتُغْلَبَ[3] عليه .

٣٢٩٨ إن[4] كنتَ جاوزتَ بي قَدْري عند[5] نفسي ، لَمَا بلغتُ بك أملي[6] .

٣٢٩٩ لا يَقبضك عن الأُنس بي[7] تقصيرُك في البِرّ .

٣٣٠٠ بلغتْني عِلَّتُك فنالني مِنْ ألمها ، وغالني مما مَسَّك فيها حَسْبُ حَقِّك وما يَخُصُّني مِنْ ٢/٢٢١ كُلِّ حالٍ تصرَّفَتْ بك .

٣٣٠١ أعتذر إليك مِنْ تأخرِ كتبي عنك بترامي النُّقْلة وتقاذُفِ الغُرْبة وعَدَمِ[8] الطمأنينة ، فإني منذ فارقتُك كما قال القائل :

وكُنْتُ قَذَاةَ الأرْضِ والأرْضُ عَيْنُها ... تُلَجْلِجُ شَخْصي جانِباً بَعْدَ جانِبِ

٣٣٠٢ إني[9] ـ أعزك الله ـ على تشوقك متزيِّدٌ ، فما أُحَاشي بك أحداً ، ولا أقف لك على حسنةٍ يوماً إلا أنْسَتْنيها لكَ فَضْلَةُ غده .

٣٣٠٣ الحمد[10] لله الذي جعل الأميرَ معقودَ النِّيَّةِ بطاعته ، مطويَّ القلبِ على مُناصحته ، مشحوذَ السيفِ على عدوِّه ؛ ثم وَهَب له الظَّفَر ، ودَوَّخ له البلاد ، وشَرَّد به العدوَّ ، وخَصَّه بشَرَفِ الفتوحِ العِظام شرقاً وغرباً وبراً وبحراً .

٣٣٠٤ إلى الله أشكو شدَّةَ الوَحْشة لغَيْبتك ، وفَرْطَ الجزَعِ مِنْ فراقِك ، وظلمةَ الأيامِ بعدَك ، وأقول كما قال حبيبُ بنُ أوس[١] :

بَيَّنَ البَيْنُ فَقْدَها ، قَلَّما تَعْـ ... ـرِفُ فَقْداً للشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبا[٢]

---

(1) كب : يقيم .
(2) كب ، مص : أن ، خطأ .
(3) كب : يغلب .
(4) مص : لئن .
(5) كب ، مص : عندك .
(6) كب ، مص : أملي فيك .
(7) كب : في .
(8) كب : عزم .
(9) كب : إنك .
(10) في هامش كب : قف على المكاتبات الملوكية وغيرها .

---

(١) سيأتي بيت أبي تمام الطائي برقم ٤٠٤٨ كتاب الإخوان .
(٢) بين : أوضح وأظهر . والبين : الفراق والبعد .

٣٣٠٥ وَرَدَ كِتابُك ، فيا له وارِداً بالرِّيِّ على ذي ظمأ ! ما أنقعَه[1] للغليل(١) ، وأعْدَلَ شهادَتَه لك بكَرَمِ العقد ، وصِدْقِ الوُدِّ ، وحُسْنِ المغيب ، ورِعايةِ حَقِّ التَّحَرُّمِ ، وبُعْدِ الشِّيمة مِنْ شِيَمِ أهلِ الزمان ـ إلَّا منْ عَصَمَ الله ، وقليلٌ ما هم ـ ، ولله أبواك لقد أوجداك .

٣٣٠٦ قد أجَلَّ اللهُ خَطَرَك عن الاعتذار ، وأغناك في القول عن الاعتلال ، وأوْجَبَ علينا أن نقنَعَ بما فعلتَ ، ونرضَى بما أتيتَ وصَلْتَ أو قَطَعْتَ ، إذْ وَثِقْنا بحُسْنِ نِيَّتِك ونَقَاءِ[2] طَوِيَّتك ، وأُلْزِمنا أنْ نأخذ أنفسَنا لك بما لا نُحَمِّلك مثله ، ولا نلتمس منكَ مقابلةً به .

٢/ ٢٢٢ ٣٣٠٧ ما أخَرَّ كتبي عنك إلَّا ما أنا عليه من إيثارِ التخفيفِ بقَطْعِ الكتب ، إلَّا عند حقٍّ يقعَ فأقضِيه ، أو نعمةٍ تحدُث فأهنيء بها ، والقَصْدِ للزيادةِ في البِرِّ بالزيارة في الغِبِّ ، واستدعاءِ دوامِ الوِداد بانتهازِ فُرَصِ الوَصْل .

٣٣٠٨ وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

أمَّا شكري للأمير على سالف معروفِه فقد غَارَ وأنْجَدَ(٢) . وأمَّا ابتهالي إلى الله في جزائه عني بالحُسْنى فإخلاصُ النِّيَّة عندَ مَظَانِّ القَبول . وأمَّا أملي فأحياه على بُعْد العهد بلاؤه عندي ، إذ كان ما تقدَّم منه شافعاً في المزيد ، وفسحةُ وَعْدِه إياي عند مفارقتي له ، إذ كان مُؤْذِناً بالإنجاز . وأمَّا زللي في التأخُّرِ عما أوْجَبَ اللهُ عليَّ له فمقرونٌ بالعقوبة فيما حُرِمْتُه من عِزِّ رِئاسته ، ونَباهة صُحْبته ، وعُلوِّ الدرجةِ به ، وإنْ كنتُ سائرَ أيامِ انقطاعي عنه مُعْتلقاً بسببٍ لا خيارَ معه .

٣٣٠٩ مكاتبتُك ـ أعزَّك الله ـ وأنا مجاوِرُك ببلدٍ دونَ السَّعْي إليك مُجِلاً لقَدْرك مما أُكْبِر . لاقيك بكتابي هذا فلان ، وله عليَّ حَقَّان : حقٌّ عَمَّ المسلمين فلَزِمَني بلُزُومه لهم ، وحَقٌّ خَصَّني بالحُرْمة والعِشْرة . فرأيَكَ في كذا إنْ سَهُل السبيلُ إلى ذلك ورَحُب ، وإن يَعُقْ عائقٌ فلستَ على جميلِ رأيٍ عندي بمُتَّهَم .

---

[1] كب : أنفعه .
[2] كب : بقاء .

---

(١) نقع الماءُ العطش : أذهبه وسكنه ، ونقع الماءُ غُلَّته : أروى عطشه . والغليل : شدة العطش وحرارته ، قل أو كثر .

(٢) غار : أتى الغَوْر ، وهو ما انخفض من الأرض . وأنجد : أتى النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، أراد أنه عم الأرض كلها .

٣٣١٠ للمتفضِّل أن يَخُصَّ بفضله من يشاء ؛ ولله الحمدُ ثم له فيما أعطى ، ولا حجةَ عليه فيما مَنَع .

٣٣١١ مستعفي السلطانِ أحدُ ثلاثةٍ : رجلٌ آثرَ اللهَ وما عندَه ، وأسأل اللهَ توفيقَه . ورجلٌ عَجَز عن عمله فخاف بعجزه[1] عواقبَ تقصيره ، وأستعينُ الله . ورجلٌ سَمَتْ به نفسُه عن قليلٍ هو فيه إلى كثيرٍ أمَّلَه . وأعوذ بالله من أن أدَنِّسَ نعمةَ اللهِ بكَ عليَّ وعلى سَلَفي قبلي بالتصدِّي لمن لا يُشْبه دهْرُه يومَك ، ولا أكْثَرُ جهدِه في المعروف أقلَّ عَفْوِك . ٢٢٣/٢

٣٣١٢ كن كيف شئتَ ، فإني واحدُ أمري ، خالصةٌ سريرتي ، أرى ببقائك بقاءَ سروري ، وبتمام النعمةِ عليك تمامُها عندي ؛ فإنه ليس من نعمة يجددها اللهُ لأمير المؤمنين في نفسه خاصَّةً إلَّا اتصلتْ برعِيَّتِه عامة ، وشَمِلت المسلمين كافة ، وعَظُم بلاءُ اللهِ عندَهم فيها ، ووَجَب [عليهم] شكره عليها ؛ لأن اللهَ جَعَل بنعمته تمامَ نعمتهم ، وبسلامته هدوءَهم واستقامتَهم ، وبتدبيره صلاحَ أمورِهم وأمنِهم ، وبذبه عن دينهم حِفْظَ[2] حريمهم ، وبحياطته حَقْنَ دمائهم وأمْنَ سُبُلهم ، وبرعيته اتِّساقَهم وانتظامَهم . فأطال اللهُ بقاءَ أميرِ المؤمنين مؤيَّداً بالنصر ، مُعَزاً بالتمكين ، موصولَ الطَّلَبِ بالظفر ، ومدَّةِ البقاء بالنعيم المقيم .

٣٣١٣ فهمتُ كِتابَك ، ولم تَعْدُ في وَعْدك ووعيدك سبيلَ الرَّاغبِ في رَبِّ عارفته(١) ، المحامي على سالف بَلائه ، المُؤْثِر لاستتمام صَنيعته . وإني لأرجو أن أكونَ على غايةِ ما عليه ذو نِيَّةٍ حَسَنةٍ في شكر مُصْطَنِعه(٢) ، وعِنايةٍ[3] بأداءِ ما يَلْزَمُه لوَلِيِّ نعمته ، ومُرَاقَبةٍ لرئيسه في سِرِّ أمْرِه وعَلانيته ، وإيثارٍ للقليلِ من جميلِ رأيِهِ على كثيرِ المنافعِ مع سَخَطه .

وليس مذهبي فيما أشْرَحُه من العُذْر وأُطيل بذِكْره الكُتُب ، مَذْهَب مَنْ يُمَوِّه بالاحتجاج ويَحتالُ في الاعتذار ، ومَنْ تُطمعه نفْسُه في سلامة النعمة مع فساد النِّيَّة ، وفي محمودِ

(1) كب : تعجزه .
(2) كب : وحفظ .
(3) كب : وغنائه .

(١) العارفة : المعروف ، وهو الجود والإحسان . وربُّ المعروف : حفظه ورعاه ورباه كما يربي الرجل ولده .
(٢) المصطنع : صاحب الصنيعة ، أي المعروف والخير .

العاقبة مع شَرَهِ النَّفْس ، وفي زِيادة الحال مع التفريط في العمل . ولو كنتُ ممن سَوَّلَتْ له نفسه ذلك سائرَ دَهْرِه ، لقد وجَبَ[1] إلى أنْ يَضطَّرَّني إلى النُّزُوع عنه تأديبُك وتقويمُك . وإنِّي لمجتهدٌ أن [يكونَ] أثَرُ فِعْلي هو المُخْبر عني دونَ قولي ، وأن يكونَ ما أمُتُّ به إليك ظاهَرَ كِفايتي دونَ ذِمامي(١) .

٢/ ٢٢٤

٣٣١٤ لولا ما أنا بسبيله من العمل ، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخولِ الخَلَل ، وعلمي بأن طاعةَ السلطانِ مقرونةٌ بطاعة الأمير ، وأنه لا فرقَ عنده بين الجاني على السلطان وعليه ، لكنتُ الجوابَ راجلاً معظِّماً لأمره ، مُكْبِراً لسُخْطه ؛ وإن كان اللهُ قد جعل عند الأميرِ من إيثار الحقِّ والعملِ به ، وتقديمِ الرويَّةِ قبل الإيقاعِ ، والاستثناءِ(٢) بمن وَضَح ذَنْبه وظَهَر جُرْمه دون من وقعتِ الشُّبهة في أمره ، ما أمَّنَني بادرةَ غَضَبه ونازلَ سَطْوته .

٣٣١٥ لم أكن أحسَبُني أحُلُّ عندك محلَّ مَنْ جَهِل حظَّه ، وعَدِم تمييزَه ، وغَبي[2] عمَّا عليه وعَمَّا له ؛ إذ توهَّمْتَ على أنِّي أبيع خطيراً مِنْ رِضاك ، ونفيساً من رأيك ، وشرفاً باقياً على الأيام بطاعتك ، وعُدَّةً للنوائب أستظهر بها مِنْ نصرتك ، بالثمن البَخْس الحقير مِنْ كذا ، أو أنْ أستبدلَ بما أنا ذو فاقةٍ إليه مِنْ عزِّ كَنَفك ومَنيع ذَرَاك(٣) ، ما قد وَهَب الله الغِنى عنه بحمده .

٣٣١٦ كان ورودُك وشخوصُك في وقتين انطويا عني ، وكان مُقامك في حالِ شغلٍ منك ومني ، ولذلك فَقَدْتَني في القاضِين لحقِّك والمثابرين على لقائك .

٣٣١٧ وَرَد كتابُك مضمَّناً مِنْ بِرِّكَ وتَطَوُّلك ما حَسَّنَ شُكْري ، وأثْقَلَ ظهري ، وأُرْتِجَ عن مضاهاتك بمَثَلِه قولي ؛ فذكرتُ به ـ إذ تحيَّرْتُ دون تأمُّلِه ، وضَعُفتُ عن تَحَمُّلِه ، وعَجَزتُ عن الشكر عليه عند تمحُّلِه ـ قولَ القائل(٤) :

---

(1) كب : ولقد وجب . (2) كب : غَبَّى .

---

(١) أمت به : أتوسل وأتقرب به بمودة وحرمة . ظاهر : أعان وساعد . والذمام : الحرمة والحق ، وهما بمعنى العهد والأمان والضمان ، وسمِّي أهل الذمة ذِمَّة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم .

(٢) الاستثناء : الانتظار والتمكث ، وهي من الأناء والتؤدة .

(٣) الكنف : الظل ، ويقال : أنا في كنفه ، أي في حفظه وحمايته . والذَّرا : ما استُتر به ، ويقال : أنا في ذراه ، أي في ستره وكنفه .

(٤) سيأتي البيتان برقم ٤٧٢٩ كتاب الحوائج ، منسوبين إلى أبي نواس .

٢/٢٢٥ أَنْـتَ امْـرؤٌ أوْلَيْتَنِـي نِعَمـاً أَوْهَـتْ قُـوَى شُكْرِي فَقَـدْ ضَعُفَـا

لا تُحْـدِثَـنَّ إلـيَّ عـارِفَـةً حَتَّـى أقُـومَ بشُكْـرِ مـا سَلَفـا

* * *



ألفاظ تقع في كُتُب الأمان

٣٣١٨ هذا كتابٌ مِنْ فلان إلى[1] فلان : إنِّي أمَّنْتُك على دَمك ومالِك ومَوَالِيك وأتباعك ، لك ولهم ذِمَّةُ اللهِ المُوفَى بها ، وعهدُه المسكونُ إليه ، ثم ذمَّةُ الأنبياءِ الذين أرسلهم برسالته وأكرمهم بوحيه ، ثم ذِمَمُ النجباءِ من خلائفه : بحَقْن دمك ، ومَنْ دَخَل اسمُه معك في هذا الكتاب[2] ، وسلامةِ مالِك وأموالِهم وكذا وكذا . فاقبلوا معروضَه ، واسْكُنوا إلى أمانه ، وتعَلَّقوا بحبل ذِمَّته ، فإنه ليس بعد ما وَكَّدَ مِنْ ذلك مُتَوَثَّق لداخلٍ في أمانٍ إلَّا وقد اعتلقتم بأوثق عُرَاه ، ولجأتم إلى أحرز كهوفه ؛ والسلام .

وفي كتاب آخر :

٣٣١٩ هذا كتابٌ مِنْ فلان : إن أمير المؤمنين ، لَمَّا جَعَلَ اللهُ عليه نِيَّتَه في إقالةِ العاثر(١) واستصلاحِ الفاسد رأى[3] أنْ يتلافاك بعَفْوه ، ويتغمد زَلَّاتك برُحْمه ، ويبسُطَ لك الأمانَ على ما خرجتَ إليه مِنَ الخلافِ والمعصية : على دَمِك وشَعْرك وبَشَرك وأهلك وولدك ومالك وعَقَارك . فإن أنتَ أتيتَ وسَمِعت وأطعتَ فأنتَ آمنٌ بأمانِ الله على ما أمَّنَك عليه أميرُ المؤمنين ، ولكَ بذلك ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رسوله ، إلَّا ما كان مِنْ حقٍّ قائمٍ بعينه لمسلمٍ أو معاهِد ، والله بذلك راعٍ وكفيل ، وكفى بالله وكيلاً .

٢٢٦/٢ وفي كتاب آخر :

٣٣٢٠ إن فلاناً استوهب أميرَ المؤمنين ذنبَك ، وسأله أن يقبل توبتَك وإنابتك ، ويؤمِّنك على دمك وشعرك وبَشَرك وأهلِك وولدك ومالِك وعَقَاراتك ، على أن تسمع وتُطيع وتُشايع ، وتُوالي أولياءه ، وتُعادي أعداءه ؛ فأجابه أميرَ المؤمنين إلى ذلك ، لرأيه في العفو والصفح وما يحتسِب في ذلك مِنَ الثوابِ والأجر . فأنتَ آمنٌ بأمان الله على

---

(1) كب : لفلان .

(2) مص : كتاب .

(3) كب : ورأى .

---

(١) أقال العاثر : صفح عنه .

كذا : لا تُؤْخَذ بشيءٍ مما سَلَفَ مِنْ أحْدَاثك ، ولا تُـتَّبَع فيه بمكروهٍ ما أقمتَ على الوفاء ولم تُحْدِث حَدَثاً تفسَخ به أمانَك وتجعل به سبيلاً على نفسك ؛ والله لك بذلك راعٍ كفيلٌ ، وكفى به شهيداً .

* * *

ألفاظٌ تقع في كُتُب العُهُود

٣٣٢١ أَمَرَهُ بتقوى الله فيما أَسْنَدَ إليه وجعله بسبيله ، وأنْ يُؤْثِر اللهَ وطاعتَه آخِذاً ومُعْطياً ، وأعْلَمَه أنَّ الله سائلُه عمَّا عَمِل به وجازِيه عليه ، وأنه خارجٌ مِنْ دُنْياه خُروجَه مِنْ بطن أمِّه إمَّا مَغْبوطاً محموداً ، وإمَّا مذموماً مَسْلُوباً . فليعتبر بمَنْ كان قبلَه مِنَ الوُلاةِ الذين وَلُوا مثلَ ما وَلِي ، أين صار بهم مَرُّ الليلِ والنهارِ ، وما انقلبوا به مِنْ أعمالهم إلى قبورهم ، ويتزوَّدْ لنفسه الزادَ النافعَ الباقي : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وفي فصل آخر :

٣٣٢٢ وقد ولَّاك أميرُ المؤمنين ما ولَّاك مِنْ أمور رعيَّتِهِ ، وأشركك فيما أشركك فيه مِنْ أمانتك ، ثِقةً بك ، ورجاءَ لمتابعتك وإيثارك الحقَّ وأهلَه ، ورفضِك الباطلَ وأهلَه ، وعَهِد إليك في ذلك بما أنْ أخذتَ به أعانك الله وسدَّدك ، وإنْ خالفتَه خَذَلك وعاقبك .

وفي الحج : ٢/ ٢٢٧

٣٣٢٣ فإن أمير المؤمنين قد اختارك من إقامة[1] الحج لوَفْد الله وزَوْر بيته ، للأمرِ العظيم قدرُه ، الشريف منزلتُه . فعليك بتقوى الله ، وإيثارِ مُراقبتِه ، ولزومِ الهَدْي[2](١) المحمود والطريقةِ المُثْلَى والسِّيرة الجميلة التي تُشْبه حالَك .

٣٣٢٤ فصل ـ فإنَّ الله بحمده [نَزَّه] الإسلامَ عن كُلِّ قبيحةٍ ، وأكْرَمَه عن كُلِّ رذيلة ، ورَفَعه عن كلِّ دنيَّة ، وشرَّفَه بكل فضيلة ، وجعل سيماءَ أهلِه الوقارَ والسكينة .

٣٣٢٥ فصل ـ وإنَّ أحقَّ الناسِ بالازدياد في طاعته ومناصحتِه وأداءِ الأمانةِ في عمله مَنْ عَظُم حَقُّ الأمير عليه في الخاصَّة بفَضْل الصنيعة مِنَ الأميرِ عندَه ، مع حقِّ الله عليه في العامة بحقِّ الولاية .

---

(1) كب : إقامته .

(2) مص : الهُدَى . والهُدَى : الطريق والرشاد .

---

(١) الهدي : السمت والطريقة والسيرة .

٣٣٢٦ فصل ـ وكنتَ سيفاً مِنْ سيوفِ الله ، ونِكْلاً من أنكاله لأهل الشِّقاق ، وشَجىً لمن ابتغى غيرَ سبيلِ المؤمنين . قد أحكمتْكَ التجارِبُ ، وضَرَّسَتْك الأمور ، وفُرِزتَ عن الذكاء ، وحَلَبْتَ الدهرَ أشطُرَه(١) .

٣٣٢٧ فصل ـ أنتَ ابنُ الحُرِّية والمُرُوَّة ، ومَنْ لا يلحَقُه عارُ أبوَّةٍ ولا بُنُوَّة .

٣٣٢٨ فصل ـ قد التمستُ مواجهتَك بشُكْرك ، ووصْفِ ما أُجِنُّ لك ، وأُخْلِص مِنْ وُدِّك ، وأُجِلُّ مِنْ قدرك ، وأعْتَدُّ[1] مِنْ إحسانك ، فلَفَتني عن ذلك تَعَذُّر الخَلْوة مع انقباضٍ وحِشمة .

٣٣٢٩ فصل ـ قد أغنى اللهُ بكرمك عن ذَرِيعةٍ إليك ، وما تُنازِعني نفسي إلى استعانةٍ عليك ، إلا أبى ذلك حسنُ الظَّنِّ بالله فيك ، وتأميلُ نُجْحِ الرغبةِ إليك دون الشفعاءِ عندك . ٢/٢٢٨

٣٣٣٠ فصل ـ مِثْلُكَ تَقَرَّبَ إلى الله بالتواضُع لنعمته ، والإغاثةِ لمستغيثه ، والعائدةِ على راجيه بفضله .

٣٣٣١ فصل ـ تباً لمن يأتي رأيَك ، وقُبْحاً لعُزُوب عقلِك ، وأَفَنِ(٢) تدبيرِك ما أبعدَ مذهبَك في الخطأ ، وأسوأَ أثَرك على السلطان ، وأقْصَرَ باعَك عن النهوض ! حُثَالَةٌ[2] تُعَقِّلُكَ(٣) ، ومَهَانَةٌ تُضرِعك ، وزهْوٌ يعلُوك ، ونَخْوةٌ يشْمَخ لها عِرنينك(٤) ! لقد انصرفَ رأيُ أميرِ المؤمنين عنك ، ودعوتَ له عَتْبَك ، وكشفتَ له عن قِناع سِترك ، واجتررتَ إليكَ سَخْطته ، وعَطَفْتَ نحوَك مَوْجِدَته ، وكنتَ على نصيبك منه والضَّنِّ بمنزلتك عنده أوْلَى تقدُّماً وأقربَ رُشْداً ؛ والله الغنيُّ الحميد .

---

(1) كب : اعتيد . (2) كب ، مص : جزالة تعقدك .

---

(١) النكل : القيد . ضرسته الأمور : جربها وعرفها . وفررت عن الذكاء : هو من فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها . ويقال : حلب الدهر أشطره ، على التقديم والتأخير ، وتقدير الكلام : حلب أشطر الدهر ، وهو مستعار من حلب أشطر الناقة ، وكل ضرعين في الناقة يدعيان شطراً ، بمعنى أنه خبر ضروب الدهر ، خيره وشره ، وشدته ورخاءه ، تشبيهاً بحلب جميع ضروع الناقة ، ما كان منها حفلاً ـ أي ممتلئاً ـ وغير حفل ، وداراً وغير دار .

(٢) الأفن : ضعف الرأي والتدبير .

(٣) الحثالة : رذال الناس وشرارهم . والتعقل : تكلف العقل والفهم .

(٤) النخوة : العظمة والتكبر . والعرنين : ما تحت مجتمع الحاجبين من الأنف ، وهو أوله حيث يكون الشمم والطول .

٣٣٣٢ أصحابُ[1] السلطانِ ثلاثةٌ : رجلٌ يجعل الدُّنْيا نُصْبَ عينه ، ينصِب فيها للخاصَّة مَكَايده ، ويرفَع عن مصلحةِ العامَّةِ هِمَّتَه ، يُذْهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيامُ القدرة العَثْرَةَ ، حتى تنصرمَ مدَّتُه وتنقضي دولتُه ، لم يرتهن بدنياه شُكراً ، ولا قَدَّم بها إلى مَعَاده ذُخراً . ورجلٌ لا يَحْفل(١)[2] ـ مع صلاح الخاصة ـ ما دَخَل مِنَ الخَلَل في أُمُور العامَّة ، ولا مع وُفُور خَطَره[3] ما أدخل النَّقْص في حَظِّ رعيته . ورجلٌ حاوَلَ في ولايته إرضاءَ مَنْ وَلِي له وعليه ، فأعانته[4] النِّيَّة وخَذَلته الكفاية . وقد جمع اللهُ لكَ الثقةَ والرِّضا ممن فوقك ، والانقيادَ والمحبةَ ممن دونَك ، وأعادَ إلى الناس بك عَهْدَ السَّلَفِ الماضي ، وعَمَّر بك آثارَهم ، حتى كأنهم بك أحياءٌ لم تَخْترمهم مَنيَّة(٢) ، وجميعٌ لم تنصَدِعْ بينهم فُرْقة . فليَهْنِئْك أنَّ مَنْ تَقَدَّمَك مِنْ أَهْل الفَضْلِ في السِّيرة غيرُ متقدِّمٍ لك ، ومَنْ معك مُقَصِّر عنك ، ومَنْ دونك مُقْتفٍ لأثرك . فلا زالتِ الأيامُ لك ، ولا زالتِ النِّعَم عنك ، ولا انتقلتْ عُرَى الأمورِ وأزِمَّتُها[5] عن يدك .

٢/٢٢٩

٣٣٣٣ فصل ـ أبَى طَبْعُ الزمانِ أنْ يَسْمَحَ لنا بك ، كما أبى ذلك في مثلك ، فلم يزل حتى اعْتَرَض بمكروهه دونك . وكم مِنْ نعمةٍ ذَهَلَتْ عنها النفس حين أدبرتْ بخيرك ، فإنَّ تَعَلُّق القلبِ بك على قَدْرك في مواهب الله وقَدْرِها عندك .

٣٣٣٤ فصل ـ ولم يأتِ(٣)[6] في جميع ما عدَّدْتُ مِنْ أياديك شيئاً ، وإن كان متناهياً إلى الغايةِ ، مختاراً كالأمنية ، متجاوزاً للاستحقاق ، إلَّا وأنتَ فوقَه والمأمولُ للزيادة فيه .

٣٣٣٥ وفي كتاب ـ إنْ كان ما خَبَّرَني به فلان عن هَزْلٍ ، فقد أحْوَجَنا هَزْلُك إلى الجِدِّ ، ووَقَفَنا موقفَ المعتذرين مِنْ غير ذنبٍ ، وإنْ كان عن حقيقةٍ فقد ظَهَر لنا مِنْ ظُلْمك وتحريفك ما دَلَّ على زُهْدك منا في مثل الذي رَغَّبَنا منك فيه .

٣٣٣٦ فصل في كتاب العيد ـ كتابي إلى الأمير يوم كذا ، بعد خروجي فيه ومَنْ قِبَلي مِنَ

---

(1) كب : أصحاب أصحاب السلطان .
(2) كب : لا يجعل .
(3) كب : خطر ، مص : حظه .
(4) كب ، مص : وأعانته .
(5) كب : أزمتك .
(6) مص : تأت .

---

(١) لا يحفل : لا يبالي .
(٢) اخترمته المنية : استأصله الموت وأذهبه .
(٣) أي كتابي إليك .

المسلمين إلى المُصَلَّى ، وقضائنا ما أوْجَبَ اللهُ علينا مِنْ صلاة العيد ، ونحن بخيرِ حالٍ اجتمع عليها فريقٌ مِنَ المسلمين في عيدٍ مِنْ أعيادهم ومَجْمعٍ مِنْ مجامعهم . فكان[1] مَخْرَجُنا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرَجٍ ، ومُنْصَرَفُنا عنه أفضلَ مُنْصَرفٍ ، بما وَهَب ٢/ ٢٣٠ اللهُ مِنْ سُكونِ العامَّةِ وهدوئها وأُلْفتها ، واحتشادِ الجند والشاكريَّةِ(١) بأحسنِ الزِّيِّ والهيئة ، وأظْهَرِ السلاحِ والعُدَّة . فالحمد لله على كذا ، وهَنَّأَ اللهُ الأميرَ بكذا[2] .

٣٣٣٧ فصل ـ القلبُ [3]قَرينُ وَلَهٍ[3] ، حليفُ حَيْرة . أنظُر بعينٍ كليلةٍ[4] ، وأحضُر بقلبٍ غائب ، إلى ورودِ كتابك بما تعتزمه[5] . وأمَّا[6] النوم فلو مَثَلَ لعيني لنفَرَتْ إلْفاً للسُّهاد .

٣٣٣٨ فصل في كتاب بَيْعة ـ فبايِعُوا لأمير المؤمنين ولفلانٍ بعدَه على اسم الله وبركتِه ، وصُنْعِ اللهِ ، وحُسْن قضائه لدينه وعِباده ، بيعةً منبسِطةً لها أكُفُّكم ، منشرحةً بها صدورُكم ، سليمةً فيها أهواؤكم ، شاكرين لله على ما وَفَّق له أميرَ المؤمنين .

٣٣٣٩ عَدَّد[7] معاويةُ على الأحنف ذنوباً ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ، لِمَ تَرُدُّ الأُمورَ على أعقابها ! أمَا واللهِ إنَّ القُلوبَ التي أبْغضناك بها لَبَيْن جوانحنا ، وإنَّ السُّيوفَ التي قاتلناك بها لَعَلى عَوَاتقنا ، ولئن مَدَدْتَ [لنا] بشبرٍ من غَدْرٍ لنمُدَّنَ إليك باعاً من خَتْرٍ(٢) ، ولئن شئت لَتَستصفِينَ كَدَرَ قلوبنا بصَفْو حلمك . قال معاوية : فإني أفعل .

٣٣٤٠ تقدَّم رجلٌ إلى سَوَّار ، وكان سَوَّار له مُبغضاً ، فقال سَوَّار في بعض ما يكلمه به : يا بن اللَّخْناء ! فقال : ذاك خَصْمي . فقال له الخصم : أعْدِني عليه . فقال له الرجل : خُذْ له بحقه ، وخُذْ لي بحقي(٣) .
ففهم ، وسأله أن يغفر له ما فَرَط منه إليه ، ففعل .

---

(1) كب ، مص : وكان .
(2) كب ، مص : كذا .
(3 - 3) سقطت من كب ، ثم ألحقها بالهامش .
(4) كب : جليلة .
(5) كب : يعتزمه ، ولها وجه على تكلف .
(6) كب ، مص : فأما .
(7) أظن أن هذا الخبر وما سيتلوه من الأخبار ، ليست من اختيارات ابن قتيبة ، فموضعها قلق لا يناسب الباب . فإن صحت ـ ولا أراها كذلك ـ فهي أحد أخبار باب التلطف في الكلام ، والجواب وحسن التعريض التي بدأت برقم ٣١٦٥ .

---

(١) الشاكرية : المستخدمون .
(٢) الختر : أسوأ الخديعة وأسوأ الغدر .
(٣) اللخن : قبح ريح الفرج ، ويقال : امرأة لخناء . أعدني عليه : انصرني عليه وقوني .

٣٣٤١ الأوزاعيُّ قال : دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية ، فنَظَر [معاويةُ] إلى ساقَيْه ، فقال : أيُّ ساقَين ، لو كانتا على جاريةٍ عاتق ! فقال له خُرَيم : في مثل عَجِيزتك يا أمير المؤمنين[1] .

* * *

(١) العاتق : الجارية أول إدراكها . والعجيزة : المؤخرة . وتمام الخبر : فقال معاوية : واحدة بأخرى ، والبادىء أظلم .

الخُطَب

٣٣٤٢ تتبعتُ خُطَبَ رسولِ الله ﷺ ، فوجدتُ أوائلَ أكثرِها : الحمدُ لله ، نحمده ونستعينه ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحدَه لا شريكَ له(١) .

٣٣٤٣ ووجدتُ في بعضها :

أُوصِيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثُّكم على طاعته(٢) .

٣٣٤٤ ووجدتُ في خُطْبةٍ له ، بعد حَمْدِ اللهِ والثناءِ عليه :

أيها الناسُ إنَّ لكم مَعَالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإنَّ لكم نِهايةً فانتهوا إلى نهايتكم . إن المؤمنَ بين مخافتين : بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما اللهُ صانعٌ به ، وبين أجلٍ قد بَقِي لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه . فليأْخُذِ العبدُ لنَفْسِه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكِبَر ، ومن الحياة قبل الموت . والذي نَفْسُ محمدٍ بيده ، ما بعد الموتِ مُسْتَعْتَبٌ ، ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار(٣) .

٣٣٤٥ ووجدتُ كلَّ خُطْبةٍ مِفتاحُها الحمدُ ، إلا خُطْبة العيد فإن مفتاحها التكبير . وتكبيرُ الإمامِ قبل أن يَنْزِل عن المنبر أربعُ عشرةَ تكبيرة .

---

(١) الخطبة صحيحة ، وسيأتي تخريجها في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) الخطبة صحيحة ، وسيأتي تخريجها في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٣) الخطبة دون إسناد ، وليست في شيء من كتب الحديث الشريف أو مجاميعه ، التي هي العمدة في كلامه ﷺ رغم دورانها في كتب الأدب . وقد وجدتها في مجموع متأخر موضوع : (الأربعين الودعانية) ، وهي أربعون حديثاً وضعها زيد بن رفاعة الهاشمي على أسانيد صحاح مشهورة ، ثم سرقها منه ابن وَدْعان القاضي أبو نصر محمد بن علي بن عبيد الله (٤٠١ ـ ٤٩٤) فرفعت باسمه . فإن كان الكلام الذي فيها حسناً ، أو في نفسه حقاً ، فليس لأحد أن ينسب كل مستحسن إلى رسول الله ﷺ ، لأن كل ما قاله الرسول حسن ، وليس كل حسن قاله رسول الله . (انظر مجموع الأربعين أربعين ٣٢٧) .

المعالم : جمع مَعْلَم ، ومعلم الدين إشاراته وحدوده . والأصل فيه ما جُعل علامة للطرق . ليس بعد الموت مستعتب : أي ليس بعد الموت من استرضاء ، لأن الأعمال بطلت وانقضى زمانها ، وما بعد الموت دار جزاء لا دار عمل .

خُطْبة لأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه

٣٣٤٦ حَدَّثني أبو سَهْل ، قال : حَدَّثني الطَّنَافسي ، عن محمد بن فُضَيل ، قال : حَدَّثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن عبيد[1] الله القرشي :

٢/ ٢٣٢ عن عبد الله بن عُكَيم[2] ، قال : خَطَبنا أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : أمَّا بعد : فإني أُوصيكم بتقوى الله وحدَه ، وأن تُثْنُوا عليه بما هو أهلُه ، وتَخْلِطوا الرغبةَ بالرهبة ، والإلحافَ(١) بالمسألة ؛ فإنَّ اللهَ أثنى على زكريا وأهلِ بيته فقال : ﴿ كَانُوا۟[3] يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . ثم اعلموا أنَّ اللهَ قد ارتهن بحقِّه أنفسَكم ، وأخَذَ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليلَ الفانيَ بالكثير الباقي . [و] هذا كتابُ اللهِ فيكم لا تَفْنَى عجائبُه ولا يُطْفأُ نُورُه ، فصَدِّقُوه وانتصِحُوه ، واستضيئوا منه ليوم الظُّلمة . ثم اعلموا أنكم تَغْدُون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ علْمُه عنكم ، فإن استطعتم ألَّا ينقضيَ إلا وأنتم في عملٍ لله ، فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلَّا بالله . فسابقوا في مَهَلٍ ، فإنَّ قوماً جعلوا آجالَهم لغيرِهم ونَسُوا أنفسَهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم . والوَحَا الوَحَا(٢) ، والنَّجاءَ النَّجاءَ ! فإنَّ مِنْ ورائكم طالباً حَثيثاً مَرُّه ، سريعاً [سيره] .

٣٣٤٧ وفي غير هذه الرواية : أين مَنْ تعرِفون مِنْ إخوانكم ؟ قد انتهتْ عنهم الأعمال ، ووَرَدُوا على ما قَدَّمُوا ، [4]فحَلُّوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة[4] . أين الجَبَّارون الذين بَنَوا المدائنَ وحَصَّنُوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصَّخْر والآكام .

خُطْبة لأبي بكر أيضاً رضي الله عنه

٣٣٤٨ رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي[5] زيد القاريء :

---

(1) كب ، مص : عبد الله ، تحريف . (2) كب : عظيم ، تحريف .
(3) مص : إنهم كانوا .
(4 - 4) كب ، مص : وحلوا عليهم بالشقوة . وفي كب : وخلوا .
(5) كب : ولد زيد ، خطأ .

---

(١) الإلحاف : شدة الإلحاح في المسألة .
(٢) الوحا والنجاء : الإسراع .

حَمِد الله ، [1]وأثنى عليه[1] ، وصلَّى على النبي صلى الله عليه [وسلم] ، ثم قال :
إنَّ أشقى الناسِ في الدنيا والآخرةِ الملوكُ .

٢٣٣/٢ فرفع الناسُ رؤوسَهم ، فقال : ما لكم يا معشرَ الناس ! إنكم لطَعَّانون عَجِلون ، إنَّ المَلِك إذا مَلَكَ زَهَّده الله فيما في يده ، ورَغَّبَه فيما في يَدَي غيرِه ، وانتقَصه شَطْرَ أجَله ، وأشْرَبَ قلبَه الإشفاق . فهو يَحْسُد على القليل ، ويتسخَّط الكثير ، ويسأم الرَّخاءَ ، وتنقطع عنه لذَّةُ الباءة(١)[2] . لا يستعمل العِبْرة ، ولا يسكُنُ إلى الثِّقة . فهو كالدِّرهم القَسِيِّ(٢) والسَّرابِ الخادع ، جَذِلُ الظاهر ، حزينُ الباطن . فإذا وَجَبَتْ نفسُه ، ونَضَب عُمْرُه ، وضَحَا ظِلُّه(٣) ، حاسَبَه اللهُ فأشَدَّ حسابَه وأقَلَّ عفوَه . ألا إنَّ الفقراء هم المرحومون ، [3]وخيرُ الملوكِ[3] من آمنَ بالله ، وحَكَم بكتاب الله وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ . وإنكم اليوم على خلافةِ نبوَّةٍ ، ومَفْرِق مَحَجَّة ، وستَرَوْن بعدي مُلْكاً عَضُوضاً(٤) ، وأُمَّةً شَعاعاً(٥) ، ودماً مُفاحاً(٦) . فإنْ كانتْ للباطل نَزْوَةٌ ، ولأهل الحقِّ جَوْلَةٌ ـ يعفو لها الأثرُ ، وتموتُ [لها] السُّنَن ـ فالْزَمُوا المساجدَ ، واستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة . وليكن الإبرامُ بعدَ التشاوُرِ ، والصَّفْقَة بعد طُولِ التَّناظُر .
أيُّ بلادِكم خَرْشَنَة(٧)[4] ؟ فإنَّ الله سيفتح عليكم أقصاها كما فَتَح أدناها .

خُطْبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

٣٣٤٩ أراد عُمَرُ الكلامَ ، فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِك . نحن المُهَاجرون أوَّلُ الناس

(1 - 1) سقطت من كب ، وألحقت بالهامش . (2) كب ، مص : البهاء .
(3 - 3) كب : إلَّا . (4) كب ، مص : خرسة ، تحريف .

---

(١) الباءة : النكاح ، والأصل في الباءة المنزل ، ثم قيل لعقد التزويج باءة لأن من تزوج امرأة بوَّأها منزلاً .
(٢) القسي : الزائف ، فِضته صلبة رديئة ليست بلينة .
(٣) وجبت نفسه : سقط ومات ، وأصل الوجوب : السقوط والوقوع . ونضب عمره : نفد عمره وانقضى . وضحا ظله : برز للشمس فتقلص ، يكني عن الموت .
(٤) ملك عضوض : فيه استبداد وظلم ، ينال الرعية منه عسف ، كأنهم يُعَضون فيه عضاً . وفي رواية : ملوك عُضُوض ، جمع عِض بالكسر ، وهو الخبيث الشرس (اللسان : عضض) .
(٥) الشعاع : المتفرقة .
(٦) المفاح : المراق .
(٧) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم في أعالي مجرى الفرات ، أراد بلاد الروم كلها .

إسلاماً ، وأوْسَطُهم داراً ، وأكرمُهم أحساباً ، وأحسنُهم وُجوهاً ، وأكثرُ الناس ولادةً
٢/ ٢٣٤ في العرب ، وأمَسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ . أسلَمْنا قبلَكُمْ ، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم . فأنتم إخوانُنا في الدِّين ، وشركاؤنا في الفَيْءِ ، وأنصارُنا على العدو . آويْتُم وواسَيْتم[1] . فجزاكم الله خيراً . نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء . لا تَدين العربُ إلاّ لهذا الحيِّ من قريش ، وأنتم محقوقون ألاّ تَنْفَسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق اللهُ إليهم .

خُطْبة لأبي بكر رضي الله عنه

٣٣٥٠ الهيثم ، عن مُجَالد ، عن الشَّعْبي ، قال : لما بُويع أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، صَعِد المِنْبر فنزل مِرْقاةً من مَقْعَد النبيِّ ﷺ ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إني وُلِّيتُ أمْرَكم ولستُ بخيرِكم ، ولكنه نزل القرآن وسَنَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه [وسلم السُّنَن] . اعلموا أيها الناسُ أنَّ أكْيَسَ الكَيْسِ التُّقى ، وأنَّ أحْمَقَ الحُمْقِ الفُجور ، وأنَّ أقْوَاكُمْ عندي الضعيفُ حتى آخُذَ له بحَقِّه ، وأضْعَفَكم عندي القويُّ حتى آخذَ منه الحقَّ . أمَا إني مُتَّبعٌ ولستُ بمبتَدِعٍ ؛ فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن زُغْتُ فقَوِّمُوني . أقول قولي هذا ، وأستغفر اللهَ العظيمَ لي ولكم .

خُطْبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

٣٣٥١ قال : ولما وَلِي عمر صَعِد المنبر[2] ، وقال : ما كان اللهُ ليراني أرى نفسي أهْلاً لمجلس أبي بكر .

ثم نَزَلَ عن مجلسه مِرْقاةً ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : اقرأوا القرآنَ تُعْرَفُوا به ، واعْمَلوا به تكونوا من أهله .

٢/ ٢٣٥ إنه لم يبلُغْ حَقُّ ذي حقٍّ أن يُطاعَ في معصيةِ اللهِ . ألا وإنِّي أنزلتُ نفسي من مالِ اللهِ بمنزلةِ والي اليتيم : إنِ استغنيْتُ عَفَفْتُ ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف ؛ تَقَرُّمَ البَهْمَةِ الأعرابية : القَضْمَ لا الخَضْمَ(١) .

---

(1) كب : أسلمتم . (2) كب : ونزل عن مجلس أبي بكر. ثم شطب الكلام.

---

(١) تقرمت البهمة : أكلت أكلاً ضعيفاً ، وذلك أول ما تأكل . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يقول إنه سيأخذ حقه ، الذي تدفع إليه حاجة الحياة ، لا يتعداه .

خُطْبة لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه

٣٣٥٢ قال : ولما وَلي عثمان صَعِد المنبر ، فقال :

رحمهما الله ! لو جَلَسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس .

فجلس على ذِرْوة المنبر ، فرمـاه الناسُ بأبصارهم ، فقال : إنَّ أوَّلَ [كُلِّ] مَرْكبٍ صَعْبٌ ، وإنَّ مع اليوم أيَّاماً ، وما كُنَّا خُطَباء ، وإنْ نَعِشْ لكم تأْتكم الخُطْبَةُ على وجهها إن شاء الله تعالى .

خُطْبة لعليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه

٣٣٥٣ خَطَب فقال :

أما بعد ، فإنْ الدُّنْيا قد أدْبَرَتْ وآذَنَتْ(١) بوَدَاع ، وإنَّ الآخرةَ قد أقْبَلَتْ فأشْرَفَتْ باطِّلاع ، وإنَّ المِضْمَارَ[1] اليومَ وغداً السِّبَاق(٢) . ألا وإنكم في أيَّام أمَلٍ مِنْ وَرَائه أَجَلٌ ، فمَنْ قَصَّرَ في أيام أمَلِه قبلَ حُضُورِ أجَلِه فقد خَسِر عَمَلُه . ألا فاعْمَلُوا لله في الرَّغْبة كما تَعْمَلُون له في الرَّهبة(٣) . ألا وإنِّي لم أَرَ كالجنَّةِ نام طالِبُها ، ولا كالنَّارِ نام هارِبُها(٤) . ألا وإنه مَنْ لم يَنْفَعْه الحقُّ ضَرَّهُ الباطِل ، ومن لم يَسْتَقِم به الهُدَى جارَ به الضَّلالُ . ألا وإنكم قد أُمِرْتُم بالظَّعْن(٥) ، ودُلِلْتم على الزَّاد . وإنَّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم اتِّباعُ الهَوَى وطُولُ الأمَلِ .

---

(1) كب : الضمار .

---

(١) آذنت : أعلمت .

(٢) المضمار : هو وقت للأيام التي تُضَمَّرُ فيها الخيل للسباق ، وتضميرها : أن تُشَد عليها سروجها وتُجَلل بالأجلَّة حتى تعرق ، فيذهب رَهَلها ، ويشتد لحمها ، ويُحمل فوقها غلمان خفاف يجرونها دون أن يسرعوا بها كثيراً ، وإذا فُعل ذلك أمن عليها الإعياء وانقطاع النَّفَس إذا أسرعت في عدوها . يقول : اليوم العمل في الدنيا للسباق غداً إلى الجنة .

(٣) الرهبة : أي في أيام الشدة ، كالمرض ، أو الخوف المقلق .

(٤) أي عجباً كيف ينام طالب الجنة والهارب عن النار .

(٥) الظعن : الارتحال ، أي ترك الضلال وكل الشرور .

خُطْبة عليٍّ عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

٣٣٥٤ أيها الناسُ ، كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّكُم . لا يُرْعِيَنَّ[1] مُرْعٍ إلَّا على نفسه(١) . شُغِلَ[2] مَنِ الجنةُ والنارُ أمامَه(٢) . ساعٍ نجا ، وطالبٌ يرجو ، ومُقَصِّرٌ في النار : ثلاثة ؛ واثنان(٣) : مَلَكٌ طار بجناحَيْه ، ونبيٌّ أخذ اللهُ بيديه ، لا سادِسَ(٤) . هَلَكَ مَنِ اقتحم(٥) ، ورَدِيَ مَنْ هوى . اليمينُ والشِّمالُ مَضَلَّة ، والوُسْطى الجادَّةُ . مَنْهَجٌ عليه أُمُّ[3] الكتاب وآثارُ النُّبوَّةِ .

إنَّ اللهَ أدَّب هذه الأُمَّةَ بأدبين : السَّوطِ والسَّيفِ ، فلا هَوَادَةَ فيهما عند الإمام . فاستتِروا ببيوتكم(٦) ، وأصْلِحوا ذاتَ بَيْنِكم ، والتوبةُ مِنْ ورائكم . مَنْ أبْدَى صَفْحته للحقِّ هَلَكَ(٧) . قد كانت [لكم] أُمُورٌ مِلْتُم عليَّ فيها مَيْلَةً لم تكونوا عندي [فيها] محمودين ولا مُصيبين . واللهِ أنِّي[4] لو أشاءُ أنْ أقولَ لقلتُ . عفا اللهُ عمَّا سَلَف . انْظُروا ، فإن أنكَرْتُم فأنكِروا ، وإن عَرَفتم فازُوا . حقٌّ وباطل ، ولكُلٍّ أهْلٌ . واللهِ لئنْ أُمِّرَ الباطلُ لَقَديماً فعل ، ولئن أُمِّرَ الحقُّ لَرُبَّ ولعَلَّ(٨) ، ما أدبر شيءٌ فأقبل(٩) .

خُطْبة أيضاً لعليٍّ رضي الله عنه

٣٣٥٥ خَطَب عليٌّ حين قُتِل عاملُه بالأنبار ، فقال في خُطْبته :

---

(1) كب : لا يرعي مرع ، مص : لا يدعي مدع . (2) كب : بشغل .
(3) كب ، مص : باقي . (4) كب ، مص : أن .

---

(١) لا يرعين مرع : أي لا يبقين ، يقول : من أبقى على الناس فإنما أبقى على نفسه .
(٢) أي من كانت هاتان الداران أمامه ، فهو في شغل عن أمور الدنيا إن كان رشيداً . ثم أخذ رضي الله عنه في تقسيم المكلفين إلى أقسام .
(٣) قوله : اثنان ، ملك ونبي ، يريد عصمة هذين النوعين من القبيح .
(٤) أي لم يبق في المكلفين قسم سادس ، وهذا يقتضي أن العصمة ليست إلا للأنبياء والملائكة .
(٥) أي من ولج الإمامة واقتحمها من غير استحقاق .
(٦) استتروا في بيوتكم : نهي عن العصبية والاجتماع والتحزب .
(٧) أي من خالف وكاشف ، ونابذ الله وحاربه ، هلك .
(٨) حق وباطل : أي كل أمر فهو إما حق وإما باطل ، ولكل واحد من هذين أهل ، وما زال أهل الباطل أكثر من أهل الحق ، ولئن كان الحق قليلاً لربما كثر ، ولعله ينتصر أهله .
(٩) استبعد أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم .

يا عَجَباً مِنْ جِدِّ هؤلاء في باطِلِهم وفَشَلِكم عن حَقِّكم(١) ! فقُبْحاً لكم وتَرَحاً حين صِرْتُم غَرَضاً يُرْمى(٢) ، يُغَارُ عليكم ولا تُغِيرُون ، وتُغْزَوْن ولا تَغْزُون ، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضَوْن. إن أمَرْتُكم بالمسير إليهم في الحَرِّ ، قلتم : حَمَارَّةُ القَيْظ(٣) ، أمْهِلْنا[1] يُسَبَّخْ عَنَّا الحَرُّ(٤) ؛ وإن أمَرْتُكم بالمسير إليهم في الشِّتاء ، قلتم : أمْهِلْنا [حتى] ينسلِخَ الشِّتاء ، هذا أوانُ قُرٍّ . كلُّ هذا فِراراً من الحرِّ والقُرِّ ، فأنتم واللهِ مِنَ السيف أفَرُّ . ٢٣٧/٢

يا أشباهَ الرِّجالِ ولا رِجالَ ! أحلامُ الأطفالِ ، وعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجال(٥) ؛ أفْسَدْتُم عليَّ رَأْيِي بالعِصْيان والخِذْلانِ ، حتى قالتْ قريش : [إنَّ] ابنَ أبي طالبٍ شُجاعٌ ، [ولكن] لا عِلْمَ له بالحَرْب . للهِ أبوهُمْ ! [و] هل منهم أحدٌ أشَدُّ[2] لها مِراساً وأطْوَلُ تَجْرِبةً مني ! لقد نَهَضْتُ فيها وما بَلَغْتُ العِشْرين ، وها أنذا[3] الآن قد نَيَّفْتُ(٦) على السِّتِّين ، ولكنْ لا رأيَ لمن لا يُطاعُ .

خُطْبة لمعاوية رحمه الله

٣٣٥٦ بلغني عن شُعَيب بن صفوان، قال: خَطَب معاوية فقال:

أيها الناسُ ، إنَّا قَدْ أصْبَحْنا في دَهْرٍ عَنُود(٧) ، وزَمَنٍ شَديد(٨) ، يُعَدُّ فيه المُحْسِنُ مسيئاً ، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُواً ، لا نَنْتَفع بما عَلِمنا ، ولا نَسْأَلُ عمَّا جَهِلْنا ، ولا

---

(1) كب : أمهلنا ينسلخ الحر ، مص : أمهلنا حتى ينسلخ الحر .
(2) كب : لها أشد . . ولا أطول . (3) كب ، مص : فهأنا .

---

(١) الفشل : الجبن والنكول عن الشيء . وكان سفيان بن عوف الأسدي قد أغار على الأنبار في خلافة علي بن أبي طالب ، وعليها حسان بن حسان البكري ، فقتله وأزال الخيل عن مسارحها .
(٢) قبحه الله قبحاً : أقصاه وباعده من كل خير . الترح : الحزن ، وهو الهلاك والانقطاع أيضاً . والغرض : الهدف .
(٣) حمارة القيظ : شدة حره واحتدامه .
(٤) يسبخ عنا الحر : يخف .
(٥) ربات الحجال : النساء ، والحجال : جمع حَجَلة ، وهي بيت كالقبة يستر بثياب مزينة موشاة ، ويكون له أزرار كبار ، يتخذ للنساء ، فهن ربات الحجال . ينسبهم إلى ضعف النساء ، وهو السائر في كلام العرب .
(٦) نيفت : زدت ، قال ثعلب : الذي حصَّلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيّف من واحدة إلى ثلاث ، والبِضع من أربع إلى تسع (اللسان : نوف) .
(٧) العنود : الجائر الطاغي .
(٨) شديد : صعب .

نَتَخَوَّف قارِعةً حتى تَحُلَّ بنا(١) . فالناسُ أربعةُ أصنافٍ : منهم مَنْ لا يَمْنَعُه مِنَ الفَسَاد في الأرض إلَّا مَهانَةُ نَفْسِه ، وكَلالُ حَدِّه ، ونَضِيضُ وَفْره(٢) . ومنهم المُصْلِتُ بسَيْفِه[1] ، والمُجْلِبُ بخَيْلِه ورَجْلِه(٣) ، والمُعْلِنُ بشَرِّه ، قد أشْرَط نَفْسَه(٤) وأوْبَقَ دِينَه(٥) لحُطَامٍ يَنْتَهِزُه(٦) ، أو مِقْنَبٍ يَقُودُه ، أو مِنْبَرٍ يَفْرَعُه[2] ، ولبئس[3] المَتْجَرُ أنْ تَرَى الدُّنْيا لنفسك ثمناً ومما [لك] عند الله عِوَضاً .

٢/٢٣٨

ومنهم مَنْ يَطْلُبُ الدنيا بعَمَلِ الآخرة [ولا يَطْلُبُ الآخرةَ بعمل الدنيا] ، قد طامَنَ مِنْ شَخْصِه ، وقارَبَ مِنْ خَطْوِه(٧) ، وشَمَّرَ من ثَوْبِه(٨) ، وزَخْرَفَ [مِنْ] نَفْسِه للأمانة(٩) ، واتخذ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعةً إلى المعصية .

ومنهم مَنْ أقْعَدَه عن طَلَبِ المُلْكِ ضُؤُولةٌ في نَفْسه(١٠) ، وانقطاعٌ مِنْ سببه ، فَقَصَرَتْهُ[4] الحالُ[5] على حالِهِ ، فَتَحَلَّى باسمِ القَنَاعةِ وتزيَّنَ بِلِباس الزَّهَادة[6] ، وليس مِنْ ذاك في مَرَاحٍ ولا مَغْدَى .

وبقي رجالٌ غَضَّ أبصارَهم ذِكْرُ المَرْجع ، وأراقَ دموعَهم خَوْفُ المَحْشَر ، فهم بين شَريد نَادٍّ(١١) ، وخائفٍ مُنْقَمِعٍ ، وساكِتٍ مَكْعُومٍ ، وداعٍ مُخْلِصٍ ، ومَوجَعٍ ثَكْلانَ ؛

---

(1) مص : لسيفه .
(2) كب : ينتزعه .
(3) كب : وليس . . أن تراها لنفسك ، مص : ولبئس المتجران تراها .
(4) كب ، مص : فقصر به .
(5) مص : الحال عن أمله .
(6) كب ، مص : الزهاد .

---

(١) القارعة : الخطب الذي يَقرَع ، أي يصيب .
(٢) نضيض وفره : قلة ماله .
(٣) المجلب بخيله : المعين عليهم . والرجل : جمع راجل .
(٤) أشرط نفسه : أعدها وهيأها للفساد في الأرض .
(٥) أوبق دينه : أهلكه .
(٦) الحطام : المال ، وأصله : ما تكسر من اليبس . ينتهزه : يختلسه . والمقنب : الجماعة من الخيل . يفرعه : يعلوه .
(٧) طامن من شخصه : خفض . قارب من خطوه : لم يسرع ، ومشى رويداً .
(٨) شمر من ثوبه : قصَّره .
(٩) زخرف من نفسه : حسَّن ونمَّق وزيَّن ، والزخرف : الذهب في الأصل .
(١٠) الضؤولة : الحقارة . والرواية الأعلى : ضؤولة نفسه .
(١١) الناد : المنفرد ، الذاهب على وجهه ، كأنه نافر أبداً . والمنقمع : المستخفي . المكعوم : الذي عقل لسانه عن القول خوفاً ، وأصله من كَعَم البعير : إذا شد فاه لئلا يعض أو يأكل .

قد أخْمَلَتْهم التَّقِيَّةُ ، وشَمِلَتْهم الذِّلَّة ؛ [فهم] في بحرِ أُجاجِ(١) ، أفواهُهم ضامِزَةٌ[1] ، وقلوبُهم قَرِحةٌ ، قد وَعَظُوا حتى مَلُّوا ، وقُهِروا حتى ذَلُّوا ، وقُتِلوا حتى قَلُّوا .

فلتكُن الدنيا في أعينكم أصْغَرَ من حُثَالةِ القَرَظِ وقُرَاضَةِ الجَلَم(٢) ، واتَّعِظُوا بمَنْ كان قبلكم قبل أن يَتَّعِظ بكم مَنْ بَعْدَكُم ، وارْفُضُوها ذَميمةً ، فإنها قد رَفَضتْ مَنْ كان أشْغَفَ بها منكم .

خُطْبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

٣٣٥٧ خَطَب فقال : إنَّ معاويةَ كان حَبْلاً[2] من حِبال الله ، مَدَّه ما شاء أن يَمُدَّه ، ثم قَطَعه حين شاء أن يَقطعه . وكان دُونَ مَنْ قَبْلَه ، وهو خيرٌ ممن بَعْدَه ، [ولا أُزَكِّيه عند رَبِّه ٢/ ٢٣٩ وقد صار إليه] ، فإن يعفُ عنه فبرحمته ، وإنْ يعاقبْه فبذنبه . وقد وَلِيتُ الأمرَ بعدَه ، ولستُ أعتذر مِنْ جَهْلٍ ولا آيَسُ[3] مِنْ طَلِبِ عِلْمٍ ، وعلى رِسْلِكم ! إذا كَرِهَ اللهُ أمْراً غَيَّرَه .

خُطْبة لعُتْبة بن أبي سُفيان

٣٣٥٨ أبو حاتم ، عن العُتْبي ، قال : احتبستْ كُتُبُ معاويةَ حتى أرْجَفَ(٣) أهلُ مصر بموته ، ثم وَرَدَ كتابُه بسلامته ، فصَعِد عتبةُ المنبر والكتابُ في يده ، فقال :

يا أهلَ مصر ، قد طالتْ مُعَاتبتُنا إياكم بأطرافِ الرِّماح وظُبَاتِ السيوفِ(٤) حتى صِرْنا

---

(1) كب ، مص : ضامرة ، بالراء المهملة . (2) كب : جبلاً .
(3) كب ، مص ، ولا اشتغل بطلب .

---

(١) الأجاج : الملح . ضامزة : ساكتة ، ممسكة رهبة .
(٢) القرظ : ورق السَّلَم ، يدبغ به . وحثالته : ما يسقط منه . الجلم : المقص ، تجز به أوبار الإبل . وقراضته : ما يقع من قَرْضه وقطعه . يقول رضي الله عنه : الناس أربعة : القسم الأول : من يقعد به عن طلب الإمارة قلة ماله وحقارته في نفسه .
والقسم الثاني : من يشمر ويطلب الإمارة ، فيفسد في الأرض . والقسم الثالث : من يُظْهر ناموس الدين ويطلب به الدنيا . والقسم الرابع : من لا مال له ولا همة ، فيتحلى بالزهادة عجزاً . وبقي قسم خامس ، وهم الأبرار الأتقياء ، دل عليهم ولم يذكرهم ، كأنما أبان أنهم خارجون عن الأقسام الأربعة.
(٣) أرجف الناس : خاضوا في الأخبار التي تحدث اضطراباً وفتنة .
(٤) ظبات السيوف : جمع ظبة ، وهي حد السيف .

شَجًى في لَهَواتِكم(١) ما تُسِيغُنا حُلُوقُكم، وأقْذَاءً في أعْيُنِكم ما تَطْرِف عليها جفونُكم . فحين استدَّتْ عُرَى الحَقّ عليكم عَقْداً ، واسترختْ عُقَدُ الباطلِ منكم حَلاًّ ، أرجفتُم [بموت] الخليفةِ[1] ، وأردتُم تَوْهينَ السُّلْطان ، وخُضْتُم الحَقَّ إلى الباطل ، وأقدمُ عهدكم به حديثٌ . فازْبَحُوا أنفسَكم إذْ خَسِرْتُم دينَكم ، فهذا كتابُ أميرِ المؤمنين بالخَبَرِ السَّارِّ عنه ، والعَهْدِ القريبِ منه . واعلموا أن سُلْطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصْلِحوا لنا ما ظَهَر ، نَكِلْكُم إلى الله فيما بَطَن ، وأظْهِرُوا خيراً وإن أسررتُم شَراً ، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون . وعلى الله نتوكَّل ، وبه نستعين .

خُطْبة لعُتْبة أيضاً

٣٣٥٩ وبهذا الإسناد ، أن عُتبة خَطَب أهلَ مصر حين هاجوا ، فقال :

يا أهلَ مصر ، خَفَّ على ألسنتكم مَدْحُ الحَقِّ ولا تفعلونه ، وذَمُّ الباطلِ وأنتم تأتُونَه ، كالحمار يَحْمِل أسفاراً أثقله حَمْلُها ولم ينفعْه عِلْمُها . وإني واللهِ لا أُداوي أدواءَكم بالسيف ما اكتفيتُ بالسَّوْط ، ولا أبلغُ السَّوْطَ ما كفتني الدِّرَّة ، ولا أُبطيء عن الأولى إن لم تَصْلُحوا على[2] الأُخرى ، ناجِزاً بناجِزٍ(٢) ، ومَنْ حَذَّر كمن بَشَّر ، فدَعُوا قال ويقول مِنْ قبلُ أنْ يقال فَعَلَ ويفعل ، فإنَّ هذا اليومَ الذي ليس فيه عِتاب[3] ، ولا بعدَه عِقاب .

٢٤٠/٢

خُطْبة لعبد الله بن الزُّبَيْر

٣٣٦٠ خَطَب عبد الله بن الزبير حين قُتِل أخوه مصعب ، فقال :

الحمد لله الذي يُعِزُّ مَنْ يشاء ويُذِلُّ مَنْ يشاء . [ألَا و] إنه لن يُذَلَّ مَنْ كان الحَقُّ معه وإنْ كان فَـرْداً ، ولن يُعَزَّ مَنْ كان وَلِيُّه[4] الشيطان [و] حِزْبُه وإنْ كان معه الأنامُ .

---

(1) كب ، مص : أرجفتم بالخليفة .
(2) كب ، مص : عن .
(3) كب ، مص : فيه عقاب ، ولا بعده عتاب .
(4) كب ، مص : أولياء .

---

(١) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرهما . واللهوات : جمع لهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .
(٢) الناجز : الحاضر ، وهذا كقولهم : يداً بيد ، وعاجلاً بعاجل . يقول : سأجزيكم بمثل فعلكم .

أتانا خبرٌ من قِبل العراق أجْزَعَنا وأفْرَحنا : قَتْلُ مُصْعَبٍ رحمه الله .

فأما الذي أحزَنَنا مِنْ ذلك ، فإنَّ لفُرَاق الحميم لَذْعةً ، يَجِدُها حَمِيمُه عند المُصيبةِ به ، ثم يرعوي[١] بعدها ذَوُو الرأي إلى جميلِ الصَّبْرِ وكريمِ العَزَاء .

وأمَّا الذي أفْرَحَنا من ذلك فعلْمُنا أنَّ قَتْلَه شهادةٌ ، وأنَّ ذلك لنا وله الخَيرة .

ألا إنَّ أهلَ العراقِ أهلَ الشِّقاق والنِّفاق باعُوه بأقلِّ ثمنٍ كانوا يأخذونه به . إنَّا واللهِ لا نموتُ حَبَجاً[٢] ، ولا نموت إلَّا قتلاً ، قَعْصاً بالرِّماح[٣] تحت ظلال السُّيوف ، ليس كما تموت بنو مروان ، والله ما[1] قُتِلَ رجلٌ منهم في [زَحْفٍ في] جاهليَّةٍ ولا إسلام .

أَلَا إنما الدُّنْيا عاريَةٌ[٤] مِنَ المَلِكِ الأعلى ، فإنْ تُقْبِلَ عليَّ لا آخُذْها أخْذَ البَطِرِ الأشِرِ[٥] ، وإنْ تُدْبر[2] عني لا أبْكِ عليها بُكَاءَ الحَرِقِ[3] المَهِين[٦] . ٢٤١/٢

خُطْبة زياد البتراء[٧]

٣٣٦١ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن الأصْمَعي ، عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها .
وحَدَّثني أبي ، عن الهيثم بن عدي ، قال :

---

(1) كب ، مص : إن . (2) كب : تدير .
(3) كب ، مص : الخرف المهتر ، وهو الذي فسد عقله من الكبر .

---

(١) يرعوي : يرتدع ويكف .
(٢) الحبج في الأصل : أن يأكل البعير لحاء العرفج ـ وهو نبت لين أغبر ـ فيرم بطنه سمناً ، وربما قتله ذلك . يعرِّض ببني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة .
(٣) القعص بالرمح : الطعن به طعنة تقتل مُعَجَّلاً ، فيموت المطعون مكانه .
(٤) العارية : المنيحة .
(٥) البطر الأشر : المتبختر الطاغي عند النعمة وطول الغنى .
(٦) الحرق : الغاضب المغيظ ، يَحْرِق أنيابه غيظاً وحنقاً ، أي يحك بعضها ببعض .
(٧) قال الجاحظ : وأهل البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتديء بالتحميد ، وتُستفتح بالتمجيد « البتراء » ، ويسمون التي لم توشح بالقرآن ، وتزيَّن بالصلاة على النبي ﷺ « الشوهاء » (البيان والتبيين ٦/٢) وزياد بن أبيه هو أول من فعل ذلك ، فإن قيل « البتراء » فالمراد خطبة زياد . وإن نقض أحدهم السنن ، فلم يستهل خطبته بالحمد ، قيل « بتراء » دونما تعريف .

لما قَدِم زيادٌ أميراً على البَصْرة فنظر إلى أبياتها ، قال : رُبَّ فَرِحٍ بإمارتي لن تنفعَه ، [و] كارِهٍ لها لن تَضُرَّه .

ودخل[1] وعليه قَباء(١) أبيض ورِداء صغير ، فصَعِد المنبر ، فخطب الناسَ خُطْبةً بتراء ، لم يُصَلِّ فيها على النبيِّ ﷺ ، وكان أوَّلَ مَنْ خطبها . قال[2] :

أمَّا بعد ، فقد قال معاوية ما قد عَلِمتم ، وشَهِدت الشُّهودُ بما قد سَمِعتم ، وإنما كنتُ امرأً حَفَظ اللهُ منه ما ضَيَّعَ النَّاسُ ، وَوَصَل ما قَطَعُوا(٢) .

ألا وإنَّا قد وَلِينا وَوَلِينَا الوَالُون ، وسُسْنا وساسنا السَّائِسُون . وإنَّا وجدنا هذا الأمْرَ لا يُصْلحه إلَّا شدَّةٌ في غيرِ عُنْف ، ولينٌ في غير ضُعْف . وأيمُ اللهِ ما مِنْ كِذْبةٍ أكبرُ شاهداً مِنْ كِذْبة إمامٍ على مِنبر ؛ فإذا سمعتموها مني فاغْتَمِزُوها فيَّ(٣) ، واعْلَمُوا أنَّ عندي أمثالَها . وإذا رأيتموني آمُرُ فيكم بالأمْرِ فأنْفِذوه على أذْلاله[3](٤) . وأيْمُ اللهِ ! إنَّ لي فيكم لصَرْعَى كثيرة ، فليحذَرْ كلُّ امرىءٍ منكم أن يكونَ مِنْ صَرْعاي . وأيْمُ اللهِ لآخُذنَّ البريءَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمُقْبلَ بالمدبر ، حتى تَستقيمَ لي قَناتُكم ، وحتى يقولَ القائلُ : أنْج سَعْدُ فقد قُتِل سُعَيد(٥) .

فقام إليه عبد الله[4] بن الأهْتم التميمي ، فقال : أيها الأمير ، أشهد أنك أُوتيتَ الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب . فقال له : كَذَبْتَ ، ذاك نبيُّ اللهِ داود .

ثم قام إليه الأحنفُ ، فقال : إنما المرءُ بِجدِّه(٦) ، والسيفُ بحَدِّه ، والجوادُ بشَدِّه ؛

(1) كب ، مص : فدخل .
(2) كب ، مص : ثم قال .
(3) كب : أدلاله، بالدال غير المعجمة، تصحيف.
(4) كب : نعيم ، تحريف .

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب ويتمنطق عليه .
(٢) يشير إلى استلحاق معاوية له . وكان زياد عاملاً على فارس لعلي بن أبي طالب ، فتمكن معاوية من استدراجه إليه ، وأنسبه لأبيه أبي سفيان أبي معاوية ، فعرف بزياد بن أبي سفيان ، ولاه البصرة ، ثم جمع له البصرة والكوفة ، وتوفي سنة ٥٣ .
(٣) اغتمزوها فيَّ : اطعنوها عليَّ ، وأوجدوا مغمزاً وعيباً عندي .
(٤) أذلاله : طرقه ووجوهه ، واحده ذِل بكسر الذال ، وهو ما مهد من الطريق وذلل .
(٥) هذا مثل يضرب في الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع ، وعن الشيء أهو مما يحب أو يكره . وأصله أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا يطلبان إبلاً لهما ، فرجع سعد ولم يرجع سعيد ؛ فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال : سعد أم سعيد (اللسان : سعد) .
(٦) الجد : الحظ والنصيب .

وقد بَلَّغَك جِدُّك أيها الأميرُ ما ترى ، وإنما الحمدُ بعد البَلاءِ ، والثناءُ بعد العطاء ، وإنَّا لا نُثْني حتى نَبْتلي .

ثم قام إليه مِرْداس بن أُدَيَّة[1] ، فقال : قد سَمِعنا مقالتَك أيها الأمير ، وإنَّ خليلَ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام أدَّى عن الله غيرَ الذي أدَّيته ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَّا[2] تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ٣٨] وأنتَ تزعُمُ أنك تأخذ البريءَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمُقْبلَ بالمدبر . فقال له : اسْكُت ، فوالله ما أجِد إلى ما أُريدُ سبيلاً ، إلَّا أن أخوضَ إليه الباطلَ خوضاً . ٢٤٣/٢

ثم نزل .

وقال في خُطْبة له أخرى

٣٣٦٢ حرامٌ عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض هَدْماً وإحراقاً . إيَّاي ودَلَجَ الليلِ(١) ، فإني لا أُوتَى بمُدْلِجٍ إلا سَفَكْتُ دَمَه ، وإيَّايَ ودَعْوَى الجاهليَّةِ(٢) ، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلَّا قطعتُ لسانَه . وقد أحدثتم أحداثاً ، وأحدثنا لكُلِّ ذنبٍ عقوبةٍ : فمَنْ غَرَّقَ قوماً غَرَّقْته ، ومَنْ أحرقَ قوماً أحرقْتُه ، ومَنْ نَقَبَ بيتاً نقبتُ عن قلبه ، ومَنْ نَبَشَ قبراً دفنتُه فيه حَياً ، فكُفُّوا أيديكم وألسنتكم أكُفَّ عنكم .

وقد كانت بيني وبين أقوامٍ منكم أشياءُ قد جعلتُها دَبْرَ أذني وتحت قدمي ، فمن كان محسناً فليزدَدْ ، ومَنْ كان مسيئاً فلينْزِعْ . إنِّي لو علمتُ أنَّ أحدَكم قد قتله السُّلُّ مِنْ بُغْضي لم أكشِف له قِناعا ولم أهتِكْ له سِتْراً ، حتى يُبْديَ لي صَفْحتَه ، فإذا فَعَلَ ذلك لم أُناظِرْه . فأعينوا على أنفسِكم ، وَأْتَنِفُوا أمْرَكم .

خُطْبة للحَجَّاج حين دَخَل البَصْرَة

٣٣٦٣ دخل وهو متقلِّدٌ سيفاً ، متنكِّبٌ قوساً عربية ، فعلا المنبرَ ، فقال :

---

(1) كب : أدبه ، تصحيف .   (2) كب : لا .

---

(١) دلج الليل : سير الليل ، وخص بأوله . عنى ما يحاك ليلاً من دسائس ، ويدبر من مكائد وشرور .

(٢) دعوى الجاهلية : هو قولهم يا لفلان ، كانوا يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث الشديد ، وهي دعوى نهى عنها ﷺ وقال : « إنها منتنة » ، أي مذمومة في الشرع ، مجتنبة مكروهة كما يُجتنب الشيء المنتن الفاسد (صحيح البخاري ٤/١٨٦١ كتاب التفسير ، الحديث ٤٦٢٢ ـ اللسان : دعا) .

أَنَـا ابْـنُ جَـلا وطَـلاَّعُ الثَّنَـايَـا مَتَى أَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوني[١]

٢/ ٢٤٤ إنَّ أميرَ المؤمنين نَكَب عِيدانَه[٢] بين يديه فوجدني أمَرَّهَا عُوداً[٣] ، وأصْلَبَها مَكْسِراً ، فوجَّهَني إليكم . أَلَا فوالله لأَعْصِبَنَّكُمْ عَصْبَ السَّلَمةِ[٤] ، ولأَلْحُوَنَّكُم لَحْوَ العُودِ[٥] ، ولأَضْرِبَنَّكُم ضَرْبَ غرائبِ الإبلِ[٦] ، حتى تستقيمَ لي قَنَاتُكم ، وحتى يقولَ القائلُ : أَنْجُ سَعْدُ فقد قُتِلَ سُعَيد[٧] . ألا وإيَّاي وهذه السُّقَفَاءَ[٨] والزُّرَافاتِ ، فإني لا أُوتَى بأحدٍ من الجالسين في زَرَافةٍ[1] إلَّا ضربتُ عُنُقَه .

هكذا حَدَّثنيه أحمد بن سعيد ، عن أبي عُبَيد في كتاب غريب الحديث . وقال لي

---

(1) في هامش كب : الزرافة : الجماعة .

---

(١) البيت لسُحَيم بن وَثيل الرياحي ، وكان الأحوص واسمه يزيد بن عمرو التميمي ، والأبيرد بن المعذر ، قد تحدياه في الشعر ، وهو شيخ بلغ السن ، فأحفظه ذلك (الأصمعيات ١٧) . وابن جلا : أي ابن الواضح المكشوف ، يقال للرجل إذا كان على شرف ، لا يخفى مكانه : هو ابن جلا ، من الجلاء : وهو بيان الأمر ووضوحه ، وهو مثل في ظهور الشيء ووضوحه وشهرته . الثنايا : جمع ثَنِية (بفتح فكسر) ، وهي الطريق في الجبل . أراد بذلك أنه جلد مغالب للصعوبات ، يسمو إلى معالي الأمور فلا تشق عليه . وقوله : « أضع العمامة » قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب ، وتوضع في السلم . وقال التبريزي : أي متى أسفر وأحدر اللثام عن وجهي تنظروا إلي فتعرفوني (شرح نهج البلاغة ١/ ٣٤٣) وكلا القولين مرجوح ، ومعنى أضع العمامة : ألبسها ، وذلك لأن شجعان العرب كانوا يلبسون عمائم مشهرة الألوان في الحرب يُعرفون بها في الأحياء ، فيكون طلبهم للشهرة بها أدل على أنهم لا يبالون من شدة بأسهم ، ومنه قيل : فارس مُعْلِم ، لا يخاف قصد العدو له بالطعن والنبل .

(٢) نكب عيدانه : طرحها ونثرها .

(٣) أمرها عوداً : أي أقواها وأشدها .

(٤) السلمة : شجرة من العِضاه ، ذات شوك ، وورقها القَرَظ الذي يُدبغ به ، يعسر خرط ورقها لكثرة شوكها ، فتُعصب أغصانها ، بأن تُجمع ويُشَد بعضها إلى بعض بحبل شداً شديداً ، ثم يهصرها الخابط إليه ، ويخبطها بعصاه ، فيتناثر ورقها للماشية ولمن أراد جمعه . وأصل العَصْب : اللي . يقول إنه سيقهرهم ويذلهم ولن يمتنعوا عليه .

(٥) لحا العود : قشرها .

(٦) كانت الإبل الغريبة إذا وردت مع إبل قوم ضربت وطردت ، فضرب ذلك مثلاً في التهديد والإنذار .

(٧) انظر ما تقدم في خطبة زياد البتراء برقم ٣٣٦١ هـ/ ٥ .

(٨) قال ابن منظور : وأما قول الحجاج : إياي وهذه السقفاء ، فلا يعرف ما هو . وحكى ابن الأثير ، عن الزمخشري ، قال : قيل هو تصحيف ، قال : والصواب شُفَعاء ، جمع شفيع . لأنهم كانوا يجتمعون إلى السلطان فيشفعون في أصحاب الجرائم ، فنهاهم عن ذلك لأن كل واحد منهم يشفع للآخر ، كما نهاهم عن الاجتماع في قوله : إياي وهذه الزرافات (اللسان : سقف) الزرافات : جمع زرافة ، وهي الجماعة . نهاهم أن يجتمعوا فيكون ذلك سبباً لثوران الفتنة .

غيره : هو : إيايَّ وهذه الشُّفَعاءَ والزَّرَافات .

وقد فسَّرْتُ الحديثَ في كتابي المؤلَّف في غريب الحديث .

خُطْبة للحَجَّاج أيضاً

٣٣٦٤ أرْجَفَ(١) الناسُ بموت الحَجَّاج ، فخَطَب فقال : إنَّ طائفةً من أهل العراق ، أهلِ الشِّقاق والنِّفاق ، نَزَغ الشيطانُ بينهم(٢) ، فقالوا : ماتَ الحَجَّاج ، وماتَ الحَجَّاج ، فمَهْ(٣) ! وهل يرجو الحَجَّاجُ الخيرَ إلا بعد الموت ! واللهِ ما يسرُّني ألَّا أموتَ ، وأنَّ لي الدنيا وما فيها ! وما رأيتُ اللهَ رَضي بالتخليد إلَّا لأهْوَنِ خَلْقه عليه إبليس ؛ ولقد دعا اللهَ العبدُ الصالحُ ، فقال : ﴿ رَبِّ[1] ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥] ٢/ ٢٤٥ فأعطاه ذلك إلا البقاء . فما عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ! كأنِّي واللهِ بكُلِّ حيٍّ منكم ميِّتاً ، وبكُلِّ رطبٍ يابساً ، نُقِلَ[2] في ثيابِ أكفانه إلى ثلاثِ أذرُعٍ طُولًا في ذِراع عَرْضاً ، فأكلتِ[3] الأرضُ لَحْمَه ومَصَّتْ صَديدَه(٤) ، وانصرفَ الحبيبُ مِنْ ولده يَقْسِم الخبيثَ مِنْ ماله . إنَّ الذين يعقِلُون يعلَمُون ما أقول .

ثم نزل .

خُطْبة أخرى للحَجَّاج حين أراد الحج

٣٣٦٥ خَطَب فقال : أيُّها الناس إني أريد الحجَّ ، وقد استخلفتُ عليكم ابني(٥) هذا ، وأوصيتُه بخلاف ما أوْصَى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] في الأنصار . إنَّ رسولَ اللهِ أوْصَى أنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسنهم ، وأنْ يُتَجاوَزَ عن مسيئهم(٦) ، [ألا] [4]وإنِّي أمرتُه ألَّا يُقْبلَ مِنْ مُحْسِنكم ولا يتجاوزَ عن مُسِيئكم[4] . ألا وإنكم سَتَقُولون بعدي مقالةً

---

(1) كب : رب هب لي ملكاً ، خطأ .
(2) كب ، مص : ونقل .
(3) كب ، مص : وأكلت .
(4 - 4) سقطت من كب ، ثم ألحقها بالهامش .

---

(١) أرجف الناس : خاضوا في الأخبار التي تحدث اضطراباً وفتنة .
(٢) نزغ الشيطان بينهم : أغرى وأفسد وحمل بعضهم على بعض .
(٣) مه : كلمة زجر ، اسم أمر مبني على السكون بمعنى اسكت .
(٤) الصديد : الدم والقيح الذي يسيل من الجسد .
(٥) هو ابنه محمد ، ومات في حياة أبيه ، والحجاج توفي سنة ٩٥ في شهر رمضان .
(٦) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . يتجاوز : يعفو .

لا يمنعُكُمْ مِنْ إظهارها إلا مخافتي ، ستقولون بعدي : لا أَحْسَنَ اللهُ له الصَّحابة ! أَلا وإنِّي مُعَجِّلٌ لكم الجوابَ : لا أَحْسَنَ اللهُ لكم الخِلافةَ .

ثم نـزَل .

خُطْبة للحَجَّاج أيضاً

٣٣٦٦ خَطَب ، فقال في خُطْبته : سَوْطي سيفي ، فنِجَادُه في عُنُقي ، وقائمُه في يدي ، وذُبابه قِلادةٌ لمن اغترَّ بي(١) .

فقال الحسن : بُؤْساً لهذا ! ما أغَرَّه بالله !

٣٣٦٧ وحَلَف[1] رجلٌ بالطَّلاق أن الحَجَّاج في النار ، ثم أتى امرأتَه فمنعته[2] نفسَها ، فأتى ابنَ سِيرِين يستفتيه ، فقال : يا بنَ أخي ، امْضِ فكُنْ مع أهلك ، فإنَّ الحَجَّاج إن لم يكن في النار لم يَضُرَّك أن تَزْنيَ .

٢/ ٢٤٦

خُطْبة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

٣٣٦٨ حَدَّثني أبو سَهْل ، عن إسحاق بن سليمان ، عن شُعَيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاص ، قال :

كان آخرُ خُطْبةٍ خَطَب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عبثاً، ولن تُتْركوا سُدًى، وإنَّ لكم مَعاداً يَنزل اللهُ فيه للحُكْم فيكم والفَصْلِ بينكم، فخاب وخَسِر مَنْ خَرَج مِنْ رحمة الله [التي وَسِعت كُلَّ شيءٍ]، وحُرِمَ جَنَّةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ .

ألا واعلموا[3] أنه لا يأْمَنُ غداً إلَّا مَنْ حَذِرَ [اللهَ] اليومَ وخافَه[4] ، فباع نافِداً[5] بباقٍ ، وقليلاً بكثيرٍ ، وخوفاً بأمان !

---

(1) كب : فحلف . وأظن أن هذا الخبر مزيد ، لا يناسب الباب ، وقد مضت مثل هذه الزيادة في رقم ٣٣٣٩ ـ ٣٣٤٠ ـ ٣٣٤١ .

(2) كب : فمتعته .

(3) كب ، مص : ألم تعلموا .

(4) كب ، مص : وخاف ، وباع .

(5) كب : ناقداً ، بالقاف .

---

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه : مقبضه . وذبابه : حده وطرفه الذي يضرب به .

ألا تَرَوْنَ أنكم في أسْلاب الهالكين(١) ، وستكون[1] مِنْ بعدكم للباقِين كذلك ، حتَّى تُرَدَّ[2] إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كُلِّ يومٍ تُشَيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قَضَى نَحْبَه(٢) ، حتى تُغَيِّبوه في صَدْعٍ(٣) مِنَ الأرض في بطنِ صَدْعٍ ، غيرِ مُوَسَّد ولا مُمَهَّد ، قد فارَقَ الأحبابَ، وباشَرَ الترابَ ، وواجَهَ الحِساب . فهو مرتَهَنٌ بعمله ، غَنيٌّ عما تَرَكَ ، فقيرٌ إلى ما قَدَّمَ . فاتَّقُوا اللهَ قبل انقضاءِ مَوَاقِيته ونزولِ الموتِ بكم .

أمَا إني أقول هذا وما أعلم أنَّ عند أحدٍ [منكم] مِنَ الذُّنوب أكثرَ مما عندي ، فأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه .

ثم رَفَعَ طَرَفَ رِدائه على وجهه ، فبكى وأبكى مَنْ حوله .

خُطْبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

٣٣٦٩ خَطَبَ ، فذَكَر اللهَ وجلالَه ، ثم قال : كنتَ كذلك ما شئتَ أن تكون ، لا يَعلم كيف أنتَ إلا أنت . ثم ارتأيْتَ أن تخلُقَ الخَلْق ، فماذا جئتَ به مِنْ عجائبِ صُنْعك ، والكبيرِ والصغيرِ مِنْ خَلْقِك ، والظاهِرِ والباطِنِ مِنْ ذَرْك(٤) ، مِنْ صُنُوفِ أفْوَاجِه ٢/٢٤٧ وأفْرادِه وأزْوَاجه ؟ كيف أدمَجْتَ قوائمَ الذَّرَّةِ(٥) والبَعُوضةِ إلى ما هو أعظمُ مِنْ ذلك مِنَ الأشباح التي امتزجتْ بالأرواح ؟

٣٣٧٠ وخَطَب يوماً ، فسقَطَتْ جَرَادةٌ على ثوبه ، فقال : سبحانَ مَنِ الجَرَادةُ مِنْ خَلْقِه ، أدْمَجَ قوائمَها ، وطَوَّقَها جَنَاحَها ، ووَشَّى جِلْدَها ، وسَلَّطَها على ما هو أعْظَمُ منها .

خُطْبة للحجَّاج

٣٣٧١ خَطَب ، فقال : أيُّها الناسُ ، احْفَظُوا فُروجكم ، وخُذوا الأنفسَ بضميرها ، فإنها

---

(1) كب : سيكون .　　(2) كب : يرد .

---

(١) الأسلاب : جمع السِّلاب ، وهي ثياب المآتم السود .
(٢) النحب : المدة والوقت ، ويقال : فلان قضى نحبه ، أي مات ، كأنما أنهى مدته ووقته على الأرض .
(٣) الصدع : الشق .
(٤) الذر : الخلق .
(٥) الذرة : واحدة الذَّر ، وهي صغار النمل .

أَسْوَكُ شيءٍ إذا أُعْطِيَتْ[١] ، وأعصَى شيءٍ إذا سُئلتْ . [ألا] وإني رأيتُ الصبرَ عن مَحَارِمِ اللهِ أيْسَرَ مِنَ الصبرِ على عذابِ الله .

خُطْبة لسليمان[1] بن عبد الملك

٣٣٧٢ خَطَب ، فقال : إنَّ الدارَ دارُ غُرورٍ ومنزلُ باطلٍ ، تُضْحك باكياً وتُبْكي ضاحكاً ، وتُخيف آمناً وتُؤمن خائفاً ، وتُفقر مُثرياً وتُثري مُقْتِراً ، مَيَّالَةٌ غَرَّارةٌ لَعَّابةٌ بأهلها .

عبادَ الله ، اتَّخِذوا كتابَ اللهِ إماماً ، وارْتَضُوا به حَكَماً ، واجْعَلوه لكم قائداً ، فإنه ناسِخٌ لما كان قبلَه ولم ينسَخُه كتابٌ بعدَه[٢] .

اعْلَمُوا عبادَ اللهِ أنَّ هذا القرآنَ يجلو كَيْدَ الشيطانِ كما يجلو ضوءُ الصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ ظلامَ[2] الليلِ إذا عَسْعَسَ[٣] .

خُطْبة يزيد بن الوليد بعد قَتْله الوليد

٢/ ٢٤٨

٣٣٧٣ حَمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، [إنِّي] واللهِ ما خَرَجتُ أشَراً ولا بَطَراً[٤] ، ولا حِرْصاً على الدُّنيا ، ولا رغبةً في المُلْك ، وما بي إطراءُ نفسي ، وإني لَظَلُومٌ لها إنْ لم يرحَمْني اللهَ ؛ ولكنْ خرجتُ غَضَباً لله ودِينه ، داعياً إلى الله وإلى سُنَّةِ نبيِّه ، لَمَّا هُدِمَتْ معالمُ الهُدَى ، وأُطْفِيءَ نورُ أهلِ التقوى ، وظَهَر الجَبَّارُ العَنيدُ ، المستَحِلُّ لكُلِّ حُرْمةٍ ، والرَّاكبُ لكُلِّ بِدْعة ، الكافرُ بيوم الحساب ، وإنه لابْنُ عَمِّي في النَّسَب ، وكَفيئي[3] في الحَسَب . فلمَّا رأيتُ ذلك استخرتُ اللهَ في أمْرِه وسألتُه ألَّا يَكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني مِنْ أهْلِ وِلايتي ، [وسَعَيْتُ فيه] ، حتى أراحَ الله منه العِبادَ ، وطَهَّرَ منه البلاد ، بحَوْله وقُوَّتِه لا بحَوْلي[٥] وقُوَّتي .

(1) مص : سليمان .
(2) كب : دبار الليل .
(3) كب : كفيِّي .

(١) أسوك : أضعف ، من ساك الرجل : إذا مشى مشياً ضعيفاً .
(٢) النسخ : إبطال الشيء وإقامة آخر مكانه .
(٣) تنفس الصبح : تبلج وأسفر . وعسعس الليل : أظلم .
(٤) الأشر والبطر : التبختر والطغيان عند النعمة وطول الغنى .
(٥) الحول : القوة والقدرة .

أيُّها الناسُ ، إنَّ لكم عليَّ ألّا أضعَ حَجَراً على حَجَر ، ولا لَبِنةً على لَبِنة ، ولا أكْري نهراً(١) ، ولا أكْنِزَ مالاً ، ولا أُعطِيَه زوجاً ولا وَلَداً ، ولا أنقُلَه من بلدٍ إلى بلد حتى أسُدَّ فقْرَ ذلك البلدِ وخَصَاصةَ أهْلِه [بما يُعِينُهم] ، فإنْ فَضَلَ فَضْلٌ نقلتُه إلى البلد الذي يَليه [مِمَّنْ هو أحْوَجُ إليه منه] ، ولا أُجَمِّرَكُم في بَعُوثكم(٢) فأفتِنَكُمْ وأفتِنَ أهليَكُمْ ، ولا أُغْلِقَ بابي دونكم فيأكُلَ قَوِيُّكم ضعيفَكُمْ ، ولا أحْمِلَ على أهل جِزْيتكم[1] ما أُجْليهم به عن بلادهم وأقْطَعَ به نَسْلَهم .

ولكم عليَّ إدْرارُ العَطَاءِ في كُلِّ سنةٍ ، والرِّزْقُ في كُلِّ شهرٍ ، حتى يستويَ بكم الحالُ فيكونَ أقصاكم[2] كأدناكم . فإنْ أنا وَفَيت لكم [بما قُلْتُ] فعليكم السَّمْعُ والطاعةُ وحُسْنُ المؤازرةِ والمكانَفَةُ ، وإنْ لم أَفِ فلكم[3] أن تخلعوني إلّا أنْ تستَتِيبوني[4] ، فإنْ تُبتُ قَبِلتم مني ، وإنْ عَرَفْتم أحداً [مِمَّنْ] يُعْرَف بالصَّلاحِ يُعطيكم مِنْ نَفْسه مِثْلَ الذي أعطيتُكم ، فأردتم أن تُبايعوه ، فأنا أوَّلُ مَنْ يُبَايُعُهُ[5] ويَدْخُل في طاعته . ٢٤٩/٢

أيُّها الناسُ ، إنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق .

وأقول قولي هذا وأستغفر اللهَ العظيمَ لي ولكم .

٣٣٧٤ فلما بُويعَ مروانُ نَبَشَه وصَلَبَه(٣) .

٣٣٧٥ وكانوا يقرأون في الكتب : يا مُبَذِّرَ الكنوزِ ، ويا سَجَّاداً بالأسحار ، كانتْ وِلايتُك لهم رحمةً وعليهم حُجَّة ، أخذوك فصَلَبُوك .

خُطْبة أبي حمزة الخارجي

٣٣٧٦ خَطَب أبو حمزةَ الخارجيُّ بمكة ، فذَكَرَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بما هم أهله ، ثم قال : ووَلِي عثمانُ فسار سِتَّ سنينَ

---

(1) كب : جريتكم .
(2) كب ، مص : أفضلكم .
(3) كب : لكم ، مص : لكم فلكم .
(4) كب : تستنسؤني إن تبت ، مص : فإن أنا تبت .
(5) كب ، مص : بايعه ودخل .

---

(١) كرى النهر : احتفره .
(٢) تجمير البعوث : حبس الجيش في الثغور دون أن يرجعوا إلى أهليهم .
(٣) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية ، قتل سنة ١٣٢ . ونبشه : استخرج جثته بعد الدفن .

بسيرةِ صاحبَيْه وكان دونَهما ، ثم سار في الستِّ الأواخر بما أحْبَطَ [به] الأوائل ، ثم مَضَى لسبيله . ووَلِي عليٌّ فلم يَبْلُغ مِنَ الحَقِّ قَصْداً ولم يرفَعْ [له] مَناراً ، ثم مضى لسبيله . ثم وَلِي معاوية ، لَعِينُ رسولِ الله وابنُ لَعِينِه ، فاتَّخذَ[1] عبادَ اللهِ خَوَلاً(١) ، ومالَ اللهِ دُوَلاً(٢) ، ودِينَه دَغَلاً(٣) ، ثم مضى لسبيله ، فالعَنُوه لَعَنه اللهُ . ثم وَلي يزيدُ بنُ معاوية ، يزيدُ الخُمُور ، ويزيدُ القُرُود ، ويزيدُ الفُهُود ، الفاسقُ في بَطْنه والمأبونُ في فَرْجه(٤) .

ثم اقتَصَّهم خليفةً خليفةً ، فلما انتهى إلى عمر بن العزيز أعرضَ عن ذكره . ثم ذَكَر يزيدَ بنَ عبد الملك ، فقال : يأكلُ الحرامَ ، ويلبَس الحُلَّةَ بألف دينارٍ ، قد ضُرِبتْ فيها الأبشارُ(٥) ، وهُتِكت الأستار ، حَبَابَةُ عن يمينه وسَلاَّمَةُ عن يَساره تُغَنِّيانه(٦) ، حتى إذا أخَذَ الشَّرابُ فيه كلَّ مَأْخَذٍ قَدَّ ثَوْبَه ثم التفتَ إلى إحداهما[2] فقال : ألا أطِيرُ . نعم ، طِرْ إلى النار .

ثم ذَكَر أصحابَه ، فقال : شبابٌ واللهِ مكْتَهِلُون في شَبَابهم ، غَضيضةٌ عن الشَّرِّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلُهم ، أنْضاءُ عِبادةٍ ، وأطْلاحُ سَهَرٍ(٧) ، ينظُرُ اللهُ إليهم في جوف الليل مُنْحَنيةً أصلابُهم على أجزاءِ القرآن ، قد أكَلَتِ الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم وجِباهَهم ، واستَقَلُّوا ذلك في جَنْبِ اللهِ ، حتى إذا رأَوُا السِّهامَ قد فُوِّقَتْ(٨) ، والرِّمَاحَ قد أُشْرِعتْ ، والسُّيوفَ قد انتُضِيتْ ، وأرْعَدتِ الكتيبةُ بصواعق الموت(٩) ، مَضَى

---

(1) كب ، مص : اتخذ . (2) كب : أحديهما .

---

(١) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيه سواء ، أراد أنه اتخذ رعيته كالعبيد وقهرهم .

(٢) الدول : جمع دُولة ، أي يتداولونه بينهم مرة لهذا ومرة لهذا ، فيكون لقوم دون قوم .

(٣) الدغل : الفساد والخداع ، وأصل الدغل : الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه ، وقيل : هو من قولهم : أدغلت في هذا الأمر ، إذا أدخلت فيه ما يخالفه ويفسده .

(٤) المأبون : المعاب والمُرمى بسوء .

(٥) الأبشار : جمع الجمع من البشرة ، وهي ظاهر الجلد .

(٦) حبابة وسلامة : مغنيتان من مولدات المدينة .

(٧) أنضاء : جمع نضو ، وهو الخفيف اللحم من التعب . وأطلاح : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول المعيي .

(٨) فوقت : جعلت لها الأفواق ، جمع الفُوق : وهو موضع الوتر من السهم .

(٩) أرعدت : صوتت وتعالى ضجيجها . والكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش .

الشَّابُّ[1] منهم قُدُماً ، حتى اختلفتْ رِجلاهُ على عُنُق فرسه[(١)] ، وتخضَّبتْ محاسِنُ وجهِه بالدماء ، فأسرعَتْ إليه سِباعُ الأرضِ وانحطَّتْ عليه[2] طيرُ السَّمَاءِ ، فكَمْ مِنْ عَيْنٍ في مِنْقارِ طائرٍ طالما[3] بَكَى صاحِبُها في جوفِ الليلِ من خوف الله ؛ وكَمْ مِنْ كَفٍّ زَايَلَتْ مِعْصَمَها طالما اعْتَمَد عليها صاحبُها في جوفِ الليلِ بالسجود لله .

ثم قال : أَوَّه أَوَّه[(٢)] . وبكَى ثم نـزَل .

خُطْبة لقَطَرِي الخارجي

٣٣٧٧ ذَكَر فيها الذين قالوا : مَنْ أشَدُّ منَّا قوَّةً ؟، فقال : حُمِلوا إلى قُبُورهم فلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً ، وأُنْزِلوا فلا يُدْعَون ضِيفاناً . جُعِلَ[4] لهم من الضَّرِيح أجْنانٌ[(٣)] ، ومِنَ التراب أكفانٌ ، ومِنَ الرُّفَاتِ جِيرانٌ[(٤)] . فهم جِيرَةٌ لا يُجيبون داعياً ولا يَمنعون ضيماً . إن أُخْصِبوا لم يَفرَحوا ، أو أُقْحِطوا لم يَقْنَطوا . جميعٌ أوحادٌ ، وجيرةٌ أبْعاد ، لا يَزُورُونَ ولا يُزَارون . فاحذَرُوا ما حَذَّركم الله ، وانتفِعوا بمَوَاعظه ، واعتصِموا بحبله . ٢٥١/٢

وفي خُطْبة ليوسف بن عمر

٣٣٧٨ اتَّقُوا اللهَ عبادَ الله . فكم مِنْ مُؤَمِّلٍ أملاً لا يبلُغُه ، وجامِعٍ مالاً لا يأكُلُه ، ومانِعٍ ما سوف يَتركُه ، ولعلَّهُ من باطِلٍ جَمَعَه ، ومِنْ حَقٍّ مَنَعَه ؛ أصابه حراماً ، وورَّثه عدواً . احْتَمَلَ إصْرَه ، وبَاءَ بوِزْرِه[(٥)] ، وَوَرَدَ على رَبِّه آسِفاً لاهِفاً ، قد خَسِر الدنيا والآخرةَ ، ذلك هو الخُسرانُ المبين .

وفي خُطْبة للحَجَّاج

٣٣٧٩ قال مالك بن دينار : سمعتُه على المنبر يقول :

---

(1) كب : الشباب .
(2) كب ، مص : إليه .
(3) كب : طار .
(4) كب ، مص : وجعلوا . . أجناناً .

---

(١) اختلفت : تقطعت ، فصارت واحدة مكان الأخرى .
(٢) أوه : اسم فعل أمر بمعنى أتحزن ، وتقرأ : آوَّهْ (بالمد وسكون الهاء) ، وأوَّهُ (بضم الهاء) وأوَّهِ (بكسر الهاء خفيفة) وأوْهَ (بسكون الواو وفتح الهاء) ، ويقال : آووه ، وآهٍ (اللسان : أوه) .
(٣) الضريح : الشق في وسط القبر ، وعنى القبر نفسه . وأجنان : جمع جَنَن ، وهو الستر .
(٤) الرفات : الحطام والفتات من كل ما تكسر واندق ، عنى بقايا العظام التي لم تندثر من الجثث .
(٥) الإصر : الذنب وعقوبته . وباء بوزره : احتمله ، والوزر : الذنب .

امْرأً زَوَّرَ عملَه ، امْرَأً حاسب نَفْسَه ، امْرَأً فَكَّرَ فيما يقرؤه في صحيفتِه ويراه في ميزانه ، امْرَأً كان عند قَلْبِهِ[1] زاجراً ، وعند هَمِّه ذاكِراً[2] ، أَخَذَ بعِنانِ عَمَلِه[3] كما يأخذ بخِطام جَمَلِهِ(١) ، فإن قادَهُ إلى طاعةِ اللهِ تَبِعه ، وإن قاده إلى مَعْصِية اللهِ كَفَّه .

خُطْبة للمنصور

٣٣٨٠ خَطَب المنصور بمكة ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنما أنا سلطانُ اللهِ في أرضه ، أسوسُكم بتوْفيقه وتَسْديده وتأييدِه وتَبصيره ؛ و[أنا] خازِنُه على فَيْئه(٢) أعمَلُ فيه بمشيئته ، وأَقْسِمه بإرادته ، وأُعْطيه بإذنه . قد جَعَلني عليه قُفْلاً ، إذا شاء أنْ يفتَحني لأُعْطياتكم[4] وقَسْمِ أرزاقِكُمْ فَتَحني ، وإذا شاء أن يُقْفِلَني عليها أقْفَلَني . فارْغَبُوا إلى الله ، واسأَلُوه[5] في هذا اليومِ الشريف الذي وَهَب لكم فيه مِنْ فَضْله ما أعْلَمَكُمْ في كتابه إذ يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] أنْ يُوَفِّقَني للصَّواب والرَّشاد ، ويُلْهِمَني الرَّأفةَ بكم والإحسانَ إليكم ، ويَفْتَحَني لأُعْطياتكم[6] وقَسْمِ أرزاقِكم بالعَدْل عليكم .

٢/ ٢٥٢

خُطْبة لداود بن علي

٣٣٨١ خَطَب ، فقال : أحرزَ لسانٌ رأسَه(٣) ، اتَّعَظ امرؤٌ بغيره ، اعتبَرَ عاقلٌ قبل أن يُعْتَبَر به ، فأمسكَ الفَضْلَ مِنْ قوله وقَدَّم الفضلَ(٤) مِنْ عمله .

ثم أخذ بقائم سيفه(٥) ، فقال : إنَّ بكم داءً هذا دواؤُه ، وأنا زعيمٌ لكم بشِفائه ، وما بعد الوعيدِ إلَّا الإيقاع .

---

(1) مص : هواه .
(2) كب ، مص : آمراً .
(3) مص : قلبه .
(4) كب ، مص : لإعطائكم .
(5) كب : اسلوه ، تحريف سَلُوه .
(6) مص : لإعطائكم .

---

(١) العنان والخطام : السير الذي تمسك به الدابة .
(٢) الفيء : الغنيمة والخراج ، وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب .
(٣) أحرز : حفظ وصان .
(٤) الفضل : الزيادة .
(٥) قائم السيف وقائمته : مقبضه .

خُطْبة لداود بن علي أيضاً

٣٣٨٢ لما قام أبو العبَّاس في أوَّلِ خِلافته على المنبر ، قام بوجهٍ كورقة المصحف ، فاستحيا فلم يتكلم . فنَهَض داودُ بنُ علي حتى صَعِد المنبر ، فقال المنصور : فقلتُ فيَّ : « شيخُنا وكبيرُنا ويدعو إلى نفسه ، فلا يختلف عليه اثنان » ، فانتضَيْتُ سيفي(١) ، وغَطَّيت ثوبي ، وقلتُ : « إنْ فَعَل ناجزتُه(٢) » . فلما رَقي عَتَباً ، استقبل الناسَ بوجهه دون أبي العباس ، ثم قال :

أيُّها الناسُ ، إنَّ أميرَ المؤمنين يَكْرَه أنْ يتقدَّم قولُه فعلَه ، وَلأَثَرُ الفِعالِ عليكم أجْدَى مِنْ تَشْقيق المَقَال(٣) ، وحسبكُم بكتاب اللهِ مُمْتَثَلاً فيكم ، وابْنِ عَمِّ رسولِ اللهِ خليفةً عليكم .

والله ، قَسَماً بَرّاً لا أُريد إلَّا اللهَ به ، ما قامَ هذا المَقامَ أحدٌ بعدَ رسولِ اللهِ أحقُّ به من عليِّ بنِ أبي طالب وأميرِ المؤمنين هذا ، فَلْيَظُنَّ ظانُّكُم وليَهْمِسْ هامِسُكم .

قال أبو جعفر : ثم نزل ، وشِمْتُ سيفي(٤) .

٢٥٣/٢

خُطْبة لأعرابي

٣٣٨٣ أمَّا بعد ، فإنَّ الدنيا دارُ بَلاغ[1] ، والآخرةَ دارُ بقاء ، فَخُذوا أيُّها الناسُ لَمَقرِّكم مِنْ مَمَرِّكم(٥) ، ولا تَهْتِكُوا أستارَكُم عند مَنْ لا يَخْفى عليه أسرارَكم ، ففي الدنيا أُحْيِيتم ولغيرها خُلِقْتم .

أقول قولي هذا ، والمُسْتَغْفَرُ اللهَ ، والمدعُوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفرُ بنُ سليمان .

---

(1) كب ، مص : بلاء .

---

(١) انتضى السيف ونضاه : أخرجه من غمده .

(٢) المناجزة : المبارزة والمقاتلة ، وهو أن يتبارز الفارسان فيتمارسا حتى يقتل أحدهما أو كلاهما .

(٣) تشقيق المقال : إخراج الكلام أحسن مخرج .

(٤) شام سيفه : أغمده ، وهو من الأضداد .

(٥) أي خذوا للآخرة ، وهي المقر ، أي موضع الاستقرار والثبوت ، من الدنيا وهي الممر .

خُطْبة المأمون يوم الجمعة

٣٣٨٤ الحمد لله ، مستخلِصِ الحمدَ لنفسه ، ومستوجِبِه على خَلْقه ، أحمَدُه وأستعينُه وأُؤْمن به وأتوكَّل عليه ، وأشهَدُ أنْ لا إلَه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسله بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَه على الدِّين كلِّه ولو كَرِهَ المُشْركون .

أوصِيكم عِبادَ اللهِ بتقوى اللهِ وحدَه ، والعملِ لما عنده ، والتَّنَجُّزِ لوعدِه ، والخوفِ لوعيده ، فإنه لا يسلَم إلَّا مَنْ اتَّقاه ورَجَاه ، وعَمِل له وأرْضاه .

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ ، وبادِرُوا آجالَكُم بأعمالكم ، وابتاعُوا ما يبقى بما يزولُ عنكم ، وترَحَلُوا [عَنِ الدُّنْيا] فقد جُدَّ بكم ، واستعِدُّوا للموت فقد أظَلَّكُمْ ، وكُونوا قَوْماً صِيحَ بهم فانْتَبَهُوا ، وعَلِموا أنَّ الدُّنْيا ليستْ لهم بدارٍ فاستَبْدَلوا . فإنَّ اللهَ لم يخلُقْكم عَبَثاً ولم يَتْرُكْكم سُدَى ، وما بين أحدِكم وبين الجنَّةِ والنارِ إلَّا الموتُ أنْ يَنْزِلَ به . وإنَّ غايةً تنقُصُها اللحظةُ وتَهْدِمها الساعةُ الواحدةُ لجديرةٌ بِقِصَر المُدَّة ، وإنَّ غائباً يحدُوه الجديدانِ الليلُ والنهارُ لَحَرِيٌّ بسُرْعَةِ الأَوْبَة ، وإنَّ قادِماً يَحُلُّ بالفوز أو بالشِّقْوة لمستحِقٌّ لأفضل العُدَّةِ .

فاتَّقى عبدٌ ربَّه ، ونَصَحَ نفسَه ، وقَدَّم توبتَه ، وغَلَبَ شهوتَه ، فإنَّ أجلَه مستورٌ عنه ، وأملَه خادعٌ له ، والشيطانَ مُوَكَّلٌ به : يُزَيِّنُ له المعصيةَ ليركبها ، ويُمَنِّيه التوبةَ ليُسَوِّفَها ، حتى تهجُمَ عليه منيَّتُه أغْفَلَ ما يكون عنها . فيا لها حسرةً على ذي غَفْلَةَ : أن يكونَ عُمْرُه عليه حُجَّةً ، أو تؤدِّيَه أيامُه إلى شِقْوة . نسألُ اللهَ أن يجعلَنا وإيَّاكم ممن لا تُبْطِره نِعمةٌ ، ولا تُقَصِّر به عن طاعته غَفْلة ، ولا تَحُلُّ به بعد الموتِ فَزْعة[1] .

٢/٢٥٤

إنه سميعُ الدعاءِ ، وبيده الخيرُ ، وإنَّه فعَّالٌ لما يُريد .

وفي خُطْبة[2] المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأوَّل

٣٣٨٥ إنَّ يومَكم هذا يومٌ أبانَ اللهُ فَضْلَه ، وأوْجَبَ تَشريفَه ، وعَظَّمَ حُرْمته ، ووَفَّقَ له من خَلْقه صَفْوتَه ، وابْتَلَى فيه خليلَه ، وفَدَى فيه مِنَ الذَّبْح نبيَّه ، وجَعَله خاتمَ الأيامِ

---

(1) كب : سرعة .	(2) كب : خطب .

المعلوماتِ مِنَ العَشْر(١) ، ومتقدِّمَ الأيامِ المعدوداتِ مِنَ النَّفْر(٢) . يومٌ حرامٌ ، من أيَّامٍ عِظامٍ ، في شهرٍ حَرَام ، يومُ الحَجِّ الأكبر ، يومٌ دعا اللهُ إلى مَشْهَده ، ونَزَل القرآنُ بتعظيمه ، قال اللهُ جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ ـ الآيات [الحج : ٢٧] ـ ، فتَقَرَّبُوا إلى اللهِ في هذا اليوم بذبائحكم ، وعَظِّموا شعائرَ اللهِ ، واجعلوها مِنْ طَيِّبِ أموالكم ، وبصحَّةِ التَّقوى مِنْ قلوبكم ، فإنه [تعالى] يقول : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] . ثم التكبيرِ والتحميدِ ، والصلاةِ على النبيِّ ، والوصيةِ بالتقوى .

ثم قال بعد ذِكْرِ الجنةِ والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْن ، وارتفع جزاءُ العملينُ(٣)[1] ، وطالتْ مُدَّةُ الفريقين . اللهَ ، اللهَ ! فواللهِ إنه الجِدُّ لا اللَّعبُ ، وإنه الحقُّ لا الكِذبُ ، وما هو إلَّا الموتَ والبَعْثَ والمِيزانَ والحِسابَ والقِصاصَ والصِّراطَ ، ثم العقابَ والثَّوابَ . فمَنْ نَجَا يومئذٍ فقد فاز ، ومَنْ هَوَى يومئذٍ فقد خاب . الخيرُ كلُّه في الجنَّة ، والشَّرُّ كُلُّه في النار .

وفي خُطْبة المأمون يومَ الفِطْر بعد التكبير الأول

٢/٢٥٥

٣٣٨٦ إنَّ يومَكم هذا يومُ عيدٍ وسُنَّةٍ وابتهالٍ ورغبةٍ . يومٌ خَتَم اللهُ به صِيامَ شهرِ رمضانَ ، وافتتح به حَجَّ بيتِه الحَرَام . فجَعَلَه خاتمةَ الشهرِ ، وأوَّلَ أيامِ شهورِ الحَجِّ ، وجعله مُعَقِّباً لمفروضِ صيامِكم ، ومُتَنَفَّلِ قِيامِكم ، أَحَلَّ فيه الطعامَ لكم ، وحَرَّم فيه الصيامَ عليكم . فاطْلُبوا إلى الله حوائجكم ، واستغْفِرُوه لتفريطكم ، فإنه يقال : لا كبيرَ مع استغفار ، ولا صغيرَ مع إصْرَار .

[2]ثم التكبيرُ ، والتحميدُ ، وذِكْرُ النبيِّ عليه السلام ، والوصيَّةُ بالتقوى[2] .

ثم قال : فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ ، وبادِروا الأمرَ الذي اعتَدَلَ فيه يقينُكم ، ولم يحتَضِرَ

---

(1) كب : العاملين . (2 - 2) قارن مع خطبته السالفة .

---

(١) العشر : هي العشر من ذي الحجة ، يوم الوقوف على جبل عرفات .
(٢) النفر : هي من مناسك الحج ، وهي نفران : النفر الأول يكون ثالث أيام العيد ، وفيه يرحل الحجاج من منى إلى مكة بعد رمي الجمار الثاني . والنفر الثاني يكون بعد الانتهاء من مناسك منى ، ويرحل الحجاج جميعهم إلى مكة .
(٣) العملان : عمل الخير وعمل الشر .

الشَّكُّ فيه أحداً منكم ، وهو الموتُ المكتوبُ عليكم ، فإنه لا تُستقالُ بعدَه عَثْرَةٌ(١) ، ولا تُحْظَر قبله توبة . واعلموا أنه لا شيءَ قبلَه إلا دونَه ، ولا شيءَ بعدَه إلا فوقَه . ولا يُعين على جَزَعه وعَلَزِه(٢) وكُرَبه ، ولا يُعين على القَبْر وظُلْمتِه وضِيقِه ووَحْشتِهِ وهَوْلِ مَطْلَعِه ومسألةِ ملائكته ، إلّا العملُ الصالحُ الذي أمَرَ اللهُ به . فمَنْ زَلَّتْ عندَ الموتِ قَدَمُه ، فقد ظهرتْ ندامَتُه ، وفاتَتْه استقالَتُه ، ودَعَا مِنَ الرَّجْعة إلى ما لا يجابُ إليه ، وبَذَل مِنَ الفِدْية ما لا يُقْبَلُ منه .

فاللهَ اللهَ عبادَ اللهِ . كونوا[1] قوماً سألوا الرَّجْعة فأُعْطُوها إذْ مُنِعَها الذين طَلَبُوها ؛ فإنه ليس يتمنى المتقدِّمُون قبلَكم إلّا هذا المَهْلَ المبسوطَ لكم . واحْذَرُوا ما حَذَّرَكم اللهُ ، واتَّقُوا اليومَ الذي يجمعُكم اللهُ فيه لوَضْع مَوَازينِكم ، ونَشْرِ صُحُفِكم الحافظةِ لأعمالكم . فلينظُرْ عبدٌ ما يَضَعُ في ميزانه مما يَثْقُل به ، وما يُمِلُّ(٣) في صحيفته الحافظةِ لما عليه وله ، فقد حَكَى اللهُ لكم ما قال المُفَرِّطون عندها إذْ طال إعراضُهم عنها ، قال : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ ـ الآية [الكهف : ٤٩] ـ . وقال [تعالى] : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] . ولستُ أنهاكم عن الدنيا بأعظمَ مما نهتكُمُ الدنيا عن نفسها ، فإنه كُلُّ ما لها يَنْهَى عنها ، وكُلُّ ما فيها يدعو إلى غيرها . وأعظمُ مما رأتْهُ أعينكم من عجائبها ذَمُّ كِتابِ اللهِ لها ونَهْيُ اللهِ عنها ، فإنه يقول : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣] وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ ـ الآية [محمد : ٣٦] ـ . فانتفعوا بمعرفتكم بها ، وبإخبارِ اللهِ عنها . واعلموا أنَّ قوماً مِنْ عِباد اللهِ أدركتْهم عِصمةُ اللهِ فحَذِروا مَصَارِعَها ، وجانَبُوا خدائعَها ، وآثَرُوا طاعةَ اللهِ فيها ، فأدْرَكُوا الجَنَّةَ بما تركوا منها .

٢٥٦/٢

(1) كب ، مص : وكونوا .

(١) أقال العاثر : صفح عنه .

(٢) العلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب .

(٣) يمل : يملى .

كلام مَنْ أُرْتِجَ عليه(١)

٣٣٨٧ حَدَّثنا أبو حاتم ، عن الأَصْمَعي ، قال : حَدَّثنا عيسى بنُ عمر ، قال :

خَطَب أميرٌ مَرَّة ، فانقَطَع ، فخَجِل(٢) ، فبَعَثَ [زِيادٌ] إلى قوم من القبائل عابُوا ذلك بِلَفِّهِم(٣)[1] ، وفيهم يَرْبوعيٌّ جَلْد ، فقال : اخْطُبُوا . فقام واحدٌ فمَرَّ في الخُطْبة ، حتى إذا بَلَغ « أمَّا بعد » قال : أمَّا بعد ، أمَّا بعد . ولم يدر ما يقول ، ثم قال : فإنَّ امرأتي طالقٌ ثلاثاً ، لم أُرِد أن أجْمَعَ اليوم فمَنَعَتْني .

٣٣٨٨ وخَطَب آخر ، فلما بَلَغَ « أمَّا بعد » عَيَّ[2] ، ونَظَر فإذا إنسانٌ ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه وتَلْمَحني ببصرك أيضاً !

٣٣٨٩ قال : وقال أحدُهم[3] : رأيتُ القَرَاقيرَ(٤) مِنَ السُّفُن تجري بيني وبين الناس .

٣٣٩٠ قال : وصَعِد اليربوعيُّ فخَطَب ، فقال : أمَّا بعدُ ، فوالله ما أدري ما أقولُ ، ولا فِيم أقمتموني ، أقول ماذا ؟ فقال بعضُهم : قل في الزَّيْتِ . فقال : الزيتُ مباركٌ ، فكُلُوا منه وادَّهِنوا .

قال : فهو قولُ الشُّطَّار(٥) اليوم ، إذا قيل [لهم] : لم فعلتَ ذا ؟ [قالوا] : قُلْ[4] في شأن الزيت وفي حال الزيت .

٣٣٩١ ولما أتى يزيد بن أبي سُفْيان الشامَ والياً لأبي بكر رضي الله عنه ، خَطَب فأُرْتِج عليه ، فعاد إلى الحمد لله فأُرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ثم أُرتج عليه ، فقال :

---

(1) كب ، مص : ولفهم .
(2) كب ، مص : بقى .
(3) كب : أحدهما .
(4) كب ، مص : فقل .

---

(١) أرتج عليه : لم يقدر على الإنابة ، واستغلق عليه الكلام .

(٢) تمام الخبر : فقال له زياد بن أبيه ـ وكان كاتبه على العراق ـ : أما إنك لو سمعتَ كلامَ غيرِكَ في ذلك الموقف استكثرتَ ما يكون منك .

(٣) بلفهم : بجماعتهم ، فيكون فيهم الشريف والدنيء ، والمطيع والعاصي ، والقوي والضعيف .

(٤) القراقير : السفن العظيمة ، جمع قرقور .

(٥) الشطار : أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتنكيت والمضحكات ، جمع شاطر ، وهو في الأصل : من أعيا أهله خبثاً .

٢/٢٥٧ يا أهلَ الشامِ ، عسى الله أن يجعل مِنْ بعد عُسْرٍ يُسْراً ، ومِنْ بعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحْوَجُ منكم إلى إمام قائل .

ثم نَـزَل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

٣٣٩٢ صَعِد ثابتُ قُطْنَةَ منبراً بسجستان فحمد الله ثم أُرْتج عليه ، فنَزَل وهو يقول :

فـإلّا أكُـنْ فِيكُـمْ خَطِيبـاً فـإنَّنـي بِسَيْفي إذا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيبُ(١)

فقيل له : لو قلتَها على المنبر كنتَ أخطبَ الناس .

٣٣٩٣ وأُرْتج على عبد الله بن عامر بالبَصْرة يومَ أضْحَى ، فمكَثَ ساعةً ثم قال : واللهِ لا أجْمَعُ عليكم عِيّاً ولُؤْماً ، مَنْ أخذ شاةً مِنَ السُّوقِ فهي له وثمنُها عليَّ .

٣٣٩٤ وأُرْتج على خالد بن عبد الله القَسْري ، فقال : إنَّ هذا الكلامَ يجيءُ أحياناً ويَعْزُبُ أحياناً(٢) ، وربما طُلِب فأبَى ، وكوبِرَ فَعَسا(٣) ، فالتَّأتِّي [1] لمجيِّه أيسرُ مِنَ التَّعاطي لأبيِّه(٤) ، وقد تَخْتَلِط [2] من الجريء جَنَانُه(٥) ، وينقطعُ من الذَّربِ لسانُه(٦) ، فلا يُبْطره [3] [القَوْلُ إذا اتَّسَعَ] ، ولا يَكْسِرُه [النُّطْقُ إذا امتنع] . وسأعود إن شاء الله .

٣٣٩٥ وأُرْتج على معن بن زائدة، فضَرَب المنبر برجله، ثم قال: فَتَى حُرُوبٍ لا فَتَى منابرِ.

٣٣٩٦ وكان عبدُ ربِّه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن ، فصَعِد المنبر ، فحَمِد الله وأُرْتج عليه ، فسكَتَ ، ثم قال : واللهِ إني لأكون في بيتي فتجيءُ على لساني ألفُ كلمةٍ ، فإذا قُمْتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها [كلها] مِنْ صدري . ولقد كنتُ وما في الأيامِ يومٌ أحبُّ إليَّ مِنْ يوم الجمعة ، فصِرْتُ وما في الأيام يومٌ أبغضُ إليَّ مِنْ يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لِخُطْبتكم هذه .

---

(1) مص : فالتأني .
(2) مص : يختلط .
(3) كب ، مص : فلا يبطره ذلك ولا يكسره .

---

(١) الوغى : الحرب ، سميت بذلك لما فيها من الصوت ـ وهو الوغى ـ والجلبة .
(٢) عزب الشيء : بعد وغاب .
(٣) عسا : اشتد وصعب .
(٤) تأتّى للأمر : ترفق له ، وأتاه من وجهه .
(٥) الجنان : القلب ، واختلط جنانه : كناية عن الفزع والروع .
(٦) الذرب : الحاد اللسان .

٣٣٩٧ صَعِد رَوْحُ بنُ حاتم المنبرَ ، فلما رأى جَمْعَ الناسِ حَصِرَ ، فقال : نَكِّسُوا رؤوسَكم ، وغُضُّوا أبصارَكم ، فإنَّ أولَ مَرْكبٍ صَعْبٌ ، وإذا يَسَّرَ اللهُ فَتْحَ قُفْلٍ تَيَسَّرَ . ٢٥٨/٢

٣٣٩٨ ودُعي رجلٌ ليخطب في نِكاح فحَصِر ، فقال : لَقِّنوا موتاكم شهادةَ أنْ لا إلَه إلا الله . فقالتِ امرأةٌ حضرتْ : ألهذا دعوناك ؟ أماتَك اللهُ !

٣٣٩٩ قال[1] عبيد الله بن زياد : نِعْمَ الشيءُ الإمارَةُ ، لولا قَعْقعةُ البريد ، والتَّشَزُّنِ[2] للخُطَب⁽¹⁾ .

٣٤٠٠ قيل لعبد الملك : عَجِل عليك الشَّيْبُ ! فقال : كيف لا يَعْجَل عليَّ وأنا أعْرِضُ عقلي على الناس في كلِّ جُمعةٍ مَرَّةً أو مَرَّتين .

٣٤٠١ ووَلي رجلٌ من بني هاشم يُعْرَف بالدَّنْدَان جَوَّ[3] اليمامة⁽²⁾ ، فلمَّا صَعِد المنبر أُرْتِج عليه ، فقال : حَيَّا اللهُ هذه الوجوهَ ، وجعلني فِداءها . إنِّي قد أمرتُ طائفي بالليل ألاَّ يرى أحداً إلَّا أتاني به وإنْ كنتُ أنا هو .

ثم نَـزَل .

* * *

---

(1) الخبران ٣٣٩٩ ـ ٣٤٠٠ قلقان في موضعهما ، وأظن أن مكانهما رقم ٣٤٠٢ وما بعده . فالفصل هنا يدور على من أرتج عليه الكلام ، وليس على صعوبة الخطبة أو مشاقها ، ونرى أن الفصل الآتي « المنابر » موضوعه أكثر مناسبة وموائمة لهما .

(2) كب ، مص : التشرف . (3) كب ، مص : بحر ، تحريف .

---

(١) التشزن : التهيؤ والتأهب والاستعداد . وخص البريد بالمخافة لأن الوالي لا يدري بما يأتيه من خير أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويخاف .

(٢) جَو اليمامة : هو جو الخِضْرِمة بالخَرْج ، قرب بلدة « اليمامة » ، واليمامة تبعد عن الرياض بأكثر من ٨٠كم (معجم اليمامة ١/٣٨٦) .

المنابر

٣٤٠٢ قال بعضُ المفسِّرين في قول الله جَلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٥٨] إنه المنبر .

٣٤٠٣ وقال الشاعر :

لَنَا المَسَاجِدُ نَبْنِيها ونَعْمُرُهَا ... وفي المَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا ذُلُلُ[١]

فلا نَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ نَرْكَبُهَا ... ولا لَهُنَّ لَنَا مِنْ مَعْشَرٍ بَدَلُ[٢]

٣٤٠٤ وقال الكُمَيْت يذكر بني أمية :

مُصِيبٌ عَلَى الأعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ ... لِمَا قَالَ فيها ، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ[٣]

يشَبِّهُهَا الأشْبَاهَ وهْيَ نَصِيبُهُ ... لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ ومَأْكَلُ[٤]

٢/٢٥٩ ٣٤٠٥ وقال بعضُ المُحْدَثين :

فَمَا مِنْبَرٌ دَنَّسْتَهُ بِأَسْتِ أَفْكَلٍ ... بزَاكٍ ولَوْ طَهَّرْتَهُ بابْنِ طاهِرِ[٥]

٣٤٠٦ ومرَّ الأُقَيْشر بمَطَر بن ناجِية اليربوعي حين غَلَب على الكوفة في أيام الضَّحَّاك بن قيس الشاري ومَطَرٌ يخْطُبُ ، فقال :

أَبَنِي تَمِيمٍ ما لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ ... لا يَسْتَمِرُّ قُعُودُهُ يَتَمَرْمَرُ[٦]

إنَّ المَنَابِرَ أَنْكَرَتْ أشْبَاهَكُمْ ... فادْعُوا خُزَيْمَةَ يَسْتَقِرَّ المِنْبَرُ

---

(١) ذلل : جمع ذليل ، وهو السهل الانقياد ، عنى أن الكلام فوق المنابر طيع وسهل عليهم لفصاحتهم .

(٢) نقيل : نعثر عليها ، فنرجوا الصفح والمعذرة .

(٣) يهجو هشام بن عبد الملك ، حازم بني أمية ، المتوفى سنة ١٢٥ ، وكانت ولايته عشرين سنة إلا أشهراً.
الأعواد : المنبر . يقول : هو مصيب فيما يقول إذا كان على المنبر ، وإذا نزل خالف فعله ما تكلم به .
« فيها » أي في الخطبة .

(٤) يقول : يشبه الدنيا وما فيها بالأشياء ، أي يضرب الأمثال للدنيا في خطبته ، يعظ الناس ، وهو أحق بالوعظ ، لأنه يأكل ويشرب حراماً في خلافته ، مضيعاً أمور الناس .

(٥) يقال : أخذ فلاناً أفْكَل ، إذا أخذته رعدة فارتعد من برد أو خوف . وابن طاهر : عبد الله بن طاهر الخزاعي ، أمير خراسان ، من أشهر الولاة في العصر العباسي ، توفي ٢٣٠ في عهد المأمون .

(٦) يتمرمر : يتحرك ويهتز ويمور .

خَلَعُوا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ وبَايَعُوا مَطَـراً لَعَمْـرُكَ بَيْعَـةً لا تَطْهُـرُ
واسْتَخْلَفُوا مَطَراً فكَانَ كقائِلٍ بَـدَلٌ لَعَمْـرُكَ مِـنْ أُمَيَّـةَ أعْـوَرُ

٣٤٠٧ خَطَب قتيبةُ بن مسلم على منبرِ خُرَاسانَ فسَقَطَ القضيبُ من يده ، فتفاءلَ له عدوُّه بالشَّرِّ واغتَمَّ صديقُه ، فعَرَف ذلك قتيبةُ فقال : ليس الأمرُ على ما ظَنَّ العدوُّ وخافَ الصديقُ ، ولكنه كما قال الشاعر :

فأَلْقَتْ عَصَاهَا واسْتَقَرَّ[1] بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإِيَابِ المُسَافِرُ(١)

٣٤٠٨ وقال واثلةُ بن خليفة السَّدُوسي ، يهجو عبد الملك بن المُهَلَّب :

لَقَـدْ صَبَـرَتْ للـذُّلِّ أعْـوَادُ مِنْبَـرٍ يَقُومُ[2] عَلَيْهَا في يَدَيْكَ قَضِيبُ
بكَى المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ إذْ قُمْتَ فَوْقَهُ وكَادَتْ مَسَامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ[3]

• • •

(1) كب : استقرت .
(2) مص : تقوم .
(3) في كب ، مص : تم كتاب العلم ، وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله ، ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزُّهْد . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .
كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى : إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .
ثم أوردت كب خبراً واختيارين من الشعر ، ليست من اختيارات ابن قتيبة .

(١) يقال : ألقى المسافر عصاه : إذا بلغ موضعه وأقام ، لأنه إذا بلغ ذلك ألقى عصاه فخيَّم ، أو أقام وترك السفر . والبيت في وصف امرأة كانت لا تستقر على زوج ، كلما تزوجت رجلاً فارقته واستبدلت آخر به ، ثم تزوجها رجل فرضيت به . وهو يضرب مثلاً لكل من وافقه شيء فأقام عليه .

٢٦١/٢

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

[ما] أوحى الله جَلَّ وعزَّ إلى أنبيائه عليهم السلام

٣٤٠٩ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا خَلَف بن تميم ، عن أبي عِصْمة السَّامي[1] ، عن ابن أخي[2] وَهْب بن منبِّه :

عن وَهْب ، قال : أوْحَى الله إلى نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له : « أرْمِياء » حين ظهرتْ فيهم المعاصي : أنْ قم بين ظَهْرَانَيْ قومِك(١) ، فأخبِرْهم أنَّ لهم قلوباً ولا يفقهون ، وأعيناً ولا يبصرون ، وآذاناً ولا يسمعون ، وأنِّي تذكرتُ صلاحَ آبائهم فعطَّفَني ذلك على أبنائهم .

سلْهُم كيف وجدوا غِبَّ طاعتي(٢) ، وهل سَعِد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي ، وهل شَقي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي ؟

إنَّ الدوابَّ تذكُرُ أوطانَها فتنزِعُ إليها(٣) ، وإنَّ هؤلاءِ القومَ تركوا الأمرَ الذي أكرمتُ عليه آباءهم ، والتمسوا الكرامةَ مِنْ غيرِ وجهها : فأمَّا أحْبَارُهم[3] فأنكروا حَقِّي ، وأمَّا قُرَّاؤهم فعبدوا غيري ، وأمَّا نُسَّاكهم فلم ينتفعوا بما عُلِّموا مِنْ حِكْمتي ، وأمَّا وُلاتُهم ٢٦٢/٢ فكذَبوا عليَّ وكَذَّبوا رُسُلي ، خزنوا المَكْر في قلوبهم ، وعَوَّدُوا الكذبَ ألسنَتهم .

---

(1) كب ، مص : الشامي ، تصحيف . (2) كب ، مص : أخت ، خطأ .
(3) كب : أما ، مص : أما أخبارهم (تطبيع) .

---

(١) يقال : هو بين ظَهْرَيْنا وظَهْرَانَيْنا ، لكل ما كان في وسط شيء ومعظمه ، على تقدير أنه مقيم بين ظهر من ورائه وظهر من أمامه ، فهو مكنوف من جانبيه ؛ ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقاً ، ويقال أيضاً : هو بين أظهرهم مقيم ، بهذا المعنى .

(٢) غب طاعتي : عاقبتها وجزاءها .

(٣) نَزَع الإنسان ، أو غيره ، إلى أهله ووطنه ، فهو نازع : اشتاق وحن ، كأن الحنين يَنْزِعه من مكانه الذي هو فيه ويقتلعه ليرده إلى أهله وأوطانه .

وإني أقسم بجلالي وعِزّتي لأهيجنَّ عليهم جنوداً لا يفقهون ألسنتَهم ، ولا يعرفون وجوهَهم ، ولا يرحمون بكاءهم . ولأبتعثِنَّ فيهم مِلِكاً جبّاراً قاسياً ، له عساكرُ كقِطَع السحاب ، ومواكبُ كأمثال العَجَاج(١) ، كأنَّ خَفَقانَ راياتِه طَيَرانُ النسورِ ، وكأنَّ حملَ فُرْسانِه كَرُّ العِقبان ، يعيدون العُمرانَ خراباً ، ويتركونَ القُرَى وحشةً .

فياويلَ إيلياءَ(٢) وسُكّانِها ! كيف أذُلِّلُهم للقتل ، وأُسَلِّطُ عليهم السِّباء ، وأُعيدُ بعد لَجَبِ الأعراسِ صُراخَ الهامِ(٣) ، وبعد صهيلِ الخيل عُواءَ الذئاب ، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع ، وبعد ضوءِ السُّرُجِ رَهَجَ العجاج(٤) . ولأبدلنَّ رِجالَهم بتلاوة الكتاب انتهارَ الأربابِ(٥) ، وبالعِزِّ الذُّلَّ ، وبالنعمةِ العبوديَّةَ . ولأبدلنَّ نساءَهم بالطِّيب الترابَ ، وبالمشي على الزَّرابيِّ الخِبَبَ[1](٦) ، ولأجعلن أجسادَهم زِبْلاً للأرض ، وعظامَهم ضاحيةً للشمس .

٣٤١٠ وفي رواية أخرى :

ولأدوسنَّهم بألوان العذاب ، حتى لو كان الكائنُ خاتَماً في يميني لوصَلَتِ الحربُ إليه . ثم لآمرنَّ السماءَ فلتكوننَّ طَبَقاً من حديد ، والأرضَ فلتكوننَّ سبيكةً من نحاس ، فإنْ أمطرتِ السماءُ وأنبتتِ الأرضُ شيئاً في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم . ثم أحبِسُه في زمن الزرع وأرسلُه في زمن الحَصَاد ، فإنْ زَرَعوا خلال ذلك شيئاً سلَّطتُ عليه الآفةَ ، فإنْ خَلَصَ منه شيء نزعتُ منه البركةَ ، فإن دعَوْني لم أُجبهم ، وإنْ سألوا لم أعطِهم ، وإن بكَوْا لم أرحمهم ، وإن تضرَّعُوا صرفتُ وجهي عنهم .

---

(1) كب : الخيب .

---

(١) العجاج : الغبار .

(٢) إيلياء : أحد أسماء مدينة القدس ، واسم « إيلياء » ورد في عهد الأمان الذي كتبه سيدنا عمر بن الخطاب لأهل القدس سنة ١٥ يوم تم فتحها في عهده .

(٣) اللجب : الضوضاء والجلبة واختلاط الصوات وارتفاعها . والهام : جمع الهامة ، وهي طائر تزعم الجاهلية أن عظام الموتى أو أرواحهم تصير هامة فتطير ، وتطلب السقيا ، فإذا أُدرك بثأر القتيل طارت ، فجاءنا الله بالإسلام فنهانا عنه ونفاه وأبطله . يقول : إن الأفراح والمسرات ستصير أحزاناً ومصائب لتعرضهم للسبي والقتل .

(٤) السرج : جمع السراج ، وهو المصباح . ورهج العجاج : الغبار الساطع في السماء كأنه السحاب الرقيق .

(٥) الانتهار : الزجر والتأنيب بالكلام ، يقال : نهرته وانتهرته ، إذا استقبلته بكلام تزجره وتبالغ في تأنيبه .

(٦) الزرابي : جمع زربيَّة (بفتح فسكون) وهي الوسادة تبسط للجلوس عليها . والخبب : جمع خِبَّة ، وهي الخلق من الثياب .

٣٤١١ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن عبد المنعم ، عن أبيه :

عن وَهْب : أنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى موسى بن ميشا[1] بن يوسف أن قُلْ لقومك : إني بريء ممن سَحَر أو سُحِر له ، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له ، أو تَطَيَّر أو تُطُيِّر له(١) . مَنْ آمن بي صادقاً فليتوكَّلَ عليَّ صادقاً ، فكفى بي مثيباً . ومَنْ عَدَلَ عني[2] ووَثِقَ بغيري فإني خيرُ شريكٍ أَرُدُّ عليه ما تَوَسَّل به إليَّ ، وأَكِلُه إلى مَنْ توكل عليه ، ومَنْ وَكَلْته إلى غيري فليستعدَّ للفتنة والبلاء .

٣٤١٢ وحَدَّثني بهذا الإسناد ، قال :

أوحى اللهُ إلى داود عليه السلام في الزَّبور : يا عبدي الشَّكُور ، إني قد وهبتُ لك الزَّبورَ ، وأتبعتُه بنصحٍ مني مِنْ أعين السطور ، ومِنَ الوحي المحفوظ المحجوبِ مِنْ وراء الستور ، فاعْبُدْني به في الأيامِ والليالي والشهورِ ، وأحْبِبْني مِنْ كل قلبك ، وحبِّبْني إلى خَلْقي ، وأبْغِضْ مِنْ عبادي كلَّ منافقٍ جهول . قال : يا ربِّ ، كيف أُحَبِّبُك إلى خَلقك ؟ قال : تُذَكِّرهم آلائي(٢) .

٣٤١٣ وبهذا الإسناد ، قال :

أنزل اللهُ على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانتْ صُحُفه أمثالاً وعِبراً وتسبيحاً وتمجيداً وتهليلاً ، فكان فيها : أيها المَلِكُ المسلَّطُ المغرورُ المبتلى ، إني لم أبعثك لتجمعَ الدنيا بعضَها على بعض ، ولتبنيَ المدائنَ والحصون ، ولكن بعثتك لتَرُدَّ عني دعوةَ المظلوم ، فإني لا أَرُدُّها ولو كانت مِنْ كافر .

---

(1) كذا في كب والمعارف ٤١ ، وآثرت مص رواية التوراة : مُنَسِّي . والاختلاف في تعريب الأسماء قديم ، ومثاله : ميخائيل ، فهو : مايكل ، وميشيل . ونحوه : داود ، فهو : ديفيد ، وديف . ونحوه : بطرس ، فهو بيتر ، وبيت . وغيرها كثير . وموسى المذكور غير موسى بن عمران ، ويقال : هو الذي طلب الخضر .

(2) كب : بي .

---

(١) تكهن : تعاطى الكهانة . وتكهن له : أتى كاهناً ليقضي له بالغيب . والكاهن : هو من كان يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار . وتطير : تشاءم ، وكان من شأن العرب عيافة الطير وزجرها ، والتطير ببارحها (والبارح من الطير : ما مر من يمين الرائي إلى يساره فلا يتمكن من رميها حتى ينحرف) ، والتطير من نعيق غرابها ، وأخْذها ذات اليسار إذا أثاروها ، فسموا الشؤم طَيْراً وطائراً وطِيرة .

(٢) الآلاء : النعم ، جمع أَلىً ، وإِلْيٌ ، وإلىً .

٣٤١٤ وبهذا الإسناد ، [قال :]

إن الله تعالى قال لشَعْيا : قم في قومك أُوحِ على لسانك .

فلما قام شَعْيا أنطقَ اللهُ لسانَه بالوحي ، فقال : يا سماءُ استمعي ، يا أرضُ أنصتي .

فأنصتَتِ الأرضُ ، واستمعت السماءُ ، فقال : إن الله يقول لكم : إني استقبلتُ بني إسرائيلَ بالكرامة وهم كالغنمِ الضائعةِ لا راعيَ لها، فآويتُ شاذَّتَها[(١)]، وجمعتُ ضالَّتَها، وجَبَرْتُ كَسِيرها ، وداويتُ مريضَها ، وأسمنتُ مهزولَها ، فبَطِرتْ[(٢)] فتناطحتْ ، فقتل بعضُها بعضاً حتى لم يبق منها عظمٌ صحيحٌ يُجْبر إليه آخرُ كسيرٌ .

٢/ ٢٦٤

إن الحمار مما يتذكر آرِيَّه[(٣)] الذي شبع عليه فيراجعه، وإنَّ الثورَ مما يتذكر مَرْجَه الذي سَمِن فيه فينتابه ، وإن البعير مما يتذكر وطنَه الذي نُتج فيه فينزِع إليه[(٤)] ، وإنَّ هؤلاء القومَ لا يذكرون أنَّى جاءهم الخيرُ وهم أهلُ الألبابِ وأهلُ العقول، ليسوا بإبلٍ ولا بقرٍ ولا حمير . وإني ضاربٌ لهم مثلاً ، فاسمعوه: كيف ترَوْن في أرضٍ كانت زماناً خرِبةً مواتاً لا حَرْثَ فيها، وكان لها ربٌّ قويٌّ حليم، فأقبل عليها بالعِمارة ، وكِره أن تخرَبَ أرضُه وهو قويٌّ ، وأن يقال له ضَيَّع وهو عليم ، فأحاط عليها سِياجاً ، وشيَّد فيها قصراً، وأنبط فيها نهراً[(٥)]، وصَنَّف فيها غِراساً من الزيتون والرُّمانِ والنخيلِ والأعناب وألوانِ الثمار ، ووَلَّى ذلك ذا رأيٍ وهِمَّةٍ ، حفيظاً قوياً أميناً ؛ فلما جاء إبَّانُ إثمارِها أثمرتْ خَرُّوباً[(٦)] ؛ فما[1] كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بئست الأرضُ أرضُك، ونشير عليه أن يقلَع سياجَها، ويهدمَ قصرَها ، ويدفِنَ نهرَها، ويحرِق غرسَها، حتى تعودَ خرِبةً مواتاً لا عُمرانَ فيها. فقال[2] الله تعالى : قل لهم : إن السياجَ ذمتي ، وإن القصرَ شريعتي ، وإن النهرَ كتابي ، وإن القَيِّمَ نبِيِّي[3] ، وإن الغرسَ مَثَلٌ لهم ، والخَرُّوبَ أعمالُهم الخبيثةُ ؛ وإني قد قضيتُ عليهم قضاءَهم على أنفسهم .

---

(1) كب ، مص : ما .
(2) كب ، مص : قال .
(3) كب ، مص : نبي .

---

(١) الشاذ : المنفرد عن أصحابه ، يقال : شَذَّ يَشِذُّ ويَشُذُّ عن غيره ، إذا انفرد ونَدَر عنهم .

(٢) البطر : الطغيان عند النعمة وطول الغنى .

(٣) الآري : محبس الدابة .

(٤) نزع إلى الوطن: حن إليه واشتاق ، كأن الحنين يَنْزِعه من مكانه الذي هو فيه ويقتلعه ليرده إلى أهله وأوطانه.

(٥) أنبط النهر : حفر الأرض باجتهاد حتى أخرج الماء منها فصار نهراً .

(٦) الخروب والخُرْنوب : أظنه البازلاء ، نبت مثمر من الفصيلة القرنية ، ثماره تؤكل وتعلفها الماشية .

٣٤١٥ [وقال :] يتقرَّبون إليَّ بذبح الغنم والبقر ـ وليس ينالني اللحمُ ولا آكُلُه ـ ويَدَعُونَ أن يتقرَّبوا إليَّ بالتقوى ، والكفِّ عن ذبح الأنفسِ التي حرَّمْتُها ! ويُشَيِّدون لي البيوتَ ، ويزوِّقون لي المساجد(١) ! وأيُّ حاجةٍ بي إلى تشييد البيوتِ ولستُ أسكنُها ، وإلى تزويق المساجدِ ولستُ أدخلُها ! إنما أمرتُ برفعها لأُذْكَرَ فيها وأُسَبَّح ! ويُنَجِّسُون أنفسَهم وعقولَهم وقلوبَهم ويُخَرِّبونها ، فيقولون[1] : لو كان يقْدِرُ ٢/٢٦٥ على أن يجمعَ أُلْفتَنا لجمعَها ، ولو كان يقْدِرُ على أن يُفَقِّه قلوبَنا[2] لفقَّهها .

٣٤١٦ اعْمِدْ[3] إلى عودَيْن يابسَيْن فاكتب فيهما كتاباً ، ثم ائتِ نادِيَهم أجمعَ ما يكونون، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تعودا عُوداً واحداً. فقال لهما ذلك، فاختلطا فصارا عوداً واحداً ، وصار الكتابُ في طَرَفي العودِ كتاباً واحداً ، [فقال لهم :] يا معشر القبائل ، إنَّ الله يقول لكم : إني قَدَرت على أن أفقِّهَ العيدانَ اليابسةَ ، وعلى أن أُوَلِّفَ بينها ، فكيف لا أقْدِر على أن أجمعَ أُلْفَتَكم إنْ شئت! أم كيف لا أقْدِر على أن أُوَلِّفَ قلوبَكم!

٣٤١٧ يقولون: صُمْنا فلم يُرْفع صيامُنا ، وصلَّينا فلم تُنَوَّرْ صلاتُنا ، وزكَّينا فلم تَزْكُ زكاتُنا، ودَعَوْنا بمِثْل حنينِ الحَمَامِ ، وبكينا بمثل عُواء الذئاب ؛ في كل ذلك لا يُسْمَعُ منا ولا يُستجاب لنا. فقال[4] الله تبارك وتعالى : سَلْهُم لم ذلك ، وما الذي منعني أن أجيبَهم ؟ ألستُ أسْمَعَ السامعين، وأبْصَرَ الناظرين، وأقْرَبَ المجيبين ، وأرْحَمَ الراحمين ؟ ألأن خزائني فَنِيَتْ ؟ ! كيف ، ويداي مبسوطتان بالخير أُنْفق كيف أشاء ! أم لأن ذاتَ يدي قَلَّتْ ؟ كيف ، ومفاتيحُ الخيرِ بيدي لا يفتحها ولا يُغْلقها غيري ؟ أم لأن رحمتي ضاقت ؟ كيف ، ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيء ، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون ؟ أم لأن البخلَ يعتريني ؟ كيف، وأنا النَّفَّاحُ بالخيرات، أجْوَدُ مَنْ أعطى ، وأكْرَمُ مَنْ سُئل؟ ولكن كيف أرْفَعُ صيامَهم وهم يَلْبِسونه بقول الزُّور ، ويتقوّون عليه بطُعْمة الحرام ! كيف أُنَوِّرُ صلاتَهم وقلوبُهم صاغيَةٌ إلى مَنْ يُحَادُّني(٢) وينتهك محارمي ! أم كيف

---

(1) كب ، مص : يقولون .
(2) كب : قلوبهم .
(3) كب ، مص : فاعمد .
(4) كب ، مص : قال .

---

(١) انظر الكلام عن لفظ « المساجد » فيما سيأتي برقم ٣٤٢٣ .

(٢) المحادَّة : المعاداة والمخالفة والمنازعة ، يقال : حادَّه ، وحادده ، أي غاضبه وعاداه ، وهو من الحد الذي هو الحيِّز والناحية ، كأنه صار في الحد الذي فيه عدوه ، وهذا كقولهم : شاقَّه ، كأنه قصد شِقاً ، أي ناحية ، غير شِقِّ صاحبه .

أستجيب دعاءهم وإنما هو قولٌ بألسنتهم ، والعملُ من ذلك بعيد ! أم كيف تزكو صدقاتُهم وهي مِنْ أموالِ غيرِهم ! إنما أجزي عليها المغصوبين ، وإنَّ مِنْ علامةِ رِضاي رضا المساكين .

٢٦٦/٢ ٣٤١٨ قال وَهْب : وفيما ناجى اللهُ به موسى عليه السلام : لا تُعْجبكما زِينةَ[1] [فرعون] ولا ما مُتِّعَ به ، ولا تَمُدَّا إلى ذلك أعينكما ، فإنها زهرةُ الحياة الدنيا وزينةُ المترَفين . ولو شئتُ أن أُزَيِّنَكما بزينةٍ يَعْلم فرعونُ حين ينظرُ إليها أن مقدرتَه تَعْجِز عما أُوتيتما فعلتُ ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأُزْوِيه(١) عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي ؛ إني لأذودُهم عن نعيمها ورخائها كما يذُود الراعي الشفيقُ غَنَمَه عن مراتع الهَلَكَة ، وإني لأحميهم عيشَها وسَلْوَتها(٢) كما يُجَنِّبُ الراعي الشفيقُ إبلَه مَبَارِكَ العُرِّ(٣) ، وما ذاك لهَوَانهم عليَّ ، ولكن ليستكملوا نصيبَهم مِنْ كرامتي ، سالماً موفَّراً ، لم[2] يَكْلَمه الطَّمَعُ ولم يُطَبِّعْه(٤)[3] الهوى .

واعلمْ أنه لن يتزيَّنَ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندي من الزهد في الدنيا ، لأنها[4] هي زينةُ الأبرار عندي ؛ و[إنَّ] آنق[5] ما تَزَيَّنَ به العبادُ في عينيَّ عليهم منها : لباسٌ يُعْرَفون به مِنَ السكينةِ والخشوع ، سيماهم النحولُ والسجود ، أولئك أوليائي حقاً . فإذا لقيتَهم فاخفِضَ لهم جناحَك(٥) ، وذلِّل لهم قلبَك ولسانَك .

واعلمْ أنه مَنْ أهان لي ولياً أو أخافَه ، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرَّضني لنفسه[6] ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نُصْرة أوليائي . أفيظنُّ الذي يحاربني فيهم أنه يقوم لي ! أم يظن الذي يعاديني فيهم أنه يُعْجِزني ! أم يظن الذي يبادرني إليهم أنه

---

(1) كب : زينته .
(2) كب : لما .
(3) كب : يطيعه .
(4) كب ، مص : إنما .
(5) مص : أنقى .
(6) كب : بنفسه .

---

(١) أزويه : أبعده وأنحيه ، يقال : زَوَى الشيء يَزْوِيه فانزوى .
(٢) السلوة : رخاء العيش وهناءته .
(٣) العر : جمع أعر ، وهو الجمل الأجرب .
(٤) الطَّبَع : الدنس والعيب وكل ما يشين في دين ودنيا ، حتى يصدأ به القلب . ويقال : رجل طَبِعٌ ، أي دنس العرض ، دنيء الخلق ، لا يستحيي من سوأة .
(٥) يقال : خفض جناحه ، إذا ألان جانبه وتواضع ، على المثل بخفض الطائر لجناحه ، وذلك إذا ألانه وضمه إلى جنبه ليسكن من طيرانه .

يسبقني أو يفوتني ! كيف ، وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ، لا أَكِلُ نصرَهم إلى غيري !

٣٤١٩ وفي التوراة[1] : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بِطُور سيناء :

يا موسى بن عمران صاحب جبل لبنان ، أنت عبدي وأنا إلهك الدَّيَّان(١) . لا تستذلَّ الفقيرَ ، ولا تَغْبِط الغنيَّ بشيءٍ يسير . وكن عند ذكري خاشعاً ، وعند تلاوةِ وَحْيي طائعاً[2] ، [و] أسْمعني لذاذةَ التوراةِ بصوتٍ حزين . ٢٦٧/٢

٣٤٢٠ وفيما أوحى اللهُ إلى عيسى عليه السلام :

أنزِلْني مِنْ نَفْسِك كهَمِّك ، واجعلْني ذُخْرَكَ في مَعادك ، وتقرَّبْ إليَّ بالنوافل أُدْنِك ، وتوَكَّل عليَّ أكْفِك ، ولا تَوَلَّ غيري فأخذُلك . اصْبِرْ على البلاء ، وارضَ بالقضاءَ ، وكن كمسَرَّتي فيك ، فإنَّ مَسَرَّتي أنْ أُطاعَ . وأحْيي ذكري بلسانك ، وليكن وُدِّي في قلبك . تيقَّظْ لي في ساعات الغفلة ، وكن راهباً لي وراغباً إليَّ . أمِتْ قلبَك بالخشية . راعِ الليلَ لتَحَرِّي مَسَرَّتي ، وأظْميءْ لي نهارَك لليوم[3] الذي عندي . نافِسْ في الخيرات جُهْدَك . قم في الخليقة بعدلي ، واحكُمْ فيهم بنصيحتي ، فقد أنزلتُ عليك شفاءَ وساوِسِ ما في الصدور مِنْ مرض الشيطان ، وجلاءَ الأبصارِ مِنْ غشاء الكَلال . ولا تكنْ حِلْساً(٢) كأنك مقبورٌ وأنتَ حَيٌّ تتنفس . اكْحِلْ عينيك بمُلْمولِ الحزنِ إذا ضَحِك البَطَّالون(٣) . ابْكِ على نفسك أيامَ الحياةِ بكاءَ مَنْ قد وَدَّع الأهلَ ، وقَلَى(٤) الدنيا ، وتَرَكَ اللذاتِ لأهلها ، وارتفعتْ رغبتُه فيما عند إلهه .

طوبى(٥) لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين .

---

(1) كب : التوريه .

(2) كب : طمعاً ، وأظنها تحريف « طامعاً » أي طامعاً في ثوابي .

(3) كب : ليوم .

---

(١) الديان : المجازي المحاسب ، وهو من أسماء الله عزَّ وجلَّ .

(٢) الحلس : الذي يلزم بيته فلا يبرحه ، وهو في الأصل الكساء الذي يلي ظهر البعير والدابة ، شبه به للزومه ودوامه .

(٣) الملمول : المرود ، وهو ميل من الزجاج أو المعدن يكتحل به . والبطالون : جمع بطَّال ، وهو المتبع طريق اللهو والجهالة ، من بَطَل الشيء يَبْطُل ، إذا ذهب ضياعاً وخُسْراً .

(٤) قلاه يَقْليه : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه .

(٥) طوبى : فعلى من الطِّيب ، أي العيش الطيب لك . وقال الزجاج : طوبى شجرة في الجنة ، وعن سعيد بن جبير إنها اسم الجنة بالحبشية (اللسان : طوب) .

تَرَجَّ من الدنيا يوماً فيوماً ، وارْضَ بالبُلْغَة(١) ، وليكْفِك منها الخشِنُ . تَذَوَّقْ مذاقَةَ ما قد خلا أيْنَ طعمُه ، وما لم يأت أيْنَ لَذَّتُه ! لو رأتْ عيناك ما أعددتُ لأوليائي لذاب[1] قلبُك وزهِقَتْ نفسُك شوقاً إليه .

٣٤٢١ وفيما قال للحَوَاريين : بحقٍّ أقول لكم : إن شجر الأرضِ بمطر السماء تعيش وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تُبْصر وتهتدي . بحقٍّ أقول لكم : إنه من ليس عليه دَيْنٌ أرْوَحُ وأقَلُّ هَماً ممن عليه دَيْنٌ وإنْ حَسُنَ قضاؤه ، وكذلك مَنْ لم يعمل الخطيئةَ أرْوَحُ وأقلُّ هَماً ممن عمل بها وإنْ حَسُنَتْ توبتُه . ٢٦٨/٢

إنَّ الدَّابة تَزْداد على كثرة الرياضةِ لِيناً[2] ، وقلوبكم لا تزداد على كَثْرة المَوْعظة إلا قَسْوةً . إنَّ الجَسدَ إذا صَلَح كَفَاه القليلُ مِنَ الطعام ، وإنَّ القَلْبَ إذا صَحَّ كَفَاه القليلُ مِنَ الحِكمة . كم مِنْ سِراجٍ(٢) قد أطْفَأته الريحُ ، وكم مِنْ عابدٍ قد أفسده العُجْب(٣) .

يا بني إسرائيل، استمعوا قولي ، فإنَّ مَثَلَ مَنْ يستمع قولي ثم يعمَلُ به مَثَلُ رجلٍ حكيمٍ أسَّسَ بنيانَه على الصَّفا(٤) ، فمطرتِ السماءُ وسالتِ الأوديةُ وضربتْه الرياحُ ، فثبتَ بنيانُه ولم يَخِرَّ . ومَثَلُ الذي يستمعُ قولي ثم لا يعمَلُ به مَثَلُ رجلٍ سفيهٍ أسَّسَ بنيانَه على الرمل ، فمطرتِ السماءُ وسالتِ الأوديةُ وهاجت الريحُ فضربتْه ، فسقط بنيانُه .

يا بني إسرائيل ، ما يُغْني عن الأعمى سَعَةُ نورِ الشمسِ وهو لا يُبْصرها ، وما يُغْني عن العَالِمِ كثرةُ العلمِ وهو لا يعمَلُ به ؟ . بحقٍّ أقول لكم : إنَّ قائلَ الحكمةِ وسامعَها شريكان ، وأوْلاهما بها من حَقَّقها بعمله . بحقٍّ أقول لكم : لو وجدتُم سراجاً يتوقَّدُ بالقَطِران في ليلةٍ مظلمةٍ لاستضأتم بنوره ولم يمنعكم منه نَتْنُ قَطِرانه ، وكذلك[3] ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمةَ ممن وجدتموها عنده .

٣٤٢٢ بَلَغني عن محمد بن فُضَيل ، عن عمران بن سُلَيم ، قال : بلغني أنَّ عيسى ابن مريم قال لأصحابه : إنْ كنتم إخواني وأصحابي فوَطِّنوا أنفسَكم على العداوة والبغضاء مِنَ

---

(1) كب : لدار . (2) كب ، مص : خيراً .
(3) كب ، مص : فكذلك .

---

(١) البلغة : ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها .
(٢) السراج : المصباح .
(٣) العجب : زهو المرء بما يكون منه حسناً أو قبيحاً .
(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهو الحجر الصلد الضخم ، الصلب الأملس العريض ، الذي لا يُنبت شيئاً .

الناس ، إنكم لا تُدْركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تنالون ما تُحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياك والنَّظْرَةَ ، فإنها تزرع في القلب الشهوةَ . [و] طوبى لمن كان بصرُه في قلبه ولم يكن قلبُه في بصره .

٣٤٢٣ قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه ، وعليه جُبَّةٌ مِنْ صوفٍ وكساءٌ وتُبَّانٌ(١) ، حافياً ، مجزوزَ[1] الرأسِ والشاربين ، باكياً ، شَعِثاً ، مصفرَّ اللونِ مِنَ الجوع ، يابسَ الشفتين مِنَ العطش ، طويلَ شعر الصدر والذراعين والساقين ؛ فقال : السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلتُ الدنيا منزلَها ، ولا عَجَب ولا فَخْرَ . أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتُك يا رُوحَ الله ؟ قال : بيتي المساجد(٢) ، وطيبي الماء ، وإدامي الجوعُ(٣) ، ودابتي رِجْلي ، وسراجي بالليلِ القمرُ ، وصِلائي(٤)[2] في الشتاء مشارقُ الشمسِ ، وطعامي ما تيسَّرَ ، وفاكهتي ورَيْحاني بُقُولُ الأرض(٥) ، ولباسي الصوفُ ، وشِعاري الخوف ، وجلسائي الزَّمْنى(٦) والمساكينُ ، أُصْبِحُ وليس لي شيءٌ ، وأُمْسي وليس لي شيءٌ ، وأنا طَيِّبُ النَّفْس ، غنيٌّ مُكْثِر ، فمن أغنى وأَرْبَحُ مني ؟ ٢٦٩/٢

٣٤٢٤ وقرأتُ في بعض الكتب : عبدي : ما يزال مَلَكٌ كريمٌ قد صَعِد إليَّ منك بعملٍ قبيح ! أتقرَّب إليك بالنِّعَم ، وتتمقَّتُ إليَّ بالمعاصي ! خيري إليك نازلٌ ، وشرُّكَ إليَّ صاعدٌ .

٣٤٢٥ وفي التوراة : لعَلَّكَ يا إسرائيلُ إذا أنتَ خرجتَ مِنَ البَرِّيَّة ، فدخلتَ الأرضَ المقدَّسة - أرضَ بني آبائك إبراهيم وإسحاقَ ، فإنها تَفيضُ بُراً وشعيراً ولبناً وعسلاً ، فوَرِثْتَ بيوتاً بناها غيرُك ، وعصرتَ كروماً غرسها غيرُك ، فأكلتَ وشربتَ ، وتنعَّمْتَ

---

(1) كب : مجزور ، والأكثر في الجز الذبح والصرم . (2) كب : صلاتي .

---

(١) التبان : سروال قصير إلى الركبة أو ما فوقها يستر العورة .
(٢) النص ليس في الإنجيل ، والمسجد لفظ إسلامي ، ولا يوجد في الكتاب المقدس بعهديه كلمة « مسجد » بمعنى مكان السجود أو المصلى .
(٣) الإدام : ما يستمرأ به الخبز .
(٤) الصلاء : اسم للوقود ، ويقال : اصطلى بالنار ، إذا استدفأ بها .
(٥) البقول : هي جملة النباتات العشبية التي يغتذي بها الإنسان أو بجزء منها دون تحويلها صناعياً ، مثل الخس ، والبصل ، والجزر ، والفول .
(٦) الزمنى : جمع زمن (بفتح فكسر) ، وهو صاحب العاهة ، المبتلى .

بشحم لُبابِ القمح ـ ضربتَ يدك إلى صدرك ، ورَمَحْتَ كما تَرْمَح الدابةُ برجليها ، وقلتَ : بشدَّتي وبقوَّتي وبأسي وَرِثتُ هذه الأرضَ وغلَبْتُ أهلَها . ونسيتَ نعمتي عليك ! فأقذف الرُّعبَ في صدرك إذا أنت لَقيتَ عدوَّك ، وإذا هَبَّت الريحُ فتقعقعَ لها ورقُ الشجرِ انهزمتَ ، وأُقِلُّ[1] رجالَكَ ، وأُرَمِّلُ نساءك ، وأُيَتِّم أبناءك ، وأجعلُ السماءَ عليك نُحَاساً والأرضَ حديداً ، فلا[2] السماءُ تُمْطِر ولا الأرضُ تُنْبِت ، وأُقِلُّ لكَ البركةَ حتى تجتمعَ نسوةٌ عَشْرٌ يختبزن في تَنُّورٍ واحد .

٢/ ٢٧٠

٣٤٢٦ بلغني عن عبد الرحمن المحاربي ، عن جعفر بن بُرْقان ، قال :

بلغنيِ عن وَهْب بن مُنَبِّه ، قال : أجدُ في الكتاب أنَّ قوماً يتديَّنُون لغير العبادة ، ويختِلُون الدنيا بعمل الآخرة⁽¹⁾ ، يَلْبَسُون مُسُوكَ الضَّأنِ⁽²⁾ على قلوب الذئاب ، لسانُهم أحلى مِنَ العسل ، وأنفسُهم أمَرُّ مِنَ الصبر . أبي يغتَرُّون ! أم إياي يخادعون ! أقسمتُ لأبعثنَّ عليهم فتنةً يعود الحليمُ فيها حَيْران .

٣٤٢٧ وقرأتُ في الإنجيل : لا تجعلوا كنوزَكم في الأرض حيث يفسِدُها السُّوسُ والدُّودُ ، وحيث يَنْقُبُ السُّرَاقُ ، ولكن اجعلوا كنوزَكم في السماء ، فإنه حيث تكون كنوزُكم تكون قلوُبكم .

إنَّ العينَ هي سِراجُ الجسد ، فإذا كانت عينُك صحيحةً فإن جسدَك كلَّه مضيءٌ . وإنه لا يستطيع أحدٌ أن يعملَ لربَّيْن اثنيْن إلَّا أن يُحبَّ أحدَهما ويُبْغضَ الآخرَ ، ويُوَقِّرَ أحدَهما ويُهين الآخرَ ، فكذلك لا تستطيعون أن تعمَلُوا لله وللمال . [لذلك أقول لكم :] لا[3] يُهِمَّنَّكُمْ ما تأكلون وما تشربون وما تَلْبَسُون ، أليست النفسُ أفضلَ مِنَ الطعام ، والجسدُ أفضلَ مِنَ اللباسِ ! انْظُروا إلى طير السماءِ فإنهنَّ لا يَزْرعن ولا يَحْصدن ولا يَجْمعن في الأهْراء⁽³⁾ ، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقُهنَّ ، أفلستم أفضلَ منهنَّ ! وأيُّكم الذي إذا جَهِد يَقْدِر[4] أنْ يزيدَ على[5] طوله ذراعاً واحداً !

٢/ ٢٧١

(1) كب ، مص : فأقل .
(2) كب : ولا .
(3) كب : مص : ولا .
(4) كب : فقدر ، مص : قدر .
(5) كب ، مص : في .

(١) أي يتظاهرون بالتدين والخضوع لكسب دنياهم ، وأصل المخاتلة : مشي الصياد قليلاً قليلاً في خفية لئلا تسمع الطريدة حسه ، ثم جُعل مثلاً لكل شيء وُرِّي بغيره وسُتِر على صاحبه .
(٢) المسوك : جمع مسك (بفتح فسكون) وهو الجلد . والضأن : الغنم .
(٣) الأهراء : جمع هري (بضم فسكون) ، وهو بيت ضخم كبير يجمع فيه الطعام .

فلم تهتمون باللباس ! اعتبروا بسُوس البَرِّيَّة فإنه لا يعمل ولا يغزل ، ولكن[1] أقولُ [لكم] : إنَّ سليمانَ بوَافِرِه⁽١⁾[2] لم يستطع أن يلبَس كواحدةٍ منه ؛ فإذا كان الله يُلْبِس عُشْبَ الأرضِ الذي يَنْبُت[3] اليوم ويُلْقى[4] في النار غداً ، أفلستم يا قليلي الإيمانِ أفضلَ منه[5] ! ولا تهتمُّوا فتقولوا : ماذا نأكل ، وماذا نشربُ ، وماذا نلْبَسُ ؛ فإنه إنما يهتمُّ لذلك ابنُ الدنيا ، وإنَّ أباكم الذي في السماء يَعْلم أنَّ ذلك ينبغي لكم⁽٢⁾ ، فابْدَؤُوا فالتمسوا ملكوتَ اللهِ وصِدِّيقِيَّته ، فإنكم سوف تُكْفَون . ولا يُهمَّنْكم ما في غدٍ ، فإنَّ غداً مكتفٍ بهَمِّه ، وحَسْبُ اليومَ شرُّه . وكما تَدينون تُدَانون⁽٣⁾ ، وبالمكيال الذي تكيلون يُكال لكم . وكيف تُبْصِر القَذاةَ في عين أخيك ولا تُبصر الساريةَ في عينك⁽٤⁾ ! لا تُعْطوا الكلابَ القُدْسَ⁽٥⁾ ، ولا تُلْقوا لؤلؤَكُم للخنازير . سَلُوا تُعْطَوا ، وابتغُوا تَجِدوا ، واستفتحوا يُفْتَحْ لكم ، وانظروا الذي تُحِبُّون أن يأتيَ الناسُ إليكم فأتوا إليهم مِثْلَه . ادخلوا البابَ الضَّيِّقَ لأنه[6] واسِعُ البابِ ، ورَحْبُ الطريقِ⁽٦⁾ الذي يؤدي إلى الهَلَكة عريضٌ والذين يَسْلُكونه[7] كثيرٌ . ما أضْيَقَ البابَ ، و[أكْرَبَ] الطريقَ الذي يُبَلِّغُ إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه !

٣٤٢٨ وقال له رجل : أَتْبَعُك حيث ذهبتَ . فقال له عيسى : للثعالب جِحَرةٌ ، ولطير

---

(1) كب ، مص : أنا أقول .
(2) كب : فوراه ، مص : بوقاره . ورواية الإنجيل : في كل مجده .
(3) كب : تنبت . (4) كب : تلقى .
(5) كب : منهن .
(6) كب ، مص : فإن الباب والطريق إلى الهلكة عريضان .
(7) كب ، مص : يسلكونهما كثير ، وما أضيق . . اللذين يبلغان إلى الحياة! والذين يسلكونهما قليل .

---

(١) الوافر : المال الكثير التام الذي لم ينقص منه شيء .
(٢) أي أنتم الذين تحتاجونه وتطلبونه ، فبالأكل والشراب تحيون . ورواية الإنجيل أوضح : يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها .
(٣) الدين (بكسر الدال) : الجزاء والمكافأة ، ويقال : كما تَدين تُدان ، أي كما تُجازي تُجازَى بفعلك ، بحسب ما عملت ، وكما تفعل يفعل بك .
(٤) القذاة : ما يقع في العين من وسخ أو تراب . والسارية : الأسطوانة ، وهي عضد البيت وعموده ، ورواية الإنجيل : الخشبة .
(٥) القدس : البركة ، والتقديس : التطهير والتبريك .
(٦) الرحب : الواسع العريض ، يقال : طريق رحب ، وبلد رحب .

السماءِ كِنانٌ ، وليس لابنِ الإنسانِ مكانٌ يُسْنِدُ فيه رأسَه[١] .

٣٤٢٩ وقال له رجلٌ من الحَوَاريين : أتأذن لي أن أدْفِنَ أبي ؟ فقال له : دع الموتى يَدْفنون موتاهم واتْبَعني .

٢/٢٧٢ ٣٤٣٠ وقال للحَوَارِيين : لا تَتزوَّدوا شيئاً ، فإن العائلَ محقوقٌ أنْ يُطْعَمَ قُوتَه ، وإني أُرسلكم كالخِرفان بين الذئاب ، فكونوا حُلَماء كالحَيَّاتِ وبُلْهاً كالحمام[٢] . وإذا دخلتُم البيتَ فسَلِّموا على البيت ، فإن كان ذلك البيتُ أهلاً لسلامكم فليُصِبْهم ، وإن لم يكن أهلاً لسلامِكم فإنه يرجِع إليكم . ومَنْ لم يُؤْوِكم ويسمَعْ لقولكم ـ فإن[1] خرجتم مِنْ قريته ـ فانْفُضوا الغبارَ عن أرْجُلِكم .

٣٤٣١ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن عبد المنعم ، عن أبيه :

عن وَهْب ، قال : كان فيما ناجَى به عُزَيرٌ ربَّه : اللهمَّ فإنَّ لك من كلِّ خَلْقٍ خلقتَه خِيرةً اخترتَها ، وإنك اخترتَ مِنَ النبات الحُبْلَة، ومِنَ المواشي الضائنة[2] ، ومِنَ الطير الحمامةَ ، ومن البيوت بيتَ إيلياء ، ومن إيلياءَ بيتَ المقدس[٣] ، ومِنْ جميع الخلائق آدمَ ، ومِنْ وَلَدِ آدم نوحاً ، ومِنْ وَلَدِ نوحٍ إبراهيمَ ، ومِنْ وَلَدِ إبراهيمَ إسماعيلَ وإسحاق ، ومِنْ وَلَدِ إسحاقَ إسرائيلَ . اللهمَّ فأصبحتْ خِيَرَتُك قد تَمَّت ونفذَتْ في كُلِّ ما اخترتَ ، إلا ما كان مِنْ وَلَدِ خليلك إبراهيم ، فإنهم أصبحوا أعْبُداً لأهل معصيتك وخَوَلاً لأعدائك[٤] . فما الذي سَلَّط علينا ذلك ؟ أمِنْ أجْلِ خطايانا ؟ فالخاطئون ولدونا ؟ أو مِنْ أجلِ ضَعْفنا ؟ فمن ضَعْفِ خَلْقِنا ؟

قال : فجاءني المَلَكُ فكَلَّمَني ، فبينما أنا كذلك سمعتُ صوتاً هالني ، فنظرتُ فإذا امرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها ، ناشرةٌ شعرَها ، شاقَّةٌ جَيْبَها[٥] ، تَلْطِم وجهَها ، وتصرُخُ

---

(1) كب ، مص : فإذا .   (2) كب : الضانية .

---

(١) الجحرة : جمع جحر (بضم فسكون) ، وهو المأوى تحتفره الهوام والسباع لأنفسها . والكنان : جمع كن (بالكسر) ، وهو العش ، وكل شيء وقى شيئاً وستره فهو كِنُّه وكِنانه .

(٢) مضى بعضه برقم ١٤٩١ كتاب السؤدد . والبله : جمع أبله ، والمراد به الغافل عن الشر ، المطبوع على الخير . ورواية الكتاب المقدس : ودعاء كالحمام .

(٣) الحبلة : ثمرة فصيلة القَطانيات، كالفول والعدس والفاصوليا وغيرها، وتكون ذات فلقتين وبضع بزرات، تتفتح عندما تنضج. والضائنة: الغنم. وإيلياء: أحد أسماء مدينة القدس (وانظر ما مضى برقم ٣٤٠٩).

(٤) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية . وأعبد : عبيد ، جمع عبد .

(٥) الجيب : شق القميص والثوب الذي يدخل منه الرأس .

بأعلى صوتِها ، وتحثو الترابَ على رأسِها ؛ فأقبلتُ عليها وتركتُ ما كنتُ فيه ، فقلتُ لها : ما بالُكِ أيتها المرأةُ ، وما الذي دهاكِ ؛ أخبريني خبرَكِ ، [1]فقد أصابتِ المصائبُ غيرَكِ[1] ؟ قالتْ : إليكَ عني أيها الرجلُ ، فإنَّ ربي هو الذي أبكاني ، ومصيبتي أعظمُ مما ترى . فقلت : فإنَّ في الله عزاءً مِنْ كلِّ مصيبةٍ ، وخَلَفاً مِنْ كلِّ هالك ، وعوضاً مِنْ كلِّ فائتٍ ، فإياه فاستعيني ، وإلى نظره لك فانظري . قالت : ٢/ ٢٧٣

إني كنتُ امرأةً كثيراً مالي ، عظيماً شَرَفي ، وكنتُ عاقراً لا وَلَدَ لي ، وكنتُ عند بَعْلٍ(٢) له نِسوةٌ وكُلُّهن وُلِد له غيري ، فمِلْنَ به لحبِّ الولد ، فصرفَ وجهَه عني ، فحزنتُ وحزن أهلي وصديقي . ولما[2] رأيتُ هواني عليه ، وسقوطَ منزلتي عنده ، رَغِبتُ إلى ربي(٣) ، ودَعَوْتُه فأجابني ، واستوهبْتُه غلاماً فوَهَبه لي ، فقَرَّتْ به عيني ، وفَرِح أهلي ، وعَطَّف اللهُ به زوجي ، وقَطَع عني ألسنةَ ضرائري ، فربَّيْتُ غلاماً لم تحمِلْ أنثى مثلَه حُسناً وجمالاً ونَضْرةً وتماماً . فلما بلَغ أشُدَّه ، وكَمل به سروري ، خطبتُ عليه عظيمةَ قومي ، وبذلتُ دونه مالي ، وخرجتُ مِنْ خِلْعتي(٤) ، وجمعتُ رجالَ قومي ، فخرج يمشي بينهم حتى دخل بيتَه . فلما قَعَد على سريره ، خَرَّ منه ، فاندقَّتْ عنقُه ، فمات ابني ، وضَلَّ عملي ، وبَطَل نصيبي ، وتَلِفَ مالي . فخرجتُ إلى هذه البَرِّيَّة أبكيه فيها ، لا أريد أن أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه ، ولن أبْرَحَ أبكيه حتى ألْحَقَ به . قال عُزَير : اذْكُري ربَّك وراجعيه ، **فقد أصابت المصائبُ غيرَك** . أما رأيتِ هلاكَ إيلياءَ وهي سيِّدَةُ المدائنِ وأمُّ القُرَى ؟ أو ما رأيتِ مصيبةَ أهلِها وهم الرجال ؟ قالت : إي ، رحمك الله ! إن هذا ليس لي بعزاء ، وليستْ لي بشيءٍ منه أُسْوةٌ . إنما تبكي مدينةَ خَرِبَتْ ، ولو تُعْمَرُ عادتْ كما كانتْ ، وإنما تبغي قوماً وعَدَهم اللهُ الكَرَّةَ على عدوِّهم ، وأنا أبكي على أمرٍ قد فَاتَ ، وعلى مُصيبة لا أستقيلُها(٥) . قال عُزَير : فإنه خُلِقَ لما صار إليه(٦) ، وكُلُّ شيءٍ خُلِقَ للدنيا فلا بُدَّ

(1 - 1) الكلام قلق في موضعه ، وسيأتي مناسباً فيما سيلي .
(2) كب ، مص : فلما .

---

(٢) البعل : الزوج .
(٣) رغبت إلى ربي : سألته ضارعة خاشعة متذللة ، وهي من الرغبة : أي الضراعة والمسألة والتذلل للغني.
(٤) الخلعة : خيار المال ، كأنه يخلع قلب الناظر إليه ، أي ينزعه من موضعه .
(٥) لا أستقيلها : لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلب فيها غير مجد .
(٦) الضمير يعود إلى ابنها .

٢/ ٢٧٤ أنْ سيَفْنَى . أمَا رأيتِ مدينتَنا أصبحتْ خاويةً على عروشها بعد عِمارتها ، وأوحشتْ بعد أُنسها وأثاثِها ! أو ما رأيتِ مسجدَنا(١) كيف غُيِّرَ حسنُه ، وهُدِمَ حِصنُه ، وأُطْفيء نورُه ! أوَ ما رأيتِ عزَّ أهلِها كيف ذُلَّ ، وشرفَهم كيف خَمُل ، ومجدَهم كيف سقَط ، وفخرَهم كيف بَطَل ! أو ما رأيتِ كتابَ اللهِ كيف أُحْرِقَ ، ووحي[1] اللهِ كيف رُفِعَ ، وتابوتَ السكينةِ كيف سُبي(٢) ! أوَ ما رأيتِ نساءَ الملوكِ وبناتِهم في بُطونِ الأسواقِ ، حاسراتٍ عن السُّوق(٣) والوجوه والأشعارِ ! أوَ ما رأيتِ الأشياخَ الذين على وجوههم النورُ والسكينةُ مُقَرَّنين في الحبال والمَقَاطِر[2](٤) ! أوَ ما رأيتِ الأحبارَ والرهبانَ مصفَّدين في الإسار ! أوَ ما رأيتِ أبناءَ موسى وهارونَ تُضْرَب عليهم السِّهامُ ويقتسمُهم الأشرارُ ، وولدانَ الملوكِ خَدَماً للكُفَّار ! أوَ ما رأيتِ قتلانا لم يُوارِ أحداً منهم قبرٌ ، ولم يَعْهَدْ أحدٌ منهم إلى ولد ، فالحكماءُ مبهوتون ، والعلماءُ يموجون(٥) ، والحلماءُ متحيِّرون ، وأهلُ الرأي مُلْقُون بأيديهم مستسلمون ؟.

قال : فبينا أنا أكلِّمُها غَشَّى وجهَها نورٌ مثلُ شعاعِ الشمسِ حال بيني وبينَ النظرِ إليها ، فخَمَّرتُ[3] مِنْ شدَّتِه وجهي ، ورددتُ يدي على بصري ، ثم كشفتُ وجهي ، فإذا أنا لا أُحِسُّها ولا أرى مكانَها ، وإذا مدينةٌ قد رُفعتْ لي حصينةٌ بسورها وأبوابِها ، فلما نظرتُ إلى ذلك خَرَرتُ صَعِقاً . فجاءني المَلَكُ ، فأخذ بضَبْعي ونَعَشَني(٦) ، وقال لي : ما أضعفكَ يا عُزَير ! وقد زعمتَ أنَّ بك من القوَّةِ ما تخاطِبُ به رَبَّك وتُدْلي

---

(1) مص : ولي .
(2) كب ، مص : القِطار ، والقطار : الإبل تُشَد على نسق ، واحداً خلف واحد .
(3) مص : فحمرت ، تصحيف .

---

(١) مضى الكلام عن المسجد برقم ٣٤٢٣ .
(٢) تابوت السكينة: هو تابوت العهد أو الشهادة، صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج، موضعه في قدس الأقداس ، وكانت يهود تعتبره مقدساً ، فتحمله بالاحتفال أمامهم وهم مسافرون إلى أرض الميعاد . والظاهر أنه فقد عندما هدم بختنصر الهيكل في القدس بإتلافه أو نقله إلى بابل .
(٣) السوق : جمع ساق .
(٤) المقاطر : جمع مِقْطرة ، وهي خشبة فيها خروق توضع في رجل المحبوسين .
(٥) البَهْت : الحيرة والدهشة . وموج العلماء : اضطرابهم في الدين وتحيرهم فيه ، ومَوْج كل شيء ومَوْجانه : اضطرابه .
(٦) الضبع : وسط العضد بلحمه ، ويقال : أخذ بضَبْعي ، ومَدَّ بضَبْعي ، إذا أعانني وشد أزري واشتد به بأسي . ونَعَشَ الإنسان يَنْعَشه : تداركه من هَلَكه .

بالعُذْر عن الخاطئين مِنْ بني إسرائيل ! فقال[1] له عُزَير : مِثْلَ الذي رأيتُ وعاينت ٢/٢٧٥ أضعفني وأذهبَ روحي . قال المَلَكُ : فإنَّ المرأةِ التي كَلَّمَتْك هي المدينةُ التي تبكي عليها ، صَوَّرَها اللهُ لكَ في صورةِ أنثى فكَلَّمَتْك ، فافْقَهْ عنها : أمَّا قولُها : إنها عُمِّرَتْ زماناً مِنْ دهرِها عاقراً لا ولدَ لها ، فكذلك كانت إيلياءُ صعيداً من الأرض(١) ، خَراباً لا عمرانَ فيها ، أكثرَ من ثلاثةِ آلافِ سنة . وأمَّا[2] قولُها : إنَّ اللهَ وهَبَ لها غلاماً عند اليأسِ، فذلك حين أقْبَلَ اللهُ عليها بالعُمْران ، فابتعثَ اللهُ منها أنبياءه وأنْزَلَ كتابَه . وأمَّا قولُها : إنه هَلَك ولدُها حين كَمُلَ فيه سرورُها ، فذلك حين غَيَّرَ أهلُها نِعَمَ اللهِ وبَدَّلُوها ، ولم يزدادوا بالنِّعَم عليهم إلَّا جُرأةً على الله وفساداً ؛ فغَيَّرَ اللهُ ما بهم وسَلَّطَ عليهم عدوَّهم حتى أفناهم . وقد شَفَّعَك اللهُ في قومِك وكتابِك ومدينتِك ، وسيُعيدها اللهُ عامرةً كما رأيتَ : عليها حيطانُها وأبوابُها ، وفيها مساجدُها وأنهارُها وأشجارُها .

٣٤٣٢ وحَدَّثني بهذا الإسناد ، قال :

لما أمَرَ اللهُ إبراهيمَ أنْ يذبحَ إسحاقَ عليهما السلام ويجعلَه قُرْباناً ، أسَرَّ ذلك إلى خليلٍ له يقال له : العازر ، فقال له الصِّدِّيق : إنَّ اللهَ لا يبتلي بمِثْلِ هذا مِثْلَك ، ولكنه يريد أن يُجَرِّبَك ويختبرَك ، وقد علمتَ أنه لم يبتَلِك بهذا لِيَفْتِنَك ، ولا لِيُضِلَّك ، ولا لِيُعْنِتَكَ(٢) ، ولا لينقُصَ به بصيرتَك وإيمانَك ويقينَك ، فلا[3] يروعنَّك هذا ، ولا تَسُوءنَّ باللهِ ظَنَّك . وإنما رَفَع اللهُ اسمَك في البلاءِ على جميعِ أهلِ البلاءِ ، حتى كنتَ أعظمَهم في نفسكَ وولدك ، ليرفعَك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجاتِ والفضائل ؛ فليس لأهلِ الصبرِ في فضيلةِ الصبرِ إلا فضْلُ صبرِك ، وليس لأهلِ الثوابِ في فضيلة الثوابِ إلا فضْلُ ثوابِك ، وليس لأهلِ البلاءِ في جسيم شرفِ البلاءِ إلا فَضْلُ شرفِك . وليس هذا مِنْ وجوه البلاءِ الذي يبتلي اللهُ به أولياءه ، لأنَّ اللهَ أكرمُ في

---

(1) كب ، مص : قال .　　(2) كب : إنما .
(3) كب ، مص : ولا .

---

(١) الصعيد : المرتفع من الأرض ، ومدينة القدس أقيمت نواتها الأولى من نحو (٣٥) قرناً في بقعة جبلية هي جزء من جبال القدس .
(٢) العنت : المشقة ، وقد يوضع العنت موضع الهلاك ، قال ابن الأنباري : أصل التَّعَنُّت التشديد ، فإذا قالت العرب : فلان يتعَنَّت فلاناً ويُعْنِته ، فمرادهم يشدد عليه ويلزمه بما يصعُب عليه أداؤه ، ثم نقلت إلى معنى الهلاك (اللسان : عنت) .

٢/٢٧٦ نفسه ، وأعدلُ في حكمه ، وأرحمُ[1] في عباده ، مِنْ أنْ يجعلَ ذبْحَ الولدِ الطيبِ بيدِ الوالد النبيِّ المصطفَى . وأنا أعوذ بالله مِنْ أنْ يكونَ هذا مني حتماً على الله ، أو رداً لأمره ، أو سُخْطاً لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاءُ فيه والظَّنُّ به . فإنْ عَزَمَ ربُّك على ذلك فكنْ عند[2] أحسنِ عِلْمِه بك[3] ، فإني أعلمُ أنه لم يُعَرِّضْك لهذا البلاءِ العظيم إلَّا لحُسْنِ علمِه بك وبصدقِك وبصبرك ، ليجعلَك للناس إماماً . ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

٣٤٣٣ وحدّثني بهذا الإسناد ، أن يوسف عليه السلام لما لَبِث في السجن سبعَ سنين ، أرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ إليه جبريلَ عليه السلام بالبِشارة بخروجه ، فقال له : أتعرِفُني أيها الصِّدِّيقُ ؟ قال له يوسف : أرى صورةً طاهرةً ورُوحاً طَيِّباً لا يشبه أرواحَ الخاطئين . قال جبريل : أنا الرُّوح الأمين ، رسولُ ربِّ العالمين . قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيدُ المرسَلين ورأسُ المقرَّبين ؟ قال جبريل : أوَ لم تعلم أيها الصِّدِّيق أنَّ الله يُطَهِّر البيوتَ بطُهْر النبيِّين ، وأنَّ البقعةَ التي يحلُّون بها هي أطهرُ الأرَضين ، وأنه قد طَهَّر بك السجنَ وما حولَه يا بن الطاهرين ؟ قال يوسف : كيف تُشَبِّهني بالصالحين ، وتُسَمِّيني بأسماء الصِّدِّيقين ، وتَعُدُّني مع آبائي المُخْلَصين ، وأنا أسيرٌ مع هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يَكْلِمْ(١) قلبَك الجزعُ ، ولم يغيِّر خُلُقَك البلاءُ ، ولم يتعاظمك السجنُ ، ولم تطأ فراشَ سيِّدِك ، ولم يُنسك بلاءُ الدنيا بلاءَ الآخرة ، ولم تُنسك نفسُك أباك ولا أبوك ربَّك . وهذا الزمانُ الذي يَفُكُّ اللهُ به عُنُوَّك(٢) ، ويُعْتِق به رِقَّك ، ويبيِّن[4] للناس فيه حكمتَك ، ويُصدِّق رؤياك ، ويُنْصفك ممن ظلمك ، ويجمع إليك أحبَّتَك ، ويَهَبُ لك مُلْك مصرَ : يُمَلِّكك ملوكَها ، ويُعَبِّد لك جبابرتها ، ويُذلُّ لك أعِزَّتها ، ويُصَغِّر لك عظماءها ، ويُخْدِمك سُوقَتها ، ويُخَوِّلك خَوَلها(٣) ، ويرحَم بك مساكينَها ، ويُلْقي لك المودَّةَ والهيبةَ في قلوبهم ، ٢/٢٧٧ ويجعل لك اليدَ العليا عليهم والأثَر الصالحَ فيهم ، ويُري فرعونَ حُلُماً يفزَع منه

---

(1) كب ، مص : أعدل .
(2) كب ، مص : عبداً .
(3) كب : فيك .
(4) كب : تبين .

---

(١) الكَلْم : الجرح ، يقال : كَلَمه يَكْلِمه .
(٢) العنو : الأسر والذل ، والعاني : الأسير الذي أذله الأسر فاستكان .
(٣) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية .

ويأخُذه له كَرْبٌ شديدٌ حتى يُسهرَه ويُذهبَ نومَه ، ويُعَمّي عليه تفسيرَه وعلى السَّحَرة والكهنة ويُعَلِّمك تأويلَه .

٣٤٣٤ وفي بعض الكتب : أوحى اللهُ تعالى إلى بعض الأنبياء : إن[1] أردتَ أن تسكنَ معي غداً في حظيرةِ القُدس ، فكن في الدنيا وحيداً فريداً مهموماً حزيناً ، كالطائر الوحدانيِّ يظلُّ بأرضِ الفَلاةِ ويَرِدُ ماءَ العيونِ ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا جَنَّ عليه الليلُ أَوَى وحدَه استيحاشاً مِنَ الطيرِ واستئناساً بربِّه جلَّ وعزَّ(١) .

٣٤٣٥ لمَّا قُتِل عبدُ الله بن الزُّبَير وَجَدَ الحَجَّاجُ فيما تَرَك صُندوقاً عليه أقفالُ حديد ، فتعجَّب منه وقال : إنَّ في هذا شيئاً . ففتحه ، فإذا صُندوقٌ آخرُ عليه قُفْلٌ ففتحه ، فإذا سَفَطٌ(٢) فيه دُرج ففتحه ، فإذا صحيفةٌ فيها : إذا كان الحديثُ حِلْفاً(٣) ، والميعادُ خُلْفاً ، والمَقيتُ[2] إلْفاً(٤) ، وكان الولدُ غَيْظاً ، والشتاءُ قَيْظاً(٥) ، وغاضَ الكرامُ غَيْضاً[3] ، وفاض اللئامُ فَيْضاً ، فأعْنُزٌ عُفْرٌ(٦) في جبلٍ وَعْرٍ ، خيرٌ من مُلْك بني النَّصْرِ[4] ، حَدَّثني بذلك كَعْبُ الحِبْر(٧) .

* * *

(1) مص : إذا .

(2) كب ، مص : المقنب ألفاً ، والمقنب : جماعة الخيل والفرسان . ولا وجه لها هنا .

(3) كب : غيظاً .　　(4) كب ، مص : النضر ، تصحيف .

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة المقفرة ، كأنها فُليت عن كل خير ، أي فُطمت وعُزلت . وجن الليل : أظلم ، ويقال لكل ما ستر : جنَّ وأجنَّ .

(٢) السفط : وعاء يوضع فيه الطيب والحلي ونحوه من أدوات النساء .

(٣) حلفاً : أي يُحْلَف ويُقسم ليُصَدَّق قائله ، وذلك لتَفَشّي الكذب .

(٤) الإلف : الأليف المؤنس .

(٥) قيظاً : شديد الحر ، والقيظ : صميم الحر ، وهو حاقُّ الصيف .

(٦) العفر : البيض التي يخالط بياضها حمرة فيصير لونها كلون العَفَر وهو التراب . وفي رواية : أعنز جفر ، وهي ما عظم واستكرش من ولد المعزى .

(٧) بنو نصر : هم المناذرة ، ملوك الحيرة . وكعب الحبر : هو كعب الأحبار ، كعب بن ماتع الحِميري ، تابعي كبير ثقة ، وبعض المعاصرين يتكلم فيه عن جهل ، ينكرون أنه يروي الغرائب عن الكتب القديمة ، وما في هذا من بأس إذا لم يكن ديناً ، فما يحكيه عن الكتب ليس بحجة عند أحد من أهل العلم ، وليس كل ما نُسب إليه بثابت عنه . توفي كعب بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة سيدنا عثمان ، وأرَّخ ابن قتيبة وفاته سنة ٣٢ (المعارف ٤٣٠) .



الدعـــاء

٣٤٣٦ حَدَّثني أبو مسعود الدَّارِمي ، قال : حَدَّثنا جَرير[1] :

عن أنس بن مالك ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قال رَبُّكم عزَّ وجلَّ : ثلاثةٌ : واحدةٌ لي ، وواحدةٌ لك يا بن آدم ، وواحدة بيني وبينك . فأمَّا التي لي فتُخلِص لي لا تُشرِك بي شيئاً ، وأمَّا التي لك فأحْوَجُ ما تكون إلى عملك أُوَفِّيكه ، وأمَّا التي بيني وبينك فمنك الدعاءُ وعليَّ الإجابةُ »(١) .

٢/ ٢٧٨

٣٤٣٧ حَدَّثني عَبْدة بن عبد الله ، قال : أخبرنا زيد بن الحُباب ، قال : حَدَّثنا معاوية ، قال : حَدَّثني أزهر بن سعيد :

عن عاصم بن حُميد ، قال(٢) : سألتُ عائشةَ رضي الله عنها ، ما كان يفتتح به رسولُ اللهِ ﷺ به صلاتَه في قيام الليل ؟ قالتْ : كان يُكَبِّر عَشْراً ، ويُحَمِّد عَشْراً ، ويُسَبِّح عَشْراً ، ويُهَلِّل(٣) عَشْراً ، ويستغفر اللهَ عَشْراً ، ثم يقول : « اللهمَّ اغفرْ لي واهْدِني وارْزُقني وعافني » ، ويتعوَّذ من ضِيق المَقام يوم القيامة .

٣٤٣٨ حَدَّثنا حسين بن حسن المَرْوَزيُّ ، قال : حَدَّثنا الخَفَّاف ، عن أبي الوَرْقاء :

عن عبد الله بن أبي أوْفَى ، قال(٤) : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أصبح قال : « أصبحنا وأصبحَ المُلْكُ والكبرياءُ والعَظَمةُ والخَلْق والأمْرُ والليلُ والنهارُ ومايَسْكُن فيهما للهِ ربِّ العالمين وحدَه لا شريكَ له . اللهم اجعلْ أوَّلَ هذا النهارِ صلاحاً ، وأوسطَه فلاحاً ، وآخرَه نجاحاً . اللهم إني أسألك خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرةِ يا أرحمَ الراحمين » .

---

(1) كب : جدير ، تصحيف .

---

(١) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، سيأتي في نهاية الكتاب تخريجه .
(٣) يهلل : يقول لا إله إلا الله .
(٤) إسناده واهن جداً .

٣٤٣٩ حَدَّثنا إسحاقُ بن راهَوَيْه ، قال : أخبرنا حسين بن علي الجُعْفي ، عن إسرائيل :
عن الحسن[1] ، أنه كان إذا استسقى قال : اللهم اسقنا سُقْيا واسعةً وادِعةً ، عامَّةً نافعةً ، غيرَ ضارَّةٍ ، تَعُمُّ بها حاضرَنا وبادينا ، وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم ٢/ ٢٧٩ اجعله رزْقَ إيمانٍ ، وعطاءَ إيمانٍ ، إنَّ عطاءك لم يكن محظوراً . اللهم أنْزِل علينا في أرضنا سَكَنَها وأنْبِتْ فيها زينتَها ومرعاها(١) .

٣٤٤٠ روى الكلبيُّ ، عن أبي صالح : أنَّ العباس قال يوم استسقى عمرُ رضي الله عنهما[2] : اللهم إنه لم يَنْزِلْ بلاءٌ إلا بذنب ، ولا يُكْشَف إلا بتوبةٍ ، وقد تَوَجَّه بي القومُ إليك لمكاني مِنْ نَبِيِّك[3] ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسْقِنا الغَيْث .

فأرخت السماءُ شآبيبَ مثلَ الجبالِ بدِيمةٍ مُطْبِقة(٢) .

٣٤٤١ وروى سُفْيان بن عُيَينة ، عن أبي عبد الملك ، قال : سمعتُ عمر بنَ عبد العزيز عشيةَ عرفة بعرفة وهو يقول : اللهم زِدْ في إحسان محسِنهم ، وراجِع بمسيئهم إلى التوبة ، وحُطْ مِنْ ورائهم بالرحمة .

٣٤٤٢ حَدَّثنا حسين بن حسن[4] ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن عُبَيد الله بن زَحْر[5] ، عن خالد بن أبي عِمْران :

عن عبد الله بن عمر ، قال : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات : « اللهم اقسمْ لنا مِنْ خشيتك ما يَحُول بيننا وبين معاصيك ، ومِنْ طاعتك ما تُبَلِّغنا به إلى رحمتك ، ومِنَ اليقين ما تَهُون به علينا مُصِيباتُ الدنيا . ومَتِّعْنا ٢/ ٢٨٠

---

(1) كب ، مص : الحسين ، تحريف .
(2) كب ، مص : عنه .
(3) كب : بيتك .
(4) كب ، مص : حسين ، خطأ .
(5) كب ، زخر ، تصحيف .

---

(١) سكنها : غياث أهلها الذي تسكن أنفسهم إليه . وزينة الأرض : نباتها الذي يزينها ، فتزداد حسناً وبهجة .
(٢) شآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر ساكن ليس فيه رعد ولا برق ، ولكنه يشتد ويدوم ، وأقل ما يسمى منه ديمة ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل ثم يبلغ عدة أيام . والمطبقة : التي غشت وجه الأرض وأديمها الواسع المتراحب ، فعَمَّتْها .

بأسماعنا وأبصارنا ، واجعل ذلك الوارثَ منا(١) . وانصرنا على مَنْ ظلمنا ولا تجعل مصيبتَنا في دِيننا . ولا تجعل الدنيا أكبرَ هَمِّنا ولا مبلغَ عِلْمِنا(٢) . ولا تسلِّط علينا مَنْ لا يرحمنا »(٣) .

٣٤٤٣ بلغني عن يونس ، عن الأَوْزاعي ، عن حسان بن عُطَية ، قال :

كان شَدَّاد بن أوْس في سفرٍ ، فنزَلْنا مَنْزِلًا ، فقال لغلامه : ائتنا بالسُّفْرة نَعْبث[1] بها . فأُنْكِرَتْ منه ، فقال : ما تكلمتُ بكلمةٍ مُذْ أسلمتُ إلَّا وأنا أخْطِمها وأزُمُّها غيرَ كلمتي هذه ، فلا تحفظوها عني ، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إذا كَنَزَ الناسُ الذَّهَبَ والفِضَّة فاكْنِزوا هؤلاء الكلماتِ : اللهم إني أسألك الثباتَ في الأمر والعزيمةَ على[2] الرُّشْد ، وأسألك شُكْرَ نعمتِك ، وأسألك حُسْنَ عبادتِك ، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً ، وأسألك مِنْ خير ما تعلم ، وأعوذ بك مِنْ شَرِّ ما تعلم ، وأستغفرك لِمَا تعلم ، إنك أنتَ عَلاَّمُ الغُيوب »(٤) .

٣٤٤٤ بلغني عن الوليد بن مسلم ، قال : حَدَّثنا أبو سَلَمة الدَّوسي :

عن سالم بن عبد الله ، قال : كان من دعاء رسولِ الله ﷺ : « اللهم ارْزقني عينين هَطَّالتين ، تبكيان بذُروف الدموع ، وتشفيانني مِنْ خشيتك ، قبل أن تكونَ الدموعُ دماً والأضراسُ جمراً »(٥) .

٢/ ٢٨١ ٣٤٤٥ حَدَّثني أبو سُفيان الغَنَويّ ، قال : حَدَّثنا محمد[3] بن عمران ، قال : حَدَّثني الحارث بن عتبة[4] ، عن العلاء بن كثير :

---

(1) كب : فعبث .
(2) كب ، مص : في .
(3) كب ، مص : عمر ، تحريف .
(4) كب ، مص : عنبة ، تصحيف .

---

(١) الوارث : الباقي الدائم ، يقول : أبقهما معنا صحيحين سليمين حتى نموت ، فيكون السمع والبصر عند الكبر وانحلال القوى ، وارثي سائر القوى والباقيين بعدها . وقيل : أراد بالسمع وعْيَ ما يسمع والعمل به ، وبالبصر الاعتبار بما يرى (اللسان : ورث) وأرى أنه ﷺ إنما أراد اجعل جزاء عملهما باقيين .
(٢) مبلغ علمنا : نهايته وكفايته .
(٣) إسناده ضعيف ، وابن أبي عمران لم يسمع من عبد الله بن عمر ، والحديث صحيح ، صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله .
(٤) إسناده منقطع ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٥) إسناده مرسل ، وفي أوله انقطاع ، والحديث رواه الطبراني مرفوعاً بإسناد حسن ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

عن أبي الأسقع ، أنه كان يحفظ من دعاء النبيِّ ﷺ : « يا مَوْضعَ كلِّ شكوى ، ويا شاهدَ كلِّ نَجْوَى بكُلِّ سبيلٍ ، أنتَ مُقيمٌ تَرَى ولا تُرَى وأنتَ بالمنظَرِ الأعلى »(١) .

٣٤٤٦ حَدَّثنا عبد الرحمن ، عن[1] عبد المنعم ، عن أبيه :

عن وَهْب بن مُنَبِّه ، قال : كان دعاءُ عيسى الذي يدعو به للمرضى والزَّمْنَى(٢) والعُمْيان والمجانين وغيرِهم : اللهم أنتَ إله مَنْ في السماء وإله مَنْ في الأرض ، لا إلَه فيهما غيرُك . وأنت جَبَّار مَنْ في السماء وجَبَّار مَنْ في الأرض ، لا جَبَّارَ فيهما غيرُك . وأنت حَكَمُ مَنْ في السماء وحَكَمُ مَنْ في الأرض ، لا حَكَمَ فيهما غيرُك . وأنتَ مَلِكُ مَنْ في السماء ومَلِكُ مَنْ في الأرض ، لا مَلِكَ فيهما غيرُك . قُدْرتُك في الأرض كقُدْرتِك في السماء ، وسلطانُك في الأرض كسلطانِك في السماء . أسألك باسمك الكريمِ ، ووجهِك المنيرِ ، ومُلْكِك القديم ، إنك على كل شيء قدير .

قال وَهْب : هذا يُقرأ للفَزَعِ وللمجنون[2] ، يُكْتَب له ، ويُغْسل [ما كُتب له في ماء] ويُسْقى ، فيبرأ بإذن الله . أيَّ ذلك شاء فَعَلَ .

٣٤٤٧ وحَدَّثني أيضاً بهذا الإسناد ، قال :

كان من دعاء المسيحِ حين أخذه اليهودُ لِيَصْلِبُوه بزعمهم فرفعه اللهُ إليه : اللهم أنتَ القريبُ في عُلُوِّك ، المتعالي في دنُوِّك ، الرفيعُ على كلِّ شيء مِن خَلْقِك . أنتَ الذي نفذ بصرُك في خَلْقك ، وحَسِرَتِ الأبصارُ دونَ النظر إليك ، وعَشِيَتْ دونك(٣) ، وشَمَخَ بك العلوُّ في النور . أنت الذي جلَّيت الظُّلَمَ بنورك . فتباركتَ اللهم خالقَ الخَلْقِ بقُدرتك ، مقدِّرَ الأمورِ بحكمتك ، مبتدِعَ الخَلْقِ بعظمتك ، القاضي في كل ٢/٢٨٢

---

(1) كب : بن ، تحريف . (2) كب ، مص : للفزع على المجنون ويكتب .

---

(١) إسناده ضعيف جداً . والنجوى : السر ، وهو الحديث الهامس مع النفس أو مع الآخرين ، فرادى أو جماعات . المنظر الأعلى : السماء ، والأصل في المنظر : المرقب ، أي موضع الحراسة ، ويكون على شرف ، عيناً للقوم لئلا يدهمهم عدو .

(٢) الزمنى : جمع زمن (بفتح فكسر) وهو صاحب العاهة ، المبتلى .

(٣) حَسِرَ بصره : كَلَّ وانقطع نظره ، والعرب تقول : حَسَرَت الدابة ، إذا سَيَّرتها حتى ينقطع سيرها ، وأما البصر فإنه يَحْسَِر عند أقصى بلوغ النظر . والعشا : سوء البصر من غير عمًى .

شيء بعلمك . أنتَ الذي خلقتَ سبعاً في الهواء بكلماتك ، مستَويات الطِّباق(١) ، مُذْعِناتٍ لطاعتك ، سما بهنَّ العُلوُّ بسلطانك ، فأجبنَ وهُنَّ دُخانٌ مِنْ خوفك ، فأتين طائعاتٍ بأمرك ، فيهن ملائكتُك يُسَبِّحون قُدْسَك بتقديسك ، وجعلتَ فيهنَّ نوراً يجلو الظلامَ ، وضياءً أضوأ من شمس النهار ، وجعلتَ فيهنَّ مصابيحَ يُهْتَدَى بها في ظُلُمات البحرِ والبر ، ورُجوماً للشياطين . فتباركتَ اللهم في مفطور سمواتك(٢) ، وفيما دَحَوت مِنْ أرضك ، دحوْتها على الماء ، فأذللتَ لها الماءَ المتظاهر[1](٣) ، فذَلَّ لطاعتك وأذْعَنَ لأمْرِك ، وخَضَع لقوَّتك أمواجُ البحار ، فَفَجَّرْتَ فيها بعد البحارِ الأنهارَ ، وبعدَ الأنهارِ العيونَ الغِزارَ والينابيعَ ، ثم أخرجتَ منها الأشجارَ بالثمار ، ثم جعلتَ على ظهرها الجبالَ أوْتاداً فأطاعتْك أطوادُها(٤) . فتباركتَ اللهم في صُنعك ، فمن يبلغ صفةَ قدرتك ، ومَنْ يُنْعَتُ نعتَك ؟ تُنْزِل الغيثَ ، وتُنْشيء السحابَ ، وتُفِكُّ الرِّقابَ ، وتقضي الحقَّ وأنتَ خيرُ الفاصلين[2] . لا إله إلا أنت ، سبحانَك أمرتَ أن يستغفرَك كلُّ خاطيء . لا إله إلا أنت ، إنما يخشاك من عبادِك العلماءُ الأكياس . أشهد أنك لستَ بإله استحدثناه ، ولا ربٌّ يَبيد ذِكْرُه ، ولا كان لك شركاءُ يقضون معك فندعُوَهم ونَدَعُك ، ولا أعانَك أحدٌ على خَلْقك فنشُكُّ فيك . أشهدُ أنك أحدٌ صَمَدٌ(٥) ، لم تَلِد ولم تولد ، ولم يكن لك كُفْواً أحدٌ ، ولم تتخذ صاحبةً ولا ولداً . اجْعَلْ لي من أمري فرجاً ومخرجاً .

قال وَهْب : وهذا الدعاء عُوذَةٌ للشقيقة وغيرِها ، من قوله[3] : أشهد أنك لستَ بإله استحدثناه ، إلى آخره .

٢/ ٢٨٣ ٣٤٤٨ حَدَّثني محمد بن عُبيد ، قال : حَدَّثنا سفيان بن عُيينة :

---

(1) كب : المتطاهر . (2) كب : الفاضلين .
(3) كب ، مص : قولك .

---

(١) الطباق : الموافقة ، يقول : مطابقة بعضها بعضاً ، أي بعضها فوق بعض وفقاً وحذواً واحداً .
(٢) مفطور سمواتك : أي سمواتك المفطورة ، قدَّم وأخَّر ، أي التي أوجدتها ابتداء على غير مثال سابق . يقال : فَطَر الأمر ، إذا ابتدأه واخترعه . ودحا الأرض : بسطها .
(٣) المتظاهر : الكثير المجتمع ، يدفع بعضه بعضاً لقوته .
(٤) أوتاداً : ثابتة منتصبة كالوتد . والأطواد : جمع طود (بفتح فسكون) وهو الجبل العظيم .
(٥) الصَّمَد : من صفاته تعالى ، لأنه أُصمدت إليه الأمور ـ أي أُوكلت له ـ فلم يقض فيها غيره ، فهو خالق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء .

عن ابن عباس ، قال : الإخلاص هكذا[1] : ـ وبَسَط يَده اليسرى[1] ، وأشار بأصبعه من يده اليمنى ـ والدعاء هكذا : ـ وأشار براحتيه إلى السماء ـ والابتهال هكذا : ـ ورفع يديه فوق رأسه [و] ظهورُهما إلى وجهه[2] ـ .

٣٤٤٩ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن عبد المنعم ، عن أبيه :

عن وَهْب بن مُنَبه ، قال : كان داود إذا دعا في جوف الليل قال : اللهم نامتِ العيونُ ، وغارتِ النجومُ ، وأنتَ حَيٌّ قَيُّوم ، اغفر لي ذَنْبي العظيمَ إنك عظيمٌ ، وإنما يغفر العظيمَ العظيمُ . إليكَ رفعتُ رأسي عامرَ السماءِ نَظَرَ العبيدِ إلى أربابها . اللهم تساقطتِ القُرَى وأُبْطِل ذكْرُها وأنتَ دائبٌ الدَّهْرَ مُعِدٌّ كرسيَّ القضاءِ .

٣٤٥٠ قال : وكان من تحميده : الحمد لله عددَ قَطْرِ المطرِ ، وورقِ الشجرِ ، وتسبيحِ الملائكةِ ، وعددَ ما في البَرِّ والبحرِ . والحمد لله عددَ أنفاسِ الخَلْقِ ولَفْظِهم وطَرْفِهم وظِلالِهم ، وعددَ ما عن أيمانِهم وشمائِلهم ، وعددَ ما قهره مُلْكُه ، ووَسِعه حِفْظُه ، وأحاطتْ به قُدْرتُه ، وأحصاه علمُه . والحمدُ لله عددَ ما تجري به الرياحُ ، وتَحْمِله السحابُ ، وعددَ ما يختلِف به الليلُ والنهارُ ، وتسيرُ به الشمسُ والقمرُ والنجومُ . والحمدُ لله عددَ كلِّ شيءٍ أدْرَكه بصرُه ، ونَفَذ فيه علْمُه ، وبَلَغ فيه لطفُه[3] . والحمد لله الذي أدعوه فيُجيبني وإنْ كنتُ بطيئاً حين يدعوني . والحمدُ لله الذي أسأله فيعطيني وإنْ كنتُ بخيلاً حين[2] يستقرِضُني . والحمد لله الذي حَلُم في الذنوب عن عقوبتي حتى كأني لا ذنبَ لي ، ولو يؤاخِذُني لم يظلمني سَيِّدي ، والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي وهو ذُخْري في آخرتي ، لو رَجوتُ غيرَه لانقطع رجائي . والحمد لله الذي تُمْسي أبوابُ الملوكِ مغلقةً دوني ، وبابُه مفتوحٌ لكلِّ ما شئتُ مِنْ حاجاتي ، بغير شفيعٍ يقضيها[3] لي . والحمد لله الذي أخلو به في كلِّ حاجاتي ، وأضعُ عنده

٢/ ٢٨٤

(1) كب ، مص : اليمنى . . اليسرى . (2) كب : حتى .
(3) كب ، مص : فيقضيها .

(١) الإخلاص : التوحيد ، أراد قول لا إله إلا الله في قراءة التشهد أثناء الصلاة .
(٢) أراد أنه يمد يديه جميعاً إلى فوق . والابتهال : التضرع والاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله .
(٣) لطف الله : بره وتكرمته لعباده ، وتوفيقه إليهم في الفعل والعلم . وبلغ لطفه : وصل إلى غايته ومنتهاه وكامل مراده .

سِرِّي[1] في أيِّ ساعةٍ شئتُ مِنْ ساعاتي . والحمد لله الذي يتحبَّبُ إليَّ وهو عني غنيٌّ ، فرَبّي أحْمَدُ شيء عندي وأحَقُّه بحمدي .

٣٤٥١ وكان من دعاء يوسف : يا عُدَّتي عند كُرْبتي ، ويا صاحبي في وَحْدَتي ، وغِياثي عند شِدَّتي ، ومَفْزَعي عند فاقتي (١) ، ورجائي إذا انقطعتْ حيلي . يا إلهي ، وإله آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، اجعلْ لي فَرَجاً ومخرجاً ، واقض حاجتي .

٣٤٥٢ وكان بَكّاءُ بني إسرائيل يقول : اللهمَّ لا تُؤَدِّبْني بعقوبتك ، ولا تَمْكُرْ بي (٢) في حِيلتك ، ولا تؤاخذني بتَقْصيري عن رِضاك . عظيمَ خطيئتي فاغْفِرْ ، ويَسيرَ[2] عملي فتقبَّلْ . كما شئتَ تكونُ مشيئتُك ، وإذا عزمتَ يمضي عزمُك ، فلا الذي أحسنَ استغنى عنك وعن عَوْنك ، ولا الذي أساء استبدَّ بشيٍ يَخْرُج به مِنْ قُدْرَتِك ، فكيف لي بالنجاة ولا تُوجَد إلا مِنْ قِبَلِك ! إلهُ الأنبياءِ ، ووَليُّ الأشياءِ[3] ، وبديعُ مرتبةِ الكرامة . جديدٌ لا يبلى ، حفيظٌ لا يَنْسى ، دائمٌ لا يبيد ، حيٌّ لا يموت ، يقظانُ لا ينام . بكَ عرفتُك ، وبكَ اهتديتُ إليك ، ولولا أنتَ لم أدْرِ ما أنتَ ، فتباركتَ وتعاليتَ .

٣٤٥٣ قال الأزدي : حُدِّثت عن محمد بن النضر الحارثي ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « لا تقطعوا الشهادةَ على أهل القِبْلة ، فإنه مَنْ يقطع الشهادةَ عليهم فأنا منه بريءٌ . إنَّ اللهَ كَتَمنا ما يصنع بأهل القِبْلة » . ٢/ ٢٨٥

٣٤٥٤ وقال : « مَنْ عَلَّمَ آيةً مِنْ كِتاب الله ، أو كلمةً مِنْ سنَّةٍ في دِين الله ، حثا اللهُ له مِنَ الثواب حَثْواً » (٣) .

٣٤٥٥ قال : وقال الأَوْزاعي : كان رسولُ اللهِ ﷺ يقول : « اللهم إني أسألك التوفيق لمَحَابِّك مِنَ الأعمالِ ، وحسنِ الظَّنِّ بك ، وصدقِ التوكلِ عليك » (٤) .

---

(1) كب : سره . (2) كب : تسيير .
(3) كب ، مص : الأنبياء .

---

(١) يقال : هو مَفْزَع الناس ، معناه إذا دهمهم أمرٌ فَزِعوا إليه ، أي لجأوا إليه واستغاثوا به . والفاقة : الفقر والحاجة .
(٢) مكر الله : استدراج العبد بالطاعات فيتُوهم أنها مقبولة وهي مردودة ، فمكره مكر مجازي .
(٣) الحديث أخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف ١/ ٢٩٠ بإسناد ضعيف .
(٤) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
محابك : أي ما تحبه وترضاه .

٣٤٥٦ محمد بن بِشْر العَبْدي ، قال : حَدَّثنا بعضُ أشياخِنا ، قال :
اعتمر عليٌّ عليه السلام فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : يا مَنْ لا يشْغَلُه سمعٌ عَنْ سمعٍ ، ولا تُغْلِطه المسائلُ ، ولا يُبْرِمه إلحاحُ المُلِحِّين[١] ، أذِقْني بَرْدَ عفوِك وحلاوةَ مغفرتك . فقال عليٌّ : والذي نفسي بيده ، لو قُلْتَها وعليكَ مِلْءُ السمواتِ والأرَضين ذنوباً لغُفِر لك .

٣٤٥٧ دعا أعرابيٌّ عند المُلْتَزَم[٢] ، فقال : اللهم إنَّ لك عليَّ حقوقاً فتصَدَّقْ بها عليَّ ، وللناس قِبَلي تَبِعاتٍ فتحمَّلْها عني . وقد أوجَبْتَ لكلِّ ضيفٍ قِرًى ، وأنا ضيفك ، فاجعلْ قِراي الليلةَ الجنَّةَ .

٣٤٥٨ وقال آخر : اللهم إليك خرجتُ ، وما عندك طلبتُ ، فلا تحرمني خيرَ ما عندَك لشَرِّ ما عندي . اللهم وإنْ كنتَ لم ترحَمْ نَصَبي وتَعَبي ، فلا تحرمني أجرَ المصابِ على مصيبته .

٣٤٥٩ وقرأتُ في كتابٍ لشيخٍ لنا : اللهم إنه مَنْ تهيَّأَ أو تعبَّأَ[٣] ، وأعَدَّ واستعَدَّ لوفادةِ مخلوقٍ رَجاءَ رِفْدِه وطَلَبَ نَيْله ، فإنَّ تَهَيُّؤي وتَعَبُّؤي وإعدادي واستعدادي لك رجاءَ رِفْدِك وطَلَبَ نائلك الذي لا خَطَرَ[٤] له ولا مِثْلَ . اللهم إني لم آتِك بعملٍ صالحٍ قَدَّمْته ، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوتُه . أتيتُك مُقِراً بالظُّلْم والإساءةِ على نفسي ، أتيتُك بأني لا حُجَّةَ لي ، أرجو عظيمَ عفوِك الذي عُدْتَ به على الخَطَّائين ، ثم لم يمنعْك عكوفُهم على عظيمِ الجُرْمِ أنْ جُدْتَ لهم بالمغفرة . فيامَنْ رحمتُه واسعةٌ ، وفضلُه عظيمٌ ، اغفرِ الذنبَ العظيم . ٢٨٦/٢

٣٤٦٠ ابنُ عائشة ، قال : قال الفضل بن عيسى الرَّقاشي : اللهم لا تُدْخِلنا النارَ بعد إذْ أسكنتَ قلوبَنا توحيدَك ، وإني لأرجو ألَّا تفعلَ ، ولئن فعلتَ لتجمعنَّ بيننا وبين قومٍ عاديناهم فيك .

٣٤٦١ بلغني عن ابن عُيَينة ، عن أبي حازم ، قال : لأنا مِنْ أنْ أُمْنَع الدعاءَ أخْوَفُ مني

---

(١) لا تغلطه المسائل : لا توقعه في الغلط ، والغَلَط : أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه . ولا يبرمه : لا يمله ولا يضجره ، والبَرَم : السأم والملل والضجر .
(٢) الملتزم : ما بين باب الكعبة والحجر الأسود .
(٣) تعبأ : تهيأ .
(٤) الخطر : النظير والمثل .

مِنْ أنْ أُمْنَعَ الإجابةَ .

٣٤٦٢ أنشدنا محمد بن عمرو[1] لبعض الشعراءِ في وصف دعوة :

وسَارِيَـةٍ لـم تَسْـرِ فـي الأرْضِ تبْتَغي ... مَحَلاً ولـم يَقْطَعْ بِهَا البِيدَ قَاطِعُ(١)

سَرَتْ حَيْثُ لم تَسْرِ الرِّكَابُ ولم تُنَخْ ... لِـوِرْدٍ ولـم يَقْصُرْ لَهَا القَيْـدَ مانِـعُ(٢)

تَحُـلُّ وَرَاءَ اللَّيْـلِ واللَّيْـلُ سـاقِـطٌ ... بـأرْوَاقِـهِ ، فِيـهِ سَمِيـرٌ وهـاجِـعُ(٣)

إذا[2] أوْفَـدَتْ لـم يَـرْدُدِ اللهُ وِفْـدَهَـا ... عَلَـى أهْلِهـا واللهُ رَاءٍ وسَـامِـعُ

تَفَتَّـحُ أبْـوَابُ السَّمَـاءِ ودُونَهَـا ... إذا قَـرَعَ الأبْـوَابَ مِنْهُـنَّ قـارِعُ

وإنِّـي لأرْجُـو اللهَ حَتَّـى كـأنَّنـي ... أرَى بجَمِيـلِ الظَّـنِّ مـا اللهُ صـانِـعُ(٤)

٣٤٦٣ وقال آخر :

وإنِّـي لأدْعُـو اللهَ والأمْـرُ ضَيِّـقٌ ... عَلَـيَّ فَمَـا يَنْفَـكُّ أنْ يَتَفَـرَّجَـا

ورُبَّ فَتىً سُدَّتْ عَلَيْهِ وُجُوهُهُ ... أصَابَ لَهُ في دَعْوَةِ اللهِ مَخْرَجَا

٣٤٦٤ ونحوه :

إذا تَضَـايَـقَ أمْـرٌ فـانْتَظِـرْ فَـرَجـاً ... فـأضْيَـقُ الأمْـرِ أدْنـاهُ مِـنَ الفَـرَجِ

٣٤٦٥ أُخِذ لرجلٍ من العرب مالٌ فكتبَ إلى آخذِه : يا هذا ، إنَّ الرجلَ ينامُ على الثُّكْل ، ولا ينام على الحَرَب(٥) . فإمَّا رَدَدْتَه ، وإمَّا عَرَضْتُ اسمَك على الله تعالى كلَّ يومٍ وليلةٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ .

٣٤٦٦ قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبي فكَتَب إلى بكر بن عبد الله يسأله أنْ يدعُو له ، فكَتَب إليه بكر : يَحُقُّ لِمَنْ عَمِل ذنباً لا عُذْرَ له فيه ، وتَوَقَّعَ موتاً لا بُدَّ له منه ،

---

(1) كب ، مص : عمر ، تحريف .   (2) أخرت كب ، وتابعتها مص ، هذا البيت لما يليه .

---

(١) السارية : التي تسير ليلاً ، يقصد دعوته . والبيد : جمع بيداء ، وهي الصحراء الواسعة المقفرة ، سميت بذلك لأنها تُبيد سالكها ، والإبادة : الإهلاك .

(٢) الورد : السقيا .

(٣) أرواق الليل : ظلمته ، ويقال : سقط الليل بأرواقه ، كناية عن انتشار ظلامه ، والروق من كل شيء : مقدمه وأوله. والسمير: جليس الليل، يحدثك وتحدثه . والهاجع : النائم ، من الهُجُوع : النوم ليلاً.

(٤) مضى البيت برقم ١٧٦ كتاب السلطان ، دون عزو .

(٥) الثُّكْل : الموت والهلاك ، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة ولدها ، يقال : هي ثَكُول وثَكْلى وثاكِل ، والرجل ثاكِل وثَكْلان . والحرب : أن يسلب الرجل ماله الذي يقوم به أمره ويترك بلا شيء .

أنْ يكونَ وَجِلاً مُشْفِقاً . سأدعو لك ، ولستُ أرجو أنْ يُستجابَ لي بقوةٍ في عملٍ ولا براءةٍ مِنْ ذنبٍ ، والسلام .

٣٤٦٧ خَلَف بن تَميم ، عن عبد الجبار بن كُلَيب ، قال : قال لنا إبراهيمُ بن أدهم حين عَرض لنا السَّبُعُ : قولوا : اللهم احْرُسْنا بعينك التي لا تنام ، واجعلْنا في كَنَفك الذي لا يُرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لا نَهْلِك وأنت رجاؤنا .

قال خلف : فما زلتُ أقولُها مذ سمعتُها ، فما عَرَض لي قطُّ لِصٌّ ولا غيرُه .

٣٤٦٨ قال أعرابيٌّ : مَنْ أقام بأرضِنا فليُكْثر مِنَ الاستغفارِ ، فإنَّ مَعَ الاستغفارِ القَطّارَ(١) . ٢/ ٢٨٨

٣٤٦٩ بلغني عن موسى بن مسعود النَّهْدي[1] ، عن سُفْيان الثَّوْري ، عن قُدامة بن حَماطة الضَّبي ، عن خالد بن مِنْجاب :

عن زياد بن حُدَير[2] الأسدي : أنَّ العلاء بن الحَضْرمي عَبَر إلى أهل دارين البحرَ بهذه الكلمات : يا حليمُ ، يا حكيمُ ، يا عليٌّ ، يا عظيم(٢) .

٣٤٧٠ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا يزيد بن هارون ، عن هشام الدَّسْتُوائي ، عن حَمَّاد ، عن إبراهيم :

عن عبد الله ، في الرجل إذا أراد الحاجة : صلَّى ركعتين ، ثم قال : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدِرُك بقُدْرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ ، وتَمْلِك ولا أمْلِك ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ ؛ إن كان هذا الأمرُ الذي أريده ـ وتُسَمِّيه ـ خيراً لي[3] في دِيني ، وخيراً لي في معيشتي ، وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخِيرَةَ ، فيَسِّرْه لي وبارِكْ لي فيه . وإنْ كان شَراً لي في ديني ، وشَراً لي في معيشتي ، وشَراً لي فيما أبتغي فيه الخيرَ ، فاصرِفْه عني ، ويَسِّرْ لي الخيرَ حيث كان ، ثم رَضِّني [به] .

٣٤٧١ ومن دعاءِ بعضِ الصالحين : اللهم إني أستغفرُك مِنْ كُلِّ ذنبٍ قَوِيَ عليه بدني ٢/ ٢٨٩

---

(1) كب : المهدي ، تحريف . (2) كب : جدير ، تصحيف .
(3) سقطت من كب .

---

(١) القطار : السحاب العظيم القطر .

(٢) دارين : هي اليوم قرية صغيرة في جزيرة تاروت ، وكانت من أشهر موانيء الخليج العربي ، فمنها تصل بضائع الشرق إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وقد كان سكان مدينة القطيف في السعودية يخوضون الماء إليها حتى أنشيء جسر يصل بين مدينة القطيف وبين جزيرة تاروت (المعجم الجغرافي/ المنطقة الشرقية ٢/ ٦٥١) .

بعافيتك ، ونالته يدي بفضل نعمتك ، وانبسطتُ إليه بسَعَةِ رزقك ، واحتجبتُ فيه عن الناس بسَتْرك ، واتَّكَلْتُ فيه على أناتِك وحِلْمك ، وعَوَّلتُ فيه على كريم عَفْوِكَ .

٣٤٧٢ الأَوْزاعي ، قال : من قال : اللهم إني أستغفرُك لما تُبْتُ إليك منه ثم عُدْتُ فيه ، وأستغفرُك لما وَعَدْتُك مِنْ نفسي وأخلفتُك ، وأستغفرُك لما أردتُ به وجْهَك فخالَطَه ما ليس لك ، وأستغفرُك للنِّعَم التي أنعمتَ بها عليَّ فتقوَّيْتُ بها على معصيتك ، وأستغفرُك لكلِّ ذنبٍ أذنبتُه أو معصيةٍ ارتكبتُها . غفر اللهُ له ، ولو كانتْ ذُنوبه عَدَدَ ورقِ الشجرِ ، ورمْلِ عالِجٍ ، وقَطْرِ السماءِ(١) .

٣٤٧٣ وكان مُطَرِّف يقول : اللهم إني أعوذُ بك مِنْ شَرِّ السلطانِ ، ومِنْ شَرِّ ما تجري به أقلامُهم ، وأعوذ بك أن أقولَ قَوْلاً حقاً فيه رضاك ألتمسُ به أحداً سواك ، وأعوذ بك أن أتزيَّنَ للناس بشيءٍ يَشِينُني ، وأعوذ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ مِنْ خَلْقك ، وأعوذ بك أن يكونَ أحدٌ مِنْ خَلْقك أسْعَدَ بما عَلَّمْتَني مِنِّي ، وأعوذ بك أنْ أستغيثَ بمعصيةٍ لك مِنْ ضُرٍّ يُصيبني .

٣٤٧٤ الأزدي ، عن عبد الواحد بن زيد ، قال : شهدتُ مالكَ بنَ دينار يوماً وقيل له : يا أبا يحيى ، ادْعُ اللهَ أنْ يسْقِينَا . قال : تستبطئون المطرَ ! قالوا : نعم . قال : إنني واللهِ أستبطِيءُ الحجارةَ .

٣٤٧٥ قال أبو كعب : سمعتُ عطاء السَّليمي[1] ، يقول : اللهم ارْحَمْ غُرْبتي في الدنيا ، ومصرعي عند الموتِ ، ووَحْدتي في القبور ، ومُقامي [غداً] بين يديك .

٢/ ٢٩٠ ٣٤٧٦ حَدَّثني محمد بن عبد العزيز ، قال : حَدَّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : حَدَّثنا زُهير ، عن زُبَيد اليامي[2] ، عن مُرَّة :

عن عبد الله ، قال : إنَّ اللهَ تعالى قسمَ بينكم أخلاقَكم كما قسمَ بينكم أرزاقَكم . إنَّ الله يُؤْتي المالَ مَنْ يحبُّ ومَنْ لا يحبُّ ، ولا يؤتي الإيمانَ إلَّا مَنْ يحبُّ . فمَنْ ضَنَّ[3] بالمال أن يُنْفِقَه ، وهابَ العدوَّ أنْ يجاهِدَه ، والليلَ أنْ يكابدَه ، فليكثِرْ مِنْ سبحانَ اللهِ

---

(1) كب ، مص : السلمي ، خطأ .   (1) كب : النامي ، تصحيف .
(3) كب : ظن .

---

(١) يقال : استغفر لذنبه ، ومن ذنبه ، إذا طلب المغفرة . وعالج : هو النفود الكبير ، موضع كثير الرمال ، وبامتداده شمالاً يفصل بين منطقة إمارة حايل ومنطقة إمارة الجوف في السعودية (المعجم الجغرافي ، شمال المملكة ٣/ ٨٧٢) .

والحمدُ لله ولا إلَه إلا اللهُ واللهُ أكبر .

٣٤٧٧ ومِنْ جامِعِ الدعاءِ : اللهم أغْنِني بالعلم ، وزَيِّنِّي بالحِلْم ، وجَمِّلني بالعافية ، وأكرمني بالتقوى .

٣٤٧٨ وكان من دعاء أبي المجيب : اللهم لا تَكِلْنا إلى أنفسنا فنعجِزَ ، ولا إلى الناس فنَضِيعَ ، اللهم اجعلْ خيرَ عملي ما قارَبَ أجَلي .

٣٤٧٩ ومِنْ دعاءِ عمرو بن عبيد : اللهم أغْنِني بالافتقار إليك ، ولا تُغْنِني بالاستغناء عنك .

٣٤٨٠ ابن عائشة ، عن سَلَّام بن أبي مطيع ، قال :

سمعتُ ابنَ عون يقول : كانوا يستحبون من الدعاء : اللهم عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أَمَتِك لعبيدك وإمائك ، أنا الذليلُ ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتذر ، عَمِلتُ سوءاً ، وظلمتُ نفسي ، وإلا تغفرْ لي وترحمْني أكنْ مِنَ الخاسرين .

فما أتَمَّها ابنُ عونٍ حتى أجهش بالبكاء .

٣٤٨١ ومن دعاء النبيِّ ﷺ : « اجعلْني لكَ شَكَّاراً ، لكَ ذَكَّاراً ، لكَ رَهَّاباً ، لك مطيعاً ، إليك مُخْبِتاً ، لكَ أوَّاهاً مُنِيباً ، ربِّ تقبَّلْ توبتي ، واغْسِلْ حَوْبتي ، وأجِبْ دعوتي ، وثَبِّت حُجَّتي ، واهْدِ قلبي ، وسَدِّدْ لساني[1] .

* * *

(١) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
المخبت : الخاضع ، الخاشع ، المتواضع ، من الإخبات : وهو الخشوع والتواضع . الأواه : المتأوه المتضرع ، الكثير البكاء والدعاء . المنيب : المقبل التائب ، الراجع إلى الطاعة . الحوبة : الإثم ، وكل مأثم حُوبٌ وحَوْب ، والواحدة حَوْبة .



٣٤٨٢ حَدَّثني عبدُ الله بن هارون ، عن سُلَيم بن منصور ، عن أبيه ، قال :

كنتُ بالكوفة ، فخرجتُ في بعض الليلِ لحاجةٍ وأنا أظُنُّ أني قد أصبحتُ ، فإذا عليَّ ليلٌ ، فمِلْتُ إلى بعض أبوابِها أنتظر الصبحَ ، فسمعتُ من وراء البابِ كلامَ رجلٍ وهو يقول : فوَعِزَّتِك وجَلالِك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتَك ، وما عصيتُك إذ عصيتُك وأنا بنَكَالِك[1] جاهلٌ ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مُسْتَخِفٌّ ، ولكن سَوَّلتْ لي نفسي ، وأعانني على ذلك شِقْوَتي ، وغرَّني سِتْرُك المُرْخى عليَّ ، فعصيتُك بجهلٍ ، وخالفتُك بجهلٍ . فالآنَ مِنْ عَذَابِك مَنْ يستنقِذُني ، وبحبلِ مَنْ أعتصمُ إنْ قطعتَ حبلَك عني ! فَوَاسَوْأتاه مِنَ الوقوفِ بين يديك غداً إذا قيل للمُخِفِّين[٢] : جُوزُوا ، وللمُثْقَلين : حُطُّوا . أفمَع المُثْقَلين أحُطُّ ، أم مع المُخِفِّين أجُوز ! ويلي ! كلما كَبِرتْ سِنِّي كَثُرتْ ذنوبي . ويلي ! كلما طال عمري كَثُرتْ مَعَاصِيَّ . فمِنْ كَمْ أتُوبُ ! وفي كم أعود ! آما آنَ لي أنْ أستحيي مِنْ رَبِّي !

٣٤٨٣ بَلَغني عن الوليد بن مسلم ، عن عثمان بن أبي العاتكة ، قال :

كان داودُ النبيُّ عليه السلام يقول في مُناجاته : سبحانَك إلهي ، إذا ذكرتُ خطيئتي ضاقتْ عليَّ الأرضُ برُحْبها ، وإذا ذكرتُ رحمتَك ارتدَّ إليَّ رُوحي . سبحانَك إلهي ، أتيتُ أطباءَ عبادِك ليُدَاووا لي خطيئتي فكُلُّهم عليك يَدُلُّني .

٣٤٨٤ حَدَّثني بعضُ أشياخِنا ، قال :

كان داود الطائي يقول : هَمُّك عَطَّلَ عليَّ الهُمُومُ ، وحالَفَ بيني وبين السُّهادِ[٣] . وشدةُ الشَّفَقِ من لقائك أوْبَقَ[٤] عني[1] الشَّهوات ، ومَنَعني اللَّذات ، فأنا في طَلَبِك أيُّها الكريمُ مطلوبٌ . ٢٩٢/٢

---

(1) كب ، مص : علي .

---

(١) النكال : العقاب الشديد الموجع .
(٢) المخفون : المتخففون من الآثام والمعاصي .
(٣) السهاد : الأرق وامتناع النوم .
(٤) أوبق : حبس ومنع ، وكل حاجز بين شيئين فهو مَوْبِق .

٣٤٨٥ وقال : تَعَبَّدَ ضَيْغَمٌ قائماً حتى أُقْعِدَ ، وقاعداً حتى استلقى ، ومُسْتلقياً حتى أُفْحِم(١) ، فلما جَهِدَ رَفَعَ بصرَه إلى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخليقةِ كيف أرادتْ بك بَدَلاً ! وسبحانك ، عجباً للخليقة كيف استنارتْ قلوبُها بذِكْر غيرِك ! وعجباً للخليقة كيف أَنِسَتْ بسواك .

٣٤٨٦ عتبة أبو الوليد ، قال : كانت امرأةٌ من التابعين تقول : سبحانَك ، ما أضيقَ الطريقَ على مَنْ لم تكن دليلَه ! سبحانَك ، ما أوْحَشَ الطريقَ على مَنْ لم تكن أنيسَه .

٣٤٨٧ أبو الحسن(٢) ، قال : كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أنْ قُطِعتْ رجلُه [وماتَ ابنُه] : كانوا سبعةً[1] ـ يعني بنيه ـ فأخذتَ واحداً وأبقيتَ ستةً ، وكنَّ أربعاً ـ يعني يديْه ورِجْلَيه ـ فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثاً . لَيُمْنُكَ(٣) ، لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيتَ ، ولئن كنتَ ابتليتَ لقد عافيتَ .

٣٤٨٨ وفي حديث بني إسرائيل ، أنَّ يونسَ عليه السلام قال لجبريلَ عليه السلام : دُلَّني على أعْبَدِ أهلِ الأرض . فَدَلَّه على رجلٍ قد قَطَع الجُذامُ يديه ورِجْليه وذهبَ ببصره ، فسَمِعه يقول : مَتَّعْتَني ما شئتَ ، وسَلَبْتَني حين شئتَ ، وأبقيتَ لي فيكَ الأملَ يا بارُّ يا وَصُولُ .

٣٤٨٩ ومِنْ دعاءِ بعضِ الصالحين : اللهم اقْطَعْ حوائجي من الدنيا بالشوق إلى لقائك ، واجْعَلْ قُرَّةَ عيني في عبادتك ، وارزقني غَمَّ خوفِ الوعيدِ وشَوْقَ رجاءِ الموعودِ . اللهم إنك[2] تعلم ما يُصْلِحُني في دنياي وآخرتي فكُنْ بي حَفِياً(٤) .

* * *

---

(1) كب ، مص : أربعة . . ثلاثة . خطأ . (2) كب : وإنك .

---

(١) ضيغم : هو ابن مالك ، أبو بكر الراسبي ، توفي عام ١٨٠ (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١) . أفحم : لم يستطع النطق ، شبه بالذي يبكي حتى ينقطع نفسه .

(٢) سيأتي الخبر برقم ٤٢٠٩ كتاب الإخوان .

(٣) ليُمْنُكَ : هي كقولهم يمين الله ، كانوا يحلفون بها ، يقولون : يمين الله لا أفعل كذا ، ثم يحلفون بأيْمُن الله فيقولون : وأيْمُنُ الله لا أفعل كذا ، كما يقولون : وأيْمُنُكَ يا رب ، إذا خاطبوا الله تعالى . ثم كثر ذلك في كلامهم وخف على ألسنتهم فقالوا: لَيْمُنُ الله ، وإذا خاطبوا قالوا : لَيُمْنُكَ . وإنما قيل للقسم « يمين » باسم يمين اليد، لأنهم كانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا ، ولذلك قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما : ابْسُطْ يدك أبايعك (اللسان : يمن) .

(٣) الحفي : اللطيف البار المبالغ في الإكرام .

باب البكاء

٣٤٩٠ حَدَّثني أبو مسعود الدَّارِمي ، قال : حَدَّثني جَدِّي :

عن أنس بن مالك ، قال : جاء فتىً من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ، [فقال :] إنَّ أُمِّي تُكثر البكاءَ ، وأخافُ على بصرِها أنْ يذهبَ ، فلو أتيتَها فوَعَظْتَها . فذهب معه ، فدخل[1] [ﷺ] إليها ، وقال لها في ذلك ؛ فقالت : يا رسولَ الله ، أرأيتَ إنْ ذَهب بصري في الدنيا ثم صرتُ إلى الجنة ، أيُبْدِلني اللهُ خيراً منه ؟ قال : « نعم » . قالتْ : فإنْ ذهب بصري في الدنيا ثم صرتُ إلى النار ، أفَيُعيد اللهُ بصري ؟ فقال النبيُّ عليه السلام للفتى : « إنَّ أُمَّك صِدِّيقةٌ »(١) .

٣٤٩١ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، عن معاوية بن عمرو ، عن أبي[2] إسحاق ، عن الأَوْزاعي ، عن ثابت بن سعيد ، قال : ثلاثُ أعينٍ لا تَمَسُّها النارُ : عينٌ حَرَسَتْ في سبيل الله ، وعينٌ سَهِرَتْ في كتاب الله ، وعينٌ بكتْ في سوادِ الليلِ مِنْ خَشْية اللهِ .

٣٤٩٢ أبو حاتم ، عن العُتْبي ، قال :

حَدَّثنا إبراهيم[3] ، قال : لا يكون البُكاءُ إلَّا مِنْ فَضْلٍ ، فإذا اشتدَّ الحزنُ ذَهَبَ البكاءُ . وأنْشَدَ :

فَلَئِــنْ بَكَيْنــاهُ يَحِــقُّ لَنَــا ... ولَئِنْ تَرَكْنَا ذَاكَ لِلْكِبَرِ[4]
فَلِمِثْلِهِ جَرَتِ العُيُـونُ دَمـاً ... ولِمِثْلِهِ جَمَـدَتْ فَلَـمْ تَجْـرِ

٢/ ٢٩٤ ٣٤٩٣ بَلَغني عن الحارث ، عن[5] الليث بن سعد ، عن[6] ابن لَهيعة ، عن أبي قَبيل :

---

(1) كب ، مص : فدخل فقال .
(2) كب : أبيه ، خطأ .
(3) كب ، مص : أبو إبراهيم ، تحريف .
(4) كتبت كب فوقها: «للصبر»، كأنها رواية أخرى.
(5) كب : بن ، خطأ . مص : أبي الحارث الليث بن سعد .
(6) كب ، مص : عن أبيه ، عن أبي لهيعة ، وصححتها مص « ابن لهيعة » .

---

(١) إسناده واهن جداً . والصديقة : المبالغة في الصدق ، وقال الليث : كل من صدَّق بكل أمر الله ، لا يتخالجه في شيء منه شك ، وصدَّق النبي ﷺ فهو صِدِّيق (اللسان : صدق) .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : دَخَل يحيى بنُ زكريا بيتَ المقدس وهو ابنُ ثماني حِجج(١) ، فنظر إلى عُبّادِ بيتِ المقدس قد لَبِسوا مَدارعَ الشَّعَر وبَرانِسَ الصوفِ(٢) ، ونَظَر إلى متجهِّديهم - أو قال : مجتهديهم - قد خَرَقوا التراقي وسَلَكوا فيها السلاسل وشَدُّوها إلى حنايا بيتِ المقدس(٣) ، فهاله ذلك ، فرَجَع إلى أبويه ، فَمَرَّ بصبيانٍ يلعبون فقالوا : يا يحيى ، هلمَّ فلنلعبْ . قال : إني لم أُخْلَق للَّعب . - فذلك قول الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾(٤) - فأتى أبويه ، فسألهما أن يُدَرِّعاه الشَّعَرَ ، ففعلا . ثم رَجَع إلى بيت المقدس ، فكان يَخْدُمُه نهاراً ويَصِيح[1] فيه ليلاً(٥) ، حتى أتتْ له خمسَ عشرةَ سنة . ثم[2] أتاه الخوفُ ، فساح ، ولَزِم أطرافَ الأرضِ وغِيرانَ الشِّعابِ(٦) . وخرج أبواه في طَلَبه ، فوجَدَاه - حين نَزَلا من جبال التِّيهِ[3] - على بُحيرة الأردن(٧) ، وقد قَعَد على شَفير البُحيرة وأنْقَعَ قدميه في الماء ، وقد كاد العطشُ يذبحُه وهو يقول : وعِزَّتِك لا أذوقُ باردَ الشرابِ حتى أعلمَ أين مكاني منك .

فسأله أبواه أنْ يأكلَ قُرْصاً(٨) كان معهما منْ شَعيرٍ ويشربَ الماءَ ، ففعلَ . وكَفَّرَ عن يمينه، فمُدِحَ بالبِرِّ؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا[4] ﴾ [مريم: ١٤] .

ورَدَّهُ أبواه إلى بيت المقدس ، فكان إذا قام في صلاته بكى ، ويبكي زكريا لبكائه حتى ٢/٢٩٥

(1) كب : يصبح .
(2) كب ، مص : وأتاه .
(3) كب : الثنية (هل هي التثنية) .
(4) كب : شقياً .

(١) حجج : جمع حِجَّة ، وهي السنة .
(٢) المدارع : جمع المدرعة والمدرع (بكسر فسكون في كليهما) ، ثوب سابغ ، واسع الكمين ، مشقوق المقدم ، يلبس فوق الثياب ، وتدعى الجبة . والبرانس : جمع برنس (بضم فسكون) وهي قلنسوة طويلة ظل النساك يلبسونها حتى صدر الإسلام ، وهي من البرس (بكسر فسكون) بمعنى القطن والنون زائدة ، وقيل هو لفظ غير عربي (اللسان : برس) .
(٣) التراقي : جمع الترقوة ، وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان . والحنايا : الأطراف والنواحي . وكان عباد بني إسرائيل يخرقون تراقيهم ويخزمون أنوفهم فيجعلون فيها زماماً كزمام الناقة ليقادوا به ، فوضعه الله عن هذه الأمة .
(٤) الحكم : العلم والتفقه والحكمة .
(٥) أي يصوت في قوة مناجياً الله .
(٦) غيران : جمع غار ، وهو ما ينحت في الجبل كالمغارة ، يأوي إليه الوحوش ، فإذا اتسع قيل له كهف . والشعاب والشُّعَب : رؤوس الجبال .
(٧) بحيرة الأردن : البحر الميت . وشفير البحيرة : حافتها .
(٨) القرص : الرغيف .

يُغْمَى عليه . ولم[1] يزل كذلك حتى خَرَقَتْ دُموعُه لحمَ خَدَّيه وبَدَتْ أضراسُه ، فقالتْ له أُمُّه : يا يحيى ، لو أذِنْتَ لي لاتخذتُ لكَ لِبداً ليواريَ أضراسَك عن الناظرين . قال : أنتِ وذاكَ . فعَمَدَتْ إلى قِطْعَتَيْ لُبُودٍ(١) فألصقَتْهما على خَدَّيه . فكان إذا بكى استنقَعَتْ دُموعُه في القطعتين ، فتقومُ إليه أُمُّه فتعصِرُهُما بيديها . وكان[2] إذا نَظَر إلى دُمُوعه تجري على ذراعَيْ أُمِّه ، قال : اللهم هذه دموعي ، وهذه أمي ، وأنا عبدُك ، وأنتَ أرحمُ الراحمين .

٣٤٩٤ بَلَغَني عن أبي معاوية ، عن أبي إسحاق الحُمَيسي[3] ، قال :

كان يزيد الرَّقاشي يقول : ويحكَ يا يزيد ، مَنْ يصوم عنك ، مَنْ يُصَلِّي عنك ، ومَنْ ذا يترضَّى لكَ ربَّك مِنْ بَعْدَك ! . ثم يقول : يامعشرَ مَنِ الموتُ موعدُه ، والقَبْرُ بيتُه ، ألا تبكون !

قال : فكان يبكي حتى تسقطَ أشفارُ[4] عينيه(٢) .

٣٤٩٥ بَلَغني عن محمد بن فُضَيل ، عن العلاء بن المُسَيَّب :

عن الحسن ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « ما مِنْ قطرةٍ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ قطرةِ دمٍ في سبيله ، وقطرةِ دمعٍ في جَوْفِ الليل مِنْ خَشْيته . وما مِنْ جَرْعَةٍ أحبُّ إلى الله مِنْ جَرْعَةِ مصيبةٍ مُوجِعةٍ رَدَّهَا بصبرٍ وحَسُنَ عزاؤه ، وجَرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَ عليها »(٣) .

٣٤٩٦ مُعْتَمر بن سليمان ، عن رجل ، قال : كان في وجنتي ابنِ عباس خَطَّان مِنْ أثَرِ الدموع .

٢٩٦/٢ ٣٤٩٧ حَدَّثني محمد بن داود[5] ، عن سعيد بن نُضَير[6] ، قال : حَدَّثنا سَيَّار :

---

(1) كب ، مص : فلم . (2) كب ، مص : فكان .
(3) كب ، مص : الخميسي ، بالخاء المعجمة ، تصحيف .
(4) كب : شفار . (5) كب ، مص : داو ، خطأ .
(6) كب ، مص : نصير ، تصحيف .

---

(١) اللِّبْد : قطع من الصوف تُنفش بالماء ثم تخاط ، وتدعوها العامة اللباد .
(٢) الأشفار : جمع شفر (بالضم ويفتح) أصل منبت الشعر في الجفن .
(٣) إسناده مرسل ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب . وجوف الليل : ثلثه الأخير .

عن جعفر ، قال : كنتُ إذا أحسستُ من قلبي بقسوةٍ أتيتُ محمدَ بنَ واسع فنظرتُ إليه نظرةً .

قال : وكنتُ إذا رأيتُ وجهَه حَسِبْتُه وجهَ ثَكْلَى .

٣٤٩٨ وكان يقال : أخوك مَنْ وَعَظَكَ برؤيته قبل أنْ يَعِظَك بكلامه .

٣٤٩٩ تكَلَّم الحسن يوماً حتى أبكى مَنْ حولَه ، فقال : عَجِيجٌ كَعَجِيجِ النِّسَاءِ ولا عَزْمَ ، وخُدْعة كخُدْعة إخوةِ يوسف جاؤوا أباهم عِشاءً يبكون(١) .

٣٥٠٠ أبو عاصم قال : فَقَدَ مالكُ بنُ دينار مصحفَه في مجلسه ، فنَظَر إليهم كُلُّهم يبكون ، فقال : كُلُّكم يبكي ! فمن سَرَق المصحفَ ؟

٣٥٠١ قال عبد العزيز بن مرزوق : الكمد أبقى للحزن(٢) .

٣٥٠٢ وكانتْ له شُعيراتٌ في مُقَدَّم صُدْغِه، فإذا رَقَّ نَتَفَها، أو مَدَّهَا إلى فوقٍ فتقَلَّصَ دمعُه.

٣٥٠٣ قيل لغالب بن عبد[1] الله : إنَّا نخاف على عينيك[2] العَمَى مِنْ طول البكاء ؛ فقال : هو لها شهادة .

٣٥٠٤ قال بعضُ الشعراء :

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِدَ العَيْنُ ماءَهَا ويَشْفي مِنِّيَ الدَّمْعُ ما أَتَوَجَّعُ

٣٥٠٥ وقال بعضُ الكُتَّابِ في مِثْله :

أَبْكِ فَمِنْ أنْفَعِ ما في البُكَا أَنَّهُ لِلأَحْزَانِ تَسْهِيلُ
وهُوَ إذا أنْتَ تَأَمَّلْتَهُ حُزْنٌ عَلى الخَدَّيْنِ مَحْلُولُ

٣٥٠٦ قيل لعُفَيْرَةَ العابدة : ألا تسأمين مِنْ طول البكاء ؟ فبكتْ ، ثم قالت : كيف يسأمُ ذو داءٍ مِنْ شيءٍ يرجو أنْ يكونَ له فيه مِنْ دائه شِفاءٌ ؟

٣٥٠٧ قال ابنُ أبي الحَواري : رأيتُ أبا سليمان الداراني يبكي ، فقلتُ له : ما يُبكيك ؟ ٢/ ٢٩٧ فقال : إنما أبكي لذلك الغَمِّ الذي ليس فيه فرحٌ ، وذلك الأَمَدِ الذي ليس له انقطاعٌ .

---

(1) كب : عبيد ، تصحيف . (2) كب : عينك .

---

(١) العجيج : الصياح ورفع الصوت ، وقيّده في التهذيب فقال : بالدعاء والاستغاثة .
(٢) الكمد : الحزن والهم المكتوم .

٣٥٠٨ قال بعضُهم : أتيتُ الشامَ ، فمررتُ بدير حَرْمَلة ، وبه راهبٌ كأنَّ عينيْه عِدْلا مَزادٍ ، فقلتُ [له] : ما يُبكيك ؟ فقال : يا مسلمُ ، أبكي على ما فَرَّطتُ فيه مِنْ عمري ، وعلى يومٍ مضى مِنْ أَجَلي لم يَتَبيَّنْ فيه عملي(١) .

قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه ، فقالوا : أسلَمَ ، وغَـزَا ، فقُتِل في بلاد الروم .

٣٥٠٩ أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرَّقاشي ، فقال لي : يا أشعثُ ، تعالَ حتى نبكيَ على الماءِ الباردِ في يوم الظمأ . ثم قال : والهفاه ! سَبَقَني العابدونَ وقُطِع بي .

وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

٣٥١٠ زيد الحِمْيري قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرني عن لُبْس النصارى ، هذا السَّوَادُ ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهلِ المصائب . قال : فقلتُ : وكلُّكم معشرَ الرهبانِ قد أُصيبَ بمصيبة ؟ فقال : يرحمك الله ! وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ مِنْ مصائبِ الذنوبِ على أهلها !

قال زيد : فلا أذكر قولَه ذلك إلا أبكاني .

٣٥١١ ابن أبي الحَواري قال : دخلتُ على أبي سليمان وهو يبكي ، فقلتُ : ما يُبكيك ؟ قال : يا أحمد ، إنه إذا جَنَّ الليلُ ، وهدأتِ العيونُ ، وأنِسَ كُلُّ خليلٍ بخليله ، فَرَشَ أهلُ المحبةِ أقدامَهم ، وجَرَتْ دُموعُهم على خدودهم يُسْمَع لها وَقْعٌ على أقدامهم ، وقد أشْرَفَ الجليلُ عليهم فقال : بعيني مَنْ تلذَّذَ بكلامي واستراح إليَّ ، فما هذا البكاءُ الذي أراه منكم ! هل أخْبَرَكُم أحدٌ أنَّ حبيباً يعذِّبُ أحباءَه ، أم كيف أُبَيِّتُ قوماً ، وعند البَيَاتِ أجدهم وُقوفاً يَتَملَّقونني ؟ فبي حلفتُ أنْ أكشفَ لهم يومَ القيامةِ عن وجهي ينظرون إليَّ . ٢٩٨/٢

٣٥١٢ قالتْ الخنساء[1] : كنتُ أبكي لصخرٍ مِنَ القتلِ ، وأنا[2] أبكي له اليومَ مِنَ النار .

---

(1) كب ، مص : خنساء ، وكلاهما صواب ، وأثبتنا الأشهر .
(2) كب ، مص : فأنا .

---

(١) عدلا المزاد : حملا الزاد يوضعان على جنبي البعير . وحرملة : قرية في جنوبي هضبة حلب ، تبعد عن بلدة «أبو الظهور» ١٣كم باتجاه الجنوب الشرقي ، وليس بها دير أو كنيسة ؛ وفي معجم البلدان ٢/ ٢٤٤ «الحرملية» وعدَّها ياقوت من القرى التابعة لأنطاكية ، ويتعذر اليوم تحديد موقعها .

٣٥١٣ قال عمر بن ذَرٍّ لأبيه : يا أبتِ ، ما لَكَ إذا تكلَّمْتَ أبكيتَ الناسَ ، وإذا تكلَّمَ غيرُك لم يُبْكهم ؟ فقال : يا بنيَّ ، ليستِ النائحةُ الثكلى مثلَ النائحةِ المستأجَرة .

٣٥١٤ وفي بعض ما أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : هَبْ لي مِنْ قلْبِك الخُشوعَ ، ومِنْ بَدَنِك الخُضُوعَ ، ومنْ عينك الدُّمُوعَ ، وادْعُني ، فإني قريب .

٣٥١٥ وكان عمر يقول : استغزروا العُيُونَ بالتَّذَكُّرِ(١) .

* * *

(١) العيون : أراد دموع العيون ، فحذف . وفي رواية : الدموع .

التهجد

٣٥١٦ حَدَّثنا حسين بن حسن المَرْوَزي ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرني مَعْمَر والأَوْزاعي ، عن يحيى بن أبي كَثير ، عن أبي سَلَمة :

عن ربيعة[1] بن كعب الأسْلَمي ، قال : كنتُ أبيتُ عند حُجرة النبيِّ ﷺ فكنتُ أسمعُ إذا قام من الليل : « سبحان الله ربِّ العالمين » الهَوِيَّ من الليل ، ثم يقول : « سبحانَ الله وبحمده » الهَوِيَّ[(١)] .

٣٥١٧ حَدَّثنا حسين ، قال : حَدَّثنا سفيان بن عُيَينة ، عن زياد بن[2] عِلاقة ، قال :

٢/ ٢٩٩ سمعتُ المغيرةَ بنَ شُعْبة يقول : قام رسولُ الله ﷺ حتى تورَّمَتْ قَدَماه ، فقيل [له] : يا رسولَ الله ، قد غَفَر الله لك ما تقدَّم مِنْ ذَنْبك وما تأخَّرَ ! قال : « أفلا أكونُ عبداً شكوراً »[(٢)] .

٣٥١٨ حَدَّثنا حسين ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا حَمَّاد بن سَلَمة ، عن ثابت البُنَاني ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ، عن أبيه ، قال :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُصَلِّي ولجوفه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَل[(٣)] .

٣٥١٩ بَلَغني عن رَبَاح ، عن مُعْتَمر ، عن رجل قد سَمَّاه ، قال :

---

(1) كب ، مص : أبي زمعة ، تحريف . (2) كب : عن علاقة ، خطأ .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
الهوي من الليل : الحين الطويل منه ، في ثلث الليل ، حين يشتد الظلام ويستوحش .

(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله .
شكوراً : مبالغاً في شكر الله على غفرانه لي ، والشُّكر لا يكون إلا عن إحسان ويد ونعمة وعطاء ، والحمد يكون عن إحسان وغير إحسان .

(٣) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
لجوفه أزيز : أي حنين ، وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء . المرجل : الإناء الذي يغلى فيه الماء ، وأزيز المرجل : صوت غليانه إذا اشتد ، يقال : أزَّ المرجل وغيره يَؤُزُّ ويَئِزُّ وائتزَّ ، إذا اشتد غليانه .

قال يزيد الرَّقاشي : إذا أنا نمتُ ثم استيقظتُ ثم نمتُ فلا نامتْ عيناي . [وقال :]
وعلى الماءِ البارِدِ السلامُ .
يعني بالنهار .

٣٥٢٠ وروى جَرير ، عن عطاء بن السائب ، قال :
قال عُبَيدة بن هلال الثَّقفي : لا يشهد عليَّ ليلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بإفطارٍ .
فبلغ ذلك عمرَ فأقسم عليه ليُفطرنّ العيدين .

٣٥٢١ وروى حمَّاد بن سَلَمة ، عن أبي جعفر الخَطْميّ :
عن جدّه عُمَير بن حبيب ، قال : كان يقول لأهله : يآهلاه ، الدُّلْجَة الدُّلْجَةَ ، إنه مَنْ يُسْبَق إلى الماء يظمأ ؛ يآهلا ، الدُّلْجة الدُّلجةَ ، إنه مَنْ يُسْبَق إلى الظلّ يَضْحَى[1] .

٣٥٢٢ قال أبو سليمان الداراني : أهلُ الليل في ليلهم ألَذُّ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء .

٣٥٢٣ خرج عيسى عليه السلام على الحَوَاريّين ، وعليهم العَبَاءُ[2] وعلى وجوههم النور ، فقال : يا أبناءَ الآخرة ، ما تنعَّم المتنعِّمون إلا بفضل نعيمكم .

٣٥٢٤ وقيل للحسن : ما بالُ المتهجِّدين من أحسنِ الناس وجوهاً ؟ فقال : إنهم خَلَوا بالرحمن فألبسهم نوراً مِنْ نوره . ٢/٣٠٠

٣٥٢٥ حُصَين بن عبد الرحمن ، عن إبراهيم ، قال : كان رجلٌ يقال له هَمَّام يقول : اللهمَّ اشفني مِنَ النوم باليسير ، وارزقني سهراً في طاعتك .

٣٥٢٦ وكان يُصبح وجُمَّتُه مُرَجَّلة[3] ، فيقول بعضُهم لبعض : إن جُمَّةَ هَمَّام تخبركم أنه لم يتوسَّدها الليلة .

٣٥٢٧ قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشَه ، وكان بعضهم يُحيي الليلَ ، فإذا نظر إلى الفجر قال : عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى[4] .

---

(١) الدلجة : سير الليل ، وعنى قيام الليل وأداء العبادات وفروض الطاعة . يضحى : يتعرض لحر الشمس.
(٢) العباء : كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب (وانظر ما مضى برقم ٣٤٩٣) .
(٣) الجمة : مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة ، والترجل والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه وتسويته .
(٤) السرى : سير الليل ، وهو مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

٣٥٢٨ حَدَّثنا حسين بن حسن قال: أخذ الفُضَيل بن عِياض بيدي ثم قال : يا حسين ، يقول الله : كذَبَ مَنِ ادَّعى محبتي وإذا أجَنَّه الليلُ نام عني ، أليس كلُّ حبيبٍ يُحبُّ خلوةَ حبيبه ! هأنذا مُطَّلِعٌ على أحبّائي ، إذا جَنَّهم[1] الليلُ جعلتُ أبصارَهم في قلوبهم ، ومثَّلتُ نفسي بين أعينهم ، فخاطَبوني على المشاهدة وكلَّموني على الحضور .

٣٥٢٩ الوليد بن مسلم ، قال : حَدَّثني عبد الرحمن بن يزيد ، قال :

كنَّا نقاريء[2][١] عطاء الخُرَاسانيّ فكان يُحيي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثُلُثُهُ أو أكثرُ نادانا ونحنُ في فِسطاطنا : يا عبدَ الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوموا فتوضَّئوا وصلُّوا ، فإنّ قيامَ هذا الليل وصيامَ هذا النهار أيسرُ من شرب الصديدِ ومن مُقطّعات الحديد[٢] ؛ فالوَحَا الوحا ثم النجاءَ النجاءَ[٣] . ٢/٣٠١

ويُقبل على صلاتِهِ .

٣٥٣٠ مالك بن مِغْوَل[3] ، عن رجل من جُعْفَى ، عن السُّدِّيِّ :

عن أبي أراكة قال : صَلَّى عليٌّ الغداةَ ثم جلس حتى ارتفعت الشمسُ كأنّ عليه كآبةٌ ، ثم قال : والله ، لقد رأيتُ أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يُشبِهُهم ، والله إنْ كانوا ليُصبحون شُعْثاً غُبْراً صُفْراً ، بين أعينهم مِثْلُ رُكَبِ المِعْزَى ، قد باتوا يتلُون كتابَ الله ، يراوحون بين أقدامهم وجباههم ؛ إذا ذَكَروا الله مادوا كما يميدُ الشجر في يوم ريحٍ ، وانهملت أعينُهم حتى تبُلَّ ثيابَهم ، وكأنهم ، والله ، باتوا غافلين .

يريد أنهم يستقلّون ذلك .

٣٥٣١ المحاربيّ ، عن الإفريقيّ ، قال : حَدَّثنا أبو عَلْقَمة :

---

(1) مص : أجنهم ، وكلاهما صواب : يقال : جَنَّه الليل وأجَنَّه .
(2) كب : نغازي ، وقرأتها مص : نعازي ، وكلاهما تصحيف .
(3) كب : معول ، تصحيف .

---

(١) نقاريء : ندارسه ونشاركه في قراءة القرآن ، يقال : قارَأه مُقارَأة وقِراءً ، بغير هاء .
(٢) الصديد : القيح ، وهو شراب أهل النار . ومقطعات الحديد : ثياب أهل النار ، جعلت لبوساً لهم ، وهي الجباب القصار ونحوها ، كأنها قُطعت عن بلوغ التمام .
(٣) الوحا والنجاء : السرعة في السير . والعرب تقول : الوحى الوحى ، والوحاء الوحاء ، والنجا النجا ، والنجاء النجاء ، يمدونهما ويقصرونهما إذا جمعوا بينهما ، فإذا أفردوه مدوه ولم يقصروه .

عن أبي هريرة ، قال : إن أهل السماء ليرَوْن بيوتَ أهلِ الذكر تُضيء لهم كما تُضيءُ الكواكبُ لأهلِ الأرض .

٣٥٣٢ يَعْلَى بن عُبَيد ، عن محمّد بن عَوْن ، عن إبراهيم بن عيسى :

عن عبد الله بن مسعود[1] ، قال : كونوا ينابيعَ العلم مَصَابيح[2] الهدى ، أحلاسَ البيوت ، جُدُدَ القلوب ، خُلقانَ الثياب ، سُرُجَ الليل ، تُعْرَفوا في أهل السماء ، وتَخْفَوا عند[3] أهل الأرض(١) .

٣٥٣٣ حَدَّثني محمد بن داود ، قال : حَدَّثنا أبو الربيع الزَّهْرانيّ ، قال : حَدَّثنا أبو عَوَانة ، عن المغيرة :

عن إبراهيم : في الرجل يرى الضوءَ [بالليل] قال : هو من الشيطان ، لو كان هذا فضلاً لأُوثر به أهلُ بدر .

* * *

(1) كب ، مص : عيسى ، تحريف .
(2) كب ، مص : مفاتيح .
(3) كب ، مص : في .

(١) الأحلاس : جمع حلس (بكسر فسكون) وهو من يلازم البيت ولا يبرحه ، وعنى ترك القتال في الفتنة والابتعاد عنها بلزوم البيت . خلقان الثياب : جمع خلق (بفتحتين) وهو البالي المهترىء ، أراد عدم الاهتمام باللباس ومباهج الدنيا . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

٣٥٣٤ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، قال : حَدَّثني عيسى بن ميمون :

عن محمد بن كعب ، قال : نظرت إلى عمر بن عبد العزيز فأدَمتُ النظرَ إليه ، فقال[1] : ما تنظُرُ[2] يا محمد ؟ قلت : أنظر إلى ما أبيضّ مِنْ شعرك ، ونحَلَ مِنْ جسمك ، وتغيَّر مِنْ لونك . فقال : أمَا والله لو رأيتني في القبر بعد ثالثة ، وقد سالتْ حدقتاي على وجنتيّ ، وسال منخراي صديداً ودوداً ، لكنتَ أشدَّ نَكَرةً(١) .

٣٥٣٥ وقال الأصْمَعيّ : دخلتُ بعضَ الجَبَابين(٢) ، فإذا أنا بجاريةٍ ما أحسبها أتت عليها عَشْرُ سنينَ ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ ولا نِلْتُهَا إذا كُنْتَ في القَبْرِ قد أَلْحَدُوكَا(٣)
وكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الكَرَى وأنْتَ بيُمْنَاكَ قَدْ وسَّدُوكَا

٣٥٣٦ قال الأزديّ : بلغني أنّ داود الطائيّ مرَّ بامرأة تبكي عند قبرٍ وهي تقول :

يا أخاه ! ليت شِعْري :

بأيِّ خَدَّيْكَ تَبَدَّى البِلَى وأيُّ عَيْنَيْكَ إذًا سَالا

فصعِق مكانه ثم تعبَّد .

٣٥٣٧ حَدَّثني محمد[3] بن محمد بن مرزوق ، قال : حَدَّثنا محمد[4] بن النضر بن نصر المعلم ، قال : حَدَّثنا جعفر بن سليمان :

عن مالك بن دينار ، أنه قال :

---

(1) كب ، مص : قال .
(2) كب : ما ينظرنا .
(3) كب ، مص : محمد بن مرزوق .
(4) كب ، مص : محمد بن نصر المعلم .

---

(١) الصديد : القيح . والنكرة : الإنكار . يقول : سأتغير بعد الموت حتى تنكرني أشد الإنكار ، فلا تكاد تعرفني من شدة تغيري .
(٢) الجبابين : جمع جبانة ، وهي المقبرة .
(٣) ألحد الميت ولحده : عمل له لحداً ، وهو المكان الذي ينزل فيه الميت .

أتَيْــتُ القُبُــورَ فنَــادَيْتُهُــنَّ؟ — أيْــنَ المُعَظَّــمُ والمُحْتَقَــرْ
وأيْــنَ المُــدِلُّ بسُلْطَــانِــهِ — وأيْنَ المُزَكَّى إذا ما افْتَخَرْ(١)

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحداً : ٢/٣٠٣

تَفَــانَــوْا جَمِيعــاً فَمَــا مُخْبِــرٌ — ومَــاتُــوا جَميعــاً ورَاثَ[1] الخَبَــرْ
تــرُوحُ وتَغْــدُو بَنَــاتُ الثَّــرَى — وتَمْحُو[2] مَحَاسِنَ تلك الصُّوَرْ(٢)
فيَــا سَــائِلِــي عَــنْ أُنَــاسٍ مَضَــوْا — أَمَــا لَــكَ فيمــا تَــرَى مُعْتَبَــرْ

قال : فرجعت وأنا أبكي .

٣٥٣٨ بلغني أنه قريء على قبرٍ بالشام :

بَــاتُــوا عَلَــى قُلَــلِ الأجْبَــالِ تَحْــرُسُهُــمْ — غُلْبُ الرِّجَالِ فلم تَمْنَعْهُمُ[3] القُلَلُ(٣)
واسْتُنْــزِلُــوا بَعْــدَ عِــزٍّ مِــنْ مَعَــاقِلِهِــمْ — فــأُسْكِنُــوا حُفْــرَةً يــا بِئْــسَ مــا نَــزَلُــوا
نَــادَاهُــمُ صَــارِخٌ مِــنْ بَعْــدُ مــا دُفِنُــوا — أيْــنَ الأَسِــرَّةُ والتِّيجَــانُ والحُلَــلُ(٤)
أيْــنَ الــوُجُــوهُ الَّتــي كــانَــتْ مُحَجَّبَــةً — مِــنْ دُونِهــا تُضْــرَبُ الأسْتَــارُ والكِلَــلُ(٥)
فــأفْصَــحَ القَبْــرُ عَنْهُــمُ حِيــنَ سَــاءَلَهُــمْ — تلــك الــوُجُــوهُ عليهــا الــدُّودُ تَقْتَتِــلُ
قَــدْ طَــالَ مــا أَكَلُــوا دَهْــراً ومــا نَعِمُــوا — فأصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الأكْلِ قد أُكِلُوا

٣٥٣٩ وقال آخر :

رُبَّ قَــوْمٍ غَبَــرُوا[4] مِــنْ عَيْشِهِــمْ — فــي نَعِيــمٍ وسُــرُورٍ وغَــدَقْ(٦)
سكَــتَ الــدَّهْــرُ زَمَــانــاً عَنْهُــمُ — ثُــمَّ أبْكَــاهُــمْ دَمــاً حِيــنَ نَطَــقْ

---

(1) كب : ماث ، مص : مات .
(2) كب ، مص : تمحى .
(3) كب ، مص : تنفعهم .
(4) كب ، مص : عبروا .

---

(١) المدل : المفتخر المباهي الجريء .
(٢) بنات الثرى : الدود .
(٣) القلل : جمع قلَّة (بالضم ففتح) وهي قمة الجبل وأعلاه . والغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة ، وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها ، وعنى الشجعان الأقوياء .
(٤) الحلل : جمع الحُلَّة ، وهو الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقاً ، ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .
(٥) الكلل : جمع كِلَّة ، وهي الستر الرقيق .
(٦) الغدق من العيش : الواسع المخصب ، والغدق من كل شيء : الكثير الواسع .

٢/ ٣٠٤ ٣٥٤٠ نَزَلَ النُّعمان ومعه عِديُّ بن زيد في ظلِّ شجرةٍ عظيمةٍ ليلهُوَا ، فقال له عدي بن زيد : أتدري ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا . قال تقول :

رُبَّ شَـرْبٍ قَـدْ أَنَـاخُـوا عِنْـدَنَـا   يَشْـرَبُـونَ الخَمْـرَ بـالمـاءِ الـزُّلَالْ
ثُـمَّ أَضْحَـوْا لَعِـبَ الـدَّهْـرُ بِهِـمْ   وكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي[1] بالجِّبَالْ
[وكَـذَاكَ الـدَّهْـرُ يَـرْمِـي بـالفَتَـى   في طِلابِ العَيْشِ حَالاً بَعْدَ حَالْ]

٣٥٤١ وقال إبراهيم بن المهدي :

بـالله ِرَبِّـكَ كَـمْ بَيْـتٍ مَـرَرْتَ بِـهِ   قَدْ كَانَ يُعْمَرُ باللَّذَّاتِ والطَّرَبِ
طارَتْ عُقَابُ المَنَايَا في سَقَائِفِهِ   فَصَارَ مِنْ بَعْدِهَا للوَيْلِ والحَرَبِ(١)

٣٥٤٢ أنشدنا عبد الرحمن[2] صاحب الأخفَش ، عن الأخفَش ، للخليل بن أحمد العَرُوضيّ :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَقَصْرُكَ المَوْتُ   لا مَـزْحَـلٌ[3] عَنْـهُ ولا فَـوْتُ(٢)
بَيْنَـا غِنَـى بَيْـتٍ وبَهْجَتُـهُ   زَالَ الغِنَـى وتَقَـوَّضَ البَيْـتُ

٣٥٤٣ حَدَّثني يزداد بن أسد ، عن الطَّنَافِسيّ ، قال : حَدَّثنا أبو محمد ، قال :

كان مالك بن دينار يخرج إلى القبور كلَّ خميس على حِمار قوطرانيّ ويقول :

ألا حَـيِّ القُبُـورَ ومَـنْ بِهِنَّـهْ   وُجُـوهٌ فـي القُبُـورِ أُحِبُّهُنَّـهْ
فلَوْ أنَّ القُبُورَ سَمِعْنَ صَوْتي   إذاً لأَجَبْنَنـي مِـنْ وَجْـدِهِنَّـهْ
وَلَكِـنَّ القُبُـورَ صَمَتْـنَ عَنِّـي   فـأُبْـتُ بحَسْـرَةٍ مِـنْ عِنْـدِهِنَّـهْ

٢/ ٣٠٥ ثم يبكي ونبكي .

٣٥٤٤ قال معاوية بن أبي سفيان لعُبَيد بن شَرِيَّة الجُرهُميّ : أخبرني بأعجبِ شيءٍ رأيتَه في الجاهليَّة . فقال : إني نزلتُ بحيٍّ من قُضاعة فخرجوا بجنازةِ رجلٍ من عُذرةَ يقال له :

---

(1) كب ، مص : حالًا بعد حال ، وعَوَّلنا في قراءة الأبيات على ديوان عدي بن زيد ٨٢ .
(2) كب ، مص : أبو عبد الرحمن ، خطأ .   (3) كب : مرحل .

---

(١) الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب ، وكل من وقع في هَلَكة دعا بالويل ، ومعنى النداء فيه : يا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احْضُر فهذا وقتك وأوانك ، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع . والحرب : النهب والسلب .
(٢) القصر : الغاية وآخر الأمر .

حُريث وخرجتُ معهم ، حتى إذا وارَوْه في حفرته انتبذتُ جانباً عن القوم وعيناي تَذْرفان ، ثم تمثَّلتُ بأبياتِ شعرٍ كنتُ أَرويها قبل ذلك بزمانٍ طويلٍ :

تَجْـرِي أُمُـورٌ ولا تَـدْرِي[1] : أَوَائلُهَـا خَيْـرٌ لِنَفْسِـكَ ، أَمْ مـا فِيـهِ تَـأْخِيـرُ
فـاسْتَقْـدِرِ اللهَ خَيْـراً وارْضَيَـنَّ بِـهِ فبينمـا العُسْـرُ إِذْ دَارَتْ مَيَـاسِيـرُ(١)
وبينمـا المَـرْءُ فـي الأَحْيَـاءِ مُغْتَبِطـاً إِذْ صَارَ في الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الأَعَاصِيرُ(٢)
يَبْكِـي الغَـرِيـبُ عَلَيْـهِ لَيْـسَ يَعْـرِفُـهُ وذُو قَـرَابَتِـهِ فـي الحَـيِّ مَسْـرُورُ

قال : وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول ، فقال لي : يا عبدَ الله ، هل لك علمٌ بقائلِ هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله ، إلا أنّي أرويها منذُ زمانٍ . فقال : والذي تحلِفُ به إن قائلَها لصاحبُنا الذي دفنّاه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسرّ الناس بموته ، وإنك لغريبٌ وتبكي عليه كما وصفتَ .

فعجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه مِنْ أمْرِه وقَوْله ، كأنَّه ينظر إلى مكاني من جنازته ، فقلت : « إنّ البلاء موكَّلٌ بالقول » ، فذهبتْ مثلاً .

٣٥٤٥ قال أعرابيٌّ : خَيْرٌ مِنَ الحياة ما إذا فقدتَه أبغضْتَ لفقده الحياةَ ، وشَرٌّ مِنَ الموت ما إذا نَزلَ بك أحببتَ لنزوله الموت .

٣٠٦/٢

٣٥٤٦ وقال أبو زُبَيد :

عُلِّلَ[2] المَرْءُ بالرَّجَاءِ ويُضْحَى غَرَضاً للمَنُونِ نَصْبَ العُودِ(٣)
كُـلَّ يَـوْمٍ تَـرْمِيـهِ منهـا بـرَشْـقٍ فمُصِيبٌ أوْ صَافَ غَيْرَ بَعِيدِ(٤)

٣٥٤٧ وقال أبو العَتَاهِية :

وَعَظَتْـكَ أَجْـدَاثٌ صُمُـتْ ونَعَتْـكَ أَزْمِنَـةٌ خُفُـتْ(٥)

---

(1) كب : لا يدري .

(2) قرأتها مص : يملك ، تصحيف .

---

(١) أي اطلب من الله أن يقدر لك خيراً . المياسير : جمع ميسور ، وهي من اليسر ضد العسر .
(٢) الرمس : القبر ، وما يحثى من التراب على القبر ، وأصله الستر والتغطية . يقول : إذا هو تراب قد دُفن فيه والرياح تطيره . والأعاصير : جمع الإعصار ، وهي الزوبعة ، ولا يقال لها ذلك حتى تهب بشدة .
(٣) الغَرَض : الهدف الذي يرمى إليه . ونصب العود : منصوباً مثل الهدف ، أي هو هدف للمنون ، منصوباً له . والمنون : الموت ، لأنه يَمُنُّ كل شيء ، يضعفه وينقصه ويقطعه ، وتكون واحدة وجمعاً .
(٤) الرشق : الشوط من الرمي . وصاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .
(٥) خفت : ساكتة ساكتة لا حس لها .

وتَكَلَّمَتْ عَنْ أوْجُهٍ تَبْلَى وعَنْ صُوَرٍ سُبُتْ[1](١)
وأَرَتْكَ قَبْرَكَ في القُبُورِ وأنْتَ حَيٌّ لم تَمُتْ

٣٥٤٨ وقال أعرابيٌّ : أبْعَدَ سفرٌ أوّلُ مَنْقَلةٍ منه الموتُ(٢) .

٣٥٤٩ وقيل لأعرابيّ : مات فلانٌ أصحَّ ما كان . فقال : أوَ صحيحٌ مَنِ الموتُ في عُنقِه !

٣٥٥٠ وقال بعض المُحْدَثين :

اسْمَعْ فَقَدْ أسْمَعَكَ الصَّوْتُ إنْ لم تُبَادِرْ فَهُوَ الفَوْتُ
نلْ كُلَّ[2] ما شِئْتَ وعِشْ ناعماً آخِرُ هذا كُلِّهِ المَوْتُ

٣٥٥١ وكان صالح المُرِّيّ يقول في قَصَصه :

يُؤَمِّلُ[3] دُنْيا لِتَبْقَى لَهُ فَمَاتَ المُؤَمِّلُ قَبْلَ الأَمَلْ
وبَاتَ يُرَوِّي أُصُولَ الفَسِيلِ فَعَاشَ الفَسِيلُ ومَاتَ الرَّجُلْ(٣)

٣٥٥٢ وقال مسلم بن الوليد :

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا وبَكَى أحْبَابُهُمْ ثُمَّ بُكُوا
تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمُ وُدُّهُمُ لَوْ قَدَّمُوا ما تَرَكُوا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوقَةً ورَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكُوا(٤) ٢/٣٠٧
قلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَرِكاً فاسْتَدَارُوا حَيْثُ دَارَ الفَلَكْ(٥)

٣٥٥٣ حَدَّثني أبي ، عن أبي العَتَاهِية ، أنه قريء له بيتان على جدارٍ من جُدُر كنيسة القسطنطينية :

ما اخْتَلَفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ ولا دَارَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ في الفَلَكِ

---

(1) مص : شتت .
(2) كب ، مص : بل كل إذا شئت .
(3) كب ، مص : مؤمل .

---

(١) سبت : ميتة ، وأصلها النائمة بارتياح .
(٢) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر .
(٣) الفسيل : صغار النخل .
(٤) السوقة : الرعية التي تسوسها الملوك ، سموا بذلك لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .
(٥) قلب عليهم وركاً : قدر عليهم فصرعهم ، وهو مثل . والورك في الأصل : ما فوق الفخذ .

إلَّا لِنَقْلِ[1] السُّلْطَان عَنْ مَلِكٍ كَان يُحِبُّ الدُّنيا إلى مَلِكِ

٣٥٥٤ وقال آخر :

مـا أَنْـزَلَ المَـوْتَ حَـقَّ مَنْـزِلِـهِ مَنْ عَدَّ يَوْماً لم يَأْتِ مِنْ أَجَلِهْ
والصِّدْقُ والصَّبْرُ يَبْلُغَانِ بمَنْ كَـانَـا قَـرِينَـيْـهِ مُنْتَهَـى أمَلِـهْ
عَلَيْكَ صِـدْقَ اللِّسَـانِ مُجْتَهِـداً فـإنَّ جُـلَّ الهَـلاكِ فـي زَلَلِـهْ

٣٥٥٥ وقال الطِّرِمَّاح :

فيـا رَبِّ لا تَجْعَـلْ وَفَـاتـيَ إنْ أَتَـتْ عَلَى شَرْجَعٍ يُعْلَى بدُكْنِ المَطَارِفِ⁽¹⁾
ولكِـنْ أَحِـنْ[2] يـومـي شَهِيـداً وعُصْبَـةً يُصَابُونَ في فَجٍّ مِنَ الأرْضِ خَائِفِ⁽²⁾
عَصَـائِـبُ مِـنْ شَتَّـى يُـؤَلِّـفُ[3] بَيْنَهُـمْ هُـدَى اللهِ نَـزَّالُـونَ عِنْـدَ المَـوَاقِـفِ⁽³⁾
إذا فَـارَقُـوا دُنْيَـاهُـمُ فـارَقُـوا الأذَى وصَارُوا إلى مَوْعُودِ[4] مافي المَصَاحِفِ⁽⁴⁾
فـأُقْتَـلَ[5] قَعْصـاً ثُـمَّ يُـرْمَـى بـأعْظُمـي كضِغْثِ الخَلا بَيْنَ الرِّيَاحِ العَوَاصِفِ⁽⁵⁾
ويُضْبِـحَ لحمـي بَطْـنَ طَيْـرٍ مَقِيلُـهُ دُوَيـنَ السَّمَـاءِ فـي نُسُـورٍ عَـوَائِـفِ⁽⁶⁾

٣٥٥٦ وُهَيب بن الوَرْد قال : اتّخذ نوح بيتاً من خُصٍّ⁽⁷⁾ ، فقيل له : لو بنيت بيتاً ؟ فقال : ٢/٣٠٨
هذا لمن يموت كثيرٌ .

٣٥٥٧ بلغني عن إسماعيل بن عَيَّاش ، عن شُرَحْبيل بن مسلم ، أن أبا الدَّرداء كان إذا رأى

---

(1) كب ، مص : بنقل .
(2) كب : أخر ، مص : أجز .
(3) كب : تؤلف .
(4) كب ، مص : موعودها .
(5) كب : فأقبل .

---

(١) الشرجع : السرير يحمل عليه الميت ، وهو النعش . الدكن : جمع أدكن ، وهو الذي لونه يضرب إلى الغبرة ، بين الحمرة والسواد ، كلون الخز . والمطارف : جمع مُطْرَف ، وهو ثوب مربع من خز .
(٢) أحن يومي : أهلكني . ويومي : يوم وفاتي ، يقال : حان الرجل : هلك ، وأحانه الله . والفج : الطريق الواسع بين جبلين . وخائف : مخوف ، يخاف منه .
(٣) العصائب : جمع عصابة ، وهي الجماعة . المواقف : أي مواقف القتال .
(٤) موعود المصاحف : الجنة التي وعد الله بها المتقين .
(٥) القعص : الموت السريع ، يقال : مات قعصاً ، إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه . الخلى : الرطب من الحشيش . وضغث الخلى : القبضة منه .
(٦) مقيله : مستقره ، أي مكانه هاهنا . العوائف : الطير التي تحوم على الماء وعلى الجيف ، وتتردد ولا تمضي ، تريد الوقوع .
(٧) الخص : القصب .

جنازةً ، قال : اِغْدِي فإنَّا رائحون ، أو قال : روحي فإنَّا غادون .

٣٥٥٨ وهذا مثل قول لَبِيد :

وإنَّـا وإخْـوَانـاً لَنَـا قَـدْ تَتَـابَعُـوا ... لكالمُغْتَدِي والرَّائِحِ المُتَهَجِّرِ[1](١)

٣٥٥٩ بلغني عن وَكِيع ، عن شَرِيك ، عن منصور :

عن هلال بن إساف ، قال : ما من مولود يولد إلا وفي سُرَّته من تُربة الأرض التي يموت فيها .

٣٥٦٠ قال الأصمعيّ : أوّل شعر قيل في ذمّ الدنيا قول ابن خَذَّاق[2] :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقِي ... أمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ المَوْتِ مِنْ وَاقِي(٢)

قَـدْ رَجَّلُـونـي ومـا رُجِّلْتُ مِنْ شَعَـثٍ ... وألْبَسُـونـي ثِيـابَـاً غَيْـرَ أخْـلاقِ(٣)

وطَيَّبُـونـي وقـالُـوا أيُّمَـا رَجُـلٍ ... وأدْرَجُـونـي كـأنِّـي طَـيُّ مِخْـرَاقِ(٤)

هـوِّنْ عَلَيْـكَ ولا تُـوْلَـعْ بـإشْفَـاقِ ... فـإنَّمَـا مـالُنَـا لِلْـوَارِثِ البَـاقِـي(٥)

٣٥٦١ محمد بن فُضَيل ، عن عُبيد[3] بن عُمَير ، قال :

---

(1) كب : المتبجر .

(2) كب : حذاق ، تصحيف ، وقرأتها مص خطأ : حلاق .

(3) كب ، مص : عبيد الله ، تحريف .

---

(١) سيأتي برقم ٤١٩٦ كتاب الإخوان . والمغتدي : المبكر . والمتهجر : السائر في الهاجرة ، اي في نصف النهار عند اشتداد الحر ، قبيل الزوال، حين تكون الشمس بحيال الرأس في كبد السماء ، راكدة كأنها لا تريد أن تبرح مكانها . وتمتد الهاجرة إلى أن تميل الشمس ويكون العصر ، وهو زمن متطاول ، وأي جزء من أجزائه سرت فيه فقد هجرْت .

(٢) بنات الدهر : نوائبه ومصائبه . والراقي : الذي يرقي صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، فيعوذ المصاب من شرها . الحمام : قضاء الموت وقدره ، ويقال للموت نفسه الحمام .

(٣) رجَّل شعره : سرحه وسوَّاه وحَسَّنه . والشعث : تفرق الشعر وانتكاثه . والأخلاق : البالية . يريد ما يفعلونه بالميت من تغسيله وترجيل شعره ، وإدراجه في الكفن الجديد .

(٤) أدرج الشيء : لفه في ثوب أو غيره ، يعني طيه في الكفن . والمخراق : ثوب أو خرق تلف وتلوى ، ثم يضرب الصبيان به بعضهم بعضاً . يذكر لين جسد الميت وتثنيه وسكونه ، فهو يطوى في الكفن ، كأنه ثوب يطوى على ثوب ، ليس بصلب ولا متماسك .

(٥) ولع بالشيء وأولع به : لج في حبه أو في الاهتمام به . الإشفاق : التخوف والحرص . وليس قوله « الباقي » بعد ذكر الوارث ، فضولاً من القول ، بل هو حسرة أخرى حين يذكر هلاكه وبقاء وارثه من بعده .

جاء رجل إلى النبيّ عليه السلام فقال : يا نبيَّ الله ، ما لي لا أحبُّ الموت ؟ فقال له : « هل لك مال ؟ » قال : نعم . قال : « قدِّمه بين يديك » . قال : لا أُطيق ذلك . قال : فقال النبيُّ عليه السلام : « إنّ المرءَ مع ماله إن قدّمه أحبَّ أن يَلْحَقَ به ، وإن أخَّره أحَبَّ أن يتخلَّف معه »(١) .

٣٥٦٢ المحاربيّ ، عن عبد الملك بن عُمَير ، قال :

قيل للربيع بن خُثَيم[1] في مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : أنظِروني ، ثم فكَّر فقال : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾(٢) [الفرقان : ٣٨] قد كانت فيهم أطباءُ ، ٢/٣٠٩ فما أرى المداوِي بقِي ولا المُداوَى ؛ هَلَكَ الناعتُ والمنعوتُ له ، لا تدعوا لي طبيباً .

٣٥٦٣ إسحاق بن سليمان ، عن أبي أحمد ، قال :

كان عمر بن عبد العزيز ليس له هِجِّيري(٣) إلا أن يقول :

تُسَرُّ بمَا يَبْلَى وتَفْرَحُ بالمُنَى ... كما اغْتَرَّ باللَّذَّاتِ في النَّوْمِ حَالِمُ

نهَارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ(٤)

وسَعْيُكَ فيما سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدُّنْيَا تَعِيشُ البَهَائمُ(٥)

كم مِنْ مستقبِلٍ يوماً ليس بمستكمله ، ومنتظِرٍ غداً ليس مِنْ أَجَله ؛ لو رأيتم الأَجَل ومسيرَه لأبغضتم الأملَ وغرورَه .

---

(1) مص : خيثم ، تصحيف .

---

(١) إسناده معضل وضعيف ، والحديث رواه بمعناه البخاري في صحيحه ٥/٢٣٦٦ وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) عاد : قوم سكنوا الأحقاف ، وهي مفازة رمال رقيقة معروفة في شمال حضرموت (أكبر مخاليف اليمن) ، أرسل إليهم النبي هود عليه السلام . وثمود : سكنوا الحِجْر (وادي القُرَى) شمال الحجاز ، وأهلكوا بالصيحة . والرس : البئر المطوية غير المبنية . واختلف في أمر أصحاب الرس ، فقال الزجاج : الرس قرية باليمامة يقال لها فَلْج (بفتح فسكون) [الصواب : فَلَج (بالتحريك) ، وهو الماء الجاري من العين أو النهر . وفَلَج اليوم تبعد عن مدينة الرياض ٣٣٤كم] كذبوا نبيهم ورَسُّوه في بئر - أي دسوه فيها - حتى مات . وفي اللسان : الرس بئر لثمود . وفي الصحاح : بئر كانت لبقية من ثمود . والقرون : الأمم .

(٣) الهجيري : الدأب والعادة .

(٤) الردى : الهلاك والموت .

(٥) غبه : عاقبته وآخرته .

لا يَلْبَثُ القُرَناءُ أنْ يَتفَرَّقُوا لَيـلٌ يَكُـرُّ عَلَيْهِـمُ ونَهَـارُ

٣٥٦٤ يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد الوهاب بن وَرْد :

عن سَلْم[1] بن بَشير بن جَحَل ، عن أبي هريرة : أنه بكى في مرضه فقال : أما إنّي لا أبكي على دنياكم ، ولكنّي أبكي على بُعْد سفري وقلّة زادي ، وأني أمسيتُ في صُعودٍ مهبِطُه على جنةٍ أو نار ، ولا أدري على أيّهما يؤخذ[2] بي .

٣٥٦٥ أبو جَنَابٍ قال : لما احتُضر معاذٌ قال لجاريته : وَيْحَكِ ! هل أَصْبَحْنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعةً ، ثم قال لها : انظُرِي ! فقالت[3] : نعم . فقال : أعوذ بالله من صباحٍ إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ، مرحباً بزائر جاء على فاقةٍ(١) ، لا أفلَح مَنْ نَدِم ! اللهمّ إنك تعلم أنّي لم أُحِبُّ البقاءَ في الدنيا لكَرْيِ الأنهارِ(٢) ، ولا لغرس الأشجارِ ، ولكن كنت أُحِبُّ البقاءَ لمكابدة الليل الطويل(٣) ، ولظمأ الهواجِر(٤) في الحرّ الشديد ، ولمزاحمةِ العلماءِ بالرُّكَبِ في حِلَق الذِّكر .

٢/ ٣١٠ ٣٥٦٦ أبو اليَقْظان قال : لما احتُضِر عمرُو بن العاص جعل يدَه في موضع الغُلِّ مِنْ عنقه ، ثم قال : اللهمّ إنك أمرتَنا ففرَّطْنا ، ونهيتنا فرِكبنا ، اللهمّ إنه لا يَسعُنا إلا رحمتُك . فلم يزل ذلك هِجِّيرَاه حتى قُبِضَ(٥) .

٣٥٦٧ قيل لأزاذ مَرْد بن الهِرْبِذ حين احتُضِر : ما حالُك ؟ فقال : ما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد ، وينزلُ حفرةً من الأرض مُوحِشةً بلا مؤنس ، ويَقْدَمُ على ملكٍ جبَّارٍ قد قَدَّم إليه العذرَ بلا حُجّةٍ(٦) !

٣٥٦٨ حَدَّثني عَبْدَةُ الصفَّارُ ، قال : حَدَّثني العَلاء بن الفضل ، قال : حَدَّثني محمد بن

---

(1) كب ، مص : سالم . . حجل ، خطأ . (2) كب : يوخذني .
(3) كب : فقلت ، وفي الهامش : لعله فقالت .

---

(١) الفاقة : الحاجة والفقر .
(٢) كري الأنهار : حفرها واستخراج مائها للسقي وللزراعة .
(٣) مكابدة الليل : مقاساة شدته وصعوبته ، عنى قيامه للصلاة وللتهجد والعبادة .
(٤) الهواجر : نصف النهار عند اشتداد الحر (وانظر ما مضى برقم ٣٥٥٨) .
(٥) الهجير : الدأب والعادة .
(٦) سيأتي برقم ٤١٢٤ كتاب الإخوان .

إسماعيل ، عن أبيه ، عن جدِّه ، جدِّ[1] أبيه ، [عن الفارعة أخت أمية بن أبي الصَّلْت الثقفية] قالت[2] : سمعتُ أميةَ بن أبي الصَّلْت عند وفاته ـ وأُغميَ عليه طويلاً ثم أفاق ، ورفع رأسه إلى سقف البيت ـ قال[3] :

لبَّيْكُمَا لبَّيْكُمَا
هأَنَذَا لَدَيْكُمَا
لا عَشِيرَتِي تَحْمِينِي
ولا مالي يَفْدِينِي

ثم أُغميَ عليه طويلاً ، ثم أفاق فقال :

كُلُّ عَيْشٍ وإنْ تَطَاوَلَ دَهْراً ... صائِرٌ مَرَّةً إلى أنْ يَزُولا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلُ ما قَدْ بَدَا لي ... في رُؤُوسِ الجِبالِ أرْعَى الوُعُولا(١)

ثم فاضت نفسُه .

٣٥٦٩ الحَكَم بن عثمان ، قال : قال المنصور عند موته : اللهمّ إن كنتَ تعلَم أني قد ارتكبتُ الأمورَ العظامَ جُرأةً منّي عليك ، فإنك تعلم أني قد أطعتُك في أحبِّ الأشياء إليك شهادةِ أن لا إله إلا أنت ، مَنّاً مِنْك لا مَنّاً عليك .

٣٥٧٠ وكان سببُ إحرامه من الخضراء أنه كان يوماً نائماً ، فأتاه آتٍ في منامه فقال :

كَأَنِّي بهذا القَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ ... وعُرِّيَ مِنْهُ أهْلُهُ ومَنَازِلُهْ ٣١١/٢
وصَارَ عَمِيدُ القَوْمِ مِنْ بَعْدِ نِعْمَةٍ ... إلى جَدَثٍ تُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهْ(٢)
فلم يَبْقَ إلَّا رَسْمُهُ وحَدِيثُهُ ... تُبَكِّي عَلَيْهِ مُعْوِلاتٍ حَلائلُهْ(٣)

---

(1) كب ، مص : عن جد أبيه ، بزيادة عن ، خطأ.　　(2) كب ، مص : قال .
(3) كب ، مص : وقال .

---

(١) الوعول : جمع وَعْل ، وهو تيس الجبل ، من فصيلة الغنميات ، يسكن أعالي الجبال ولا يبرحها إلا قليلاً ، والوعول ليست من النعم فترعى ، ولكنه تمنى أن يأوي إلى الجبال ، وينفرد هناك تعبداً وزهداً ، فتألفه الوعول كأنه يرعاها كما يرعى الناس النعم .
(٢) الجدث : القبر ، ويقال : اجْتَدَثَ ، إذا اتخذ جدثاً . والجنادل : جمع جندل ، وهو الحجر .
(٣) رسمه : بقية أثره ، أراد أعماله وما تركه لمن بعده . تبكي (بالتشديد) : مثل تبكي بالتخفيف ، والتشديد يفيد المبالغة . ومعولات : رفعت صوتها بالبكاء والصياح ، يقال : أعْوَل وعَوَّل . وحلائله : جمع حليلة ، وهي الزوجة ، والزوج حليلها ، لأن كل واحد منهما يُحَالُّ صاحبه في دار واحدة ، وكل من نازلك وجاورك فهو حليلك أيضاً .

فأستيقظ مرعوباً ثم نام ، فأتاه الآتي فقال :

أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتُكَ وانقَضَتْ سُنُـوكَ وأمْـرُ اللهِ لا بُـدَّ وَاقِـعُ
فَهَـلْ كـاهِـنٌ أعْـدَدْتَـهُ أو مُنَجِّـمٌ أَبَـا جَعْفَـرٍ عَنْـكَ المَنِيَّـةَ دَافِـعُ

فقال : يا ربيع ، ائتني بطَهوري . فقام واغتسل وصلَّى ولبَّى وتجهَّز للحجّ . فلما صار في الثلث الأوّل اشتدّت علَّته ، فجعل يقول : يا ربيع ألْقِني في حرم الله . فمات ببئر ميمون(١) .

٣٥٧١ حَدَّثني محمد بن داود ، عن سعيد بن نُضَير[1] ، عن العباس بن طالب ، قال :

قال الربيع بن بَرَّة[2] : كنتُ بالشام فسمعتُ رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ، فقال : اشرب واسقني .

٣٥٧٢ ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إلَه إلا اللهُ ، فقال : ده يا ذده وده دوازده(٢) .

٣٥٧٣ وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ، فقال :

يـا رُبَّ قـائِلَـةٍ يَـوْمـاً وقَـدْ لَغِبَـتْ[3] كَيْفَ الطَّرِيقُ إلى حَمَّامِ مِنْجَابِ(٣)

٣٥٧٤ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعيّ ، عن مُعْتَمر[4] ، عن أبيه ، قال : لقِّن مَيِّتَك ، فإذا قالها فدعه يتكلَّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضْجِرْه .

٢/٣١٢ ٣٥٧٥ قال مالك بن ضَيْغَم : لما احتُضِر أبي قلنا له : ألا تُوصي ؟ قال : بلى ، أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

---

(1) كب ، مص : نصير ، تصحيف .
(2) كب ، مص : بزة ، تصحيف .
(3) كب : لعبت .
(4) مص : معمر ، تحريف .

---

(١) بئر ميمون : بئر بمكة ، منسوبة إلى ميمون بن خالد الحضرمي .

(٢) هذه أرقام فارسية بمعنى : عشرة أحد عشر ، عشرة اثنا عشر . وهي كلمات أجراها على لسانه هذيان الاحتضار .

(٣) لغبت : أعيت وتعبت أشد التعب . ومنجاب : امرأة كان لها حمام بالبصرة لم ير مثله ، وكان يغل غلة كبيرة ، وكانت تأتي إليه وجوه الناس (ثمار القلوب ٣١٨) ، وقال العاملي في قصة البيت : إن امرأة عفيفة حسناء خرجت يوماً إلى حمام منجاب ، فلم تعرف طريقه وتعبت من المشي ، فرأت رجلاً على باب داره فسألته عن الحمام فقال : هو هذا ، وأشار إلى باب داره ، فلما دخلت أغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكره أظهرت كمال السرور والرغبة ، وقالت له : اشتر لنا شيئاً من الطيب وشيئاً من الطعام ، وعَجِّلْ العَوْد إلينا . فلما خرج واثقاً بها وبرغبتها ، خرجت وتخلصت منه (الكشكول ١/١٩٣) .

مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] وأوصيكم بصلة الرحم وحسنِ الجوار وفعلِ ما استطعتم من المعروف ، وادفنوني مع المساكين .

٣٥٧٦ وقال عمر بن عبد العزيز لابنه[1] : كيف تَجِدُك ؟ قال : في الموت . قال : لأن تكونَ[2] في ميزاني أحبّ إليَّ من أن أكون في ميزانك . قال : وأنا والله لأن يكون ما تُحبّ أحَبّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبّ .

٣٥٧٧ احتضر سيبويه النحويّ فوضع رأسه في حِجْر أخيه ، فقطَرت قطرةٌ من دموع أخيه على خدّه ، فأفاق من غشيته وقال :

أُخَيَّيْـنِ كُنَّـا فَـرَّقَ الـدَّهْـرُ بَيْنَنَـا ... إلى الأَمَدِ الأقْصَى ومَنْ يَأْمَنِ الدَّهْرا

٣٥٧٨ أبو أسامة ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حُمَيد بن هلال :

قيل لهَرِم بن حيان[3] : أوص ، فقال : قد صدَقَتني نفسي في الحياة ، مالي شيء أُوصي فيه ، ولكن أُوصيكم بخواتيم سورة النحل .

٣٥٧٩ قال الشاعر :

مـا ارْتَـدَّ طَـرْفُ امْـرِىءٍ بلَحْظَتِـهِ ... إلاَّ وشَـيءٌ يَمُـوتُ مِـنْ جَسَـدِهْ

٣٥٨٠ وقال آخر :

المَـرْءُ يَشْقَـى بمَـا يَسْعَـى لـوَارِثِـهِ ... والقَبْرُ وَارِثُ ما يَسْعَى لَهُ الرَّجُلُ

٣٥٨١ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، عن معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، عن أبي حيّان التيميّ ، عن أبيه ، قال :

أوصَى الربيعُ بن خُثَيم[4] وأشهدَ على نفسه وكَفى بألله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين ٢/٣١٣ ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمدٍ رسولاً . وأُوصي نفسي ومَنْ أطاعني أن يعبُدَ اللهَ في العابدين ، ويحمَده في الحامدين وينصحَ لجماعة المسلمين . وأوصَى أهله : ألّا تُشعِروا بي أحداً ، وسُلُّوني إلى ربِّي سَلاًّ(١) .

(1) في هامش كب : هو عبد الملك رحمه الله ، وهو صواب .
(2) كب : يكون .
(3) كب ، مص : حبان ، تصحيف .
(4) مص : خيثم ، تصحيف .

(١) السل : انتزاع الشيء وإخراجه في رفق . يقول : لا تبكوا علي ولا تعولوا عند خروج نعشي شأن أهل الجاهلية .

٣٥٨٢ حَدَّثني محمد بن أحمد بن يونس ، قال : سمعتُ عمر[1] بن جرير المهاجريّ يقول : لما مات ذرّ بن عمر بن ذرّ قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ ـ لأنه كان به باراً ـ ، فسمعها الشيخُ فقال : أنَّى أضيعُ واللهُ حيٌّ لا يموت .

فلما واراه الترابَ وقف على قبره وقال : رحمك الله يا ذرّ ! ما علينا بعدك مِنْ غَضاضةٍ[2](١) ، وما بنا إلى أحدٍ مع الله حاجةٌ ، وما يسرُّني أنّي كنت المقدَّمَ قبلَك ، ولولا هولُ المُطَّلَع(٢) لتمنّيتُ أن أكون مكانَك ، لقد شغلني الحُزْنُ لك عن الحزن عليك ، فيا ليت شِعْري ماذا قلتَ وما قيل لك !

ثم رفع رأسَه إلى السماء فقال : اللهمّ إنّي قد وَهَبْتُ حقِّي فيما بيني وبينه له ، فهبْ حقَّك فيما بينك وبينه له .

ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك .

٣٥٨٣ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا شُرَيح بنِ النعمان ، عن عبد العزيز بن أبي سَلَمة الماجِشُون ، عن عبد الواحد بن أبي عَوْن ، عن القاسم بن محمد :

عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : تُوفِّي رسولُ الله ﷺ فوالله لو نَزَل بالجبالِ الراسياتِ ما نَزَل بأبي لهاضَها ، اِشْرأبَّ النفاقُ بالمدينة وارتدَّتِ العربُ ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغَنَائها في الإسلام(٣) .

٣٥٨٤ وكانت مع هذا تقول : من رأى عمرَ بن الخطاب عرفَ أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسلام ، كان والله أحْوزِيًّا نسيجَ وحدِه ، قد أعدّ للأمور أقرانَها(٤) .

٢/٣١٤

٣٥٨٥ وقالت عند قبره : رحِمك الله يا أبتِ ! لقد قمتَ بالدين حين وَهَى شَعْبُه وتفاقم

---

(1) كب : عمرو . . المهجري .

(2) كب ، مص : خصاصة .

---

(١) الغضاضة : الذلة والمنقصة ، يقال : رجل غَضيض بيِّنُ الغضاضة ، من قوم أغِضَّاء وأغِضَّة .

(٢) المطلع : يريد به الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت .

(٣) الراسيات : الثوابت الرواسخ . هاضها : كسرها ، وأصل الهيض : الكسر بعد جبور العظم وهو أشد ما يكون من الكسر ، وكذلك النُّكس في المرض بعد الاندمال . الغناء : النفع .

(٤) الأحوزي والأحوذي : المشمر في الأمور ، القاهر لها ، الذي يحسن سياقها . نسيج وحده : لا نظير له ، ليس له شبيه في رأيه وجميع أموره ؛ وذلك أن الثوب إذا كان كريماً لم يُنسج على منواله غيره لدقته ، وإذا لم يكن كريماً نفيساً عُمل على منواله عدة أثواب ، وهذا مثل لكل من بولغ في مدحه . أقرانها : كفؤها ونظيرها ، تقول : إنه قوي على صعائب الأمور .

صَدْعُه ورَجَفتْ جوانبُه(١) . إنقبضتَ مما أصغَوْا إليه ، وشمَّرت[1] فيما وَنُوا فيه(٢) ، واستخففتَ مِنْ دنياك ما استوطنوا ، وصغَّرْتَ منها ما عظَّمُوا ، ورعيتَ دِينَك فيما أغفلوا . أطالوا عِنان الأمن واقتعدتَ مَطِيَّ الحذر ، ولم تهضِم دينَك ، ولم تَشِنْ غدَك ، ففاز عند المُسَاهمة قِدْحُك(٣) ، وخفَّ مما استوزروا ظهرُك .

٣٥٨٦ وقالت أيضاً عند قبره: نَضَّر الله وجْهَك يا أبتِ! فلقد كنتَ للدُّنيا مُذِلًّا بإدبارِك عنها، وللآخرة مُعِزاً بإقبالك عليها . ولئن كان أجَلَّ الرزايا بعد رسول الله ﷺ رُزْؤك(٤) ، وأكبرَ المصائبِ فقدُك ، إنّ كتابَ الله ليَعِدُ بجميلِ العزاءِ عند حُسْن[2] العَوَضِ منك ، فأنا أتنجَّز من الله مَوعودَه فيك بالصبر عنك[3]، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك . عليك سلامُ الله ورحمتُه ، توديعَ غيرِ قاليةٍ لحياتك(٥) ، ولا زاريةٍ على القضاء فيك(٦) .

٣٥٨٧ قال الحسين بن علـيّ عند قبر أخيه الحسن : رحِمك اللهُ أبا محمد ! إن كنتَ لَـتُباصِرُ الحقَّ مَظَانَّه ، وتُؤثِر اللهَ عند تداحُضِ الباطلِ في مواطن التقيَّة بحُسْن

---

(1) كب : سموت .
(2) كب ، مص : أحسن .
(3) كب ، مص : عليك ، تحريف . يقال : صَبَر على الأمر ، إذا احتمله ولم يجزع ، أي هو يصبر على حالةٍ أو أمرٍ حاضر .

---

(١) وهى شعبه : تمزق وتفرق جمعه ، وأصل الشعب : الصدع ، أي جمعت متفرق أمر الأمة وكلمتها ، ورددت الأمور إلى نظامها بعد ارتداد الناس . والصدع : الشق ، أي تفرق رأيهم وهواهم . والرجف في الأصل : الاضطراب الشديد والحركة ، عنت رضي الله عنها اضطراب الأمة وخوضها في الأخبار السيئة وذكر الفتن . وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أعاد الزكاة التي منعتها بعض العرب ، وردها إلى حكم الله وسنة رسوله لما قاتلهم .

(٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . وشمرت : جددت بهمة ونشاط ، يقال : شَمَّر للشيء تشميراً ، فهو مُشَمِّر ، إذا تهيأ له وجَدَّ فيه وأسرع ومضى مضياً ؛ وأصله من فعل العادي إذا جد في عدوه وشمر عن ساقه وجمع ثوبه في يده ، ليكون أسرع له .

(٣) المساهمة : المقارعة . والقدح : النصيب ، والأصل فيها قداح الميسر ، وهي عشرة أعواد كانوا يستقسمون الذبيحة بها في الجاهلية ، فيأخذ المتساهم نصيبه حسب قدحه ، فصاحب القدح « المعلى » يأخذ النصيب الأوفر ، وهكذا حتى لا يكون مَنْ لا نصيب لقدحه ، وقد يكون هو صاحب الذبيحة فيخسرها كلها ، وكانوا يفعلون ذلك في سني القحط والجدب .

(٤) الرزايا : جمع الرزيئة والمرزئة ، وهي المصيبة البالغة ، لأنها ترزؤ المرء ، أي تأخذ منه ما يعز عليه .

(٥) يقال في السلوان : صَبَر عنه ، و« عن » تفيد البدل والعوض . وقالية : كارهة ، أي غير مبغضة لحياتك كارهة لها .

(٦) زارية : لائمة غير راضية ، يقال : زَرَيت عليه وزَرّى عليه ، إذا عابه وعاتبه .

الرويّة(١) ، وتستشِفُّ جليلَ مَعاظمِ الدنيا بعينٍ لها حاقرةٍ ، وتُفيضُ عليها يداً طاهرةَ الأطرافِ نقيَّةَ الأسرَّةِ(٢) ، وتردَعُ بادرةَ غَرْبِ أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غَرْوَ وأنت ابن سلالة النبوّة ورضيعُ لِبان الحكمةِ ؛ فإلى رَوْح ورَيحانٍ وجنَّةِ نعيم ؛ أعظمَ الله لنا ولكم الأجرَ عليه ، ووهَبَ لنا ولكم السّلوة وحُسْنَ الأُسَى عنه .

٢/ ٣١٥

٣٥٨٨ حَدَّثني عبد الرحمن بن الحسين السعيديّ ، عن محمد بن مُصْعَب : أنّ ابن السمَّاك قال يوم مات داودُ الطائيّ في كلامٍ له : إن داود رحمه الله نَظَر بقلبه إلى ما بين يَدَيه من آخرته ، فأغْشَى بَصَرُ القلبِ بَصَرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تَنْظُرون ، وكأنكم لا تَنْظُرون إلى ما إليه يَنْظُر ، فأنتم منه تَعْجَبون وهو منكم يعجَب ، فلما رآكم راغبين مذهولين مَغْرورين قد دَلَّهَت[1] الدنيا عقولَكُم ، وأماتتْ بحبّها قلوبَكُم ، استوحش منكم ، فكنتُ إذا نظرتُ إليه نظرت [إلى] حيٍّ وسْطَ أمواتٍ .

يا داود ما أعجبَ شأنَكَ بين أهل زمانك ! أهَنْتَ نفسَك وإنما تريد إكرامَها ، وأتعبتَها وإنما تريد راحتَها ، أخشنتَ المطعمَ وإنما تريد طِيبَه ، وأخشنتَ الملبَس وإنما تريد لِينَه ، ثم أمتَّ نفسَك قبل أن تموتَ ، وقَبَرتَها قبلَ أن تُقبَر ، وعذَّبتها ولمَّا تُعذَّب[2] ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكَر ، رغبتْ نفسُك عن الدنيا فلم ترها لك قَدْراً ولا[3] خَطَراً ، فما أظنُّك إلا وقد ظَفِرتْ بما طالَبَتْ ؛ كان سِيماك في سرِّك ولم يكن سِيماك في علانيتك ، تفقَّهتَ في دينك وتركتَ الناسَ يُفْتَنون[4] ، وسمعتَ الحديثَ وتركتَهم يُحدِّثُون ، وخَرِسْتَ عن القول وتركتهم يَنْطِقُون ، لا تحْسُد الأخيارَ ، ولا تَعِيبُ الأشرارَ ، ولا تقبل من السلطان عطيّة ، ولا من الإخوان هَديّة ؛ آنَسُ ما تكون إذا كنتَ بالله خالياً ، وأوحشُ ما تكون آنَسُ ما يكون الناس ؛ فمَنْ سمِع بمثلك وصَبَرَ صبرَك وعَزَم عزمَك ! لا أحسبُكَ إلا وقد أتعبت العابدين بعدَك ، سجنتَ نفسَك في بيتك ، فلا مُحدِّثَ لك ، ولا جليسَ معك ، ولا فراشَ تحتك ، ولا سِتْرَ على بابك ،

---

(1) كب ، مص : أذهلت ، وأخطأت مص في القراءة. (2) كب : أن تعذب .
(3) كب ، مص : قدراً إلى الآخرة فما أظنك . (4) كب : يفنون ، مص : يغنون .

---

(١) تداحض الباطل : غرور فساد دعواه ، والفتنة إذا أقبلت شَبَّهَتْ على القوم وأرتهم أنهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويركبوا منها ما لا يحل ، وهذا من قولهم : مكان دَحْض ، إذا كان مَزَلَّة لا تثبت عليها الأقدام .

(٢) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهي الخطوط التي تبدو في ظاهر اليد والجبهة ، ونقاء اليد دلالة على العفة .

ولا قُلَّةَ يُبَرِّد فيها ماؤك[١] ، ولا صَحْفَةَ يكون فيها غَداؤك وعَشاؤك ، مِطْهَرَتُك ٢/٣١٦ قلبُك ، وقَصْعتُك تَوْرُك[٢] .

داود ما كنتَ تشتهي مِنَ الماءِ باردَه ، ولا مِنَ الطعامِ طيِّبَهُ ، ولا مِنَ اللباسِ ليِّنَه ، بلى ! ولكن زَهِدتَ فيه لما بين يديك ؛ فما أصغرَ ما بذلتَ ، وما أحقرَ ما تركتَ في جنب ما أمَّلتَ ، فلما مِتَّ شَهَرَك ربُّك بموتك ، وألبَسَك رداءَ عملك ، وأكثرَ تبعَك ، فلو رأيتَ مَنْ حضرَك عرفتَ أنّ ربَّك قد أكرمك وشرَّفك ، فَلْتتكلّم اليوم عشيرتُك بكلِّ ألسنتها ، فقد أوضحَ ربُّك فضلَها بك ، ووالله لو لم يَدْعُ عبداً إلى خيرٍ بعمله إلا حُسْنُ هذا النَّشْرِ مِنْ كثرة هذا التَّبَعِ ، لقد كان حقيقاً بالاجتهاد والجهد لمن لا يُضيع مُطيعاً ولا ينسى صنيعاً شاكراً ومُثيباً .

٣٥٨٩ وَقَف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ، فحققْ رجائي وآمِنْ خوفي .

٣٥٩٠ مات ابنٌ لأنس بن مالك ، فقال أنسٌ عند قبره : اللهمّ عبدُك وولدُ عبدك وقد رُدَّ إليك ، فارْأفْ به وارحمْه ، وجافِ الأرضَ عن بدنه ، وافتح أبوابَ السماء لرُوحه ، وتقبَّلْه بقبولٍ حسنٍ .

ثم رَجَع فأكلَ وشربَ وادّهن وأصاب من أهله .

٣٥٩١ وقال جرير في امرأته :

صَلَّى[1] المَلائكَةُ الَّذِينَ تُخِيِّرُوا والطَّيِّبُـونَ عَلَيْـكِ والأبْـرَارُ
لا يُلْبِـثُ القُـرَنَـاءُ أنْ يَتَفَـرَّقُـوا لَيْـلٌ يَكُـرُّ عَلَيْهِـمُ ونَهَـارُ[٣]

٣٥٩٢ وقفتْ أعرابيّة على قبر ابنها فقالت : والله ما كان مالُك لِعِرسك[٤] ، ولا همُّك لنفسك ، وما كنتَ إلا كما قال القائل :

رَحِيـبُ الـذِّرَاعِ بـالَّتِـي لا تَشِينُـهُ وإنْ كـانَـتِ الفَحْشاءُ ضَـاقَ بهـا ذَرْعَـا

---

(1) أخرت كب ، مص البيت إلى تاليه .

---

(١) القلة : آنية للشرب من الفخار طويلة العنق .

(٢) القصعة : إناء صغير غالباً ما يكون من خشب . والتور : إناء صغير يتوضأ به .

(٣) القرناء : جمع قرين ، وهو الصاحب الذي يقترن بك . كر : مر ورجع مرة بعد مرة .

(٤) العرس : الزوجة .

٢/٣١٧ ٣٥٩٣ حَدَّثني محمد بن داود ، عن الصَّلْت بن مسعود ، قال :

كان سفيان بن عُيَيْنة يستحسن شعرَ عديّ بن زيد :

أيْنَ أهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادٌ مِنْ بَعْدِهِمْ وثَمُودُ[١]

بيْنَمَا هُمْ على الأَسِرَّةِ والأنْـ ـمَاطِ أفْضَتْ إلى التُّرابِ الخُدُودُ[٢]

ثمَّ لَمْ يَنْقَضِ الحَدِيثُ ولَكِنْ بَعْدَ ذَا الوَعْدُ كُلُّهُ والوَعِيدُ

والأطِبَّاءُ[I] بَعْدَهُمْ لَحِقُوهُمْ ضَلَّ عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ واللَّدُودُ[٣]

وصَحِيحٌ أضْحَى يَعُودُ مريضاً وهْوَ أدْنَى لِلْمَوْتِ مِمَّنْ يَعُودُ

٣٥٩٤ أخذه عليّ بن الجَهْم فقال :

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَنَجا ومَاتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ

٣٥٩٥ حَدَّثني عَبْدة بن عبد الله ، قال : أخبرنا عُبَيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الملك بن عُمَير :

عن رِبْعي بن حِراش ، قال : أتيتُ أهلي فقيل لي : مات أخوك ، فوجدتُ أخي مُسَجًّى عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحَّم عليه وأدعو له ، إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال : السلام عليكم . فقلنا : وعليكَ السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تُلُقِّيتُ برَوْحٍ ورَيحان وربٍّ غيرِ غضبان ، وكساني ثياباً من سندسٍ وإسْتَبْرَق[٤] ، وإني وجدتُ الأمرَ أيسرَ مما تظنّون ولا تَتَّكِلوا ؛ إني أستأذنت ربّي أن أخبركم وأبشّركم ، احملوني إلى رسول الله ، فقد عُهِد إليّ ألّا أبْرَحَ حتى ألقاه .

ثم طَفِيء[٥] .

٣٥٩٦ حَدَّثني أبو سهل ، عن عليّ بن محمد ، عن إسحاق بن منصور ، عن عَمَارة بن زاذان :

عن ثابتٍ ، أن مُطَرِّفا كان يغدو[2] على دابّته بين المقام فأغفى ، فإذا أهلُ القبور جلوسٌ

(I) كب ، مص : وأطباء . (2) كب ، مص : يبدو .

---

(١) عاد وثمود : انظر ما مضى برقم ٣٥٦٢ .

(٢) الأنماط : جمع نَمَط ، وهو ضرب من البسط .

(٣) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف . واللدود : ما يصب من الأدوية في أحد شقي الفم .

(٤) السندس : الحرير الرقيق . والإستبرق : الحرير يكون فيه غلظ .

(٥) طفيء : همد وسكن وفاضت روحه .

على شِفَاه قبورهم يقولون : هذا مُطَرِّفٌ يروح إلى الجُمعة ؛ قلتُ : هل تعرفون يومَ ٣١٨/٢ الجمعة ؟ قالوا : نعم ، [قلت :] وماتقول الطيرُ في جوف السماء ؟ [قالوا :] يقولون : سلامٌ ، يومٌ صالحٌ .

٣٥٩٧ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا سُفيان بن عُيَينة ، عن أبي الزُّبير :

عن جابر قال : لما أراد معاوية أن تَجرِيَ العينُ التي حفرها ـ قال سفيان : تُسمَّى عينَ ابن زياد ـ نادَوْا بالمدينة : مَنْ كان له قتيلٌ فليأتِ قتيلَه ؛ قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رِطَاباً يتثَنَّون ، وأصابت المِسحَاة رِجْلَ رَجُلٍ منهم فانفَطَرَتْ[1] دماً[(١)] . قال أبو سعيد الخُدْرِيّ : لا يُنْكِرُ بعدَ هذا مُنكِرٌ أبداً .

٣٥٩٨ حَدَّثني محمد بن عُبيد ، قال : حَدَّثنا ابن عُيَيْنة ، عن عمرو بن دينار :

عن عُبَيد بن عُمَير ، قال : أهلُ القبور يتوَكَّفُون الأخبارَ[(٢)] ، فإذا أتاهم الميت سألوه : ما فعل فلانٌ ؟ فيقول : ألم يأتكم ! فيقولون : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، سُلِكَ به غيرُ سبيلنا .

٣٥٩٩ حَدَّثني عبد الرحمن العَبْديّ ، عن جعفر ، عن[2] أبي جعفر ، قال : حَدَّثنا أبو جعفر السائح :

عن الربيع بن صَبيح ، قال : شهِدتُ ثابتاً البُنَانيّ يوم مات وشهِده أهلُ البَصرة ، فدخلتُ قبرَه أنا وحُمَيدٌ الطويلُ وأبو جعفر حسن ممايلي رأسَه ، فلما ذهبتُ أُسَوِّي عليه اللَّبِنةَ سقطَتْ من يدي فلم أرَ في اللحد أحداً ، وأصغى إليَّ حُميدٌ أن اختُطِفَ صاحبُنا . وضجَّ الناسُ فسوَّينا على اللحد وحثَونا الترابَ ؛ فلم يكن لحُميدٍ هِمَّةٌ حتى أتى سليمانَ بن عليّ وهو أميرٌ على البَصرة فأخبره ، فقال : ما يُنكَرُ لله قدرةٌ ! إلا أني أُنكِر أن يكون أحدٌ من أهل زماننا يُفْعَلُ هذا به ، فهل علم به أحدٌ سواك ؟ قال : نعم ، الربيع بن صَبيح وحَسَن ؛ قال : عَدْلان مَرْضِيّان ، فبعثَ أمناءَ جيرانه فنبشوا ٣١٩/٢ عنه فلم يجدوه في قبره .

٣٦٠٠ وحَدَّثني أيضاً عن أعرابيّة ـ كان يُقال لها : أمّ غَسّان ـ مكفوفةٍ وكانت تعيشُ بمِغزَلها

---

(1) كب : فانقطرت .	(2) كب ، مص : بن ، خطأ .

---

(١) المسحاة : المجرفة من الحديد . انفطرت دماً : سالت دماً .

(٢) يتوكفون الأخبار : ينتظرونها ويسألون عنها ، والتوكُّف : التوقع والانتظار .

وتقول : الحمدُ لله على ما قضى وارتضى ، رضيتُ من الله ما رَضِيَ لي ، وأستعينُ اللهَ على بيتٍ ضيِّقِ الفِناء قليلِ الكِواءِ[1] ، وأستعين الله على ما يُطالَع مِنْ نواحيه .

٣٦٠١ وماتت جارةٌ لها فقيل لها : ما فعلتْ جارتُك ؟ فقالت :

تَقَسَّمَ جَارَاتُهَا بَيْتَهَا وصَارَتْ إلى بَيْتِهَا الأتْلَدِ

٣٦٠٢ وقالت يوماً : إن تقبَّلَ اللهُ مني صلاةً لم يعذِّبْني . فقيل لها : كيف ذلك ؟ قالت : لأنّ الله عزَّ وجلَّ لا يُثَنِّي في رحمته وحلمِهِ .

قال : وكنتُ سمعتُ حديثَ معاذ : « مَنْ كُتِبَتْ له حسنةٌ دخلَ الجنّةَ »[2] ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أمّ غسانَ تقول هذا ، فعرفت تأويلَه .

* * *

(١) الكواء : جمع كوة ، وهي الخرق في الحائط .

(٢) الحديث صحيح مختصر ، أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/١٠ كتاب التوبة ، عن ابن عباس ، وتمامه : « قال الرب عزَّ وجلَّ : يؤتى بحسنات العبد وسيئاته يوم القيامة ، فيقيض بعضها ببعض ، فإن بقيت حسنة واحدة أدخله الله الجنة » . قال : قلت : فإن لم يبق ؟ قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾ .

الكِبَر والمشيب

٣٦٠٣ حَدَّثني أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا أبو داود ، عن عبد الجليل بن عطيّة ، عن شَهْر بن حَوْشَب :

عن عمرو بن عَبَسَة[1] ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ شابَ شَيبةً في الإسلام كانت له نوراً يومَ القيامة ، ما لم يَخْضِبها أو يَنْتِفْها »(١) .

٣٦٠٤ أبو حاتم ، عن الأَصْمَعِيّ ، عن شيخ من بني فَزارة ، قال :

مررتُ بالبادية وإذا شيخٌ قاعدٌ على شفِيرِ قبرٍ(٢) ، وإذا في القبور رجالٌ كأنهم الرِّماحُ يدفِنُون رجُلاً والشيخُ يقول :

أَخْشَى[2] على الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى ... قِـدْمـاً أَبَـى رَبُّـكَ إلَّا مـا تَـرَى(٣)   ٢/ ٣٢٠

فقلت له : من الميتُ ؟ فقال : ابني ، فقلت له : مَنِ الذين يَدفِنونه ؟ قال : بنوه .

٣٦٠٥ حَدَّثنا عبد[3] الرحمن ، قال : دخل يونس بن حبيب المسجدَ يُهادَى بين اثنين(٤) من الكِبَر ، فقال له رجلٌ كان يتَّهمه على مودتّه : بلغتَ ما أرى يا أبا عبد الرحمن ! قال : هو ما تَرَى فلا بَلَغْتَه .

٣٦٠٦ ونحوه قولُ الشاعر :

يا عائبَ الشَّيْبِ لا بَلَغْتَه(٥)

٣٦٠٧ ويقال في الزَّبُور : مَنْ بلغ السبعينَ اشتكَى مِنْ غير عِلّة .

---

(1) كب ، مص : عنبسة ، تحريف .   (2) كب ، مص : احثوا .
(3) كب ، مص : أبو عبد الرحمن ، خطأ .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
من شاب شيبة : أي من مارس الجهاد حتى يشيب طائفة من شعره .
(٢) الشفير : الجانب والحرف .
(٣) الديسم : اسم الميت .
(٤) مشى الرجل يُهَادى بين رجلين : مشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله .
(٥) صدره برواية القالي والمرزباني :   فقلتُ إذْ عابني بشَيْبِي

٣٦٠٨ وقال محمد بن حسّان النبطيّ : لا تسأل نفسَك العامَ ما أعطتك في العام الماضي .

٣٦٠٩ رأى ضرار بن عمرو الضَّبيّ له ثلاثةَ عشر ذكراً قد بلغوا، فقال: من سرّه بنوه ساءته نفسُه[١] .

٣٦١٠ قال ابن أبي فَنَنٍ :

مَـنْ عَـاشَ أخْلَقَـتِ الأيَّـامُ جِـدَّتَـهُ وخَـانَـهُ الثِّقَتَـانِ السَّمْـعُ والبَصَـرُ
قالَتْ عَهِدْتُكَ مَجْنوناً فَقُلْتُ لَهَا : إنَّ الشَّبَـابَ جُنُـونٌ بُـرْؤُهُ الكِبَـرُ

٣٦١١ أبو عبيدة قال : قيل لشيخ : ما بقي منك ؟ قال : يَسْبِقُني مَنْ بين يَديَّ ، ويُدرِكني مَنْ خلفي ، وأنسى الحديثَ ، وأذكرُ القديمَ ، وأنعُسُ في المَلا[٢] ، وأسهَرُ في الخَلا ، وإذا قمتُ قَرُبتِ الأرضُ منّي ، وإذا قعدتُ تباعَدَتْ عنِّي[1] .

٢/٣٢١ ٣٦١٢ قال عبد الملك بن مروان للعُريان بن الهَيثم : كيف تَجِدُك ؟ قال : أجِدُني قد ابيض منّي ما كنتُ أُحِبُّ أن يَسْوَدَّ ، واسْوَدَّ منّي ما كنتُ أُحبّ أن يبيَضّ ، واشتدَّ منّي ما أُحبُّ أن يلين ولان منّي ما أُحِبّ أن يشتدَّ . وقال :

سَلْنِـي أُنَبِّئْـكَ بـآيَـاتِ الكِبَـرْ نَـوْمُ العِشَـاءِ وسُعَـالٌ بـالسَّحَـرْ
وقِلَّـةُ النَّـوْمِ إذا اللَّيْـلُ اعْتَكَـرْ وقِلَّـةُ الطُّعْـمِ إذا الـزَّادُ حَضَـرْ[٣]
وسُرْعَةُ الطَّرْفِ وتَحْمِيجُ[2] النَّظَرْ وتَرْكُكَ الحَسْنَاءَ في قُبْلِ الطُّهُرْ[٤]
والنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا تَبْلَى الشَّجَرْ

٣٦١٣ وقال حُمَيد بن ثَوْر :

أَرَى بَصَري قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا[٥]

---

(1) كررت كب وتابعتها مص بعد هذا الخبر ، البيت الثاني من قول ابن أبي فنن المتقدم برقم ٣٦١٠ دون عزو ، وأراه سهواً من الناسخ .
(2) كب : تجميح ، تصحيف .

---

(١) سيأتي برقم ٤٣٦٣ كتاب الإخوان .
(٢) الملا : الصحراء والمتسع من الأرض ، وقطع المفازة يَتَطَلَّب همة ونشاطاً وحدة ، وليس كسلاً وخمولاً ونوماً .
(٣) اعتكر الليل : اشتد سواده واختلط ، كأنه كر بعضه على بعض من بطء انجلائه . والطعم : الطعام .
(٤) الطرف : تحريك الجفون في النظر . والطرف أيضاً : العين ، لا يجمع ولا يثني لأنه في الأصل مصدر. وتحميج النظر : تصغير العين لتمكينها من النظر . قبل الطهر : أي في أوله ، بعد انقطاع الدم .
(٥) مضى برقم ٣١٣١ كتاب العلم والبيان .

٣٦١٤ وقال الكُمَيتُ :

لا تَغْبِطِ المَرْءَ أنْ يُقَالَ لَهُ　　أمْسَى فُلانٌ لِسِنِّهِ حَكَمَا(١)

إنْ سَرَّهُ طُولُ عُمْرِهِ فَلَقَدْ　　أضْحَى عَلَى الوَجْهِ طُولُ ما سَلِمَا

٣٦١٥ وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

يَوَدُّ الفَتَى طُولَ السَّلامَةِ والغِنَى　　فكَيْفَ تُرَى طُولَ السَّلامةِ يَفْعَلُ

٣٢٢/٢

٣٦١٦ وقال آخر :

كانَتْ قَنَاتي لا تَلِينُ لِغَامِزٍ　　فَألَانَهَا الإصْبَاحُ والإمْسَاءُ

ودَعَوْتُ رَبِّي بالسَّلامَةِ جاهِداً　　لِيُصِحَّنِي[1] فإذا السَّلامَةُ دَاءُ

٣٦١٧ وقال أبو العَتَاهِية :

أسْرَعَ في نَقْصِ[2] امْرِىءٍ تَمَامُهُ(٢)

٣٦١٨ وقال عبد الحميد الكاتب :

تَرَحَّلَ[3] ما لَيْسَ بالقَافِلِ　　وأعْقَبَ ما لَيْسَ بالآفِلِ[4]

فلَهْفي مِنَ الخَلَفِ النَّازِلِ　　ولَهْفِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ

أُبَكِّي عَلَى ذَا وأَبْكِي لِذا　　بُكَاءَ المُولَهَةِ الثَّاكِلِ(٣)

تُبَكِّي مِنِ ابْنٍ لَهَا قاطِعٍ　　وتَبْكي عَلَى ابْنٍ لَهَا وَاصِلِ

تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصِّبَا　　ورَدَّ التُّقَى عَنَدَ الباطِلِ(٤)

٣٦١٩ محمد بن سَلاَّم الجُمَحِيّ ، عن عبد القاهر بن السَّرِيّ ، قال :

كَتَب الحَجَّاج إلى قتيبة بن مسلم : إني نظرتُ في سنِّك فوجدتُك لِدَتي(٥) وقد بلغتُ

---

(1) كب : لينجني .　　(2) كب : نقض .

(3) كب : وحل .　　(4) كب : الأيل ، مص : الآئل .

---

(١) ذلك أنه لا يتحاكم إليه إلا بعد الكبر ، فيكون قد دنا من الموت .

(٢) أي إن الرجل إذا تم أخذ في النقصان (مجمع الأمثال ١/ ٣٤٣) .

(٣) المولهة : هي التي فارقت ولدها ، فاشتد حزنها عليه وحنينها ، من الوَلَه : وهو شدة الحزن وذهاب العقل والتحير لفقدان الحبيب . والثاكل : التي فقدت ولدها .

(٤) الصبا : الميل إلى الجهل والفتوة واللهو . وغوايات الصبا : ضلالها والانهماك في غَيِّها .

(٥) لدتي : تربي ومثيلي في السن .

الخمسين ، وإنّ آمرأً سارَ إلى منهلٍ خمسين عاماً لقريبٌ منه .

٣٦٢٠ فسمع من الحَجَّاج بنِ يُوسُف [أبِو محمد] التيميُّ ، فقال :

إذَا كـانَـتِ السَّبْعُـونَ سِنَّـكَ لـم يَكُـنْ ... لِـدَائِـكَ إلَّا أنْ تَمُـوتَ طَبِيـبُ(١)

وإنَّ آمْـرَأً قَـدْ سَـارَ سَبْعِيـنَ حِجَّـةً ... إلـى مَنْهَـلٍ مِـنْ وِرْدِهِ لَقَـرِيـبُ

إذا مـا خَلَـوْتَ الـدَّهْرَ يَـوْماً فـلا تَقُـلْ ... خَلَـوْتُ ولَكِـنْ قُـلْ عَلَـيَّ رَقِيـبُ

إذا مـا آنْقَضَـى القَـرْنُ الَّـذي أنْـتَ مِنْهُـمُ ... وخُلِّفْـتَ فـي قَـرْنٍ فـأنْـتَ غَـرِيـبُ(٢)

٢/ ٣٢٣ ٣٦٢١ وقال لَبِيد :

أَلَيْـسَ وَرَائـي إنْ تَـرَاخَـتْ مَنِيَّتِـي ... لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْها الأصَابعُ(٣)

أخَبِّـرُ أخْبَـارَ القُـرُونِ الَّتِـي مَضَـتْ ... أدِبُّ كـأنِّـي كُلَّمَـا قُمْـتُ رَاكِـعُ

٣٦٢٢ وقال آخر في مثله :

حَنَتْنـي نَـائِبَـاتُ[1] الـدَّهْـرِ حَتَّـى ... كـأنِّـي حَـابِـلٌ[2] يَـدْنُـو لِصَيْـدِ(٤)

٣٦٢٣ وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدْمِنُ[3] إمساكَ العصا ولستَ بكبيرٍ ولا مريض ؟ فقال : لأذكُرَ أني مسافر .

٣٦٢٤ [4]قال الشاعر [في مثله] :

حَمَلْتُ العَصَا لا الضَّعْفُ أوْجَبَ حَمْلَهَا ... عَلَـيَّ ولا أنِّـي تَحَنَّيْـتُ مِـنْ كِبَـرْ

ولكِنَّنِـي آلْـزَمْـتُ نَفْسِـي حَمْلَهَـا ... لأُعْلِمَهَـا أنَّ المُقِيـمَ عَلَـى سَفَـرْ[4]

---

(1) مص : حانيات .
(2) مص : خاتل .
(3) كب : بد من .
(4 - 4) سقطت من كب ، وألحقت بالهامش .

---

(١) تقدير الكلام : لم يكن طبيب لدائك إلا أن تموت .
(٢) القرن : أراد أصحابه وأهل زمانه .
(٣) ورائي في معنى قدامي . وتراخت : أبطأت ، كأنها وَسَّعت عليه عمره حتى يذهب كيف شاء . تحنى : تعطف عليها .
(٤) نوائب الدهر : كوارثه وحوادثه المؤلمة ، جمع نائبة . الحابل : الصائد . وبعد البيت :

قريبُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رآني ... ولسـتُ مُقَيَّـداً ، أنِّـي بقَيْـدِ

يقول : كبرت وضعفت مشيتي .

٣٦٢٥ ومَرَّ شيخ من العرب بغلامٍ ، فقال له الغلام : أَحْصَدْتَ يا عمّاه ؛ فقال : يا بنيّ وتُختَضَرُون[1] (١) .

٣٦٢٦ قال الحسنُ في موعظة له : يا معشر الشيوخ ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصنع به ؟ قالوا : يُحْصد[2] . [فقال :] يا معشر الشباب ، كم مِنْ زَرْعٍ لم يَبْلُغ أدركتْه آفةٌ .

٣٦٢٧ قال الشاعر :

الـدَّهْـرُ أبْـلانـي ومـا أبْلَيْتُـهُ   والـدَّهْـرُ غَيَّـرَنـي ومـا يَتَغيَّـرُ
والـدَّهْرُ قَيَّـدَني بخَيْـطٍ مُبْرَمٍ   فمَشَيْتُ فِيهِ وكُلَّ يَوْمٍ يَقْصُرُ (٢)

٢/ ٣٢٤

٣٦٢٨ وقال عُمَارة بن عَقِيل :

وأدْرَكْـتُ مِـلْءَ الأرْضِ نَـاساً فـأصْبَحُوا   كـأهْـلِ الـدِّيَـارِ قَـوَّضُـوا فتَحَمَّلُـوا (٣)
ومـا نَحْـنُ إلَّا رُفْقَـةٌ قَـدْ تَـرَحَّلَـتْ   وأُخْـرَى تُقَضِّـي حَـاجَهَـا وتَـرَحَّـلُ

٣٦٢٩ ذكر أعرابيٌّ الشيبَ فقال : والله لقد كنتُ أُنكِر الشعرةَ البَيْضاء فقد صرتُ أُنكِر السوداء ، فيا خير بَدَلٍ ويا شرَّ مبدول .

٣٦٣٠ وقال بعض الشعراء :

شَابَ رَأْسي وما رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ   أسِ إلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ
وكَـذَاكَ القُلُـوبُ فـي كُـلِّ بُؤْسٍ   ونَعِيـمٍ طَـلائِـعُ الأجْسَـادِ
طَـالَ إنْكَـارِيَ البَيَـاضَ فـإنْ عُمِّـ   ـرْتُ شَيْئاً أنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

٣٦٣١ رأى إياس بن قَتادة شَعرة بيضاءَ في لحيته ، فقال : أرى الموتَ يطلبني ، وأراني لا أفوته ، أعوذ بك يا ربّ من فُجَاءاتِ الأمور (٤) ، يا بني سعد قد وهبتُ لكم شبابي فهبوا لي شيبتي .

ولَزِمَ بيتَه .

---

(1) كب ، مص : تحتصدون .   (2) كب : نحصد .

---

(١) أحصدت : آن لك أن تحصد . اختُضر الشاب : مات في شبابه وريعانه ، وأصل ذلك في النبات الغض يرعى ويختضر ، أي يُجز ، فيؤكل قبل تناهي طوله .
(٢) الخيط المبرم : المحكم الفتل .
(٣) قوضوا : هدموا خيامهم للرحيل . وتحملوا : ارتحلوا وذهبوا ، يقال : احتمل القوم وتحملوا .
(٤) فجاءات الأمور : مفاجأتها بغتة من غير تقدُّم سبب .

٣٦٣٢ قال قيس بن عاصم : الشيبُ خِطَامُ المنِيَّة[١] .

٣٦٣٣ قال آخر : الشيبُ بريدُ الحِمام[٢] .

٣٦٣٤ قال آخر : الشيبُ تَوْأم الموت .

٣٦٣٥ قال آخر : الشيبُ تاريخ الموت .

٣٦٣٦ قال آخر : الشيبُ أوّل مراحل الموت .

٣٦٣٧ قال آخر : الشَّيبُ تمهيد الحِمَام .

٣٦٣٨ قال آخر : الشيبُ عُنوان الكِبَر .

٢/ ٣٢٥ ٣٦٣٩ قال عَبيدُ بن الأبرص :

والشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ[٣]

٣٦٤٠ ويقال : شَيْب الشَّعَر موتُ الشَّعَر ، وموتُ الشَّعَرِ عِلَّةُ موتِ البشر .

٣٦٤١ قال الشاعر :

وكَانَ الشَّبَابُ الغَضُّ لي فِيهِ لَذَّةٌ ... فَـوَقَّـرَنـي عَنْـهُ المَشِيـبُ وأدَّبَـا
فسَقْياً ورَعْياً للشَّبَابِ الَّذِي مَضَى ... وأهْلاً وسَهْلاً بالمَشِيبِ ومَرْحَبا

٣٦٤٢ وقال أعرابيٌّ ـ ويقال : هي لأبي دُلَف ـ :

فـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنَ الأيَـامِ نـابِتَـةٌ ... كـأنَّمَـا نَبَـتَـتْ فِيـهِ عَلَـى بَصَـرَي
لَئِنْ قَرَضْتُكِ بالمِقْرَاضِ عَنْ بَصَرِي ... لَمَا قَرَضْتُكِ عَنْ هَمِّي ولا فِكَرِي

٣٦٤٣ قال مُحْدَث[1] :

أَرَى الشَّيْبَ مُذْ جَاوَزْتُ خَمْسِينَ دَائِباً ... يَـدِبُّ دَبِيـبَ الصُّبْـحِ فـي غَسَـقِ الظُّلَـمْ
هُـوَ السُّقْـمُ[2] إلَّا أنَّـهُ غَيْـرُ مُـؤلِـمِ ... ولـم أرَ مِثْـلَ الشَّيْـبِ سُقْمـاً بـلا ألَـمْ

---

(1) مص : أعرابي ، والبيتان سقطا من كب وألحقا بالهامش .
(2) مص : السم . . سماً .

---

(١) الخطام : الحبل .
(٢) الحمام : قضاء الموت وقَدَره ، من قولهم حُمَّ كذا أي قُدِّر .
(٣) صدره : بَلْ إنْ تَكُنْ قَدْ عَلَتْني كَبْرَةٌ
(ديوان عبيد : ١٦) والكبرة : الكبر في السن .

٣٦٤٤ وقال أعرابيٌّ[1] :

قَصَرَ الحَوَادِثُ خَطْوَهُ فَتَدَانَى ... وحَنَيْنَ صَدْرَ قَنَاتِهِ فَتحَانَى
صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ فُنُونِهِ ... فَأَرَاهُ مِنْهُ شِدَّةً ولَيَانَا
يا[2] مَنْ لِشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ ... أَنْضَى ثَلاثَ عَمَائِمِ أَلْوَانَا(١)
سَوْدَاءَ داجِيَةً وسَحْقَ مُفَوَّفٍ ... وأجَدَّ أُخْرَى بَعْدَ ذَاكَ هِجَانَا(٢)
ثُمَّ المَمَاتُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... وكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا

٣٦٤٥ وقال آخر يذكر الشبابَ :

لَمَّا مَضَى ظَاعِناً عَنَّا فَوَدَّعَنَا ... وكَانَ كَالمَيِّتِ لم يَتْرُكْ لَهُ عَقِبَا
عُدْنَا إلى حَالَةٍ لا نَسْتَطِيعُ لَهَا ... وَصْلَ الغَوَاني وعَابَ[3] الشَّيْبَ مَنْ لَعِبا

٣٦٤٦ وقال محمود الوَرَّاق : ٢/٣٢٦

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الأَجَلْ ... وبُعْدِ فَوَاتِ الأَمَلْ
ووافِدِ شَيْبٍ طَرَا ... بعُقْبِ شَبَابٍ رَحَلْ
شَبَابٌ كَأَنْ لم يَكُنْ ... وشَيْبٌ كَأَنْ لم يَزَلْ
طَوَاكَ بَشِيرُ البَقَا ... وجَاءَ بَشِيرُ الأَجَلْ(٣)
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِباً ... كَذَاكَ انْتِقَالُ الدُّوَلْ

٣٦٤٧ وقال أبو الأسود يذمّ الشبابَ :

غَدَا مِنْكَ أَسْبَابُ الشَّبَابِ فأَسْرَعَا ... وكَانَ كَجَارٍ بَانَ يَوْماً فَوَدَّعَا
فقُلْتُ لَهُ فاذْهَبْ ذَمِيماً فَلَيْتَنِي ... قَتَلْتُكَ عِلْماً قَبْلَ أنْ تَتَصَدَّعَا(٤)

---

(1) مص : آخر .
(2) كب ، مص : ما بال شيخ .
(3) كب : غاب .

---

(١) تخدد اللحم : اضطرب من الهزال ، وصارت فيه أخاديد . أنضى : أبلى وأخلق .
(٢) السحق : الثوب البالي . والمفوف : ما فيه خطوط بيض ، شبه به شعر الرأس حين خالط سواده بياض الشيب أول ما يبدو . وأجد : أبلى . والهجان : الخالصة البياض ، وهي العمامة الثالثة ، يعني حيث شمله الشيب .
(٣) طواك : جاوزك ، كأنه تركه وجازه إلى آخر كما يطوي المسافر منزلاً إلى منزل فلا ينزل . والأجل : الموت .
(٤) تتصدع : تتفرق ، وهو من قولهم : صَدَعَ الشيء ، إذا شقَّه نصفين ، وكل نصف منه صِدْعة وصَديع .

جَنَيْتَ عَلَيَّ الذَّنبَ ثُمَّ خَذَلْتَني عَلَيْـهِ فبِئْـسَ الخَلّتَـانِ هُمَـا مَعَـا
وكُنْتَ سَرَاباً ماصِحاً[1] إذْ تَرَكْتَني رَهِينَةَ ما أجْنِي مِنَ الشَّرِّ أجْمَعَا(١)

٣٦٤٨ وقال آخر :

اسْتَنْكَـرَتْ شَيْـبي فَقُلْـتُ لَهَـا لَيْسَ المَشِيبُ بناقِصٍ عُمْرِي
وتَنَفَّسَـتْ بـي هِمَّـةٌ وَصَلَـتْ أَمَلِـي بكُـلِّ رَفِيعَـةِ الـذِّكْـرِ

٣٦٤٩ روى عبد الله بن حَفْص الطائي[2] ، عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدّي ، عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اخْضِبُوا بالسَّواد ، فإنه أُنسٌ للنساء ، وهَيبةٌ للعدوّ .

٣٦٥٠ قال عَمْرُو[3] بن المبارك الخُزَاعيّ :

مَـــنْ لأُذْنِـــي بمَـــلامِ ولِكَفِّـــي بمُـــدَامِ(٢)
دقّ عَظْـمُ الجَهْـلِ مِنِّـي وانْثَنَى سِـنُّ[4] عُـرَامـي(٣)
وتَمَشَّـى الفَـذُّ مِـنْ شَيْـ ـبي إلَى الشَّيْبِ التُّؤَامِ(٤)
نَظْمَـكَ الـدُّرَّ إلـى الـدُّرَّ ةِ فـي سِلْـكِ النِّظَـامِ(٥)

٢/ ٣٢٧

٣٦٥١ وقال أبو العَتَاهِية :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ المَشِيبُ ونَادَتْكَ بِأَسْمِ سِوَاكَ الخُطُوبُ
فكُـنْ مُسْتَعِـداً لِـدَاعِـي المَنُـونِ فَكُـلُّ الَّـذِي هُـوَ آتٍ قَـرِيـبُ

---

(1) كب ، مص : ما ضحا .
(2) كب ، مص : الطاحي ، تصحيف .
(3) كب ، مص : عمر ، تحريف .
(4) كب ، مص : شن .

---

(١) الماصح : الذاهب ، ووصف السراب بذلك لأنه كاذب خادع ، يُري الناس ما لا أصل له . رهينة ما أجني : أي مأخوذ بما أجني ، والرِّهان : هو ما وضع عند الإنسان لينوب مناب ما أُخذ منه .
(٢) المدام : الخمر ، وهي المُدامة ، لأنه ليس شيء يستطاع إدامة شربه إلا هي ، وقيل لإدامتها في الدن زماناً .
(٣) العرام : الشدة والقوة والشراسة .
(٤) الفذ : الفرد الوحيد . التؤام : جمع توأم ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، واستعارها للمزدوجات من الشيب .
(٥) نظم الدر : جمعه في السلك . والنظام : ما نظمت ، أي ما جمعت ، فيه الجوهر أو الحجر الثمين من خيط وغيره .

وقَبْلَكَ دَاوَى المَرِيضَ الطَّبِيبُ   فعَاشَ المَرِيضُ ومَاتَ الطَّبِيبُ
يخَـافُ عَلَـى نَفْسِـهِ مَـنْ يَتُـوبُ   فكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لا يَتُوبُ

٣٦٥٢ محمدُ بن سَلاَّم قال : سمعتُ يونسَ بن حبيب يقول : لا تَأمنْ[1] مَنْ قَطَع في خمسةِ دراهم خيرَ عُضْوٍ منك أن يكون عقابه هكذا غداً .

* * *

(1) كب ، مص : يأمن .



الدنيـــا

٣٦٥٣ حَدَّثني أبو مسعود الدَّارِميّ ، قال : حَدَّثني جَدّي خِراشٌ :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أصبحتِ الدنيا هَمَّه وسَدَمه نَزَعَ اللهُ الغِنَى مِنْ قلبه ، وصَيَّر الفقرَ بين عينيه ، ولم يأته مِنَ الدنيا إلا ما كُتبَ له ، ومَنْ أصبحتِ الآخرةُ هَمَّه وسَدَمه نزعَ اللهُ الفقرَ مِنْ قلبه ، وصَيَّر الغِنَى بين عينيه ، وأتته الدنيا وهي راغِمةٌ »(١) .

٣٦٥٤ حَدَّثني محمد بن داود ، قال : حَدَّثنا أبو الربيع ، عن حَمَّاد ، عن عليّ بن زيد :

عن الحسن : أن النبي ﷺ قال للضحّاك بن سفيان : « ما طَعامُكَ ؟ » قال : اللحمُ واللبنُ ، قال : « ثم يصير إلى ماذا ؟ » قال : ثم يصيرُ إلى ما قد عَلمتَ ، قال : « فإنّ اللهَ ضربَ ما يخرجُ مِنِ ابنِ آدم مثلاً للدّنيا »(٢) . ٢/ ٣٢٨

٣٦٥٥ قال : وكان بشيرُ بن كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أُرِيَكم الدّنيا . فيجيءُ فيقفُ بهم على السُّوقِ ، وهي يومئذ مَزْبَلَةٌ ، فيقول : انظروا إلى عَسَلهم وسَمْنِهم وإلى دَجَاجهم وبطّهم صار إلى ما تَرَوْن .

٣٦٥٦ حَدَّثني هارون بن موسى ، قال : حَدَّثنا محمد بن سعيد القُزويني ، عن عمرو[1] بن أبي قيس ، عن هارون بن عنترة :

عن عمرو بن مرّة ، قال : سُئلَ رسولُ الله ﷺ عن قول الله : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] فقال : « إذا دخل النورُ القلبَ وانفسحَ شُرِحِ لذلك الصدرُ » ، قالوا : يا نبيّ الله، هل لِذلكَ آيةٌ يُعرَفُ بها ؟ قال: « نعم، الإنابَةُ إلى

---

(1) كب : عمر ، خطأ .

---

(١) إسناده واهن جداً، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله.
السَّدَم : الولوع بالشيء واللهج به . راغمة : ذليلة ، والرّغم يستعمل في الذل والعجز والخضوع والانقياد على كره .

(٢) إسناده مرسل ، وللحديث طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب .

دار الخلود ، والتَّجافي عن دار الغرور ، والاستعدادُ للموت قبلِ نُزول الموتِ »[١] .

٣٦٥٧ بلغني عن العُتْبيّ ، عن حَبيب العَدَويّ :

عن وَهْب بن مُنَبِّه ، قال : رأينا ورقةً يَهفُو بها الريحُ فأرسَلْنا بعضَ الفِتيانِ فأتانا بها ، فإذا فيها : الدنيا دارٌ لا يُسلَمُ منها إلا فيها ، ما أخذَ أهلُها منها لها خرجوا منها ثم حُوسِبوا به ، وما أخذَ منها أهلُها لغيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه ، وكأنَّ قوماً مِنْ أهلِ الدنيا ليسوا مِنْ أهلها ، هم فيها كمَنْ ليس فيها ، عَمِلوا بما يُبْصِرون وبادَرُوا ما يحذَرون ، تتقلَّبُ[1] أجسادُهم بين ظهرانَيْ أهل الدنيا ، وتتقلَّبُ قلوبهم بين ظهرانَيْ أهل الآخرة ، يَرَوْن الناسَ يُعظّمون وفاةَ أجسامهم وهم أشدُّ تعظيماً لموت قلوب أحيائهم .

فسألتُ عن الكلام فلم أجد مَنْ يعرفه .

٣٦٥٨ وقال المسيح عليه السلام : الدُّنْيا قنطرةٌ فأعبُرُوها ولا تعمُرُوها .

٣٦٥٩ وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا : مَنْ خَدَمني فاخدُميه ، ومنْ خَدَمكِ فاستخْدِميه . ٢/٣٢٩

٣٦٦٠ قال بعضُ العابدين[2] يذكُر الدنيا :

لَقَدْ غَرَّتِ الدُّنْيَا رِجَالًا فأصْبَحُوا ... بِمَنْـزِلَـةٍ مـا بَعْـدَهَـا مُتَحَـوَّلُ

فَسَـاخِـطُ أمْـرٍ لا يُبَـدَّلُ غَيْـرَهُ ... وَرَاضٍ بـأمْـرٍ غَيْـرَهُ سَيُبَـدَّلُ

وبـالِـغُ أمْـرٍ كَـانَ يَـأمُـلُ دُونَـهُ ... ومُخْتَلِجٌ مِنْ دُونِ ما كَانَ يَأْمُلُ

٣٦٦١ وقال آخرُ يذكر الدنيا :

حُتُـوفُهَـا رَصَـدٌ وعَيْشُهَـا رَنَـقٌ ... وكَـرُّهَـا نَكَـدٌ ومُلْكُهَـا دُوَلُ[٢]

٣٦٦٢ وقال آخر :

نُرَاعُ لِذِكْرِ المَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ ... وتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو ونَلْعَبُ

---

(1) كب : تنقلب .

(2) كب : العبدين .

---

(١) إسناده مرسل ، والحديث رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١١ بإسناد واهن جداً .

(٢) رصد : مترصدة مترقبة ، ويقال : الرصيد ، للحية ، التي تَرْصُد المارة على الطريق ، وللسبع الذي يَرْصُد ليثب ، فكأنه شبه فجاءات الموت بهما . رنق : كدر . دول : جمع دولة (بضم أوله) أي يتداوله مرة هذا ومرة هذا .

ونَحْنُ بَنُو الدُّنْيا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا   وما كُنْتَ مِنْهُ فَهْوَ شَيْءٌ مُحَبَّبُ(١)

٣٦٦٣ وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخولاً أخرجَنَا منها .

٣٦٦٤ ذَمَّ رجلٌ الدنيا عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال عليّ عليه السلام : الدنيا دارُ صِدقٍ لِمَنْ صَدّقها ، ودارُ نَجاةٍ لِمَنْ فَهِم عنها ، ودارُ غِنًى لِمَنْ تَزوَّدَ منها ، مَهْبِطُ وَحْيِ الله ، ومُصلَّى ملائكتهِ ، ومَسْجِدُ أنبيائه ، ومَتْجَرُ أوليائه ، رَبِحُوا منها الرحمَةَ واحْتسَبُوا فيها الجنةَ ، فمَنْ ذا يذمُّها وقد آذَنَتْ بَيْنها(٢) ، ونادَتْ بِفُراقها ، وشَبَّهَتْ بسرُورها السّرورَ ، وببلائها البلاءَ ، ترغيباً وترهيباً ؟ فيأيُّها الذامُّ الدنيا المعلِّلُ نفسَه ، متى خَدَعَتْك الدنيا ، أم متى استذمَّتْ إليك(٣) ! أبمصارع آبائك في البِلَى ! أم بمضاجع أمهاتك في الثّرى ! كم مَرّضْت بيديك ، وعَلّلتَ بكفّيك ، تطلُبُ له الشفاء ، وتَسْتَوصِفُ له الأطباءَ ، غداةَ لا يُغْني عنه دواؤك ، ولا ينفعه[1] بكاؤك .

٢/ ٣٣٠

٣٦٦٥ كان إبراهيم بن أدهم العِجْلِيّ يقول :

نُرَقِّعُ[2] دُنْيَانَا بتَمْزِيقِ دِينِنَا   فَلا دِينُنَا يَبْقَى ولا ما نُرَقِّعُ

٣٦٦٦ قال أبو حازم : وما الدنيا ! أمَّا ما مَضَى فحُلْمٌ وأمَّا ما بقي فأمانيّ .

٣٦٦٧ قال سفيانُ : أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء : اتَّخِذِ الدنيا ظِئْراً والآخرةَ أُماً(٤) .

٣٦٦٨ قال الشَّعْبيّ : ما أعلمُ لنا وللدنيا مَثَلاً إلا ما قال كُثَيِّرٌ :

أَسِيئي بنا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ   لَدَيْنَا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ(٥)

---

(1) كب ، مص : ينفعك .   (2) كب : نمزق ، في كلا الموضعين .

---

(١) قال ابن عبد ربه : اعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يجانسه في بعض طبائعه ، وأن الدنيا جانست الإنسان في طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه (العقد الفريد ٣/ ١٧٦) .

(٢) البين : الفراق ، وهو من الأضداد ، يكون الفراق ويكون الوصال . وآذنت بينها : نادت وأعلمت ، يقول الرجل للرجل : لم تُؤْذِنِّي بكذا وكذا ، أي لم تُعْلمنيه .

(٣) استذمت إليك : فعلت ما تذمها على فعله .

(٤) الظئر : العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له ، من الناس والإبل ، الذكر والأنثى في ذلك سواء . يقول : لا تتخذها أصلاً .

(٥) أسيئي بنا : لفظه لفظ الأمر ومعناه الشرط ، لأنه لم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها . وتقلت : أصله تقليتِ ، أي تبغضت ، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة ، يقال : قلاه يَقْليه ويَقْلاه ، وقليته ، إذا أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته .

٣٦٦٩ قال بكر بن عبد الله : المستغني عن الدنيا بالدنيا كالمطفيء النارَ بالتِّبْنِ[1] .

٣٦٧٠ قال ابن مسعود : الدنيا كلُّها غمومٌ ، فما كان منها[2] في سرورٍ فهو ربح .

٣٦٧١ قال محمد ابن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

٣٦٧٢ وقال بعضُ الحكماء : مَثَلُ الدنيا والآخرةِ مَثَلُ رجل له ضَرَّتان إنْ أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

٣٦٧٣ قال سفيان : ترك لكم الملوكُ الحكمةَ فَاترُكوا لهم الدنيا .

٣٦٧٤ وقال آخر : إن الدنيا قد استودَقَتْ وأنعظَ الناسُ(١) .

٣٦٧٥ قال وُهَيبُ بن الورد : مَنْ أرادَ الدنيا فَلْيَتهيَّأ للذلّ . ٢/ ٣٣١

٣٦٧٦ قيل لمحمد بن واسع : إنك لَترضَى بالدُّون ، فقال : إنما رضِيَ بالدُّونِ مَنْ رضي بالدنيا .

٣٦٧٧ قيل لعليّ بن الحسين : مَنْ أعظمُ الناس خَطَراً ؟ فقال : مَنْ لم يَرَ الدنيا خَطراً لنفسه .

٣٦٧٨ كان يقال : لأَنْ تُطلَبَ الدنيا بأقبحِ ما تُطلبُ به الآخرة[3] أحسنُ مِنْ أنْ تُطلَبَ بأحسنِ ما تُطلَبُ به الآخرة .

٣٦٧٩ قالتِ امرأةٌ لبعلها ورأته مهموماً : مِمَّ هَمُّكَ ؟ أبالدُّنيا فقد فرغ اللهُ منها ، أم بالآخرة فزادك اللهُ هماً !

٣٦٨٠ الثَّوْريّ قال : قال المسيحُ : حبُّ الدنيا أصلُ كلِّ خطيئةٍ ، والمالُ فيها داءٌ كثيرٌ . قيل : ما داؤه ؟ قال : لا يَسلمُ [صاحبه] من البَغْي[4] والكِبْر . قيل : وإن سَلم ؟ قال : يَشْغَلُه إصلاحُه عن ذكر الله(٢) .

٣٦٨١ بلغني عن محمد بن فُضَيلٍ ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، عن سالم بن أبي الجَعْد :

---

(1) كب : بالتين .
(2) كب ، مص : فيها من .
(3) كب ، مص : الدنيا ، خطأ .
(4) كب ، مص : الفخر .

---

(١) يقال : ودقت الفرس واستودقت ، إذا طلبت الفحل . وأنعظ الرجل والمرأة : اشتهيا الجماع . يقول : الدنيا أبرزت مفاتنها والناس جمح بهم حبها ، فهم في شهوة عارمة .
(٢) إصلاح المال : تثميره والاعتناء به .

عن أبي الدرداء ، قال : يا أهل حِمْصَ ، ما لي أراكم تجمعونَ كثيراً ، وتبنُونَ شَديداً ، وتأمُلُون بعيداً ! إنّ منْ قبلكم جمعوا كثيراً ، وبَنَوْا شديداً ، وأمَلوا بعيداً ، فصار جمعهم بُوراً ، وصارتْ مساكنُهم قبوراً ، وأملُهم غُروراً .

٣٦٨٢ وفي رواية أخرى : يا أهل دمشق[١] ، ما لكم تجمعون ما لا تأكون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأمُلُون ما لا تُدركون ! أَلَا إنَّ عاداً وثمودَ كانوا قد مَلأوا ما بين بُصرى وعَدَن أموالاً وأولاداً ونَعَماً ، فمنْ يَشْتَري مِنّي ما تركوا بدرهمين !

٢/ ٣٣٢ ٣٦٨٣ بلغني عن داود بن المُحَبَّر ، عن عبد الواحد بن الخطّاب ، قال :

أقبلنا قافلين مِنْ بلاد الروم نُريدُ البصرةَ، حتى إذا كنا بين الرَّصَافة[٢] وحِمْص سمعنا صائحاً يصيح مِنْ بين تلك الرمال ـ سمعته الآذان ولم تره العيونُ ـ يقول : يا مستورُ يا محفوظُ ! اعْقِلْ في سِتْر مَنْ أنتَ ! فإن كنتَ لا تعقِلُ [مَنْ أنتَ] في ستْره فاتَّقِ الدنيا فإنها حِمَى الله ؛ فإن كنتَ لا تعقِلُ كيف تتَّقيها فَصَيِّرْها شوكاً ، ثم انظر أين تضَعُ قدميكَ منها .

٣٦٨٤ قال المأمون : لو سُئلَتِ الدنيا عن نفسها ما أحسَنَتْ أنْ تصفَ نفسَها صِفَةَ أبي نُوَاسٍ في هذا البيت :

إذا اخْتَبَرَ الدُّنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيقِ

٣٦٨٥ قال المسيحُ عليه السلام : أنا الذي كَفَأْتُ الدنيا على وجهها ، فليسَتْ لي زوجةٌ تموتُ ولا بيتٌ يَخرَبُ .

٣٦٨٦ قال أبو العتاهية :

يـا مَـنْ تَـرَفَّـعَ بـالـدُّنْيـا[1] وزِينَتِهـا لَيْسَ التَّرَفُّعُ رَفْعَ الطِّيْنِ بالطِّيْنِ

(1) كب ، مص : للدنيا .

(١) كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب : إن أهل الشام قد كثروا ، وملأوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم . فدعا عمر : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الدرداء ، وقال لهم : ابدأوا بحمص ، فإذا رضيتم منهم ، فليقم بها واحد ، وليخرج واحد إلى دمشق ، والآخر إلى فلسطين . فقدموا حمص فكانوا بها ، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة بن الصامت ، وخرج معاذ بن جبل إلى فلسطين ، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ، فلم يزل بها حتى وفاته سنة ٣٢ (سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٤) .

(٢) الرصافة : هي « رصافة هشام » ، تبعد ٢٥كم جنوب بلدة المنصورة في محافظة الرقة في سورية ، ولا تزال آثارها ماثلة إلى اليوم .

إذا أَرَدْتَ شَـرِيـفَ النَّـاسِ كُلِّهِـمُ فانْظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيِّ مِسْكِينِ[1]

٣٦٨٧ وقال آخر وذكر الدنيا :

إذا تَـمَّ أمْـرٌ دَنَـا نَقْصُــهُ تَـوَقَّـعْ زَوَالاً إذا قِيـلَ تَـمّْ

٣٦٨٨ [وقال] آخر :

لا تَبْـكِ للـدُّنْيَـا ولا أهْلِهَـا وابْكِ لِيَوْمٍ تَسْكُنُ الحَافِرَهْ[2]

وابْـكِ إذا صِيحَ بـأهْـلِ الثَّرَى فاجْتَمَعُوا في ساحَةِ السَّاهِرَهْ[3]

ويْلَـكِ يـا دُنْيـا لَقَـدْ قَصَّـرَتْ آمَـالَ مَـنْ يَسْكُنـكُ الآخِـرَهْ

* * *

(١) بعده :

ذاك الذي عَظُمَتْ في الله حُرْمَتُهُ وذاك يَصْلُـحُ للـدنيـا وللـدِّيـنِ

(٢) الحافرة : الحفير ، وهو القبر .

(٣) الساهرة : وجه الأرض ، كأنما سميت بهذا الاسم لأن فيها الخلائق نومهم وسهرهم ، وأراد بعث الخلائق يوم القيامة .



مقامات الزهّاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهديّ

٣٦٨٩ قام فقال : إنه لمّا سَهُلَ علينا ما توعَّرَ على غيرنا مِنَ الوصول إليك ، قُمنا مَقامَ الأداء عنهم وعن رسول الله ﷺ بإظهار ما في أعناقنا مِنْ فَرِيضةِ الأمر والنَّهْي عند انقطاع عُذر الكِتْمانِ [في التقيَّة] ، ولا سيما حين اتَّسَمْتَ[1] بمِيسَم التواضُع ، ووَعَدْتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثارَ الحقِّ على ما سواه ، فجمعَنا وإياكَ مَشْهدٌ من مشاهد التمحيص لِيُتِمَّ مُؤَدِّينا على موعود الأداء [عنهم] ، وقابِلُنا على موعود القَبُول ، أو يَرُدَّنا[2] تَمحيصُ الله إيانا في اختلاف السرِّ والعلانية ، ويُحَلِّينا حِليةَ الكذَّابين ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : مَنْ حَجَب اللهُ عنه العلم عَذَّبَه على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أقبل إليه العلمُ وأدبرَ عنه ، ومَنْ أهدى اللهُ إليه علماً فلم يعمَل به فقد رَغِبَ عن هديّة الله وقَصَّر بها . فأقبلْ ما أهْدَى اللهُ إليكَ مِنْ ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ لا قبولَ سمعةٍ ورياءٍ ، فإنه لا يَعْدِمُك(١) منَّا إعلامٌ لما تَجهَلُ أو مواطأةٌ على ما تعلمُ أو تذكيرٌ [لك] مِنْ غفلةٍ ؛ فقد وطَّنَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات ، وتحصيناً مِنَ التمادي ، ودِلالةً على المخرَج ، فقال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾(٢) [الأعراف : ٢٠٠] : فأطْلِعِ اللهَ على قلبكَ بما يُنَوِّرُه مِنْ إيثار الحقِّ ومُنابذةِ الأهواء(٣) . ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

مقامُ رجل من الزهّاد بين يدي المنصور

٣٦٩٠ بينا[3] المنصورُ يطوفُ ليلاً إذ[4] سَمِع قائلاً يقول : اللهمَّ إني أشكو إليكَ ظُهورَ

---

(1) كب : ابتسمت .
(2) كب : يزدنا ، مص : يزيدنا .
(3) مص : بينما .
(4) سقطت من كب .

---

(١) لا يعدمك : لا يمتنع عنك ، يقال : أعْدَمَه ، إذا مَنَعه .
(٢) نزغ الشيطان : أغرى وأفسد فسوّل المعاصي .
(٣) المنابذة : الطرح والاجتناب ، وكلُّ طرح : نَبْذ ، يقال : نَبَذه يَنبِذه نَبْذاً ، ونَبَّذَه (شدد للكثرة) .

البَغي والفَسادِ في الأرض ، وما يحولُ بين الحقِّ وأهله مِنَ الطمع .

فخرج المنصورُ فجلس ناحيةً مِنَ المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلَّى الرجلُ ٢/ ٣٣٤ ركعتين واستَلَم الركنَ ، وأقبل مع الرسول فسلَّم عليه بالخلافة ، فقال المنصورُ : ما الذي سمعتُكَ تذكرُ مِنْ ظُهور البَغْي والفساد في الأرض وما يَحُول بين الحقِّ وأهله مِنَ الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامِعي ما أرمَضَني(١) . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أَمَّنْتَني على نفسي أنبأْتُك بالأمور مِنَ أصولها ، وإلا اْحتجزتُ منكَ واْقتصرتُ على نفسي ففيها لي شاغِلٌ . فقال : أنتَ [آمِنٌ] على نفسك [فقل] . فقال : إنّ الذي دخله الطمعُ حتى حال بينه وبين [إصلاح] ما ظَهَر مِنَ البَغْي والفساد لأنتَ . قال : وَيْحك ، وكيف يَدخلُني الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ في قَبْضَتي ، والحُلْو والحامض عندي ! قال : وهل دخل أحدٌ مِنَ الطمع ما دَخَلَكَ ! إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمينَ وأموالَهم فأغفلتَ أمورهم واهتممتَ بجمعِ أموالِهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حجباً[1] من الجِصِّ والآجُرِّ ، وأبواباً مِنَ الحديد ، وحَجَبَةً معهم السلاحُ ، ثم سجنتَ نفسَكَ فيها عنهم ، وبعثتَ عُمَّالَكَ في جباية الأموال وجَمْعها ، وقوَّيتَهم بالرجال والسلاح والكُراع(٢) ، وأمرتَ[2] بألَّا يدخُلَ عليك مِنَ الناس إلَّا فلانٌ وفلانٌ ـ نفرٌ سمّيتَهم ـ ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوفِ(٣) ولا الجائعِ العاري ولا الضعيفِ الفقير ، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حقٌّ ، فلما رآك هؤلاء النفرُ ـ الذين استخلصتَهم لنفسك ، وآثرتَهم على رعيّتك ، وأمرتَ ألَّا يُحجَبُوا عنك ، ـ تَجْبي الأموالَ ، وتجمُعها ولا تَقْسِمُها قالوا : هذا قد خان الله ، فما بالنا لا نخونُه وقد سَخَّرَ[3] لنا نفسَه ! فَأْتَمَروا بألَّا يصلَ إليك مِنْ علم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا ، ولا يخرجَ لك عاملٌ فيخالَف أمرَهُمْ إلا قَصَبُوه(٤) عندك وبَغَوْه[4] [الغوائل] حتى تسقُطَ منزلتُه ويَصْغُرَ قدرُه . فلما انتشر ذلكَ عنكَ وعنهم ، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم ، فكان ٢/ ٣٣٥

---

(1) كب ، مص : حجاباً .
(2) قرأتها مص : أمرتهم .
(3) كب ، مص : سجن .
(4) كب ، مص : نفوه .

---

(١) أرمضني : أوجعني وآلمني ، يقال : رَمِض الرجل ، إذا اشتد عليه الوجع أو الحر فقلق وتململ .
(٢) الكراع : الخيل ، وهي السلاح أيضاً .
(٣) الملهوف : المظلوم ينادي ويستغيث .
(٤) قصبوه : عابوه وشتموه ، يقال : قَصَبه يَقْصِبه وقَصَّبه ، إذا شتمه وعابه ووقع فيه .

أوّلَ مَنْ صانَعَهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بها[1] على ظلم رَعِيَّتِكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة مِنْ رعيتك لينالوا به ظلمَ مَنْ دونَهم ، فامتلأتْ بلادُ الله بالطمع بغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القومُ شُركاءك في سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء مُتظلِّم حِيلَ بينه وبين دخول دارك[2] ، فإن أراد رَفْع قِصَّتِه[3] إليك عند ظهورك وَجَدَك قد نَهَيْتَ عن ذلكَ ، وأوقفتَ[4] للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاء ذلك الرجل فبلَغَ بِطانَتَك [خبرُه](١) سألوا صاحبَ المظالم ألّا يرفعَ مَظْلِمَتَه إليك ، فإن المتظلِّم منه له بهم حُرمةٌ ، فأجابهم خوفاً منهم ؛ فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتلُّ عليه ، فإذا أُجْهِدَ[5] وأُحْرِجَ وظَهَرْتَ [لبعض شأنك] ، صَرَخ بين يديك ، فضُربَ ضَرْباً مُبَرِّحاً(٢) ليكون نَكالاً لغيره(٣) ، وأنت تَنْظر فلا تُنْكِر ، فما بقاءُ الإسلام على هذا !

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين [أسافر] إلى الصِّين ، فقَدِمتها مرَّةً وقد أُصيبَ مَلِكُها بسَمْعه ، فبكى يوماً بكاء شديداً فحَثَّه[6] جلساؤه على الصبر فقال : أما إني لست أبكي للبليَّة النازلة بي ، ولكني أبكي لمظلومٍ بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صوتَه ، ثم قال : أمَّا إذْ ذَهَبَ سمعي فإنَّ بَصَري لم يذهب ، نادُوا في الناس ألّا يلبَسَ ثوباً أحمرَ إلا متظلِّمٌ.

ثم كان يركب الفيل طرفَيْ نهاره ، وينظر هل يرى مظلوماً ! فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله غلبتْ رأفتُه بالمشركين [على] شُحِّ نفسه ، وأنت مؤمنٌ بالله ثم مِنْ أهل بيتِ نبيه لا تَغْلِب رأفتُكَ بالمسلمين على شُحِّ نفسك ! فإن كنتَ إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبراً في الطِّفل يسقط مِنْ بطن أمه ومالَه على الأرض مالٌ ، وما مِنْ مالٍ إلا ودونه يدٌ شحيحةٌ تحويه ، فما يزالُ اللهُ يلطُفُ بذلك الطفل حتى تَعْظُمَ[7] رغبةُ الناسِ إليه ، ولستَ بالذي تُعْطي بالله بل الله يعطي مَنْ يشاء ما يشاء . وإن قلتَ ٢/٣٣٦

---

(1) كب : بهم .
(2) كب ، مص : مدينتك .
(3) كب : قصة .
(4) كب : ووقفت .
(5) كب : جهد .
(6) كب : حداه .
(7) كب : يعظم .

---

(١) البطانة : الخاصة الذين يُنبسط إليهم ويُؤنس بهم ، ويقال : فلان بطانة لفلان ، أي مُداخِل له مؤانس .
(٢) المبرح : الشديد العذاب .
(٣) النكال : العبرة ، أي كان الضرب الشديد عبرة يَنْكُل أن يفعل مثلها فاعلٌ فيناله مثل الذي نال المستغيث المظلوم .

إنما أجمع المال لتَشديدِ السلطانِ فقد أراك الله عِبراً في بني أمية : ما أغنى عنهم ما جمعوا مِنَ الذهب والفضة وأعدُّوا مِنَ الرجال والسلاح والكُراع حتى أراد الله بهم[1] ما أراد . وإن قلتَ إنما أجمع المالَ لطلب غايةٍ هي أجسمُ مِنَ الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوقَ ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تُدركُ إلا بخلافِ ما أنتَ عليه يا أميرَ المؤمنين .

[انْظُر] هل تُعاقِبُ مَنْ عَصَاك بأشدَّ من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملِكِ الذي خَوَّلك مُلْكَ الدنيا ، وهو لا يعاقب مَنْ عصاه بالقتل ، ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، وقد[2] رأى ما[3] قد عُقِدَ عليه قلبُك ، وعَمِلته جوارحُك ، ونَظَرَ إليه بصرُك ، واجترحَتْه يداكَ ، ومشتْ إليه رِجْلاك ؟ هل يُغْني عنك ما شَحَحْتَ عليه مِنْ مُلك الدنيا إذا انتزعَه مِنْ يدك ودعاكَ إلى الحساب [على ما مَنَحك] ؟

فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أُخْلَقْ ! ويحك ! فكيف أحتالُ لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ للناس أعلاماً يَفْزَعون إليهم في دينهم ويرضَوْن بهم ، فاجعلهم بِطانَتَكَ يُرشِدُوكَ ، وشاوِرْهم في أمرك يُسَدِّدُوك . قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني . قال : [نعم ،] خافوا أن تحمِلَهم على طريقتك . ولكن افتَحْ بابَكَ ، وسَهِّل حِجَابَكَ ، وانْصُرِ المظلومَ ، واقْمَعِ الظالم ، وخُذِ الفيءَ والصدقاتِ مما حلَّ وطابَ واقْسِمْه بالحقِّ والعَدْل على أهله ، وأنا الضامنُ عنهم أن يأتوكَ ويُسْعِدوك على صلاح الأمة .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، [فقام] وصَلَّى[4] وعاد إلى مجلسه ، وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجَدْ .

مقام آخر والمنصور يخطب

٣٦٩١ خَطبَ المنصورُ فحمِدَ اللهَ ومَضَى في كلامه ، فلما انتهى إلى أشهد أن لا إله إلا اللهُ وَثَبَ رجلٌ مِنْ أقصى المسجد فقال : أُذَكِّرك مَنْ تُذَكِّرُ [به] . فقال المنصور : سمعاً لمن فَهِم عن الله وذَكَّرَ به ، وأعوذ بالله أنْ أكونَ جبّاراً عصِياً ، وأن تأخذني العِزَّةُ بالإثم ، لقد ضَلَلْتُ إذاً وما أنا من المُهْتدين . وأنتَ واللهِ أيها القائل ما أردتَ بها [وجهَ] اللهِ ، ولكن حاولتَ أن يقال : قام فقال فعوقِبَ فصَبَر ، وأهونْ بقائلها لو ٢/٣٣٧

---

(1) كب ، مص : بكم .
(2) كب ، مص : قد (بسقوط الواو) .
(3) سقطت من كب .
(4) كب ، مص : فصلى .

هَمَمْتُ ، فاهتَبِلها[١] ويلكَ إذ عفوتُ ، وإياكم معشرَ الناس وأختَها ؛ فإن الموعظة علينا نزَلَت ، ومِنْ عندنا انبثّتْ ، فرُدُّوا الأمر إلى أهله يُصْدِرُوه كما أوردوه .

ثم رَجَع إلى خطبته فقال : وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه .

مقام عمرو بن عُبَيد بين يدي المنصور

٣٦٩٢ قال للمنصور : إن الله أعطاك الدنيا بأسْرِها ، فاشترِ نفْسَك [منه] ببَعْضها ، واذْكُر ليلةً تَمَخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعده .

فوجَمَ أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو ، أغمَمْتَ[1] أمير المؤمنين . فقال عمرو : إن هذا صَحِبَك عشرين سنة لم ير لك عليه أن يَنْصَحَكَ يوماً واحداً ، وما عَمِلَ وراءَ بابك بشيءٍ مِنْ كتاب الله ولا سنّة نبيّه ؛ قال أبو جعفر : فما أصنع ! قد قلتُ لكَ : خاتمي في يدك فتعالَ وأصحابك فاكفِني . قال عمرو : ادعُنا بعدلك تسْخُ أنفسُنا بعونك ؛ ببابك ألف مَظْلِمةٍ ارْدُدْ منها شيئاً نعْلَمْ أنك صادقٌ .

مقام أعرابيّ بين يدي سليمان

٣٦٩٣ قام فقال : إني مُكَلِّمُكَ يا أميرَ المؤمنين بكلام فيه بعضُ الغِلظةِ فاحتَمِلْهُ إن كرهتَه ، فإن وراءه ما تُحبُّه إن قبلتَه . قال : هاتِ يا أعرابيّ . قال : فإني سأُطلِقُ لساني بما خَرِسَتْ عنه الألسُنُ مِنْ عِظَتك تأديةً لحِقِّ الله وحقِّ إمامتك : إنه قد اكتنفَكَ رجال أساؤوا الاختيارَ لأنفسهم ، فابتاعوا دنياكَ بدينهم ورِضَاكَ بسخط ربّهم ، خافوكَ في الله ولم يخافوا اللهَ فيكَ ، فهم حَرْبٌ للآخرة سِلْمٌ للدنيا ، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنّهم لم[2] يألوا الأمانة تَضْييعاً والأمة عَسْفاً وخسفاً ، وأنت مسؤول عما اجْتَرَحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحتَ[٢] ، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتكَ ، فإنّ أعظم الناس غَبْناً منْ باع آخرتَه بدنيا غيره .

٢/ ٣٣٨

(1) مص : غممت . وكلاهما صواب . (2) كب ، مص : لن .

(١) اهتبلها : اغتنمها ، والاهتبال : الاغتنام وانتهاز الفرصة .

(٢) الاجتراح : الاكتساب ، وإنما سميت « الجوارح » من الطير والسباع والكلاب لأنها تَجْرَح لأهلها ولأنفسها ، أي تكسب لهم .

قال سليمان : أمّا أنت يا أعرابيّ فقد[1] سلَلتَ لسانَكَ ، وهو أقطعُ سيفيكَ . فقال : أجلْ ، [ولكن] لكَ لا عليكَ .

مقام أعرابيّ بين يدي هشام

٣٦٩٤ قال : أتتْ على الناس سُنون ، أما الأولى فلَحَتِ اللحمَ[(١)] ، وأما الثانية فأكلتِ الشَّحْم ، وأما الثالثةُ فهاضَتِ العظمَ[(٢)] ، وعندكم فضولُ أموالٍ ، فإن كانتِ لله فاقسِمُوها بين عباده ، وإن كانت لهم ففيم تُحظَرُ عنهم ! وإن كانت لكم فتصدّقوا عليهم بها فإن الله يَجْزي المتصدّقين .

فأمر هشامٌ بمالٍ فقُسِم بين الناس ، وأمرَ للأعرابيّ بمالٍ ، فقال : أكلُّ المسلمين له مثل هذا ؟ قالوا : لا ، ولا يقوم بذلك بيتُ مالِ المسلمين . قال : فلا حاجةَ لي فيما يبعثُ لأئمةِ الناسِ على أمير المؤمنين .

مقام الأَوْزَاعي بين يدي المصنور

٣٦٩٥ ذكره عبدُ الله بن المبارك ، عن رجل من أهل الشام ، قال :

دخلتُ عليه فقال : ما الذي بَطَّأَ بك عنّي ؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، وما الذي تريد مني ؟ فقال : الاقتباسُ منك . قلتُ : انظر ما تقول ، فإنّ مكحولاً حَدَّثني ، عن عطية بن بُسْر ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ بَلَغَه عن الله نصيحةٌ في دينه فهي رحمةٌ ٢/٣٣٩ مِنَ الله سِيقَتْ إليه ، فإن قَبِلَها مِنَ الله بشكرٍ وإلّا كانتْ حُجَّةً مِنَ الله عليه ، ليزداد إثماً ولِيزْدادَ الله عليه غضباً . وإنْ بَلَغه شيءٌ مِنَ الحق فرضِيَ فله الرضا ، وإن سَخِط فله السخطُ ، ومَنْ كرهَه فقد كره اللهَ ، لأن الله هو الحق المبين » ، فلا تجهَلَنّ . قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمَعُ . قال الأَوْزاعيّ : فسَلَّ علَيَّ الربيعُ السيفَ وقال : تقول لأمير المؤمنين هذا ! فانتهرَه المنصورُ وقال : أمسِكْ .

ثم كَلَّمَه الأَوْزاعيّ ، وكان في كلامه أن قال : إنك قد أصبحتَ مِنْ هذهِ الخلافة بالذي

---

(1) كب : لقد .　　　(2) كب ، مص : بشير ، تصحيف .

---

(١) لحت اللحم : من قولهم لحوت الشجرة ، إذا أخذت لحاءها ، وهو قشرها .

(٢) هاضت العظم : كسرته بعد الجبور ، وهو أشد ألماً .

أصبحتَ به ، والله سَائِلُكَ عن صغيرها وكبيرها وفَتِيلها ونَقيرها(١) ، ولقد حَدَّثني عُروةُ بن رُوَيْم أنّ رسول الله ﷺ قال : « ما مِنْ راعٍ يبيتُ غاشاً لِرعيّته إلا حَرَّمَ اللهُ عليه رائحةَ الجنةِ »(٢) ، فحقيق على الوالي أن يكونَ لرعيته ناظراً ، ولِمَا استطاعَ مِنْ عَوراتهم ساتِراً ، وبالقِسْط فيما بينهم قائماً ، لا يتخوَّفُ محسنُهم منه رهَقاً ولا مسيئهم عدواناً ؛ فقد كانت بيد رسول الله ﷺ جريدةٌ يستَاكُ بها ويردَعُ عنه المنافقينَ ، فأتاه جبريلُ فقال : « يا محمدُ ما هذه الجريدةُ بيدكَ ! اقذِفْها لا تملأ قلوبَهم رُعباً »(٣) . فكيف مَنْ سَفَكَ دماءهم ، وشَقَّقَ أبشارهم(٤) ، وأنهبَ أموالهم ! يا أمير المؤمنين ، إنّ المغفورَ له ما تقدّم مِنْ ذنبه وما تأخر دعا إلى القِصاص مِنْ نفسه بخدش خدشه أعرابياً لم يتعمَّده ، فهبط جبريل فقال : « يا محمد إن الله لم يبعَثْكَ جباراً تكسِرُ قرونَ أمتك » . واعلم أنّ كلّ ما في يدك لا يعدِلُ شِربةً مِنْ شراب الجنة ولا ثمرةً مِنْ ثمارها ، قال رسول الله ﷺ : « لَقَابُ قوسِ أحدكم من الجنة أو [مَوْضعُ] قِدِّه[1] خَيْرٌ له من الدنيا بأسرها »(٥) . إن الدنيا تنقطِعُ ويزولُ نعيمها ، ولو بقي المُلْكُ لمن قبلكَ لم يصِل إليكَ . يا أمير المؤمنين ، ولو أنّ ثوباً مِنْ ثيابَ أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم ، فكيف مَنْ يَتَقَمَّصُه(٦) ! ولو أن ذَنُوباً مِنْ صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجَنَه(٧) ، فكيف بمن يتجرعُه ؟ ولو أنَّ حَلقةً مِنْ سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب ، فكيف مَنْ سُلِكَ فيها[2] ويُرَدُّ فضلُها على عاتقه ! وقد قال عمر بن

٢/ ٣٤٠

---

(1) كب : قذه . (2) كب : فيه .

---

(١) الفتيل : الخيط الذي في شق النواة . والنقير : ثقب صغير دقيق في غلاف البذرة ، يوجد عادة في الطرف الأمامي للبذرة . أي سيسأله الله تعالى عن أصغر الأشياء وأحقرها .

(٢) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب . وأراد ﷺ بغش الراعي لرعيته تضييعه ما يجب عليه في حقهم .

(٣) الجريدة : قضيب النخل .

(٤) الأبشار : جمع البشرة ، وهي ظاهر الجلد .

(٥) الحديث صحيح، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب. وقاب القوس: ما بين مقبضها وسيتها ، وسية القوس : ما عُطف من طرفيها ، ولها سيتان . والقد : المراد به السوط ، وهو في الأصل سير يقد من جلد غير مدبوغ ، وسمي السوط به لأنه يقد ، أي يقطع طولاً ، والقد : الشق بالطول .

(٦) يتقمصه : يلبسه قميصاً .

(٧) الذنوب : الدلو ، ولا تسمى ذنوباً وهي فارغة . والصديد : القيح . آجنه : جعله آجناً ، أي متغير الطعم واللون .

الخطاب : لا يُقوِّم أمرَ الناس إلا حَصيفُ العُقْدة ، بعيدُ الغِرّة[١] ، لا يَطَّلِعُ الناسُ منه على عورةٍ ، ولا يُحْنِقُ في الحقّ على جِرَّةٍ[٢] ، ولا تأخُذُهُ في الله لومةُ لائم .

وأعلم أنّ السلطان أربعة : أميرٌ يَظْلِفُ نفسَه وعُمّالَه[٣] ، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله ، وصلاتُه سبعونَ ألفَ صلاةٍ ، ويدُ الله بالرحمة على رأسه تُرفرفُ ؛ وأميرٌ رتَعَ ورتَع عُمّاله[٤] ، فذاك يحمِلُ أثقالَه وأثقالاً مع أثقاله ؛ وأميرٌ يَظْلِفُ نَفسَه ويرتَعُ عُمّالُهُ ، فذاكَ الذي باعَ آخرتَه بدنيا غيرِهِ ؛ وأميرٌ يرتَعُ ويَظْلِفُ عُمّالَهُ ، فذاكَ شرُّ الأكياسِ .

وأعلم يا أمير المؤمنين أنك قد أبتُليتَ بأمرٍ عظيم عُرِضَ على السَّمواتِ والأرض والجِبال فأبينَ أن يحملنه[1] وأشْفَقنَ منه ؛ وقد جاء عن جَدِّكَ في تفسير قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ ﴾ [الكهف : ٤٩] : أنّ الصغيرة التبَسّمُ ، والكبيرةَ الضّحكُ ، وقال : فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي !

فأُعيذك بالله أن يُخَيَّل إليك أن قرابتك برسول الله ﷺ تنفع مع المخالفة لأمره ، فقد قال رسول الله ﷺ : « يا صفية عمّة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد ، استوهبا أنفسكما من الله ، إني لا أُغني عنكما من الله شيئاً[٥] » . وكان جَدُّكَ الأكبر سأل رسولَ الله ﷺ إمارةً ، فقال : « أي عمّ ، نفسٌ تُحييها خيرٌ لك مِنْ إمارةٍ لا تُحصِيها »[٦] ، نظراً لعمه وشفقةً عليه أن يليَ فيجورَ عن سنته جناحَ بعوضة ، فلا يستطيعَ له نفعاً ولا عنه دفعاً .

٣٤١/٢

(1) كب : يحملنها .

(١) حصيف العقدة : المحكم الرأي ، الجيد التدبير . الغرة : الغفلة وقلة الفطنة للشر ، يقول : يقوم بالإمارة من جرب الأمور ومارسها .
(٢) الحَنَق : الغيظ . والجرة : ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه ، وأصل ذلك أن البعير يقذف بجرته ، وإنما وُضع موضع الكظم من حيث أن الاجترار ينفخ البطن والكظم بخلافه ، فيقال : ما يُحْنق فلان على جرة وما يكظم على جرة ، إذا لم ينطو على حقد وغل .
(٣) يظلف نفسه : يكفها ويمنعها عن هواها .
(٤) رتع : أكل وشرب في خصب وسعة ، وأصله من رتعت الماشية : إذا أكلت ما شاءت وجاءت وذهبت في المرعى نهاراً ، ولا يكون ذلك إلا في الخصب والسعة .
(٥) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . لا أغني عنكم : لا أنفعكم شيئاً ، ولا أستطيع أن أدفع عنكم عذاب الله إن لم تؤمنوا .
(٦) الحديث أخرجه البيهقي مرسلاً في سننه ١٠/٩٦ ورواه أحمد بن حنبل بمعناه ، مرفوعاً ، بإسناد صحيح ١٠/١٢٥ فيكون الحديث صحيحاً إن شاء الله لشاهده . وعمه : العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

هذه نصيحتي إن قبلتَها فلنفسك عملتَ ، وإن رددتها فنفسك بخَسْتَ ، والله الموفق للخير والمعينُ عليه . قال : بلى ! نقبلها ونشكرُ عليها ، وبالله نستعينُ .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

٣٦٩٦ قال خالد : وفدتُ عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدُّهْنَ ، وذلك في عام باكرَ وَسْمِيُّه وتتابعَ وَلِيُّه ، وأخذت الأرضُ زُخرُفَها[١] ، فهي كالزرابيّ المبثوثة والقَباطيّ المنشورة[٢] ، وثَرَاها كالكافور لو وُضِعَتْ به بَضْعة لم تُتَرَّبْ[٣] ، وقد ضُربتْ له سُرادقاتُ حِبَرٍ بعث بها إليه يوسفُ بن عمر من اليمن تتلألأ كالعِقْيان[٤] ، فأرسل إليّ فدخلت عليه ، ولم أزل واقفاً ، ثم نظر إليَّ كالمستنطِق لي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتمّ الله عليك نعمه ، ودَفَع عنك نِقمه ؛ هذا مَقامٌ زَيَّنَ اللهُ به ذكري وأطاب به نشري[٥] ، إذ أراني وجهَ أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامي هذا شيئاً هو أفضلُ مِنْ أن أُنَبِّه أمير المؤمنين لفضل نعمةِ اللهِ عليه ليحمَدَ اللهَ على ما أعطاه ، ولا شيءَ أحضرُ مِنْ حديثٍ سلف لملك مِنْ ملوك العجم إن أذن لي فيه حدّثته به . قال : هات . ٣٤٢/٢ قلتُ : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فَتاءُ السِّنّ وصحةُ الطِّباع وسَعَةُ المُلك وكثرةُ المال ، وذلك بالخَوَرْنَق ، فأشرف يوماً فنَظَرَ إلى[1] ما حوله ، فقال لمن حَضَره : هل علمتم أحداً أُوتي مثلَ الذي أُوتيتُ ؟ فقال رجلٌ من بقايا حَمَلة الحُجَّة[٦] : إن أذِنت لي تكلّمتُ . فقال : قل . فقال : أرأيتَ ما جُمِعَ لك ، أشيءٌ هو لك لم يزل ولا يزولُ ، أم هو شيءٌ كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك

(1) سقطت من مص .

(١) الوسمي : مطر الربيع الأول ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولي : المطر بعد الوسمي . والزخرف في الأصل : الذهب ، ثم سُمِّيت كل زينة زخرفاً ، ثم شبه كلُّ مُمَوَّه مُزَوَّر به ، فقيل : زخرف الأرض : لزينتها بالنبات ولتمام جمالها وكمالها .

(٢) الزرابي : البسط الملونة . والقباطي : جمع قُبطية ، وهي ثياب كتان بيض رقاق تعمل في مصر .

(٣) البضعة : القطعة من اللحم

(٤) السرداقات : جمع سرادق ، وهو الفسطاط ، بيت يتخذ من الشعر . حبر : مخيطة من قطن أو كتان مخطط . والعقيان : جمع عقيق ، واحدها عقيقة ، وهو معدن سليكي مجزع ، إذا صقل صار سطحه ذا زخرف وألوان جذابة تضرب إلى الحمرة .

(٥) نشري : حياتي .

(٦) الحجة : الدليل والبرهان ، أراد من حملة الكتب السماوية القديمة ، وهي حجة الله على خلقه .

يَزُولُ عنك ؟ قال : لا ! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول عنّي . قال : فسُررتَ بشيءٍ تذهب لذّتُه وتبقى تَبِعتُه ، تكون فيه قليلاً وتُرْتَهن به طويلاً ؟ فبكى ، وقال : أين المهربُ ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تُقيمَ في مُلكك فتعملَ فيه بطاعة ربّكَ ، وإما أن تُلقيَ عليك أمساحاً[١] ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربَّك حتى يأتيَ عليك أجلُكَ . قال : فما لي إذا أنا فعلت ذلك ؟ قال : حياةٌ لا تموت ، وشباب لا يَهْرَم ، وصحّة لا تَسْقَم ، وملك جديد لا يَبْلَى .

فأتى جبلاً فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عديّ بن زيد :

وتَفكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذْ أصْـ ـبَحَ يَوْماً وللهُدَى تَفْكِيرُ[٢]
سرَّهُ حَالُهُ وكَثْرَةُ ما يَمْـ ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ[٣]
فارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وما غِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إلى المَمَاتِ يَصِيرُ[٤]

فبكى هشام وقام ودخل[1] . فقال لي حاجبه : لقد كَسَبْتَ نفسَك شراً ، دعاك أمير المؤمنين لِتحدِّثَه وتُلْهِيَه وقد عرَفتَ علّتَه ، فما زِدْتَ على أن نَعيتَ إليه نَفْسَه ! فأقمتُ أياماً أتوقَّعُ الشرَّ ، ثم أتاني حاجبُه فقال : قد أمر لك بجائزةٍ وأذِنَ لك في الانصراف .

مقام محمد بن كعب القرظيّ بين يدي عمر بن عبد العزيز

٢/ ٣٤٣

٣٦٩٧ قال : إنما الدنيا سُوقٌ مِنَ الأسواق ، فمنها خرج الناسُ بما ينفعهم وبما يضرّهم ، وكم مِنْ قومٍ قد غرَّهم مثلُ الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموتُ فاستوعبَهم ، فخرجوا مِنَ الدنيا مُرمِلينَ لم يأخذوا لِما أحبّوا مِنَ الآخرة عُدَّةً ولا لما كرهوا جُنَّةً[٥] ، واقتسم ما جمعوا مَنْ لم يحمَدْهم وصاروا إلى مَنْ لا يعذِرُهم . فانظر الذي تُحبُّ أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فقَدِّمْه بين يديك حتى تخرجَ إليه ؛ وانظر الذي تكره أن يكون معك

(1) كب : دخل (بسقوط الواو) .

(١) الأمساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر يلبسه الرهبان .
(٢) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر بظهر الحيرة، والاسم فارسي معرب ، أصله الخرنكاه، أي موضع الشرب.
(٣) أراد بالبحر نهر الفرات . ومعرضاً: متسعاً، من قولهم: أعرض الثوب، إذا اتسع وعرض . السدير : أحد قصور النعمان في الحيرة، اتَّخذه لبعض الأكاسرة، وأصله «سَهْ دِير» أي ثلاث قِباب، لأنه كان في داخله ثلاث قباب بعضها في بعض .
(٤) ارعوى قلبه : كف عن الجهل وأحسن الرجوع عنه .
(٥) المرمل : الذي نفد زاده وافتقر . والجنة : الستر والوقاية .

إذا قَدِمْتَ ، فابتغِ به البدلَ حيث يجوز البدلُ ؛ ولا تذهَبنَّ إلى سِلْعةٍ قد بارت[1] على غيرك ترجو جوازَها عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبوابَ ، وسَهِّل الحجابَ ، وانصُر المظلومَ .

مقام الحسن عند عمر بن هُبَيرة

٣٦٩٨ كتبَ ابنُ هُبَيرةَ إلى الحسن وابنِ سِيرِين والشَّعْبيّ فقُدِم بهم عليه ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يكتب إليَّ في الأمر ، إن فعلتُه خفتُ على ديني ، وإن لم أفعله خفتُ على نفسي . فقال له ابنُ سِيرِين والشَّعْبيّ قولاً رَقَّقَا فيه ، وقال له الحسن : يا بن هُبَيرة ، إن اللهَ يمنعُك مِنْ يزيدَ ، وإنّ يزيدَ لا يمنعُكَ مِنَ الله . يا بن هُبَيرة ، خَفِ اللهَ في يزيد ولا تخفْ يزيدَ في الله . يا بن هُبَيرة ، إنه يُوشِكُ أنْ يبعثَ اللهُ إليك مَلَكاً فيُنزلَكَ عن سريرك إلى سَعَةِ قصرك ، ثم يخرجك عن سَعَةِ قصرك إلى ضِيقِ قبرك ، ثم لا يُنْجيك إلا عملُكَ . يا بن هُبَيرة إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمر لابن سِيرِين والشَّعْبي بألفين ؛ فقالا : رَقَّقْنا فرقَّقَ لنا .

* * *

(١) بارت السلعة : كسدت فلا خير فيها .



باب من المواعظ

كلام للحسن

٣٦٩٩ قال في كلام له : أُمَّتُكُم آخرُ الأمم وأنتم آخِرُ أمتكم ، وقد أُسْرِعَ بخياركم فماذا تنتظرون ! المعاينَةَ ؟ فكأن قَدْ(١) . هَيْهات هَيْهَات ! ذهبت الدنيا بحالٍ بمالها(٢) ، وبقيت الأعمالُ أطواقاً في أعناق بني آدم ؛ فيالها موعظةً لو وافقَتْ مِنَ القلوب حياةً ! [أمَا] إنه والله لا أمّةَ بعد أمتكم ، ولا نبيَّ بعد نبيكم ، ولا كتابَ بعد كتابكم ؛ أنتم تسُوقُون الناسَ والساعةُ تسوقكم ؛ وإنما يُنتظَرُ بأوّلكم أن يلحَقَ آخِرَكم . مَنْ رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً لم يضع لَبِنةً على لَبِنة ولا قَصَبةً على قصبة ، رُفِع له عَلَمٌ فشمَّر إليه(٣) ؛ فالوَحَا الوَحَا ، والنجاءَ النجاء(٤) . علام تعرّجون ؟ أُسْرِعَ بخياركم ، وأنتم كلّ يومٍ تَرْذُلُون(٥) . لقد صحبتُ أقواماً كانت صحبتُهم قرَّةَ العين وجَلاءَ الصدور ، وكانوا مِنْ حسناتهم أن تُردَّ عليهم أشفقَ منكم مِنْ سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلَّ الله لهم من الدنيا أزهدَ منكم فيما حرَّم اللهُ عليكم [منها] . مالي[1] أسمع حَسِيساً ، ولا أرى أنيساً ؛ ذهب الناسُ ، وبقيتُ في النَّسناس ؛ لو تكاشفتم ما تدافنتم(٦) ؛ تَهاديتُم الأطباقَ ولم تَهادَوا النصائحَ . يا بن آدم ، إن دين الله ليس بالتَّحَلِّي ولا بالتمني ، ولكنه ما وَقَر في القلوب وصدَّقته الأعمالُ .

---

(1) كب ، مص : إني .

---

(١) « قد » تفيد التوقع ، أي كأنكم تنتظرون ذلك . والمعاينة : رؤية العين .
(٢) بحال : بصفتها وصروفها وشأنها .
(٣) العلم : المنارة ، عنى طريق الآخرة . وشمر إليه : اجتهد في الوصول إليه (وانظر ما مضى برقم ٣٥٨٥) .
(٤) الوحا والنجاء : السرعة (وانظر ما مضى برقم ٣٥٢٩) .
(٥) تعرجون : تقيمون وتحتبسون ، والتعريج في الأصل : أن تحبس مطيتك مقيماً على رُفْقتك أو لحاجة . أراد قيامهم على الضلالة وحبس النفس عن فعل الخير . وترذلون : تصيرون أرذالاً ، أي تردوا إلى أرذل العمر ، وهو آخره في حال الكبر والعجز .
(٦) أي لو علم بعضكم بسريرة بعض لاستثقل جنازته ودفنه .

كلام لبعض الزهاد

٣٧٠٠ لا تغترّن بطول السلامة مع تضييع الشُّكر ، ولا تُعْمِلنَّ نعمةَ اللهِ في مَعْصيته ؛ فإن أقلّ ما يَجِبُ لمهدِيها ألا تجعلَها ذريعةً إلى مخالفته . واستَدْعِ شاردَ النِّعم بالتوبة ، واستَدِمِ الراهنَ منها بكرم الجِوَارِ ، واستفتح بابَ المزيد بحُسن التوكّل . أو ما عَلِمْتَ أن المستشعر لذُلّ الخطيئةِ المُخْرِجَ نفسَه مِنْ كُلَف الطاعة نَطِفُ الثَّناءِ ، زَمِرُ المروءةِ(١) ، قَصيُّ المجلس ، لا يُشاوَرُ وهو ذو بَـزَلاءَ(٢) ، ولا يُصَدَّرُ وهو جميل الرُّوَاءِ ، غامضُ الشّخص ، ضئيلُ الصوتِ ، نـزْرُ الكلام يتوقّع الإسكاتَ عند كلّ كلمةٍ ، وهو يَرى فضلَ مزيّته وصريحَ لُبِّه وحسنَ تَفْضِيلِه ، ولكن قَطعه سوءُ ما جنى على نفسه ، ولو لم تَطَّلِعْ عليه عيونُ الخليقة لهجسَت العقولُ بإدهانه(٣) . وكيف يمتنع من سُقوط القَدْرِ وظَنِّ المتفرّس[1] مَنْ عُرِّيَ مِنْ حِلْية التقوى وسُلِبَ طبائعَ الهُدَى ! ولو لم يَتَغَشَّ ثوبَ سريرته وقبيحَ ما أجنَّ مِنْ مخالفة ربه لقطعه العلمُ بقبيح ما قارفَ عن اقتدار ذَوي الطهارة في الكلام وإدلال أهل البراءة في النَّدِيّ .

٣٤٥/٢

كلام لغيلان

٣٧٠١ إن التراجعَ في المواعظ يُوشِكُ أن يُذْهِبَ يومَها ، ويأتي يومُ الصَّاخَّة(٤) ، كلُّ الخلقِ يومئذ مُصِيخٌ يستمعُ ما يُقالُ له ويُقضَى عليه ، ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه : ١٠٨] فاصمُتِ اليوم عما يُصْمِتكَ يومئذ ، وتَعَلَّمْ ذلك حتى تعلَمَه ، وابتغِه حتى تَجدَه ، وبادِرْ قبل أن تفجأَكَ دعوةُ الموت ، فإنها عنيفةٌ إلا ممَّنْ[2] رحم اللهُ ، فيُقْحِمكَ في دار تسمعُ فيها الأصواتَ بالحسرة والويل والثُّبور ، ثم لا يُقالون

---

(1) كب : المتقربين .
(2) كب : بمن .

---

(١) نطف الثناء : أي لا ثناء له ، جعل الثناء نطفاً ، أي فاسداً . وزمر المروءة : قليلها ، يقال : رجل زَمِرٌ بيِّنُ الزَّمارة والزُّمورة .
(٢) البزلاء : الرأي الجيد الحصيف .
(٣) الإدهان : اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام والنفاق والتليين في القول .
(٤) الصاخة : القيامة ، وهي في الأصل الصيحة تَصُخُّ الأسماع ، أي تقرعها فتصمها لشدتها .

ولا يُستعتَبونَ[١] . إني رأيتُ قلوب العِباد في الدنيا تخشَعُ لأيسر مِنْ هذا وتَقسُو عند هذا ، فانظُر إلى نفسك أعبدُ اللهِ أنت أم عَدوُّه ؛ فيا رُبَّ مُتعبّدٍ لله بلسانه ، مُعادٍ له بفعله ، ذلولٌ في الانسياق إلى عذاب السعير ، في أُمنيّة أضغاثِ أحلامٍ[٢] يَعْبُرها بالأماني والظّنون. فاعرِف نفسَكَ وسَلْ عنها الكتابَ المنيرَ، سُؤالَ من يُحِبّ أن يعلم، ٣٤٦/٢ وعِلمَ من يُحبّ أن يعمَلَ ، فإن الربّ جلّ ثناؤه لا يعذِر بالتعذير والتغرير ، ولكن يعذِرُ بالجِدّ والتشمير . اكتس نصيحتي ؛ فإنها كُسوةُ تقوَى ودليلٌ على مفاتح الخير ، ولا تكن كعلماء زمن الهَرْجِ[٣] إن وُعِظُوا أنِفُوا ، وإن وَعَظُوا عَنُفُوا . والله المستعان .

كتاب رجل إلى بعض الزهّاد

٣٧٠٢ كتب إليه : إنّ لي نفساً تُحِبُّ الدّعةَ[٤] ، وقلباً يألف اللذاتِ ، وهمةً تَسْتثقِلُ الطاعةَ ؛ وقد وهَّمتُ نفسي الآفاتِ ، وحَذَّرتُ قلبي الموتَ ، وزجرتُ هِمَّتي عن التقصير ؛ فلم أرضَ ما رجع إليّ منهنّ ، فأهدِ لي ـ رحمك الله ـ ما أستعينُ به على ما شكوتُ إليك ؛ فقد خفتُ الموت قبلَ الاستعدادِ .

٣٧٠٣ فكتب إليه : كَثُر تعجُّبي من قلبٍ يألَفُ الذنبَ ، ونفسٍ تطمئنُّ إلى البقاء ، والساعاتُ تَنقُلُنا والأيامُ تَطوِي أعمارَنا[1] ؛ فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له ، وكيف تنام عينٌ لا تدرِي لعلها لا تطرِفُ بعد رَقْدَتها إلا بين يدي الله ! والسلام .

وكتب رجل من العبّاد إلى صديق له

٣٧٠٤ إني لمّا رأيتُ الناسَ في اليقين متفقين ، وفي العمل متفاوتين ، ورأيت الحجةَ

---

(1) كب : أغمارنا .

---

(١) الحسرة : أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب (الذي أعيا وكَلَّ ، فلا منفعة فيه) . والويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب . والثبور : الهلاك والضياع . ولا يقالون : لا يصفح عنهم ، يقال : أقال الله فلاناً عَثْرته ، بمعنى الصفح عنه . ويُسْتعتبون : بمعنى لا يُقَالون ، يقال : استعتب فلان ، إذا رجع عن إساءته وطلب الرضا .

(٢) أضغاث أحلام : جمع ضغث ، وهو الحلم الذي لا تأويل له ولا خير فيه .

(٣) الهرج : الفتنة .

(٤) الدعة : العيش في خصب ولين وراحة .

واجبة ، فلم أر في يقينٍ قَصَّرَ بصاحبه عن عملٍ حجةً ، ولا في عملٍ كان بغيرِ يقينٍ منفعةً ؛ ورأيتُ مِنْ تقصيرِ أنفسنا في السعي لمرجوّ ما وُعِدَتْ والهرَبِ مِنْ مَخُوف ما حُذِّرَتْ ، حتى أسلمها ذلك إلى أن ضَعُفَتْ منها النيةُ ، وقلّ التحفظُ ، واستولى عليها السَّقَط[١] والإغفالُ ، واشتعَلَتْ منها الشّهوةُ ، ودعاها ذلك إلى التمرّغ في فضائح اللذّاتِ ، وهي تعلم أن عاقبتَها الندمُ ، وثمرتَها العقوبةُ ، ومصيرَها إلى النار إن لم يعفُ اللهُ ـ عجبتُ لعملِ امرىءٍ كيف لا يشبِهُ يقينَه ، ولعِلْم موقنٍ كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه ، حتى لا تكون الرغبةُ منه إلا إليه والرهبةُ منه إلا له .

٢/ ٣٤٧

وزادني عجباً أنّني رأيت طالب الدنيا أجدَّ مِنْ طالبِ الآخرة ، وخائفَها أتعبَ مِنْ خائف الآخرةِ ، وهو يعلم يقيناً أنه رُبَّ مطلوبٍ في الدنيا قد صار حين نيلَ حتفاً لطالبه ، وأنه رُبَّ مَخُوفٍ فيها قد لَحِقَ كَرْهاً بالهارب منه فصار حظاً له ، وأن المطلوبَ إليه من أهلها ضعيفٌ عن نفسه ، محتاجٌ إلى ربه ، مَملوكٌ[1] عليه مالُه ، مخزونةٌ عنه قدرتُه .

واعلم أن جِمَاعَ ما يسعى له الطالبُ ويهرُبُ منه الهاربُ أمران : أحدهما أجلُه ، والآخر رزقُه ، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملِكُه إلا الذي خلقه . فلم أدْرِ حين صار هذا اليقينُ في موضع الإيمان يقيناً لا شكَّ فيه ، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقينَ فيه ! وكيف ، حين اختُلِفَ في أمر الآخرة ، لم يُختلَفْ في أمر الدنيا ، فيكون خائفُ الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبراً له على تجشُّم المكروه[٢] ، وتجرُّعاً منه لغُصَصِ الغيظ ، واحتمالاً منه لفادح النَّصَب[٣] ، وعملاً له بالسخرة ، وتحفّظاً من أن يُضمِرَ له على غشّ أو يَهُمَّ له بخلاف ؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يَظهَرَ له بقولٍ أو فعلٍ ؛ ولو علمه ما قَدَر له على قطع أجل لم يَفْنَ ورزقٍ لم ينفَدْ ؛ فإن ابتُلِيَ بالسَّخَطِ من سلطانه فكيف حزنُه ووحشتُه ، وإن أنِسَ منه رِضاً عنه فكيف سُرورُه واختيالُه ! فإن قارفَ ذنباً إليه فكيف تضعضُعُه واستخذاؤه[٤] ،

---

(1) كب : مملول .

---

(١) السقط : الخطأ من القول والفعل .

(٢) التجشم : التكلف على مشقة ، يقال : جَشِم الأمر وتجشمه ، إذا تكلفه على مشقته .

(٣) فادح النصب : التعب المثقل الشديد .

(٤) التضعضع والاستخذاء : الخضوع والتذلل .

فإن نَدَبَه لأمرٍ فكيف خِفَّته ونشاطه ! وإن نهاه عنه فكيف حَذَرُه واتّعاظُه ! وهو يعلم أن خالِقَه ورازِقَه يعلَمُ سِرَّه وجهرَه ، ويراه في متقلَّبه ومثواه ، ويُعاينه في فضائحه وعورته ، فلم يَزَعْه عنها حياءٌ منه ولا تقيّةٌ له ، قد أمره فلم يأتمر ، وزَجره فلم يزدجر ، وحَذَّره فلم يَحذَر ، ووعده فلم يرغَبْ ، وأعطاه فلم يشكر ، وستره فلم يَزدَدْ بالستر إلا تعرّضاً للفضائح ، وكفاه فلم يقنع بالكفاية ، وضَمِنَ له في رزقه ما هو في طَلَبِهِ مُشيحٌ[1] ، ويقَّظه من أجله لما هو عنه لاهٍ ، وفَزَّعَه من العمل لما هو عنه بغيره مشغولٌ ؛ فسبحان مَنْ وَسِعَ ذلك حلمه وتغمّده مِنْ عباده عفوُه ؛ ولو شاء ما فعلوه ؛ و ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . ٣٤٨/٢

٣٧٠٥ **فأجابه** : إني رأيتُ اللهَ تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظمِ المواضع في أمر الدنيا والدين ، فهو غايةُ علمِ العالِم وبصرِ البصير وفهمِ السامعِ ، ليس كسائر الأشياء التي تدخلها الشبهاتُ ويَجرَحُها الإغفال ويشوبها الوَهْنُ ؛ وذلك أن الله تعالى جعل مَغرِسَه القلبَ[2] ، وأغصانَه العملَ ، وثمرتَه الثوابَ . وإنما جَعَلَ القلبَ لليقين مَغرِساً ، لأنه جَعَل الخمسَ الجوالبَ لعلم الأشياء كلّها إلى القلب : السمعَ والبصرَ والمجَسَّةَ والمَذاقَةَ والاسترواحَ[3] . فإذا صارت الأشياء إليه مَيَّز بينها العقلُ ، ثم صارت بأجمعها إلى اليقين ، فكان هو المثبتَ لها والموجِّهَ كلَّ واحدةٍ منهن جهتَها .

ولولا معرفةُ القلبِ بالعقل الذي جَعَله الله لذلك ، لم يفرُقْ سمعٌ بين صوتينِ مختلفينِ ، ولا بصرٌ بين صورتين متقاربتين ، ولا مجسَّةٌ بين شيئين غيرِ متشابهين .

ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرَفُ بها حالُ الضارّ والنافعِ في العاقبة عند الله تعالى .

فلما صار اليقينُ في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب ، أغصانُها العملُ وثمرتُها الثوابُ ، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرةُ نابتةَ الأصلِ بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتاً بلا عمل ؛ وأنه كما لا تكون الأغصانُ نابتةً بلا أصلٍ ، فكذلك لا يكون العملُ

---

(١) المشيح : الجاد في الأمر .

(٢) يعود الضمير على اليقين .

(٣) الحواس خمس في العرف العام ، وهي : البصر والسمع والشم والذوق (المَذَاقة) واللمس (المَجَسّة) ، وتسمى الحواس الظاهرة . والاسترواح : يقصد به « الروح » وتقابل المادة أو الجسد ، وهي الحقيقة المفكرة والذات التي تتصور الأشياء في مقابل الموضوع المتصور . لذلك جعلها من الجوالب لعلم الأشياء .

نافعاً إلا بيقين ؛ وكما أنه لا تُخلِفُ الثمرةُ في الطيب والكثرةِ إذا كان الأصلُ نابتاً والأغصانُ ملتفَّةً ، فكذلك يكون الثواب لمن صَحَّ يقينُه وحَسُنَ عمله .

٢/ ٣٤٩

وقد تعرِضُ للأعمال عوارضُ من العِلل : منهنّ الأملُ المثبِّطُ ، والنفسُ الأمّارةُ بالسوء ، والهوى المزيِّنُ للباطل ، والشيطانُ الجارِي من ابن آدم مجرَى الدم ، يضررن[1] بالعمل والثواب ، ولا يبلغ ضررُهن اليقين ، فيكون ذلك كبعِض ما يَعرِضُ للشجرة من عوارض الآفات فَتُذْوي أغصانها وتنثُر ورقَها وتَمنع ثمرتَها والأصل ثابتٌ ؛ فإذا تجلّت الآفةُ عادت إلى حال صلاحها . فماذا يُعجبك من عملِ آمرىء لا يشبه يقينَه وأن يقينَه لا يرتبط رجاءه وخوفَه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولَعَمْري لو أشبهَ عملُ امرىءٍ يقينَه فكان في خوفه ورجائه كالمُعَاينِ لما يُعاينه بقلبه مِنَ الوقوف بين يدي الله والنظرِ إلى ما وَعَد وأوعَدَ ، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلاً له عن الرجاء ، حتى يأتيَ على نفسه أوّلَ لحظةٍ ينظر بها إلى النار خوفاً لها أو إلى الجنة أسفاً عليها إذا حُرِمَها ، وإذاً لكان الموقنُ بالبعث بقلبه كالمعاين له يوم القيامة . وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقلَ فضلاً عن أن يعملَ !

وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه » ، فإن الله عزَّ وجلَّ خَلَق الإنسانَ ضعيفاً وجَعَله عجولاً ، فهو لضعفه موكَّل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ، وهو بعجلته موكَّل بحبّ الأعجل فالأعجل مما يشتهي ؛ وزاده حِرصاً على المخلَصِ من المكروه وطلباً للمحبوب حاجتُه إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طُبِعَ عليه القلبُ من حبّه وسَهُل على المخلوقين مِنْ طلبه ، لما انتفع بالدنيا مُنتفعٌ ولا عاش فيها عائشٌ . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحابَّها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليتُ به لذنبٍ سَلَف منّي ، وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رُزِقتُه بحسنةٍ كانت مني، فهو ثواب عُجِّلَ ؛

٢/ ٣٥٠

وهو مع هذا يعلم أن حلومَ المخلوقين إلى الضّيق ، وأن قلوبَ أكثر مُسَلِّطِيهم إلى القسوة ، وأن العيبَ عنهم مستورٌ ، فليس يلتمس ملتمسهم إلا علمَ الظاهر ولا يضع إلا به ، ولا يلتفتُ من آمرىءٍ إلى صلاح سريرته دون صلاح علانيته . ومن طباع الإنسان اللؤمُ ، فليس يَرضَى إذا خِيفَ إلا بأن يُذِلّ ، ولا إذا رُجِيَ إلا بأن يُتعِبَ ، ولا إذا غَضِبَ إلا بأن يُخضَعَ له ، ولا إذا أمَرَ إلا بأن يُنفَّذَ أمرُه ، ولا ينتفع المتشفع[2]

---

(1) كب : يضرون .

(2) كب : المنتفع .

بإحسانه عنده إذا أساء ، ولا المطيعُ بكثرة طاعته في المعصية الواحدة إذا عصى ، ولا يرَى الثوابَ لازماً له ولا العقابَ محجوراً عليه ، فإن عاقَبَ لم يَستَبْق ، وإن غَضِبَ لم يتثَبَّتْ ، وإن أساء لم يَعتذِر ، وإن أذنبَ إليه مذنبٌ لم يَغفر ؛ واللطيفُ الخبير يعلمُ السريرةَ فيغفِرُ بها العلانيةَ ، ويمحو بالحسنة عشراً من السيئات ، ويصفحُ بتوبةِ الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن اسْتُغفِر غَفَر ، وإن أُطيعَ شكر ، وإن عُصِيَ عَفَا ، ومِن وراءِ عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمتُه التي وسعت كلَّ شيء ، وشهادةُ الحق التي لا يزكو إلا بها عمل ، وشفاعة النبيّ ﷺ ؛ وهذا كله مثبِّتٌ لليقين ، باسطٌ للأمل ، مُثَبِّطٌ عن العمل إلا منْ شاء الله وقليلٌ ما هُمْ .

فلا تَحمِلْ نَطَفَ عملك[1] على صحة يقينك فتُوهِنَ إيمانَك ، ولا تُرخِّصْ لنفسك في مُقارفة الذنوب ، فيكونَ يقينُك خصماً لك وحُجّةً عليك ؛ وكَذِّب أملَك وجاهِد شهوتَك ، فإنهما داءاك المخوفان على دينك المعتونانِ[2] على هَلَكتكَ . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظة مستعملة

٣٧٠٦ وكيع ، عن مِسْعَر ، عن زيد العَمِّيِّ :

عن عون بن عبد الله ، قال : كان أهل الخيرِ يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات : مَنْ عَمِلَ لآخرته كفاه الله أمرَ دنياه ، ومَنْ أصلَح ما بينه وبين الله أصلح اللهُ ٢/ ٣٥١ ما بينه وبين الناس ، ومَنْ أصلح سريرتَه أصلح الله له علانيتَه .

موعظة لعمرو بن عتبة

٣٧٠٧ العُتْبيّ ، عن أبيه ، عن أبي خالد ، عن أبيه :

عن عمرو بن عتبة ، قال : كان أبونا لا يرفعُ المواعظَ عن أسماعنا ، فأراد مرَّةً سفرا فقال : يا بَنِيَّ ، تألَّفوا النعم بحُسْنِ مُجاوَرتها ، والتمِسوا المزيدَ فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفوسَ أقبلُ شيء لما أُعطِيَتْ وأعطى شيءٍ لما سُئِلَت ، فاحمِلوها على

---

(١) النطف : السوء والعيب .

(٢) المعتونان : المتعاونان المتظاهران .

مَطيَّةٍ لا تُبطِيء إذا رُكِبَتْ[1] ، ولا تُسبَقُ وإن تُقُدِّمَتْ ، عليها نجا مَنْ هرب مِنَ النار ، وأدرك مَنْ سابقَ إلى الجنة . فقال الأصاغرُ : يا أبانا ما هذه المطيَّةُ ؟ قال : التوبة .

* * *

(١) المطية : الناقة التي يُركب مطاها ، أي ظهرها ، وعنى التوبة .



صفات الزهاد

٣٧٠٨ حَدَّثني عبد الرحمن العبديّ ، عن يحيى بن سعد السعديّ ، قال :

سأل الحَوَاريّون عيسى عليه السلام فقالوا : يا رُوحَ الله مَنْ أولياءُ الله ؟ قال : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نَظَر الناسُ إلى ظاهرها ، وإلى آجِل الدنيا حين نَظَرَ الناسُ إلى عاجِلها ، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتَهم وتركوا منها ما علموا أن سيترُكُهم ، فصار استكثارُهم منها استقلالاً ، وفرحُهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارَضَهم من نائلها رَفَضوه ، وما عارَضَهم مِنْ رفيعها بغير الحقّ وضَعوه ، فهم أعداءُ ما سالَم الناسُ وسِلْمُ ما عادَوْا ، خَلُقَت(١) الدنيا عندهم فليسَ يعمُرونها ، وماتت في قُلوبهم فليس يُحبونَها ، يهدِمُونها ويبنون بها آخرتَهم ، ويبيعونها ويشترون بها ما يبقى لهم ؛ ونظروا إلى أهلها صَرْعَى قد خلت منهم المَثُلاتُ فأحيَوْا ذكر الموت وأماتوا ٣٥٢/٢ ذكرَ الحياة ، بهم نَطَق الكتابُ وبه نطقوا ، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه عَمِلوا ، لا يرون نائلاً مع ما نالوا ، ولا أمناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون .

٣٧٠٩ وحَدَّثني أيضاً ، عن أنس بن مصلح :

عن أبي سعيد المِصِّيصي : أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز يَعُودونه في مرض ، فإذا فيهم شابٌّ ذابلٌ ناحلٌ، فقال له عمر : يا فَتَى ما الذي بلغ بك ما أَرَى ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، أمراضٌ وأسقام. فقال عمر : لتَصْدُقَنِّي . قال : يا أمير المؤمنين ، ذُقتُ حَلاوةَ الدنيا فوجدتُها مرّة ، فصغُر في عيني زهرتُها وحلاوتُها ، واستوى عندي حَجَرُها وذهبُها ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وإلى الناس يُساقُون إلى الجنة وإلى النار ، فأظمأتُ لذلك نهاري وأسهرتُ له ليلي ، وقليلٌ حقيرٌ كُلُّ ما أنا فيه في جَنْب ثوابِ الله وجَنْبِ عقابه .

٣٧١٠ بلغني عن إسحاق بن سليمان ، عن أخيه ، عن الفياض ، عن زُبَيد اليامي[1] :

---

(1) كب : النامي ، تصحيف .

---

(١) خلقت : بليت ، وشيءٌ خَلَق : بال ، الذكر والأنثى فيه سواء .

عن مُعَاذ بن جَبَل : أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّ الله يحب الأخفياءَ الأتقياءَ الأبرياءَ ، الذين إذا غابوا لم يُفتقَدُوا ، وإذا حَضَرُوا لم يُعرفوا ، قلوبُهم مصابيحُ الهدى ، يخرجون من كل غبراء مُظلِمَةٍ »(١) .

٣٧١١ وعن وكيع ، عن عمر[1] أبو المُنَبِّه ، عن أوْفَى بن دَلْهم قال :

قال عليّ عليه السلام : تعلَّمُوا العلم تُعْرَفُوا به ، وٱعمَلُوا به تكونوا من أهله ، فإنه يأتي من بعدكم زمانٌ يُنْكِرُ فيه الحقَّ تسعةُ أعشِرَائهم لا ينجو فيه إلا كلُّ نُوَمَةٍ - يعني الميّتَ الذكر[2] -. أولئك أئمةُ الهُدَى ، ومصابيحُ العلم ، ليسوا بالعُجُلِ المذاييع البُذُرِ(٢) .

٢/٣٥٣

٣٧١٢ وقال عليّ عليه السلام أيضاً : إنّ الدنيا قد ارتحلت مُدبِرةً ، وإنّ الآخرةَ قد ارتحلَتْ مُقْبِلةً ، ولكل واحدةٍ منهما بَنُون ، فكونوا مِنْ أبناءِ الآخرة ولا تكونوا مِنْ أبناء الدنيا . أَلَا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والترابَ فِرَاشاً ، والماء طِيباً . أَلَا مَنِ اشتاق إلى الجنة سَلا عن الشهوات ، ومَنْ أشفقَ مِنَ النار رجَع عن الحُرمات ، ومَنْ زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . أَلَا إن لله عباداً [مخلصين] كمن رأى أهلَ الجنة في الجنة مخلَّدين وأهلَ النار في النار مُعَذَّبين ، شرورُهم مأمونةٌ ، وقلوبُهم محزونة ، وأنفسُهم عفيفةٌ ، وحوائجُهم خَفيفةٌ ، صبَرُوا أياماً قليلةً لعُقْبى راحةٍ طويلة ؛ أمَّا بالليل فَصَافُّو أقدامِهم [في صلاتهم] ، تجري دُموعُهم على خدودهم ، يجأرُون إلى الله : ربَّنا ربَّنا(٣) ، يطلبُون فَكَاكَ رِقَابهم ؛ وأما بالنهار فحلماءُ عُلَماءُ بَرَرَةٌ

(1) كب ، مص : عمرو بن منبه ، تحريف . (2) كب : الدا .

(١) إسناده معضل ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
الأخفياء : جمع خفي ، وهو المعتزل عن الناس ، الذي يخفى عليهم مكانه ، وأراد ﷺ الذين يعكفون على عبادة الله سراً ويتركون الرياء وحب التظاهر . والغبراء المظلمة : عهدة كل مسألة مشكلة وبلية معضلة ، والغبراء في الأصل : الأرض (لغُبْرة لونها أو لما فيها من الغبار) ، ووصفها ﷺ بالظلمة كأنما لا يهتدى للخروج منها أو السير فيها .

(٢) الأعشراء : جمع عشير ، كالعشر ، جزء من عشرة . والنومة : الخامل الذكر الغامض في الناس . والمذاييع : جمع مذياع ، وهو الذي لا يكتم السر . والبذر : جمع بذور ، وهو من يبذر السر ، أي يفشيه بين الناس .

(٣) جار إلى الله : رفع صوته بتضرع واستغاثة .

أتقياء كأنهم القِدَاحُ(١) ، ينظُر إليهمُ الناظر فيقول : مَرْضَى ، وما بالقوم مِنْ مرضٍ ، ويقول : خُولِطُوا ، ولقد خالط القومَ أمرٌ عظيم(٢) .

٣٧١٣ حَدَّثنا إسحاق المعروفُ بأبن رَاهَوَيْهِ ، أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول : يا بُنيّ كن ممّن نأى به عَمَّن نأى عنه يقينٌ ونزاهة ، و [ممن] دُنُوه عَمَّن[1] دنا منه لينٌ ورحمةٌ . ليس نأيُه تكبراً ولا عظمة ، ولا دنوُّه بِخَدْعٍ[2] ولا خِلابَةٍ(٣) . يَقْتَدي بمن قبله ، وهو إمامُ مَنْ بعدَه ، لا يعجل فيمن رابه[3](٤) ، ويعفو إذا تبين له ، ينقصُ في الذي له ويزيد في الذي عليه ، لا يعزُبُ حِلمُه(٥) ، ولايحضُرُ جهلُه ، الخيرُ منه مأمولٌ ، والشرُّ منه مأمونٌ ، إن رُجيَ خاف ما يقولون واستغفرَ لما لا يعلمون ، إن عصته نفسُه فيما كرِهَتْ لم يُطِعها فيما أحبت ، يَصمُتُ ليسلَمَ ، ويخلو ليغنَم ، وينطِقُ ليفْهَمَ ، ويُخالطُ ليعْلم . ٢/ ٣٥٤

ولا تكن يا بُنيّ ممن يُعْجَبُ باليقين مِنْ نفسه فيما ذهبَ ، وينسَى اليقينَ فيما رجا وطلبَ ، يقول فيما ذهب : لو قُدِّر شيء كان ، ويقول فيما بقي : ابتغِ أيها الإنسانُ ؛ تغلبه نفسُه على ما يظنّ ولا يغلبُها على ما يستيقِنُ ، طال عليه الأملُ ففتَر ، وطال عليه الأمدُ فاغترّ(٦) ، وأُعذِرَ إليه فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّر بمعْذِرٍ(٧) ، عُمِّر فيما يتذكر فيه مَنْ تَذَكَّر ، فهو مِنَ الذنب والنعمة مُوقَر[4] ، إن أُعطِيَ لم يشكر ، وإن مُنِعَ لم يَعذِرْ ، يُحبّ الصالحينَ ولا يعمل عملَهم ، ويُبغِضُ المسيئين وهو أحدُهم ، يرجو الأجرَ في

---

(1) كب ، مص : ممن .
(2) كب : يخدع .
(3) كب : رأى به .
(4) كب : موفر .

---

(١) القداح : جمع قدح ، (بكسر فسكون) وهو السهم قبل أن يراش ويُنصل ، وصفهم بذلك لهزالهم وشحوبهم .

(٢) خولط الرجل : فسد عقله وتغير ، يقال : خولط الرجل فهو مُخَالَط ، واختلط فهو مُخْتَلِط . يقول إنهم ما خولطوا كما يظن الناس ، ولكن خالط قلبهم هَمٌّ عظيم .

(٣) الخلابة : الخديعة برقيق الحديث ، يقال : خالب المرأة يخالبها ، إذا خادعها بألطف القول والرقة حتى يسلبها عقلها وقلبها .

(٤) رابه : شككه وأوجب عنده الريبة .

(٥) يعزب حلمه : يغيب ويبعد . والحلم : العقل ، وأراد الأناة وضبط النفس .

(٦) الأمد : غاية الشيء ومنتهاه ، عنى الموت . واغتر : غفل وسها من قلة التحفظ والتيقظ .

(٧) أعذر إليه : أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة . والمعذر : الثابت له عذر .

البغض[1] على ظنّه ولا يخشَى اليقينَ مِنْ نفسه ، يخشى الخلقَ في ربه ولا يخشَى الربّ في خلقه ، يَعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعيذَ اللهُ منه مَنْ هو تحته ، يخاف على غيره بأدنى مِنْ ذنبه ويرجو لنفسه بأيسرَ من عمله ، يُبصر العورةَ مِنْ غيره ويُغفِلُها مِنْ نفسه ، إن صلّى اعترض ، وإن ركع رَبض ، وإن سجد نَقَر ، وإن جَلس شَعَرَ ، وإن سألَ ألحفَ ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حَدّثَ أخلَف ، وإن وُعِظَ كَلَح(١) ، وإن مُدِحَ فَرِحَ ، يَحسُدُ أن يُفْضَلَ ، ويزهَدُ أن يَفضُلَ ، إن أُفِيضَ في الخير بَرِمَ وضَعُفَ واستسلَم وقال : الصمتُ حُكْمٌ(٢) ، وهذا ما ليس لي به عِلم ؛ وإن أُفِيضَ[2] في الشرّ قال : يُحسَبُ بي عِيٌّ ، فتكلّم يجمَع بين الأراوِي(٣) والنعام وبين الخال والعمّ ولاءَمَ ما لا يتلاءم ؛ يتعلَّم للمِراءِ ، ويتفقَّه للرياء ، ويبادِرُ ما يفنَى ، ويُواكِلُ ما يبقى .

٢/ ٣٥٥ ٣٧١٤ حَدَّثني محمد بن داود ، عن أبي شُرَيح الخُوَارَزْمي ، قال : سمعت أبا الرّبيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسنُ بن عليّ : ألا أخبركم عن صديقٍ كان لي من أعظم الناس في عيني ، وكان رأسُ ما عَظُم به في عيني صِغَرَ الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطانِ بطنه فلا يَتَشَّهى ما لا يجد[3] ولا يكثِرُ إذا وجد ، وكان خارجاً مِنْ سلطان الجهالة فلا يَمُدّ يداً إلا على ثقةٍ لمنفعة ، كان لا يتشكّى ولا يتبرَّمُ ، كان أكثرَ دهرِه صامتاً ، فإذا قال بَذَّ القائلين ، كان ضعيفاً مستضعَفاً فإذا جاء الجِدُّ فهو الليث عادياً[4] ، كان إذا جامع العلماء على أن يسمع أحرصَ منه على أن يقولَ ، كان إذا غُلِبَ على الكلام لم يُغْلَب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعَل ما لا يقول ، كان إذا عَرَض له أمران

---

(1) كب : البعض . (2) كب : اقتص .
(3) مص : يحل . (4) كب : غادياً .

---

(١) اعترض : أي عَرَض نفسه للناس عُرْضَ عَيْنٍ ، ظاهراً عن قريب . ربض : برك في مكانه مُثّاقلا ، وهو من قولهم : رَبَض بالمكان يَرْبِض ، إذا لصق به وأقام ملازماً له . نقر : خفف سجوده فلم يمكث فيه إلا قدر وضع الطائر منقاره فيما يريد أكله . شعر : قال الشعر ، وعنى الشعر البذيء . ألحف : ألح بالمسألة وهو مستغن عنها . والإخلاف في المستقبل كالكذب في الماضي ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله . كلح : كشر في عبوس ، ويقال : كَلَح الرجل ، وأكلحه الهَمُّ ، ودهر كالحٌ ـ أي شديد ـ على المثل .

(٢) برم : سئم وضجر . حكم : حِكْمة ، كأنه يمنع من الجهل والسَّفه وينهى عنهما .

(٣) الأراوي : جمع أروية ، وهي تيس الجبل ، وتقع على الذكر والأنثى ، جنس من المعز الجبلية ، لها قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين .

لا يدري أيّهما أقربُ إلى الحق نظر أقربَهما مِنْ هواه فخالفه ، كان لا يلومُ أحداً على ما قد يَقَع العذرُ في مثله .

زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عَدْلاً وشهوداً عدولاً .

٣٧١٥ وفي كلام علي رضي الله عنه لكُمَيْل حين ذكر حُجَجَ الله[1] في الأرض فقال : هَجَم بهم العلمُ على حقائق الأمور ، فباشروا رَوْحَ اليقين ، واستلانوا ما استَوْعر المُتْرَفُون ، وأَنِسوا بما اسْتَوْحش منه الجاهلون ، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلّقةٌ بالمَحَلّ الأعلى ؛ هَاهْ شوقاً إلى رؤيتهم .

٣٧١٦ قال رجلٌ ليونس بن عُبَيد : تَعْلَمُ أحداً يعمل بعمل الحَسَنِ ؟ قال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعملُ بعمله ! قيل : فصِفْه لنا . قال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل ٢/٣٥٦ مِنْ دَفْن حَميمه ، وإذا جلس فكأنه أسيرٌ أُمِر بضَرْب عُنُقه ، وإذا ذُكِرت النارُ فكأنها لم تُخلَق إلّا له .

٣٧١٧ حَدَّثنا حسين بن حسن المَرْوَزيّ ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن الأعمش :

عن شَقيق بن سَلَمة ، قال : ما مَثَلُ قُرّاء هذا الزمانِ إلا كمثل غنمٍ ضوائنَ ذاتِ صُوفٍ عجافٍ أكلتْ مِنَ الحَمْض وشَرِبت مِنَ الماءِ حتى انتفختْ خواصرُها، فمرّتْ برجل فأعجبتْه، فقام إليها فعبَط منها شاةً فإذا هي لا تُنْقي، ثم عَبَط أخرى فإذا هي كذلك، فقال : أُفٍّ لك، سائر اليوم[2] .

٣٧١٨ حَدَّثنا حسين ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن يحيى بن المختار :

عن الحسن ، قال : إذا شئت لَقِيتَه أبيضَ بضاً[3] حديدَ النظرِ مَيِّتَ القلبِ والعمل ،

---

(١) الحجج : جمع حجيج ، فعيل بمعنى فاعل ، وهو العالم صاحب الدليل والبرهان ، يُحَاجُّ خصمه ويغالبه بإظهار الحُجَّة ـ أي الدليل والبرهان ـ عليه .

(٢) ضوائن : جمع ضائنة ، وهي الشاة من الغنم ، خلاف المعز . الحمض : كل نبات لا يهيج في الربيع ويبقى على القيظ ، وفيه ملوحة ، إذا أكلته الإبل شربت عليه ، وإذا لم تجده رقت وضعفت ، والعرب تقول : الحمض فاكهة الإبل ولحمها . وعبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية ، ولحمها عبيط ، ولا يقال للحم غير النضيج المدخول من آفة عبيط . لا تنقي : ليس لها نقي لضعفها وهزالها ، والنقي : المخ .

(٣) البض : من البضاضة ، وهي رقة اللون وصفاؤه ، ورجل بَضٌّ : رقيق الجلد ، ممتلىء، حسن البشرة في نصاعة لون .

أنت أبصرُ به من نفسه ؛ تَرَى أبداناً ولا قلوب ، وتسمع الصوتَ ولا أُنس ، أخصبُ ألسنةٍ وأجدبُ قلوب .

٣٧١٩ حَدَّثني أبو سهل ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، قال :

قال سُفْيان : الزهدُ في الدنيا قِصَرُ الأمل ، ليس بأكل الغَلِيظ ولا لُبْس الغَلِيظ .

٣٧٢٠ قال : وقال يوسف بن أسْباط : لو أنّ رجلاً في ترك الدنيا مثلُ أبي ذرّ وأبي الدَّرْداء وسَلْمان ، ما قلنا له : إنك زاهد ، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المَحْض ، والحلالُ المحض لا نعرِفه اليوم ، وإنما الدنيا حلالٌ وحرامٌ وشُبُهات ؛ فالحلالُ حسابٌ ، والحرام عذابٌ ، والشبهات عتابٌ ؛ فأنزِلِ الدنيا منزلةَ المَيْتة خُذْ منها ما يُقِيمك ، فإن كان كذلك حلالاً كنت زاهداً فيها ، وإن كان حراماً لم تكن أخذتَ منها إلا ما يُقِيمك كما يأخذ المضطرّ مِنَ الميتة ، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً .

٣٥٧/٢

٣٧٢١ ومثله قولُ بعضهم : ليس الزهد بترك كلّ الدنيا ، ولكن الزهدَ التهاونُ بها وأخْذُ البَلاغ منها ، قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] ، فأخبر أنهم زَهِدوا فيه وقد أخذوا له ثمناً .

٣٧٢٢ قال أبو سليمان[1] الدارانيّ : الرضا عن الله والرحمةُ للخَلْق درجةُ المرسَلين ، وما تعرف الملائكةُ المقرّبون حَدَّ الرضا .

٣٧٢٣ وقال : أرجو أن أكون قد نِلتُ مِنَ الرضا طَرَفاً ، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضياً .

٣٧٢٤ قال : وليس الحمد له أن تحْمَده بلسانك وقلبُك مُقتصِرٌ على المصيبة ، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبُك مسلّمٌ راضٍ .

٣٧٢٥ وقال ٱبن أبي الحَوَاريّ : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] أنه الذي يلقَى ربَّه وليس فيه أحدٌ غيرُه ؛ فبكى وقال : ما سمعتُ مذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا . وقال : كلّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط . قال : وما في الأرض أحدٌ أجِدُ له محبّةً ولكن رحمة .

---

(1) كب : سلمان ، تحريف .

٣٧٢٦ وقال : ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فإذا غَلَب الرجاءُ على الخوف فَسَد القلبُ .

٣٧٢٧ وقال الفُضَيل بن عِياض : أصلُ الزهدِ الرضا عن الله(١) .

٣٧٢٨ الحسين بن علي ، عن [ابن] عبد الملك بن أبجر : أن رجلاً يُكنى أبا سعيد كان يقول : والله ما رأيتُ قُرّاءَ زمان قَطُّ أغلظَ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آكلَ لمُخٍّ العيش منكم .

٣٧٢٩ أبو أُسامة ، عن حمّاد بن زيد ، عن إسحاق بن سويد ، قال :

قال مُطَرِّف : أُنظروا قوماً إذا ذُكِرُوا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم ، وقوماً إذا ذُكروا ذُكروا بالفُجُور فلا تكونوا منهم ، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء . ٢/٣٥٨

٣٧٣٠ أوصى ابنَ مُحَيْرِيز رجلٌ[1] فقال : إن استطعتَ أن تَعْرِف ولا تُعْرَف ، وتَسأل ولا تُسْأَل ، وتمشي ولا يُمْشى إليك ، فافعل .

٣٧٣١ قال أيّوب : ما أحبَّ الله عبداً إلا أحبَّ ألَّا يُشْعَر به .

٣٧٣٢ إسحاق بن سليمان ، عن حَرِيز[2] بن عثمان ، قال : جاء شُرَيح بن عبيد إلى ابن[3] عائذ الأزديَ فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييتَ سُنّةً قد تركها الناس : إرخاءَ طَرَف العِمامة مِنَ الجانب الأيسر ! قال : يا بن أخي ، ما كان أحسنها ! تركها الناس فتركناها ، ما أحِبّ أن أُعرَفَ في خيرٍ ولا شرّ .

* * *

(1) كب ، مص : رجلاً ، وهم في قراءة الخبر . (2) كب ، مص : جرير ، تصحيف .
(3) كب ، مص : أبي ، تحريف .

(١) سيأتي برقم ٣٧٣٦ .

كلام من كلام الزهّاد

٣٧٣٣ حَدَّثنا حسين بن حسن المَرْوَزيّ ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز ، قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدٌّ للموت ؟ قال : لا . قال : فهل أنت مجمِعٌ على التحوُّل إلى حال ترضى بها ؟ قال : ما شَخَصتْ نفسي لذلك . قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُسْتعتَبٌ ؟ قال : لا . قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتيَك ؟ قال : لا . قال : فهل رضي بمثل هذا الحال عاقل[1] !

٣٧٣٤ حَدَّثنا حسين ، قال : حَدَّثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حَدَّثني غير واحد ، عن مُعاوية بن قُرَّة ، قال :

٢/٣٥٩ قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ ، وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمّل الدنيا والموتُ يطلبه ، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه ، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه . وأبكاني فِراق الأحبّة : محمدٍ وحِزْبه ، وهَوْلُ المُطَّلَع ، والوقوفُ بين يدي الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار[2] .

٣٧٣٥ كان عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ يقول : تضحَكُ ولعل أكفانَك قد خرجتْ من القَصّار[3] .

---

(١) مجمع : عازم عليه ، كأنه جمع نفسه له . وشخصت نفسي لذلك : سمت إليه ، أراد لم أفكر فيه ولم أستطلعه . مستعتب : طلب الرجوع عن الإساءة ، من قولهم : أعتب الرجل ، إذا ترك ما كنت تجده عليه وتعاتبه فيه ، وعاد إلى إرضائك بعد السخط .

(٢) المطلع : الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . والسرائر : الأسرار ، يظهر منها يوم القيامة ما كان مستخفياً عن أعين العباد من الفرائض التي كان الله ألزمنا إياها وكلّفنا العمل بها .

(٣) القصار : المبيض للثياب ، وكان يهيىء النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقَصَرة ، وهي قطعة من الخشب يدق بها .

٣٧٣٦ قال(١) : وقال الفُضَيل : أصلُ الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يَزْوِيها عنه ويُمَرْمِرُها عليه(٢) بالعُرْي مرةً وبالجُوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنعُ الوالدةُ الشفيقةُ بولدها : تسقيه مرّةً صَبِراً ومرة حُضَضاً(٣) ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

٣٧٣٧ وقال السَّرِيّ : ليس مِنْ أعلام الحبِّ أن تُحبَّ ما يُبْغضه حبيبُك .

٣٧٣٨ أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدُك في الدنيا فتَعَجُّلك الراحةَ لنفسك ، وأمّا انقطاعُك إليّ فتعزُّزك بي ، ولكن هل عاديتَ لي عدواً أو واليتَ لي ولياً .

٣٧٣٩ قال مالك بن دِينار : بلغَنا أن حِبْراً مِنْ أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء ، فغَمَز بعضُ بنيه النساءَ ، فرآهم فقال : مَهْلاً يا بنيّ مهلاً ! قال : فسَقَط عن سريره فانقطع نُخَاعه ، وأسقطتْ امرأتُه ، وقُتِل بنوه في الجيوش . فقيل[1] له : ما يكونُ مِنْ جنسك حِبرٌ أبداً ، ما كان غضبُه[2] عليك إلا أن قلتَ : يا بنيّ مَهْلاً ، يا بني مهلاً .

٣٧٤٠ ضَمْرة بن ربيعة قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : اِرْضَ بالله صاحباً ، ودَعِ الناس جانباً . ٢/ ٣٦٠

٣٧٤١ كان بِشْر بن الحارث يقول : أربعةٌ رفعهم اللهُ بغير كبيرِ عملٍ في الظّاهر إلا بِطِيب المَطْعم : إبراهيم بن أدهم ، وسَلْم[3] الخَوّاص ، ووُهَيْب المكّي ، ويوسف بن أَسْباط .

٣٧٤٢ وحَدَّثني أبو حاتم أو غيره ، عن العُتْبيّ ، قال :

سمعت ابن عُيَينة يقول : أربعٌ ليس عليك في واحدةٍ منهنّ حسابٌ : سَدُّ الجَوْعة ، وبَرْدُ العَطْشة ، وستر العورة ، والاستكنان؛ ثم تلا : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾(٤) [طه : ١١٨ - ١١٩] .

---

(1) كب ، مص : وقيل .
(2) كب ، مص : غضبك لي .
(3) مص : سالم ، تحريف .

---

(١) مضى أوله برقم ٣٧٢٧ .
(٢) يمرمرها : يَمُرُّها عليه ، أي يجيزها ويعديها .
(٣) الصبر : عصارة شجر مر ، واحدته صبرة (بالفتح فكسر) . والحضض : دواء يتخذ من أبوال الإبل .
(٤) لا تظمأ فيها : لا تعطش في الجنة ما دمت فيها . ولا تضحى : لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها (تفسير الطبري ١٨/ ٣٨٦) .

٣٧٤٣ بلغني عن يَعْلى ، عن سُفْيان : قال عليٌّ عليه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ قال : نرجو ونخاف . قال : مَنْ رجا شيئاً طلبه ، ومَنْ خاف مِنْ شيء هَرَب منه ، ما أدري ما خوفُ رجلٍ عَرَضت له شهوة فلم يَدَعْها لما يخاف ! وما أدري ما رجاءُ رجل نزل به بلاءٌ فلم يصبِر عليه لما يرجو .

٣٧٤٤ بلغني عن عيسى بن يونس ، عن الأَوْزاعيّ :

عن مكحول ، قال : إن كان الفضلُ في الجماعة فإن السلامةَ في العزلة .

وبَلَغ الفُضَيل هذا فقال : سمعتم كلاماً أحسن منه !

٣٧٤٥ قال ابن المبارك : رَكِبتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثيّ السفينةَ ، فقلتُ : بأيّ شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول في الصوم في السفر ؟ فقال : إنما هي المبادَرة . فجاءني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعْبيّ .

٣٧٤٦ حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الأَصْمَعي ، قال : قيل لأبي حازم : ما مالُك ؟ فقال : الثقةُ بما في يد الله واليأسُ مما في أيدي الناس .

٣٧٤٧ وقال أبو حازم : إنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم ، فآثِرْ نفسك أيها المرءُ بالنصيحة على ولدك ، واعلم أنك إنما تُخلف مالك في يد أحد رجلين : عاملٍ فيه بمعصية الله فتشقَى بما جمعتَ له ، وعاملٍ فيه بطاعة الله فتسعَدَ[1] بما شَقِيتَ له ؛ فارْجُ لمن قدّمتَ منهم رحمةَ الله ، وثِقْ لمن خَلّفت منهم برزق الله .

٢/٣٦١

٣٧٤٨ وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد مِنَ الدنيا ما يَكفيك ففي أدناها ما يكفيك ، وإن كنتَ لا ترضَى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك .

٣٧٤٩ ونظر أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال : مَوْعدُك الجنّة .

٣٧٥٠ ومَرّ بالجَزّارين ، فقال له رجل منهم : يا أبا حازم ، هذا سَمينٌ فاشتر منه ؛ قال : ليس عندي ثَمَنه . قال : أنا أنظرُك . ففكّر ساعة ، ثم قال : أنا أنظرُ نفسي .

٣٧٥١ قال سُفْيان : حَلَف أبو حازم لجلسائه : إني لأرضى أن يتّقي أحدُكم على دِينه كما يَتّقي على نَعْله .

٣٧٥٢ حَدَّثني محمد بن زياد الزِّياديّ ، قال : حَدَّثنا عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه :

---

(1) كب : فيسعد .

عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « الصحّة والفَرَاغُ نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس »(١) .

٣٧٥٣ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا أبو ربيعة فَهْد بن عوف[1] ، عن حَمَّاد بن سَلَمة ، عن يعقوب[2] ، قال : سمعتُ الحسن يقول : ابنَ آدم ، إنما أنت عَدَدٌ ، فإذا مضى يومٌ فقد مضى بعضُك .

٣٧٥٤ وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهميّ ، عن الحسن بن ذَكْوان ـ رَفَعَ الحديثَ إلى النبي ﷺ ـ قال : [قال ﷺ :] « أوصاني ربّي بتسعِ خِصالٍ وإني مُوصِيكم بها : بالإخلاص في السرّ والعَلانِية ، والعَدْلِ في الرضا والغَضَب ، والقَصْد في الفقر والغنَى ، وأن أعفوَ عمّن ظَلَمني ، وأصِلَ مَنْ قطعني ، وأُعطي مَنْ حَرَمني ، وأن يكون صَمْتي تَفَكُّراً ، ومَنْطِقي ذِكْراً ، ونَظَري عِبَراً »(٢) . ٢/ ٣٦٢

٣٧٥٥ مسلم بن إبراهيم ، عن حمّاد بن سَلَمة ، عن حُمَيد ، قال :

كان ابن عمر يقول : البِرُّ شيء هَيِّنٌ : وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّن .

٣٧٥٦ جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالكاً يقول : اِتَّقُوا السَّحَّارة ، فإنها تسحَرُ قلوبَ العلماء .

٣٧٥٧ قال : وسمعته يقول : وَدِدتُ أنّ رزقي في حَصَاة أمصُّها حتى أموت ، ولقد ٱختلفتُ إلى الخَلاَء حتى استحيَيْتُ من ربّي .

٣٧٥٨ بِشْر بن مُصلح ، عن أبي سعيد المِصِّيصيِّ ، عن أسد بن موسى ، قال : في الجُوع ثلاثُ خلال : حياةُ القلب ، ومَذَلَّة النفس ، ويُورث العقلَ الدقيق السماويّ .

٣٧٥٩ سلم[3] بن سالم البَلْخيّ ، عن السَّرِيّ بن يحيى ، قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً

---

(1) كب ، مص : عون ، تحريف .
(2) كب : أيوب ، تحريف .
(3) كب ، مص : سالم ، تحريف .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . والنعمة : ما يتنعم به الإنسان ويستلذه . مغبون فيهما : أي ذو خسران فيهما . والغبن : أن تشتري بأضعاف الثمن ، أو تبيع بدون ثمن المثل . فمن صح بدنه وتفرغ من الأشغال العائقة ، ولم يسع لصلاح آخرته ، فهو كالمغبون في البيع . أراد ﷺ أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ ، بل يصرفونهما في غير مجالهما .

(٢) الحديث رواه الهيثمي بمعناه في مجمع الزوائد (١/ ٩٠ ـ ٩١) كتاب الإيمان ، بإسناد ضعيف جداً .

لم ننتفع به يوماً وليلة ، وإذا شيّع جنازةً لم ينتفع به أهلُه ووَلدُه وإخوانُه ثلاثاً .

٣٧٦٠ خَلَف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ، أُحبّ أن تقبَلَ مني هذه الجُبّة كُسوةً . قال إبراهيم : إن كنتَ غنياً قَبِلتُها منك ، وإن كنتَ فقيراً لم أقبَلْها . قال : فإني غنيٌّ . قال : كم عندك ؟ قال : ألفان . قال : فيَسُرُّك أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم . قال : أنت فقير ، لا أقبَلها .

٣٧٦١ قال عُبَيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سُلَيم[1] على الفُضَيل نعودُه ، فقال : زَوَّجَك وخَوَّلك وصَرَف وجوهَ الناس إليك وأنت تُشْغلك عنه ! مَنْ أنت وما أنت ! ثم شَهَق شَهقةً ، وأضجعه رجل كان عنده وغَطّى عليه ثوباً وهو لا يعقِل ، ونزَلْنا .

٣٧٦٢ بكّار بن عبد الله ، عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، قال :

٢/ ٣٦٣ قال أبو حازم : السِّرُّ أملكُ بالعَلانِيَة مِنَ العَلانية بالسرّ ، والفعلُ أملكُ بالقول مِنَ القول بالفعل ، فإذا كنتَ في زمانٍ يُرْضَى فيه مِنَ الفعل بالقول ومِنَ العمل بالعلم ، فأنت في شرّ زمان وشرّ أناس .

٣٧٦٣ ابن أبي الحواريّ قال : ذكرت لأبي سليمان آمرأتي والشغلَ بها ، فقال : إنْ علم اللهُ مِنْ قلبك أنك تُريد الفراغَ له فَرَّغَك ، وإنْ[2] كنت إنما تريد الراحةَ منها لتستبدل بها ، فهذه حماقة .

٣٧٦٤ قال : ورأيته حين أراد الإحرام فلم يُلَبِّ حتى سِرْنا ملياً وأخذه كالغَشْي ، وجعل رأسَه عند رُكبته ، فجعل مَحْمِله يَخِفّ ومحمِلي يثقُلُ ، حتى سرنا هَوِياً(١) ، ثم أفاق فقال : يا أحمد ، بَلَغني أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : يا موسى ، مُرْ ظَلَمَةَ بني إسرائيل أن يُقِلُّوا مِنْ ذكري ، فإني أذكرُ مَنْ ذَكَرني منهم بلعنةٍ حتى يسكت .

ويحك يا أحمد ، بلغني أنه مَنْ حجّ مِنْ غير حِلّه ثم لبّى ، قال له تبارك وتعالى: لا لَبَّيكَ ولا سَعْدَيْكَ حتى تردّ ما في يديك ؛ فما يؤمِّننا أن يقال لنا ذلك .

٣٧٦٥ قال : وقال أبو سليمان : يجيئك وأنت في شيء مِنَ الخير فيُشير لك إلى شيء مِنَ الخير دونه ليَربح عليك شَعِيرةً .

---

(1) كب ، مص : سليمان ، تحريف . (2) كب : إنما .

---

(١) الهوي : الطائفة من الليل ، في ثلث الليل ، حين يشتد الظلام ويستوحش .

يعني إبليسَ .

٣٧٦٦ قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم : إنّ مَنْ طَلَب الفردوسَ فخبزُ الشعير له والنومُ في المزابل مع الكلاب كثير .

٣٧٦٧ مسلم بن إبراهيم ، عن عمرو بن حمزة ، عن داود بن أبي هند :

عن مكحول ، قال : كنا أجنّةً في بطون أُمّهاتنا فسَقَط مَنْ سَقَط وكنا فيمن بَقِي ، ثم كنا مَرَاضع[1] فهَلك منا مَنْ هلك وبَقي مَنْ بقي ، وكنا أيفاعاً(١) ـ وذَكَر مثل ذلك ـ ثم ٢/ ٣٦٤ صِرْنا شبّاناً ـ وذَكَر مثل ذلك ـ ثم صرنا شيوخاً لا أبا لَكَ فما ننتظر وما نريدُ ! وهل بَقيت حالةٌ ننتقل إليها .

٣٧٦٨ قال : وقال مكحول : الجنين في بطن أمّه لا يطلُب ولا يحزَن ولا يغتمّ ، فيأتيه الله برزقه مِنْ قِبَل سُرّته ، وغذاؤه في بطن أمه مِنْ دم حيضها ، فمن ثَمّ لا تَحيض الحامل ، فإذا سقط استهَلّ(٢) استهلالةً إنكاراً لمكانه ، وقُطِعت سُرّته ، وحَوَّل الله رزقه إلى ثدي أمه ، ثم حَوّله إلى الشيء يُصْنع له ويَتناوله بكفّه ، حتى إذا اشتدَّ وعَقَل قال : أين لي بالرزق ! يا ويحك ! أنت في بطن أمك وفي حِجْرها تُرْزَق ، حتى إذا عَقَلتَ وشَبَبت قلتَ : هو الموت أو القتل وأين[2] لي بالرزق ! ثم قرأ : ﴿ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد : ٨] .

٣٧٦٩ عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النَّضْر الحارثيّ إذا لم يكن في صلاة استقبل القِبْلةَ ، فقعَدنا إليه بعد العصر فقال : بلغني أنه مَنْ قال : لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ، له الملك ، وله الحمدُ ، وهو على كلّ شيء قدير ؛ ألفَ مرةٍ في دُبُر صلاة العصر ، رُفِع له عملُ نبيٍّ . ثم قال : قد أكثرت الكلام .

٣٧٧٠ وقال سعيد بن عمرو[3] الكِنْدي : دخل رجلٌ على دَاود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بَلّه[4] في الماء بملْح جَرِيش ، فقال له : كيف تشتهي هذا ! قال : أدعُه حتّى أشتهيه(٣) .

---

(1) كب : مراضيع .
(2) كب : أين (بسقوط الواو) .
(3) كب ، مص : عمر . تحريف .
(4) كب : مله .

---

(١) مراضع : جمع مرضع (بفتح الضاد) وهو الرضيع . والأيفاع : جمع اليافع ، وهو الغلام إذا شب وشارف الاحتلام .
(٢) استهل الصبي : رفع صوته وصاح عند الولادة ، وكل شيء ارتفع صوته فقد استهل .
(٣) الجريش : المجروش ، الذي لم ينعم بدقة .

٣٧٧١ ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أُدمك ؟ قال : الزيت . قال : أما تَأجِمه ؟ قال : إذا أجَمتُه تركته حتى أشتهيه(١) .

٢/ ٣٦٥ ٣٧٧٢ قال : وكان ماء داود في دَنٍّ مُقيّر(١) في الصّيف والشتاء ، فقال له بعض أصحابه : لو بَرّدتَ الماء! فقال داود: إذا أصبْتَ في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فمتى تُحِبّ الموت!

٣٧٧٣ سعيد بن عمرو[1] ، عن رجل ، قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إليّ منكم اثنان .

٣٧٧٤ وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المالُ إلا من أربعٍ : سهمٍ في فَيْء المسلمين ، أو عطيّةٍ عن ظَهْر[2] يدٍ ، أو إرثٍ بكتاب الله ، أو تجارةٍ من حلال . ولا يُقْتل مسلم إلا بهذه الخِصَال : كَفَر بعد إسلام ، أو زَنَا بعد إحصان(٣) ، أو قَتَل فيُقْتل ، أو حَارَب اللهَ ورسولَه وقَطَع الطريقَ .

٣٧٧٥ قال سليمان بن المُغيرة : سمعت ثابتاً يقول : واللهِ لَحَمْلُ الكَارَات أهونُ مِنَ العبادة(٤) .

٣٧٧٦ قال : ولا يُسَمَّى الرجلُ عابداً وإن كانت فيه خَصْلةٌ من كلّ خيرٍ حتى يكون فيه الصومُ والصلاةُ ، فإنهما مِنْ لحمه ودمه .

٣٧٧٧ أبو نعيم ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حَيّان ، قال :

كان عَنْبَس[3] بن عُقْبة يسجُد حتى إن العصافير لَيَقَعن على ظَهْره وينزِلْن ، ما يَحْسَبْنَه إلا جِرْمَ حائط(٥) .

---

(1) كب : عامر . (2) كب : طهر .
(3) كب ، مص : عيسى ، تحريف .

---

(١) الأدم : ما يؤكل به الخبز أي شيء كان . تأجمه : تكرهه وتمله ، يقال : أَجَم الطعام وغيره ، وأجِمه ، إذا كرهه وملَّه من المداومة عليه ، وقد آجَمَه .

(٢) الدن : إناء فخاري ذو عروتين . والمقير : المطلي بالقار ، وهو الزفت .

(٣) السهم : النصيب . والفيء : ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد . وظهر يد : ابتداءً من غير مكافأة . الإحصان : الزواج ، وأصل الإحصان المنع ، والرجل يكون محصناً بالإسلام والعفاف والحرية والتزويج .

(٤) الكارات : جمع الكارة ، وهي الحقيبة توضع فيها الثياب وتحمل على الظهر .

(٥) جرم حائط : قطعة من الحائط ، وهو البستان من النخيل . والجرم تطلق على التمر الذي يقطف من النخل .

٣٧٧٨ حَدَّثني محمد بن داود ، عن عبد الصمد بن يزيد ، قال : شكا أهلُ مكة إلى الفُضَيل القَحْط ، فقال : أمدبِّراً غير الله تريدون !

٣٧٧٩ قال : وسمعته يقول : استخيروا اللهَ ولا تَخَيَّروا عليه ، فكم من عبد تخيّر لنفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سأل ربّه طَرَسُوسَ فأُعطِيَهَا فأُسِرَ فصار نَصْرانياً(١) .

٣٧٨٠ وحَدَّثني أيضاً ، عن سعيد بن نُصَير [1] ، قال :

قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بَكَى حتى عَمِي ، وطاف حتى أُقْعِد ، وصلّى حتى حَدِب(٢) .

٣٧٨١ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، قال : [حَدَّثنا] محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن بَهْز بن حكيم ، قال : صَلَّى بنا زُرَارةُ بن أَوْفى الغَدَاةَ ، فقرأ الإمامُ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴾(٣) [المدثر : ٨ ـ ١٠] ، فخرَّ مَغْشياً عليه ، فحملناه ميتاً . ٣٦٦/٢

٣٧٨٢ ابن أبي الحَوَاريّ قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاةُ تبلِّغك نصفَ الطريق ، والصومُ يبلّغك بابَ المَلِكِ ، والصَّدَقةُ تُدْخِلك عليه .

٣٧٨٣ ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوبَ فقال : رحمه الله ـ ثلاثاً ـ لقد قَدِم المدينة مرَّةً وأنا بها ، فقلت : لأقعُدنّ إليه [2] لعليِّ أتعلّق منه [3] بسَقْطة ، فقام بين [4] [يدي] القبر مقاماً ما ذكرتُه قَطُّ إلا اقشعرَّ [له] جلدي .

٣٧٨٤ روى ابنُ عَيَّاش ، عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ ، قال : حَجَّ الحَجّاج فنزَل بعضَ المِياه ودعا بالغَدَاء ، فقال لحاجبه : انظر مَنْ يَتَغدَّى معي وأسألُه عن بعض الأمر . فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين شَمْلتين مِنْ شَعَرٍ نائم ، فضربه برجله وقال : ائت الأميرَ ، فأتاه . فقال له الحجاج : اغسِلْ يدك وتَغَدَّ معي . قال : إنه دعاني مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته . [قال : مَنْ هو ؟] . قال : اللهُ تعالى دعاني إلى الصوم فصُمت .

---

(1) كب ، مص : نصير ، تصحيف .
(2) كب ، مص : له .
(3) كب ، مص : عليه .
(4) كب ، مص : من .

---

(١) طرسوس : بلد بين حلب وبلاد الروم ، وكان الزهاد والصالحون يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين .
(٢) أبو يونس : هو الحسن بن يزيد ، الثقة ، كان يلقب بالقوي لقوته على العبادة .
(٣) نُقر : نُفخ . والناقور : الصور الذي يُنفخ فيه للحشر ، والنقر أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه .

قال : في هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم ، صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه . قال : فافطِرْ وتصوم غداً . قال : إن ضمنتَ لي البقاءَ إلى غد . قال : ليس ذاك إليَّ . قال[1] : فكيف تسألني عاجلاً بآجلٍ لا تقدر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيِّب . قال : إنك لم تُطَيِّبه ولا الخبّاز ، ولكن طيّبته العافية(١) .

٣٧٨٥ ونحو هذا حَدَّث الأصْمَعيّ ، عن شَبيب بن شيبة ، قال : كُنَّا في طريق مكة فجاء أعرابيٌّ في يومٍ صائفٍ شديدِ الحرّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ ، فقال : أفيكم كاتب ؟ قلنا : نعم . وحَضَر غداؤنا ، فقلنا [له] : لو دخلتَ وأصبتَ مِنَ الطعام ! قال : إني صائم . قلنا : في الحرّ وشِدَّته وجَفَاءِ البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن فيها ، وستكون ولا أكونُ فيها ، ولا أُحِبُّ أن أغْبَنَ أيّامي .

٣٦٧/٢

ثم نَبَذ إلينا الصحيفة ، وقال : أكتب ولا تَزيدنّ على ما أقول حرفاً : هذا ما أعتق عبدُ الله بن عقيل الكلابيّ ، أعتق جاريةً له سوداءَ يقال لها : لؤلؤة ، ابتغاءَ وجه الله تعالى وجوازِ العَقَبة(٢) ، وإنه لا سبيلَ له عليها إلا سبيلَ الوَلاء ، والمِنَّةُ[2] لله علينا[3] وعليها واحدة .

قال الأصمعي : فحدّثت بها الرشيدَ ، فأمر أن يُعتَقَ عنه ألفُ نَسَمةٍ أو مائةُ نسمة ، ويُكتَبَ لهم هذا الكتاب .

٣٧٨٦ قال خالد بن صَفْوان : بِتُّ أتَمَنَّى ليلتي كلَّها ، فكَبَستُ البحر الأخضرَ بالذهب الأحمر ، فإذا الذي يَكفيني مِنْ ذاك رغيفان وكُوزان وطِمْران(٣) !

٣٧٨٧ رأى رجلٌ رجلاً مِنْ وَلَدِ مُعاوية يعمَل على بعيرٍ له ، فقال : هذا بعد ما كنتم فيه مِنَ الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فَقَدْنا إلا الفضولَ .

٣٧٨٨ سمعتُ بعضَ العبّاد يقول : علامةُ التَّوبة الخروجُ مِنَ الجهل ، والنَّدَمُ على الذنب ،

---

(1) سقطت من كب ، وألحقت بالهامش .

(2) كب ، مص : المنة (بسقوط الواو) .   (3) كب ، مص : عليها وعليه .

---

(١) الشملة : مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به .

(٢) العقبة : هي العقبة التي تحول بينه وبين الجنة ، وقد بيّن الله العقبات التي تحول بين المرء والجنة بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : ١١ ـ ١٧] .

(٣) كبس البحر : طمه . والبحر يوصف بالخضرة ، لخضرة مائه . والطمر : الثوب الخلق البالي .

والتَّجافِي عن الشهوة ، واعتقادُ مَقْتِ نفسك المُسَوِّلة[1] ، وإخراجُ المَظْلَمة ، وإصلاحُ الكَسْرة ، وتركُ الكذب ، وقطعُ الغِيبة ، والانتهاءُ عن خُلق[2] السَّوْء[(١)] .

٣٧٨٩ لَقِي زاهدٌ زاهداً ، فقال له : يا أخي ، إني لأحبُّك في الله . قال الآخر : لو علمتَ منّي ما أعلم مِنْ نفسي لأبغضتَني في الله . قال له الأوّل : لو علمتُ منك ما تعلم مِنْ نفسك ، لكان لي فيما أعلم مِنْ نفسي شُغْلٌ عن بُغْضك .

٣٧٩٠ كان الثَّوريّ مستخفياً بالبَصْرة[(٢)] ، فورد عليه كتابٌ مِنْ أهله ، وفيه : « قد بَلَغ بنا الجَهْد إلى أن نأخُذَ النَّوَى فنرُضَّه ثم نخلِطَه مع التبن فنأكلَه » ؛ فحرّك ذلك مِنْ قلبه ، ورَمَى بالكتاب إلى أخ له ، فقرأه فدَمَعتْ عينُه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، لو أنّك حَدَّثتَ الناس اتّسَعت واتّسع هؤلاء ! فأطرق مَلِياً ثم رفع رأسَه وقال : اسمعْ حديثاً أُحدِّثُكَ به ثم لا أُكلِّمك بعده سنة : « رُئِيَ نُورٌ في الجنّة تجَدّد ، فقيل : ما هذا النور ؟ فقيل : حَوْراءُ ضَحِكتْ في وجه زوجها فبَدَتْ ثناياها » فتَرى لي أن أُغرِّرَ بتلك وأصيرَ إلى ما تقول ! ٢/٣٦٨

٣٧٩١ أراد قومٌ سفراً ، فحادوا عن الطريق ، وانتهَوْا إلى راهبٍ مُنْفردٍ في ناحية ، فنادَوْه فأشرف عليهم ، فقالوا : إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ ؟ قال لهم : هاهنا . ـ وأومأ إلى السماء ، فعلِموا الذي أراد ـ فقالوا : إنا سائلوك ، أفتُجيبنا أنت ؟ قال : سَلوا ولا تُكثروا ، فإنّ النهار لن يرجع ، والعُمْرَ لن يعود ، والطالبَ حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد . قالوا : ما الخلقُ عليه غداً عند مليكهم ؟ فقال : على نيّاتِهم . فقالوا : فإلامَ المَوْئلُ ؟ قال : إلى المُقدَّم . قالوا : أوصِنا . قال : تَزَوَّدوا على قدر سفركم ، فإنّ خيرَ الزاد ما بَلَّغَ المَحلَّ .

---

(1) كب : المسؤولة . (2) كب ، مص : خدن .

---

(١) المسولة : المزينة للسوء ، والتسويل : تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله ، يقال : سَوَّلَت له نفسه كذا ، وسَوَّل له الشيطان .

(٢) الثوري : هو سفيان بن سعيد الثوري (٩٧ ـ ١٦١) إمام الحفاظ في الكوفة . وكان الثوري قدم على الخليفة المهدي (محمد بن أبي جعفر المنصور ، وكان قد ولي الخلافة بعد أبيه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وتوفي سنة ١٦٩) فأغلظ له النصيحة ، فطلبه المهدي ، فلم يزل الثوري متوارياً لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه حتى وفاته ، وقال ابن المديني : أقام الثوري في اختفائه نحو سنة (المعارف ٤٩٧ ، سير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩) .

ثم أرشدهم إلى المَحَجَّة وانقمع[١] .

٣٧٩٢ وقال آخر: قلت لراهب: عِظْني عِظَةً نافعة؛ فقال: جميعُ المواعظ مُنتظمةٌ في حرف واحد. قلت: ما هو؟ قال: تُجْمِعُ على طاعته، فإذا أنت قد حَوَيْتَ المواعظ والأذكار.

٣٧٩٣ الأصْمَعيّ : قيل لأعرابيٍّ معه ماشيةٌ : لمن هذه الماشية ؟ قال : لله عندي .

٣٧٩٤ كان ابن السَّمَّاك يقول في كلامه : لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم ، أمّا تستحيُون مِنَ الله مِنْ طولِ ما لا تستحيُون !

٢/ ٣٦٩ ٣٧٩٥ قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العَمَل ، فإنْ قَصَّر بكم ضعفٌ فكُفُّوا عن المعاصي .

٣٧٩٦ كان مالك بن دينار يقول في قَصَصه : ما أشَدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَرُوضُ عِرْسَكَ بَعْدَما هَرِمَتْ ومِنَ العَنَاءِ رِياضَةُ الهَرِمِ[٢]

٣٧٩٧ كان أعرابيٌّ يسرق الإبلَ يُسَمَّى يزيدَ ، ثم تاب وقال :

ألا قُلْ لرُعْيانِ المَخَائِضِ أهْمِلُوا فقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
وإنَّ امْرأً يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا تَزَوَّدَ مِنْ أعْمَالِهَا لَسَعِيدُ

٣٧٩٨ وقال نصيح الأسديّ :

كَفَى نَطَفاً بالمَرْءِ يا أُمَّ صَالِحٍ رُكُوبُ المَعَاصي عامِداً واحْتِقَارُهَا[٣]

٣٧٩٩ كان خالد بن مَعْدان يقول :

إذا أنتَ لم تَزْرَعْ وأبْصَرْتَ حَاصِداً نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ في زَمَنِ البَذْرِ

٣٨٠٠ قال منصور بن عَمّار : ما أرى إساءةً تكبُرُ عن عفو الله فلا تَأْيَس ، وربما آخذَ[1] اللهُ على الصغير فلا تأمَنْ .

٣٨٠١ ورَوى وَكيع ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن عُتيبة بن[2] سِمْعان :

---

(1) مص : أخذ . (2) كب : بنت ، تحريف .

---

(١) المحجة : الطريق . وانقمع : غاب مستخفياً ، وأصله من القِمَع الذي على رأس الثمرة ، كأنه دخل صومعته فغاب كما تدخل الثمرة في قمعها .

(٢) العرس : الزوجة . وراضها : ذللها لتسهل أخلاقها ، وتلطف معاشرتها .

(٣) النطف : التلطخ بالعيب .

عن مُسَيْكَة ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها أتتْ رسولَ الله ﷺ بصَحْفة فيها خبزُ شعيرٍ وقطعةٌ من الكَرِش ، فقال : يا رسول الله ، ذَبَحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا . قال : « بل كلّها أمسكتم إلا هذا »(١) .

٣٨٠٢ استقبل عامرَ بن عبد قيس رجلٌ في يوم حَلْبة ، فقال : مَنْ سَبَق يا شيخ ؟ فقال : ٢/ ٣٧٠ المقرّبون .

٣٨٠٣ وأُتي به عثمان وأُقْعِد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً ثَطاً[1] [أشْغَى] في عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابيّ أين ربُّك ؟ قال : بالمِرْصاد(٢) .

٣٨٠٤ قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالُنا نَكرَه الموت ؟ قال : لأنكم عَمّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العُمْران إلى الخراب .

٣٨٠٥ قال الحسن : نِعَمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشكَر إلا ما أعانَ عليه ، وذُنوبُ ابنِ آدم أكثرُ مِنْ أن يُسْلَم منها إلا ما عفا الله عنه .

٣٨٠٦ وقال الحسن: تنفق دِينَك في شَهْوتك سَرَفاً، وتمنَعُ في حق الله درهماً، ستعلَم يا لُكَعُ(٣) .

٣٨٠٧ خرج المسيح من بيت مُومسةٍ ، فقيل له : يا رُوحَ الله ، ما تصنَع عند هذه ؟ فقال : إنما يأتي الطبيبُ إلى المَرْضى .

٣٨٠٨ ومَرَّ بقوم شَتَموه فقال خيراً ، ومر بآخرين شتموه فقال خيراً ؛ فقال رجل من الحَوَارِيِّين : كلما زادوك شراً زِدت خيراً ، كأنك تُغْرِيهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطِي مما عنده(٤) .

٣٨٠٩ أخبر أبو حازم سليمانَ بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين ، فقال سليمانُ : فأين رحمةُ الله ؟ قال : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

---

(1) كب ، مص : يطا ، تصحيف .

---

(١) إسناده ضعيف ، والحديث صحيح ، له طريق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) الثط والأثط : القليل شعر اللحية ، الذي عري وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه . وأشغى : مختلف نبتة الأسنان في الطول والقصر والدخول والخروج .

(٣) اللكع : اللئيم الدنيء ، ويوصف به الأحمق .

(٤) الحواريون : خلصاء الأنبياء وصفوتهم ، وهم في الأصل أنصار النبي عيسى عليه السلام ، وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب ويبيضونها ، أي يحورنها ، آمنوا به دون الناس . ومن ثم قيل لكل ناصر نبيه حَواري تشبيهاً بأولئك .

٣٨١٠ قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْني . فقال : لا أرضَى نفسي لك ، إني لأُصَلّي بين الغنيّ والفقير ، فأمِيل على الفقير وأُوسِّع للغنيّ .

٣٨١١ نظرت آمرأةٌ إلى أخرى وحولَها عشرةٌ مِنْ وَلَدها كأنهم الصقور ، فقالت : لقد وَلَدتْ أُمّكم حزناً طويلاً .

٢/ ٣٧١ ٣٨١٢ احتُضِر فتًى كان فيه زهْو ، فرَفَع رأسَه فإذا أبواه يَبكيان ، فقال لهما : ما يُبكيكما ؟ قالا : الخوفُ عليك لإسرافك على نفسك . فقال : لا تَبْكيا ، فوالله ما يَسُرُّني أنّ الذي بيد الله مِنَ الرحمة بأيديكما .

٣٨١٣ قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهَه : يا بن آدم لا تَحْمِلْ همَّ يومِك الذي لم يأتِ على يَوْمِك الذي أنتَ فيه ، فإنْ يكُ مِنْ أَجَلِك يأتِ فيه رزقُك ، وآعلم أنك لا تَكْسِبُ مِنَ المال شيئاً فوق قُوتِك إلا كنتَ فيه خازِناً لغيرك .

٣٨١٤ قال النابغةُ في نحوه :

ولَسْتُ بحَابِسٍ لِغَدٍ طَعَاماً حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

٣٨١٥ تذاكر حُذَيفة وسَلْمان أمرَ الدنيا ، فقال سَلْمان : ومِنْ أعجب ما تذاكَرْنا صعودَ غُنَيْمات الغامديّ سريرَ كِسْرَى ، وكان أعرابيّ من غامدٍ يَرْعَى شُوَيْهاتٍ له ، فإذا كان الليلُ صَيّرها إلى عَرْصة إيوان كسرى ، وفي العرصة سريرُ رُخامٍ كان يجلس عليه كِسْرى ، فتَصْعَد غُنَيمات الغامديّ إلى ذلك السرير .

٣٨١٦ دخل أبو حازم المسجدَ فوَسْوَس إليه الشيطانُ : إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوئك ، فقال : وقد بَلَغ هذا من نصحك !

٣٨١٧ قال [ابن] الزبير : يكفينا مِنْ خَضْمِكم القَضم ، ومِنْ نَصِّكم العَنَقُ(١) .

٣٨١٨ قال رجلٌ لأم الدَّرداء : إني لأجد في قلبي داءً لا أجد له دواء ، أجد قَسْوةً شديدة وأملاً بعيداً . قالت : اِطَّلع في القبور وآشهَدِ الموتى .

٢/٣٧٢ ٣٨١٩ قيل للربيع بن خُثَيم[1] : لو أرحتَ نفسَك ! قال : راحتَها أريد .

---

(1) مص : خيثم ، تصحيف .

---

(١) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . والعنق : سير مسبطر فسيح واسع للإبل ، يأتي عفواً دونما إجهاد . يقول : يكفينا منكم القليل بدل الكثير .

٣٨٢٠ قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذِّبٌ رجلاً واحداً لخِفتُ أن أكونَه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبي لا محالةَ ما ازددتُ إلا اجتهاداً لئلا أرجِعَ على نفسي بلائمة .

٣٨٢١ أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دَعُونا مِنَ الثّناء ، وأمِدُّونا بالدعاء .

٣٨٢٢ قيل لبعض العُبَّاد : مَنْ شَرُّ الناس ؟ قال : مَنْ لا يُبالي أن يراه الناسُ مسيئاً .

٣٨٢٣ قال المِسور بن مَخْرَمة : لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني معكم لاستحييتُ منهم .

٣٨٢٤ قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : عجبتُ لمن يَهْلِك والنجاةُ معه ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

٣٨٢٥ كان فتًى يُجالس سُفْيان الثوريَّ ولا يتكلَّم ، وكان سفيان يحب أن يتكلم ليسمع كلامه ، فمرّ به يوماً فقال له : يا فتى ، إن مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خَيْل وبَقِينا على حمير دَبِرة(١) . فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إنْ كنّا على الطريق فما أسرعَ لُحُوقَنا[1] بالقوم !

٣٨٢٦ قال الحسن : إنْ خَفَقَ النّعَالُ خَلْفَ الرجالِ قَلَّ ما تَلْبَث الحمْقى .

٣٨٢٧ وذُكِر عنده الذين يلبسون الصوفَ ، فقال : ما لهم تفاقدوا ! ـ ثلاثاً ـ أكَنُّوا الكِبْرَ في قلوبهم ، وأظهروا التواضُعَ في لباسهم ، والله لأحدُهم أشدُّ عُجْباً بكِسائه من صاحب المِطْرَف بمطرفه(٢) .

٣٨٢٨ ودخل عليه رجلٌ فوجد عنده ريحَ قِدْرٍ طَيِّبة ، فقال : يا أبا سعيد ، إنّ قِدْرَك لطيِّبة . قال : نعم ، لا رغيفي [مِنْ] مالك وصِحْنَاه فِلْقَة[2](٣) .

---

(1) مص : لحقوقنا ، تحريف . (2) كب ، مص : فرقد .

---

(١) دبرة : مدبرة ، أي متخلفة عن الركب .
(٢) المطرف : رداء من حرير مربع له رسوم . وتفاقدوا : دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً .
(٣) الصَّحْنَاة والصِّحْنَاء : إدام يتخذ من السمك . والفلقة : الكسرة من الخبز . وفي اللسان (صحن) : « سأل رجل الحسن عن الصَّحْناة ، فقال : وهل يأكل المسلمون الصَّحْناة؟ قال : ولم يعرفها الحسن لأنها فارسية » . فأخشى أن يكون ما في العيون محرفاً .

٢/٣٧٣ ٣٨٢٩ طُلِب أبو قِلابة للقضاء فلَحِق بالشام هَرَباً ، فأقام حيناً ثم قَدِم البَصْرة ، قال أيّوب : فقلت له : لو أنك وَلِيتَ القضاءَ وعَدَلتَ بين الناس رَجَوتُ لك في ذلك أجراً . قال لي : يا أيوب ، إذا وَقَع السابح في البحر كم[1] عسى أن يَسْبَح !

٣٨٣٠ قالت امرأة أبي حازم يوماً له : يا أبا حازم ، هذا الشتاء قد هَجَم ولابدّ لنا مما يُصلحنا فيه ؛ ـ وذكرتِ[2] الثيابَ والطعامَ والحَطَب ـ فقال : مِنْ هذا كله بُدٌّ ، ولكن خُذي ما لا بدّ منه : الموتَ ، ثم البعثَ ، ثم الوقوفَ بين يَدَي الله تعالى ، ثم الجنةَ أو النارَ .

٣٨٣١ قال أبو العَتَاهية :

أَطِـــعِ اللهَ بجُهْـــدِكْ عامِداً أو دُونَ جَهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلاكَ كَمَا تَطْـ ـلُبُ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكْ

٣٨٣٢ وقال أيضاً :

أَرَى أُنَـاساً بِـأَدْنَـى الـدِّيـنِ قَـدْ قَنِعُـوا ولا أَرَاهُـمْ رَضُـوا فـي العَيْـشِ بـالـدُّونِ
فاسْتَغْنِ بالدِّينِ عَنْ دُنْيا المُلُوكِ كَمَا اسْـ ـتَغْنَى المُلُـوكُ بـدُنْيَـاهُـمْ عَـنِ الـدِّيـنِ

٣٨٣٣ وقال محمد بن حازم(١) :

ما الفَقْرُ عَارٌ ولا الغِنَى شَرَفُ ولا سَخَـاءٌ فـي طَـاعَـةٍ سَـرَفُ
مـا لَـكَ إلَّا شَـيْءٌ تُقَـدِّمُـهُ وكُـلُّ شَـيْءٍ أَخَّـرْتَـهُ تَلَـفُ
تَـرْكُـكَ مَـالاً لِـوَارِثٍ يَتَهَنَّـ ـاهُ وتَصْلَـى بِحَـرِّهِ أَسَـفُ

٣٨٣٤ وقال أبو العَتَاهية :

ألا إنَّمـا التَّقْـوَى هُـوَ[3] العِـزُّ والكَـرَمْ وحُبُّـكَ لـلـدُّنْيـا هُـوَ الـذُّلُ والنَّـدَمْ
ولَيْـسَ عَلَـى عَبْـدٍ تَقِـيٍّ نَقِيصَـةٌ إذا صَحَّحَ التَّقْوَى وإنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ

٢/٣٧٤ ٣٨٣٥ قال عليّ بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفعُ درجات اليقين .

٣٨٣٦ قيل لابن سِيرِين : ما أشدَّ الورَعَ ! قال : ما أيسَرَه ! إذا شككتَ في شيء فدَعْه .

---

(1) مص : فكم. (2) كب ، مص : فذكرت .
(3) مص : هي .

---

(١) مضت الأبيات برقم ١١٥٨ كتاب السؤدد .

٣٨٣٧ قال رجل لحُذَيْفة : أخشى أن أكونَ منافقاً ؛ فقال : لو كنتَ مُنافقاً لم تخشَ .

٣٨٣٨ وقال محمود الورّاق :

يـا نـاظِـراً يَـرْنُـو بعَيْنَـيْ راقِـدِ ومُشَـاهِـداً لـلأمْـرِ غَيْـرَ مُشَـاهِـدِ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إلى الذُّنُوبِ وتَرْتَجي دَرْكَ الجِنَـانِ بهـا وفَـوْزَ العَـابِـدِ
ونَسِيـتَ أنَّ الله أخْـرَجَ آدمـاً مِنْهَـا إلـى الـدُّنْيـا بـذَنْـبٍ واحِـدِ

٣٨٣٩ وقال وَضَّاح اليمن :

مَـالَـكَ وَضَّـاحُ دائِـمَ الغَـزَلِ أَلَسْتَ تَخْشَى تَقَارُبَ الأَجَلِ
يا مَوْتُ ما إنْ تَزَالُ مُعْتَرِضاً [1]لآمِـلٍ دُونَ مُنْتَهَـى[1] الأَمَـلِ
تَنَـالُ كَفَّـاكَ كُـلَّ مُسْهِلَـةٍ وَحُوتَ بَحْرٍ ومَعْقِلَ الوَعِلِ(١)
صَلِّ لِذِي العَرْشِ واتَّخِذْ قَدَماً تُنْجِيكَ بَعْدَ العِثَارِ والـزَّلَـلِ

٣٨٤٠ قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ قال : أخاف أن أشبَع فأنسَى الجائعَ .

٣٨٤١ وقال أُميّة بن أبي الصَّلْت :

اقْتَرَبَ[2] الوَعْدُ والقُلُوبُ إلى اللَّـ ـهْـوِ وحُـبُّ الحَيَـاةِ سَـائِقُهَـا(٢)
مـا رَغْبَـةُ النَّفْـسِ فـي البَقَـاءِ وإنْ تَحْيَـا قَلِيـلاً فـالمَـوْتُ[3] لاحِقُهَـا
أمَـامَهَـا قـائِـدٌ إلَيْـهِ ويَحْـ ـدُوهَـا حَثِيثـاً إلَيْـهِ سـائِقُهَـا
قَـدْ أيْقَنَـتْ أنَّهَـا تَصِيـرُ كَمَـا كَـان بَـرَاهـا[4] بـالأَمْـسِ خـالِقُهَـا
وأنَّ مـا جَمَّعَـتْ وأعْجَبَهَـا مِـنْ عِيشَـةٍ مَـرَّةً مُفَـارِقُهَـا
مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً لِلْمَـوْتِ كَـأْسٌ والمَـرْءُ ذائِقُهَـا(٣)

(1 - 1) سقطت من كب .
(2) اضطرب ترتيب الأبيات كثيراً في كب ، وتابعتها مص ، فعوّلنا في قراءتها على ديوان أمية ٤٢٢ .
(3) كب ، مص : والموت . (4) قرأتها مص : يراها ، تصحيف .

---

(١) المعقل : المنزل الذي يلتجأ إليه الوعل .
(٢) الوعد : يوم القيامة . و« إلى اللهو » متعلقان بخبر محذوف ، والتقدير : والقلوب ماضية إلى اللهو .
(٣) مات عبطة : مات شاباً ، وقيل : شاباً صحيحاً . والكأس : الزجاجة ما دام فيها الشراب ، وكان الأصمعي يقول : الكأس الشراب بعينه ، وينكر على من روى بيت أمية « للموت كأسٌ » ويرويه : « ألموتُ كأسٌ » ويقطع ألف الوصل لأنها في أول النصف الثاني من البيت . وذلك جائز ، وقال أبو علي الفارسي : الذي أنكره الأصمعي غير منكر (ديوان أمية ٤٢٢ ، اللسان : كأس) .

تَعَــاهَـــدَتْ[1] هَـــذِهِ القُلُـــوبُ إذا هَمَّـتْ بخَيْـرٍ عَـاقَـتْ عَـوَائِقُهَـا(١)
وصَــدَّهَـا للشَّقَـاءِ عَـنْ طَلَـبِ الـ ـجَنَّـةِ دُنْيَـا واللهُ مـا حِقُهَـا(٢)
عَبْــدٌ دَعَــا نَفْسَــهُ فَعَــاتَبَهَــا يَعْلَــمُ أنَّ البَصِيــرَ رامِقُهَــا(٣) ٢/ ٣٧٥
هُمَـا فَـرِيقَـانِ[2] فِـرْقَـةٌ تَـدْخُـلُ الـ ـجَنَّـةَ حَفَّـتْ بِهِـمْ[3] حَـدَائِقُهَـا
وفِرْقَةٌ في الجَحِيمِ مَعْ فِرَقِ الشَّـ ـيْطَـانِ يَشْقَـى بهـا مُـرَافِقُهَـا

٣٨٤٢ قال بعض الزهّاد : إنّ صفاء الزهد في الدنيا وكمالَه ألّا تأخذ مِنَ الدنيا شيئاً ولا تتركه إلا لله ، فإذا كنت كذلك كان أخْذُكَ تركاً ومعاملتُك لله فيها رِبحاً ، وإنّ صفاء الرغبة في الدنيا وكمالَها ألّا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها ، فإذا كنت كذلك كان تركُكَ أخذاً وفوتُ ما فات عليك منها حسرةً .

٣٨٤٣ حَبَس بعضُ الملوك رجلاً ثم غَفَل عنه إلى أن مَضَى عليه زمان ، فقال للموكَّل به : قل له : إن كلّ يوم يمضي مِنْ نعيمك يمضي مِنْ بؤسي [مثله] ، والأَمَدُ[4] قريبٌ ، والحُكُم[5] لله عزَّ وجلَّ . والسلام[6] .

•••

(1) كب ، مص :

تعرف هذه القلوب حقاً إذا همت بخير فما عوائقها

(2) كب ، مص : طريقان فائز دخل . (3) كب ، مص : به .

(4) كب ، مص : الأمر . (5) كب ، مص : الحكم الله .

(6) جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ، كب ، وتابعتها مص :

تم كتاب الزهد ، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله ، ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزريّ ، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

ثم أعقبته كب ببعض قطع شعرية ونثرية في نحو ست صفحات ، نُقلت من كتاب العقد الفريد .

(١) تعاهدت : تحالفت وتعاقدت ، جعلها كذلك لتمكن هذه العادة منها .

(٢) محق الشيء : أبطله ومحاه .

(٣) رامقها : ناظر إليها ، يقال : رمقه ببصره ، إذا أتبعه بصره ، ينظر إليه ويراقبه . وبعد البيت :

أَمَـنْ تَلَظَّـى عليـه واقِـدَةُ النَّـ ـارِ مُحِيـطٌ بِهِـمْ سُرَادِقُهَـا

تلظى : تتلظى ، أي تتلهب . والسرادق : ما أحاط بالبناء ونحوه . وخبر « من » محذوف ، وتقدير الكلام : أمن يحترق بالنار ويحيط به العذاب كمن يسكن الجنة .



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوان

الحَثُّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

٣٨٤٤ حَدَّثنا سَهْل بن محمد ، قال : حَدَّثنا الأصْمَعي ، قال : أخبرنا العِجْلي ، قال : [قال] بعضُ الأدباء لابنه : يا بنيَّ ، إذا دخلتَ المِصْرَ فاستكثر من الصديق ، وأمَّا[1] العدوُّ فلا يَهُمَّنَّكَ ؛ وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوَارٌ[2] كثيرُ العِثارِ .

٣٨٤٥ قال : وبلغني عن الأَوْزاعي ، عن يحيى بن [أبي] كَثير ، أنَّ داود النبيَّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : يا بُنيَّ ، لا تَسْتَبْدِلَنَّ بأخٍ لك قديم أخاً مُستفاداً ما استقامَ لك ، ولا تَستَقِلَّنَّ أن يكونَ لك عدوٌّ واحدٌ ، ولا تَسْتَكْثِرَنَّ أن يكونَ لك ألفُ صديقٍ .

٣٨٤٦ وكان يقال : أعجزُ الناسِ مَنْ فَرَّطَ في طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ به منهم .

٣٨٤٧ وفي الحديث المرفوع : « المرءُ كثيرٌ بأخيه(١) » .

٣٨٤٨ وأنشد ابنُ الأعرابي :

لَعَمْرُكَ ما مَالُ الفَتَى بِذَخِيرَةٍ ‏ ‏ ‏ ولكنَّ إخْوَانَ الثِّقَاتِ الذَّخَائِرُ

٣٨٤٩ قال أبو الجَرَّاح العُقَيلي : وجدتُ أعراضَ الدنيا وذخائرَها بعَرَضِ المَتَالِفِ ، ٢/٣

---

(1) كب ، مص : فأما . (2) كب : مشوا .

---

(١) الحديث موضوع ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .

إلَّا ذخيرةَ الأدبِ وعَقيلةَ الخُلَّةِ ، فاستكثِروا من الإخوان ، واستعْصِموا بِعُرا الأدب(١) .

٣٨٥٠ وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمالٍ .

٣٨٥١ وقال الشاعر :

إذَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ عِزٌّ ولَمْ يَكُنْ ... لَهُمْ رَجُلٌ عِنْدَ الإمَامِ مَكِينُ
فكَانُوا كَأَيْدٍ أَوْهَنَ اللهُ بَطْشَهَا ... تُرَى أشْمُلاً لَيْسَتْ لَهُنَّ يَمِينُ

٣٨٥٢ قال أيوب السَّخْتِياني : إذا[1] بلغني موتُ أخٍ فكأنما[2] سَقَط عضوٌ مني .

٣٨٥٣ وقال القَطامي :

وإذا يُصِيبُكَ[3] ـ والحَوَادِثُ جَمَّةٌ ـ ... حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيكَ الأوْثَقِ

٣٨٥٤ وقال آخر :

أخَاكَ أخَاكَ إنَّ مَنْ لا أخاً لَهُ ... كَسَاعٍ إلى الهَيْجَا بِغَيْرِ سِلاحِ(٢)
وإنَّ ابْنَ عَمِّ المَرْءِ فاعْلَمْ جَنَاحَهُ ... وهَلْ يَنْهَضُ البَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِ(٣)

٣٨٥٥ وقال الثَّقَفي :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلامَتَهُ ... إنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ(٤)

---

(1) كب : إذ . (2) كب : كأنما .
(3) كب : تصيبك .

---

(١) أعراض الدنيا : جمع العَرَض ، وعَرَض الدنيا : ما كان من مال ، قلَّ أو كثر . والذخائر : جمع الذُّخر ، وهو ما ادخرته ، أي خبأته لوقت الحاجة إليه . بعرض المتالف : أي عرضة للمتالف . الخلة : الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله ، أي في باطنه . وعقيلة الخلة : خيارها وأنفسها . العرا : جمع عُروة ، وهو ما يستمسك به ويعتصم ، فضربها مثلاً ، كأنما تعلُّقهم بالأدب وتمسُّكهم به ، كالمتمسك بعروة الشيء ، إذ كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته .

(٢) البيت في جل كتب النحو ، وهو من شواهد سيبويه ١/١٢٩ باب الإغراء ، وموضع الشاهد فيه : نصب أخاك بإضمار فعل تقديره الزم . والهيجا : الحرب ، لأنها موطن غضب ، تقول : تهايج الفريقان ، إذا تواثبا للقتال ، وتقول : هاج الشر بين القوم ، إذا ثار بينهم الشر والعداء .

(٣) البازي : طير من فصيلة الصقريات ورتبة الجوارح .

(٤) عضد الرجل : أنصاره وأعوانه ، وهو على المثل لأن اليد قوامها عضدها ، والعضد : ما بين المرفق إلى الكتف . الظلامة : ما يطلبه المظلوم ، وهو اسم ما أُخذ منه ظلماً .

تَنْبُو يَدَاه إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ ... ويأْنَفُ الضَّيْمَ إنْ أثْرَى لَهُ عَدَدُ(١)

٣٨٥٦ وقال آخر :

وبَغْضَاءُ التَّقِيِّ أَقَلُّ ضَيْراً ... وأسْلَمُ مِنْ مَوَدَّةِ ذِي الفُسُوقِ
ولَنْ تَنْفَكَّ تُحْسَدُ أوْ تُعَادَى ... فأكْثِرْ ما اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ

٣٨٥٧ وكَتَب القاسم[1] بنُ سيَّار إلى الفضل بن سَهْل : ٣/٣

يا أبَا العَبَّاسِ إنِّي ناصِحٌ ... لَكَ والنُّصْحُ لِذِي الوُدِّ كَبيرُ[2]
لا تُعِدَّنَّ لِيَوْمٍ صَالِحٍ ... إنَّ إخْوَانَكَ في الخَيْرِ كَثيرُ[3]
ولْيَكُنْ للشَّرِّ ما أعْدَدْتَهُمْ ... إنَّ يَوْمَ الشَّرِّ صَعْبٌ قَمْطَرِيرُ(٢)
هذه السُّوقُ الَّتي آمُلُهَا ... يا أبا العَبَّاسِ والعُمْرُ قَصِيرُ

٣٨٥٨ قال المأمون : الإخوانُ ثلاثُ طَبَقاتٍ : طَبَقةٌ كالغِذاء لا يُستغنى عنه ، وطَبَقةٌ كالدواءِ لا يُحْتاجُ إليه إلَّا أحياناً ، وطَبَقةٌ كالدَّاء لا يُحْتاج إليه أبداً .

٣٨٥٩ قال : حَدَّثني سعيد بن سليمان ، قال : حَدَّثنا إسماعيلُ بن زكريا ، عن سعد[4] بن طريف :

عن عُمير بن المأمون ، قال : سمعتُ الحسنَ بن علي يقول : مَنْ أدام الاختلافَ إلى المسجد ، أصابَ ثمانيَ خصال : آيةً مُحْكَمةً ، وأخاً مُسْتفاداً ، وعلماً مُسْتطرفاً(٣) ، ورحمةً مُنْتظرةً ، وكلمةً تَدُلُّه على هُدىً أو تَرْدَعُه عن رَدَى ، وتَرْكَ الذنوبِ حَياءً أو خَشْيةً .

٣٨٦٠ قال : وحَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، عن أبيه ، قال :

كان يقال : الصاحبُ رُقْعةٌ في قميص الرجل ، فلينظُرْ أحدُكم بم يَرْقَع قميصَه .

٣٨٦١ وحَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، عن أبيه ، أنه قال :

كان يقال : ما وجدنا شيئاً أبلغَ في خيرٍ أو شرٍّ مِنْ صاحبٍ .

---

(1) كب ، مص : الفضل ، تحريف.
(2) كب : كثير .
(3) كب : كبير .
(4) كب ، مص : سعيد ، تحريف .

---

(١) تنبو يداه : أي لا ينقاد له أحد ، ويمتنع الناس عما يريد . أثرى عدده : كثر عدد قبيله وأنصاره .
(٢) قمطرير : شديد ، عظيم أمره ، تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، لطول بلاء أهله وشدة أيامهم .
(٣) المستطرف : الجديد والحديث .

٣٨٦٢ وحَدَّثني الرِّيَاشي ، عن الأصْمَعي ، قال : حَدَّثنا سليمان بن المغيرة ، قال :

قال يونس : اثنانِ ما في الأرض [لا] أَقَلَّ منهما ولا يزدادان إلَّا قِلَّةً : درهمٌ يوضَعُ في حقٍّ ، وأخٌ يُسْكَن إليه في الله .

٤/٣ ٣٨٦٣ وحَدَّثني شيخٌ لنا ، عن محمد بن مُنَاذر ، عن سفيان بن عُيَينة ، قال :

قال علقمةُ بن لَبيد العُطَاردي لابنه : يا بنيَّ ، إذا نَزَعَتْك إلى صُحْبة الرجالِ حاجةٌ ، فاصْحَبْ منهم مَنْ إن صَحِبْتَه زانَك(١) ، وإنْ خَدَمْتَه صانك ، وإنْ أصابتْكَ خَصَاصةٌ مانَكَ(٢) ، وإنْ قلتَ صَدَّقَ قَوْلَك ، وإنْ صُلْتَ شَدَّ صَوْلَك(٣) ، وإنْ مَدَدتَ يدَك بفَضْلٍ مَدَّها ، وإنْ رأى منكَ حسنةً عَدَّها ، وإن سألْتَه أعطاك ، وإن سَكَتَّ[1] ابتداك ، وإنْ نَزَلَتْ بك إحدى المُلِمَّات آساك(٤) . مَنْ لا تأتيك[2] منه البوائقُ(٥) ، ولا تختلِفُ عليك منه الطَّرَائق(٦) ، ولا يَخْذُلُك عند الحقائق . إنْ[3] حاوَلَ حَوِيلاً آمَرَك(٧) ، وإنْ تنازعْتُما مُنْفساً آثَرَك(٨) .

٣٨٦٤ قال محمد بن كعب القُرَظي[4] لعمر بن عبد العزيز : إنَّ فيك عقلاً وإنَّ فيك جهلاً ، فَدَاوِ بعضَ ما فيكَ ببعضٍ ، وآخِ مِنَ الأخوان مَنْ كان ذا مَعْلاةٍ(٩) في الدِّين

---

(1) كب ، مص : سكت عنه .
(2) كب ، مص : يأتيك .
(3) كب ، مص : وإن .
(4) كب : القرصي ، تحريف .

---

(١) نزعتك حاجة : غالبتك فنازعتك نفسك إلى هواها . وزانك : كان زينة لك .
(٢) الخصاصة : الفقر والحاجة واختلال الحال . مانك : كفاك وأنفق عليك وعالك ، يقال : مانه يَمُونه ، إذا احتمل مؤونته وقام بكفايته .
(٣) صلت : مضيت في أمورك بعزم ، وهو من قولهم : صال الجمل يصول ، إذا وثب على راعيه فأكله ، وواثب الناس يأكلهم ويعدو عليهم ويطردهم من مخافته .
(٤) الملمات : جمع الملمة ، وهي النازلة الشديدة من شدائد الدهر . آساك : أنالك من ماله فجعلك مساوياً له فيه .
(٥) البوائق : جمع بائقة ، وهي الشرور والغوائل ، وهو من قولهم للداهية والبلية تنزل بالقوم : أصابتهم بائقة .
(٦) الطرائق : جمع طريق ، وهي الحال والسيرة . أي لا تغير حاله الظروف .
(٧) حاول حويلاً : أراد أمراً ، والحويل : الاسم من حاول . آمرك : شاورك . يقول : إن همَّ بأمر وعزم عليه نفسه شاورك .
(٨) المنفس : النفيس ، المرغوب فيه ، الذي له قدر وخطر ، يُتنافس فيه ويرغب .
(٩) المعلاة : العلو والشرف .

ونيَّةٍ في الحقِّ ، ولا تُؤاخِ منهم مَنْ تكونُ[1] منزلتكَ عنده على قدر حاجتِه إليكَ ، فإذا قضى حاجتَه منك ذهب ما بينكَ وبينه . وإذا غَرَسْتَ غِراساً من المعروف فلا تَبْقِينَّ[2] أن تَحْسُنَ تربيتُه(١) .

٣٨٦٥ وقال الأحنف بن قيس : خيرُ الإخوان من إن استغنيتَ عنه لم يَزِدْك في المودَّة ، وإنِ احتجتَ إليه لم يَنْقُصْك منها ، وإن عَثَرْت عَضَدَك ، وإنِ احْتَجْت إلى مَؤُونته رَفَدَك .

٣٨٦٦ وقال الشاعر :

إنَّ أخَـاكَ الصِّـدْقَ [3]مَـنْ لَـنْ يَخْـدَعَكَ[3] ... ومَــــنْ يَضُـــرُّ نَفْسَـــهُ لِيَنْفَعَــــكْ

ومَــــنْ إذا رَيْـــبُ زَمَـــانٍ صَـــدَعَــكْ ... شَتَّـــتَ شَمْـــلَ نَفْسِـــهِ لِيَجْمَعَــكْ(٢)

وإنْ رَآكَ ظَالماً سَعَى مَعَكْ

٣/٥

٣٨٦٧ وقال حُجَيَّة بن المُضَرَّب :

أخُــوكَ الَّــذي إنْ تَــدْعُــهُ لِمُلِمَّــةٍ ... يُجِبْكَ وإنْ تَغْضَبْ إلى السَّيْفِ يَغْضَبِ(٣)

٣٨٦٨ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له : أنتَ كما قال أعْشَى باهِلة :

مَـنْ لَيْـسَ[4] فـي خَيْـرِهِ مَـنٌّ فيُفْسِـدَه ... عَلَى الصَّدِيقِ ولا في صَفْوِهِ كَدَرُ(٤)

ولَيْــسَ فِيــهِ إذا اسْتَنْظَــرْتَــهُ عَجَــلٌ ... ولَيْـسَ فيـه إذا يـاسَـرْتَـهُ عُسُـرُ(٥)

٣٨٦٩ وقال علي بنُ أبي طالب كَرَّم اللهُ وجهَه :

أخُــوكَ الَّــذِي إنْ أحْــوَجَتْــكَ مُلِمَّــةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ لم يَبْرَحْ لَهَا الدَّهْرَ وَاجِمَا(٣)

---

(1) كب : يكون . (2) مص : تبغين .

(3 - 3) كب : من يسعى معك ، ثم شطبها وصححها بالهامش .

(4) مص : لبس ، تطبيع .

---

(١) بقى الشيء يبقيه : انتظره ورصده ، أي اغرس المعروف غير ناظر إلى نتيجته ولا طالب لثمرته .

(٢) ريب الزمان : صروفه وحوادثه .

(٣) الملمة : النازلة الشديدة من شدائد الدهر ونوازل الدنيا .

(٤) المن : أن ينعم المنعم ، ثم يعظم الإحسان ويفخر به ، ويبديء فيه ويعيد ، حتى يفسده وينغصه ، وذلك فعل البخلاء المنعمين ولئامهم .

(٥) العسر (بالضم فسكون ، وبضمتين ، وبالتحريك) : ضد اليسر .

وليسَ أخُوكَ الحَقُّ مَنْ إنْ تَشَعَّبَتْ عَلَيْكَ أُمُورٌ ظَلَّ يَلْحَاكَ لائِمَا(١)

٣٨٧٠ وقال آخر :

إذا كَانَ إخْوَانُ الرِّجَالِ حَزَازَةً[1] فأنْتَ الحَلالُ الحُلْوُ والبَارِدُ العَذْبُ(٢)

لنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وجَانِبٌ إذا رَامَهُ الأعْدَاءُ مَرْكَبُهُ صَعْبُ(٣)

وتَأْخُذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّ تَحْتَ البَارِحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ(٤)

٣٨٧١ وقال آخر :

أَبْكِي أخاً يَتَلَقَّانِي بنَائِلِهِ قَبْلَ السُّؤَالِ ويَلْقَى السَّيْفَ مِنْ دُونِي

إنَّ المَنَايَا أصَابَتْنِي مَصَائِبُهَا فَاسْتَعْجَلَتْ بأخٍ قَدْ كَانَ يَكْفِينِي

٣٨٧٢ وقرأتُ في « كتابِ للهند » : رأسُ المودَّةِ الاسترسالُ(٥) .

٣٨٧٣ وقال أكْثَم بن صَيفي : مَنْ[2] تَرَاخى تألَّفَ ، ومَنْ تشَدَّدَ نفَّرَ ، والشَّرَفُ التَّغافُل(٦) .

٣٨٧٤ وقال حاتم : العاقل فَطِنٌ مُتَغافِلٌ .

٦/٣ ٣٨٧٥ وقرأتُ في « كتابِ للهند » : مِنْ علامةِ الصديق أنْ يكونَ لصديقِ صديقهِ صديقاً ، ولعَدُوِّ صديقِه[3] عَدُواً .

٣٨٧٦ قال العَتَّابي في ذلك :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أنَّنِي صَدِيقُكَ ، إنَّ الرَّأْيَ عَنْكَ لَعَازِبُ

(1) كب ، مص : حرارة .
(2) سقطت من كب .
(3) كب : عدوه .

(١) تشعب عليه الأمر : انتشر وتفرق ، والشَّعْب : التصدع والتفرق في الشيء . يلحاك : يلومك ويعذلك ، يقال : لاحاه يلاحيه ، إذا خاصمه وقاوله وشاتمه وباغضه وسابه .

(٢) الحزازة : وجع في القلب من غيظ أو أذى . يشير إلى سهولة جانبه ، وحسن طاعته ، ودماثه خلقه .

(٣) الدماثة : سهولة الخلق ولين الجانب ، وكل سهل دَمِث . رامه : طلبه . يقول : هو سهل لنا ، ممتنع على الأعداء .

(٤) هزة : أي نشاط وخفة للندى ، وهو المعروف . والبارح : ريح حارة تجيء من قبل اليمن ، وخص البارح لأنها تهب في الصيف ، والغصن في الصيف ألين منه في الشتاء .

(٥) الاسترسال : إطلاق الكلام من غير تقييد أو تكلف .

(٦) تراخى : لم يتشدد في أموره . تألف : صار أليفاً محبوباً ، فاستمال الناس إليه . التغافل : تعمد الغفلة ، أي ترك التحفظ والدهاء ، وليس هو كذلك .

وليس أخي مَنْ وَدَّني رَأيَ عَيْنِهِ ولـكِنْ أخي مَنْ صَدَّقَتْه المَغَايبُ

٣٨٧٧ قيل لبُزُرْجِمِهْر : أخوك أحبُّ إليك أم صديقُك ؟ قال : إنما أحبُّ أخي إذا كان صديقاً(١) .

٣٨٧٨ وقال بعضُهم : إنَّ أحَبَّ إخواني إليَّ[1] ، مَنْ كَثُرَتْ أيادِيه عليَّ[2](٢) .

٣٨٧٩ وقال رجلٌ في أخٍ له :

وكُنْـتُ إذا الشَّـدَائـدُ أرْهَقَتْنـي يَقُـومُ لَهَـا وأقْعُـدُ لا أقُـومُ(٣)

٣٨٨٠ وقال آخر :

أخٌ طَـالَمَـا سَـرَّنـي ذِكْـرُهُ فأصْبَحْتُ أشْجَى لَدَى ذِكْرِهِ(٤)
وقَـدْ كُنْـتُ أغْـدُو إلـى قَصْـرِهِ فـأصْبَحْـتُ أغْـدُو إلـى قَبْـرِهِ
وكُنْـتُ أُرانـي غَنِيـاً بِـهِ عَـنِ النَّـاسِ لَـوْ مُدَّ فـي عُمْـرِهِ
إذا جِئْتُـهُ طـالِبـاً حـاجَـةً فـأمْـرِي يَجُـوزُ علـى أمْـرِهِ(٥)

٣٨٨١ وصف أعرابيٌّ رجلاً ، فقال[3] : كان واللهِ يَتَحَسَّى مَرارَ الإخوانِ ويَسْقِيهم عَذْبَه .

٣٨٨٢ وقال أعرابيٌّ :

أخٌ لَـكَ مـا تَـرَاهُ الـدَّهْـرَ إلَّا عَلَـى العِـلَّاتِ بَسَّـامـاً جَـوَادا(٦)
سَـألْنَـاهُ الجَـزِيـلَ فَمَـا تَلَكَّـا واعْطَـى فَـوْقَ مُنْيَتِنـا وزَادَا(٧) ٧/٣

---

(1) كب : عليَّ .
(2) كب : إليَّ .
(3) كب ، مص : قال .

---

(١) سيأتي برقم ٤٣٢٩ .
(٢) الأيادي : جمع يد ، وهي النعمة والإحسان تصطنعه ، والإعطاء إنما يكون إنالة باليد .
(٣) قام للأمر : تكفل به ، فتولاه بنفسه حتى يجد له مخرجاً .
(٤) أشجى : أحزن ، والاسم منه الشجا ، وأصله ما اعترض ونشب في الحلق من عظم ونحوه .
(٥) جاز الأمر : مضى ونفذ .
(٦) سيأتي بعضها برقم ٤٦٦٢ كتاب الحوائج . والعِلَّة : الحدث يشغل صاحبه عن حاجته . وقولهم : على عِلاَّته ، أي على ما نابه وشغله عن قضاء ما يجب عليه ، ثم استعملت بمعنى « على كل حال » . والبسَّام : المبالغة من الباسم ، وهو الضحوك ، الطَّلْق الوجه . يصفه بطيب النفس وحسن اللقاء .
(٧) الجزيل : العطاء الواسع الكثير . تلكا : تلكأ ، أي اعتل وتباطأ . والمنية : الأمنية ، وهي تَشَهِّي حصول الأمر المرغوب فيه .

فأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُدْنَا   فأَحْسَنَ ثُمَّ عُدْتُ لَهُ فَعَادا
مـــراراً لا أعُـــودُ إليـــه إلَّا   تَبَسَّمَ ضَاحِكاً وثَنَى الوِسَادَا

* * *



المَوَدَّة بالتَّشَاكُل (١)

٣٨٨٣ بلغني عن ابن عُيَينة أنه قال : قال ابنُ عباس : القَرابة تُقْطَع ، والمعروف يُكْفَر (٢) ، ولم يُرَ كتقارُبِ القلوب .

٣٨٨٤ قال رجل للعَرْجي : جئتُكَ أخطبُ إليك مودَّتَك ؛ فقال : لا حاجةَ بكَ إلى الخِطْبة ، إنْ[1] جاءتْكَ زِناً فهي[2] ألذُّ وأحْلَى .

٣٨٨٥ وقال الكُمَيت بن معروف :

مـا أنَـا بـالنِّكْـسِ الـدَّنِـيِّ ولا الَّـذي ... إذَا صَـدَّ عَنْـهُ ذُو المَـوَدَّةِ يَحْـرَبُ[3] (٣)

ولَكِنَّـــهُ إنْ دَامَ دُمْـــتُ وإنْ يَكُـــنْ ... لَـهُ مَـذْهَـبٌ عَنِّـي فَلِـي عَنْـهُ مَـذْهَـبُ

أَلَا إنَّ خَيْـــرَ الـــوُدِّ وُدٌّ تَطَـــوَّعَـــتْ ... بِـهِ النَّفْـسُ لا وُدٌّ أتَـى وهْـوَ مُتْعِـبُ (٤)

٣٨٨٦ وقال الطَّائي :

ذُو الـوُدِّ مِنِّـي وذُو القُـرْبَـى بمَنْـزِلَـةٍ ... وإخْـوَتـي أُسْـوَةٌ عِنْـدي وإخْـوَانـي

عِصَـــابَـــةٌ جَـــاوَرَتْ[4] آدَابُهُـــمْ أَدَبـــي ... فَهُمْ وإنْ فُرِّقُوا في الأرْضِ جِيرَاني (٥)

أرْوَاحُنَـا فـــي مَكَـانٍ وَاحِـدٍ وغَـدَتْ ... أبْـــدَانُنَـــا بِشَـــآمٍ[5] أوْ خُـــرَاسَـــانِ

---

(1) كب ، مص : قد .
(2) كب ، مص : فهو .
(3) كب ، مص : يقرب .
(4) كب : جاوزت .
(5) كب : لشآم .

---

(١) التشاكل : التشابه والموافقة ، يقال : تشاكل الشيئان وشاكل كُلٌّ واحد منهما صاحبه .

(٢) كفر النعمة : جحدها وسترها ، وهو شر خلق .

(٣) النكس : الضعيف من الرجال ، المقصر عن غاية النجدة والكرم ، وأصله في السهام ، وهو الذي ينكسر فُوقه فيجعل أعلاه أسفله ، فلا يرجع كما كان ، ولا يكون فيه خير . يقول : ما أنا بالمستضعف اللئيم ، ولا الذي إذا انحرف عنه من يواده دعا بالويل والحَرَب (أي الهلاك) ، فقال : واحراباه . وقال التبريزي : يجوز أن يكون معنى أحرب : أغتاظ (شرح ديوان الحماسة ١/ ٢٨٦) .

(٤) متعب : أتى بكره وتكلف ، ولم يأت بسهولة .

(٥) العصابة : الجماعة ، ولا واحد لها من لفظها .

٣٨٨٧ وقال عبيد [1] الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز(١) :

أَبِـنْ لـي فَكُـنْ مِثْلِـي أَوِ ابْتَـغِ صـاحِبـاً كَمِثْلِـكَ إنِّـي مُبْتَـغٍ صَـاحِبـاً مِثْلِـي

٨/٣ عـزِيـزٌ إخَـائـي ، لا يَنَـالُ مَـوَدَّتـي مِـنَ القَـوْمِ إلَّا مُسْلِـمٌ كَـامِـلُ العَقْـلِ

ومـا يَلْبَـثُ الإخْـوانُ أنْ يَتَفَـرَّقُـوا إذا لَـمْ يُـؤَلَّـفْ رُوحُ شِكْـلٍ إلـى شِكْـلِ

٣٨٨٨ وقال الطَّائي :

ولَـنْ تَنْظِـمَ العِقْـدَ الكَعَـابُ لِـزِينَـةٍ كَمَا يَنْظِمُ الشَّمْلَ الشَّتِيتَ الشَّمَائِلُ(٢)

٣٨٨٩ كَتَبَ بعضُ الكُتَّاب إلى صديقٍ له : إنِّي صادفتُ منكَ جوهرَ نفسي ، فأنا محمودٌ[2] على الانقياد لكَ بغيرِ زِمامٍ ، لأنَّ النَّفْسَ يَتْبَع بعضُها بعضاً .

٣٨٩٠ قال : حَدَّثني محمد بن داود ، قال : حَدَّثني يزيد بن خلف ، عن يعقوب بن كعب ، عن بَقية ، عن صفوان بن عمرو ، عن شُرَيح بن[3] عبيد ، قال :

كَتَب أبو الدرداء إلى سَلْمان : إنْ تكنِ الدارُ مِنَ الدارِ بعيدةً فإنَّ الرُّوحَ مِنَ الرُّوحِ قريبٌ ، وطَيْرُ السماءِ على إلْفِه مِنَ الأرضِ يَقَعُ(٣) .

٣٨٩١ وقال أبو العَتَاهِية(٤) :

يُقَـاسُ المَـرْءُ بـالمَـرْءِ إذا مـا هُـوَ مَـا شَـاهُ

ولِلْقَلْـبِ عَلَـى القَلْـبِ دَلِيـلٌ حِيـنَ يَلْقَـاهُ

ولِلشَّكْـلِ عَلَـى الشَّكْـلِ مَقَـايِيـسٌ وأشْبَـاهُ

وفـي العَيْـنِ غِنـىً لِلْعَيْـ ـنِ أنْ تَنْطِـقَ أفْـوَاهُ

---

(1) كب ، مص : عبد ، تحريف . (2) كب ، مص : غير محمود .

(3) كب ، مص : عن أبي عبيد ، تحريف .

---

(١) كان عبيد الله استأذن على عمر بن عبد العزيز ، فرده الحاجب وقال له : عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو مختلٍ به . فانصرف غضبان (الأغاني ٩/ ١٤٣) .

(٢) الكعاب : الفتاة الشابة ، التي نهد ثدياها ونشزا واستويا ، فلا استرخاء فيهما ولا لين ، وذلك في فورة شبابها وخير أيامها . ونظم العقد : جمعه في السلك . يقول : تؤلف الأخلاق بين أهلها ، وإن كانوا مختلفين في الهيئات والمناظر ، أكثر من جمع الفتاة حبات عقدها في السلك . وإنما خص الشابة لحرصها على تمام زينتها ، فهي شديدة الحرص على تمام عملها .

(٣) وقع الطائر : حط على الأرض .

(٤) مضت الأبيات برقم ٣٠٨٤ كتاب العلم والبيان ، وستأتي قريباً برقم ٤٢٧٨ .

٣٨٩٢ وقال [آخر في][1] المُسَاحِقي :

يُـزَهِّـدُنـي فـي وُدِّكَ ابْـنَ مُسَـاحِـقٍ مَوَدَّتُكَ الأرْذَالَ دُونَ ذَوي الفَضْلِ
وأنَّ شِرَارَ النَّاسِ سَادُوا خِيارَهُمْ زَمَانَكَ ، إنَّ الرَّذْلَ للزَّمَنِ الرَّذْلِ

* * *

(1) كب ، مص : وقال المساحقي ، وهو غلط محض ، فالبيتان في هجائه ، وليسا له . وابن مساحق : مساحق بن عبد الله بن مساحق بن عبد الله القرشي العامري .

٣٨٩٣ قال : حَدَّثني أحمد بن الخليل ، عن محمد بن بشار ، عن يحيى بن سعيد ، عن ثَوْر بن يزيد ، عن حبيب بن عُبَيد :

عن المِقْدام بن مَعْديكرب وكان أدركَ النبيَّ ﷺ ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « إذا أحَبَّ أحَدُكم أخاه فليُعْلِمْه أنه يُحبه »[١] .

٣٨٩٤ وحَدَّثني محمد بن داود ، عن أبي الربيع ، عن حَمَّاد بن زيد ، عن ليث :

عن مجاهد ، قال : ثلاثٌ يُصْفِين لكَ وُدَّ أخيك : أن تبدَأه بالسلام إذا لَقِيتَه ، وتُوَسِّع له في المجلس ، وتدعُوَه بأحبِّ أسمائه إليه . وثلاثٌ مِنَ العِيِّ[٢] : أنْ تَعيبَ على النَّاسِ ما تأتي ، وأنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ ما يَخْفَى عليك من نفسك ، وأنْ تؤذي جليسَك فيما لا يَعْنيك .

٣٨٩٥ وكان يقال : لا يكون حُبُّك كَلَفاً ، ولا بُغْضُك تَلَفاً[٣] .

أي لا تُسْرِف في حبك وبُغْضك .

٣٨٩٦ ونحوه قولُ الحسن : أَحِبُّوا هَوْناً ، فإنَّ أقواماً أفرطوا في حُبِّ قومٍ فهلكوا .

٣٨٩٧ وكان يقال : مَنْ وَجَد دونَ أخيه سِتراً فلا يَهْتِكْه .

٣٨٩٨ وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَتَاني هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعْرِفَ الهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْباً فارِغاً فتَمَكَّنَا

٣٨٩٩ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لطُلَيحة الأَسَدي : قَتَلْتَ عُكَّاشة بنَ مِحْصَن[٤] !

---

(١) رجاله ثقات ، وأحمد بن الخليل ليس القومسي ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) العي : الجهل ، يقال : عَيَّ بالأمر وعن الأمر : عجز عنه ولم يطق إحكامه ولم يهتد لوجه عمله .

(٣) الكلف : الولوع بالشيء مع شغل القلب والمشقة ، وكَلِف بالشيء : أولع به وأحبه أشد الحب حتى يبلغ منه الجهد .

(٤) طليحة بن خويلد الأسدي : هو « طليحة الكذاب » ادعى النبوة في حياة الرسول ﷺ ، ثم أسلم ووفد على عمر فبايعه في المدينة ، ثم خرج إلى العراق ، فحسن بلاؤه في الفتوح ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ . وعكاشة بن محصن الأسدي : من السابقين الأولين البدريين، قتل سنة ١١ ، وكان خالد بن الوليد قد جَهَّزه مع ثابت بن أقرم العجلاني طليعة له على فرسين لقتال المرتدين ، فظفر بهما طليحة ، فقتلهما .

لا يُحبُّك قلبي ! قال : فمعاشرةٌ جميلةٌ يا أميرَ المؤمنين ، فإنَّ الناسَ يتعاشرون على البغضاء .

٣٩٠٠ وكَتَب رجلٌ إلى صديق له : الشوقُ إليكَ وإلى عهدِ أيامِك ـ التي حَسُنَت بكَ كأنها أعيادٌ ، وقَصُرَت بك حتى كأنها ساعاتٌ ـ يفوتُ[1] الصفاتِ . ومما جَدَّدَ الشوقَ وكَثَّرَ ١٠/٣ دَوَاعيَه تصاقُبُ الدارِ وقربُ الجِوار . تَمَّمَ اللهُ النعمةَ المتجدِّدةَ فيك بالنظر إلى الغُرَّة المباركة التي لا وَحْشَةَ معها ولا أُنْسَ بعدها(١) .

٣٩٠١ قال الحسن : المؤمن لا يَحيف[2] على مَنْ يُبْغِضُ ، ولا يأثُم فيمن يُحب(٢) .

٣٩٠٢ وقرأتُ في بعض الكتب : إنه لَيَبْلُغُ من حسنِ شفاعةِ المحبةِ أنَّ الحبيبَ يُسيءُ فيَظُنُّ [المُحِبُّ] به الغَلَطَ ، ويُذنب فيَحْتَجُّ له بالدَّالَّة(٣) ، وذَنْبُه لا يَحْتَمِلُ التأويلَ ولا مَخْرَجَ له في جواز العقول .

٣٩٠٣ وفيه : كلُّ ذنبٍ إذا شئتَ أن تنساه نَسِيتَه ، وإنْ شئتَ أنْ تذكُرَه ذكرتَه ، فليس بمخوفٍ . وليس الصغيرُ من الذَّنب ما صَغَّرَه الحبُّ ، وإنما الصغيرُ ما صغَّرَه العدل .
وليس الذَّنْبُ إلَّا ما [لا] يَصْلُح معه القلبُ ولا يزال حاضراً الدهرَ ، وإلَّا ما كان مِنْ نِتاجِ اللؤمِ ومن[3] نصيبِ المعاندة . وأمَّا[4] ما كان من غير ذلك فإنَّ الغفرانَ يتغَمدُه والحُرْمة تشفَعُ فيه .

٣٩٠٤ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له في فصلٍ من كتاب : لساني رَطْبٌ بذكرك ، ومكانُكَ من قلبي معمورٌ بمحبتك .

٣٩٠٥ ونحوه قولُ مَعْقِل أخي أبي دُلَف لمُخَارِق :

---

(1) كب : تفوت .
(2) كب : يخيف .
(3) سقطت من مص .
(4) كب ، مص : فأما .

---

(١) تصاقب الدار : قربها ، يقال : أَصْقَبَت دارهم وصَقِبت وأَسْقَبَت ، إذا دنت وقربت . والغرة في الأصل : بياض في جبهة الفرس أكبر من الدرهم ، لم تَمِل على الخدين أو العينين ، ولم تَمِل سفلاً . وقوله : الغرة المباركة : جبهته ، وعنى طلعته ، تشبيهاً بغرة الفرس في جبهته ، لأن البياض فيه أول شيء فيه .

(٢) يحيف : يجور ويظلم في حكمه ، والحَيْف : الميل في الحكم والجور والظلم ، يقال : حاف عليه في حكمه يَحيف ، إذا مال وجار .

(٣) الدَّالة : الثقة بمحبة الحبيب ومن لك عنده منزلة ، فتُفْرط بالانبساط له والجرأة عليه .

لَعَمْري لَئِنْ قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ لَقَدْ سَخِنَتْ بالبَيْنِ مِنْكَ عُيُونُ(١)
فَسِرْ وأَقِمْ ، وَقْفٌ عَلَيْكَ مَوَدَّتي مَكَانُكَ مِنْ قَلْبي عَلَيْكَ مَصُونُ

٣٩٠٦ وقال رجل لشَبيب بن شَيْبة : واللهِ أُحِبُّك[1] ؛ قال : وما يمنَعُكَ من ذلك ، وما أنتَ لي بجارٍ ولا أخٍ ولا قَرَابةٍ ؟

يريد أن الحسد مُوَكَّل بالأدنى فالأدنى .

١١/٣ ٣٩٠٧ قال رجلٌ لشَهْر بن حَوْشب : إني لأُحِبُّك ؛ قال : ولم لا تُحبني ، وأنا أخوك في كِتاب الله ، ووزيرُك على دين الله ، ومُؤْنتي[2] على غيرك(٢) ؟

٣٩٠٨ قال بَشَّار :

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الحُبِّ مَنْزِلَةً تُدْني إلَيْكِ فإنَّ الحُبَّ أقْصَاني

٣٩٠٩ وقال غيره :

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ لي وَاحِدٌ وحُبٌّ لأنَّكَ أهْلٌ لِذَاكَا
فأمَّا الَّذِي أنْتَ أهْلٌ لَهُ فَحُسْنٌ فَضَلْتَ بِهِ مَنْ سِوَاكَا
وأمَّا الَّذِي في ضَمِيرِ الحَشَى فَلَسْتُ أَرَى الحُسْنَ حَتَّى أَرَاكَا
ولَيْسَ لِيَ المَنُّ في واحِدٍ ولكنْ لَكَ المَنُّ في ذَا وذَاكَا

٣٩١٠ وقال المُسَيَّب بن عَلَس :

وعَيْنُ السُّخْطِ تُبْصِرُ كُلَّ عَيْبٍ وعَيْنُ أخي الرِّضا عَنْ[3] ذَاكَ تَعْمَى

٣٩١١ ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر(٣) :

---

(1) كب : ما أحبك .
(2) مص : مؤونتي .
(3) كب : من .

---

(١) قرت عينه : قالوا هي من القرار ، أي رأت عينه ما كانت متشوقة إليه فقرت ونامت . وقالوا : هي من القَرور ، وهو الدمع البارد يخرج مع الفرح . وقالوا غير ذلك ، وكل المعاني تدور حول الرضا والسرور (اللسان : قرر) وضد ذلك قولهم : سخنت عينه ، أي بكت ، كأنها سخنت من حرارة الدمع . والبين : الفراق والبعد ، وهو من الأضداد ، يكون الفرقة ويكون الوصل .
(٢) المؤنة : الكفاية والنفقة على العيال ، من الأيْن : وهو التعب والشدة ، كأنه عظيم التعب في الإنفاق على من يعول .
(٣) سيأتي البيتان برقم ٤٢٥٧ .

فَلَسْـتَ بِـرَاءٍ عَيْـبَ ذي الـوُدِّ كُلَّـهُ   ولا بَعْـضَ مـا فِيـهِ إذا كُنْـتَ رَاضِيَـا
وعَيْـنُ الـرِّضَـا عَـنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كَلِيلَـةٌ   ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيا(١)

٣٩١٢ وقال بعضُ الخلفاء لرجل : إنِّي لأُبْغِضُك . قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنما يجزَعُ مِنْ فَقْدِ الحبِّ المرأةُ ، ولكنْ عدلٌ وإنصاف .

٣٩١٣ وقال شُرَيح(٢) :

خُـذِي العَفْـوَ مِنِّي تَسْتَـديمـي مَـوَدَّتـي   ولا تَنْطِقِي في سَوْرَتي حِينَ أَغْضَبُ(٣)
فإنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأَذَى   إذا اجْتَمَعـا لـم يَلْبَـثِ الحُـبُّ يَـذْهَـبُ

٣٩١٤ وقال أعرابي : إذا ثبتتِ الأصولُ في القلوب نطقتِ الألْسُنُ بالفُرُوعِ ، ولا يظْهَرُ الوُدُّ السليمُ إلَّا مِنَ القلب المستقيم .

٣٩١٥ وقال آخر : مَنْ جَمَع لك مع المودَّةِ الصادقةِ رأْياً حازماً ، فاجْمَعْ له مع المحبة الخالصةِ طاعةً لازمة .

٣٩١٦ قال اليزيدي : رأيتُ الخليلَ بنَ أحمد فوجدتُه قاعداً على طُنْفسة ، فأَوْسَع لي ، ٣/ ١٢ فكَرِهتُ التضييقَ عليه ، فقال : إنه لا يضيق سَمُّ الخِياط على متحابّيْن ، ولا تَسَعُ الدنيا متباغِضَيْن(٤) .

٣٩١٧ وقال أبو زُبيد للوليد بن عقبة[1] :

مَـنْ يَخُنْـكَ الصَّفَـاءَ أوْ يَتَبَـدَّلْ   أَوْ يَـزُلْ مِثْلَمَـا تَـزُولُ الظِّـلالُ
فـاعْلَمَـنْ أنَّنـي أخُـوكَ أخُـو العَهْـ   ـدِ حَيَـاتـي حَتَّـى تَـزُولَ الجِبَـالُ
لَيْسَ بُخْلٌ عَلَيْكَ مِنِّي بِمَالٍ   أبداً ما اسْتَقَلَّ سَيْفاً حِمَالُ[2]
فلَـكَ النَّصْـرُ بـاللِّسَـانِ وبـالكَـفِّ   إذا كَـانَ لِلْيَـدَيْـنِ مَصَـالُ
كُـلُّ شَـيءٍ يَحْتَـالُ فِيـهِ الـرِّجَـالُ   غَيْـرَ أنَّ لَيْـسَ للمَنَـايَـا احْتِيَـالُ

---

(1) كب : عتبة ، تحريف .   (2) كب : جمال .

---

(١) كليلة : لا تحقق فيما تراه ، وتنبو عنه ، يقال : كَلَّ البصر وغيره يَكِلُّ ، فهو كليل وكَلٌّ .
(٢) سيأتي البيتان برقم ٤٠٤٣ ، وبنسبتهما إلى أبي الأسود الدؤلي برقم ٥٧٤٧ كتاب النساء .
(٣) العفو : ما أتى سهلاً ميسراً ، من غير مسألة أو مشقة . يقول : اقبلي الميسور ولا تستقصي علي . والسورة : الحدة والسطوة والثورة .
(٤) الطنفسة : البساط الذي له خمل رقيق . سم الخياط : خرق الإبرة .

٣٩١٨ وقال المُنَخَّل اليَشْكُري :

وأُحِبُّهَــا وتُحِبُّنــي ويُحِبُّ نـاقَتَها بَعِيـرِي

٣٩١٩ وذَكَر أعرابي رجلاً فقال : واللهِ لكأنَّ القلوبَ والألسنَ رِيضَتْ له ، فما تُعْقَدُ إلَّا على وُدِّه ، ولا تَنْطِق إلا بحمده .

٣٩٢٠ قال عبد الله بن الزُّبير ذاتَ يوم : واللهِ لوَدِدْتُ أنَّ لي بكُلِّ عشرةٍ من أهل العِراق رجلاً من أهلِ الشام صَرْفَ الدِّينارِ بالدِّرْهم . فقال أبو حاضر : مَثَلُنا ومَثَلُكَ كما قال الأعشى :

عُلِّقْتُهَــا عَــرَضـاً وعُلِّقَــتْ رَجُــلاً غَيْرِي وعُلِّقَ أُخرَى غَيْرَها الرَّجُلُ[١]

١٣/٣ أَحَبَّك أهلُ العراق ، وأحببتَ أهلَ الشام ، وأَحَبَّ أهلُ الشامِ عبدَ الملكِ بنَ مروان .

٣٩٢١ وقال عمر لأبي مريم السَّلُولي[٢] : والله لا أحبُّك حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ . قال : فتمنَعُني لذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا ضَيْرَ .

٣٩٢٢ وقال عمر أيضاً لرجلٍ هَمَّ بطلاق امرأتِه : لم تُطَلِّقُها ؟ قال : لا أُحِبُّها . قال : أَوَ كُلُّ البيوتِ بُنِيتْ على الحبِّ ؟ وأين الرِّعايةُ والتَّذَمُّم[٣] !؟

٣٩٢٣ قال أعرابي :

أُحِبُّـكِ حُبـاً لَـوْ بُلِيـتِ بِبَعْضِـهِ أَصَابَـكِ مِنْ وَجْدٍ عَلَـيَّ جُنُونُ

لطِيـفٌ مَـعَ الأَحْشَـاءِ أمَّـا نَهَـارُهُ فَسَبْـتٌ وأمَّـا لَيْلُـهُ فـأَنِيـنُ[٤]

٣٩٢٤ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له : اللهُ يعلم أنني أُحِبُّك لنفسك فوق محبتي إياكَ لنفسي ، ولو أني خُيِّرتُ بين أمرين : أحدِهما لي وعليك ، والآخر لك وعليَّ ، لآثرتُ المروءة

---

(1) كب : أهون . (2) كب : فيقل .

---

(١) عرضاً : عن غير عمد أو إرادة . وعلق بها : أحبها وشغف بها ، يقال : عَلِق الشيء وعَلِق به : نشب فيه وتعلق به ولزمه .

(٢) الصواب أنه أبو مريم الحنفي، واسمه إياس بن صُبَيح، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيدَ بن الخطاب، وكان أبو مريم صاحب مسليمة الكذاب ، ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه ، وولّاه عمر قضاء البصرة (الإكمال ٥/ ١٧١ ، وانظر البيان والتبيين ١/ ٣٧٦ ، والكامل للمبرد ٢/ ٧٢٨ فالتحريف في نسبه قديم) .

(٣) التذمم للصاحب : أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٤) السبت : السكون والراحة ، كأن الراحة قَطْعٌ عن الحركة وترْك الأعمال .

وحُسْنَ الأُحْدُوثَة بإيثار حَظِّك على حَظِّي . وإني أُحِبُّ وأُبْغض لك ، وأُوالي وأُعادي فيك .

٣٩٢٥ وقال بعضُهم : هَوِّنْ[1] فقد يُفرِطُ الحبُّ فيقْتُلُ ، ويُفرِطُ الغَمُّ فيقْتُلُ ، ويُفرِطُ السرورُ فيقْتُلُ ، وينفتحُ القلبُ للسرور ، ويضيقُ وينضمُّ للحزن والحبِّ(١) .

٣٩٢٦ وقالوا : العِشْق اسمٌ لما فَضَل عن المحبة(٢) .

٣٩٢٧ وقال بعضهم : العِشْق مَرَضُ قلبٍ ضَعُفَ .

٣٩٢٨ وقال بعضُ الشعراءِ :

فَتَمَّ على مَعْشُوقَةٍ لا يَزِيدُهَا[2] إِلَيْهِ بَلاءُ الشَّوْقِ[3] إلَّا تَحَبُّبَا

* * *

---

(1) كب : أهون . (2) كب : يريدها .
(3) كب ، مص : السوء .

---

(١) هون : خفف وأرفق ، والهَوْن : الرفق واللين والتثبت . ويفرط : يجاوز الحد ، يقال : أفرط في الأمر ، إذا أسرف وعجل فيه قبل التثبت منه .
(٢) فضل : زاد .

٣٩٢٩ حَدَّثنا أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا عبيد الله[1] بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي[2] إسحاق ، عن الحارث :

عن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « للمسلم على المسلم خِصالٌ ستٌّ[3] : يُسَلِّمُ عليه إذا لَقِيَه ، ويُجِيبُه إذا دعاه ، ويُشَمِّتُه إذا عَطَس ، ويَعُودُه إذا مَرِض ، ويحضُرُ جنازَته إذا مات ، ويُحِبُّ له ما يحبُّ لنفسه »(١) .

٣٩٣٠ قال : حَدَّثني شَبَابة ، قال : حَدَّثنا القاسم بن الحكم ، عن إسماعيل بن عَيَّاش ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه :

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أعِنْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً ، إن كان مظلوماً فخُذْ له بحقه ، وإن كان ظالماً فخُذْ له من نفسه »(٢) .

٣٩٣١ وحَدَّثني القُومِسي ، قال : حَدَّثنا أبو بكر الطبري ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جُبير بن نُفَير[4] ، قال :

قال معاذ بن جبل : إذا آخيتَ أخاً فلا تُمارِه ولا تُشاره ولا تسأل عنه ، فعسى أن تُوافِقَ[5] عدواً فيُخْبِرَك بما ليس فيه فيُفَرِّقَ بينكما(٣) .

---

(1) كب ، مص : عبد ، تحريف .
(2) كب ، مص : ابن ، خطأ .
(3) كب ، ستة .
(4) كب ، مص : بكير ، تحريف .
(5) كب : يوافق .

---

(١) إسناده واهن ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
وتشميت العاطس : الدعاء له بالخير والبركة ، فيقول له : يرحمكم الله ، لئلا يكون في حال يُشْمَت به فيها ، وكل داعٍ لأحد بخير فهو مُشَمِّت له ومُسَمِّت ، بالشين والسين ، والشين أعلى وأفشى في كلامهم .
(٢) رجاله ثقات ، غير أن ابن عياش روى عن غير أهل بلده . والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .
(٣) لا تماره : لا تجادله على مذهب الشك والريبة ، وإنما قيل للمناظرة مماراة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالبُ اللبنَ من الضرع . ولا تشاره : لا تلاحه وتغاضبه ، يقال : شاره يشاره ، إذا عاداه وخاصمه وماراه ، وهو من الشر .

٣٩٣٢ وقال النَّمِر بن تَوْلَب في هذا المعنى(١) :

جَزَى اللهُ عَنَّا جَمْرَةَ[1] ابْنَةَ نَوْفَلٍ جَـزَاءَ مُغِـلٍّ بـالأمَـانَـةِ كَـاذِبِ(٢)
بما سَأَلَتْ عَنِّي الوُشَاةَ ليَكْذِبُوا عَلَيَّ وقَدْ وَالَيْتُهَا في النَّوَائِبِ(٣)

٣٩٣٣ قال : حَدَّثني محمد بن داود ، [قال :] حَدَّثني سعيد[2] بن نُضَير ، عن جَرير ، عن عبد الحميد ، عن عَنْبَسة ، قال : ١٥/٣

قال ابن سِيرِين : لا تُكْرِمْ أخاك بما يكره ، ولا تحمِلَنَّ كتاباً إلى أميرٍ حتى تعلَمَ ما فيه .

٣٩٣٤ وكان يقال : يُستحسَنُ الصبرُ عن كُلِّ أحدٍ إلَّا عن الصديق .

٣٩٣٥ وقال بعضُ الشعراءِ :

إذا ضَيَّقْـتَ أمْـراً ضَـاقَ جِـداً وإنْ هَـوَّنْـتَ مـا قَـدْ عَـزَّ هَـانَـا
فـلا تَهْلِـكْ لِشَيْءٍ[3] فَـاتَ يَـأساً فَكَـمْ أمْـرٍ تَصَعَّـبَ ثُـمَّ لانَـا
سـأَصْبِـرُ عَـنْ رَفِيقـي إنْ جَفَـانـي عَلَـى كُـلِّ الأَذَى إلَّا الهَـوَانـا(٤)

٣٩٣٦ وقال ابن المُقَفَّع : ابذُلْ لصديقك دَمَك ومالَكَ ، ولمعرِفتكَ رِفْدَكَ ومَحْضَرَك ، وللعامَّةِ بِشْرَك وتَحَنُّنَكَ[4] ، ولعدوِّكَ عدلَكَ ، واضْنَنْ[5] بدينك وعِرضك على[6] كُلِّ أحد(٥) .

---

(1) كب : حمزة ابتي ، مص : حمزة بنة .
(2) كب ، مص : سعد بن منصور ، تحريف .
(3) كب ، مص : بشيء .
(4) كب ، مص : تحيتك .
(5) مص : ضن .
(6) كب ، مص : عن ، خطأ .

---

(١) كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث ، وكان سيداً معظماً . فأغار الحارث على بني أسد ، فسبى امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر ، ففركته ، فحبسها حتى استقرت وولدت له أولاداً . ثم قالت له في بعض أيامها : أزرني أهلي ، فإني قد اشتقت إليهم . فقال لها : إني أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك . فواثقته لترجعن إليه . فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد . فلما أطل على الحي تركته واقفاً وانصرفت إلى منزل أهلها ، ومكثت طويلاً ، ولم ترجع إليه . فعرف ما صنعت وأنها خدعته ، فانصرف .
(٢) المغل : الخائن ، وكل من خان في شيء خفية فقد غل .
(٣) واليتها : ناصرتها . النوائب : جمع نائبة ، وهي مصائب الدهر وحوادثه .
(٤) الهوان : الذل والخزي .
(٥) الرفد : العطاء والصلة تعين بها المحتاج وغير المحتاج . والبشر : الفرح والسرور والانبساط إلى الناس .

٣٩٣٧ قال أبو اليَقْظان : وَلي خالدُ بنُ عبيد[1] الله بن أبي بكرة قضاءَ البصرة فجعل يُحابي ، فقيل له في ذلك ، فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقْطَع لأخيه قِطعةً من دِينه(١) !

٣٩٣٨ قالوا : وَقَف رسولُ الله ﷺ على عجوز ، فقال : « إنها كانت تأتينا أيامَ خديجةَ ، وإنَّ حُسْنَ العهدِ من الإيمان »(٢) .

٣٩٣٩ قال إبراهيم النَّخَعي : إنَّ المعرفةَ لتنفع عند الأسدِ الهَصور والكلبِ العقور ، فكيف عند الكريم الحسيب(٣) .

٣٩٤٠ وقال الخليلُ بن أحمد :

وَفَّيْتُ كُلَّ صَدِيقٍ وَدَّني ثَمَناً ... إلّا المُؤَمِّلَ دُولاتي وأيَّامي(٤)

٣٩٤١ وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق :

وخِلٍّ كُنْتُ عَيْنَ النُّصْحِ مِنْهُ[2] ... إذا نَظَرَتْ ومُسْتَمِعاً سَمِيعَا
أطَافَ بِغَيَّةٍ فَنَهَيْتُ عَنْهَا ... وقُلْتُ لَهُ : أَرَى أمْراً شَنِيعاً(٥)
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدي فَلَمَّا ... أَبَى وعَصَى أَتَيْنَاهَا[3] جَمِيعَا

١٦/٣

٣٩٤٢ وقال بعضُ الكوفيين :

فإنْ يَشْرَبْ أَبُو فَرُّوخَ أَشْرَبْ ... وإنْ كَانَتْ مُعَتَّقَةً عُقَارَا(٦)
وإنْ يَأْكُلْ أَبُو فَرُّوخَ آكُلْ ... وإنْ كانَتْ خَنَانِيصاً صِغَارَا(٧)

---

(1) كب ، مص : عبد ، تحريف . (2) كب : عنه . (3) كب : أبيناها .

---

(١) مضى برقم ٣٥٠ كتاب السلطان ، منسوباً إلى أبيه عبيد الله .
حابى الرجل : اختصه ومال إليه ، أراد أنه كان يميل في الحكم إلى إخوانه .

(٢) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . وقال الخطيب البغدادي : العجوز ماشطة خديجة ، واسمها : جثامة المزنية ، وتكنى أم زفر ، وسماها الرسول ﷺ حُسَّانة (الأسماء المبهمة ٤٧ ، الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات ٥٨٤) .

(٣) الهصور : الكاسر ، الشديد الحطم . والعقور : الجارح المفترس ، يجرح ويقتل ويفترس .

(٤) الدولات : جمع الدُّولة ، وهي الانتقال من حال إلى حال . والأيام : شرور الدهر وحوادثه ، والعرب تعبر عن الشدة باليوم لطول شره على أهله .

(٥) الغية : الضلالة ، يقال : غَوَى غَياً ، وغَوي غَواية .

(٦) المعتقة والعقار : من أسماء الخمرة ، سميت معتقة لأنها تترك في الدن زمناً ولا تشرب . وسميت عقاراً لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن ، أي لزمتهما .

(٧) الخنانيص : جمع خنوص ، وهو ولد الخنزير .

٣٩٤٣ وقال رجلٌ من الأعراب لأخ له : أمَا واللهِ رُبَّ يوم كَتَنُّورِ الطَّاهي ، رَقَّاصٍ بشرارِه ، قد رميتُ بنفسي في أَجِيج لهيبه[1] ، فأحتمِلُ منه ما أكرهُ لما تُحِبُّ[2] .

٣٩٤٤ وأنشد ابنُ الأعرابي :

أُغَمِّضُ للصَّديقِ عَنِ المَسَاوِي مَخَافَةَ أنْ أعِيشَ بِلا صَديقِ(١)

٣٩٤٥ وقال كُثَيِّر :

ومَنْ لا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَديقِهِ وعَنْ بَعْضِ ما فِيهِ يَمُتْ وهْوَ عَاتِبُ(١)
ومَنْ يَتَتَبَّعْ جاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا ولا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

٣٩٤٦ وقال آخر :

إذا ما صَدِيقي رَابَني سُوءُ فِعْلِهِ ولَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَني بمُفِيقِ
صبَرْتُ على أشْياءَ مِنْهُ تَرِيبُني مَخَافَةَ أنْ أبْقَى بغَيْرِ صَدِيقِ

٣٩٤٧ ومن المشهورِ في هذا قولُ النابغةِ :

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ[3] عَلَى شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ(٢) ؟

٣٩٤٨ وكان يقال : مَنْ لكَ بأخيك كُلِّه(٣) ؟ ١٧/٣

٣٩٤٩ وأنشدني الرِّياشي :

إقْبَلْ أخَاكَ ببَعْضِهِ قَدْ يُقْبَلُ المَعْرُوفُ نَزْرَا(٤)

---

(1) كب : شرره ، ثم شطبها وكتب لهيبه . (2) كب : يحب .
(3) كب : يلمه .

---

(١) أغمض عنه ، وله : تغافل عنه وأغضى ، تسامحاً وتساهلاً .
(٢) تلمه : تصلحه وتصلح ما تشعث من أمره وفسد ، بالخلاف أو سوء العشرة أو قلة التفطن ، فتجمعه . والشعث : الفساد والتفرق . المهذب : المنقى من العيوب ، المخلص . يقول : إن قطعت إخوانك بذنب ، ولم تصبر على فساد يكون منهم ، لم تبق لنفسك أحداً ، إذ لا يخلو الإنسان من أن تكون فيه خصلة غير مرضية . و « إلى » بمعنى « مع » .
(٣) سيأتي بتمامه برقم ٤٠٢١ منسوباً إلى الصحابي أبي الدرداء الأنصاري . يقول : من يكفل لك بأخ كل فعله مرضي ؟ أي لا بد أن يكون فيه ما تكره . وهذا يضرب في عز الإخاء .
(٤) النزر : القليل من كل شيء .

وأَقِـلْ[1] أخَـاكَ فـإنَّـهُ ... إنْ سَاءَ عَصْراً سَرَّ عَصْرَا(١)

٣٩٥٠ ونحوه قول الآخر :

أَخٌ لـي كَـأَيَّـامِ الحَيَـاةِ إخَـاؤُهُ ... تَلَـوَّنُ ألْـوَانـاً عَلَـيَّ خُطُـوبُهَـا

إذا عِبْـتُ مِنْـهُ خَلَّـةً فَهَجَـرْتُـهُ ... دَعَتْنِـي إلَيْـهِ خَلَّـةٌ لا أَعِيبُهَـا

٣٩٥١ وقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

اِصْبِـرْ إذا عَضَّـكَ الـزَّمَـانُ ، ومَـنْ ... أَصْبَرُ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهْ(٢)

ولا تُهِـنْ للصَّـدِيـقِ ، تُكْـرِمُـهُ[2] ... نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهْ(٣)

يَحْمِـلُ أثْقَـالَـهُ عَلَيْـكَ ... كَمَا يَحْمِلُ[3] أثْقَالَهُ عَلَى جَمَلِهْ(٤)

ولَسْـتَ مُسْتَبْقِيـاً أخـاً لَـكَ لا ... تَصْفَـحُ[4] عَمَّـا يَكُـونُ مِـنْ زَلَلِـهْ

لَيْسَ الفَتَى بالَّذِي[5] يَحُولُ عَنِ الـ ... ـعَهْدِ ويُؤْتَى الصَّدِيقُ مِنْ قِبَلِهْ(٥)

٣٩٥٢ وقيل لخالد بن صفوان : أيُّ إخوانِك أحبُّ إليك ؟ قال : الذي يَغْفِر زَلَلي ، ويَقْبَلُ عِلَلي ، ويَسُدُّ خَلَلي(٦) .

٣٩٥٣ وقال بَشَّار :

إذا أنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى القَذَى ... ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ(٧)

٣٩٥٤ وقال الخُرَيمي[6] لأبي دُلَف :

---

(1) كب ، مص : واقبل .
(2) كب : مكرمة .
(3) كب : تحمل .
(4) كب : فاصفح .
(5) كب : الذي .
(6) كب : الخزيمي ، تصحيف .

---

(١) أقل أخاك : أي أقل عثرته واصفح عنه .
(٢) عضك الزمان : أصابك بدواهيه وشروره . ورجل الزمان : القوي الشديد .
(٣) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية .
(٤) أثقاله : أعباؤه التي تشق على النفس ، من دَيْن أو ذنب أو نحوهما .
(٥) يقال : أُتي من قبله ومن جهته ، إذا أصيب منه بغتة . وحال عن العهد : انقلب وتغير .
(٦) العلل : الأعذار . والخلل : الفساد والوهن ، ولا يكون ذلك إلا بعد طول الجَهْد وذهاب القوة .
(٧) القذى : ما يقع في الشراب من عود أو وسخ ونحوه . يقول : الزم مواصلة إخوانك الذين يترددون بين الخطأ والصواب ، لأنهم بشر ، فهم كموارد الماء ، وهي لا تتساوى في الصفاء والعذوبة .

تَمْلِـــكُ إنْ كُنْـــتِ ذَا إرْبَـــةٍ مِنَ العَالَمِينَ لِشَيْخٍ نَصِيفِ[1](1)

* * *

(1) كب : شيخ وصيف . مص : لشيخ وصيف .

(١) تملك : اسم امرأة ، يتغزل بها . الإربة : البغية والأمنية . وتقدير الكلام : إربة لشيخ نصيف من العالمين . وتمام البيت لم نجده في مصدر آخر . وقال : شيخ ، ثم استدرك أنه نصيف ، أي بلغ الخمسين ، وأراه عنى أبا دلف .

الإنصاف في المودَّة

٣٩٥٥ كان يقال : لا خيرَ لك في صُحبة مَنْ لا يرى لك مثلَ ما ترى له .

٣٩٥٦ وقال جرير :

وإنِّي لأَستَحيِي أَخِي أنْ أَرَى لَهُ ... عَلَيَّ مِنَ الحَقِّ الَّذِي لا يَرَى لِيا(١)

٣٩٥٧ وله أيضاً :

إذَا أنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كَانَ يَعْقِلُ
ويَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أنْ تَضِيمَهُ[1] ... إذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَعْدِلُ[2]
ستَقْطَعُ في الدُّنْيا إذا ما قَطَعْتَني ... يَمِينَكَ ، فانْظُرْ أيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

٣٩٥٨ وقال آخر :

يا ضَمْرُ أخبِرْني ولَسْتَ بِمُخْبِرِي ... وأَخُوكَ نَافِعُكَ الَّذِي لا يَكْذِبُ
هلْ في القَضِيَّةِ أنْ إذا اسْتَغْنَيْتُمُ ... وأَمِنْتُمُ فأنَا البَعِيدُ الأجْنَبُ[3](٢)
وإذا الشَّدَائِدُ بالشَّدَائِدِ مَرَّةً ... أشْجَيْنَكُمْ فأنا[4] المُحَبُّ الأقْرَبُ
عجباً لِتِلْكَ قَضِيَّةً ، وإقَامَتي[5] ... فِيكُم عَلَى تِلْكَ القَضِيَّةِ أعْجَبُ
ولِمَالِكُمْ[6] طِيبُ البِلادِ ورِعْيُهَا ... وَلِيَ الثِّمَادُ[7] ورِعْيُهِنَّ المُجْدِبُ(٣)

وإذا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لَهَا ... وإذا يُحَاسُ[8] الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ(٤)

(1) كب : يضيمه .
(2) كب : يعدل .
(3) كب : الأخيب .
(4) كب : فان .
(5) كب : إمامتي .
(6) كب : ألمالك .
(7) كب : الثمار .
(8) كب : يجاش الجيش .

(١) يقول : إني لأستحيي أخي أن يكون له علي فضل ، ولا يكون لي عليه فضل ومني إليه مكافأة .
(٢) الأجنب : الغريب .
(٣) الثماد : جمع ثمد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء القليل الذي لا مادة له .
(٤) الكريهة : الشدة في الحرب . الحيس : التمر والأقط يدقان ويعجنان عجناً شديداً ثم يسوى ذلك كالثريد . يقول : تذكرونني عند الشدة وأُنسى في الرخاء .

هـذا لَعَمْـرُكُـمُ الصَّغَـارُ بِعَيْنِـهِ ... لا أُمَّ لي إنْ كَانَ ذَاكَ ولا أَبُ[(١)]

٣٩٥٩ وقال ابنُ عُيَينة : سُئل عليٌّ كرَّم الله وجهه عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل : ٩٠] فقال : العدل : الإنصاف ، والإحسان : التفضُّلُ .

٣٩٦٠ وقال الشاعر :

صَبَغَتْ أُمَيَّةُ في الدِّمَاءِ[1] رِمَاحَنا ... وطَـوَتْ أُمَيَّـةُ دُونَنَـا دُنْيَـاهَـا

٣٩٦١ ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فلْيَرْضَ أنْ يُحْكَمَ عليه بها ، ومَنْ سألَ مسألةً فلْيَرْضَ بأنْ يُعْطى بقَدْر بَذْله .

٣٩٦٢ وقال أبو العَتَاهية :

إذا ما لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهمٍ ... أَسَـأتَ إجَـابَـةً وأَسَـأتَ سَمْعَـا

ولَسْـتَ الـدَّهْـرَ مُتَّسِعاً لِفَضْـلٍ[2] ... إذا ما ضِقْتَ بالإنْصَافِ ذَرْعَا[(٢)]

٣٩٦٣ وقال حَمَّاد عَجْرَد :

لَيْـتَ شِعْـرِي أَيَّ حُكْـمٍ ... قَـدْ أراكُـمْ تَحْكُمُـونَـا

أنْ تَـكُـونُـوا غَيْـرَ مُعْطِـ ... ـيـنَ وأنْـتُـمْ تَـأْخُـذُونـا

٣٩٦٤ وقال آخر :

إذا كُنْـتَ تَـأْتـي المَـرْءَ تَعْـرِفُ حَقَّـهُ ... ويَجْهَـلُ مِنْـكَ الحَـقَّ فـالتَّـرْكُ أَجْمَـلُ

وفـي العِيسِ مَنْجَـاةٌ وفـي الهَجْـرِ رَاحَـةٌ ... وفي الأرْضِ عَمَّنْ لا يُؤَاتِيكَ مِزْحَلُ[3][(٣)]

٣/ ٢٠

٣٩٦٥ وقال بَشَّار :

إنْ كُنْـتَ حَـاوَلْـتَ هَـوَانـاً فَمَـا ... هُنْتُ وما في الهُونِ لي مِنْ مُقَامْ[(٤)]

---

(1) سقطت من كب ، وألحقت في الهامش . (2) كب ، مص : بفضل .
(3) كب ، مص : مرحل .

---

(١) الصغار : الذل والضيم .
(٢) ضاق بالأمر ذرعاً : ضعفت طاقته فلم يجد فيه مخلصاً ولم يقو عليه ، وأصل الذرع : بسط اليد ، فكأنما مد يده إليه فلم ينله .
(٣) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة ، وهي من أكرم الإبل وأصبرها على السير ، واحدتها أعيس وعيساء . المزحل : بالزاي ، هو المكان الذي ينتقل إليه .
(٤) الهوان والهون : الخزي والذل . واستهان به وتهاون به : استحقره .

في النَّاسِ أبْدَالٌ ولي مِزْحَلٌ[1] عَنْ مَنْزِلٍ نَاءٍ ومَرْعًى وَخَامْ(١)
لا نَـائِـلٌ مِنْـكَ ولا مَـوْعِـدٌ ولا رَسُولٌ فعَلَيْكَ السَّلامْ(٢)

٣٩٦٦ وقال آخر :

لَـهُ حَـقٌّ ولَيْـسَ عَلَيْـهِ حَـقٌّ ومَهْمَا قالَ فالحَسَنُ الجَمِيلُ
وقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حُقُوقاً عَلَيْهِ لأهْلِهَا[2] وهْوَ الرَّسُولُ

٣٩٦٧ وقال أكْثَم بن صَيْفي : أحقُّ مَنْ يَشْرَكُكَ في النِّعَم شُرَكاؤُكَ في المَكَارِه .

٣٩٦٨ أخذه دِعْبل فقال :

وإنَّ أوْلَـى البَـرَايَـا أنْ تُـوَاسِيَـهُ عِنْدَ السُّرُورِ لَمَنْ آسَاكَ في الحَزَنِ(٣)
إنَّ الكِـرَامَ إذا مـا أسْهَلُـوا ذَكَـرُوا مَنْ كَانَ يَألَفُهُمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ

٣٩٦٩ وأنشد ابنُ الأعْرَابي :

فـإنْ آثَـرَتْ بـالـوُدِّ أهْـلَ بِـلادِهَـا عَلَـى نَـازِحٍ مِـنْ أهْلِهَـا لا أَلُـومُهَـا
فـلا يَسْتَـوِي مَـنْ لا تَـرَى[3] غَيْـرَ لَمَّـةٍ ومَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لا يَرِيمُها(٤)

٣٩٧٠ وقال رَجلٌ لبعضِ السُّلْطان : أحقُّ الناسِ بالإحسان مَنْ أحسنَ اللهُ إليه ، وأوْلاهُم بالإنصاف مَنْ بُسِطَتِ القُدْرةُ بين يديه . فاسْتَدِمْ ما أُوتيتَ مِنَ النِّعَم بتأدية ما عليك مِنَ الحَقِّ(٥) .

٣٩٧١ قال المستهِلُّ بن الكُمَيت لبني العباس :

إذا نَحْنُ خِفْنَا في زَمَانِ عَدُوِّكُمْ وخِفْنَـاكُـمُ إنَّ البَـلاءَ لَـرَاكِـدُ

* * *

(1) كب ، مص : مرحل .
(2) مص : لغيره .
(3) كب : يرى .

(١) مزحل : مضى برقم ٣٩٦٤ . مرعى وخام : لا ينتجع كلؤه لسوئه ، يقال : مرعى وخام ووخيم ، وكذلك الوبيل .
(٢) عليك السلام : حياه تحية الأموات ، إشارة إلى أن حياته عنده كموته .
(٣) أولى البرايا : أجدر البرايا وأحقهم ، والبرايا : جمع بريَّة ، وهي الخلق .
(٤) اللمة : المرة من الإلمام، وهي الزيارة غباً في الحين بعد الحين. ولا يريمها: لايفارقها ولا يتحول عنها.
(٥) مضى برقم ٣٨٣ كتاب السلطان .

مداراة النَّاس(١) وحُسن الخُلُق والجِوار

٣٩٧٢ قال : حَدَّثنا الحسينُ بن الحسن ، [قال] : حَدَّثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن وُهَيب ، قال : جاء رجلٌ إلى وَهْب بن مُنَبِّه ، فقال : إنَّ الناس قد وَقَعُوا فيما وَقَعُوا فيه(٢) ، وقد[1] حدَّثْتُ نفسي ألَّا أخالِطَهُم . فقال له وَهْب : لا تفعلْ ، فإنه لا بُدَّ للناس منك ولا بُدَّ لك منهم . لهم إليكَ حوائج ، ولكَ إليهم حوائج . ولكنْ كُنْ فيهم أصمَّ سميعاً ، وأعمى بصيراً ، وسَكُوتاً نَطُوقاً .

٣٩٧٣ قال : وحَدَّثنا حسينُ بن الحسن ، قال : حَدَّثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن موسى بن عُلَيٍّ بن رَبَاح[2] ، قال :

سمعتُ أبي يُحَدِّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أربعُ خِلالٍ إنْ أُعْطيتَهُنَّ فلا يضُرُّكَ ما عُدِلَ به عنك من الدنيا : حُسْنُ خَلِيقةٍ ، وعَفافُ طُعْمَةٍ(٣) ، وصِدْقُ حديثٍ ، وحِفْظُ أمانةٍ .

٣٩٧٤ قال : وبلغني عن وَكيع ، عن مِسْعَر ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن بَابَاه ، قال : قال عبد الله بن مسعود : خالِطُوا النَّاسَ وزَايلُوهُم[3](٤) .

٣٩٧٥ عن وَكيعٍ ، عن سُفْيان ، عن جعفر[4] بن مَيْمون ، قال :

قال صعصعةُ بنُ صُوحان لابن أخيه : إذا لَقِيت المؤمنَ فخالِصْه[5](٥) ، وإذا لَقِيتَ الفاجرَ فخالِفْه ، ودِينكَ فلا تَكْلِمَنْه .

٣٩٧٦ قال المسيحُ صلى الله عليه : كُنْ وَسَطاً وامْشِ جانباً .

---

(1) كب : فقد .
(2) كب : رياح ، تصحيف .
(3) كب : تزايلوهم .
(4) كب ، مص : حبيب ، تحريف .
(5) مص : خالطه .

---

(١) المداراة : خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، والرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله وتَرْك الإغلاظ عليه إن لم يُظْهِر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، لاسيما إذا احتيج إلى تألفه ، ونحو ذلك . وقد ظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط ، لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة محرمة . والفرق بينهما أن المداهنة هي معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه (انظر فتح الباري ١٣/ ١٤٤).

(٢) يقال : وَقَع فيهم ، إذا اغتابهم ، فذكر ما ليس فيهم وعابهم وذمهم .

(٣) الطعمة : وجه الكسب .

(٤) زايلوهم : فارقوهم في الأفعال التي لا ترضي الله ورسوله .

(٥) خالصه : صافه واختصه بدخيلة نفسك .

٣/٢٢ ٣٩٧٧ وروى أبو معاوية ، عن الأحوص بن حكيم ، عن أبي الزاهرية ، قال :
قال أبو الدَّرْداء : إنَّا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوامٍ وإنَّ قلوبَنا لَتَلْعَنُهم(١) .

٣٩٧٨ ودخل [1]أبو مريم الحنفي[1] على عمر رضي الله عنه ، فقال له عمر : أقتلتَ[2] زيداً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قتلتُ رجلاً يسمَّى زيداً ، فإن يكنْ أخاكَ فهو الذي أكْرَمَه اللهُ بيدي ولم يُهِنِّي به .
ثم لم يَرَ من عُمَرَ بعد ذلك مكروهاً [، وولّاه القضاء] .

٣٩٧٩ قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قلتُ لأبي : لم تَجْلِسُ إلى فلانٍ وقد عَرَفتَ عداوته ؟ فقال : أُخْبي ناراً ، وأقْدَحُ عن وُدٍّ .

٣٩٨٠ وقال المهاجر بن عبد الله الكلابي :

وإنِّي لأُقْصي المَرْءَ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ   وأُدْني أخَا البَغْضَاءِ مِنِّي عَلَى عَمْدِ
لِيُحْدِثَ وُداً بَعْدَ بَغْضَاءَ أوْ أرَى   لَهُ مَصْرَعاً يُرْدِي بِهِ اللهُ مَنْ يُرْدي

٣٩٨١ وقال عِقَالُ بنُ شَبَّة : كنتُ رَديفَ أبي ، فلَقيه جريرٌ على بغلٍ ، فحيَّاه أبي وألْطَفَه ، فلما مضى قلتُ : أبَعْدَ ما قال لنا ما قال ! قال : يا بنيَّ ، أفَأُوسِّعُ جُرْحي(٢) !

٣٩٨٢ قال ابن الحَنَفية : قد يُدْفَع باحتمالِ مكروهٍ ما هو أعْظَمُ منه .

٣٩٨٣ قال الحسن : حُسْنُ السؤالِ نِصْفُ العِلْمِ ، ومُداراةُ الناسِ نِصْفُ العقلِ ، والقَصْدُ في المعيشة نصفُ المؤونةِ(٣) .

٣٩٨٤ مدحَ ابنَ شِهابٍ شاعرٌ فأعطاه ، وقال : مَنِ ابتغى الخيرَ اتَّقى الشَّرَّ .

٣/٢٣ ٣٩٨٥ وفي الحديث المرفوع : « أثْقَلُ[3] ما يُوضَعُ في المِيزان الخُلُقُ الحَسَنُ »(٤) .

(1 - 1) كب ، مص : لبيدة العجلي ، تحريف . ولبيدة العجلي ليس في شيء من كتب التراجم والتواريخ .
(2) كب : أقبلت .   (3) كب ، مص : أول ، تحريف .

---

(١) الكَشْر : بدو الأسنان عند التبسم ، وكَشَر الرجل : إذا ابتسم فبدت أسنانه (وانظر فيما سيأتي برقم ٤٢٨٩) .
(٢) شَبَّة بن عِقال المجاشعي : هو ابن عم الفرزدق ، وزوج أخته جعثن . وكان شَبَّة بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه ، فهجاه جرير فأوجعه .
(٣) القصد في الشيء : خلاف الإفراط ، وهو ما بين الإسراف والتقتير . والقصد في المعيشة : أن لا يسرف ولا يقتر . والمؤونة : القوت والطعام .
(٤) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

٣٩٨٦ وقال [ﷺ]: «إنَّ حُسْنَ الخُلُقِ وحُسْنَ الجِوار يُعَمِّران الديارَ، ويَزيدانِ في الأعمار»(١).

٣٩٨٧ وقال [ﷺ] : « مَنْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَهُ وخُلُقَهُ كان من أهل الجنة » .

٣٩٨٨ قال الشاعر :

فَتَـى إذا نَبَّهْتَـهُ لـم يَغْضَـبِ   أبْيَضُ بَسَّامٌ وإنْ لم يَعْجَبِ(٢)
مؤَكَّلُ النَّفسِ بِحِفْظِ الغُيَّبِ   أقْصَى رَفِيقَيْهِ لَهُ كالأقْرَبِ[1]

٣٩٨٩ وقرأتُ في «كُتُب العجم» : حُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قَرينٍ ، والأدبُ خيرُ مِيراثٍ ، والتَّوفيقُ خيرُ قائدٍ .

٣٩٩٠ وقالتْ عائشةُ رضي الله عنها : ما تُبَالي المرأةُ إذا نزلَتْ بين بيتينِ من الأنصار صالِحين ألَّا تَنْزِلَ مِنْ أبوَيْها .

٣٩٩١ وقال جعفر بن محمد : حُسْنُ الجِوارِ عِمارةٌ للدار ، وصَدَقَةُ السِّرِّ مَثْراةٌ للمال .

٣٩٩٢ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثلاثةٌ من قريشٍ أحسنُها أخلاقاً ، وأصْبَحُها وجوهاً(٣) ، وأشدُّها حياءً ، إنْ حدَّثُوكَ لم يَكْذِبوك ، وإنْ حدَّثْتَهم بحقٍّ أو باطلٍ لم يُكَذِّبوك : أبو بكر الصدِّيق، وأبو عبيدة بن الجرَّاح ، وعثمانُ بن عفان رضي الله عنهم.

٣٩٩٣ وقال يزيد بن الطَّثَرية :

وأبْـيَضَ مِثْلِ السَّيْفِ خادِمِ رُفْقَةٍ   أشَـمَّ تَـرَى سِـرْبَـالَـهُ قَـدْ تَقَـدَّدَا(٤)

---

(1) كب ، مص : كالأجنب .

---

(١) الحديث رواه ابن عبد البر عن أبي سعيد الخدري موقوفاً ، أي موقوفاً من كلامه . وقيل : مرفوعاً ، وفيه نظر ، وحسنه العجلوني لشواهده . وسيأتي إن شاء الله تخريجه في نهاية الكتاب .

(٢) يعجب : يزهو ويختال بنفسه ، والعُجْب : زهو المرء بما يكون منه حسناً أو قبيحاً . (وانظر عن صفة البياض قول يزيد بن الطثرية فيما سيأتي برقم ٣٩٩٣) .

(٣) أصبحها وجوهاً : أجملها وضاءة وجه .

(٤) وصفه بالبياض لنقاء عرضه من الدنس والعيوب لكرمه وحسبه ، لا يعني بياض اللون . وهم إذا أرادوا اللون ونقاءه قالوا : أبيض الوجه ، بالإضافة ، والعرب تجعل البياض كرماً وسراء . وأشم : كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس ، وأصل الشمم : ارتفاع قصبة الأنف وحسنها ، واستواء أعلاها ، وانتصاب أرنبتها ، وورودها ، والشمم من كرم الأصل وعتقه ، وهو إحدى خصائص العرب . تقدد : تقطع وبلي ، كناية عن بسالته ونجدته ونهوضه في كل أمر (وانظر قول ليلى الأخيلية فيما مضى برقم ١٤٢٩ ، وقول ابن هرمة برقم ١٦٢٩) .

كَـرِيـمٍ عَلَـى عِـلاَّتِـهِ لـو تَسُبُّـهُ لَفَـدَّاكَ رِسْـلاً لا تَـرَاهُ مُـرَبَّـدَا[(١)]
يجِيـبُ بِلَبَّيْـهِ إذا مـا دَعَـوْتَـهُ ويَحْسُبُ ما يُدْعَى لَهُ الدَّهْرَ أَرْشَدَا

٣/ ٢٤ ٣٩٩٤ وقرأت في «كتابٍ للهند» : مَنْ تَزَوَّد خمساً بَلَّغَتْه وآنسَتْه : كَفُّ الأذى ، وحُسْنُ الخُلُقِ ، ومجانبةُ الرِّيَبِ ، والنُّبْلُ في العمل ، وحُسْنُ الأدب .

٣٩٩٥ وقال المَرَّارُ في مداراة القرابة :

أَلاَ إنَّمَـا المَـوْلَـى كَعَظْـمٍ جَبَـرْتَـهُ فَلاَ يُخْزَى[1] المَوْلَى ولا جَابِرُ العَظْمِ[(٢)]

٣٩٩٦ وقال آخر في مداراة الناس :

وأَنْـزَلَنـي طُـولُ النَّـوَى دَارَ غُـرْبَـةٍ إذَا شِئْـتُ لاقَيْـتُ امْـرأً لا أُشَـاكِلُـهْ[(٣)]
فحَـامَقْتُـه حَتَّـى يُقَـالَ سَجِيَّـةٌ ولَـوْ كَـانَ ذَا عَقْـلٍ لَكُنْـتُ أُعَـاقِلُـهْ

٣٩٩٧ وقال بَشَّار :

خَلِيلَـيَّ إنَّ العُسْـرَ سَـوْفَ يُفِيـقُ وإنَّ يَسَـاراً فـي غَـدٍ لَخَلِيـقُ[(٤)]
ومـا أَنَـا إلَّا كـالـزَّمَـانِ إذا صَحَـا صَحَـوْتُ وإنْ مَـاقَ الـزَّمَـانُ أَمُـوقُ[(٥)]

* * *

---

(1) كب ، مص : يخرق .

---

(١) على علاته : على عسره ويسره (وانظر ما مضى برقم ٣٨٨٢) . والرسل : الرفق والتؤدة . مربد : متغير الوجه من الغضب ، يقال : تربّد وجهه ، إذا تلوّن من الغضب وتغيّر ، كأنما تسود منه مواضع .
(٢) خزي الرجل يخزى : وقع في بلية وشر فذل بذلك وهان . والمولى : ابن العم والعم والأخ والابن والعَصَبات كلهم ، من الوَلْيِ : وهو القرب ، كأنك قَرَّبتهم إليك فاقتربوا منك .
(٣) النوى : الغربة .
(٤) يفيق : يزول ، وأصله من قولهم : فاق بنفسه يفوق ويفيق ، إذا ردد شهقة النزع قبل وفاته . وخليق : جدير .
(٥) ماق : هلك حمقاً وغباوة .



التلاقي والزيارة

٣٩٩٨ حَدَّثنا محمد بن عُبَيد ، قال : حَدَّثنا الفضلُ بن دُكَين ، عن طلحة بن عمرو[1] ، عن عَطَاء :

عن أبي هريرة ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا »(١) .

٣٩٩٩ وقال الأَصْمَعي : دخل حبيبُ بن شَوْذَب[2] على جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقال جعفر : حبيب بن شَوْذَب[2] وَادُّ الصديقِ ، حَسَنُ الثَّناءِ ، يكره الزِّيارةَ المُمِلَّة ، والقَعْدَة المُنْسِيَةَ .

٤٠٠٠ وقرأتُ في « كتاب للهند » : ثلاثةُ أشياءَ تَزيد في الأُنْس والثِّقة : الزيارةُ في الرَّحْل ، والمؤاكلة ، ومعرفةُ الأهلِ والحَشَمِ(٢) .

٤٠٠١ وقال الطَّائي :

وحَظُّكَ لَقْيَةٌ في كُلِّ عَامٍ ... مُوَافَقَةً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ(٣)

٤٠٠٢ قال : أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم الصَّوَّاف ، عن يوسف[3] بن يعقوب السَّدوسي ، عن أبي السِّنان : ٣/ ٢٥

عن عثمان بن أبي سَوْدَة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَادَ مريضاً ، أو زارَ أخاً ، ناداه مُنادٍ من السماء : أنْ طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ ، تَبَوَّأْتَ من الجنة منزلاً »(٤) .

---

(1) كب ، مص : عمر ، خطأ .
(2) كب ، مص : سويد ، تحريف .
(3) كب ، مص : موسى ، تحريف .

---

(١) إسناده واهن جداً ، والحديث روي عن كثير من الصحابة ، وطرقه كلها معلولة ، وقيل بمجموعها يتقوى الحديث ، والصواب قول البزار : لا يعلم في « زر غباً تزدد حباً » حديث صحيح . وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله . والغب : أن تأتي يوماً وتتأخر يوماً ، وهو من غِبِّ الإبل : أن تشرب يوماً ، ويوماً لا .

(٢) الرحل : منزل الرجل ومسكنه وبيته . والحشم : الخدم وخاصة الرجل الذين يغضبون له من عبيد أو جيرة إذا أصابه أمر .

(٣) الموافقة : المصادفة ، ويقال : وَفَقت له ووُفِّقت له ووَفَّقته ووَفِقَني ، وذلك إذا صادفني ولقيني .

(٤) إسناده مرسل ، والحديث حسن ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
تبوأ : اتخذ ، يقال : أباءه منزلاً ، وبوأه له ، وإياه وفيه ، إذا هيأه له وأنزله ومكّن له فيه .

٤٠٠٣ كَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له : مَثَلُنا ، أعزَّكَ اللهُ ، في قُرْبِ تَجَاوُرِنا[1] وبُعْدِ تَزَاوُرِنا ما قالَ الأوَّلُ :

مـا أَقْـرَبَ الـدَّارَ والجِـوَارَ ومـا ... أبْعَـدَ مَـعْ قُـرْبِنـا تَـلاَقِينَـا

وكلُّ غفلةٍ منكَ مُحْتَملةٌ ، وكلُّ جَفْوةٍ مغفورةٌ ، للشَّغَف بك ، والثِّقةِ بحُسْن نِيَّتِك ، وسآخذ بقول أبي قيس :

ويُكْـرِمْنَهَـا[2] جَـارَاتُهَـا فَيَـزُرْنَهَـا ... وتَعْتَلُّ عَنْ إتْيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ(١)

٤٠٠٤ وقالت أعرابية :

فَلا تَحْمَدُوني في الزِّيَارَةِ إنَّني ... أَزُورُكُمْ إذْ لم أَجِدْ مُتَعَلَّلاَ(٢)

٤٠٠٥ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له يستزيره : طال العهدُ بالاجتماع حتى كِدْنا نتناكَرُ عند التلاقي ، وقد جعلك اللهُ للسرور نِظاماً ، وللأُنْس تماماً ، وجعلَ المَشَاهِدَ مُوحشةً إذ خَلَتْ منك .

٤٠٠٦ وقال سهل بن هارون :

ومـا العَيْـشُ إلَّا أنْ تَطُـولَ بنـائِـلٍ ... وإلَّا لِقَاءُ المَرْءِ ذي الخُلُقِ العَالِي

٣/٢٦ ٤٠٠٧ وقال بَشَّار :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الحَبَّ ... وتُغْشَـى مَنَـازِلُ الكُـرَمَـاءِ(٣)

٤٠٠٨ قال رجلٌ لصديقٍ له : قد تصدَّيْتُ للقائكَ غيرَ مرَّةٍ فلم يُقْضَ ذلك ؛ فقال له الآخر : كلُّ بِرٍّ تأتيه فأنتَ تأتي عليه .

٤٠٠٩ قال : [وأنشدني] ابنُ الأعرابي :

وأرْمي إلى الأرْضِ الَّتي مِنْ وَرَائِكُمْ ... لِتَـرْجِعَني يَـوْمـاً عَلَيْـكِ الـرَّوَاجِـعُ

٤٠١٠ وقال آخر :

---

(1) كب : تجاوزنا .

(2) مص : يكرمها ، على الأفصح .

---

(١) يكرمنها جاراتها ، على لغة من يأتي بعلامة الجمع مع تقدم الفعل وفراغه من الضمير ، وهي لغة صحيحة ، والأفصح أن يقال : يكرمها .

(٢) المتعلل : ما تلهى وتشغل به .

(٣) مضى البيت برقم ٤٦٨ كتاب السلطان .

رَأيتُ أخَا الدُّنْيا وإنْ بَاتَ آمِناً عَلَى سَفَرٍ يُسْرَى بِهِ وهُوَ لا يَدْرِي
تَثَاقَلْتُ إلَّا عَنْ يَدٍ أسْتَفِيدُهَا وزَوْرَةِ ذِي وُدٍّ أشُدُّ بِهِ أزْرِي

٤٠١١ وقال آخر :

أَزُورُ مُحَمَّداً وإذا الْتَقَيْنَا تَكَلَّمَتِ الضَّمَائرُ في الصُّدُورِ
فأرْجِعُ لَمْ أَلُمْهُ ولَمْ يَلُمْني وقَدْ رَضِيَ الضَّمِيرُ عَنِ الضَّمِيرِ

٤٠١٢ كان سفيانُ بن عُيَينة يقول : لا تعفِّرُوا الأقدامَ إلَّا إلى أقدارها ؛ وأنشد :

نَضَعُ[1] الزِّيَارَةَ حَيْثُ لا يُزْرِي بنا شَرَفُ المُلُوكِ ولا تَخِيبُ الزُّوَّرُ

٤٠١٣ وكان يقال : امْشِ مِيلاً وعُدْ مريضاً ، وامْشِ مِيلين وأصْلِح بين اثنين ، وامْشِ ثلاثةَ أميالٍ وزُرْ أخاً في الله .

٤٠١٤ وقال بعضُ المُحْدَثين :

إذا شِئْتَ أنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَتَابِعاً وإنْ شِئْتَ أنْ تَزْدادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا(١)

٣/ ٢٧

٤٠١٥ وقال آخر :

أَقْلِلْ زِيارَتَكَ الصَّدِيـ ـقَ تَكُنْ كَثَوْبٍ يَسْتَجِدُّهْ[2]
إنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّهُ ألَّا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهْ

٤٠١٦ قال رجلٌ لصديق له : ما أخلو ، وإنْ كان اللقاءُ قليلاً ، مِنْ سؤالٍ أو مُطَالعةٍ لك ، فقلبي يقوم مَقامَ العِيانِ .

٤٠١٧ وقال آخر لصديقٍ له : قد جمعتْنا وإياكَ أحوالٌ لا يُزْري بها بُعْدُ اللقاءِ ، ولا يُخِلُّ بها تَنازُحُ الديارِ .

٤٠١٨ وقال آخر : لولا ما في بَدِيهِ اللقاءِ من الحَيْرَةِ ، والتعرُّضِ به قبلَ معرفةِ العَيْنِ للجَفْوة ، لم أتوقَّفْ على مُطَالعةٍ حتى أصيرَ إليك .

٤٠١٩ وقال الشاعر :

ومَالِيَ وَجْهٌ في اللِّئَامِ ولا يَدٌ وَلَكِنَّ وَجْهي في الكِرَامِ عَرِيضُ

---

(1) كب : يضع الزياري .

(2) كب : تستجده ، مص : يراك كالثوب استجده .

---

(١) زر غباً : مضى برقم ٣٩٩٨ .

أَصِــحُّ إذا لاقَيْتُهُــمْ وكَــأَنَّنــي إذا أنـا لاقَيْـتُ اللِّئـامَ مَـرِيـضُ

٤٠٢٠ وقال علي بن الجَهْم :

أَبْلِغْ أَخَانا[1] ، تَوَلَّى اللهُ صُحْبَتَنا ، أَنِّــي وإنْ كُنْــتُ لا أَلْقَــاهُ أَلْقَــاهُ

وأَنَّ طَـرْفِـي مَـوْصُـولٌ بِـرُؤْيَتِـهِ وإنْ تَبَـاعَـدَ عَـنْ مَثْـوَايَ مَثْـوَاهُ

اللهُ يَعْلَــمُ أَنِّــي لَسْــتُ أَذْكُــرُهُ وكَيْـفَ أَذْكُـرُهُ إذْ لَسْـتُ أَنْسَـاهُ

* * *

(1) مص : أخاً ما .

المعاتبة والتَّجَنِّي

٤٠٢١ قال : حَدَّثنا محمد بن داود ، عن المَضَاء ، عن فَرَج بن فَضَالة ، عن لقمان بن عامر ، قال : قال أبو الدرداء : معاتبةُ الأخِ خيرٌ مِنْ فَقْدِهِ ، ومَنْ لكَ بأخيكَ كُلِّه .

٤٠٢٢ وكان يقال : التَّجَني وافدُ الصَّرْم(١) .

٤٠٢٣ وقرأتُ في الإنجيل : إنْ ظَلَمك أخوك فاذْهَبْ فعاتِبْه فيما بينك وبينَه ، فإنْ أطاعَكَ فقد رَبِحت أخاكَ ، وإنْ هو لم يُطِعْك فاستَتْبِعْ رجلاً أو رجلين يشهدان ذلك الكلامَ ، فإنْ لم يستمع فأَنْهِ أمْرَه إلى أهلِ البِيعةِ ، فإنْ لم يستمع مِنْ أهْلِ البِيعةِ فليكنْ عندك كصاحب المَكْس(٢) .

٤٠٢٤ وقال ابنُ أبي فَنَن :

إذا كُنْتَ تَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ[1] ... وتَعْتِبُ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ عَلَيَّا
طَلَبْتُ رِضَاكَ فإنْ عَزَّني ... عَدَدْتُكَ مَيْتاً وإنْ كُنْتَ حَيَّا
قَنِعْتُ وإنْ كُنْتُ ذَا حَاجَةٍ ... فأصْبَحْتُ مِنْ أكْثَرِ النَّاسِ شَيَّا
فَلاَ تَعْجَبَنَّ بِمَا فِي يَدَيْكَ ... فأَكْثَرُ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدَيَّا

٤٠٢٥ وقال أبو نَهْشَل يعاتب صديقاً له :

عَدَلْتَ عَنِ الرِّحَابِ إلى المَضِيقِ ... وزُرْتَ البَيْتَ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ
وتَظْلِمُ عِنْدَ طَاعَتِكَ المُوَالي ... ولَيْسَ الظُّلْمُ مِنْ فِعْلِ الصَّدِيقِ
تَجُودُ بفَضْلِ عَدْلِكَ لِلأَقَاصي ... وتَمْنَعُهُ مِنَ الخِلِّ الشَّفِيقِ
أَمَا والرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ ... ورَبِّ البَيْتِ والرُّكْنِ الوَثِيقِ(٣)

---

(1) كب : جرم ، وكتب فوقها ذنب .

---

(١) التجني : التجرم ، وهو أن يدعى عليك ذنباً لم تفعله ، وهذا كثير عند المحبين . والصرم : الترك والهجران والقطيعة .

(٢) البيعة : متعبد النصارى . صاحب المكس : من يأخذ الضريبة ويستوفيها من أربابها .

(٣) الراقصات : النوق ترقص في سيرها ، أي تخب وتسرع ، فتنقل أيامنها وأياسرها جميعاً في العدو . وذات عرق : الحد بين نجد وتهامة ، وتهامة : هي المنطقة الساحلية الضيقة المطلة على البحر الأحمر ، وكان العرب يسمونها الغور لانخفاض أرضها .

لقد أطْلَقْتَ لي تُهَماً أرَاها ستَحْمِلُني عَلَى مَضَضِ العُقُوقِ

٣/٢٩ ٤٠٢٦ وقال آخر :

فَدَعِ العِتَابَ فَرُبَّ شَرٍّ هَاجَ أوَّلُهُ العِتَابُ

٤٠٢٧ وقال الجَعْدي :

وكَانَ الخَلِيلُ إذا رَابَني فَعَاتَبْتُهُ ثُمَّ لَمْ يُعْتِبِ[١]
هَوَايَ لَهُ وهَوَى قَلْبِهِ سِوَايَ وما ذَاكَ بالأصْوَبِ[٢]
فإنِّي جَرِيءٌ عَلَى صُرْمِهِ إذا ما القَرِينَةُ لم تُصْحِبِ[٣]

٤٠٢٨ قال رجلٌ لصديق له يعاتبه : ما أشكوكَ إلا إليك ، ولا أستبطِئُكَ إلَّا لك ، ولا أستزيدُكَ إلا بكَ ، فأنا منتظرٌ واحدةً من اثنتين : عُتْبَى تكون منك ، أو عُقْبَى الغِنَى عنك .

٤٠٢٩ وقال آخر : قد[1] حميتُ جانبَ الأملِ فيكَ ، وقَطَعْتُ الرجاءَ لك ، وقد أسْلَمَني اليأسُ منكَ إلى العَزاءِ عنك . فإن نَزَعْتَ مِنَ الآن فصُفْحٌ لا تثريبَ فيه[٤] ، وإنْ تماديتَ فهَجْرٌ لا وَصْلَ بعده .

٤٠٣٠ وقال بعضُ الشعراء :

ولا خَيْرَ في قُرْبَى لِغَيْرِكَ نَفْعُهَا ولا في صَدِيقٍ لا تَزَالُ تُعَاتِبُهْ
يخُونُكَ ذُو القُرْبى مِراراً ورُبَّمَا وَفَى لَكَ عِنْدَ الجَهْدِ مَنْ لا تُنَاسِبُهْ

٤٠٣١ وقال آخر ، وهو أَوْس بن حَجَر :

---

(1) مص : وقد .

---

(١) رابني : رأيت منه ما يريبني وأكرهه ، تقول : رابني الشيء يَريبني ، إذا رأيت منه ما يحملك على الريبة والشك في أمره . عاتبته : من العتاب ، وهو مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة . لم يعتب : أي لم يرضني ، يقال : استعتبته فأعتبني ، أي استرضيته فأرضاني ، وأعتب الرجل : ترك ما كنت تجده عليه وتعاتبه فيه ، وعاد إلى إرضائك بعد السخط .
(٢) الهوى : هوى النفس وميلها .
(٣) الصرم : القطيعة والترك والهجران . القرينة : النفس . وتصحب : تنقاد ، تقول : أصحبت الرجل ، أي انقدت له .
(٤) التثريب : التأنيب والتعيير ، يقال : ثَرَبه يَثْرِبه ، وثَرَّبَه وأثْرَبَه ، إذا وبخه وعيره بذنوبه وعاب أفعاله .

وقَدْ أُعْتِبُ ابْنَ العَمِّ إنْ كَانَ ظَالِما   وأغْفِرُ عَنْهُ الجَهْلَ إنْ كَانَ أجْهَلا[١]

٤٠٣٢ وكَتَبَ رجلٌ إلى صديقٍ له : الحالُ بيننا تحتمِلُ الدَّالَّةَ ، وتُوجِبُ الأُنْسَ والثِّقةَ ، وتَبْسُط اللسانَ بالاستزادة .

٤٠٣٣ وكَتَب رجلٌ آخر إلى صديق له : قد جَعَلَكَ اللهُ ممن يحتمِل الدَّالَّةَ[٢] الكبيرةَ لذي الحُرْمةِ اليسيرة ، ورَفْعُكَ عنْ أنْ تبلغ استزادةَ المستزيد بعُنْفِ الحَمِيَّةِ . ٣/ ٣٠

٤٠٣٤ والعرب تقول لمن عُوتِب فلم يُعْتِب : لك العُتْبَى بأَلَّا رَضِيتَ[٣] .

٤٠٣٥ ونحوه قول بشر بن أبي خازم :

غَضِبَتْ تَميمٌ أنْ تُقَتَّلَ[1] عَامِرٌ   يَوْمَ النِّسَارِ فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ[٤]

٤٠٣٦ وقال أوس بن حارثة لابنه : العِتابُ قبل العِقاب .

٤٠٣٧ وهذا نحو قول الآخر : ليكن إيقاعُكَ بعد وعيدِك ، ووعيدُكَ بعد وَعْدِك .

٤٠٣٨ وقال إياس بن معاوية : خرجتُ في سفر ومعي رجلٌ من الأعراب ، فلمَّا كان ببعض المناهل لَقِيَه ابنُ عَمٍّ له ، فتعانقا وتعاتبا ، وإلى جانبِهما شيخٌ من الحي ، فقال لهما الشيخ : أنْعِما عيشاً ، إنَّ المعاتبةَ تبعَثُ التَّجني ، والتَّجني يبعثُ المخاصمةَ ، والمخاصمةَ تبعثُ العداوةَ ، ولا خيرَ في شيءٍ ثمرتُه العداوة . فقلتُ للشيخ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنُ تجربةِ الدهرِ ومَنْ بَلاَ تلوُّنَه . فقلتُ له : ما أفادك الدهرُ ؟ قال : العلم به . قلتُ : فماذا رأيتَ أحْمَدَ ؟ قال : أنْ يُبْقي المرءُ أُحْدوثةً حسنةً بعده .

---

(1) كب : تقبل .

---

(١) من أبيات مضت برقم ١٥٢ كتاب السلطان .

(٢) الدالة : مضت برقم ٣٩٠٢ .

(٣) لك العتبى ، أي الرجوع مما تكره إلى ما تحب ، بقولي لك : لا رضيت ، على وجه الدعاء ، أي لا رضيت أبداً . وهذا مُحَوَّل عن موضعه لأن أصل العتبى ـ كما تقدم ـ رجوع المستعتِب إلى محبة صاحبه ، وهذا على ضده .

(٤) أعتبوا بالصيلم : أي أُعتبوا بأجل وأشد مما غضبوا له . والصيلم : الداهية . يومىء إلى يوم الجِفار الذي قُتلت فيه بنو تميم . وخبره أن بني أسد قوم بشر وأحلافها من طيء وغطفان أوقعوا يوم النِّسار ببني عامر وبني تميم وهم حلفاء ، ففرت بنو تميم ، وثبتت بنو عامر ، فأصابهم قتل شديد . فغضبت بنو تميم لبني عامر ، فتجمعوا ولقوا أسداً وحلفاءها يوم الجِفار ، فلقيت منهم بنو تميم أشد مما لقيت بنو عامر . يقول : كان إرضاؤهم بالصيلم !

قال : فلم أبْرَحْ ذلك الماءَ حتى هَلَكَ الشيخُ وصلَّيتُ عليه .

٤٠٣٩ وقال رجلٌ لصديق له : أنا أُبقي على مودَّتِك : مِنْ عارِضٍ يغيِّرُه ، وعتابٍ يقْدَحُ فيه ، وأُؤَمِّلُ ـ نائياً ـ من رأيِك ، يُغْني عن اقتضائك .

٣١/٣ ٤٠٤٠ وقرأتُ في كتابِ العَتَّابي : تأَنَّيْنَا إفاقَتَكَ مِنْ سُكْرِ غفلتِك ، وترقَّبْنا انتباهَك مِنْ وَسَنِ رَقدتك ، وصَبَرْنا على تجرُّعِ الغيظِ فيك ، حتى بان لنا اليأسُ من خيرِك ، وكَشَفَ لنا الصبرُ عن وجه الغلطِ فيك . فهانحن قد عرفناكَ حقَّ معرِفتكَ في تَعَدِّيك لطويل حَقِّ مَنْ غَلِط في اختيارك .

٤٠٤١ وقال الشاعر :

فـأيَّهُمَـا يـا لَيْـلَ إنْ تَفْعَلـي بِنا ... فآخِرُ مَهْجُورٌ وأوَّلُ مُعْتَبُ(١)

٤٠٤٢ وكَتَبَ محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب : يَجب على المرؤوس إذا تجاوَزَ به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله ، وكان تفضيلُه إنما وَقَع له بِخِفَّته على القلب ومحلِّه من الأدب ، أن يُقَابَل ذلك بمثله إنْ كان مُحامِياً على محلِّه ، وإلَّا فلن يؤْمَنَ عليه .

٤٠٤٣ [وهذا] معنى بيتِ شُرَيح :

فإنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأَذَى ... إذا اجْتَمَعا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ(٢)

* * *

---

(١) قبل البيت :

والله ِمـا أدري عَـلامَ هَجَـرْتِنـي ... وأيَّ أُمُـوري فيـكِ يـا لَيْـلَ أرْكَـبُ

أأقْطَعُ حبلَ الوَصْلِ فالموتُ دونَه ... أَمَ اشْـرَبُ كـأسـاً منكُـمُ ليـس يُشْـرَبُ

أَمَ اهْرَبُ حتَّى لا أرى لي مُجَاوِراً ... أَمَ افعَـلُ مـاذا ؟ أم أبُـوحُ فـأُغْلَـبُ

المعتب : المزال عتبه ، قد تُرك ما كان يغضب منه .

(٢) مضى البيت برقم ٣٩١٣ وسيأتي برقم ٥٧٤٧ كتاب النساء منسوباً إلى أبي الأسود الدؤلي .

باب الوَدَاع

٤٠٤٤ قال : حَدَّثني محمد بن خالد بن خِداش ، قال : حَدَّثنا سَلْم[1] بن قتيبة ، عن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن[2] يزيد بن أمية ، عن نافع :

عن ابن عمر : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول إذا وَدَّعَ رجلاً : « أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَك وأمانَتَك وخواتيم عملِك وآخرَ عمرِك »(١) .

٤٠٤٥ قال : وحَدَّثني محمد بن عبد العزيز ، قال : حَدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، عن سعيد بن أبي كعب الأزدي ، عن موسى بن ميسرة :

عن أنس بن مالك : أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ ، فقال : إني أريد سفراً غداً ، فقال : ٣٢/٣ « في حِفْظ الله وكَنَفِه ، زوَّدَك اللهُ التقوى ، وغَفَر ذَنْبَك ، ووَجَّهَك للخير حيثُ كنتَ »(٢) .

٤٠٤٦ المُعْتَمِر ، عن إياس بن دَغْفَل ، قال : رأيتُ الحسن وَدَّعَ رجلاً ، وعيناه تَهْمِلان ، وهو يقول :

وما الدَّهْرُ إلَّا هَكَذَا فاصْطَبِرْ لَهُ ... رَزِيئَــةُ مَــالٍ أوْ فِــرَاقُ حَبِيــبِ

٤٠٤٧ قال : ووَدَّع رجلٌ صديقاً له ، وهو يقول :

وَدَاعُــكَ مِثْــلُ وَدَاعِ الــرَّبِيــعِ ... وفَقْـدُكَ مِثْلُ افْتِقَـادِ الـدِّيَمْ(٣)

عَلَيْكَ السَّلامُ فَكَـمْ مِـنْ وَفَـاءٍ ... نُفَـارِقُـهُ مِنْـكَ أوْ مِـنْ كَـرَمْ

---

(1) كب، مص: مسلم، حدّثنا سلم بن قتيبة، خطأ.   (2) كب : عن زيد ، خطأ .

---

(١) إسناده واهن ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة . وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . الأمانة هاهنا : أهله ومن يخلفه منهم ، وماله الذي يستودعه ويستحفظه أمينه أو وكيله . وجرى ذكر الدين مع الودائع لأن السفر موضع خوف وخطر ، وقد تصيبه فيه المشقة والتعب ، فيكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين ، فدعا ﷺ له بالمعونة والتوفيق .

(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . كنف الله : كلاءته وحفظه وحرزه ورعايته .

(٣) الديم : جمع ديمة ، وهي مطر ساكن ليس فيه رعد ولا برق ، ولكنه يشتد ويدوم ، وأقل ما يسمى منه ديمة ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل ثم يبلغ عدة أيام .

٤٠٤٨ وقال الطَّائي :

بَيَّـنَ البَيْـنُ فَقْـدَهَـا ، قَلَمَّـا تَعْـ ـرِفُ فَقْداً للشَّمْسِ حَتَّى تَغِيبا(١)

٤٠٤٩ وقال جرير :

يـا أُخْـتَ نَـاجِيَـةَ السَّـلاَمُ عَلَيْكُـمُ قَبْلَ الـرَّحِيـلِ وقَبْـلَ لَـوْمِ العُـذَّلِ

لـوْ كُنْـتُ أعْلَـمُ أنَّ آخِرَ عَهْـدِكُـمْ يَوْمُ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أفْعَلِ

أوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ لَقَنِعْتُ أوْ لَسَأَلْتُ ما لم يُسْأَلِ

٤٠٥٠ وبلغني عن بكر المازني أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمَر بحملي ، فقال لي : ما اسمُك ؟ فقلتُ : بكرٌ . قال : مَنْ خلَّفتَ وراءك ؟ قلتُ[1] : بُنَـيَّـةٌ . قال : ما قالتْ عند وداعك ؟ قلتُ : قالتْ :

إذا غِبْـتَ عَنَّـا وخَلَّفْتَنَـا فَـإنَّـا سَـوَاءٌ ومَـنْ قَـدْ يَتُـمْ

أبَـانَـا[2] فَـلاَ رِمْـتَ مِـنْ عِنْـدَنَـا فَـإنَّـا بخَيْـرٍ إذا لـم تَـرِمْ(٢)

أرَانَـا إذَا أضْمَـرَتْـكَ البِـلا دُ نُجْفَى[3] وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ(٣)

٣٣/٣

قال : فما قلتَ لها أنتَ ؟ قال : قلتُ ما قال جرير :

ثِقِـي بـالله لَيْـسَ لَـهُ شَـرِيـكٌ ومِـنْ عِنْـدِ الخَلِيفَـةِ بـالنَّجَـاحِ

٤٠٥١ كان لبني عُقَيلٍ عبدٌ رَضيعٌ بِلِبانٍ بعضهم فباعوه ، فقال حين شَخَص به مَوَاليه شعراً :

أَشَوْقاً ولَمَّا يُمْضِ بي غَيْرَ لَيْلَةٍ فكَيْفَ إذا سَارَ المَطِيُّ بنا شَهْرَا

٤٠٥٢ وقال مُسْلم بن الوليد :

وإنِّـي وإسْمَـاعِيـلَ عِنْـدَ وَدَاعِـهِ لكـالغِمْـدِ[4] يَـوْمَ الـرَّوْعِ زَايَلَـهُ النَّصْـلُ

فـإنْ أغْـشَ قَـوْمـاً بَعْـدَهُـمْ وأَزُورَهُـمْ فكالوَحْشِ يُدْنِيها مِنَ الأنَسِ المَحْلُ(٤)

---

(1) كب : قال .

(2) كب ، مص : أبانا .

(3) مص : تجفى .

(4) كب : وكالغمد .

---

(١) مضى برقم ٣٣٠٤ كتاب العلم والبيان .

(٢) يقال : ما رمت من عند فلان ، أي ما برحت ، يقال : رِمْتُ فلاناً ورِمْتُ من عند فلان .

(٣) أضمرتك البلاد : غيبتك إما بموت أو سفر .

(٤) يدينها : أي يستدنيها للقنص . والأنَس : الأنيس ، وهم الحي المقيمون ، يأنس بعضهم ببعض .

٤٠٥٣ وقال آخر عند توديعه :

عَجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ نُحِبُّهُ[1]   وتَدْنُو بمَنْ لا يُسْتَلَذُّ له قُرْبُ(١)

٤٠٥٤ وقال آخر :

مَالَتْ تُوَدِّعُني والقَلْبُ يَغْلِبُهَا   كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بالغُصُنِ

ثمَّ استَمَرَّتْ وقَالَتْ وهْيَ باكِيَةٌ   يا لَيْتَ مَعْرِفَتي إيَّاكَ لم تَكُنِ(٢)

٤٠٥٥ وقال آخر لرجلٍ وَدَّعَه : بقي علينا أنْ نَكُفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤُونِ(٣) ، ونَسْتعين على فُرْقة الوَحْشةِ بالكُتُب ، فإنها ألْسُنٌ ناطقةٌ ، وعيونٌ رامقة .

٣/ ٣٤

٤٠٥٦ وقال البحتري(٤) :

اللهُ جَارُكَ في انطِلاَقِكْ   تِلْقَاءَ شَامِكَ أوْ عِرَاقِكْ

لا تَعْذُلَنِّي في مَسِيـ   ـرِي يَوْمَ سِرْتُ ولم أُلاَقِكْ

إنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفاً   لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكْ(٥)

وعَلِمْتُ ما يَلْقَى المُوَدِّ   عُ عِنْدَ شَمِّكَ[2] واعْتِنَاقِكْ

فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّداً   وخَرَجْتُ أهْرُبُ مِنْ فِراقِكْ

* * *

(1) كب : تحبه .. تستلذ .   (2) مص : ضمك .

(١) طاحت به النوى : ذهبت به كل مذهب . والنوى : البعد ، وكانت العرب تتحول من مكان إلى مكان آخر ، طلباً للنجعة وللغيث ، أو طلب مربع ، أو تحول من ماء إلى ماء ، أو دار إلى دار ، وقد يكون قصداً للغزو والحرب ، أو أخذاً للحذر عند المخافة .

(٢) استمرت : مضت وذهبت ، يقال : مَرَّ يَمُرُّ واستمر .

(٣) غرب الشؤون : مسيل الدموع .

(٤) الأبيات في وداع أبي جعفر بن سهل المروزي ، والي الخراج بقنسرين والعواصم ، وكان البحتري معه بحلب ، فخرج إلى منبج ولم يودعه .

(٥) الغرب : الدمع . الماق : مجرى الدمع من العين (من طرفها مما يلي الأنف) .

الهدايا

٤٠٥٧ قال : حَدَّثنا يزيد بن عمرو ، قال : حَدَّثنا عمير بن عمران ، قال : حَدَّثنا الحارث ابن عتبة ، عن العلاء بن كثير :

عن مكحول ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « تصافَحُوا ، فإن المُصَافحةَ تُذْهِب غِلَّ الصدور . وتَهَادَوْا ، فإنَّ الهديةَ تَذْهَب بالسَّخِيمة »(١) .

٤٠٥٨ وحَدَّثني أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا بِشْر بن المُفَضَّل ، عن يُونُس :

عن الحسن ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو أُهْدِيَتْ لي ذِراعٌ لَقَبِلْتُ ، ولو دُعِيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ »(٢) .

٤٠٥٩ وفي حديث آخر : « تهادَوْا تحابُوا ، فإنَّ الهديةَ تفتَحُ البابَ المُصْمَتَ ، وتَسُلُّ سَخِيمةَ القلبِ »(٣) .

٤٠٦٠ قال : حَدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الأصْمَعي ، قال : سمعتُ نافعاً يحدِّثُ ، قال :

كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنةِ .

٣/٣٥ ٤٠٦١ وروى الزُّبير[1] بن بَكَّار ، عن عمه ، قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي رَبيعة

---

(1) كب : زبير ، وكلاهما صواب ، وأثبتنا الأشهر .

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، وقال المنذري : أسند من طرق فيها مقال (الترغيب والترهيب ٤/ ٢١٣) وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب . والغل : الغش والعداوة والضِّغْن والحقد والحسد ، يقال : غَلَّ صدره ، إذا كان ذا غش أو ضغن وحقد . والسخيمة : الحقد والضغينة ، يقال : سللت سخيمته باللطف والترضي .

(٢) إسناده مرسل ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي إن شاء الله تخريجه في نهاية الكتاب . الذراع : اليد من كل حيوان ، وكان ﷺ يحب أكله لأنه مباديء الشاة . والكراع : كراع الشاة ، وهو ما دون الكعب ومستدق الساق ، وهو شيء حقير . فكأنما أشار ﷺ بالكراع إلى إجابة الدعوة ولو على شيء قليل ، وقبول الهدية وإن قلَّت .

(٣) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
تحابوا (بالتشديد) : من المحبة ، ومن قال بالتخفيف فإنه من المحاباة . والمصمت : المغلق . والسخيمة : مضت قريباً برقم ٤٠٥٧ .

يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ إلى الحارث في كل يوم بِقِرْبَةٍ من ألبان إبله . فاختلفَ ما بينهما ، فأتى عمرٌو أهلَه [فقال :] لا تبعَثُوا للحارث باللبن ، فإنَّا لا نأمنُ أنْ يَرُدَّه علينا .

وانقلب الحارثُ إلى أهله ، فقال : هل أتاكم اللبنُ ؟ قالوا : لا . فراح الحارثُ إلى عمرو فقال[1] : يا هذا ، لا تجمعنَّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن . فقال [عمرو] : أمَّا إذ قلتَ هذا فلا[2] يحملُها إليكَ غيري . فحمَلَها مِنْ رَدْمِ بني جُمَح إلى أجْياد(١) .

٤٠٦٢ وبَعَث النضرُ بنُ الحارث إلى صديقٍ له يسكن عَبَّادَان بنعلين مخصُوفتين(٢) ، وكَتَب إليه : بعثتُ إليك بهما وأنا أعلم أنَّ بكَ عنهما غِنى ، ولكني أحببتُ أنْ تَعلَمَ أنك مني على ذُكْرٍ .

٤٠٦٣ وقال بعضُ الشعراء :

إنَّ الهَـــدِيَّــةَ حُلْـــوَةٌ كـالسِّحْـرِ تَجْتَلِبُ القُلُوبَا
تُـدْني البَغِيـضَ مِـنَ الهَـوَى حَتَّـى تُصَيِّـرَهُ قَـرِيبَـا
وتُعِيــدُ مُضْطَغِــنُ العَـدَا وَةِ بَعْـدَ نُفْـرَتِـهِ حَبِيبَـا(٣)

٤٠٦٤ أهدى رجلٌ إلى صديقٍ له عبداً أسودَ ، فكَتَب إليه : أما بعد ، فلو عَلِمْتَ عدداً أقلَّ من واحدٍ ، أو لوناً شراً من الأسود ، لبعَثْتَ به إليَّ .

٤٠٦٥ وهذا نظيرُ قولِ الآخر وقد سُئل كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل . قيل : وكيف ؟ فقال : لا أقلَّ من واحدٍ ، ولا أخْبَثَ من بنت . ٣٦/٣

٤٠٦٦ أهدى رجلٌ إلى بعض الأمراء هديةً ، فكتب إليه الأميرُ : قد قبلتُها بالمَوْقع ، ورددتُها بالإبقاء .

٤٠٦٧ وكان ابنُ عباس يقول : « من أُهْدِيَتْ إليه هديَّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها » .

---

(1) كب : فلما راح الحارث بعمرو فقال ، مص : فلما راح . . بعمرو قال .
(2) كب : لا .

---

(١) ردم بني جمح : موضع بمكة ، سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بني جمح . وأجياد : ما يلي الصفا .
(٢) خَصَفَ النعل : ظاهر بعضها على بعض وخرزها ، وهي نعل خصيف .
(٣) مضطغن العداوة : المضمر لحقده وعداوته ، الذي انطوى على حقد داخل ملازم يخفيه .

فأهدى إليه صديقٌ ثياباً من ثياب مصرَ وعنده أقوامٌ فأمَر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبرنا أنَّ مَنْ أُهْدِيَتْ له هديةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكل ويُشْرَبُ ويُشَمُّ ، وأمَّا[1] في ثياب مصر فلا .

٤٠٦٨ وقال خَلَفُ الأحمر :

أَتَـانِـي أَخٌ مِـنْ غَيْبَـةٍ كـان غَـابَهـا وكُنْـتُ إذا مـا غَـابَ أَنْشُـدُه رَكْبَـا(١)

فَجَـاءَ بمَعْـرُوفٍ كَثيـرٍ فَـدَسَّـهُ كَمَا دَسَّ راعي السَّوْءِ في حِضْنِهِ الوَطْبَا(٢)

فَقُلْـتُ لَـهُ : هَـلْ جِئْتَنـي بهَـدِيَّـةٍ ؟ فقال: بنفسي! قُلْتُ: أَتُحِفُ بها الكَلْبَا(٣)

هِـيَ النَّفْسُ لا أَرْثـي لَهَـا [مِـنْ] بَلِيَّـةٍ ولا أَتَمَنَّـى أنْ رَأَيْـتُ لَهَـا قُـرْبَـا

٤٠٦٩ أَهْدَى رجلٌ إلى صديقٍ له ، وكَتَب إليه : الأُنْسُ سَهَّلَ سبيلَ الملاطفة ، فأهديتُ هديةَ مَنْ لا يَحْتَشِم ، إلى مَنْ لا يَغْتَنِم(٤) .

٤٠٧٠ وحَدَّثنا أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا أبو سَلَمة ، عن حُبَابة بنت عجلان ، عن أمها أم حفص ، عن صفية بنت جرير :

عن أم حكيم بنت وَدَّاع الخزاعية ، قالت : قلتُ للنبيِّ ﷺ: ما جزاءُ الغنيِّ من الفقير ؟ قال : « النصيحةَ والدعاء » . قلت : يُكْرَه رَدُّ اللَّطَفِ . قال : « ما أَقْبَحَه ، لو أُهْدِيت إليَّ ذِراعٌ لقَبِلْتُ ، ولو دُعيتُ إلى كُراعٍ لأجبت . تهادَوْا ، فإنه يُضْعِفُ الحُبَّ ، ويذْهَب بغوائل القلوب »(٥) . ٣/ ٣٧

---

(1) كب ، مص : فأما .

---

(١) أنشده : أسأل عنه . الركب : القوافل ، اسم للجمع وليس بتكسير راكب ، والعرب لا تسمي راكباً على الإطلاق إلا راكب البعير والناقة .

(٢) المعروف : الإحسان الجميل وكل ما تعرفه النفس من الخير والمروءات فتطمئن إليه وترتاح . ودس الشيء : أخفاه . الوطب : سقاء اللبن .

(٣) بنفسي : أي جئت بنفسي . ويقال : أتحفه وأتحفه بكذا ، إذا أعطاه شيئاً طيباً أو غريباً لم يملك مثله فأعجبه .

(٤) يقال: احتشم منه، إذا استحيا وانقبض منه. واغتنم الشيء: عده غنيمة، أي مكسباً ونهزة من غير مشقة.

(٥) رجاله ثقات ، وأحمد بن الخليل ليس القومسي ، والحديث صحيح ولآخره شواهد عند البخاري ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

اللطف : جمع اللُّطَفة ، وهي البر والهدية والتكرمة . ويضعف : يضاعف . وغوائل القلب : جمع الغائلة : وهي الفساد والشر ، تضل صاحبها من حيث لا يدري فتهلكه .

٤٠٧١ وحَدَّثني محمد بن سَلاَّم الجُمَحي ، قال : حَدَّثني خَلاَّد بن يزيد الباهلي ، قال : أُهْديتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيرة في يوم المِهْرَجان(١) هدايا وهو أمير العراق ، فصُفَّتْ بين يديه ، فقال خلف بن خليفة وكان حاضراً :

كَـأنَّـا[1] شَمَـامِيـسُ فـي بِيعَـةٍ   تُسَبِّـحُ فـي بَعْـضِ عِيـدَاتِهـا(٢)
وقَـدْ حَضَـرَتْ رُسُـلُ المِهْـرَجَـا   نِ وصَفُّـوا كَـرِيسمَ هَـدِيَّـاتِهـا
عَلَـوْتُ بـرَأْسـيَ فَـوْقَ الـرُّؤُوسِ   فـأشْخَصْتُـهُ[2] فَـوْقَ هَـامَـاتِهـا(٣)
لأكْسِـبَ صـاحِبَتـي صَحْفَـةً   تُغِيـظُ[3] بهـا بَعْـضَ جَـارَاتِهَـا(٤)

فأمر له بجامٍ من ذهب ، ثم أقبل يفرِّق[4] بين جلسائه تلك الهدايا ، ويُنْشد :

لا تَبْخَلَـنَّ بِـدُنْيـا وهْـيَ مُقْبِلَـةٌ   فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبْذِيرُ والسَّرَفُ(٥)
فإنْ تَوَلَّتْ فأحْرَى أنْ تَجُودَ بها   فالحَمْدُ مِنْهَا إذا ما أدْبَرَتْ خَلَفُ

٤٠٧٢ كَتَب رجلٌ من أصحاب السلطان إلى بعض العُمَّالِ يَسْتهديه مِهارةً(٦) من ناحية عمله ، فكتب إليه العامل : أمَّا المِهارةُ فإنَّ أهلَ عَمَلِنا يَصُونُونَها صيانةَ الأعراض(٧) ، ويسترونها سَتْرَ الحُرَم(٨) ، ويسومون بها مُهورَ العقائل(٩) . وأنا مستخْلِص لك منها ما يكون زَيْنَ المَرْبَطِ وحُمْلانَ الصديق(١٠) ، إن شاءَ الله .

٤٠٧٣ وقال بعضهم : الهديةُ [5]إذا كانت من الصغير إلى الكبير[5] ، فكلما[6] لَطُفَتْ ودَقَّتْ ٣٨/٣

---

(1) مص : كأن .
(2) كب : فأشخصتها ، والرأس مذكر .
(3) كب : تفيض .
(4) كب : يفوق .
(5 - 5) سقطت من كب ، ثم ألحقت بالهامش .
(6) كب : كلما .

---

(١) المهرجان : احتفال الاعتدال الخريفي ، والكلمة فارسية مركبة من كلمتين : مهر : وتعني الشمس ، وجان : وتعني الحياة أو الروح .
(٢) شماميس : جمع شَمَّاس ، وهو من يقوم بخدمة الكنيسة ، ويكون دون القسيس . والبيعة : الكنيسة .
(٣) أشخصته : رفعته عالياً . والهامات : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس .
(٤) الصحفة : الطبق ، يشبع الخمسة ونحوهم .
(٥) السرف : الخطأ والإعطاء في غير وجهه .
(٦) مهارة : جمع مهر (بالضم) ، وهو ولد الفرس .
(٧) الأعراض: جمع عرض (بالكسر فسكون)، وهي النفس والعرق والحسب، يحامى عنه أن يُنتقص ويثلب.
(٨) الحرم : عيال الرجل ونساؤه ومايحمي ، جمع مَحْرَمة ومَحْرُمة .
(٩) العقائل : جمع عقيلة ، وهي المرأة الكريمة النفيسة المخدرة .
(١٠) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

كان أبهى لها ، وإذا كانتْ من الكبير إلى الصغير ، فكلما عَظُمَتْ وجَلَّتْ كان أوْقَعُ لها وأنْجَعُ .

٤٠٧٤ وكَتَب أبو السِّمْط :

بـدَوْلَـةِ جَعْفَـرٍ حَسُـنَ الـزَّمَـانُ   لَنَـا بـكَ كُـلَّ يَـوْمٍ مِهْـرَجَـانُ
لِيَـوْمِ المِهْـرَجَـانِ بِـكَ اخْتِيَـالٌ   وإشْـــرَاقٌ ونُـــورٌ يُسْتَبَـــانُ
جعَلْتُ هَدِيَّتي لَكَ فيه وَشْياً   وخَيْرُ الوَشْي ما نَسَجَ اللِّسَانُ

٤٠٧٥ أهدى حُسَام بن مِصَكّ إلى قَتَادة نعلاً رقيقة ، فجعل قَتَادةُ يحركها[1] بيده ، [وهي تنثني من رقتها] ، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجلِ في سُخْف هديته .

٤٠٧٦ وقال الشاعر :

سَقَـى حُجَّـاجَنَـا نَـوْءُ الثُّـرَيَّـا   عَلَى ما كَانَ مِنْ بُخْلٍ ومَطْلِ(١)
هـمْ جَمَعُـوا النِّعَـالَ وأحْـرَزُوهـا   وسَـدُّوا دُونَهَـا بَـابـاً بقُفْـلِ(٢)
فـإنْ أهْـدَيْـتُ فَـاكِهَـةً وجَـدْيـاً   وعَشْـرَ دَجَـائـجٍ بَعَثُـوا بِنَعْـلِ
ومِسْـــوَاكَيْـــنِ طُـــولُهُمَـــا ذِرَاعٌ   وعَشْرٍ مِنْ رَدِيِّ المُقْلِ خَشْلِ[2](٣)
فـإنْ أهْـدَيْـتُ ذَاكَ لِيَحْمِلُـونـي   عَلَـى نَعْـلٍ فَـدَقَّ اللهُ رِجْلـي(٤)
أنَـــاسٌ تـــائِهُـــونَ لَهُـــمْ رُوَاءٌ   تَغِيمُ سَمَاؤُهُمْ مِنْ غَيْرِ وَبْلِ(٥)

---

(1) كب : يوزنها ، مص : يزنها . وعوَّلنا في قراءة الخبر على الشيخ الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٧٢ .

(2) كب ، مص : حسل .

---

(١) نوء الثريا : مطرها الشديد ، وخص الثريا لغزارة نوئها ، والعرب تنسب كل غيث إلى نجم بعينه ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا ، أو الدَّبَران ، أو السِّماك . والمطل : التسويف والمدافعة عن أداء الحق في موعده .

(٢) تقول : أحرزت الشيء ، إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ .

(٣) المقل : ثمر الدَّوْم ، وهي شجر عظام من الفصيلة النخيلية ، وثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر أحمر ، ونواته ضخمة ذات لب إسفنجي . والخشل : السخيف اليابس ، وسكن للضرورة ، والأصل فيه الخَشَل .

(٤) دق : كسر ورَضَّ ، والدَّقُّ : الكسر والرض في كل وجه ، وهو أن تضرب الشيء بالشيء حتى تهشمه .

(٥) تائهون : متكبرون ، وصف من التيه ، وهو تائه وتَيَّاه . والرواء : حسن المنظر في البهاء والجمال . الوبل : المطر الشديد ، الضخم القطر الحثيث .

إذا انْتَسَبُوا فَفِرْعٌ مِنْ قُرَيْشٍ ولكنَّ الفِعَالَ فِعَالُ عُكْلٍ[1]

٤٠٧٧ كَتَب رجلٌ إلى صديق له : لولا أنَّ البضاعة قَصَّرت بي عن بلوغ الهِمَّة ، لأتعبتُ المسابقين إلى بِرِّك ، وكَرِهْتُ أنْ تُطْوى صحيفةُ البِرِّ وليس لي فيها ذِكْر ، فبعثتُ إليك ٣٩/٣ بالمُبْتَدأ بيُمْنه وبركتِه ، والمختوم بطِيبه ورائحته : جِرابُ مِلْحٍ ، وجِرابُ أُشْنَان[2] .

٤٠٧٨ أهْدَى الطائي إلى الحسن بن وهَبْ قلماً ، وكَتَب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إلَيْكَ أكْرَمَكَ اللّـ ـهُ بِشَيْءٍ فَكُنْ لَهُ ذَا قَبُولِ
لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كَفِّكَ الغَمْـ ـرِ ولا نَيْلِكَ الكَثيرِ الجَزِيلِ[3]
واغْتَفِرْ قِلَّةَ الهَدِيَّةِ مِنِّي إنَّ جُهْدَ المُقِلِّ غَيْرُ قَليلِ

٤٠٧٩ وبَعَث أبو العَتَاهِية إلى الفضل بن الربيع بنَعْل ، وكَتَب معها :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بها لِتَلْبَسَهَا تَسْعَى بها قَدَمٌ إلى المَجْدِ
لَوْ كَانَ يُمْكِنُ أنْ أُشَرِّكَها جِلْدِي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي[4]

٤٠٨٠ وقال بعضُ الشعراء في نحو ذلك :

أوَ ما رَأيْتَ الوَرْدَ أتْحَفَنَا بِهِ إتْحَافَ مَنْ خَطَرَ الصَّدِيقُ بِبَالِهِ
لوْ كَانَ يُهْدَى لامْرِىءٍ ما لا يُرَى يُهْدَى لِعُظْمِ فِرَاقِهِ وزِيَالِهِ
لَرَدَدْتُ تُحْفَتَهُ عَلَيْهِ وإنْ عَلَتْ عَنْ ذاكَ واسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ

٤٠٨١ وقال المهدي :

تُفَّاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تُفَّاحَةٍ جاءَتْ فماذَا صَنَعَتْ بالفُؤَادْ
واللهِ ما أدْرِي أأبْصَرْتُهَا يَقْظَانَ أمْ أبْصَرْتُهَا في الرُّقَادْ

٤٠٨٢ قال : وكَتَبَ بعضُ العمالِ إلى صديقٍ له : إنِّي تصفَّحتُ أحوالَ الأتْبَاعِ الذين يجبُ عليهم الهدايا إلى السادة في مثل هذا اليوم ، والتَّأَسِّي بهم في الإهداء ـ وإنْ قَصَّرتِ الحالُ عن قَدْرِك ـ ، فرأيتُني إنْ أهديتُ نفسي فهي مِلْكٌ لكَ لاحَظَّ فيها لغيرك ؛

---

(١) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم .
(٢) الأشنان : ضرب من الشجر ينبت في الأرض الرملية ، يستعمل هو ورماده في غسل الثياب والأيدي .
(٣) الغمر : الكثير الواسع ، وأصله الماء الكثير المغرق ، شبه عطاءه وصلاته به . ويقال : هو ندي الكفين ، أي كريم معطاء ، كأن كفيه سحابة تندى بالطَّل ، فما وكفت عليه من شيء إلا نبت واهتز واخضر وترعرع . والجزيل : العظيم الكثير الوافر .
(٤) أشركها : أجعل لها شراكاً . والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

٤٠/٣ ورَمَيْتُ بطَرْفي إلى كرائم مالي فوجدتُ أكثرَها منك ، فكنتُ ـ إنْ أهديتُ شيئاً منه ـ كالمُهْدي مالَكَ إليك ، ومُنْفِقٍ نفقَتِك عليك ؛ وفَزِعتُ إلى مودَّتي وشكري فوجدتُهما خالصَيْنِ لك ، قديمين غير مستحدثَيْن ، ورأيتُ ـ إنْ أنا جعلتُهما هديتي ـ لم أُجَدِّد لهذا اليومِ الجديد بِراً ولا لَطَفاً .

ولم أَقِسْ منزلةَ من شكري بمنزلةٍ من نعمتك ، إلّا كان الشُّكْرُ مُقَصِّراً عَنِ الحقِّ ، وكانتِ النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة . ولم أسلك سبيلاً ألْتَمِس بها بِراً أعتَدُّ به ، أو لَطَفاً أتوصَّلُ إليه ، إلا وجدتُ رِضاك قد سَبَقني إليه[1] . فجعلتُ الاعترافَ بالتقصير عن حقِّك هديةً إليك ، وقد قلتُ في ذلك :

إنْ أُهْدِ نَفْسي فَهْيَ مِنْ مِلْكِهِ   أَوْ أُهْدِ مَالي فَهْوَ[2] مِنْ مالِهِ

٤٠٨٣ لما قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنْصَرِفاً من مكة ، بَعَث إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كُسىً وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال ، ثم قال لرسله : ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الرَّدِّ . فلما خَرَج الرسلُ من عنده ، قال لمن حَضَر : إنْ شئتم أنْبَأْتُكم[3] بما يكون من القوم. قالوا : أخبِرْنا يا أميرَ المؤمنين . قال : أمَّا الحسن ، فلعله يُنيل نساءَه شيئاً من الطِّيب ، ويُنْهِب ما بقي مَنْ حَضَره(١) ، ولا ينتظر غائباً . وأمَّا الحسين ، فيبدأ بأيتام مَنْ قُتِل مع أبيه بصِفِّين ، فإنْ بقيَ شيءٌ نَحَر به الجُزُر(٢) وسَقَى به اللبن . وأمَّا عبد الله بن جعفر ، فيقول : يا بُدَيح ! اقْضِ به دَيْني ، فإن بقيَ شيءٌ فأنفِذْ به عِدَاتي(٣) . وأمَّا عبد الله بن عمر ، فيبدأ بفقراء عدي بن كعب ، فإنْ بقيَ شيءٌ ادَّخَره لنفسه ومانَ به عيالَه . وأمَّا عبد الله بن الزبير ، فيأتيه رسولي وهو يُسَبِّح فلا يلتفتُ إليه ، ثم يُعاوِده الرسولُ ، فيقول لبعض كُفَاته : خذوا من رسول معاوية ما بَعَث به ، وصَلَه اللهُ وجزاه خيراً . لا يلتفتُ إليها ، وهي أعظمُ في عينه[4]

---

(1) كب : عليه . (2) كب : فهي .
(3) مص : أنبأناكم ، وكلاهما صواب ، إلا أن معاوية من قريش ، وهي تخفف الهمز .
(4) مص : عينيه .

---

(١) أنبيناكم: أنبأناكم. وينهب: يعطي من شاء ما شاء، يقال : أنهب الرجل ماله، فانتهبوه ونَهَبوه وناهبوه .
(٢) الجزر : جمع الجزور ، وهي الناقة تنحر للأكل ، ويقع على الذكر والأنثى ، وإذا أُفرد أُنث لأن أكثر ما ينحرون النوق .
(٣) بديح : مولى عبد الله بن جعفر . عداتي : جمع وعد ، وهو ما تعده من خير وصلة . وإنفاذ الأمر : إمضاؤه والعمل به كأنهم سهم نافذ .

من أُحُدٍ ، ثم ينصرِف إلى أهله ، فيَعْرِضُها على عينه ويقول : ارفعوا ، لعلِّي أن أعودَ ٣/٤١
بها على ابنِ هند يوماً ما . وأمّا عبد الله بن صفوان ، فيقول : قليلٌ من كثير ، وما كُلُّ
رجلٍ من قريش وَصَلَ إليه هكذا ، رُدُّوا عليه . فإنْ رَدَّ قَبِلناها .

فرَجَع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية . فقال معاوية : أنا ابنُ هند ، أعلم
بقريشٍ من قريش .

٤٠٨٤ قال يونس بن عُبَيد : أتيتُ ابنَ سِيرين فدعوتُ الجاريةَ ، فسمعتُه يقول : قولوا له :
إني نائم ـ يريد: سأنام ـ ، فقلتُ : معي خَبيص[١] . فقال : مكانَك حتى أخرجَ إليك.

٤٠٨٥ قال رجلٌ لأبي الدرداء : إنَّ فلاناً يُقرئك السلام . فقال : هديةٌ حسنة ، ومَحْمَل
خفيف .

٤٠٨٦ وبَعَث رجلٌ إلى جاريةٍ يقال لها : « راح » براح ، وكَتَب إليها :

قُلْ لِمَنْ يَمْلِكُ المُلُو ... كَ وإنْ كَانَ قَدْ مُلِكْ
قدْ شَرِبْنَاكَ فاشْرَبي ... وبَعَثْنَا إلَيْكِ بِكْ

٤٠٨٧ أهدى رجلٌ إلى عُبَيد بن الأخطل شاةً مهزولةً ، فكتَب إليه عُبَيد :

وَهَبْتَ لَنَا يا أَخَا مِنْقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكْرَمَهَا أَوّلا[٢]
عجُوزاً أَضَرَّ بها دَهْرُهَا ... وأَنْزَلَهَا الذُّلُّ دَارَ البِلَى[٣]
سَلُوحاً حَسِبْتُ بأنَّ الرُّعَاءَ ... سَقَوْها الغَرِيقَوْنَ والحَنْظَلا[٤] ٣/٤٢
وأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرِ زَرَّاعَةٍ[1] ... أَصَابَ عَلَى جُوعِهِ سُنْبُلا[٥]

---

(1) كب : ذراعه .

---

(١) الخبيص : ضرب من الحلواء ، قوامه التمر والسمن ، يخبص ، أي يخلط ويقلب ويوضع في الطنجير ثم يسوى ، وهو من طعام أهل النعمة والترف .

(٢) أكرمها أولاً : أي أكرمهما أصولاً وحسباً .

(٣) عجوزاً : عنى الشاة المهزولة . وأضَرَّ بها : أنزل بها الضُّر فأذهب لحمها وهزلها ، والضُّر : سوء الحال والشدة . يقول : أفقرها سوء الزمن وشدته ، فهي في أسوأ حال .

(٤) السلوح : وصف من السلح ، وهو للبهائم كالتغوط للإنسان ، أي كثيرة التغوط . والرعاء : جمع الراعي ، وهو الذي يرعى الماشية أي يحوطها ويحفظها . والغريقون : ضرب من الترياق مفتح مسهل ، يؤخذ للسموم .

(٥) أجدب : أكثر جدباً ، أي هزالاً ويبوسة ، وأصل الجدب يبوسة المكان لاحتباس الماء عنه . زراعة : موضع الزرع . وخص السنبل ، وهو جزء النبات الذي يتكون فيه الحب ، لعدم غنائه .

وأَزْهَمَ[1] مِنْ جِيفَةٍ لم تَدَعْ لَهَا الشَّمْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصِلا[(١)][2]
فَـأَهْـوَتْ يَمينـي إِلَـى جَنْبِهَـا فَخِلْـتُ حَـرَاقِيفَهَـا جَنْـدَلا[(٢)]
وَأَهْـوَتْ يَسَـاري لِعُـرْقُـوبِهـا فَخِلْـتُ عَـرَاقِيبَهَـا مِغْـزَلا[(٣)]
فَقُلْـتُ أَبِيـعُ فَـلاَ مَشْـرَبـاً[3] تُـؤَدِّي إِلـيَّ ولا مَـأْكَـلا[(٤)]
أَمَ اجْعَـلُ مِـنْ جِلْـدِهـا حَنْبَـلاً فَـأَقْـذِرْ بِحَنْبَلِهَـا حَنْبَـلا[(٥)]
إذا هِـيَ مَـرَّتْ عَلَـى مَجْلِـسٍ مِـنَ العُجْـبِ كَبَّـرَ أوْ هَلَّـلا[(٦)]
رَأَوْا آيَـةً خَلْفَهَـا سـائِـقٌ يَحُـثُّ[4] وإنْ هَـرْوَلَـتْ هَـرْوَلا[(٧)]
فكُنْـتَ أَمَـرْتَ بِهَـا ضَخْمَـةً بِشَحْـمٍ ولَحْـمٍ قَـدِ اسْتَكْمَـلا
ولكِـنَّ رَوْحـاً عَـدَا طَـوْرَهُ ومـا كُنْـتُ أَحْسِـبُ أنْ يَفْعَـلا[(٨)]
فَعَضَّ الَّذِي خَانَني حاجَتي بأَسْتِ أمِّهِ بَظْرَهَا الأغْرَلا[(٩)][5]
فَلَـوْلا مَكَـانُـكَ خَصَيْتُهَـا[6] وعَلَّقْتُ في جِيدِهَا جُلْجُلا[(١٠)]
فَجَـاءَتْـكَ[7] حَتَّـى تَـرَى حـالَهَـا فتَعْلَـمَ أَنِّـي بِهَـا مُبْتَلَـى

---

(1) كب ، مص : أزهد .
(2) كب : يفصلا .
(3) كب : مشترى .
(4) كب : يخف .
(5) كب : الأعزلا .
(6) كب : حصيتها ، مص : خضبتها .
(7) كب ، مص : فجاءت لكيما .

---

(١) الزَّهَم : النتن ، وخبث الرائحة . والجيفة : الجثة الميتة المنتنة .
(٢) الحراقيف : جمع حرقفة ، وهي رأس الورك ، وللشاة حرقفتان ، فالجمع هنا كقوله تعالى : ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ . والجندل : الصخور العظام الشداد .
(٣) العرقوب للشاة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .
(٤) المعنى على الاستفهام ، أي أأبيعها ؟
(٥) الحنبل : الفرو ، عنى شعر جلدها .
(٦) العجب : الدهشة والإنكار لقلة الاعتياد والغرابة . وهلل : قال لا إله إلا الله .
(٧) الآية : المعجزة . يحث : يعجل إعجالاً متصلاً .
(٨) روح : هو وكيل المنقري الذي اشترى الشاة . وعدا طوره : جاوز حده وقدره وحاله .
(٩) عض بظر أمه : كلمة شتم وتشنيع ، والعض : الكدم بالأسنان . والبظر : لحمة في فرج المرأة ناتئة بين شفري حيائها . والأغرل : صفة البظر ، أي ذو الغرلة ، والغرلة : الجلدة التي تكون على رأس الذكر الذي لم يختن . ووصف فرج المرأة بهذا على إرادة التشبيه ، كأنما قال : تلك اللحمة طويلة كالغرلة . وكانت العرب تقطع بظر الجارية إذا كان طويلاً ، وهو كالختان ، ويقولون إن ذلك يخفف من حدة شهوة المرأة .
(١٠) الجلجل : الجرس .

سَـأَلْتُـكَ لَحْمـاً لِصِبْيَـانِنَـا   فَقَـدْ زِدْتَنـي فِيهِـمُ[1] عَيِّـلا
فَخُذْهَا وأَنْتَ بنا[2] مُحْسِنٌ   وما زِلْتَ بي مُحْسِناً مُجْمِلا

٤٠٨٨ وبَعَث رجلٌ إلى دِعْبِل بأُضحية ، فكَتَب[3] إليه : ٣/ ٤٣

بَعَثْـتَ إلـيَّ بـأُضْحِيَّـةٍ   وكُنْتَ حَـرِيـاً بـأَنْ تَفعَـلا
ولَكِنَّهـا خَـرَجَـتْ غَثَّـةً   كـأَنَّكَ أرْعَيْتَهَـا حَـرْمَـلا(١)
فـإنْ قَبِـلَ اللهُ قُـرْبَـانَهَـا   فَسُبْحَـانَ رَبِّـكَ مـا أعْـدَلا

٤٠٨٩ قيل لرجلٍ قَدِم من مكة : كيف أثمان النِّعال بمكة ؟ قال : أثمان الجِداء بالعراق(٢) .

٤٠٩٠ وقال مسلم بن الوليد :

جَزَى اللهُ مَنْ أهْدَى التُّرُنْجَ تَحِيَّةً   ومَنَّ بما يَهْوَى عَلَيْهِ وعَجَّلا(٣)
أتَتْنَـا هَـدَايـا مِنْـهُ أشْبَهْـنَ رِيحَـهُ   وأشْبَهَ في الحُسْنِ الغَزَالَ المُكَحَّلا
ولَـوْ أنَّـهُ أهْـدَى إلـيَّ وِصَـالَـهُ   لَكَـانَ إلَـى قَلْبـي ألَـذَّ وأوْصَـلا

٤٠٩١ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له شَرِب دواء :

تَـأَنَّـقَ فـي الهَـدِيَّـةِ كُـلُّ قَـوْمٍ   إلَيْـكَ غَـدَاةَ شُـرْبِـكَ للـدَّوَاءِ
فَلَمَّـا أنْ هَمَمْـتُ بِـهِ مُـدِلاًّ   لِمَـوْضِـعِ حُـرْمَتـي بكَ والإخَـاءِ
رَأَيْـتُ كَثِيـرَ مـا أُهْـدي قَلِيـلاً   لِعَبْدِكَ فَـاقْتَصَـرْتُ عَلَى الـدُّعَـاءِ

٤٠٩٢ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له: وجدتُ المودَّةَ مُنْقطعة، ما كانتِ الحِشْمَةُ عليها متسلِّطَة . وليس يُزيل سلطانَ الحِشْمة إلَّا المؤانَسَةُ ، ولا تقع المُؤانسةُ إلَّا بالبِرِّ والملاطفةِ(٤) .

* * *

(1) كب : فيهما . (2) كب ، مص : بها .
(3) كب : وكتب ، وسقط منها البيتان الأول والثاني ، وألحقا في الهامش .

(١) الغث : الرديء من كل شيء ، وشاة غثة : هزيلة . والحرمل : نبات صحراوي كالسمسم ، تأكله المعزى ، ويستعمل في الطب .
(٢) الجداء : جمع جدي ، وهو الذكر من أولاد المعز . وفي زمن أبي جعفر المنصور كان ثمن الكبش درهماً ، والحمل أربعة دوانق ، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم (تاريخ بغداد ١/ ٧٠) .
(٣) الترنج : جمع تُرنجة ، ويقال : أُترُجة ، وجمعها أُترُج . وهي النارنج ، ثمر كالليمون الكبار ، ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، يعلو شجره ناعم الأغصان والورق .
(٤) الحشمة : الاستحياء . البر : الصلة والتوسع في الإحسان .

العيادة

٤٠٩٣ قال : حَدَّثنا يزيد بن عمرو ، قال : حَدَّثنا يزيد بن هارون ، قال : حَدَّثنا شَريك بن[1] أبي نَمِر :

عن أنس بن مالك ، قال : عاد رسولُ الله ﷺ رجلاً من الأنصار مِنْ رَمَدٍ كان بعينه(١) .

٣/ ٤٤ ٤٠٩٤ ومن حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « ثلاثةٌ لا يُعادون : صاحبُ الدُّمَّل ، والرَّمَد ، والضِّرْس »(٢) .

٤٠٩٥ وحَدَّثني القاسم بن الحسن ، عن ابن الأصبهاني ، عن إسماعيل بن عَيَّاش :

عن أرطاة بن المنذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانياً .

٤٠٩٦ قال الشَّعْبي : عيادةُ النَّوْكَى أشَدُّ على المريض مِنْ وَجَعِه(٣) .

٤٠٩٧ شَيْبان ، عن أبي هُذْبة[2] ، عن أبي هلال ، قال :

قال بكر بن عبد الله لقومٍ عادوه فأطالوا عنده : المريض يُعاد ، والصحيحُ يُزار .

٤٠٩٨ عاد قومٌ عليلاً فأطالوا عنده ، فقال لهم : إنْ كان لكم في الدار حقٌّ فخذوه وانصرِفوا .

٤٠٩٩ عاد رجلٌ رَقَبَةَ ، فنَعَى رجالاً اعتَلُّوا مثلَ عِلَّته ، فقال له رَقَبة : إذا دخلتَ على مريضٍ فلا تَنْعَ إليه الموتى ، وإذا خرجتَ مِنْ عندنا فلا تَعُدْ إلينا .

٤١٠٠ عاد أعرابيٌّ أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريض ، فضاق واللهِ عليَّ الأمرُ العريض ، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بي نهوض . فلما حملَتْني رِجلان ، وليستا تَحْمِلان

(1) كب ، مص : عن أبي نصير ، تحريف . (2) كب ، مص : هدية ، تصحيف .

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله . والرجل الأنصاري هو الصحابي زيد بن أرقم .

(٢) الحديث روي عن طريق مسلمة بن علي الخشني ، وهو متروك ، وعامة أحاديثه غير محفوظة . ورجح البيهقي إرساله ، فيكون ضعيفاً . وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .

(٣) النوكى: الحمقى، والنُّوك: أبلغ الحماقة. وتمام الكلام: يجيئون في غير وقت العيادة ، ويطيلون الجلوس .

أتيتُك بجُرْزَة شِيحِ ما مَسَّها عِرْنِين قطُّ ، فاشْمُمْها واذْكُرْ نَجْداً ، فهو الشفاءُ بإذن الله[١] .

٤١٠١ قال كُثَيِّر :

ألا تِلْـكَ عَـزَّةُ قَـدْ أقْبَلَـتْ	تُقَلِّبُ لِلْبَيْنِ طَرْفاً غَضِيضا[٢]
تَقُولُ : مَرِضْتُ وما عُدْتَنَا ،	فَقُلْتُ لها : لا أَطِيقُ النُّهُوضَا
كِـلانَـا مَـرِيضَـانِ فـي بَلْـدَةٍ	وكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضا

٣/ ٤٥

٤١٠٢ وقال آخر :

إذا مَـرِضْنَـا أتَيْنَـاكُـمْ نَعُـودُكُـمُ	وتُـذْنِبُـونَ فَنَـأْتِيكُـمْ فنَعْتَـذِرُ

٤١٠٣ وقال بشّار :

لَـوْ كَـانَـتِ الفِـدْيَـةُ مَقْبُـولَـةً	لَقُلْـتُ بـي لا بِـكَ حُمَّـاكَـا

٤١٠٤ وكَتَب آخر إلى عَليل :

نُبِّئْـتُ أنَّـكَ مُعْتَـلٌّ فَقُلْـتُ لَهُـمْ	نَفْسي الفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ
يا لَيْتَ عِلَّـتَهُ بي غَيْرَ أنَّ لَهُ	أَجْرَ العَلِيلِ وأَنِّي غَيْرُ مَأْجُورِ

٤١٠٥ وكَتَب آخر إلى عَليل :

أَقُـولُ بحَـقٍّ وَاجِـبٍ لَـكَ لازِمٍ	وإخلاَصِ شُكْرٍ لا يُغَيِّرُهُ الدَّهْرُ
بيَ السُّوءُ والمَكْرُوهُ لا بِكَ كُلَّمَا	أَرَادَاكَ كَانَا بي وكَانَ لَكَ الأَجْرُ

٤١٠٦ وقال[1] آخر في مثله :

فإنْ تَكُ حُمَّى الغِبِّ شَفَّكَ وِرْدُهَا	فعُقْبَاكَ مِنْهَا أنْ يَطُولَ لكَ العُمْرُ[٣]
وَقَيْنَاكَ ! لَوْ نُعْطَى المُنَى فِيكَ والهَوَى	لَكَانَ بيَ الشَّكْوَى وكَانَ لَكَ الأَجْرُ

---

(1) في هامش كب : فائدة .

---

(١) الجرزة : الحزمة . والشيح : نبات سهلي ، له رائحة طيبة وطعم مر ، وهو مرعى للخيل والماشية ، ومنابته القيعان والرياض . العرنين : ما تحت مجتمع الحاجبين من الأنف ، وهو أوله حيث يكون الشمم والطول .

(٢) البين : الفراق . والطرف الغضيض : المسترخي الأجفان ، وذلك إنما يكون من الحياء والخفر .

(٣) حمى الغب : هي التي تنوب المريض يوماً بعد يوم . شفك : أهزلك وأضناك إذ طال عليك ، وهو من قولهم : شَفَّ الثوب، إذا رق حتى يصف جلد لابسه . وورد الحمى : يومها الذي تأخذ فيه صاحبها .

٤١٠٧ وفي الحديث المرفوع : « حَصِّنوا أموالكم بالزكاة ، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة ، واستَقْبِلوا البلايا بالدعاء »(١) .

٤١٠٨ وفي حديث آخر أنه ﷺ قال يوماً لأصحابه : « مَنْ أصبح منكم صائماً ؟ » فقال عمر[1] : أنا . قال : « فمَنْ شَيَّع جنازةً ؟ » قال عمر : أنا . قال : « فمن عاد مريضاً ؟ » قال عمر : أنا . قال : « فمنْ منكم[2] تصَدَّق بصدقة ؟ » قال عمر : أنا . فقال ﷺ : « وَجَبتْ ، وَجَبتْ ، وَجَبتْ »(٢) .

٣/٤٦ ٤١٠٩ وفي حديث آخر ، أنه ﷺ قال : « تَمَامُ[3] عيادتكم المريضَ أنْ يَضَع أحدُكم يدَه على جَبْهته ، أو على رأسه ، أو يدَه في يده ، ويسأله كيف هو ، وتَمَامُ تحياتكم المصافحة »(٣) .

٤١١٠ وقال الشاعر :

إنْ كُنْـتُ فـي تَـرْكِ العِيَـادَةِ تَـارِكـاً حَظِّي فإنِّي في الدُّعَاءِ لَجَاهِدُ
فلَـرُبَّمَـا تَـرَكَ العِيَـادَةَ مُشْفِـقٌ وأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الحَاسِدُ

٤١١١ أبو حاتم ، قال : حَدَّثنا العُتْبي ، عن أبيه ، قال :

كان يقال : إذا اشتكى الرجلُ ثم عوفي ، ولم يُحْدِث خيراً ولم يَكُفَّ عن سُوء ، لَقِيَتِ الملائكةُ بعضُها بعضاً وقالتْ : إنَّ فلاناً داويناه فلم ينفَعْه الدواء .

٤١١٢ وقال أبو حاتم : حَدَّثنا القَحْذمي ، قال : اطَّلَعَ معاويةُ في بئرٍ بالأَبْوَاء فأصابتْه

---

(1) كذا ، وفي كل المواضع الآتية : « قال عمر » ، وفي صحيح الإمام مسلم ٤/١٨٥٧ ، وفي الترغيب والترهيب للإمام المنذري ٢/١٩٠ ـ ٥/٢٨٠ : « قال أبو بكر » ، فظننت زمناً أن رواية كب خطأ محض ، فعجلت ـ والعجلة زاد الجهول ـ فصححت ما في الأصول في مسوَّدتي مطمئناً أنني على الصواب ! ثم وجدت الحديث في مسند الإمام أحمد ١٩/٢١٩ (١٢١٨١) منسوباً إلى سيدنا عمر ، من طريق سَلَمة بن وَرْدان ، وسَلَمة بن وَرْدان : منكر الحديث ، ضعيف جداً . كما وجدته في تاريخ دمشق ٤٤/١٣٣ (مخطوط) من الطريق نفسه . فالخطأ خطأ سَلَمة ، وابن قتيبة إنما وصلته الرواية الضعيفة فأثبتَها كما وردت إليه ، غير مبالٍ بصحة الرواية ، لأن كتابه كتاب أدب ، ليس كتاب دين وشريعة .

(2) كب ، مص : فيكم .

(3) مص : إتمام ، وهم في القراءة .

---

(١) الحديث سيأتي برقم ٥٢٣١ كتاب الطعام ، وهو حديث ضعيف جداً ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(٢) الصحيح أن القائل في الحديث : « أنا . . أنا » هو سيدنا أبو بكر ، وليس سيدنا عمر رضي الله عنهما .

(٣) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

لَقْوَة[١] ، فاعتَمَّ بعمامة سوداء ، وسَدَلها على الشِّقِّ الذي أُصيب فيه ، ثم أَذِنَ للناس فقال : أيها الناسُ ، إنَّ ابنَ آدم بعَرَضٍ بلاءٍ : إمَّا مُعَاتَبٌ ليُعْتَبَ ، وإمَّا مُعَاقَبٌ بذنب ، أو مُبْتَلًى ليُؤْجَر . فإنْ عُوتبتُ فقد عُوتب الصالحون قَبْلي ، وإني لأرجُو أن أكونَ منهم . وإنْ عُوقبتُ فقد عوقب الخَطَّاؤُونَ قبلي ، وما آمَنُ أنْ أكونَ منهم . وإنْ مَرِضَ عُضْوٌ مني فما أُحْصي صَحيحي ، ولَمَا عُوفيتُ أكثر . ولو أنَّ أمري إليَّ ما كان لي على ربي أكثرُ مما أعطاني . وإني وإنْ كنتُ عاتِباً على خاصٍّ منكم ، فإني حَدِب على جماعتكم ، أُحبُّ صلاحَكم . وقد أُصبتُ بما تروْن ، فرحم الله امرأً دعا لي بعافية .

فرفعوا أصواتِهم بالبكاء والدعاء .

٤١١٣ مَرِض أبو عمرو بن العلاء مَرْضة ، فأتاه أصحابُه ، وأبطأ عنده رجلٌ منهم ، فقال : ما يُبْطِيء بك ؟ قال : أريد أنْ أُسَاهِرك . قال : أنتَ مُعَافىً وأنا مُبْتلًى ، فالعافيةُ لا تدعُك تسهر ، والمرضُ لا يدعني أنام . فاسْأَلِ اللهَ أن يسوقَ إلى أهل العافيةِ الشكر ، وإلى أهل البلاء الصبرَ والأجر . ٣/ ٤٧

٤١١٤ حَدَّثني عبد الرحمن ، عن الأصْمَعي ، قال : اشتكى رجلٌ من الأعراب ، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون : كيف أصبحتَ ، وكيف كنتَ ؟ فلما أكثروا عليه ، قال : كما قلتُ لصاحبك .

٤١١٥ قال : وَقَعَ رجلٌ من أهل المدينة فوَثِئت رِجلاه[٢] ، فجعل الناسُ يدخلون عليه ويسألونه ، فلما أكثروا عليه وأُضجِر كَتَب قِصَّته في رُقْعة ، فكان إذا دخل عليه [أحدٌ] وسأله ، دَفَعَ إليه الرقعة .

٤١١٦ الهيثم بن عدي ، قال : كان رجلٌ من أهل السَّوَاد محدوداً[1][٣] ، لا يَقْصِد في شيء إلَّا انصرف عنه ، فغاب مرَّةً فأطال ، فلما قَدِم أتاه الناسُ فجعلوا يسألونه عن حاله وما

---

(1) كب : مجدوداً ، مص : مجهوداً .

---

(١) اطلع : طلع ونظر . الأبواء : قرية من أعمال الفُرع من المدينة ، لا تزال معروفة ، تقع جنوب شرقي بلدة مستورة الواقعة على الطريق بين مكة والمدينة ، وتبعد عنها بما يقارب ٢٥ كم . اللقوة : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق .

(٢) وثئت رجلاه : أصابها وهن ، وهي شبه الفسخ في المفصل ، ويكون في اللحم كالكسر في العظم .

(٣) المحدود : القليل الحظ ، المقتر عليه في الخير والرزق ، الذي لا يوفق في أموره للصواب .

كان فيه ، وكان فيه بَرَمٌ ، فأخذ رُقعةً فكَتَب فيها :

وَمَـا زِلْـتُ أَقْطَـعُ عُـرْضَ الفَـلاةِ مِنَ المَشْرِقَيْنِ إلى المَغْرِبَيْنِ[(١)]
وأَطْـوِي الفَيَـافِـيَ أَرْضـاً فـأَرْضـاً واسْتَصْحِبُ[1] الجَدْيَ والفَرْقَدَيْنِ[(٢)]
وأَطْـوي وأَنْشُـرُ ثَـوْبَ الهُمُـوم إلَـى أنْ رَجِعْـتُ بخُفَّيْ حُنَيْـنِ[(٣)]
فقِيـراً وَقِيـراً أَخَـا عُسْـرَةٍ بَعِيداً مِنَ الخَيْرِ صِفْرَ اليَدَيْنِ[(٤)]
كئِيـبَ الصَّـدِيـقِ بَهِيـجَ العَـدُوِّ طَـوِيـلَ الشَّقَـا زَانِـيَ الـوَالِـدَيْـنِ

٣/ ٤٨

وطرحها في مجلسه ، فكلٌّ من سأله عن حاله دفع إليه الرقعة .

٤١١٧ قال : حَدَّثنا عبد الرحمن ، عن عَمِّه ، أنَّ نَبَطِياً[(٥)] وَقَعَ من موضعٍ عالٍ ، فدخلوا يسألونه : كيف وقعتَ ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرَّةً وألقاها من يده ، وقال : هكذا وقعتُ .

٤١١٨ أبو الخَطَّاب ، قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ ، فسَقَط في بئر فذهبَتْ حَدَبته ، فصار آدر[(٦)] ، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبته ، فجعل يقول : الذي جاء شَرٌّ من الذي ذَهَب .

٤١١٩ المدائني ، قال : سقط ابن شُبْرُمة القاضي عن دابته فَوَثِئَتْ رِجله[(٧)] ، فدخل يحيى بنُ نوفل الحِمْيَري عليه ، فقال :

---

(1) كب ، مص : أستمطر .

---

(١) الفلاة : القفر من الأرض ، كأنها فُليت عن كل خير ، أي فُطمت وعزلت . وأحد المشرقين : أقصى ما تشرق منه الشمس في الصيف ، والآخر أقصى ما تشرق منه في الشتاء . وأحد المغربين : أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف ، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء .

(٢) أطوي الفيافي : أقطعها وأجوزها . والفيافي : جمع الفَيْف والفيفاء ، وهي الصحراء الملساء الواسعة ، لا ماء فيها . الجدي : نجم قريب من القطب تعرف به القبلة . والفرقدان : نجما القطب ، ويعرفان باسم حارسا القطب ، وهما لا يغربان ، وثابتا الموقع تقريباً .

(٣) يقال : رجع بخفي حنين ، إذا عاد بالخيبة وباليأس من بلوغ حاجته (وانظر مجمع الأمثال ١/ ٢٩٦) .

(٤) الوقير : الذليل المهان . والصفر : الخالي ، المفرد والجمع والمذكر والمؤنث فيه سواء .

(٥) النبطي : واحد الأنباط ، وهم في الأصل أهالي البتراء في الأردن ، ثم سمي بذلك فلاحو الشام والعراق ، ثم استعملت علماً على أخلاط الناس من غير العرب .

(٦) الآدر : المصاب بانتفاخ في إحدى خصيتيه . والخبر سيأتي برقم ٥٧٠٨ كتاب النساء .

(٧) الوثء : شبه الفسخ في المفصل ، ويكون في اللحم كالكسر في العظم .

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانِيَ الخَبِيرُ ... فَدَسَّ أَحَادِيثَهُ الهَيْنَمَةْ[١]
لكَ الوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ ، ما تَقُولُ ؟ ... أَبِنْ لي وعَدِّ عَنِ الجَمْجَمَةْ[٢]
فَقَالَ : خَرَجْتُ وقَاضِي القُضَا ... ةِ مُنْقَلَةٌ رِجْلُهُ مُؤْلَمَةْ
فقُلْتُ ، وضَاقَتْ عَلَيَّ البِلادُ ... وخِفْتُ المُجَلَّلَةَ المُعْظِمَةْ :
فغَزْوَانُ حُرٌّ وأُمُّ الوَلِيدِ ... إِنِ اللهُ عَافَى أَبَا شُبْرُمَةْ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا ... ومَا عُتِقَ عَبْدٌ لَهُ أَوْ أَمَةْ

قال : وفي المجلس جارٌ ليحيى بن نوفل يعرفُ[1] منزلَه ، فلما خرج تَبِعَه وقال : يا أبا معمر ، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك ، وقال : أوَ ما تعرفهما ؟ هما سِنَّوْران[٣] في البيت .

٤١٢٠ قال : حَدَّثنا الرِّياشي ، عن أبي زيد ، قال : ٣/٤٩

دخلنا على أبي الدُّقَيش[2] وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تجدُك ؟ قال : أجِدُني أجِدُ ما لا أشتهي ، وأشتهي ما لا أجِد . ولقد أصبحتُ في شَرِّ زمانٍ وشَرِّ أُناسٍ ، مَنْ جاد لم يَجِدْ ، ومَنْ وَجَد لم يَجُدْ .

٤١٢١ قيل لعمرو بن العاص ، وقد مَرِض مرةً : كيف تَجِدكَ ؟ قال : أجِدُني أذوب ولا أثُوب ، وأجِدُ نَجْوي أكثرَ مِنْ رُزْئي ، فما بقاءُ الشيخ على هذا[٤] .

٤١٢٢ سُئل عليلٌ عن حاله ، فقال : أنا مُبِلٌّ غيرُ مُستقِلٍّ ، ومتماثِلٌ غيرُ متحامِلٍ[3] .

٤١٢٣ وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال : أجِدُني لم أرض حياتي لموتي .

٤١٢٤ وقيل لرجل من العجم : ما حالُكَ ؟ قال : ما حالُ مَنْ يريد سفراً طويلاً بلا زاد ،

---

(1) كب : يعرف في .
(2) كب : الدقيس .
(3) كب : متجامل .

---

(١) الهينمة : الصوت الخفي لا يفهم .
(٢) الجمجمة : عدم الإبانة في الكلام .
(٣) السنور : الهر .
(٤) أثوب : أرجع ، أي لا أرجع إلى صحتي ولا تحسن حالي . والنجو : ما يخرج من البطن من غائط . والرزء : ما يناله الإنسان من الطعام . يقول : ما يخرج مني أكثر مما يدخل جوفي ، أي أكثر مما آخذه من الطعام .

وينزل منزِلًا موحِشاً بلا أنيس ، ويَقْدَم على جَبّار ، قد قَدَّمَ العُذْرَ بلا حُجَّة(١)!؟

٤١٢٥ قيل لِعِكْرِمة : كيف حالك ؟ قال : بشَرٍّ ، أصبحتُ أجْرَبَ مبسوراً(٢) .

٤١٢٦ حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : قيل لشيخٍ من العُبّاد : كيف أنت ، وكيف أحوالُك ؟ فقال : ما كُلُّها كما أشتهي .

٤١٢٧ قيل لآخر : ما تشتكي ؟ قال : تمامَ العِدَّة ، وانقضاءَ المُدَّة .

٤١٢٨ وبلغني عن معاوية بن قُرَّة ، قال : مَرِض أبو الدرداء ، فعاده صديقٌ له ، فقال : أيَّ شيءٍ تشتكي ؟ قال : ذُنوبي . قال : فأيَّ شيءٍ تشتهي ؟ قال : الجنة . قال : فندعو لك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

٤١٢٩ سُئل رجلٌ عن حاله ، فقال :

كَنَّا إذَا نَحْنُ أَرَدْنَا لم نَجِدْ حَتَّى إذا نَحْنُ وَجَدْنَا لم نُرِدْ

٣/٥٠ ٤١٣٠ أَرْجف(٣) الناسُ بعلَّة معاوية وضعفِه ، فدخل عليه مَصْقلة بن هُبَيرة ، فأخذ معاوية بيده ثم قال : يا مَصْقل :

أَبْقَى الحَوَادِثُ مِنْ خَلِيـ ـلِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ المَرَاجِمْ[1](٤)
قَدْ رَامَنِي الأقْوَامُ قَبْـ ـلَكَ فامْتَنَعْتُ مِنَ المَظَالِمْ

فقال مَصْقَلة : أمّا قولُ أميرِ المؤمنين : أبقى[2] الحوادثُ من خليلك ، فقد أبقى اللهُ منك جبلاً راسياً(٥) ، وكَلأً مرعياً لصديقك ، وسماً ناقعاً لعدوِّك(٦) . وأما قولك : قد رامني الأقوام قبلك ، فمَنْ ذا يَرومُك أو يظلمك ؟ لقد[3] كان الناسُ مشركين فكان

---

(1) كب : المزاحم . (2) كب : أنعى .
(3) كب ، مص : فقد .

---

(١) مضى برقم ٣٥٦٧ كتاب الزهد ، منسوباً إلى أزاذ مَرْد بن الهِرْبِذ .
(٢) الأجرب : الذي به الجرب ، وهو مرض جلدي سببه حَمَك الجرب ، ينقب مسارب تحت الجلد . والمبسور : الذي به داء البواسير ، وهي انتفاخات في الشرج ، كثيراً ما تسبب نزفاً ، وهذا المرض نادر في الدواب .
(٣) أرجف الناس : خاضوا في الأخبار السيئة التي تثير البلبلة والاضطراب .
(٤) الجندلة : واحدة الجنادلة ، وهي في الأصل : الصخرة يطيق الرجل حملها ، وعنى عموم الأحجار . والمراجم : الأمكنة التي تُرجم ، وعنى حجرات العقبة التي يرميها الحجاج بحصوات صغار .
(٥) الراسي : الراسخ الثابت في الأرض .
(٦) سم ناقع : مجتمع ، فهو قاتل بالغ الشدة ، من قولهم : نَقَع الماء في الغدير ، إذا اجتمع وثبت وطال مكثه .

أبو سفيانَ سيِّدَهم ، وأصبح الناسُ مسلمين وأصبحتَ أميرَهم .

فأعطاه معاوية ، فخرج . فسُئل عنه ، فقال : والله لغَمَزني غمزةً كاد يَكْسِر منها يدي ، وأنتم تزعُمونه مريضاً !

٤١٣١ وقال المدائني : دخل كُثَيِّر عَزَّة على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لولا أن سرورَك لا يتم بأنْ تَسْلَمَ وأَسْقَمَ لدعوتُ الله أنْ يَصْرِف ما بكَ إليَّ ، ولكنْ أسألُ اللهُ لكَ أيها الأميرَ العافيةَ ولي في كَنَفك النعمة . فضحك وأمَر له بمال ، فقال :

ونَعُودُ سَيِّدَنا وسَيِّدَ غَيْرِنا ... لَيْتَ التَّشَكِّي كَانَ بالعُوَّادِ
لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِدْيَةً لَفَدَيْتُهُ ... بالمُصْطَفَى مِنْ طَارِفي وتِلادِي(١)

٤١٣٢ وقال آخر :

لا تَشْكُوَنْ دَهْراً صَحَحْتَ بِهِ ... إنَّ الغِنَى في صِحَّةِ الجِسْمِ
هَبْكَ الخَلِيفَةَ كُنْتَ مُنْتَفِعاً ... بِلَذاذَةِ الدُّنْيا مَعَ السُّقْمِ

٤١٣٣ اعتلَّ المِسْوَر فجاءه ابنُ عباس يعوده نصفَ النهارِ ، فقال المِسْوَر : يا أبا عباس ، هَلاَّ ساعةً غيرَ هذه ! قال ابنُ عباس : إنَّ أحَبَّ الساعاتِ إليَّ أنْ أُوَدِّيَ فيها الحقَّ أشقُّها عليَّ . ٣/ ٥١

٤١٣٤ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له : كيف أنت ؟ بنفسي أنت ! وكيف كنت ؟ لا زلتَ ! وكيف قُوَّتُك ونشاطك ؟ لَا عَدِمْتَهما ولا عَدِمْناهما منك ، وأعادك اللهُ إلى أحسن ما عَوَّدَك !

لولا عوائقُ يُوجب العذرَ بها تَفَضُّلُك[1] لم أدَعْ تعرُّفَ خبرِك بالعين ، فإنها أشفى للقلب ، وأنقع[2] للغليل ، وأشدُّ[3] تسكيناً للاعج الشوق(٢) .

---

(1) كب : بفضلك . (2) كب : أنفع .
(3) كب : أسد .

---

(١) المصطفى : المفضل المختار . والطارف والطريف : المستحدث من المال ، وهو خلاف التالد والتليد (المال الذي يولد عندك من قديم الأموال ، وهو مما يضن به) .

(٢) يقال : أنقعني الماء ، إذا أرواني وأذهب عطشي وسكّنه . والغليل : شدة حر الجوف من ظمأ أو امتعاض أو ضغن أو حزن أو حب ، وكنى بذلك عن تضرم الشوق . ولاعج الشوق : الشوق المحرق المستحر في القلب .

٤١٣٥ وقرأتُ فصلاً في كتاب : لئن تخلَّفْتُ عن عِيادتك بالعُذْر الواضِحِ مِنَ العِلَّة ، فما[1] أغْفَلَ قلبي ذِكْرَك ، ولا لساني فحصاً عن خَبَرِك ، في مُمْسَاكَ ومُصْبَحِكَ ، وتَنَقُّلِ الحالِ بك .

فبَعَثَ[2] مَنْ تَقَسَّمُ جَوَارِحَه وصَبَّهُ[3] ، ـ و[إنْ] زاد في ألمها ألَمُكَ ـ ، ومَنْ تَتَّصِلُ[4] بك أحوالُه في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ .

ولمَّا بلغَتْني إفاقَـتُك ، كتبتُ مهنئاً بالعافية ، مُخْبِراً بالعُذْر ، مُعْفِياً من الجواب إلَّا بخبر السلامة [5]إن شاء الله[5] .

٤١٣٦ وقال عَبْد بني الحَسْحَاس :

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلاثٌ وأَرْبَعٌ ... ووَاحِدَةٌ حَتَّى بَلَغْنَ ثَمَانِيا
سُلَيْمَى وسَلْمَى والرَّبَابُ وزَيْنَبٌ ... وهِنْدٌ ودَعْدٌ والمُنَى وقَطَامِيا
وأَقْبَلْنَ مِنْ بَعْضِ الخِيَامِ يَعُدْنَني ... ألَا إنَّ بَعْضَ العَائِدَاتِ دَوَائِيا

٣/ ٥٢ ٤١٣٧ وقال عبد الله بن مصعب الزُّبيري :

مالي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْني عَائِدٌ ... مِنكُمْ ويَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعودُ

فسُمي : عائد الكلب ، وولدُه الآن يسمَّوْن : بني عائد الكلب .

* * *

(1) كب ، مص : لما .
(2) كب ، مص : تبعث .
(3) كب ، مص : صبك .
(4) كب : تنصل .
(5 - 5) كب ، مص : إرسالاً .

التعازي وما يُتَمَثَّلُ به فيها

٤١٣٨ حَدَّثني محمد بن داود ، عن غسان بن المُفَضَّل[1] ، قال :

قال عبد الوهاب الثَّقَفي : أتاني ابنُ جُرَيج بمكة يُعَزِّيني عن بعض أهلي ، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهْلَه إيماناً واحتساباً سلا كما تسلُو البهائم(١) .

٤١٣٩ كَتَب إبراهيم بن أبي[2] يحيى الأسْلَمي إلى المهدي يعزِّيه عن ابنته : أما بعد ، فإنَّ أحقَّ مَنْ عَرَف حَقَّ الله [عليه] فيما أخَذَ منه ، مَنْ عَظَّمَ حَقَّ الله عليه فيما أبْقَى له . واعْلَمْ أنَّ الماضي قَبْلَك هو الباقي بعدَك ، وأنَّ أجْرَ الصابرين فيما يُصابون به أعظَمُ عليهم مِنَ النِّعمة فيما يُعَافَوْن منه .

٤١٤٠ ونحوه قولُ سهل بن هارون : التهنئةُ على آجِلِ الثوابِ ، أوْلَى من التَّعْزية على عاجِلِ المصيبة .

٤١٤١ وقال بعضُ الشعراء :

كَمْ مِنْ يَدٍ لا يُسْتَقَلُّ بشُكْرِها ... للهِ فـي ظِـلِّ المَكَـارِهِ كـامِنَـهْ

٤١٤٢ وسقطتْ مقاديمُ فم معاوية فشَقَّ ذلك عليه ، فقال له يزيد بن مَعْن[3] السُّلَمي : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، ما بَلَغ أحدٌ سِنَّك إلَّا أبْغَضَ بعضُه بعضاً ، فَفُوكَ أهْوَنُ علينا من سمعك وبصرك .

٤١٤٣ وقال صالح المُرِّي لرجل يعزِّيه : إنْ لم تكن مصيبتُك أحدثتْ في نفسك مَوْعِظَةً ، فمصيبتُك بنفسك أعظم . ٣/ ٥٣

٤١٤٤ ونحوه : شَرٌّ مِنَ المَرْزِئة سوءُ الخلف عنها(٢) .

---

(1) كب ، مص : الفضل ، تحريف .
(2) سقطت من كب ، مص .
(3) مص : معمر ، تحريف .

---

(١) الاحتساب : طلب الأجر ، أي احتسب الأجر بصبره على مصيبته ، واعتد مصيبته في جملة البلايا التي يثاب على الصبر عليها . وسلا : نسي . (وانظر قول رجل من طيء فيما سيأتي برقم ٤١٧٨) .
(٢) المرزئة والرزيئة : المصيبة البالغة ، لأنها ترزؤ المرء ، أي تأخذ منه ما يعز عليه .

٤١٤٥ ومثلُه قولُ الشاعر :

إنْ يَكُنْ مَابِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاً فَلَفَقْدُ العَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ

٤١٤٦ عَزَّى شَبيبُ بنُ شيبة المهديَّ عن بانُوقة[1] ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما عندَ اللهِ خيرٌ لها مما عندك ، وثوابُ اللهِ خيرٌ لكَ منها .

٤١٤٧ عَزَّى رجلٌ عبدَ الله بنَ طاهر عن ابنته ، فقال : أيها الأمير ، مم تجزَع ؟

المَوْتُ أكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى الحُرَمِ[2]

٤١٤٨ وقال جرير :

وأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إذَا المَوْتُ نَالَهُ عَلَى المَرْءِ مِنْ أصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا[3]

٤١٤٩ وقال آخر :

ولَمْ أَرَ نِعْمَةً شَمِلَتْ كَرِيماً كَنِعْمَةِ عَوْرَةٍ سُتِرَتْ بِقَبْرِ

٤١٥٠ وعَزَّى رجلٌ رجلاً ، فقال : لا أراكَ اللهُ بعد هذه المصيبةِ ما يُنْسِيكها .

٤١٥١ وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز[4] :

تَعَزَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ ويُولَدُ

هلِ ابْنُكَ إلَّا مِنْ سُلالَةِ آدَمٍ لِكُلٍّ عَلَى حَوْضِ المَنِيَّةِ مَوْرِدُ

٤١٥٢ عَزَّى أبو بكر عُمَرَ رضي الله عنهما عن طفل أُصِيب به ، فقال : عَوَّضك اللهُ منه ما عَوَّضَه [اللهُ] منك .

٤١٥٣ وقال محمود الوَرَّاق :

يُمَثِّلُ ذُو اللُّبِّ فِي نَفْسِهِ مَصَائِبَهُ قَبْلَ أنْ تَنْزِلا

فإنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لم تَرُعْهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَّلا

٣/ ٥٤

---

(١) بانوقة : بنت المهدي .

(٢) صدره : تهوي حياتي وأهوى مَوْتَها شفقاً

والبيت سيأتي بتمامه مع أبيات أخرى برقم ٤٣٤٩ .

(٣) تقنعت المرأة : وضعت القناع أو المِقنعة فغطت به رأسها ومحاسنها ، وندعوه اليوم بالشام المنديل . يقول : موت المرأة أهون مصيبة .

(٤) يعزيه عن ابنه عبد الملك ، وكانت سن عبد الملك حين وفاته تسع عشرة سنة ونصف . وأبوه عمر بن عبد العزيز توفي عن تسع وثلاثين سنة عام ١٠١ ، وكانت خلافته حوالي سنتين وخمسة أشهر (المعارف ٣٦٣ ، تاريخ دمشق ٣٧/ ٥٣ مخطوط) .

رَأَى الهَمَّ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلا
وذُو الجَهْلِ يأمَنُ أيَّامَهُ ويَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلا(١)
فإنْ بَدَهَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ بِبَعْضِ مَصَائِبِهِ أعْوَلا(٢)
ولَوْ قَدَّمَ الحَزْمَ في أمْرِهِ لعَلَّمَهُ الصَّبْرَ عِنْدَ البَلا(٣)

٤١٥٤ عَزَّى موسى بنُ المهدي سليمانَ بنَ أبي جعفر عن ابنٍ له ، فقال : أَيَسُرُّكَ وهو بليَّة وفتنة ، ويُحْزِنك وهو صلاة ورحمة ؟

٤١٥٥ وعَزَّى رجلٌ موسى بنَ المهدي عن ابنٍ له ، فقال : كان لكَ من زِينة الحياةِ الدنيا ، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات .

٤١٥٦ توفي سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فكَتَبَ إلى عمر بنِ عبد العزيز بعضُ عُمَّاله وأطْنَبَ في كتابه ، فكتب إليه عمر :

فَحَسْبي[1] حياةُ اللهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وحَسْبي بَقَاءُ اللهِ مِنْ كُلِّ هَالِكِ
إذَا ما لَقِيتُ اللهَ عَنِّي رَاضِياً فإنَّ شَفَاءَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكِ

٤١٥٧ كَتَبَ ابنُ السَّمَّاك إلى الرشيد يعزِّيه عن ابنٍ[2] له : أمَّا بعد ، فإنِ استطعتَ أن يكونَ شُكْرُك لله حين قَبَضه أكثرَ من شُكْرِك له حين وَهَبه(٤) . فإنه حينَ قَبَضَه أحْرَزَ لك هِبَتَه(٥) ، ولو سَلِم لم تَسْلَم من فتنته .

أرأيتَ حُزْنَكَ على ذهابه ، وتلهُّفَك لفِراقه ! أرضيتَ الدارَ لنفسك ، فتَرْضَاها لابنك ؟! أمَّا هو فقد خَلَص من الكدر ، وبَقِيتَ أنتَ معلَّقاً بالخَطَر . واعلمْ أنَّ المصيبةَ مصيبتان إنْ جَزِعْتَ ، وإنما هي واحدةٌ إنْ صَبَرت ، فلا تَجْمَعِ الأمرين على نفسك .

٤١٥٨ كَتَبَ عبدُ الله بن طاهر إلى أبي دُلَف : المصائبُ حالَّةٌ لا بُدَّ منها ، فمنها ما يكونُ رحمةً من الله ولُطْفاً بعبده ، وآيةُ ذلك أن يوفِّقه للصبر ، ويُلْهِمَه الرضا ، ويَبْسُطَ أمله ٣/ ٥٥

(1) كب ، مص : حسبي .
(2) كب ، مص : بابن .

(١) مصارع القوم : أماكن مقتلهم . وخلا : مضى ، أراد من مضى من الأمم .
(٢) بدهته : فاجأته وباغتته . وصروف الزمان : نوائبه وحدثانه . أعول : رفع صوته بالبكاء والصياح .
(٣) البلا : البلاء ، وهو الامتحان والاختبار ، ويكون بالخير والشر ، وأراد الشر .
(٤) حذف الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .
(٥) الحِرْز : الموضع الحصين ، وأحرز الشيء : حفظه وضمه إليه في حرز يصونه عن الأخذ .

فيما عنده من الثواب الآجِل والخَلَف العاجِل . ومنها ما يكونُ سُخْطاً وانتقاماً ، أوّلُه حُزنٌ ، وأوسَطُه قُنُــوطٌ ، وآخرُه ندامةٌ ، وهي المُصيبةُ حقاً الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة .

ولم تَزَلْ عادةُ اللهِ عندك : الإخلافَ والإتلاف . وإنْ يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك في مَوَاضي الأيام ، فالأجرُ المأمولُ على قَدْر ذلك .

٤١٥٩ وكَتَب أبو دُلَف إليه : إنْ تكُنِ المصيبةُ جَلَّتْ ، فإنَّ فيما أكرَمني اللهُ به مِنْ جَميلِ رأيِ الأميرِ ، وما وَضَحَ للناسِ مِنْ[1] فَضْلِ عِنايتِه وابتدائِه إيايَ بكُتُبه ، ما عَجَّلَ العِوَضَ من المفقود .

٤١٦٠ وفي كتابٍ آخر : لئن كانتِ المصيبةُ جلَّتْ ، فإنَّ[2] فيما أبقى اللهُ ببقاءِ الأميرِ عِوضاً وافياً ، وخَلَفاً كافياً . وحقيقٌ بمن عَظُمت النعمةُ عليه ـ فيما أبقى الله ـ أنْ يَحْسُن عَزاؤه عَمَّا أُخِذ منه . وأحَقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

٤١٦١ وقرأتُ في كتابٍ لبعضِ الكُتَّاب في تَعْزية : أسألُ اللهَ أنْ يَسُدَّ بكَ ما ثَلَمتِ الأيامُ من مكانه ، ويَعْمُرُ ما أخلَتْ مِنْ مشاهِدِه وأوْطانِه ، حتى لا يَعْفُو الدَّاثِرُ ، وأنْ يَسْتَقبلَ لكم أيَامَكم بأحسنِ ما أمْضاها لمن مَضَى منكم ، فيَجْعَلَكَم الخَلَفَ الذي لا وَحْشةَ معه ولا وَحْشةَ عليه ، ويتولاَّكم ويتولاَّنا فيكم بما هو أهْلُه ووليُّه .

٤١٦٢ وقرأتُ في كتابِ تَعْزِية : لا لومَ على دمعةٍ لا تُملَك أنْ تَسْفَحَها ، ولا على ألمٍ في القلب لا يُدْفَع أن يظهرَ فيك ، ولا عُذْرَ في سِوَاهما مما أحْبَطَ أجْرَك ، وأشْمَتَ عدوَّك ، وضَعَّفَ رأيَك ، ولم يُرْجِع إليكَ فائتاً ، ولا إلى شقيقِك بمكانه رُوحاً ، ولا إلى مَنْ خَلَّفَ حِفْظاً . واعلمْ أنَّ فرقَ ما بين ذي العقلِ وذي الجهل في مصيبتيهما تَعَجُّلُ العاقلِ من الصبرِ ما يَتأجَّلُ الجاهلُ . ٣/٥٦

٤١٦٣ وقرأتُ في كتاب تعزية : لو كانتِ النوائبُ مدفوعةً عن أحدٍ بكَثْرة مَنْ يَقيه ذلك من إخوانه ويَفْدِيه منه بالأخَصِّ من أعِزَّته والأنْفَسِ من ماله ، سَلِمْتَ مِنْ مُلِمِّها ، وكان سَبْقي إلى ذلك أبرزَ سَبْقٍ ، وحَظِّي بالتقدُّم فيه أوْفَرَ حظٍّ .

٤١٦٤ وقرأتُ في كتابٍ : مصيبتُكَ لي مصيبةٌ ، وما نالكَ من ألمِها لي مُوجِع . ولو كان في الوُسْع أن أعلمَ كُنْهَ ما خامرَ قلبَك من ألمِها لحمَلْتُ مثلَه على نفسي ، فإني أُحِبُّ

---

(1) كب : فإن . (2) كب ، مص : إن .

أنْ أكونَ أُسْوَتَك في كُلِّ سارٍّ وغامٍّ ، وألَّا أتمتَّعَ بأيام غُمُومِك ، ولا أقصِّرَ فيها عن مقدار حالِك .

٤١٦٥ وقرأتُ في كتابٍ : نسألُ اللهَ حُسْنَ الاستعدادِ لما نتوكَّفُه[١] ونتوقَّعُ حلولَه ، وألَّا يَشْغَلَنا بما يَقِلُّ الانتفاعُ به وتَعْظُمُ التَّبِعةُ فيه عَمَّا نحتاجُ إليه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] وأنْ يجعلَ ما وَهَبَ لنا من الصبرِ والعزاء إيماناً وإيقاناً[٢] ، ولا يجعلَه ذُهُولاً ونِسْياناً .

٤١٦٦ قال أسماء بن خَارِجة : إذا قَدُمتِ المصيبة تُرِكت التعزية ، وإذا قَدُمَ الإخاءُ قَبُحَ الثناء[٣] .

٤١٦٧ قيل لأعرابيَّةٍ ماتَ ابنُها : ما أَحْسَنَ عزاءَك ! فقالت : إنَّ فَقْدي إياه أمَّنني من المصيبةِ بعده .

٤١٦٨ ونحْوه قولُ الشاعر :

وكُنْتُ عَلَيْهِ أحْذَرُ المَوْتَ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِيَ شَيْءٌ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ

٣/ ٥٧

٤١٦٩ ومثله :

وقَدْ كُنْتُ أسْتَعْفِي الإلهَ إذَا اشْتَكَى مِنَ الأجْرِ لي فِيهِ وإنْ سَرَّني الأَجْرُ[٤]

٤١٧٠ وقال أبو العَتَاهية :

وكَمَـا تَبْلَـى وُجُـوهٌ فـي الثَّـرَى فَكَـذا يَبْلَـى عَلَيْهِـنَّ الحَـزَنْ

٤١٧١ وفي الحديث : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِب منه »[٥] .

٤١٧٢ ويقال : المصيبةُ المُوجِعة تُدِرُّ[1] ذِكْرَ اللهِ في قلب المؤمن .

٤١٧٣ قال الأصْمَعي : مررتُ بأعرابيَّةٍ وبين يديها فتىً في السِّيَاق[٦] ، ثم رَجَعتُ ورأيتُ

---

(1) كب : قدر .

---

(١) نتوكفه : نتوقعه وننتظره .

(٢) الإيقان : اليقين ، وهو العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر .

(٣) سيأتي برقم ٤٧٥٤ كتاب الحوائج .

(٤) سيأتي برقم ٤١٩٥ .

(٥) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

يصب منه : يبتليه بالمصائب ، ليطهره من الذنوب في الدنيا ، فيلقى الله نقياً .

(٦) السياق : نزع الروح ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

في يدها قَدَح سَوِيقٍ تَشْرَبُه(١) ، فقلتُ لها : ما فَعَل الشابُ ؟ فقالتْ[1] : وارَيْناه .
فقلتُ : فما هذا السَّوِيق ؟ فقالت :

عَلَى كُلِّ حَالٍ يَأْكُلُ القَوْمُ زَادَهُمْ عَلَى البُؤْسِ والبَلْوَى وفي الحَدَثَانِ(٢)

٤١٧٤ قيل لأعرابيٍّ : كيف حزنُك اليومَ على ولدك ؟ فقال : ما تَرَك حبُّ الغَدَاءِ والعَشَاءِ لي حُزْناً .

٤١٧٥ وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجَزَعُ قبلَ المصيبة ، فإذا وقعتْ فالْهُ عمَّا أصابك .

٤١٧٦ اشتكى بعضُ أهلِ محمدِ بن علي بن الحسين فَجزِع عليه ، ثم أُخْبِر بموته فسُرِّيَ عنه ، فقيل له في ذلك ، فقال : ندعو اللهَ فيما نحب ، فإذا وَقَع ما نكره لم نخالفِ اللهَ فيما أَحَبَّ .

٤١٧٧ لمَّا مَات عتبة بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قَضَى اللهُ فيه ما قَضَى فما أُحِبُّ أني دَعَوْتُه فأجابني .

٣/٥٨ ٤١٧٨ قال رجل من طيء :

فَلَوْلَا الأُسَى ما عِشْتُ في النَّاسِ سَاعَةً ولَكِنْ إذا ما شِئْتُ أَسْعَدَني مِثْلِي(٣)

٤١٧٩ وقال آخر :

إذا أنْـتَ لَـم تَسْـلُ اصْطِبَـاراً وحِسْبَـةً سَلَوْتَ عَلَى الأَيَّامِ مِثْلَ البَهَائِمِ(٤)

٤١٨٠ عَزَّى محمدُ بن الوليد بن عتبة عُمَرَ[2] بنَ عبد العزيز عن ابنه عبد الملك ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لِيَشْغَلَك ما أَقْبَلَ من الموت إليك ، عمن هو في شُغُلٍ عَمَّا[3] دَخَل عليك ؛ وأَعْدِدْ لنزوله عُدَّةً تكون لك حجاباً من الجَزَع وسِتْراً من النار . فقال :

---

(1) كب : فقلت .
(2) كب ، مص : الوليدَ بن عبد الملك ، وهو خطأ محض ، صوابه في تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٠٢ .
(3) كب ، مص : مما .

---

(١) السويق : ما يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، يكون طعاماً ، ويكون ثريداً ، ويجعل شراباً يخلط بالماء ويحلى ويضرب ، سمي بذلك لانسياقه في الحلق .
(٢) الحدثان : نوائب الدهر وحوادثه .
(٣) الأسى : جمع أُسوة ، وهي ما يتعزى به الحزين . أسعدني : أعانني وساعدني على جهة المشاركة والمجاملة .
(٤) انظر ما مضى قريباً برقم ٤١٣٨ ، من كلام ابن جريج .

يا محمد ، أرجو ألَّا تكونَ رأيتَ غَفْلة تُنَبِّه عليها ، ولا جَزَعاً يُسْتَتر منه ، وما توفيقي إلا بالله . فقال محمد : يا أميرَ المؤمنين ، إنه لو استغنى أحدٌ عن مَوْعظةٍ بفَضْلٍ لَكُنْتَه ، ولكن اللهَ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] .

٤١٨١ وقال الطَّائي :

ويَفْـرَحُ بـالشَّـيْءِ المُعَـارِ بَقَـاؤُهُ ويَحْزَنُ لَمَّا صَارَ وَهْوَ لَهُ ذُخْرُ(١)
علَيْكَ بثَوْبِ الصَّبْرِ إذْ فيهِ مَلْبَسٌ فإنَّ ابْنَكَ المَحْمُودَ بَعْدَ ابْنِكَ الصَّبْرُ

٤١٨٢ وقال أيضاً :

أَمَـالِـكُ إنَّ الحُـزْنَ أَحْـلامُ نـائِـمٍ ومَهْمَا يَدُمْ فالوَجْدُ لَيْسَ بدَائِمِ(٢)
تـأَمَّلْ رُوَيْـداً هَـلْ تَعُـدَّنَّ سَـالِمـاً إلى آدمٍ أمْ هَلْ تَعُدُّ ابْنَ سالِمِ

٤١٨٣ وقال آخر :

اِصْبِـرْ لِكُـلِّ مُصِيبَـةٍ وتَجَلَّـدِ واعْلَمْ بأنَّ المَرْءَ[1] غَيْرُ مُخَلَّدِ(٣)
أوَ مـا تَـرَى أنَّ الحَـوَادِثَ جَمَّـةٌ وتَـرَى المَنِيَّـةَ لِلْعِبَـادِ بمَـرْصَـدِ
وإذا أَتَتْـكَ مُصِيبَـةٌ تَشْجَـى بِهَـا فاذْكُرْ مُصَابَكَ بالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ(٤)

٣/ ٥٩

٤١٨٤ عزَّى رجلٌ الرشيدَ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كان لكَ الأجرُ لا بك ، وكان العزاءُ لك[2] لا عنك .

٤١٨٥ يعزِّي أهلُ نجرانَ(٥) بعضُهم بعضاً بهذا الكلام : لا يُحْزِنْكم اللهُ ولا يَفْتِنْكم(٦) ، أثابكم اللهُ ثوابَ المتَّقين ، وأوْجَب لكم الصلاةَ والرحمة .

---

(1) كب ، مص : الدهر . (2) كب ، مص : منك .

---

(١) يصف حالي ابن آدم وخلقته التي جبل عليها . والبيتان من قصيدة يعزي فيها نوح بن عمرو عن ابنه .
(٢) يمدح مالك بن طوق ويعزيه عن أخيه القاسم . والوجد : الحزن الشديد على من تحب .
(٣) تجلد : أظهر الجَلَد ، أي الصلابة والقوة والصبر .
(٤) تشجى بها : تهتم وتحزن بها ، كأنها الشَّجا في حلقك . والشجا : ما اعترض في الحلق من عظم أو عود أو غيرها .
(٥) نجران : صقع معروف شمال مدينة صعدة في اليمن ، ويقال للباب الشمالي لمدينة صعدة : باب نجران (البلدان اليمانية ٢٨٠) .
(٦) جماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فَتَنت الفضة والذهب ، إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد .

٤١٨٦ عَزَّى بعضُ الزُّبيريين رجلاً فقال : لا يَصْفَرْ رَبْعُكْ(١) ، ولا يُوحِشْ بيتُك ، ولا يَضِعْ أجرُكَ . رَحِم اللهُ مُتوفَّاك ، وأحْسَنَ الخِلافةَ عليك .

٤١٨٧ قال بعضُ الشعراءِ :

أَسُكَّـانَ بَطْـنِ الأَرْضِ لَـوْ يُقْبَـلُ الفِـدَى ... فَـدَيْنَـا وأَعْطَيْنَـا بِكُـمْ سَـاكِنِي[1] الظَّهْـرِ

فيَـا لَيْـتَ مَـنْ فِيهـا[2] عَلَيْهَـا وَلَيْـتَ مَـنْ ... عَلَيْهَـا ثَـوَى فِيهـا مُقِيمـاً إلـى الحَشْـرِ

وقَـاسَمَنِـي دَهْـرِي بَنِـيَّ بشَطْـرِهِ ... فَلَمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مَالَ عَلَى[3] شَطْرِي(٢)

فصَـارُوا دُيُـونـاً لِلْمَنَـايـا ومَـنْ يَكُـنْ ... عَلَيْـهِ لَهَـا دَيْـنٌ قَضَـاهُ عَلَـى عُسْـرِ

كـأَنَّهُـمُ لـم يَعْـرِفِ المَـوْتُ غَيْـرَهُـمُ ... فَثُكْـلٌ عَلَـى ثُكْـلٍ وقَبْـرٌ عَلَـى قَبْـرِ

وقَـدْ كُنْـتُ حَـيَّ الخَـوْفِ قَبْـلَ وَفَـاتِهِـمْ ... فَلَمَّـا تُوُفُّـوا مَـاتَ خَـوْفي مِـنَ الدَّهْـرِ

فللّـهِ مـا أَعْطَـى وللهِ مـا جَـزَى ... ولَيْـسَ لأَيَّـامِ الـرَّزِيَّـةِ كـالصَّبْـرِ

فحَسْبُـكَ مِنْهُـمْ مُـوْحِشـاً فَقْـدُ بِـرِّهُـمْ ... وحَسْبُـكَ مِنْهُـمْ مُسْلِيـاً طَلَـبُ الأَجْـرِ

٤١٨٨ عَزَّى شبيب بن شيبة رجلاً من اليهود ، فقال : أعطاكَ اللهُ على مُصيبتك أفضلَ ما أعطى أحداً من أهل مِلَّتِك .

٣/ ٦٠ ٤١٨٩ وقال العُتْبي :

ما عَالَجَ الحُزْنَ والحَرَارَةَ في الـ ... ـأَحْشَاءِ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدُ(٣)

فجِعْـتُ بـابنـيَّ لَيْـسَ بَيْنَهُمَـا ... إلَّا لَيَـالٍ لَيْسَـتْ لَهَـا عِـدَدُ

وكُـلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قِدَمِ الدَّ ... هْـرِ وحُـزْنِـي يُجِـدُّهُ الأَبَـدُ

٤١٩٠ وقال أيضاً :

أَلَا يَـزْجُـرُ الـدَّهْـرُ عَنَّـا المَنُـونَـا ... يُبَقِّـي البَنَـاتِ ويُفْنِـي البَنِينَـا(٤)

---

(1) كب ، مص : ساكن . (2) كب : منها .
(3) كب ، مص : في .

---

(١) لا يصفر : لا يخلو . والربع : المنزل ، وقيل : هو المنزل في الربيع خاصة .
(٢) توفى شطره : تقاضاه فأتمه ولم ينقص منه شيئاً . مال علي : أقبل علي وعدل عنهم إلي .
(٣) عالج : صارع وغالب .
(٤) مضى بعضها برقم ١٩٨٧ كتاب الطبائع . ويزجر : يكف ويمنع وينهي ، يقال : زَجَره يَزْجُره ، وازدجره فانزجر وازدجر .

وأَنْحَى عَلَيَّ بِلاَ رَحْمَةٍ فَلَمْ يُبْقِ لي في جُفُوني جُفُونَا(١)
وكُنْتُ أَبَا سَبْعَةٍ كالبُدُورِ أُفَقِّي بِهِمْ أَعْيُنَ الحَاسِدِينا(٢)
فَمَرُّوا عَلَى حَادِثَاتِ الزَّمَانِ كَمَرِّ الدَّرَاهِمِ بالنَّاقِدِينا(٣)
فأفْنَتْهُمُ واحِداً واحِداً إلَى أنْ أَبَادَتْهُمُ أجْمَعِينا
والْقَيْنَ ذَاكَ إلَى ضَارِحٍ[1] والْقَيْنَ هذا إلى دافِنِينَا(٤)
وما زَالَ ذَلِكَ دَأْبَ الزَّمَا نِ يُفْنِي[2] الأَوَائِلَ فالأوَّلِينا(٥)
وحَتَّى بَكَى لِيَ حُسَّادُهُمْ فَقَدْ أَقْرَحُوا بالدُّمُوعِ الجُفُونا
وحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بامْرِىءٍ تَرَى حاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينا
وكَانُوا عَلَى ظَهْرِها أنْجُماً فأضْحَوْا إلَى بَطْنِها يُنْقَلُونا
فَمَنْ كَانَ يُسْلِيهِ مَرُّ السِّنِينَ فَحُزْني يُجَدِّدُهُ لي السُّنُونَا
ومِمَّا يُسَكِّنُ وَجْدِي بِهِمْ بأَنَّ المَنُونَ سَتَلْقَى المَنُونَا(٦)

٤١٩١ كان أبو بكر رضي الله عنه إذا عزَّى رجلاً قال : ليس مع العَزاء مُصيبةٌ ، ولا مَعَ الجزَع فائدةٌ . الموتُ أهونُ مما قبله وأشدُّ مما بعدَه . اذكروا فَقْدَ رسولِ الله ﷺ تَصْغُرْ مصيبتُكم . وَعَظَّمَ اللهُ أجْرَكم .

---

(1) كب : ضارج . (2) كب : يفتي .

---

(١) أنحى علي : مال علي ، أراد مال علي بأوصابه وثقله ورزاياه .
(٢) أفقي : أفقيء ، أي أشق أعينهم حتى أخرج ما فيها .
(٣) الناقد : الذي يعرف زيف الدرهم من صحيحه ، فينقده ، أي ينقره ، فيميز من صوت الدرهم جيده من رديئه .
(٤) الضارح : حفار القبور .
(٥) الدأب : العادة والشأن .
(٦) يقول : عزاؤه أن الموت سوف يلقى الموت فيموت . وفي الحديث الصحيح : أنه يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح (أبيض يشوبه سواد) ، فينادي مناد : يا أهل الجنة .. هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه . ثم ينادي : يا أهل النار .. فيقول : هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيُذبح . ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت (صحيح البخاري ٤/ ١٧٦٠ التفسير/مريم ٤٤٥٣ ، صحيح مسلم ٤/٢١٨٨ ، ٢١٨٩ الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢٨٤٩ ـ ٢٨٥٠) .

٣/ ٦١ ٤١٩٢ وكان عليٌّ رضي الله عنه إذا عزَّى رجلاً يقول : إنْ تَجْزَعْ فأهْلٌ ذلك الرَّحِمُ(١) ، وإنْ تصبِرْ ففي الله عِوَضٌ من كل فائتٍ . وصلى الله على محمد ، وعَظَّمَ اللهُ أجْرَكم .

٤١٩٣ وقال أعرابيٌّ :

أَيُغْسَلُ رَأْسِي أوْ تَطِيبُ مَشَارِبِي ... ووَجْهُكَ مَعْفُورٌ وأنْتَ سَلِيبُ

نسِيبُكَ مَنْ أمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ ... وَلَيْسَ لمَنْ وَارَى التُّرَابُ نَسِيبُ

وإنِّي لأسْتَحْيِي أخِي وهْوَ مَيِّتٌ ... كَمَا كُنْتُ أسْتَحْيِيهِ وهْوَ قَرِيبُ

٤١٩٤ وقال أعرابيٌّ :

ومـا نَحْـنُ إلَّا مِثْلُهُـمْ غَيْـرَ أنَّنـا ... أَقَمْنَـا قَلِيـلاً بَعْـدَهُـمْ وتَقَـدَّمُـوا

٤١٩٥ وقال[1] آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي الإلٰهَ إذا اشْتَكَى ... مِنَ الأجْرِ لي فِيهِ وإنْ سَرَّني الأجْرُ

وأَجْـزَعُ أَنْ يَنْـأَى بِـهِ بَيْـنُ لَيْلَـةٍ ... فَكَيْفَ بِبَيْنٍ صَارَ مِيعادَهُ الحَشْرُ(٢)

٤١٩٦ وقال آخر :

وإنَّـا وإخْـوَانـاً لَنَـا قَـدْ تَتَـابَعُـوا ... لكالمُغْتَدِي والرَّائحِ المُتَهَجِّرِ(٣)

٤١٩٧ وقال سليمان الأعْمَى[2] :

رُبَّ مَغْـــرُوسٍ يُعَـــاشُ بِـــهْ ... عَـــدِمَتْـــهُ كَـــفُّ مُغْتَـــرِسِـــهْ

وكَـــذَاكَ الـــدَّهْـــرُ مَـــأْتَمُـــهْ ... أَقْـــرَبُ الأشْيَـــاءِ مِـــنْ عُـــرُسِـــهْ

٤١٩٨ وتمثَّل معاويةُ بن أبي سفيان يوماً فقال :

إذا سَارَ مَنْ خَلْفَ امْرِىءٍ وأَمَامَهُ ... وأَوْحَشَ مِنْ جِيرَانِهِ فَهْوَ سَائِرُ

٣/ ٦٢ ٤١٩٩ وقال آخر :

وإذَا قِيـلَ مَـاتَ يَـوْمـاً فُـلانٌ ... رَاعَنَـا ذَاكَ سَـاعَـةً مـا نُحِيـرُ[3](٤)

---

(1) سقط البيتان من كب ، وألحقا في الهامش .

(2) كب ، مص : الأعجمي ، تحريف .

(3) كب : تحير .

---

(١) أي استحقت ذلك منك الرحم .

(٢) مضى البيت الأول برقم ٤١٦٩ .

(٣) مضى برقم ٣٥٥٨ كتاب الزهد ، منسوباً إلى لبيد .

(٤) ما نحير : ما ندري ما نفعل ، يقال : حار يُحَار ، واستحار وتحير .

نَذْكُرُ المَوْتَ عِنْدَ ذَاكَ ونَنْسَى إذا غَيَّبَتْــهُ عَنَّـــا القُبُـــورُ

٤٢٠٠ وقال آخر :

نُـرَاعُ مِـنَ الجَنَـائِـزِ قَـابَلَتْنَـا ونَلْهُـو حِيـنَ تَخْفَـى[1] ذَاهِبَـاتِ
كـرَوْعَـةِ ثَلَّـةٍ لِمُغَـارِ سَبُـعٍ فَلَمَّـا غَـابَ ظَلَّـتْ رَاتِعَـاتِ(١)

٤٢٠١ وقال أبو نُوَاس :

سبَقُـونَـا[2] إلـى الـرَّحِيـ ـلِ وإنَّـا فـي الأثَــرْ[3]

٤٢٠٢ وكَتَب رجلٌ إلى بعض الأمراء في تعزية : الأميرُ أذْكَرُ لله مِنْ أنْ يُذَكَّرَ به ، وأعْلَمُ بما قضاه على خلْقِه مِنْ أنْ يُدَلَّ عليه ، وأسْلَكُ لسبيل الراشِدِين في التسليم لأمْرِه والصَّبْرِ على قَدَرِه ، والتَّنَجُّزِ لوعدِه ، مِنْ أنْ يُنَبَّه[4] من ذلك على حظِّه ، أو أنْ يحتاجَ معزِّيه عندَ حادثِ المصيبةِ إلى أكثرَ من الدعاءِ في قضاءِ حَقِّه . فزاده اللهُ توفيقاً إلى توفيقه ، وأحْضَرَه رشدَه ، وسَدَّدَ للصواب غَرضَه[5] ، وتولَّاه بالحُسْنَى في جميع أموره ، إنه سميعٌ قريب .

وقد كان من حادث قضاءِ اللهِ في المتوفَّى ما أنْقَضَ وأرْمَضَ(٢) ، وفَجَع وأوْجَع(٣) ، عَلَى[6] ما دخل على الأمير[7] من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أُنْسه من الوحشة ، إلى ما خَصَّني منه بماسِّ الرَّحِم وأوشَجِ القَرَابة(٤) . فأعْظَمَ اللهُ للأمير الأجرَ ، وأجْزَلَ له الذُّخْر ، وعَصَمه باليقين ، وأنْجَزَ له ما وَعَد الصابرين ، ورَحِمَ

---

(1) كب : تجفا .
(2) سقط البيت من كب ، وألحق في الهامش .
(3) كب ، مص : لباالأثر ، ورواية الديوان : على الأثر .
(4) قرأتها مص خطأ : ينتبه .
(5) كب : عرضه .
(6) كب : علماً مما ، مص : علما بما .
(7) كب : الأمم . . النقص .

---

(١) الثلة : جماعة الغنم الكثيرة . والمغار : الإغارة ، أي الاعتداء والسطو . راتعات : تأكل ما شاءت ، وتذهب وتجيء في المرعى .
(٢) أنقض : أثقل ، وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر قد أوهنه السفر وأذهب لحمه : هو نِقْض سفر ، كأن الحِمْل والسفر أنقله فجعله يُنْقِض من ثقله ، أي يُسْمع لمفاصله صوت من التعب . وأرمض : أوجع ، يقال : أرمض الرجل ورَمِض ، إذا اشتد عليه الحر أو الوجع فقلق وتململ .
(٣) فجع : آلم إيلاماً شديداً .
(٤) أوشج القرابة : تداخلها واتصالها ، تشبيهاً لها بالوشيج من الشجر ، وهو ما التف منه بعضه على بعض.

المتوفَّى ولقَّاه الأمْنَ والرَّوْحَ(١) ، وفَسح له في المَضْجَع ، وجَمَعَه وإياه[1] بعد العمرِ الطويل في الدار التي لا خوفَ عليهم فيها ولا يحزنون .

٦٣/٣ ٤٢٠٣ وفي كتابٍ : نحن نحمَدُ اللهَ أيها الأميرُ إذْ[2] أَخَذ على ما أبْقَى منك ، وإذ سَلَب على ما وَهَبَ لك[3] . فأنتَ العِوَضُ من كل فائت ، والجابرِ لكل مصيبة ، والمؤنِسُ من وَحْشة كُلِّ فَقْدٍ . وحقٌّ لمن كنتَ له ولياً وعَضُداً أنْ يَشْغَلَه حمدُ اللهِ على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

٤٢٠٤ وكَتَب سعيد بن حَميد إلى محمد بن عبد الله : ليس[4] على المُعَزِّي إلا سلوكَ السبيلِ التي سلَكَها الناسُ قبله ، والمُضيّ على السُّنَّة التي سَنَّها صالحو السَّلَف له .

وقد بلغني ما حدث من قضاء اللهِ في أُمِّ الأمير ، فنالني من ألم الرَّزِيَّة(٢) وفاجِعِ المصيبةِ ما ينالُ خَدَمَه الذين يخصُّهم ما خَصَّه من النِّعَم ، ويتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المِحَن .

فأعْظَمَ اللهُ للأميرِ الأجْرَ ، وأجْزَلَ له المَثُوبَةَ والذُّخْر ، ولا أَرَاه في نعمةٍ عنده نَقْصاً ، ووَفَّقَه عند النِّعَمِ للشكر المُوجِبِ للمزيد ، وعند المِحَنِ الصَّبْرَ[5] المُحْرِزَ للثواب ، إنه هو الكريمُ الوهاب . ورَحِم اللهُ الماضيةَ(٣) رحمةَ مَنْ رَضيَ سَعْيَه ، وجازاه بأحسنِ عمله . ولو كانتِ السبيلُ [6]إلى الشُّخُوص[6] إلى باب الأميرِ سهلةً(٤) ، لكان اللهُ قد أجَلَّ الأميرَ عنْ أنْ يعزِّيه مثلي بالرسول دون اللقاء ، وبالكِتاب دون الشِّفاه[7] ، ولكنَّ الكِتابَ لِقاءُ مَنْ لا سبيلَ له إلى الحركة ، وقُبولُ العُذْرِ عَمَّنْ حِيل بينه وبين الواجب .

٤٢٠٥ ولابن مُكْرَم : ومِمَّا حَرَّكَني للكِتاب تعزيتُك عَمَّن[8] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث

---

(1) كب : جمع له وإياه .
(2) كب : إذا ، في كلا الموضعين .
(3) كب ، مص : بك .
(4) كب ، مص : ليس المعزي على سلوك .
(5) مص : للصبر .
(6 - 6) سقطت من كب ، وألحقت في هامش أسفل الورقة .
(7) كب : الشفا .
(8) كب ، مص : بمن .

---

(١) الروح : الرحمة ، وهي أيضاً السرور والفرح .
(٢) الرزية : المصيبة البالغة ، لأنها ترزؤ المرء ، أي تأخذ منه ما يعز عليه .
(٣) الماضية : أم الأمير المتوفاة .
(٤) لم يرد أن الأمير شديد الحجاب ، وأن الوصول إليه ممتنعاً ، بل أراد أن الكاتب كان في شغل فلم يصل إليه .

فيه ، ولا [أنت] تعتاضُ مما كان اللهُ جَمَعَه لكَ عنده مِنَ المَيْلِ إليك والصَّبْرِ على مكروهِ جفائك ، مع ما كان اللهُ أعارَه من قوةِ العقلِ وأصالةِ الرَّأيِ ، ومَدَّ له مِنْ عِنانِه إلى قُصْوى الغايات .

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون على ما أفاتَتْنا الأيامُ منه حين تَمَّ واستوى ، وغالَى في المروءة وتناهى ، وعند الله يُحْتَسب المصابُ به . وعَظَّمَ اللهُ لكَ فيه الأجرَ ، ومَهَّلَ لك في العمر ، وأجْزَلَ لك العِوضَ والذُّخر . فكُلُّ ماضٍ من أهْلِك فأنت سِدادُ ثُلْمَتِهِ وجابرُ رَزِيَّته . وقد خَلَّفَ[١] منْ أنتَ أحقُّ الناسِ به ، من عجوزٍ وَليتْ تربيتَك وحِياطتَك في طبقات سِنِّك ، ووَلِدٍ رُبُّوا في حِجْرِك ونَبَتُوا بين يديك ، ليس لهم بعد اللهِ مَرْجِعٌ سواك ، ولا مقيلٌ إلا في ذَرَاك[٢] ؛ فأنْشُدك اللهَ فيهم ، فإنه[١] أخْرَبَ أحوالَهم بعِمارة مروءته ، وقَطَعهم بصلةِ فَضْله ، واللهُ يَجْزيه بجميل أثره ، ويُخْلِفه فيهم بما هو أهْلُه . ٣/ ٦٤

٤٢٠٦ وفي فصلٍ من كتابٍ : وقد جرى قضاءُ اللهِ في هذه النازلةِ بما[1] نطق عمَّا نَالَك وأبْقى عندك ، وهو حَقُّ مِثْلِها وقَدْرُ مُلِمِّها .

٤٢٠٧ وفي فصلٍ آخر : لو كان ما يَمَسُّكَ من أذىً يُشْترى أو يُفْتدى ، رجوتُ أن أكونَ غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس ، وأن أكونَ سِتْراً بينك وبين كُلِّ مُلِمٍّ ومحذورٍ .

فأعْظَمَ اللهُ أجْرَكَ ، وأجْزَلَ ذُخْرَك ، ولا خَذَل صَبْرَك ولا فَتَنك ، ولا جَعَلَ للشيطانِ حظاً فيك ولا سبيلاً عليك .

٤٢٠٨ المدائني قال : قَدِمَ[2] رجلٌ من عَبْسٍ ، ضريرٌ محطوم[3] الوجه على الوليد ، فسأله عن سبب ضُرِّه ، فقال : بِتُّ ليلةً في بطنِ وادٍ ، ولا أعلم على الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي ، فطَرَقَنا سيلٌ ، فأذهبَ ما كان لي من أهلٍ ومالٍ وولدٍ ، إلَّا صبياً رَضيعاً وبعيراً صعباً ؛ فَنَدَّ البعيرُ والصبيُّ معي ، فوضَعْتُه واتَّبَعْتُ البعيرَ لأحْبِسه ، فاستدار ورَمَحني رَمْحةً حطَمَ بها وجهي وأذْهَبَ عيني ، فتركْتُه [ورجعت إلى ابني] ، فما

---

(1) كب ، مص : ما .

(2) الخبر مضطرب السياق في كب ، مص . وعَوَّلنا على أبي حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٥/ ١٧٦ في قراءة النص ، وستأتي مصادر الخبر في نهاية الكتاب إن شاء الله .

(3) كب : مخطوم .

---

(١) أي أبوك المتوفى .

(٢) يقال : أنا في مقيله وفي ذراه ، أي في كنفه وستره ودفئه .

جاوزْتُ إلَّا ورأسُ الذئب في بطنه قد أكله ؛ فأصبحتُ لا ذا مالٍ ولا ذا ولدٍ . فقال الوليد : اذهبوا به إلى عُرْوة ليعلَم أنَّ في الناسِ مَنْ هو أعْظَمُ بلاءً منه .

٤٢٠٩ وكان عروة بن الزبير أُصيب بابنٍ له ، وأصابه الداءُ الخبيث في إحدى رجليه فقَطَعَها ، فكان يقول : كانوا سبعةً[1] ـ يعني بنيه ـ فأبقيتَ ستةً[2] وأخذتَ واحداً . وكُنَّ أربعاً ـ يعني يديه ورجليه ـ فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثاً[3] . أحْمَدُك ، لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيتَ ، ولئن كنتَ ابتليت[4] لقد عافيتَ(١) . ٣/ ٦٥

٤٢١٠ وشَخَص إلى المدينة ، فأتاه الناسُ يبكون ويتوجَّعون ، فقال : إن كنتم تُعِدُّونَني للسِّباق والصِّراع فقد أوْدَى ، وإنْ كنتم تُعِدُّونَني لِّلسانِ والجاهِ فقد أبقى اللهُ خيراً كثيراً .

٤٢١١ وقال علي بن الجَهْم :

مَـنْ سَبَـقَ السَّلْـوَةَ بـالصَّبْـرِ فازَ بفَضْلِ الحَمْدِ والأَجْرِ
يـا عَجَبـاً مِـنْ هَلِـعٍ جَـازِعٍ يُصْبِـحُ بَيْـنَ الـذَّمِّ والـوِزْرِ
مُصِيبَـةُ الإنْسَـانِ فـي دِينِـهِ أَعْظَمُ مِنْ جائحةِ الدَّهْرِ

٤٢١٢ وقال بعضُ الشعراء :

لَيْـتَ شِعْـرِي ضَلَّـةً أَيُّ شَـيْءٍ قَتَلَـكْ(٢)
والمَنَـايَـا رَصَـدٌ لِلْفَتَـى حَيْـثُ سَلَـكْ
كُـلُّ شَـيْءٍ قَـاتِـلٌ حِيـنَ تَلْقَـى أَجَلَـكْ
لَيْـتَ نَفْسِـي قُـدِّمَـتْ لِلْمَنَـايَـا بَـدَلَـكْ
أَيُّ شَـيْءٍ حَسَـنٍ لِلْفَتَـى لَـمْ يَـكُ لَـكْ

---

(1) كب ، مص : أربعة . خطأ .
(2) كب ، مص : ثلاثة .
(3) كب : ثلاثة .
(4) كب ، مص : أبقيت .

---

(١) مضى الخبر برقم ٣٤٨٧ كتاب الزهد .
(٢) ليت شعري : ليت لي علماً حاضراً بما سوف يكون . وضلة : من الضلال ، وهو الضياع والهلاك . وقال التبريزي ـ ورجح أن الشعر لأم السليك بن السلكة ، في خبر طويل ساقه في شرحه ـ : فيجوز أن يكون عنت نفسها ، فيما استبهم عليها من حال المتوفى ، كأنها ضلت عن العلم به ، فقالت : ليتني أعلم أي شيء أهلكك ، وهذا لضلالي عن معرفة حالك ، وذهابي عن العلم به . ويجوز أن يكون الضلال للمتوفى نفسه ، أي كأنها عدت غيبته وخفاء أمره ضلالاً له ، فقالت : ما الذي قتلك حتى ضللت هذا الضلال .

٤٢١٣ وقال آخر :

غُــرَّ امْــرُؤٌ مَنَّتْــهُ نَفْـ ــسٌ أنْ تَدُومَ لَهُ السَّلامَهْ
هيْهَـاتَ ! أَعْيَـا الأَوَّلِيــ ــنَ دَوَاءُ دَائِك يا دِعَامَهْ

٤٢١٤ وقالتْ صفية الباهلية في أخيها[1] : ٦٦/٣

كُنَّـا كَغُصْنَيْـنِ فـي جُـرْثُـومَـةٍ سَمَـوَا حِيناً بـأحْسَنِ مـا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ[(١)]
حتَّـى إذَا قِيـلَ قَـدْ طَـالَـتْ فُـرُوعُهُمَـا وطَـابَ قِنْـوَاهُمَـا واسْتُنْظِـرَ الثَّمَـرُ[(٢)]
أَخْنَـى عَلَـى وَاحِـدِي رَيْـبُ الزَّمَـانِ وَلا يُبْقـي الـزَّمَـانُ عَلَـى شَـيْءٍ ولا يَـذَرُ[(٣)]
كنَّـا كَـأَنْجُـمِ لَيْـلٍ وَسَطْنَـا قَمَـرٌ يَجْلُـو الـدُّجَـى فهْـوَى مِـنْ بَيْنِنـا القَمَـرُ

٤٢١٥ ومن هذا أخذ الطَّائي قوله :

كَـأَنَّ بَنـي نَبْهَـانَ يَـوْمَ وَفَـاتِـهِ نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ

٤٢١٦ وقال آخر :

لِكُـلِّ أُنَـاسٍ مَقْبَـرٌ بِفَنَـائِهِـمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ والقُبُورُ تَزِيدُ[2][(٤)]
وما إنْ يَزَالُ رَسْمُ دَارٍ قَدَ اخْلَقَتْ وبَيْـتٌ لِمَيْـتٍ بـالفَنَـاءِ جَـدِيـدُ
هـمُ جِيـرَةُ الأَحْيَـاءِ أَمَّـا جِـوَارُهُـمْ فَـدَانٍ وأَمَّـا المُلْتَقَـى فبَعِيـدُ

٤٢١٧ وقال آخر :

لا يُبْعِـدُ اللهُ أَقْـوَامـاً لَنَـا ذَهَبُـوا أَفْنَـاهُـمْ حَـدَثَـانُ الـدَّهْـرِ والأَبَـدُ
نَمُـدُّهُـمْ كُـلَّ يَـوْمٍ مِـنْ بَقِيَّتِنـا ولا يَـؤُوبُ إِلَيْنـا مِنْهُـمُ أَحَـدُ

---

(1) كب : أختها . (2) كب : مزيد .

---

(١) الجرثومة : الأصل ، وجرثومة كل شيء : أصله ومجتمعه .
(٢) الفروع : جمع فرع ، وهو من كل شيء ما تفرع منه في أعلاه . وقنو النخلة : عذقها ، وهو كالعنقود من العنب . استنظر : انتُظر .
(٣) أخنى عليه : مال عليه ، فأفسده وأهلكه . قال المرزوقي : تقول : كنا غصنين خرجا من أصل واحد ، فنميا وطالا ، واستكملا زماناً ، وبقيا يزدادان على أحسن ما تزداد له الأشجار . حتى إذا فرعا ، وآتت أغصانهما ، وبرعا ، وكثر ورقهما ، وصار يُنتظر ثمرهما ، وقف الأمر دون الغاية المرجوة فيهما ، ودعي أحدهما مقدَّماً على الآخر للمحتوم لهما (شرح ديوان الحماسة ٩٤٨/٢) .
(٤) المقبر : موضع القبور .

٤٢١٨ وقال النابغة :

حَسْبُ الخَلِيلَيْنِ نَأْيُ[1] الأَرْضِ بَيْنَهُمَا ... هَـذَا عَلَيْهـا وهَـذَا تَحْتَهَـا بَـالِ

٤٢١٩ وقال آخر :

وقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُمَلَّاكَ حِقْبَةً ... فَحَالَ قَضَاءُ اللهِ دُونَ رَجَائِيا(١)

أَلَا لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا ... عَلَيْكَ مِنَ الأَقْدَارِ كَانَ حَذَارِيا

٦٧/٣ ٤٢٢٠ وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما وَارَى التُّرَابُ فِعَالَهُ ... ولَكِنَّهُ وَارَى ثِيَاباً وأَعْظُمَا

٤٢٢١ [وقال] فَضَالة بن شَرِيك :

رَمَى الحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بِفَادِحَةٍ سَمَدْنَ لَهَا سُمُودا(٢)

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً ... ورَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا

٤٢٢٢ وقال آخر :

أَمَّا القُبُورُ فإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ ... بِجِوَارِ قَبْرِكَ والدِّيَارُ قُبُورُ(٣)

عمَّتْ مُصِيبَتُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ ... فالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ

ردَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ[2] حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ(٤)

٤٢٢٣ [وقال] منصور النَّمِري :

---

(1) كب ، مص : أن .   (2) كب : إلى .

---

(١) أملاك : أبقى معك ملاوة (مثلثة الميم) ، أي مدة ، فتبقى لي ممتعاً بك .

(٢) الحدثان : نوائب الدهر وحوادثه . والفادحة : النازلة المثقلة التي تشق على النفس . والسمود : الغفلة وذهاب القلب ، وتغير الوجه من الحزن . وقيل معناه رفعن رؤوسهن ينحن .

(٣) يقول : قبور الأموات ذوات أنس وقرار بمجاورتها لقبرك ، ولما يغدو ويروح إليها من زوارك . ثم قال : والديار قبور ، أي كالقبور وحشة لما حصل فيها من الفجيعة بك .

(٤) الصنائع : جمع الصنيعة ، وهي كل ما عمله من خير وإحسان . من نشرها : أي من نشر الناس لها . يقول : تذاكر الناس بعوارفك لديهم ، ونشروا محامدك فيهم ، فكأنك حي لم يوارك قبر . وبعد البيت :

فالنَّاسُ مأتَمُهُمْ عليه واحدٌ ... في كل دارٍ رَنَّةٌ وزَفيرُ

رنة : من الرنين ، وهو الصوت .

فإنْ يَكُ أفْنَتْهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ   فإنَّ لَـهُ ذِكْـراً سَيُفْنِي اللَّيَـالِيـا(١)

٤٢٢٤ وقال طُفَيل يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفاً قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمُ   وصَرْفُ المَنَايَا بالرِّجَالِ تَقَلَّبُ

٤٢٢٥ وقال هشام أخو ذي الرُّمَّة :

تَعَـزَّيْـتُ عَـنْ أوْفَـى بِغَيْـلانَ بَعْـدَهُ   عَزَاءً وجَفْنُ العَيْنِ مَلآنُ مُتْرَعُ(٢)

ولَمْ يُنْسِنِي[1] أَوْفَى المُصِيباتُ بَعْدَهُ   ولَكِنَّ نَكْأَ القَرْحِ بالقَرْحِ أَوْجَعُ(٣)

٤٢٢٦ وفي فصلٍ من كتابٍ لبعض الكُتَّاب : لستُ أحتاج ـ مع علمك بما في الصبر عند نازل المصيبةِ من الفضيلة ، وما في الشكر عند[2] حادثِ النعمة من الحظ ـ إلى أكثرِ من الدعاء في قضاء الحقَّيْن ، ولا إلى إخبارك عَمَّا أنا عليه من الارتماض(٤) لضَرَّائك والجَذَل بسرائك ، لمعرفتك بشركتي لك واتِّصال حالِك بي في الأمرين . ٦٨/٣

* * *

(1) مص : تنسني ، وكلاهما صحيحان .   (2) كب ، مص : عن .

(١) قبل البيت :

فَتًى كانتِ الأبطالُ تَعرِفُ أنَّهُ   إذا قـارَعَتْـهُ ليس بـالضَّيْـم راضيـا

أوشكت : أسرعت ، كأنه استقصر مدة بقائه ، أو استقصر مدة علته .

(٢) غيلان : هو ذو الرُّمَّة . وأوفى : أخوه ، والبيتان في رثائهما . يقول : تعزيت عن أوفى بهلاك غيلان عزاء عجباً ، تعزيت عنه بالبكاء على عزيز آخر ! وتمم المعنى في البيت الذي يليه .

(٣) يقول : ليس ذلك عزاء أنسى به أوفى ، بل ذلك أحر وأوجع . والقرح : الجرح إذا تقادم . ونكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ ، فيدمى .

(٤) الارتماض : الحزن الشديد والألم .

التهاني

٤٢٢٧ حَدَّثني زيد بن أَخْزَم[1] ، قال : حَدَّثنا أبو قتيبة ، قال : حَدَّثنا ميمون[2] أبو عبد الله الناجي ، قال : كنتُ عند الحسن ، فقال رجل : لِيَهْنِئْكَ الفارسُ . فقال : لعله يكون بَقَّالاً[3] ، ولكنْ قل : شكرتَ[4] الواهبَ ، وبُورك لك في الموهوب ، وبَلَغَ أَشُدَّه ، ورُزِقتَ بِرَّه .

٤٢٢٨ قال مجاهد : كان رسولُ الله ﷺ إذا دعا لمتزوِّج ، قال : « على اليُمْن والسعادة ، والطير الصالح ، والرزقِ الواسع ، والمودَّةِ عند الرحمن »(١) .

٤٢٢٩ قال أبو الأسود لرجل يهنِّئه بتزويجٍ : باليُمن والبركة ، وشدَّةِ الحركة ، والظَّفَر[5] في المعركة .

٤٢٣٠ وكان رسولُ الله ﷺ يَنْهَى أن يقال : « بالرِّفاء والبنين »(٢) .

٤٢٣١ وكان يقال : إنَّ أوَّلَ مَنْ هنَّأَ وعَزَّى في مَقَامٍ واحد : عطاء بن أبي صيفي الثقفي ، عزَّى يزيد بن معاوية بأبيه وهَنَّأه بالخلافة ، ففتح للناس بابَ الكلامِ ، فقال : أصبحتَ رُزِئتَ خليفةً ، وأُعطيتَ خِلافةَ اللهِ . قَضَى معاويةُ نَحْبَه ، فغفر اللهُ ذَنْبَه ، ووَلِيتَ [بعدَه] الرِّياسة ، وكنتَ أحَقَّ بالسياسة . فاحْتسبْ عند الله أعظمَ الرزيَّة ، واشْكُرِ اللهَ على أعْظَم العطيَّة . وعَظَّمَ اللهُ في أميرِ المؤمنين أجْرَك ، وأحْسَنَ على الخلافة عَوْنَك .

---

(1) كب : أخرم ، تصحيف .
(2) كب : ميمون ، حدّثنا أبو عبد الله . مص : ميمون ، قال : حدّثنا أبو عبد الله . وكلاهما تحريف .
(3) مص : بغالا .
(4) كب : شكوت .
(5) كب : المظفر .

---

(١) الحديث موضوع ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
اليمن : البركة . والطير : الحظ من الخير ، والعمل الذي قُلِّده .
(٢) الحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب .
الرفاء يكون على معنيين : أحدهما الموافقة والاتفاق وحسن الاجتماع ، والآخر بمعنى الهدو والسكون ، والباء فيه متعلقة بمحذوف دل عليه المعنى ، وتقديره : تزوجت . وإنما نهى عنه ﷺ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره .

٤٢٣٢ وقالت أعرابيّةٌ للمنصور في طريق مكة بعد وفاةِ أبي العباس : أعْظَمَ اللهُ أجْرَكَ في أخيك ، لا مصيبةَ على الأمةِ أعظمُ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ لها أعْظَمُ من خِلافتك .

٤٢٣٣ قال الحَجّاج لأيوب بن القِرِّية : اخْطُبْ عليَّ هند بنت أسماء(١) ، ولا تَزِدْ على ثلاث كلمات . فأتاهم فقال : أتيتُكم مِنْ عند منْ تعلمون ، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون أفتُنْكِحون أم[1] تَرُدُّون ؟ قالوا : بل أنكحْنا وأنعمْنا . فرَجَع ابنُ القِرِّيةِ إلى الحَجّاج ، فقال : أقَرَّ اللهُ عينَك ، وجَمَع شَمْلَك ، وأنْبَتَ[2] رَيْعَك(٢) ؛ على الثبات والنبات(٣) ، والغِنى حتى الممات . جَعَلها اللهُ وَدُوداً وَلُوداً ، وجَمَع بينكما على البركة والخير .

٦٩/٣

٤٢٣٤ كَتَبَ بعضُ الكُتّاب إلى رجلٍ يهنئه بدارٍ انتقل إليها : بخير مُنْتَقَلٍ ، وعلى أيمنِ طائرٍ ، ولأحْسَنِ إبّان(٤) ، أنزلك اللهُ عاجلاً وآجلاً خيرَ منازِلِ المُفْلِحين .

٤٢٣٥ وقال ابن الرِّقاع لمتزوج :

قَمَرُ السَّمَاءِ وشَمْسُهَا اجْتَمَعَا ... بالسَّعْدِ ما غَابَا وما طَلَعَا
مـا وَارَتِ الأسْتَـارُ مِثْلَهُمَـا ... فِيمَـنْ رَأَيْنَـاهُ ومَـنْ سُمِعَـا
دامَ السُّـرُورُ لَـهُ بِهَـا ولَهَـا ... وَتَهَنَّـآ طُـولَ الحَيَـاةِ مَعَـا

٤٢٣٦ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له يهنئه بالدخول على أهله : قد بَلَغني ما هيَّأَ اللهُ لك من اجتماع الشَّمْل بِضَمِّ الأهلِ ، فَشَرِكْتُكَ في النِّعْمة ، وساهَمْتُكَ[3] في السرور ، وشاهدتُك بقلبي ، وتمثَّلْتُ[4] ما أنتَ فيه لعيني(٥) ، فحَلَلْتُ بذلك محَلَّ المُعَايِنِ للحال وزينَتِها . فهنيئاً ـ هَنَأَكَ اللهُ بما قَسَم لك ـ ، وبالرِّفاء والبنين ، وعلى طول التعمير والسنين .

---

(1) كب : أو . (2) كب : أثبت .
(3) كب ، مص : وكنت أسوتك ، والتصحيح عن البصائر والذخائر ٩/ ١٦٢ .
(4) كب ، مص : مثلت .

---

(١) مضى خبر طلاق الحجاج لهند برقم ٣٢١٩ كتاب العلم والبيان .
(٢) الريع : النماء والزيادة ، أي بارك في رزقك .
(٣) الثبات : الاستقرار . والنبات : النشأ الحسن .
(٤) الإبان : الوقت والحين .
(٥) تمثل لعينه : تصوره وتخيله .

٤٢٣٧ وكَتَب آخرُ مِنَ الكُتَّاب[1] إلى عامل : نحن من السرور ، بما قد استفاضَ من جميل أثرِك فيما تلي من أعمالك ، وخَطْمِك[2] وزَمِّك إياها بحَزْمِك وعَزْمِك ، وانتياشِك أهلَها مِنْ جَوْر مَنْ وَلِيهم قَبْلَك ، وسرورِهم بتطاوُلِ أيامِك ، واكِنِين[3] في ظِلِّ جَنَاحِك ، في غَيَايَةٍ[4](١) مَنْ تَخُصُّه وتَعُمُّه نِعَمُكَ ، وتَجُولُ به الحالُ حيث جالتْ[5] بك .

فالحمد لله الذي جَعَل العاقبةَ لك ، ولم يَرْدُدْ علينا آمالَنا منكوسةً فيك كما رَدَّهَا على غيرنا في غيرك . وهنيئاً هَنَأَكَ اللهُ نِعَمَه خاصَّها وعامَّها ، وأوْزَعَك شُكْرَها(٢) ، فأوْجَب[6] لكَ بالشُّكْر أحْسَنَ المزيدِ فيها .

٣/ ٧٠ ٤٢٣٨ وكَتَب رجلٌ من الكُتَّاب إلى نصراني قد أسلم يهنئه : الحمدُ لله الذي أرشَدَ أمْرَك ، وخصَّ بالتوفيق عَزْمَك[7] ، وأوْضَحَ فضيلةَ عقلِك ورَجَاحةَ رأيك . فما كانتِ الآدابُ التي حويْـتَها ، والمعرفةُ التي أوتِيتَهَا ، لتدوم بك على غَوَايةٍ ودِيانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبِّك . وما بَرِحَ[8] ذَوُو الحِجا مِنْ موجبي حقِّك يُنْكرون إبطاءَك عن حَظِّك ، وتَرْكَكَ البِدَارَ إلى الدِّين القَيِّم الذي لا يَقْبَلُ اللهُ غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . والحمدُ لله الذي جَعَلك في سابِقِ عِلْمِه ممن هَدَاه لدينه ، وجَعَلَه مِنْ أهْلِ وِلايته ، وشَرَّفَه بوَلاء خليفته . وهَنَأَكَ اللهُ نِعْمتَه ، وأعانك على شكره . فقد أصبحتَ لنا أخاً نَدِينُ بمودَّتِهِ ومُوَالاتِه ، بعد التأثُّم مِنْ خُلْطتك ، ومخالفةِ الحَقِّ بمشايعتك ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

---

(1) كب : العمال ، وصححها فوقها .
(2) كب : حطمك .
(3) كب ، مص : والكون .
(4) كب ، مص : غاية .
(5) كب ، حيث الحال جالت ، ثم شطبها .
(6) كب ، مص : وأوجب .
(7) كب : أمرك ، ثم شطبها وصححها .
(8) كب ، مص : ولا يبرح .

---

(١) الغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغَبَرة والظل المتكاثف وغيره ، عنى أنه في كلاءته وحفظه وحرزه ورعايته .

(٢) أوزعك شكرها : أولعك بشكرها ، فجعلك تعتاده ، وتكثر منه ، وأصل الوَزْع : الكف والحبس ، كأنه كفَّ عن كل أمر إلا عن شكر نعمة الله وعما يباعد عنها .

٤٢٣٩ وكَتَب رجلٌ من الكُتَّاب تهنئةً بحجٍّ : الحمدُ لله على تَمام مُهَاجَرِك[١] ، وسلامةِ بَدْأَتِك ورجْعَتِك ، وإعْظَامِه المِنَّةَ بأَوْبتك . وشَكَرَ اللهُ سَعْيَك ، وبرَّ حَجَّك ، وتَقَبَّلَ نُسُكَك ، وجَعَلَك ممن قلبَه مُفْلِحاً مُنْجِحاً ، قد رَبحتْ صفقتُه ولم تَبُرْ تجارتُه[٢] . ولا أعْدَمَك نِيَّةً تفضُلُ عملَك ، وتوفيقاً يَحُوط دِينَك ، وشكراً يرتبط نعمتك .

فَهنَأَكم اللهُ النعمةَ ، وجَمَعَكم في دار الخِلافة ، وجعلكم ساسةَ الأمَّةِ والمتقدِّمين عند الإمام ـ أيَّدَه الله بالطاعة والنصيحة ـ فإنكم زَيْنُ السُّلْطَانِ ، وعُمْدَةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ أهلِ الزمان[٣] .

٤٢٤٠ وكَتَب إلى رجلٍ عن صديقٍ له يهنِّئه بفطام مولود : أنا ـ أعزَّك اللهُ ـ لِما حَمَّلَني اللهُ من أياديك[٤] ، وأوْدَعني من إحسانك ، وألْزَمني من شُكْرك ، آخِذٌ نفسي بمراعاةِ أُمُورك ، وتفَقُّدِ أحوالِك ، وتَعَرُّفِ كلِّ ما يُحدثه اللهُ عندَك ، لأقابلَه بما يَلْزَمني ، وأقضي الحَقَّ فيه عنِّي بمَبْلَغ الوُسْعِ ومقدارِ الطاقة ، وإنْ كانا لا يَبْلُغان واجبَك ، ولا يستقِلَّان بثِقْل عارفتك[٥] . وكُلُّ ما نَقَّلَ اللهُ الفتى[٦] ، [و] بَلَّغَه من أحوال البلوغ ، ورَقَّاه فيه من درجاتِ النموِّ ، فنعمةٌ من الله حادثةٌ تُلْزِم الشكرَ ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة . و[قد] كَتَبَ إليَّ وكيلي المقيمُ ببابك ، يذكر ما وَهَبه اللهُ من سلامته عند الفِطام ، وصلاحِ جسمه عند الطعام ، وسَلْوتِه عن أوَّلِ الغِذاء[٧] ، وسرورِك ومَنْ يليك بما وَهَبَ اللهُ في هذه الحالِ مِنْ عافِيته وحُسْنِ المدافعةِ عنه . فأكثرتُ لله الحمدَ ، وأسهبتُ في الدعاء والرغبة ، وتصدَّقْتُ عنه بما أرجو أن يتقبَّلَه ، وكتبتُ مهنئاً بتجدد النعمةِ عندكم فيه .

٧١/٣

---

(١) المهاجرة : الهجرة ، وهي الخروج من أرض إلى أخرى ، وجعل الحج إلى مكة تمام هجرة لأن الرِّحال لا تُشَدّ إلَّا إلى المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، فلا يستقِم أن يقصد بالسفر إلا هذه البقاع ، لاختصاصها بما اختصت به .

(٢) بارت التجارة : هلكت وكسدت ، من قولهم : بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام .

(٣) أضداد : جمع ضِد ، وهو المخالف والمنافي . يقول إنه على تمام الكمال والمروءة عكس أهل وقته ! قالها في القرن الثالث ! رحمه الله !

(٤) الأيادي : جمع اليد ، وهي النعمة والإحسان تصطنعه ، وإنما سميت يداً لأنها إنما تكون بالإعطاء ، والإعطاء إنالة باليد .

(٥) العارفة : الإحسان الجميل وكل ما تعرفه النفس من الخير والمروءات فتطمئن إليه وترتاح .

(٦) نقل الله الفتى : حوله من مرتبة إلى أخرى ، إن علماً أو مكانة أو طبقة .

(٧) أول الغذاء : لبن أمه . وسلا عن الشيء : نسيه وطابت نفسه بعد فراقه .

فالحمدُ لله المتطوِّلِ علينا قِبَلَه بما هو أهْلُه ، والمُجْري لنا فيما يوليك على حُسْن عادته . وهَنَأَك اللهُ النِّعَم ، وصانها عندك من الغِيَرِ(١) ، وحَرَسَها بالشكر ، وبَلَغ بالفتى أقصى مبالِغِ الشرف ، وجعلك من الأمل فيه والرجاءِ له على العِيان واليقين ، بمَنِّه وفَضْله .

٤٢٤١ وكَتَب بعضُ الكُتَّاب تهنئةً بحَجٍّ إلى صاحبه : الحقُّ للسادة ـ عند ما يجدِّدُه اللهُ لهم من نِعمه في الدعاء ـ من جلائل حقوقِهم على أوليائهم . وقد خَصَّ اللهُ حَقَّك بما لا يَسَعُني معه ادِّخارُ مجهودٍ في تعظيمه وشُكْرِه ، ولولا أنَّ الطاعةَ من حدوده ، لم أنتظر إذْنَك لي في تَلَقِّيك راجلاً بالأوْبة ، إذ كان الكتابُ بها ـ دون السعي ـ بأبلغِ نصيبٍ من التقصير .

وأنا أسألُ اللهَ الذي أوْفَدَكَ إلى بيته الحرام ، وعَمَرَ بك مشاهِدَه العِظامَ ؛ وأوْرَدَك حَرَمَه سالماً ، وأصْدَرَك عنه غانماً ، ومَنَّ بكَ على أوليائك وخَدَمِك ، أن يَهْنِئَكَ بما أنْعَمَ به عليك في بَدْأتِك ورَجْعتك ، بتقَبُّلِ السَّعْي ، ونُجحِ الطَّلِبة ، وتعـريفِ الإجابة .

٤٢٤٢ وكَتَب بعضُ الكُتَّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجدِّدُها اللهُ عندك ، والصُّنْعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيامُ ، إلَّا كان ارتياحي له ، واستبشاري به ، واعْتِدادي بما يَهَب اللهُ لك من ذلك ، حَسَبَ حَقِّك الذي تُوجِبُه ، وبِرِّك الذي أشْكُرُه ، وإخائك الذي يَعِزُّ ويَجِلُّ عندي موقعُه . فجعل اللهُ ذلك فيه وله ، ووَصَله بتقواه وطاعتِه . ٣/ ٧٢

و[قد] بَلَغني خَبَرُ الوِلاية التي وَلِيتَها ، فكنتُ شريكَك في السرور وعديلَك في الارتياح ، فسألتُ اللهَ أنْ يُعَرِّفك يُمْنَها وبركتَها ، ويرزُقَك خيرَها وعادتَها ، ويُحْسِن معونتَك على صالح نِيَّتِك في الإحسان إلى أهل عملك[1] والتألُّفِ لهم ، واستعمالِ العدلِ فيهم ، ويرزقَك محبتهم وطاعتَهم ، ويجعَلَهُم[2] خيرَ رعيَّةٍ .

٤٣٤٣ وكَتَب رجلٌ إلى معزول : فإنَّ أكثرَ الخير[3] فيما يقع بِكُرْه العِباد ، لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقال أيضاً : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

---

(1) كب : تحملك . (2) كب : تجعلهم .
(3) كب : الخيار .

---

(١) الغير : تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد .

[النساء : ١٩] ، وعندك بحمد الله مِنَ المعرفةِ بتصاريفِ الأمور ، والاستدلالِ بما كان منها على ما يكون ، مَغْنًى عَنِ الإكثار في القول .

وقد بَلَغني انصرافُك عن العمل على الحال التي انصرفتَ عليها : من رضا رَعِيَّتِك ، ومحبتهم ، وحُسْنِ ثنائهم ، وقولِهم لما[1] بَقَّيْتَ مِنَ الأثر الجميل عند صغيرِهم وكبيرِهم ، وخَلَّفْتَ مِنْ عَدْلك وحُسْنِ سِيرتك في الدَّاني منهم والقاصي من بلدهم ، فكانتْ نعمةُ اللهِ عليك في ذلك وعلينا ، نعمةً جَلَّ قَدْرها ووجب شُكْرُها .

فالحمدُ لله على ما أعطاك ، ومَنَح فيك أولياءك ، وأرْغَمَ به أعداءك[2] ، ومَكَّنَ لكَ مِنَ الحال عند مَنْ وَلَّاكَ ؛ فقد أصبحنا نعتدُّ صَرْفَك[3] عن عملك مَنْحاً[4] مجدَّداً ، يجب به تهنئتُكَ ، كما يجب التوجُّعُ لغيرك .

٤٢٤٤ وكَتَب رجلٌ من الكُتَّاب في تهنئة بحج : لولا أنَّ عوائقَ أشغالٍ يُوجِبُ العُذْرَ بها تفضُّلُك ويَبْسُطه احتمالُك ، لكنتُ مكانَ كتابي هذا مهنِّئاً لك بالأَوْبة ، ومجدِّداً بك عهداً ، ومُحْيياً[5] نفسي بالنظر إليك . وأنا أسألُ اللهَ أنْ يشكُرَ سعيَك ، ويتقبَّلَ حَجَّك ، ويُثْبِت في عِلِّيِّين أثرَك ، ولا يجعله من الوِفادةِ إليه آخرَ عهدِك . ٧٣/٣

٤٢٤٥ وكَتَب بعضُ الكُتَّاب : لا مُهَنِّيءَ أَوْلَى بما[6] يكون مُهَنِّئاً ـ تعظيماً لِنِعَمِه ، فيما جَدَّدَ اللهُ لك يا مولاي بالوِلاية ـ مِنِّي . إذ كنتُ أرجو بها انضمامَ نَشْري ، وتَلافي اللهِ بعنايتك المتشتِّتَ من أمري . فَهَنَاكَ اللهُ تجدُّدَ النِّعَم ، وبارك لكَ في الوِلاية ، وافتتحها لكَ بالصُّنْع الجميل ، وخَتَمها لك بالسلامة ، إنه سميعٌ قريب .

* * *

(1) كب : ما .
(2) كب ، مص : أعداك .
(3) كب : تصرفك .
(4) كب : منعا .
(5) مص : مجنبًا .
(6) مص : ما .



باب شِرار الإخوان

٤٢٤٦ ذَكَر خالدُ بنُ صفوان شَبيبَ بنَ شيبة ، فقال : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ في السِّرِّ ولا عدوٌّ في العلانية .

٤٢٤٧ وقال الشاعر :

وإنَّ مِنَ الخُلاَّنِ مَنْ تَشْحَطُ[1] النَّوَى ... بِهِ وهْوَ رَاعٍ[2] لِلْوِصالِ أمِينُ(١)

ومِنْهُمْ صَدِيقُ العَيْنِ أمَّا لِقَاؤُهُ ... فَحُلْوٌ وأمَّا غَيْبُهُ فَظَنُونُ(٢)

٤٢٤٨ أقبل عُيَينة بن حِصْن إلى المدينة قبل إسلامه ، فلقيه رَكْبٌ خارجون منها ، فقال : أخبروني عن هذا الرجل - يعني النبيَّ ﷺ - ؛ فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجالٍ : رجلٌ أسْلَمَ ، فهو معه يُقَاتل قريشاً وأفْنَاءَ العرب(٣) . ورجلٌ لم يُسْلم ، فهو يقاتله . ورجلٌ يُظْهر الإسلامَ إذا لقي أصحابَه ويُظْهر لقريش أنه معهم إذا لَقِيهم . فقال : ما يُسَمَّى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون . قال : فاشهدوا أني منهم ، فما فيمن وَصَفْتُم أحْزَمُ من هؤلاء .

٣/ ٧٤ ٤٢٤٩ وكان[3] رجلٌ يدعو فيقول : اللَّهم اكْفِني بوائقَ(٤) الثِّقاتِ ، واحفَظْني مِنَ الصديق .

٤٢٥٠ وكَتَب رجلٌ على باب داره : جَزَى اللهُ مَنْ لا يَعْرِفُنا ولا نَعْرِفُه خيراً ، فأمَّا أصدقاؤنا فلا جُزُوا ذلك ، فإنَّا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم .

٤٢٥١ وكَتَب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزَّيَّات :

---

(1) كب : تسخط .
(2) كب ، مص : داع .
(3) كب : كان (بسقوط الواو) .

---

(١) يقال : شَحَطت الدار ، إذا بعدت . وأشحطته : أبعدته . والنوى : الدار التي قصدتها وأقمت فيها .
(٢) يقال : هو صديق عين ، وعبد عين ، وأخو عين ، للمرائي ، ولمن إذا رأى صاحبَه تحرك أراه الخدمة والسرعة في طاعته ، فإن غاب عنه وعن عينه خالف ذلك . يقول : يظهر من نفسه ما لا يفي به إذا غاب ، ويرائي فيرضيك ظاهره . وظنون : لا يوثق به .
(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ، لا يدرى من أي القبائل هم .
(٤) البوائق : الغوائل والشرور .

وكُنْتَ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ   [1]فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْباً عَوَانَا(١)
وقَدْ كُنْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ الزَّمَانَ[1]   فأَصْبَحْتُ فِيكَ أَذُمُّ الزَّمَانَا
وكُنْتُ أُعِدُّكَ للنَّائِبَاتِ   فَهَأَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الأَمَانَا(٢)

٤٢٥٢ وقال محمد بن مهدي :

كَانَ صَدِيقِي وكَانَ خَالِصَتي   أَيَّامَ نَجْرِي مَجَارِيَ السُّوَقِ(٣)
حتَّى إذا رَاحَ والمُلُوكَ معاً   عَدَّ اطِّرَاحِي مِنْ صَالِحِ الخُلُقِ(٤)
خلَّيْتُ ثَوْبَ الفِرَاقِ في يَدِهِ   وقُلْتُ : هَذَا الوَدَاعُ فانْطَلِقِ
لبِسْتُهُ لِبْسَةَ الجَدِيدِ عَلَى الـ   ـقُرِّ وفارَقْتُ فُرْقَةَ الخَلَقِ(٥)

٤٢٥٣ وقال آخر :

إذَا رَأَيْتَ امْرَأً في حَالِ عُسْرَتِهِ   مُوَاصِلاً لَكَ مافي وُدِّهِ خَلَلُ
فلا تَمَنَّ لَهُ أنْ يَسْتَفِيدَ غِنىً   فإنَّهُ بانْتِقَالِ الحَالِ يَنْتَقِلُ

٤٢٥٤ وكَتَبَ رجلٌ إلى صديقٍ أعْرَضَ عنه : لولا أني أشفقتُ مِنْ أشتات ظني [في] إجابتك إلى ما يعلم اللهُ براءتي منه[2] ، لكفيتُك مَؤُنَتي ، ثِقةً بأنَّ ازديادَك من معرفةِ الناسِ ستَرُدُّك إليَّ .

فإنْ رَجِعْتَ قَبِلْتُ ، وتَمَسَّكْتُ ، واغتبطتُ . وإنْ أصررتَ لم أتْبَعْ مُوَلِّياً ، ولم آسَ على مُدْبِرٍ ، ولم أُسَامِحْ نفسي على تَعَلُّقِها بك ، ولم أساعِدْها على نِزاعها إليك . ٣/ ٧٥

(1 - 1) سقطت من كب ، ثم ألحقت في الهامش .
(2) كب ، مص : منه فيك ولك لمعجبك ولكفيتك .

(١) نبا : تجافى وتباعد ، كأنما أعرضت أيامه الجميلة ونفرت عنه . والحرب العوان : المترددة ، التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكراً ، فالعوان في الأصل : الثيب ، التي كان لها زوج ، ولم تبلغ بعد أن تضرب في السن .
(٢) النائبات : جمع النائبة ، وهي ماينزل بالرجل من الكوارث والمصائب والحوادث .
(٣) الخالص : من صافيته الود ، فاختصصته بدخيلة نفسك . السوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس . يقول : كنا خليلين ، أجري مجراه ، وحالي كحاله ، أيام كان غمراً .
(٤) اطراحي : إبعادي ومجافاتي .
(٥) القر : البرد . يقول : خالطته واتصلت به ، فكان مثل الثوب الجديد المحكم ارتديته وقت البرد الشديد ، ثم فارقته فبنت عنه مثلما أنزع عني الثياب البالية .

فكم منْ زَمَانٍ تركتُك فيه وسَوْمَكَ(١) ثم أبَى قلبي ذلك ، فكررتُ وعطفْتُ أسيَ على أيامي معك وما تَوَكَّدَ بيني وبينك(٢) . وما مِنْ كَرَّةٍ لي إليك إلَّا وهي داعيةٌ إلى ما أكْرَهُه من استخفافك ونُفُورِك . ولو فَهِمْتَ ما استحققتُ به عليك وما[1] أشكوه ، لَخَفَّ مَحْمَلُ ما يكونُ منكَ عليَّ ، ولأَخْبَيْتَ[2] من عُتْبَاك(٣) ورِضاك .

٤٢٥٥ وفي جوابِ كتابٍ: وقد وَزَعني(٤) ماضربتَه لي من الأمثال في كتابك عن استبطائك، على أن[3] لا أستزيد إلَّا مَنْ أحتاجُ إلى صَلاحِه وأرْغَبُ في بقيَّتِه ، وقد قيل :

يَـــأْبَيْـــنَ إلَّا جَفْـــوَةً وظُلْمَـــا   مِنْ كَثْرَةِ الوَصْلِ تَجَنَّى الجُرْمَا(٥)

وفي كل ما أجبتَني ظلمتَ في معارضتي : في[4] مَسْخِ جوابِك بإيحاشي ، وفي اعتدادِك عليَّ بما أنتَ جانيه وعليك الحجةُ فيه . وما أُنْكِرُ الخِلافَ بين الأبِ وابنِه ، والأخِ وشقيقِه ، إذا وقعتِ المعاملةُ ، وذلك[5] سببٌ لا أعرفه بيني وبينك قطُّ : فإني لم أُخالفْك ، ولم أُشاحِحْك ، ولم أُنازعك ، ولم أُعارض نَعَمَك بلا ولا أمْرَك بنهي .

٤٢٥٦ وقال الحسن بن وَهْب :

سَأُكْرِمُ نَفْسي عَنْكَ حَسْبَ إهانَتي   لَهَا فِيكَ إذْ قَرَّتْ وكَفَّ نِزَاعُهَا
هِـيَ النَّفْسُ ما كَلَّفْتُهـا قَـطُّ خُطَّـةً   مِـنَ الأمْـرِ إلَّا قَـلَّ مِنْـهُ امْتِنَـاعُهَا
صَدَقْتَ لَعَمْرِي أنْتَ أكْبَرُ هَمِّهَا   فَأَجْهِدْهَا إذا قَلَّ مِنْكَ انتفاعُهَا
هَبَ أنِّي أعْمىً فاتَتِ الشَّمْسُ طَرْفَهُ   وغُيِّـبَ عَنْـهُ نُـورُهَـا وشُعَـاعُهَـا

٤٢٥٧ وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر(٦) :

رَأَيْـتُ فُضَيْـلاً كَـانَ شَيْئـاً مُلَفَّفـاً   فَكَشَّفَـهُ التَّمْحِيـصُ حَتَّـى بَـدَا لِيَـا

---

(1) كب ، مص : ما (بسقوط الواو) .   (2) كب ، مص : لا جست في .
(3) كب : مص : أني .
(4) كب ، مص : عن مسخي ، وأسقطت كب التنقيط .
(5) كب ، مص : ولذلك .

---

(١) سومك : ذهابك على وجهك حيث شئت ، وتركك وما تريد .
(٢) توكد : توثق وأُحكم من أسباب المودة والإخاء .
(٣) أخبيت : سكنت وهدأت .
(٤) وزعني : ردعني وكف نفسي عن هواها .
(٥) تجنى : تتجنى .
(٦) مضت بعض أبياتها في رقم ٣٩١١ .

فأَنْتَ أَخِي ما لَمْ تَكُنْ لي حَاجَةٌ ... فإنْ عَرَضَتْ [1]يَوْماً فَأَنْتَ[1] لا أَخَا لِيا
فَـلاَ زَادَ مـا بَيْنـي وبَيْنَـكَ بَعْـدَمَـا ... بَلَوْتُكَ في الحَاجَاتِ إلَّا تَمَادِيا
فلَسْـتَ بِـرَاءٍ عَيْـبَ ذِي الـوُدِّ كُلَّـهِ ... ولا بَعْضَ ما فِيهِ إذا كُنْتَ رَاضِيا
فعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... ولَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيا
كـلاَنَـا غَنِـيٌّ عَـنْ أَخِيـهِ حَيَـاتَـهُ ... ونَحْـنُ إذا مُتْنَـا أَشَـدُّ تَغَـانيـا

٤٢٥٨ وكَتَب [رجلٌ] أيضاً إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فقد عاقَني الشَّكُّ فيك عَنْ عزيمة الرَّأْيِ في أمْرِك : ابتدأتَني بلَطَفٍ عن غير حُرْمَة(١)[2] ، ثم أعقبتَني جفاءً من غير ذنبٍ ! فأطْمَعَني أوَّلُك في إخائك ، وآيسَني آخِرُك من وفائك . فلا أنا في غير[3] الرجاءِ مُجْمِعٌ لك اطِّراحاً ، ولا أنا في غدٍ وانتظارِه منكَ على ثقةٍ . فسبحانَ مَنْ لو شاء كَشَفَ بإيضاحِ الرأيِ في أمْرِك عن عزيمةِ الرأي منك[4] ، فأقَمْنا على ائتلافٍ ، أو افترقنا على اختلاف .

٤٢٥٩ وكَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له : نحن نستكثرك باعتزالك ، ونستديم صِلَتَك بجفائك ، ونرى الزِّيارةَ[5] في الغِبِّ أدْوَمَ لجميل رأيك(٢) .

٤٢٦٠ ومثله قول كُثَيِّر :

وإنْ شَحَطَتْ يَوْماً بَكَيْتُ وإنْ دَنَتْ ... تَذَلَّلْتُ واستكثرتُهَا باعْتِزالها(٣)

٤٢٦١ ونحْوه قول الكُمَيت :

وقَدْ يَخْذُلُ المَوْلَى دُعَائي ويَجْتَدي ... أَذَاتي وإنْ يَعْدِلْ بِهِ الضَّيْمُ أَغْضَبِ(٤)

(1 - 1) كب: يوماً فإن، صوابه: مص: أيقنت أن.
(2) مص : خِبْرة ، والخبرة : البلاء والامتحان ، أي قبل أن تعرف دخيلتي تجاهك .
(3) كب : عين . (4) مص : فيك .
(5) كب ، مص : الزيادة في الغم .

---

(١) اللطف : الهدية والبر والتكرمة . ويقال : ألطفه ، إذا كرمه فأتحفه بخير ما عنده . والحُرْمة : كل ما امتنع بمنعتك ، فما يحل انتهاكه ، من صاحب أو حق أو ذمة أو نحو ذلك .
(٢) الزيارة في الغب : الزيارة المتباعدة .
(٣) شحطت : بعدت . تذللت : خضعت وتواضعت . استكثرتها : أردت لنفسي شيئاً كثيراً باعتزالها . والبيت غاية في التذلل والخضوع .
(٤) المولى : أراد الصاحب المحب . ودعاؤه : طلبه حين الاستعانة به والحاجة له . يعدل به : يميل ويجور عليه . والضيم : الظلم والإذلال وانتقاص الحق .

وأُونِسُ[1] مِنْ بَعْضِ الصَّدِيقِ مَلالَةَ الدُّ نُـوِّ فـأَسْتبقيهـمُ بـالتَّجَنُّـبِ

٤٢٦٢ وقال آخر :

إنَّـكَ مـا أَعْلَـمُ ذُو مَلَّـةٍ يُذْهِلُكَ الأَدْنَى عَنِ الأَقْدَمِ(١)

٣/ ٧٧ ٤٢٦٣ وقال عبد الله حَسن[2] :

لا خَيْرَ في الوُدِّ مِمَّنْ لا تَزَالُ[3] لَهُ مُسْتَشْعِراً أَبَداً مِنْ خِيفَةٍ وَجَلا

إذا تَغَيَّبَ لَمْ تَبرَحْ تُسِيءُ بِهِ ظَنَّاً وتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أوْ فَعَلا

٤٢٦٤ وقال مُرَّة بن مَحْكان :

تَـرَى بَيْنَنَـا خُلُقـاً ظَـاهِـراً وصَـدْراً عَـدُواً ووَجْهاً طَلِيقَا

٤٢٦٥ ونحُوه قولُ المَرَّار :

كَذِبٌ تَخَرَّصَهُ عَلَيَّ لِقَوْمِهِ سَلْمُ اللِّسَانِ مُحَارِبُ الإسْرَارِ(٢)

٤٢٦٦ وحَدَّثني أبو حمزة الأنصاري ، قال : حَدَّثنا العُتْبي ، قال :

قالت أعرابية لابنها : يا بنيَّ ، إياك وصُحْبةَ مَنْ مودَّتِه بِشْرُهُ(٣) ، فإنه بمنزلة الريح .

٤٢٦٧ وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخْلِص لك وُدَّه ، ويَبْلُغ في محبتك جُهْدَه . وأخٌ ذو نِيَّةٍ ، يقتصر بك على حُسْنِ نِيَّتِه ، دون رِفْده ومَعُونته . وأخٌ يُلَهْوِقُ(٤) لك لِسانَه ، ويتشاغَلُ عنك بشانِه ، ويُوسِعُك مِنْ كَذِبه وأيْمانه .

٤٢٦٨ وقال المُثَقِّب العبدي :

فـإمَّـا أنْ تكُـونَ أخِـي بِصِـدْقٍ فأعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِيني(٥)

وإلَّا فـاجْتَنِبْنِـي واتَّخِـذْنِـي عَـدُواً أَتَّقِيـكَ وتَتَّقِينِـي

---

(1) كب : فأويس ، مص : فأونس .

(2) كب : عبد الرحمن بن حسن ، مص ، عبد الرحمن بن حسان ، وكلاهما تحريف .

(3) كب : يزال .

---

(١) يقال : هو ذو ملة ، أي ذو ملل ، يمل إخوانه سريعاً ، يسأمهم ويضجر منهم .

(٢) تخرصه : كذبه بالباطل ، وأصل الخَرْص : التظني فيما لا تستيقنه ، ثم قيل للكذب خَرْص لما يدخله من الظنون الكاذبة .

(٣) البشر: طلاقة الوجه والجمال والنضرة والسرور، ويقال: رجل بشير وامرأة بشيرة، إذا كانا حسني الوجه.

(٤) اللهوقة والتلهوق : أن يبدي الإنسان غير ما في طبيعته ويتزين بما ليس فيه من خلق ومروءة وكرم .

(٥) الغث : الرديء من كل شيء ، الساقط ، الذي لا خير فيه ولا غناء . يقول : أعرف نصحك من غشك .

٤٢٦٩ وقال أَوْس بن حَجَر :

وليْسَ أَخُوكَ الدَّائمُ العَهْدِ بالَّذِي ... يَسُوءُكَ إنْ وَلَّى ويُرْضِيكَ مُقْبِلا

ولَكِنْ أَخُوكَ النَّائي ما دُمْتَ آمِناً ... وصَاحِبُكَ الأدْنَى إذا الأمْرُ أعْضَلا(١)

٧٨/٣

٤٢٧٠ وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما وُدُّ اللِّسَانِ بنافِعٍ ... إذَا لَمْ يَكُنْ أَصْلُ المَوَدَّةِ في القَلْبِ

٤٢٧١ وقال أبو حازمٍ[1] المَدَني : ليس لمملولٍ صديقٌ ، ولا لحسودٍ غِنىً ، والنَّظَرُ في العواقب تلقيحُ العقولِ .

٤٢٧٢ قال العباس بن الأحنف(٢) :

أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ ... حَتَّى إذا أَيْقَظُونِي في الهَوَى رَقَدُوا

واسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُنْتَهِضاً ... بِثِقْلٍ[2] ما حَمَّلُونِي في الهَوَى قَعَدُوا

٤٢٧٣ ونحوه قولُ المجنون :

وأدْنَيْتِنِي حَتَّى إذا ما سَبَيْتِنِي ... بقَوْلٍ يَحُلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ(٣)

تجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لا لِيَ حِيْلَةٌ ... وخَلَّفْتِ ما خَلَّفْتِ بَيْنَ الجَوَانِحِ

٤٢٧٤ وقال آخر :

ولا خَيْرَ في وُدٍّ إذا لم يَكُنْ لَهُ ... عَلَى طُولِ مَرِّ الحَادِثَاتِ بَقَاءُ

٤٢٧٥ وأنشد ابنُ الأعرابي :

لَحَا اللهُ مَنْ لا يَنْفَعُ الوُدُّ عِنْدَهُ ... ومَنْ حَبْلُهُ إنْ مُدَّ غَيْرُ مَتِينِ(٤)

ومَنْ هُوَ إنْ يُحْدِثْ[3] لَهُ العَيْنُ نَظْرَةً ... يُقَطِّعْ بِهَا أسْبَابَ كُلِّ قَرِينِ

---

(1) كب ، مص : حارثة ، تحريف . (2) كب : لثقل . (3) كب : تحدث له العين .

---

(١) أعضل الأمر : اشتد وضاق ، فأعيت فيه الحيل .

(٢) سيأتي البيتان برقم ٥٩٥١ كتاب النساء .

(٣) سبيتني : أسرت قلبي . العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل في ذراعيه بياض وسائره أسود أو أحمر ، يسكن أعالي الجبال ولا يبرحها إلا قليلاً . ويحل العصم : يجعلها تحل في السهول بعد أن كانت في الجبال . وسيأتي البيتان برقم ٥٩٥٠ كتاب النساء .

(٤) لحاه الله : قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت الشجرة : قشرت لحاءها ، كأنه يدعو عليه بالفضيحة التي تهتك ستره . والحبل : العهد والمودة .

٣/٧٩ ٤٢٧٦ ويقال : صاحبُ السُّوءِ جذوةٌ من النار .

٤٢٧٧ وقال عليٌّ عليه السلام : لا تؤاخِ الفاجرَ ، فإنه يزيِّنُ لك فعلَه ويحبُّ لو أنك مثلُه ، ويزيِّنُ لك أسوأَ خِصاله ، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْنٌ وعارٌ . ولا الأحمقَ ، فإنه يجتهدُ بنفسه لك ولا ينفعُك ، وربما أراد أن ينفعَك فيضُرُّك ؛ فسكوتُه خيرٌ مِنْ نُطْقِه ، وبُعْدُه خيرٌ مِنْ قُرْبه ، وموتُه خيرٌ من حياته . ولا الكذَّابَ ، فإنه لا ينفَعُك معه عيشٌ ، يَنْقُل حديثَك ويَنْقُل الحديثَ إليك ، حتى إنه ليُحَدِّث بالصِّدق فما يُصَدَّق .

٤٢٧٨ قال أبو قَبيل : أُسرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركنٍ من أركانها :

ولا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ ... وإيَّـــــاكَ وإيَّـــــاهُ
فكَـمْ مِـنْ جَـاهِـلٍ أَرْدَى ... حَلِيمـاً حِيـنَ آخَـاهُ[١]
يقَـاسُ المَـرْءُ بـالمَـرْءِ ... إذا مـا هُـوَ مَـا شَـاهُ
وللشَّـيْءِ عَلَـى الشَّـيْءِ ... مَقَـايِيـسٌ وأشْبَـاهُ
وللقَلْـبِ عَلَـى القَلْـبِ ... دَلِيـلٌ حِيـنَ يَلْقَـاهُ

٤٢٧٩ وقال عدي بن زيد :

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وأَبْصِرْ قَرِينَهُ ... فـإنَّ القَـرِيـنَ بـالمُقَـارَنِ مُقْتَـدِ

٤٢٨٠ وأنشد الرِّياشي :

إنْ كُنْـتَ لا تَصْحَـبُ إلَّا فَتـىً ... مِثْلَـكَ لـم تُـؤْتَ بـأَمْثَـالِكـا
٣/٨٠ إنَّ لَـكَ الفَضْـلَ عَلَـى صُحْبَتـي ... والمِسْكُ[1] قَدْ يَسْتَصْحِبُ الرَّامِكا[٢]
هبْنِـي امْـرَأً جِئْـتُ أُرِيـدُ الهُـدَى ... فَجُـدْ عَلَـى ضَعْفـي بـإسْـلامِكـا

٤٢٨١ وكَتَبَ يحيى بن خالد : أُحبُّ أنْ تكونَ على يقينٍ أني بك ضَنين[٣] ، أُريدكَ ما أردتَني ، وأُريدك أن تنوبَ عني ما كان ذلك بي وبك جميلاً يَحْسُنُ عند إخواننا .

---

(1) كب : المسك (بسقوط الواو) .

---

(١) مضت الأبيات برقم ٣٠٨٤ كتاب العلم والبيان ، وقريباً برقم ٣٨٩١ . أردى حليماً : أهلكه .
(٢) الرامك : ضرب من الطيب في لون الرماد أو أشد كدورة منه ، يخلط بالمسك .
(٣) ضنين : حريص ، مضنون به ، وإنما يضن بالنفيس .

وإنْ وقعت المقاديرُ بخلاف ذلك لم أعْدُ ما يجب .

والذي هاجني على الكتاب ، أنَّ أبا نوحٍ معروفَ بنَ راشد سألَني أنْ أبوحَ له بما عندي ، والله يعلم أني ما تبدَّلْتُ ، وما حُلْتُ عن عَهْد . فجَمَعنا الله وإياك على طاعته ومحبةِ خليفتِه .

٤٢٨٢ وقرأتُ في « كتاب للهند » : ثِقْ بذي العقل والكَرَم ، واطمئنَّ إليه . وواصِلِ العاقلَ غيرَ ذي الكَرَمِ ، واحترسْ من سيء أخلاقِه ، وانتفعْ بعقله . وواصِلِ الكريمَ غيرَ[1] ذي العَقْلِ ، وانتفعْ بكرمه ، وانفعْه بعقلك . واهْرُبْ من اللئيم الأحمق .

٤٢٨٣ وقال حَمَّاد عَجْرَد :

كَـمْ مِـنْ أخٍ لَـكَ لَسْـتَ تُنْكِـرُهُ ... مـا دُمْـتَ مِـنْ دُنْيَـاكَ فـي يُسْـرِ
متَصَنِّـعٍ لَـكَ فـي مَـوَدَّتِـهِ ... يَلْقَـاكَ بـالتَّـرْحِيـبِ والبِشْـرِ
يطْـرِي[2] الـوَفَـاءَ وذَا الـوَفَـاءِ ويَلْـ ... ـحَى الغَدْرَ مُجْتَهِداً وذَا الغَدْرِ(١)
فـإذا عَـدَا ، والـدَّهْـرُ ذُو غِيَـرٍ ، ... دَهْـرٌ عَلَيْـكَ عَـدَا مَـعَ الـدَّهْـرِ(٢)
فـارْفُـضْ بـإجْمَـالٍ أُخُـوَّةَ مَـنْ ... يَقْلَـى المُقِـلَّ ويَعْشَـقُ المُثْـري(٣)
وعَلَيْـكَ مَـنْ حَـالاَهُ واحِـدَةٌ ... فـي العُسْـرِ إمَّـا كُنْـتَ واليُسْـرِ
لا تَخْلِطَنَّهُـمُ بِغَيْـرِهِـمُ ... مَـنْ يَخْلِـطُ العِقْيـانَ بـالصُّفْـرِ(٤)

٤٢٨٤ وقال سُوَيد بن الصامت : ٣/ ٨١

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً ولَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بالغَيْبِ سَاءَكَ ما يَفْرِي(٥)

---

(1) كب : غير العاقل .

(2) كب : يطوي .

---

(١) يطري الوفاء : يمدحه ويحسن الثناء عليه مبالغاً في ذلك . ويلحى الغدر : يشتمه ويسبه ويدعو عليه (وانظر ما مضى برقم ٤٢٧٥) .

(٢) عدا الدهر : ظلم وجار ، وأصله من تجاوز الحد في الشيء . وغير الدهر : أحواله المتغيرة من صلاح إلى فساد .

(٣) بإجمال : بأدب واعتدال ، يقال : أجمل في طلب الشيء ، إذا اتأد واعتدل فلم يفرط . ويقلى : يبغضه ويكرهه غاية الكراهة .

(٤) العقيان : الذهب الخالص . والصفر : النحاس .

(٥) يفري : يكذب ويختلق .

مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ ما كَانَ شَاهِداً وبالغَيْبِ مَأْثُورٌ[1] عَلَى ثُغْرَةِ النَّحْرِ(١)
تُبِينُ لَكَ العَيْنَانِ ما هُوَ كَاتِمٌ مِنَ[2] الضِّغْنِ والشَّحْنَاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ(٢)
فَرِشْني بخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَني وخَيْرُ المَوَالي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِي(٣)

٤٢٨٥ وقال آخر :

وصَاحِبٍ كَانَ لي وكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بها قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نِيطَتْ إلى عَضُدِ
حَتَّى إذا دَانَتْ الحَوَادِثُ مِنْ خَطْوِي وحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقَدِي(٤)
احْوَلَّ عَنِّي وكَانَ يَنْظُرُ مِنْ عَيْني ويَرْمي بِسَاعِدِي ويَدِي(٥)
وكَانَ لِيَ مُؤْنِساً وكُنْتُ لَهُ لَيْسَتْ بنا وَحْشَةٌ إلى أحَدِ
حَتَّى إذا اسْتَرْفَدَتْ يَدِي يَدَهُ كُنْتُ كَمُسْتَرْفِدٍ يَدَ الأَسَدِ

٤٢٨٦ وقال بعضُ الأعراب :

إِخْوَانُ هَذا الزَّمَانِ كُلُّهُمُ إِخْوَانُ غَدْرٍ عَلَيْهِ قَدْ جُبِلُوا
طَوَوْا ثِيَابَ الوَفَاءِ بَيْنَهُمُ وصَارَ ثَوْبُ الرِّيَاءِ يُبْتَذَلُ(٦)
أَخُوهُمُ المُسْتَحِقُّ وَصْلَهُمُ مَنْ شَرِبُوا عِنْدَهُ ومَنْ أَكَلُوا
ولَيْسَ فِيما عَلِمْتُ بَيْنَهُمُ وبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْدِماً عَمَلُ

(1) كب : مأمون . (2) كب : ولا جَنَّ بالبغضاء والنظر .

(١) تشبيه القول الطيب بالشحم من نادر التشبيه ، ورواها الزجاجي في أماليه ٢٨ « كالشهد » . والمأثور : السيف الكريم الذي قيل إن الجن عملته لجودة ضريبته . وثغرة النحر : نقرته . يريد أنه يطعنه في غيبته .
(٢) الضِّغْن والضَّغينة : الحقد تاذي تنطوي عليه الجوانح وتضمره وتستره . الشحناء : العداوة والبغضاء . والنظر الشزر : النظر بمؤخر العين على غير استواء واستقامة ، يكون ذلك من البغضاء ، ويكون من الهيبة ، ويكون من التوجس والارتياب .
(٣) يقال : رشت فلاناً ، إذا قويته وأعنته على معاشه وأصلحت حاله ، وأصله من راش السهم : إذا وضع عليه الريش ، وفي اللسان (بري) : أبري النَّبْل وأَريشها : أنحتها وأصلحها وأعمل لها ريشاً لتصير سهاماً يرمى بها .
(٤) دانت خطوي : قاربته . وعنى بعقده : محكم أموره .
(٥) سيأتي البيت برقم ٤٤٥٢ . احول عني : أعرض وانصرف عني .
(٦) يبتذل : يلبس كثيراً ، فيمتهن ولا يصان .

٤٢٨٧ قال رجلٌ لآخر : بَلَغَني عنكَ أمرٌ قبيح . فقال : يا هذا ، إنَّ صُحْبَةَ الأشرارِ ربما أوْرَثتْ سوءَ ظَنٍّ بالأخيار . ٣/ ٨٢

٤٢٨٨ وقال دِعبل :

أَيَـا[1] مُسْلِـمُ كُنَّـا حَلِيفَـيْ مَـوَدَّةٍ ... هَـوَانَـا وقَلْبَـانـا جَمِيعاً مَعاً مَعَـا(١)

أَحُوطُـكَ بـالـوُدِّ الَّـذِي لا تَحُـوطُني ... وأَرْأَبُ مِنْكَ الشَّعْبَ أنْ يَتَصَدَّعَا(٢)

فَـلاَ تَلْحَيَنِّـي[2] لَـمْ أَجِـدْ فِيـكَ حِيلَـةً ... تَخَرَّقْتَ[3] حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرْقَعَا

فَهَبْكَ يَميني اسْتَـأْكَلَتْ فـاحْتَسَبْتُهَـا ... وجَشَّمْتُ قَلْبي قَطْعَهَا فتَشَجَّعَا[4](٣)

٤٢٨٩ وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تُكَـاشِـرُنـي كُـرْهـاً كَـأَنَّـكَ نَـاصِـحٌ ... وعَيْنُكَ تُبْدِي أنَّ قَلْبَكَ لي دَوِيْ(٤)

لِسَـانُـكَ مَـاذيٌّ وقَلْبُـكَ عَلْقَـمٌ ... وشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وخَيْرُكَ مُلْتَوِيْ(٥)[5]

عَـدُوُّكَ يَخْشَـى صَـوْلَتِـي إنْ لَقِيتُـه ... وأنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِيْ(٦)

أُرَاكَ إذَا لَـمْ أَهْـوَ أَمْـراً هَـوِيتَـهُ ... ولَسْتَ لِمَا أَهْوَى مِنَ الأمْرِ بالهَوِيْ

---

(1) كب ، مص : أبا ، تصحيف .
(2) كب : تلحنني .
(3) كب : تحرقت .
(4) كب ، مص : فتخشعا .
(5) مص : منطوي ، وهي أعلى .

---

(١) يعاتب مسلم بن الوليد صريع الغواني أبومخلد وأبو الوليد ، الشاعر العباسي المعروف ، وكان ورد عليه أثناء ولايته بريد جرجان فجفاه .

(٢) أرأب منك الشعب : أصلحه ، وأصل الشَّعْب : إصلاح الإناء إذا انكسر ، ولأم ما تكسر منه ، أو زيادة شُعْبَة توافقه إذا بقيت فيه ثلمة . يقول : أصلح شتات أمرك وما تشعث منه .

(٣) استأكلت : أصابتها الأكِلة ، وهو داء يقع في العضو فيأتكل منه . واحتسبتها : طلبت أجر قطعها من الله ، يقال : احتسب الرجل ، إذا صبر على المصيبة طلباً للأجر ، واعتد مصيبته في جملة البلايا التي يثاب على الصبر عليها . وجشمت قلبي : كلفته على مشقة وحمّلته عليه ، يقال : جَشِمَ الأمر وتجشمه .

(٤) تكاشرني : تضاحكني ، يقال : كاشره ، إذا ضحك في وجهه وباسطه ، والكَشْر : بدو الأسنان عند التبسم ، وانظر رقم ٣٩٧٧ . والدوي : المضطغن العدواة .

(٥) الماذي : العسل الأبيض ، عنى حلاوة منطقه . والعلقم : نبت معمر من الفصيلة القرعية ، ثمره شديد المرارة ، ويستعمل لبه كمسهل شديد ، عنى غله وحقده . وملتوي : من اللَّي ، وهو المطل والتسويف .

(٦) الصولة : السطوة والإقدام ، من قولهم : صال الجمل يصول ، إذا وثب على راعيه فأكله ، وواثب الناس يأكلهم ويعدو عيهم ويطردهم من مخافته .

٣/ ٨٣

أُرَاكَ اجْتَوَيْتَ الخَيْرَ مِنِّي وأجْتَوي ... أذَاكَ فَكُلٌّ مُجْتَوٍ[1] قُرْبَ مُجْتَوِيْ(١)

وكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلايَ[2] طِحْتَ كَمَا هَوَى ... بأجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِيْ(٢)

٤٢٩٠ ويقال : إيَّاك ومَنْ مَوَدَّتُه على قَدْر حاجته ، فعند ذهابِ الحاجةِ ذَهابُ المودَّةِ .

٤٢٩١ وقال الحكيم : ثلاثةٌ لا يُعْرَفون إلَّا في ثلاثة مواطن : لا يُعْرَف الحليم إلَّا عند الغَضَب ، ولا الشجاعُ إلا في الحرب ، ولا الأخُ إلا عند الحاجة إليه .

٤٢٩٢ قال جرير(٣) :

تَعَرَّضْتُ[3] فاسْتَمْرَرْتِ مِنْ دُونِ حاجَتِي ... فَحَالُكِ ، إنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا(٤)

وإنِّي لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى ... لَيَالِيَ أرْجُو أنَّ مَالَكَ مَالِيَا(٥)

فَأَنْتَ أخي[4] ما لم تَكُنْ لِيَ حَاجَةٌ ... فإنْ عَرَضَتْ[5] أيْقَنْتُ أنْ لا أخَا[6] لِيا

بأيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا ... [قَطَعْتَ القُوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيا](٦)

[بأيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ القَوْمَ بَعْدَمَا] ... نَزَعْتَ سِناناً مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيا

أَلَا لا تَخَافَا نَبْوَتِي في مُلِمَّةٍ ... وخَافَا المَنَايا أنْ تَفُوتَكُمَا بِيا(٧)

---

(1) كب ، مص : يجتوي . (2) كب : لولاك .
(3) اضطرب ترتيب الأبيات كثيراً في كب ، وتابعتها مص ، فعوَّلنا على رواية ديوان جرير ١/ ٧٩ في قراءة الأبيات.
(4) رواية الديوان : أبي ، وهي الأعرف . (5) كب ، عرضت فإنني .
(6) رواية الديوان : أبا .

---

(١) المجتوي : الكاره ، كلاهما استثقل الآخر فأعرضت نفسه عنه .
(٢) انهوى : سقط ، ويكون من علو إلى أسفل . وقلة النيق : أعلى موضع في الجبل وأرفع مكان فيه . الأجرام : جمع جِرْم ، وهو الجسد .
(٣) يعاتب جده الخَطَفَى واسمه حذيفة بن بدر ، وذلك أنه استنحله من ماله ، وكان جده ذا مال كثير ، فقال : أنحلك كما نحلت عميك عطاء وجِزاماً ، وكان ينحل كل واحد من بنيه إذا استنحله ربع ماله ، وكان ربع ماله تلك السنة قليلاً ، فتسخطه جرير وقال : قد صرتُ شيخاً من بنيك وأبا عيال . وعاتبه ، واستزاده ، فلم يزده شيئاً . فأنشأ هذه الأبيات .
(٤) يخاطب حبيبته . استمررت : تغافلت . وبعد البيت :

فَرُدِّي جِمالَ البَيْنِ ثم تَحَمَّلي ... فمَالَكِ فيهم من مُقَامٍ ولا ليا

(٥) انتقل إلى مخاطبة جده . وأرجو : من الرجاء ، وهو الأمل ، نقيض اليأس .
(٦) النجاد : حمائل السيف .
(٧) الملمة : النازلة الشديدة تلم بالقوم . يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمت بكما ملمة ما عشت ، وخافا ذلك مني إذا مت .

٤٢٩٣ وقال أبو العَتَاهية :

أَنْتَ ما اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صا حِبِـكَ الـدَّهْـرَ أَخُـوهُ
فَـإِذَا احْتَجْـتَ إلَيْـهِ سـاعَـةً مَجَّـكَ فُـوهُ

٤٢٩٤ وقال آخر :

مَـوَالينـا إذا افْتَقَـرُوا إلَيْنَـا وإنْ أثْرَوْا فَلَيْسَ لنَا مَوَالي

٤٢٩٥ والعرب تقول فيمن شَرِكَك في النِّعمة وخَذَلَك عند النائبة : تَرْبِضُ[1] حَجْرَةً[١] وتَرْتَعُ[2] وَسَطاً .

٤٢٩٦ قال المدائني : لَحَن[٢] الحَجَّاجُ يوماً ، فقال الناس : لَحَن الأمير . فأخبره بعضُ مَنْ حَضَر ، فتمثَّلَ بشعر قَعْنَب بن أمِّ صاحب :

صُـمٌّ إذا سَمِعُـوا خَيْراً ذُكِـرْتُ بِـهِ وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا[٣]
فطَـانَـةٌ فَطَنُـوهَـا لَـوْ تَكُـونُ لَهُـمْ مُـرُوءَةٌ أَوْ تُقـىً للهِ مـا فَطَنُـوا
إنْ يَسْمَعُوا سَيِّئاً طَارُوا بِهِ فَرَحاً مِنِّي وما سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

* * *

(1) كب : تربص ، مص : يربض . (2) مص : يرتع .

(١) الحجرة : الناحية .
(٢) اللحن : الخطأ في اللغة والزيغ عن وجوه الإعراب خاصة ، ويكون الخطأ في أبواب التصريف أو في استعمال لفظة بغير معناها .
(٣) أذنت للشيء : استمعت له ، وليس المراد هاهنا بالاستماع مجرد الإدراك ، فهم يستمعون الذِّكر بالخير والشر معاً ، وإنما المراد به القبول .

باب القرابات والولد

٤٢٩٧ حَدَّثني زيد بن أَخزَم[1] ، قال : حَدَّثنا أبو داود ، قال : حَدَّثنا إسحاق بن سعيد القُرَشي مِنْ ولد سعيد بن العاص ، قال : أخبرني أبي ، قال :

كنتُ عند ابنِ عَبَّاس ، فأتاه رجلٌ فمَتَّ إليه برَحِمٍ بعيدة ، فألانَ[2] له ، وقال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « اعْرِفُوا أنسابَكم تَصِلوا أرحامَكم ، فإنه لا قُرْبَ لِرَحِمٍ[3] إذا قُطِعَتْ وإنْ كانتْ قريبةً ، ولا بُعْدَ لها[4] إذا وُصِلَتْ وإنْ كانتْ بعيدةً »(١) .

٣/ ٨٥ ٤٢٩٨ حدّثني شَبَابة ، قال : حَدَّثني القاسم بن الحكم ، عن إسماعيل بن عَيَّاش :

عن عبد الله بن دينار ، قال : احذروا ثلاثاً ، فإنهن معلَّقات بالعرش : النعمةُ تقول : يا ربِّ كُفِرْتُ ، والأمانةُ تقول : يا ربِّ أُكِلْتُ ؛ والرَّحِمُ تقول : يا ربِّ قُطِعْتُ .

٤٢٩٩ حَدَّثني الزِّيادي ، قال : حَدَّثنا عيسى بن يونس ، قال :

قال مُحارب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبراراً لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء . وكما أنَّ لوالدك عليك حقاً ، فكذلك لولدك عليك حقٌّ .

٤٣٠٠ حَدَّثني أبو سُفْيان الغَنَوي ، عن عبد الله بن يزيد ، عن حَيْوَة بن شُرَيح ، عن الوليد بن أبي الوليد [، عن عبد الله بن دينار] :

عن عبد الله بن عمر ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « أبرُّ البِرِّ أنْ يَصِلَ الرجلُ أهْلَ وُدِّ أبيه »(٢) .

٤٣٠١ حَدَّثني القُومِسي ، قال : حَدَّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيس ، قال : حَدَّثنا كثير بن

---

(1) كب : أخرم ، تصحيف .
(2) مص : لان . وألان الشيء : جعله لَيِّناً ، ولان الشيء : كان لَيِّناً .
(3) كب ، مص : بالرحم .
(4) كب ، مص : بها .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
(٢) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله .

[بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن] زيد، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبي ﷺ قال: « ابنُ أُخْتِ القومِ من أنْفُسِهم ، ومَوْلى القومِ من أنْفِسهم ، وحَلِيفُ القومِ من أنْفُسِهم »(١) .

٤٣٠٢ وحَدَّثني أيضاً ، عن خالد بن مَخْلَد ، عن سُليمان بن بلال ، عن عبد الله بن دينار ، عن أبي صالح :

عن أبي هُريرة ، قال : قال أبو القاسم ﷺ : « الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرحمن ، قال لها : مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُه ، ومَنْ قَطَعكِ قَطَعْتُه »(٢) .

٤٣٠٣ حَدَّثني الزِّيادي ، قال : حَدَّثنا حماد بن زَيْد ، عن حَبيب ، عن ابن سِيرِين ، قال :

قال عثمان : كان عُمَرُ يمنع أقرباءه ابتغاءَ وجهِ اللهِ ، وأنا أُعْطي قَرَاباتي لوجه الله ، ولن يُرَى مِثْلُ عُمَرَ .

٤٣٠٤ حَدَّثني أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا إبراهيم بن موسى ، قال : حَدَّثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضَمْرة : ٨٦/٣

عن عليٍّ عليه السلام ، عن النبيِّ ﷺ قال : « مَنْ سَرَّهُ أنْ يُمَدَّ له في عُمْره ، ويُوَسَّعَ له في رزقه ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه »(٣) .

٤٣٠٥ حَدَّثني أحمد بن الخليل ، قال : حَدَّثنا أبو نعيم ، قال : حَدَّثنا سُفْيان ، عن عبد الله بن عيسى :

عن (1)عبد الله(1) بن أبي الجَعْد ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَزيدُ في العُمْرِ إلَّا البِرُّ ، ولا يَرُدُّ القَدَرَ إلَّا الدعاءُ ، وإنَّ الرجل لَيُحرمُ الرزقَ بالذَّنْب يُصِيبُه »(٤) .

(1 - 1) كب ، مص : عبيد ، تحريف .

---

(١) إسناده واهن ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله في نهاية الكتاب . أراد ﷺ أن بينه وبينهم ارتباطاً ، حتى أنه يعد واحداً منهم .

(٢) رجاله ثقات ، عدا القومسي ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله . شجنة (بضم الشين وكسرها وفتحها) ، هي في الأصل : عروق الشجر المشتبكة . أي إن الرحم أثر من آثار رحمة الله ، مشتبكة بها ، فمن قطعها كان منقطعاً من رحمة الله ، ومن وصلها وصلته رحمة الله .

(٣) رجاله ثقات ، وأحمد بن الخليل ليس القومسي ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله . سره : أحب ذلك ورغب فيه . وصلة الرحم : بر الأقارب والإحسان إليهم .

(٤) إسناده مرسل ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله .

٤٣٠٦ حَدَّثني محمد بن يحيى القُطَعي ، قال : حَدَّثنا عبد الأعلى ، قال : حَدَّثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحكم بن عُتَيبة[1] ، عن النَّخَعي :

عن ابن عمر ، قال : أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال : إنَّ والدي يأخذ مني مالي وأنا كاره . فقال : « أَوَ ما عَلِمْتَ أنكَ ومالَكَ لأبيك »(١) .

٤٣٠٧ حَدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الأصْمَعي ، قال :

أخبرني بعضُ العرب ، أنَّ رجلاً كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان له أبٌ كبير ، وكان الشَّابُّ عاقاً بأبيه ، وكان يقال للشاب : مَنَازِل ، فقال الشيخ :

جَـزَتْ رَحِـمٌ بَيْنـي وبَيْـنَ مَنَـازِلٍ ... جَـزَاءً كَمَـا يَسْتَنْجِزُ الـدَّيْـنَ طَـالِبُـهْ

تـرَبَّـتَ حَتَّـى صَـارَ جَعْـدَاً شَمَـرْدَلاً ... إذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهْ(٢)

تظَلَّمَنـي مَـالـي كَـذَا وَلَـوَى يَـدِي ... لَـوَى يَـدَهُ اللهُ الَّـذِي لا يُغـالِبُـهْ

٨٧/٣

وإنِّـي لَـدَاعٍ دَعْـوَةً لَـوْ دَعَـوْتُهَـا ... عَلَى جَبَلِ الرَّيَّانِ لا نْقَضَّ جَانِبُهْ(٣)

فبلغ ذلك أميراً كان عليهم ، فأرسل إلى الفتى ليأخذه ، فقال له الشيخ : اخْرج مِنْ خَلْفِ البيت ، فسَبَقَ رُسُلَ الأميرِ . ثم ابْتُلي الفتى بابنٍ عَقَّه في آخر عمره ، فقال :

تَظَلَّمَنـي مَـالـي خَلِيـجٌ وعَقَّنِـي ... عَلَى حينَ كَانَتْ كالْحَنِيِّ[2] عِظَامي

تخَيَّـرْتُـهُ وازْدَدْتُـهُ لِيَـزِيـدَنـي ... وما بَعْضُ ما يَزْدَادُ غَيْرُ عُرَامِ[3](٤)

٤٣٠٨ وقال يحيى بن سعيد ـ مولى تيْم[4] ، كوفيٌّ ـ لابنه :

غَـذَوْتُـكَ مَـوْلُـوداً وعُلْتُـكَ يـافِعـاً ... تُعَـلُّ بمـا أجْنـي عَلَيْـكَ وتَنْهَـلُ

---

(1) كب : عيينة ، تصحيف .

(2) كب : كالجنى .

(3) كب : غرامي .

(4) كب : لتم .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٢) تربت : تربى ، أي وليته وتعهدته بما يغذيه وينميه ويؤدبه . ورجل جَعْد : مدمج الخلق ، معصوب الجوارح ، شديد الأسر ، غير مسترخ ولا مضطرب ، وهو من حلية الكريم ؛ ويراد به أيضاً : جعودة الشعر ، وهو مدح العرب ، لأن سبوطة الشعر إنما هي في الروم وفي الفرس . والشمردل : القوي الجلد . والغارب من البعير: ما بين السنام والعنق ، ومن الإنسان : أعلى الظهر . يصف طوله واعتدال قامته .

(٣) الريان : من جبال عالية نجد ، له شهرة في أشعار العرب وكتبهم .

(٤) العرام : الشراسة والأذى .

إذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بالشَّكْوِ لم أَبِتْ   لِشَكْوَاكَ إلَّا سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ[١]
كأنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بالَّذِي   طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وعَيْنِي تَهْمُلُ
فلَمَّا بَلَغْتَ الوَقْتَ في العُدَّةِ الَّتي   إليها جَرَى ما أَبْتَغِيه وآمُلُ
جعلْتَ جَزَائي مِنْكَ جَبْهاً وغِلْظَةً   كَأَنَّكَ أنتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ[٢]
فلَيْتَكَ إذْ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتي   كَمَا يَفْعَلُ الجَارُ المُجَاوِرُ تَفْعَلُ

٤٣٠٩ قال القاسم بن محمد : قد جَعَل اللهُ في الصديق البارِّ عِوَضاً من الرَّحِم المُدْبِرة .

٤٣١٠ كَتَب عُمَرُ إلى أبي موسى : مُرْ ذوي القَرَابات أنْ يَتزاوَرُوا ولا يتجاوروا .   ٣/ ٨٨

٤٣١١ وقال أَكْثَم بن صَيْفي : تَباعَدُوا في الدِّيار تَقارَبُوا في المودَّة .

٤٣١٢ قيل لأعرابي : ما تقول في ابن عَمِّك ؟ قال : عدوُّك وعدوُّ عدوِّك .

٤٣١٣ وقال قَيْس بن زُهَير :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ   وسَيْفي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَاني[٣]
قتَلْتُ بإِخْوَتي سَادَاتِ قَوْمي   وقَدْ كَانُوا لَنَا حَلْيَ الزَّمَانِ
فإنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي   فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إلَّا بَنَاني

٤٣١٤ قال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ، حين تصفَّح القتلى يوم الجَمَل : شَفَيتُ نفسي وجَدَعتُ أنفي .

٤٣١٥ وفي مثل ذلك قولُ القائل :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أخي   فإذَا رَمَيْتُ يُصِيبُني سَهْمي
ولَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً   ولَئِنْ قَرَعْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمي

٤٣١٦ قَتَل رجلٌ من العرب ابنَ[1] أخيه ، فدُفع إلى أخيه ليُقِيدَه ، فلمَّا أَهْوَى بالسيف

---

(1) كب : لابن .

---

(١) الرواية الأعلى : « نابتك بالشكو » . وتململ الرجل : تقلَّب ، إن كان نائماً فعلى فراشه ، وإن كان جالساً فهو يتوكأ مرة على هذا الشق ، ومرة على ذاك ، ومرة يجثو على ركبتيه .

(٢) الجَبْه : الاستقبال بالمكروه . والغلظة : الشدة والاستطالة والعداوة . يشير إلى خشونة طبعه وجفائه وغلظة كلامه .

(٣) كان حمل بن بدر قتل مالك بن زهير أخا قيس بن زهير العبسي ، فظفر قيس به وبأخيه حذيفة يوم جفر الهباءة ، فقتلهما معاً .

أرْعدتْ يداه ، فألقى السيفَ من يده وعفا عنه ، وقال :

أَقُولُ للنَّفْسِ تَأْسَاءً وتَعْزِيَةً ... إحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي ولم تُرِدِ

كلاهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ ... هذا أخي حِينَ أَدْعُوهُ وذَا وَلَدي

٤٣١٧ وقال بعضُهم :

بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو ... نُغَادِيكُمْ[1] بِمُرْهَفَةِ النِّصَالِ(١)

فنَبْكي حِينَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ ... ونَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لا نُبَالي(٢)

٤٣١٨ وقال عدي بن زيد :

وظُلْمُ ذَوي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ(٣)

٨٩/٣ ٤٣١٩ وقال غيرُه :

سَآخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ[2] لِحَوْشَبٍ ... وإنْ كَانَ مَوْلايَ وكُنْتُمْ بني أبي

إذَا كُنْتُ لا أُرْمَى وتُرْمَى عَشِيرَتي ... تُصِبْ جَائحاتُ النَّبْلِ كَشْحي ومَنْكِبي

٤٣٢٠ قال : حَدَّثنا أبو الخَطَّاب ، قال : حَدَّثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد ، عن[3] السَّائب النُّكْري[4] :

عن سعيد بن عَمْرو بن سعيد بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : «حَقُّ كبيرِ الإخْوَةِ على صغيرِهم كحَقِّ الوالد على ولده»(٤) .

---

(1) مص : نفاديكم ، وهم في القراءة .
(2) كب : حزم .
(3) كب ، مص : بن ، خطأ .
(4) كب ، مص : البكري ، تصحيف .

---

(١) الكره : المشقة . وسري القوم : الشريف ذو المروءة والسخاء ، المتمكن من النبل ، والجمع سَرَاة ، على غير قياس . يقول : بمشقة رؤسائنا وكراهتهم نباكركم بسيوف محدودة الحد ، مصقولة . وإنما قال : بكره سراتنا ، لأن الرؤساء يحبون التآلف بين العشيرة ، وإصلاح ذات البين ، وترك التدابر والاختلاف . ويجوز أن يكون ذكر السراة والمراد الجميع ، أي على كره منا نقاتلكم ، ولكنكم ألجأتمونا إليه .

(٢) لا نبالي : لا نحتفل بذلك . يقول : نبكي قتلاكم ، إذا قتلناكم ، لما يجمعنا وإياكم من الرحم والقرابة، ونقتلكم ، إذ أحوجتمونا إلى قتلكم ، كأنا لا نبالي بما يمنع من ذلك ، أو يدعو إلى الجزع له .

(٣) أشد مضاضة : أشد حرقة . الحسام المهند : السيف القاطع المنسوب إلى الهند ، وسيوف الهند عندهم أجود السيوف .

(٤) إسناده ضعيف ، والحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

٤٣٢١ والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن واداً : أَنْفُكَ منكَ وإنْ ذَنَّ(١) .

٤٣٢٢ ومثْلُه : عِيصُكَ منكَ وإنْ كان أَشِباً(٢) .

٤٣٢٣ وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذَا كُنْـتَ فـي[1] سَعْـدٍ وأُمُّكَ مِنْهُـمُ[2] ... غَريباً فَلا يَغْرُرْكَ خالُكَ مِنْ سَعْدِ(٣)

فإنَّ ابْنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إنَاؤُهُ[3] ... إذَا لـم يُـزَاحِـمْ خَـالَـهُ بـأبٍ جَلْـدِ(٤)

٤٣٢٤ وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سَهْم :

أَبْلِـغْ إيـاسـاً أنَّ عِـرْضَ ابْـنِ أُخْتِكُـمْ ... رِدَاؤُكَ فاصْطَنْ حُسْنَهُ أوْ تَبَذَّلِ[4](٥)

فإنْ تَكُ[5] ذَا طَوْلٍ فإنِّي ابْنُ أُخْتِكُمْ ... وكُلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ مَدَى الخَالِ مُعْتَلِي

٣/ ٩٠

فكُـنْ أَسَـداً أوْ ثَعْلَبـاً أوْ شَبِيهَـهُ ... فَمَهْمَا تَكُنْ أُنْسَبْ إلَيْكَ[6] وأُشْكَلِ

ومـا ثَعْلَـبٌ إلَّا ابْـنُ أُخْـتِ ثَعَـالِـبٍ ... وإنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِئْبَالُ أَشْبُلِ

٤٣٢٥ وكَتَب بشر بن المغيرة[7] بن أبي صُفْرة إلى عمه بهذه الأبيات :

جَفَـانـي الأمِيـرُ والمُغِيـرةُ قَـدْ جَفَـا ... وأَمْسَى يَزِيدُ لي قَدْ ازْوَرَّ جَانِبُهْ(٦)

---

(1) كب ، مص : من ، تصحيف .

(2) كب ، مص : فيهم ، تصحيف .

(3) كب : إخاؤه .

(4) كب : تبدل .

(5) كب : أك .

(6) كب : إليه .

(7) سقطت من كب وألحقت في الهامش .

---

(١) ذنَّ الأنف : سال ذَنينه ، والذَّنين : المخاط .

(٢) العيص : منبت خيار الشجر وأصله . والأشب : شدة التفاف شوكه وكثرته حتى لا مجاز فيه ولا سهولة في الوصول إليه ، وهو عيب لأنه يذهب بقوة الأصول . يقول : أقاربك منك ، وإن كانوا على خلاف ما تريد ، فاصبر عليهم ، فبهم المنعة والكثرة .

(٣) يقال : إن بني سعد بن تميم كانت أغدر العرب .

(٤) المصغى: الممال، أي يُنقص حظه ويُظلم إذا لم تكن أعمامه أقوى من أخواله ، وجعل إصغاء الإناء مثلاً لنقصان الحق، لأن الإناء إذا أصغي، أي أميل، نقص ما يسعه. والجلد : القوي، الصابر على المكروه.

(٥) إياس بن سهم بن أسامة الهذلي ، هو خال أمية بن أبي عائذ ، وكان سهم بن أسامة قد شبب بامرأة من قومه وهي ليلى بنت الحارث ، فرد عليه أمية مناقضاً ، فقام إياس بن سهم وهجا أمية .
اصطن : صن واحفظ . ويقال تبذل الرجل : إذا امتهن ، فترك التزين والتجمل .

(٦) الازورار : الانحراف ، وهو من الزَّوَر : نتوء أحد شقي الصدر واطمئنان الآخر . يقول : جفاني عمي المهلب ، وأبي المغيرة ، وصار يزيد ابن عمي ، لاقتدائه بهم ، منحرفاً عني ، غير مائل إلي .

وكُلُّهُــمُ قَــدْ نَــالَ شِبْعــاً لِبَطْنِــهِ وشِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذَا جَاعَ صَاحِبُهْ(١)

فَيَــاعَــمٍّ مَهْــلاً واتَّخِــذْنــي لِنَــوْبَــةٍ تَنُوبُ فإنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ(٢)

أنَــا[1] السَّيْــفُ إلَّا للسَّيْــفِ نَبْــوَةً ومِثْلِي لا تَنْبُـو عَلَيْـكَ مَضَـارِبُهْ(٣)

٤٣٢٦ دَخَل رجلٌ من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به يَعيبه ويَشتمُه ، وفي المجلس رجلٌ يَشْنَؤه[2] ، فَشَرع معه في القول ، فقال له : مهلاً ، إني لآكلُ لحمي ولا أدَعُه لآكِل .

٤٣٢٧ ويقال : القرابةُ محتاجة إلى المودَّة ، والمودَّةُ أقربُ الأنساب(٤) .

٤٣٢٨ والبيتُ المشهور في هذا :

فـإذَا القَــرَابَــةُ لا تُقَـرِّبُ قــاطِعــاً وإذَا المَــوَدَّةُ أقْــرَبُ الأنْسَــابِ(٥)

٤٣٢٩ وقيل لبُزُرْجِمِهْر : أخوك أحبُّ إليك أم صديقُك ؟ فقال : إنما أُحبُّ أخي إذا كان صديقاً(٦) .

٤٣٣٠ وقال خَدَّاش[3] بن زُهَير :

رَأَيْتُ ابْنَ عَمِّي بادِياً لِيَ ضِغْنَهُ ووَاغِرُهُ في الصَّدْرِ لَيْسَ بذَاهِبِ(٧)

٤٣٣١ وأنشدنا الرِّياشي :

حَيَـاةُ أبـي السَّيَّـارِ خَيْـرٌ لِقَـوْمِـهِ لِمَنْ كَانَ قَدْ سَاسَ الأُمُورَ وجَرَّبَا

---

(1) كب : أبا . (2) كب : شناه .
(3) كب : خراش ، تصحيف .

---

(١) الشبع : الانتهاء والامتلاء من الطعام . والشبع لا يكون لؤماً ، إنما التفرد به دون من له حاجة إلى الطعام لؤم .

(٢) النوبة : المصيبة والنكبة .

(٣) المضارب : جمع مَضْرِب ، وهو الموضع الذي يُضرب به من السيف . والنبو : كلاله ، بأن يرتد عن ضريبته ولا يؤثر بها . يصف نفاذه في الأمور ومضاءه .

(٤) مضى برقم ٢٧٤٨ كتاب العلم ، وسيأتي بتمامه برقم ٥٥٥٧ كتاب النساء .

(٥) قبله :

ولقد بَلَوْتُ النَّاسَ في حالاتِهم وعَلِمْـتُ مـا فيهـم مـن الأسبـاب

(٦) مضى برقم ٣٨٧٧ .

(٧) الواغر : الذي في صدره من الغيظ ، والوغرة في الأصل : شدة توقد الحر ، ويقال : أوغرت صدره على فلان ، أي أحميته من الغيظ .

ونَعْتِبُ أحْيَاناً عَلَيْهِ ولَوْ مَضَى   لَكُنَّا عَلَى البَاقِي مِنَ النَّاسِ أعْتَبَا

٤٣٣٢ وقال الشاعر :   ٣/ ٩١

ولَمْ أَرَ عِزاً لامْرِيءٍ كَعَشِيرَةٍ   ولَمْ أَرَ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الأهْلِ[1]
ولَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى   ولَمْ أَرَ مِثْلَ المَالِ أَرْفَعُ للرَّذْلِ
ولَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى الفَتَى   إذا عَاشَ وَسْطَ النَّاسِ مِنْ عُدْمِ العَقْلِ

٤٣٣٣ كان مُهَلهلٌ صار إلى قبيلةٍ من اليمن يقال لهم : جَنْبٌ ، فخطبوا إليه فزوَّجهم ، وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه ، ومهروا ابنته أَدَماً(١) ، فقال :

أَنْكَحَهَا فَقْدُهَا الأَرَاقِمَ فِي   جَنْبٍ وكَانَ الحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ(٢)
لَوْ بِأَبَانَيْنِ[2] جَاءَ يَخْطُبُهَا   رُمِّلَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ(٣)

٤٣٣٤ وقال الأعشى :

مَتَى[3] يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لا يَجِدْ لَهُ   [عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالَيْهِ مُغْضَبَا]
[ويُحْطَمْ بظُلْمٍ لا يَزَالُ يَرَى لَهُ]   مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَراً ومَسْحَبَا(٤)
وتُدْفَنْ مِنْهُ الصَّالِحاتُ وإنْ يُسِيءْ   يَكُنْ ماأسَاءَ النَّارَ في رَأْسِ كَبْكَبَا(٥)
ورُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ   أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْغَضُ[4] الرَّأْسَ مُغْضَبَا(٦)

---

(1) كأنها كانت في كب « الأصل » ثم صححت .   (2) كب : بانايين ، تصحيف .
(3) كب ، مص : ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى . وعوَّلنا في قراءة الأبيات على ديوان الأعشى ١٦٣ .
(4) كب : ينفض .

---

(١) الأدم : الجلود المدبوغة ، جمع أديم .
(٢) الأراقم : حي من تغلب ، وهي قبيلته . والحباء : العطاء ، وأراد مهرها .
(٣) أبَانان: من أشهر جبال نجد، أحدهما أبَان الأسود، وهو أبَان الأسمر حاليا . والآخر أبَان الأبيض ، وهو أبَان الأحمر حالياً . يقعان إلى الغرب من مدينة الرس التابعة لإمارة القصيم في السعودية (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : المنطقة الشرقية ١/ ١٠١ ، بلاد القصيم ١/ ٢٢١) . ورمل أنفه بدم : أدماه .
(٤) يحطم بظلم : يهان ، كأنه يداس فيتكسر . والمجر والمسحب : الجر والسحب ، تجر جثته وتسحب .
(٥) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها ، أي إساءته تكون مشهورة ظاهرة ، كالنار ترى من فوق الجبل العالي .
(٦) البقيع : المكان المتسع فيه أشجار مختلفة ، وأظنه عنى بقيع «منفوحة»، وهي اليوم من أحياء مدينة الرياض الجنوبية ، وكان بها قصر الأعشى . هتفت بجوه : دعوت مستنجداً . ينغض الرأس : يحركه كالمستفهم إلى فوق وإلى أسفل إنكاراً .

٤٣٣٥ وقال رجلٌ من غطَفَان :

إذا أنْـتَ لـم تَسْتَبْـقِ وُدَّ صَحَـابَـةٍ   عَلَى دَخَنٍ أَكْثَرْتَ بَثَّ المَعَاتِبِ[1]

٩٢/٣ وإنّـي لأَسْتَبْقـي امْـرَأَ السَّـوْءِ عُـدَّةً   لِعَدْوَةِ عِرِّيضٍ مِنَ النَّاسِ عَائِبِ[2]

أَخَـافُ كِـلابَ الأبْعَـدِيـنَ ونَبْحَهَـا   إذَا لم تُجَاوِبْهَا كِلابُ الأقَارِبِ

٤٣٣٦ قال رجلٌ لعبيد الله بن أبي بكرة : ما تقول في موتِ الوالد ؟ قال : مِلْكٌ حادِثٌ . قال : فموتُ الزوجِ ؟ قال : عُرْسٌ جديد . قال : فموتُ الأخِ ؟ قال : قَصُّ الجناح . قال : فموتُ الولدِ ؟ قال : صَدْعٌ في الفؤاد لا يُجْبر .

٤٣٣٧ وكان يقال : العُقُوقُ ثُكْلُ مَنْ لم يَثْكَلْ .

٤٣٣٨ شَكَا عثمانُ عَلِياً إلى العباس رضي الله عنهم ، فقال : أنا منه كأبي العاقِّ ، إنْ عاشَ عَقَّه ، وإنْ مات فَجَعَه .

٤٣٣٩ وقال رجلٌ لأبيه : يا أبتِ ، إنَّ عظيمَ حَقِّكَ عليَّ لا يُذْهِبُ صغيرَ حَقِّي عليك ، والذي تَمُتُّ به إليَّ أَمُتُّ بمثله إليك ، ولستُ أزعم أنَّا على سَوَاء[3] .

٤٣٤٠ وقال زيد بن علي بن الحسين لابنه يحيى : إنَّ اللهَ لم يَرْضَك لي فأوصاك بي ، ورَضِيني لك فلم يُوصِني بك .

٤٣٤١ غَضِب معاوية على يزيدَ ابنهِ فهجره ، فقال له الأحنف : يا أميرَ المؤمنين ، أولادُنا ثِمارُ قلوبِنا ، وعِمادُ ظهورِنا ، ونحن لهم سماءٌ ظَليلة ، وأرضٌ ذليلة . فإنْ غَضِبوا فأرْضِهِمْ ، وإنْ سألوا فأعْطِهِم ، ولا تكن عليهم قُفْلاً فيَمَلُّوا حياتَك[4] ويتمنوا موتَك .

٤٣٤٢ قيل لأعرابي : كيف ابنُك ؟ ـ وكان عاقاً ـ ، فقال : عذابٌ رَعِف به[5] الدَّهْرُ ، فليتني قد أودعتُه القبر ، فإنه بَلاءٌ لا يُقاومه الصبر ، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

---

(١) على دخن : على حقد وفساد باطن ، وأصله من دخنت (بالفتح فكسر) النار ، إذا ألقي عليها حطب رطب وكثر دخانها ، فشبه بها ما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر .

(٢) العريض : الذي يكثر أن يتعرض للناس بالشر ، ولا يكون ذلك إلا من جلد وصرامة .

(٣) مت إليه : تقرب إليه وتوسل بحرمة أو قرابة أو مودة .

(٤) أي لا تكن عسراً ولا بخيلاً معهم ، فتغلق صدرك ويديك كأن عليك قفلاً .

(٥) رعف به : سبق وتقدم .

٤٣٤٣ قيل لبعضهم : أيُّ ولدك أحَبُّ إليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكْبُرَ ، ومريضُهم حتى يَبْرَأ ، وغائبُهم حتى يَقْدَم .

٤٣٤٤ ناول عمرُ بن الخطاب رجلاً شيئاً ، فقال له : خَدَمَكَ بنوك . فقال عمر : بل أغنانا ٩٣/٣ اللهُ عنهم .

٤٣٤٥ ووُلِد للحسن غلامٌ ، فقال له بعضُ جلسائه : بارك اللهُ لكَ في هِبَتِهِ ، وزادَك من أحسَنِ نعمتِه . فقال الحسن : الحمدُ لله على كل حَسَنة[1] ، ونسألُ اللهَ الزيادةَ في كل نِعمة ، ولا مرحباً بمن إنْ كنتُ عائلاً أنصبني[(١)] ، وإنْ كنتُ غنياً أذهلَني[(٢)] ، لا أرضى بسَعْيي له سَعْياً ، ولا بكَدِّي له في الحياة كَداً ، حتى أُشْفِقَ له من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حالٍ لا يصل إليَّ مِنْ غَمِّه حَزَنٌ ولا من فرحه سرور .

٤٣٤٦ قال الأصْمَعي : عاتب أعرابيٌّ ابنَه في شرب النبيذ ، فلم يُعْتِبْ[(٣)] ، وقال :

أَمِنْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءِ كَرْمٍ شَرِبْتُهَا ... غَضِبْتَ عَلَيَّ ! الآنَ طَابَ لِيَ الخَمْرُ

سأَشْرَبُ فاغْضَبْ لا رَضِيتَ ، كِلاهُمَا ... إلَيَّ لَذيذٌ : أنْ أعُقَّكَ والسُّكْرُ

٤٣٤٧ وقال الطِّرِمَّاح لابنه صَمْصَامة :

أَصَمْصَامَ إنْ تَشْفَعْ لأُمِّكَ تَلْقَهَا ... لَهَا شَافِعٌ في الصَّدْرِ لَمْ يَتَبَرَّحِ[(٤)]

هلِ الحُبُّ إلاّ أنَّها لَوْ تَعَرَّضَتْ ... لِذَبْحِكَ، يا صَمْصَامَ، قُلْتُ لَهَا: اذْبَحي[(٥)]

أحَاذِرُ يا صَمْصَامَ إنْ مِتُّ أنْ يَلي ... تُرَاثي وإيَّاكَ امْرُؤٌ غَيْرُ مُصْلِحِ

---

(1) كب : نعمة حسنة ، ثم شطب الأولى .

---

(١) العائل : الفقير . أنصبني : أتعبني أشد التعب لكثرة طلباته .

(٢) أذهلني : شغلني عن أمور ديني ودنياي .

(٣) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله .

(٤) صمصام : ابنه صمصام ، ناداه فرخم تحبباً وعطفاً . والشافع : يريد به حبه لزوجه الذي يكنه لها في صدره . لم يتبرح : أي لم يبرح مكانه . وبعده :

إذا غِبْتَ عَنَّا لم يَغِبْ غيرَ أنَّهُ ... يَعِنُّ لنا في كل مُمْسىً ومُصْبَحِ

لم يغب : أي الشافع ، وهو هوى زوجه .

(٥) بعده :

وإنْ كنتَ عندي أنتَ أحلَى مِنَ الجَنَى ... جَنَى النحلِ أمسى واتِناً بيـن أجْبُـحِ

جنى النحل : العسل . والواتن : المقيم . الأجبح : مواضع النحل في الجبل وفيها تُعَسِّل النحل .

إذا صَكَّ وَسْطَ القَوْمِ رَأْسَكَ صَكَّةً   يَقُولُ لَهُ النَّاهي : مَلَكْتَ فَأَسْجِحِ[1]

٤٣٤٨ وأنشد ابنُ الأعرابي :

أُحِبُّ بُنَيَّتِي وودِدْتُ أنِّي   دَفَنْتُ بُنَيَّتِي في قَعْرِ لَحْدِ
وما بي أنْ تَهُونَ عَلَيَّ لَكِنْ   مَخَافَةَ أنْ تَذُوقَ البُؤْسَ بَعْدي

٣/ ٩٤ ٤٣٤٩ ونحوه قولُ الآخر :

لَوْلَا أُمَيْمَةُ لَمْ أجْزَعْ مِنَ العَدَمِ   ولَمْ أَجُبْ في اللَّيَالِي حِنْدِسَ الظُّلَمِ[2]
وزَادَني رَغْبَةً في العَيْشِ مَعْرِفَتي   ذُلَّ اليَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو الرَّحِمِ
أحاذِرُ الفَقْرَ يَوْماً أنْ يُلِمَّ بِهَا   فَيَهْتِكَ السِّتْرَ مِنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ[3]
تَهْوَى حَيَاتي وأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقاً   والمَوْتُ أكْرَمُ نَزَّالٍ عَلَى الحُرَمِ

٤٣٥٠ وقال أعرابي في ابنته :

يا شِقَّةَ النَّفْسِ إنَّ النَّفْسَ وَالِهَةٌ   حَرَّى عَلَيْكِ ودَمْعُ العَيْنِ مُنْسَجِمُ
قدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا أنْ تُقَدِّمَني   إلَى الحِمَامِ فيُبْدِي وَجْهَهَا العَدَمُ
فالآنَ نِمْتِ فَلا هَمٌّ يُؤَرِّقُني   تَهْدَا العُيُونُ إذا ما أوْدَتِ الحُرَمُ

٤٣٥١ وقال أعشى سُلَيم :

نَفْسي فِدَاؤُكَ مِنْ وَافِدٍ   إذَا ما البُيُوتُ لَبِسْنَ الجَلِيدا
كُفِيتَ الَّذِي كُنْتُ أُرْجَى لَهُ   فَصِرْتَ أباً لِيَ وصِرْتُ الوَلِيدا

٤٣٥٢ وقال أعشى هَمْدان في خالد [بن عَتَّاب] بن ورقاء :

فإنْ يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ   فَمَا مَاتَ مَنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدِ

٤٣٥٣ وفي الحديث المرفوع : « رِيحُ الولدِ من ريحِ الجنَّة »[4] .

---

(١) صك رأسك : ضربه . أسجح : ارفق واعف . وقوله : ملكت فأسجح ، مثل يقال عند الوصاة بالعفو والصفح عند المقدرة .

(٢) العدم : الفقر ، وهو في الأصل : فقدان الشيء وذهابه ، وغلب على فقد المال وقلته . أجب : أقطع وأجوز البلاد سعياً للرزق ، يقال : جاب المفازة والظلمة والبلاد واجتابها . والحندس : شدة الظلمة ، وإضافة الحندس إلى الظلم كإضافة البعض إلى الكل ، أي في الشديد من الظلم .

(٣) الوضم : كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو حصير أو نحو ذلك ، يوقى به من الأرض . يقول : هي في الضعف مثل ذلك اللحم الذي على الوضم لا يمتنع من أحد إلا أن يُذَبَّ عنه ويدفع .

(٤) الحديث ضعيف ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .

٤٣٥٤ وقال رسول الله ﷺ لأحد ابنيْ بنته : « إنكم لَتُجَبِّنُون ، وإنكم لَتُبَخِّلُون ، وإنكم لمنْ رَيْحانِ اللهِ »[١] .

٤٣٥٥ وقالت أعرابية :

يـا حَبَّـذا رِيـحُ الـوَلَـدْ   رِيحُ الخُزَامَى بالبَلَدْ[٢]

حَدَّثني أبو حاتم ، عن الأصْمَعي ، قال : هذا يدلُّك على تفضيلهم الخُزَامى[1] .

٤٣٥٦ وكان يقال : ابنُك رَيحانُك سَبْعاً ، وخادمك سبعاً ، ثم عدوٌّ أو صديق .

٤٣٥٧ مَرَّ أعرابيٌّ يَنْشُدُ ابناً له بقومٍ ، فقالوا : صِفْه . فقال : دُنَيْنِيرٌ . قالوا : لم نَرَه . فلم يَلْبَثِ القومُ أنْ جاء على عُنُقه بجُعَلٍ[٣] ، فقالوا : ما وجدتَ ابنَك يا أعرابي ؟ قال : نعم ، هو هذا . قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك ، ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا . ٣/ ٩٥

٤٣٥٨ قال الشاعر في امرأة :

نِعْـمَ ضَجيـعُ الفَتَـى إذا بَـرَدَ الـ   ـليلُ سُحَيْراً وقَرْقَفَ الصَّرِدُ[٤]
زَيَّنَهَـا اللهُ فـي العُيُـونِ كَمَـا   زُيِّـنَ فـي عَيْـنِ وَالِـدٍ وَلَـدُ

٤٣٥٩ وفي الحديث : « مَنْ كان له صبيٌّ فَلْيَسْتَصْبِ له »[٥] .

٤٣٦٠ وقال الزُّبَيْر وهو يرقِّص ابناً له :

---

(1) كب : ريح الخزامى .

---

(١) الحديث ضعيف ، وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله .
يريد ﷺ أن الولد لما صار سبباً لجبن الأب عن الجهاد وإنفاق المال والافتتان به ، كان كأنه نسبه إلى هذه الخلال ورماه بها ، لأنه ما أحب البقاء والمال إلا لأجله . والريحان : الرحمة والرزق والراحة ، وبالرزق سمي الولد ريحاناً .
(٢) الخزامي : جنس نبات من الفصيلة الشفوية ، جميع أنواعه عطرة ، ويزرع للرائحة وللتزيين .
(٣) الجعل : جنس خنافس من مغمدات الأجنحة ، شبهه به في سواده ودمامته . ورواية ابن خلكان ٣/ ٢٧ : كأنه جُعَلٌ قد حمله على عنقه . وهي أوضح .
(٤) السحير : آخر الليل قبيل الفجر ، وخص ذلك الوقت لتغير نكهة الفم في ذلك الحين ، فوصفها بعذوبة رائحة فمها وطيب أعرافها . قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الذي آلمه البرد ، أراد دفء جسدها .
(٥) الحديث ضعيف جداً ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
وقال المناوي : أي من كان له ولد صغير ذكراً أو أنثى فيلتصابى له بلطف ولين في القول والفعل ويفرحه ليسره (فيض القدير ٦/ ٢٠٩) .

أَبَيْـضُ مِـنْ آلِ أَبـي عَتِيـقِ   مُبَارَكٌ مِنْ وَلَـدِ الصِّـدِّيـقِ
أَلَذُّهُ كَمَا أَلَذُّ رِيقي

٤٣٦١ وقال أعرابيٌّ :

أَنْـزَلَنـي[1] الـدَّهْـرُ عَلَـى حُكْمِـهِ   مِـنْ مَـرْقَـبٍ عَـالٍ إلـى خَفْـضِ
وابْتَـزَّنـي الـدَّهْـرُ ثِيـابَ الغِنَـى   فَلَيْـسَ لـي مَـالٌ سِـوَى عِـرْضِـي
لَـوْلَا بُنَيَّـاتٌ كَـزُغْـبِ القَطَـا   حُطِطْـنَ مِـنْ بَعْـضٍ إلـى بَعْـضٍ(١)
لَكَـانَ لـي مُضْطَـرَبٌ وَاسِـعٌ   في الأرْضِ ذَاتِ الطُّولِ والعَرْضِ(٢)
وإنَّمَـا أوْلَادُنَـا بَيْنَنَـا   أكْبَـادُنَـا تَمْشـي عَلَـى الأرْضِ
لَـوْ هَبَّـتِ الـرِّيـحُ عَلَـى بَعْضِهِـمْ   لامْتَنَعَـتْ عَيْنـي مِـنَ الغَمْـضِ

٤٣٦٢ قال بعضُ النَّسَّابين : إنما قيل : سَعْدُ العشيرة ، لأنه كان يركب في عشرة من ولده ، فكأنهم عشيرة .

٩٦/٣ ٤٣٦٣ وقال ضِرار بن عمرو الضَّبي ، ورُئي[2] له ثلاثةَ عشرَ ذكراً قد بلغوا : مَنْ سَرَّه بنوه ساءَتْه نفسُه(٣) .

٤٣٦٤ قال بِشْر بن أبي خازم[3] :

إذا ما عُلُوا ، قالوا : أَبُونَا وأُمُّنَا   ولَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمٌّ ولا أَبُ(٤)

٤٣٦٥ وقال آخر :

---

(1) اختل ترتيب الأبيات في كب ، مص فعوّلنا على المرزوقي ١/ ٢٨٥ والخطيب التبريزي ١/ ٢٧٦ في شرح الحماسة في قراءة الأبيات .

(2) مص : وقد رئي .   (3) كب : حازم ، تصحيف .

---

(١) زغب القطا : جمع أزغب ، وهو فرخ القطا الذي لم ينبت ريشه بعد . والقطا : نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء . وقوله : حططن من بعض إلى بعض ، أي اجتمعن لي في مدة يسيرة .

(٢) مضطرب واسع : مذهب فسيح في ابتغاء الرزق ، يقال : ضَرَب في الأرض ، إذا خرج فيها مسافراً يبتغي الخير من الرزق .

(٣) مضى برقم برقم ٣٦٠٩ كتاب الزهد .

(٤) يقول : إذا ما غُلبوا وعُلوا ، استنصروا بنا ، واستنجدونا ، وذكرونا الآباء والأمهات والأرحام والأواصر . وإذا كانوا هم الغالبين نسوا تلك الأواصر ، وتركوا الصلة ، وقطعوا تلك الأرحام ، وصاروا كمن لا يجمعنا بهم أم ولا أب .

أَنَا ابْنُ عَمِّكَ إِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ... ولَيْسَ مِنْكَ إذا ما كَعْبُكَ اعْتَدَلا(١)

٤٣٦٦ وأنشدنا الرِّياشي :

الرَّحْمَ[1] بُلَّهَا بخَيْرِ البُلاَّنْ ... فإنَّمَا[2] اشْتُقَّتْ مِنِ اسْمِ الرَّحْمَنْ(٢)

وإنَّ[3] فِيهَا للدِّيَارِ العُمْرَانْ ... وآثِرِ[4] المَالَ بَنَاتِ الصُّغْرَانْ(٣)

٤٣٦٧ وقال المَغْلُوط :

ومَنْ يَلْقَ ما أَلْقَى وإنْ كَانَ سَيِّداً ... ويَخْشَ الَّذِي أخْشَى يَسِرْ سَيْرَ هَارِبِ

مخَافَةَ سُلْطَانٍ عَلَيَّ أَظُنُّهُ ... ورَهْطِي وما عَادَاكَ مِثْلُ الأقَارِبِ

٤٣٦٨ دَخَل عثمان بن عفان على ابنته وهي عند عبد الله بن خالد بن أَسيد ، فقال : يا بنيَّة ، ما لي أراكِ مهزولةً ؟ لعلَّ بَعْلَكِ يُغِيرك(٤) . فقالت : لا ، ما يُغيرني . فقال لزوجها : لعلَّكَ تُغيرُها ! قال : فأفعل ! فَلَغلامٌ يُزيده اللهُ في بني أمية أحبُّ إليَّ منها .

٤٣٦٩ قال النُّعمان بن بشير : ٣/ ٩٧

وإنِّي لأُعْطِي المَالَ مَنْ لَيْسَ سَائِلاً ... وأُدْرِكُ لِلْمَوْلَى المُعَانِدِ بالظُّلْمِ

وإنِّي مَتَى ما يَلْقَنِي صَارِماً لَهُ ... ومَا[5] بَيْنَنَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ مِنْ صُرْمِ

فلا تَعْدُدِ المَوْلَى شَرِيكَكَ في الغِنَى ... ولَكِنَّما المَوْلَى شَرِيكُكَ في العُدْمِ[6]

---

(1) الأشطار مضطربة الترتيب في كب ، مص فأعدنا ترتيبها بما يوائم المعنى .

(2) كب ، مص : وإنما . (3) كب ، مص : فإن .

(4) كب ، مص : وآمر المال وبنت . (5) كب ، مص : فما .

(6) كب : الغرم .

---

(١) النائبة : ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة . واعتدل كعبه : صار شريفاً ، ذا غنى ويسار . وأصل الكعب : العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم ، وهما اثنان في كل قدم .

(٢) الرُّحْم ، والرُّحُم ، والرَّحِم : القرابة أو أسبابها ، (يذكر ويؤنث) . وبَلَّ رحمه : وصلها ونَدَّاها ، كأنه بوصله أقاربه جعل صلته بهم رطبة ندية . والبلان : يجوز أن تكون اسماً واحداً كالغفران والرجحان ، وأن تكون جمع بلل الذي هو المصدر (اللسان : بلل) . والرحمن : الكثير الرحمة ، وهو وصف مقصور على الله تعالى ، لا يجوز أن يقال لغيره .

(٣) الصغران : جمع صغرى ، أراد البنات الصغيرات .

(٤) يغيرك : تزوج من أخرى فأحدث عندك الغيرة .

إذا مَـتَّ ذُو القُـرْبَـى إلَيْـكَ بِـرِحْمِـهِ   وغَشَّكَ واستَغْنَى فَلَيْسَ بِذِي رِحْمِ[1]
ولَكِـنَّ ذَا القُـرْبَـى الَّـذِي يَسْتَخِفُّـهُ   أَذَاكَ ومَنْ يَرْمِي العَدُوَّ الَّذِي تَرْمِي[2]

٤٣٧٠ وقال بعضُ الشعراء :

لَقَـدْ زَادَ الحَيَـاةَ إلَـيَّ حُبـاً   بَنَـاتِـي أنَّهُـنَّ مِـنَ الضِّعَـافِ
مخَـافَـةَ أنْ يَـرَيْـنَ البُؤْسَ بَعْـدِي   وأنْ يَشْـرَبْـنَ رَنْقـاً بَعْـدَ صَـافـي
وأنْ يَعْـرَيْـنَ إنْ كَسِـيَ الجَـوَارِي   فَتَنْبُو العَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجَافِ[3]

٤٣٧١ قيل لعلي بن الحسين : أنت من أبرِّ الناسِ ولا نراك تؤاكِلُ أمَّك ؛ قال : أخاف أنْ تَسِيرَ يدي إلى ما قد سبقتْ عينُها إليه فأكونَ قد عَقَقْتُها .

٤٣٧٢ قيل لعمر بن ذَرٍّ : كيف كان بِرُّ ابنك بك؟ قال : ما مشيتُ نهاراً قطُّ إلا مَشَى خلفي ، ولا ليلاً إلا مَشَى أمامي ، ولا رَقِيَ سطحاً وأنا تحته .

٤٣٧٣ حَدَّثني محمد بن عُبَيد ، عن معاوية بن عَمْرو ، عن زائدة ، عن عطاء بن السائب : عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كنتُ عند عمر ، فأتاه رجلٌ فأنشده :

تَـرَكْـتَ أَبَـاكَ مُـرْعَشَـةٌ يَـدَاهُ   وأُمُّكَ مـا تُسِيـغُ[1] لَهَـا شَـرابَا
إذا غَنَّـتْ حَمَـامَـةُ بَطْـنِ وَجٍّ   عَلَى بَيْضَاتِها ذَكَرَتْ كِلابَا[4]

فقال عمر : ممَّ ذاك؟ قال : هاجَرَ إلى الشام ، وتَرَك أبوين له كبيرين . فبكى عمر ، وكَتَب إلى يزيد بن أبي سفيان في أنْ يُرَحِّلَه ، فَقَدِم عليه ، فقال : بِرَّ أبويك ، وكن معهما حتى يموتا .

٣/ ٩٨

قال أبو اليَقْظان: مُرَبَّعة كِلاب بالبصرة إليه تُنسب ، والعوامُّ تقول : مُرَبَّعة الكلاب[5] .

---

(1) كب : يسيغ .

---

(١) مت إليه : توسل وتقرب . والرحم : مضى قريباً برقم ٤٣٦٦ .
(٢) استخفه : استفزه ، فأثاره وأزعجه .
(٣) نبت العين عن الشيء : أعرضت عنه ونفرت . وكرم : كريمات ، والاسم إذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير . عجاف : هزلى ضعاف ، لسوء القيام عليهن .
(٤) كلاب : ابنه . وج : الطائف ، وهي كثيرة الشجر ، كثيرة الحمام . يقول : إذا غنت الحمامة تعطفاً وسروراً وحناناً على بيضاتها ، يذكران عندئذ ولدهما كلابا .
(٥) المربعة : الناحية من الدور تكون على شكل التربيع .

٤٣٧٤ قال أبو علي الضَّرير :

أَتَيْتُـــكَ جَـــذْلانَ مُسْتَبْشِـــراً ... لِبُشْـــرَاكَ لَمَّـــا أَتَـــانـــيَ الخَبَـــرْ
أَتَـــانـــي البَشِيـــرُ بِـــأَنْ قَـــدْ رُزِقْـــتَ ... غُـــلامـــاً فَـــأَبْهَجَنـــي مـــا ذَكَـــرْ
وأَنَّـــكَ ، والـــرُّشْـــدُ فِيمَـــا فَعَلْـــ ... ـــتَ ، أَسْمَيْتَـــهُ بِـــاسْـــمِ خَيْـــرِ البَشَـــرْ
وطَهَّـــرْتَـــهُ يَـــوْمَ أُسْبُـــوعِـــهِ ... ومِنْ قَبْلُ في الذِّكْرِ ما قَدْ طَهُرْ[1] 1
فعَمَّـــرَكَ اللهُ حَتَّـــى تَـــرَا ... هُ قَـــدْ قَـــارَبَ الخَطْـــوَ مِنْـــهُ الكِبَـــرْ
وحَتَّـــى تَـــرَى حَـــوْلَـــهُ مِـــنْ بَنِيـــهِ ... وإِخْـــوَتِـــهِ وبَنِيهِـــمْ زُمَـــرْ
وحَتَّـــى يَـــرُومَ 2 الأُمُـــورَ الجِسَـــامِ ... ويُـــرْجَـــى لِنَفْـــعٍ ويُخْشَـــى لِضُـــرّْ
وأَوْزَعَـــكَ 3 اللهُ شُكْـــرَ العَطَـــاءِ ... فَـــإِنَّ المَـــزِيـــدَ لِعَبْـــدٍ شَكَـــرْ[2]
وصَلَّـــى عَلَـــى السَّلَـــفِ الصَّـــالِحِيـــ ... ـــنَ مِنْكُـــمْ وبـــارَكَ فيمَـــنْ غَبَـــرْ[3]

وهذا قد يقع 4 في باب التهاني أيضاً[4] .

٤٣٧٥ قال المأمون : لم أر أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بِرِّه به أن يحيى كان لا يتوضَّأ إلا بماءٍ مسخَّنٍ وهما في السجن ، فمنعهما السَّجَّانُ من إدخال الحطب في ليلةٍ باردة ، فقام الفضل حين أَخَذ يحيى مَضْجَعه إلى قُمْقُم[5] كان يُسَخَّن فيه الماءُ ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح .

٤٣٧٦ رَقَّصَ أعرابيٌّ ابنَه ، وقال : ٣/ ٩٩

أُحِبُّـهُ حُـبَّ الشَّحِيـحِ مَـالَـهْ ... قَدْ كَانَ ذَاقَ الفَقْرَ ثُمَّ نَالَهْ
إِذا يُرِيدُ بَذْلَهُ بَدَا لَهْ

٤٣٧٧ دخَلَ عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أميرَ

---

(1) كب : ظهر . (2) كب : تروم .
(3) كب : أودعك . (4) كب ، مص : وقع .

---

(١) ما زائدة . وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .
(٢) أوزعك شكر العطاء : ألهمك إياه وأولعك به (وانظر ما مضى برقم ٤٢٣٧) .
(٣) غبر : بقي . وصلاة الله : الرحمة والبركة .
(٤) أي هذا الضرب من الشعر يصح أن يقع في باب التهاني ، وقد مضى ابتداء من رقم ٤٢٢٧ .
(٥) قمقم : إناء من نحاس وغيره ، يسخن فيه الماء ، ويكون ضيق الرأس .

المؤمنين ؟ فقال : هذه تُفَّاحة القلب . فقال : انبذْها عنك . قال : ولم ؟ قال : لأنهنَّ يلِذْن الأعداءَ ، ويُقَرِّبْن البُعَداء ، ويُورِثْن الضغائن . فقال : لا تَقُلْ ذاك يا عمرو ، فواللهِ ما مَرَّضَ المرضى ، ولا نَدَب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهُن ؛ وإنك لواجدٌ خالًا قد نَفَعه بنو أخته . فقال له عمرو : ما أعلمُك إلَّا حَبَّبْتَهنَّ إليَّ .

* * *



الاعتذار

٤٣٧٨ كان يقال : الاعتراف يَهْدِم الاقتراف .

٤٣٧٩ كَتَب بعضُ الكُتَّاب إلى بعض العمال : لو قابلتُ حَقَّكَ عليَّ ، بمتقدِّمِ المودَّةِ ، ومُؤَكِّدِ الحُرْمة ، إلى ما جَدَّدَه اللهُ لكَ بالسلطان والوِلاية ، لم أرْضَ في قضائه(١) بالكِتاب دون تَجَشُّمِ الرِّحلة ومعاناةِ السفرِ إليك ، لا سيما مع قُرْبِ الدارِ منك . غير أنَّ الشغل ، بما أَلْقَيْتَ عليه أُموري من الانتشارِ ، وعلائقِ الخَرَاجِ ، وغيرِ ذلك مما لا خِيار معه ، أحَلَّني في الظاهر محلَّ المُقَصِّرين . وإنْ وَهَبَ اللهُ فُرْجةً من الشُّغْلِ ، وسَهَّلَ سبيلاً إليك ، لم أتخلَّفْ عَمَّا لي فيه الحظ من مجاورتك[1] ، والتنسُّمِ بريحك ، والتيمُّنِ بالنظر إليك ، غادياً ورائحاً عليك ، إن شاء الله تعالى .

٤٣٨٠ كَتَبَ ابنُ[2] الجَهْم إلى نَجاح(٢) من الحبس :

إنْ تَعْفُ عَنْ عَبْدِكَ المُسِيءِ ففي ... فَضْلِكَ مَأْوَى للصَّفْحِ والمِنَنِ
أتَيْتُ ما أسْتَحِقُّ مِنْ خَطَأٍ ... فَعُدْ لِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ

٣/ ١٠٠

٤٣٨١ وكَتَب الحسن بن وَهْب :

ما أَحْسَنَ العَفْوَ مِنَ القَادِرِ ... لا سِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ
إنْ كَانَ لي ذَنْبٌ ، ولا ذَنْبَ لي ، ... فَمَا لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرِ
أَعُوذُ بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا ... أنْ يُفْسَدَ الأوَّلُ بِالآخِرِ

٤٣٨٢ كَتَبَ رجلٌ إلى جعفر بن يحيى يستبطئه ، فوَقَّعَ في ظهر كتابه : أحتجُّ عليك بغالبِ

---

(1) كب : محاورتك . (2) كب : أبو ، تحريف .

---

(١) أي قضاء حقك علي .

(٢) نجاح : هو نجاح بن سلمة ، كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال في عهد المتوكل ، فكان جميع العمال يتقونه ، وتوفي منكوباً سنة ٢٤٥ .

المنن : جمع مِنَّة ، وهي الإحسان والإنعام .

القضاءِ ، وأعتذرُ إليك بصادق النِّيَّةِ(١) .

٤٣٨٣ قال بعض الشعراء :

وتَعْــذِرُ نَفْسَــكَ إمَّــا أسَــأْتَ   وغَيْــرَكَ بــالعُــذْرِ لا تَعْــذِرُ
وتُبْصِرُ فـي الغَيْـرِ[1] مِنْـكَ القَـذَى   وفـي عَيْنِـكِ الجِذْعُ لا تُبْصِـرُ(٢)

٤٣٨٤ وقال بعض الشعراء :

يــا ذا المُمَيِّـزُ لِـلإخـاءِ ولِلْـ   إخْـوَانِ فـي التَّفْضِيـلِ والقَـدْرِ
لا يَقْبِضَنَّـكَ عَـنْ مُعَـاشَـرَتـي   بـالأُنْـسِ أنْ قَصَّـرْتَ فـي بِـرِّي
إنِّــي إذا ضَــاقَ امْـرُؤٌ بِجَـداً   عَنِّي اتَّسَعْـتُ[2] عَلَيْـهِ بـالعُـذْرِ(٣)

٤٣٨٥ وفي الحديث المرفوع : « مَنْ لم يَقْبَل من معتذرٍ ، صادقاً كان أو كاذباً ، فلن[3] يَرِدَ عليَّ الحوض »(٤) .

٤٣٨٦ وفيه : « أَقِيلوا ذوي الهيئات[4] عَثَراتِهم »(٥) .

٤٣٨٧ اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الكاتب ، فقال : ما رأيتُ عُذْراً أشبه باستئنافِ ذنبٍ من عُذْرِك .

٤٣٨٨ وكان يقال : أعجلُ الذنوبِ عقوبةً العُذْرُ ، واليمينُ الفاجرةُ ، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفوَ خائباً .

---

(1) مص : العين منه .
(2) مص : استعنت .
(3) كب ، مص : لم .
(4) كب ، مص : الهنات ، تحريف .

---

(١) احتج عليه : أقام عليه الحُجة ، أي الدليل والبرهان .
(٢) القذى : ما يتكون في العين من وسخ ، وما يجتمع في موقها من وسخ أبيض . وهذا مثل لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة .
(٣) الجدا : العطية ، والجدا في الأصل : المطرالعام الواسع لا يُعرف أقصاه ، فشبهوا العطية به .
(٤) الحديث حسن ، وبالغ ابن الجوزي فجعله موضوعاً . وسيأتي في نهاية الكتاب تخريجه إن شاء الله .
والحوض : حوض الرسول ﷺ أكرمه به الله ليسقي منه أمته يوم القيامة .
(٥) تمامه : « إلا الحدود » .
والحديث له طرق حسَّنه بها ابن حجر ، وقال العقيلي : لا يثبت منها شيء . اهـ وذلك لاختلافهم في وصله وإرساله ، وما قاله ابن حجر هو الصواب إن شاء الله لشواهده . وسيأتي في آخر الكتاب تخريج الحديث . والهيئات : جمع هيئة ، وهي صورة الشيء وشكله وحالته ، يريد ﷺ الذين لا يعرفون بالشر ، ويلزمون هيئة واحدة وسمتاً واحداً ، ولا تختلف حالاتهم بالتنقل من هيئة إلى هيئة .

٤٣٨٩ وقال مُطَرِّف : المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ(١) .

٤٣٩٠ اعتذر رجلٌ إلى إبراهيم ، فقال له : قد عذرتُك غيرَ معتذِرٍ ، إنَّ المعاذير يشوبُها الكذب .

٤٣٩١ ويقال : ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذَنْباً .

٤٣٩٢ وقال الشاعر :

لا تَــرْجُ رَجْعَــةَ مُــذْنِــبٍ   خَلَـطَ احْتِجـاجـاً بـاعْتِـذَارِ

٤٣٩٣ اعتذر رجلٌ إلى سَلْم[1] بن قتيبة ، فقبل منه وقال : لا يَدْعُونَّك أمرٌ تخلَّصْتَ منه ، إلى [الدُّخُولِ في] أمرٍ لعلك لا تتخلص منه .

٤٣٩٤ وقال الشاعر :

فَلا تَعْذِرَاني في الإسَاءَةِ إنَّهُ   شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يُسِيءُ فَيُعْذَرَ

٤٣٩٥ وقال ابن الطَّثَرية :

هَبينـي امْـرَأً إمَّـا بَـرِيئـاً ظَلَمْتـهِ   وإمَّا مُسِيئاً تَابَ بَعْدُ وأعْتَبَا(٢)
وكُنْـتُ كَـذِي دَاءٍ تَبَغَّـى لِـدَائِـهِ   طَبِيبـاً فَلَمَّـا لَـمْ يَجِـدْهُ تَطَبَّبَـا

٤٣٩٦ كَتَب بعضُ الكُتَّاب معتذراً : توهَّمْتُ ، أعزَّك الله ، نَفْرتَك عند نظرتك إلى عنوان كتابي هذا باسمي ، لما تضمَّنْتَه من السَّخيمة عليَّ(٣) ، فأخليتُه منه ؛ وانتظرتُ ، باستعطافك من طويَّتك فيَّ ، عاقبةَ امتدادِ العهد ، وأمِنْتُ اضطغانَكَ ، لنَفْيِ الدِّينِ الحِقْدَ ، واختصرتُ من الاحتجاج المنتسِب إلى الإصرار ، والاعتذارِ المتعاوَدِ بين النُّظراء ، والإقرارِ المُثَبِّت للأقدام ، الاستسلامَ لك . على أنك إنْ حرمْتَني رِضاك

---

(1) كب : سالم ، تحريف .

---

(١) المعاذر : جمع معذرة ، بمعنى العذر . والمكاذب : جمع الكذب .
(٢) بعده :

فلما أبَتْ لا تَقْبَلُ العُذْرَ وارْتَمَى   بها كَذِبُ الواشينَ شَأْواً مُغَرِّبا
تَعَزَّيْتُ عنها بالصُّدُود ولم أكُنْ   لمن ضَنَّ عَنِّي بالمَوَدَّة أقْرَبَا

شأواً مغرباً : غاية وأمداً بعيداً . أعتب : أعطى العتبى ، أي الرضا ، وأيضاً : انصرف ورجع ، فكأنه ينصرف عما يسوءها ويرجع إلى ما يرضيها .
(٣) السخيمة : الحقد والموجدة في النفس .

اتَّسعتُ بعفوك ، وإنْ أعْدَمَنِيهما تَوَغُّرُ صدرِك(١) لم تَضِقْ مِنَ الرِّقَّةِ عليَّ مِنْ مُصِيبةِ الحِرْمان . وإنْ قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ مِنْ أياديك عندي نازِعةٌ بكَ إلى استتمامها لديَّ . ١٠٢/٣

ومِنْ حدودِ فضائلِ الرُّؤساءِ مُقابلةُ سُوءِ مَنْ خُوِّلوا بالإحسان . ولا نعمةَ على مُجْرَمٍ[1] إليه أجْزَلُ مِنَ الظَّفَر ، ولا عقوبةَ لمجرِمٍ أبلَغُ مِنَ الندم ؛ وقد ظَفِرتَ وندمتُ .

كتبتُ وأنا على ما تُحِبُّ بِشراً[2] إنْ تغمدتَ زَلَّتي ، وكما تُحِبُّ ضُراً إنْ تركتَ إقالتي ، وبخيرٍ في كلتا الحالتين ما بَقِيتَ .

٤٣٩٧ وكتبتُ في كتابِ اعتذارٍ واستعطاف : كم عسى أن يكونَ انتظاري لعطفك ! وكم عسى أن يكونَ تمادِيك في عَتْبك ! لولا أني مضطرٌ إلى وَصْلِك ، وأنك[3] مطبوعٌ على هجري ، لقد استحييتُ واستحييتَ : مِنْ ذُلِّي وعِزِّك ، وخَفضي جَناحي ونأيٍ بجانبك .

٤٣٩٨ وفي كتابٍ آخر : قد أوْدَعَني اللهُ مِنْ نِعَمِكَ ما بَسَطني في القول مُدِلًّا به عليك ، ووَكَّدَ من حُرْمتي بك ما شفَع لي في الذنوب إليك ، وأعْلَقني مِنْ أسبابك ما لا أخافُ معه نَبَواتِ الزمانِ عليَّ فيك ، وأمَّنَني بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك . فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إنْ عَثَرْتُ ، وبتقويمك إنْ زُغْتُ ، وبأخْذِك بالفَضْل إنْ زَلَلْتُ .

٤٣٩٩ وفي كتاب اعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقْتُك ، فإنْ تجمعْ عليَّ العِلَّةَ وعَتَبَك أُفْدَحْ(٢) . على أنَّ ألَم الشوقِ قد بَلَغ بك في عقوبتي ، وحَضَرني هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولي :

لَكَ الحَقُّ إنْ تَعْتِبْ عَلَيَّ لأنَّنِي ... جَفَوْتُ وإمَّا تَغْتَفِرْ فَلَكَ الفَضْلُ

أنهيتُ عذري لأنتهيَ إلى تَفَضُّلِك بقبوله ، فإنْ[4] أبْلاكَ(٣) يَمْحُ إفراطي في البِرِّ بك

---

(1) كب : محوم .
(2) كب : شراً .
(3) مص : أنت .
(4) كب ، مص : وإن أبلك .

---

(١) توغر الصدر : امتلاؤه حقداً وغيظاً وعداوة ، وفيه معنى الشدة والتوقد .
(٢) الفَدْح : إثقال الأمر والحِمْل صاحبه ، يقال : فَدَحه الأمر والحِمْل والدَّيْن يَفْدَحه (ولم يُسمع أفدحه) ، إذا أثقله وعجز عنه وبلغ منه مشقة .
(٣) أبلاك : أدى إليك وجه عذره ليزيل عنه اللوم فقبلته ، يقال : أبلاه عذراً ، وأبليت فلاناً عذراً .

تفريطي فيه ، وإلى ذلك فما أسْأَلُكَ[1] تعريفي خَيْرِك[2] لأُرَاحَ إليه ، بل[3] أستزيدُ اللهَ في أسْره لك .

٤٤٠٠ وفي فصلٍ آخر : ١٠٣/٣

أنا المُقِرُّ بقصوري عن حَقِّك ، واستحقاقي جفاءَك ، وبفضلك مِنْ عَذْلك أعوذ . فواللهِ ، لئن تأخَّرَ كتابي عنك ، ما أستزيدُ نفسي في شُكْر مودَّتِك ولطيفِ عنايتك . وكيف يَسْلاكَ أو ينساك أخٌ مُغْرَمٌ بك يراك زِينةَ مَشْهدِه ومَغيبه ؟

وكَيْفَ أَنْسَاكَ لا أَيْدِيكَ وَاحِدَةٌ   عِنْدِي وَلا بالَّذِي أوْلَيْتَ مِنْ قِدَمِ[4]

وفي آخرِ الكتاب :

إذا اعْتَذَرَ الصَّدِيقُ إلَيْكَ يَوْماً   مِنَ التَّقْصِيرِ عُذْرَ أَخٍ مُقِرِّ
فصُنْهُ عَنْ عِتَابِكَ واعْفُ عَنْهُ   فإنَّ الصَّفْحَ شِيمَةُ كُلِّ حُرِّ

٤٤٠١ وقال الخليل بن أحمد :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما أقُولُ عَذَرْتَني   أوْ كُنْتَ تَعْلَمُ[5] ما تَقُولُ عَذَلْتُكَا
لكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فعَذَلْتَنِي   وعَلِمْتُ أنَّكَ جَاهِلٌ فعَذَرْتُكَا

٤٤٠٢ قيل لبُزُرْجِمِهْر : ما بالُكم لا تُعَاتِبون الجَهَلَة ؟ قال : لأنَّا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

٤٤٠٣ وقال ابنُ الدُّمَينة(١) :

بِنَفْسي وأَهْلِي مَنْ إذا عَرَضُوا لَهُ   بِبَعْضِ الأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
ولَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيءِ ولَمْ تَزَلْ   بِهِ ضَعْفَةٌ[6] حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

٤٤٠٤ وكَتَب رجلٌ إلى صديق له يعتذر : أنا مَنْ لا يُحَاجُك عن نفسه ، ولا يُغَالِطُك عن جُرْمه ، ولا يلتمس رضاك إلَّا مِنْ جِهته ، ولا يستعطِفُك إلا بالإقرارِ بالذنب ، ولا يستميلك إلَّا بالاعتراف بالزَّلَّة .

---

(1) مص : ما أسألك ، كب : ما .
(2) كب : خبرك .
(3) كب ، مص : وأستزيد .
(4) كب : نعم .
(5) كب : أعلم ما أقول ، مص : أجهل ما تقول .
(6) رواية الديوان : صعقة .

---

(١) سيأتي البيتان برقم ٥٩٥٥ كتاب النساء بنسبتهما إلى ابن ميادة .

٣/١٠٤ ٤٤٠٥ وقرأتُ في كتابٍ : لستُ أدري بأيِّ شيءٍ استجزتَ[1] تصديقَ ظَنِّك ، حتى أنفذتَ عليَّ به حُكْمَ قَطيعتِك ، فواللهِ ما صَدَق عليَّ ولا كَادَ ، و[2]استجزتَ ما توهَّمْتَه فيمن لا يلزمني حقُّه . وأُعيذك بالله مِنْ بِدَارٍ⁽¹⁾ إلى حُكْمٍ يُوجب الاعتذار ، فإنَّ الأناةَ سبيلُ أهلِ التُّقَى والنُّهَى ، والظَّنُّ والإسراعُ إلى ذَوي الإخاء يُنْتجان الجفاءَ ، ويُميلان عن الوَفَاءِ إلى اللَّفَاءِ⁽²⁾ .

٤٤٠٦ قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر إلى رجلٍ في آخر يوم من شعبان : واللهِ فإنِّي في غُبَّرِ يومٍ عظيمٍ ، وتِلْقاءَ ليلةٍ تَفْتَرُّ عن أيامٍ عِظامٍ ، ما كان ما بَلَغَك .

٤٤٠٧ وقرأتُ في كِتابِ معتذر : إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة ، واستدامتَك لها ، واجتلابَك ما بَعُدَ منها بشُكْر ما قَرُب ، واستعمالَك الصُّفْحَ لِما في عاقبته من جميل عادةِ اللهِ عندَك ، فتَقَبَّلُ[3] العُذْرَ على معرفةٍ منك بشناعةِ الذَّنْب ، وتُقِيل العثرةَ وإنْ لم تكنْ على يقينٍ مِنْ صِدْقِ النِّيَّة ، وتدفَعُ السيئةَ بالتي هي أحسن .

٤٤٠٨ اعتذر رجلٌ إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال له جعفر : قد أغناك اللهُ بالعُذْرِ منَّا عن الاعتذار ، وأغنانا بالمودَّةِ لك عن سوء الظن بك .

٤٤٠٩ وقال بعضُ الشعراء :

إذَا مـا امْـرُؤٌ مِـنْ ذَنْبِـهِ جَـاءَ تـائبـاً ... إلَيْـكَ فَلَـمْ تَغْفِـرْ فَلَـكَ الـذَّنْـبُ

٤٤١٠ كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للمنصور على المدينة ، فهجاه وَرْدُ[4] بن عاصم المُبَرْسَم فقال :

لَـــهُ حَـــقٌّ ولَيْـــسَ عَلَيْـــهِ حَـــقٌّ ... ومَهْمَـا قَـالَ فـالحَسَـنُ الجَمِيـلُ

وقَـدْ كَـانَ الـرَّسُـولُ يَـرَى حُقُـوقـاً ... عَلَيْـهِ لأَهْلِهَـا وهْـوَ الـرَّسُـولُ

٣/١٠٥ فطلبه الحسن فهرب منه ، ثم لم يشعر إلا وهو ماثلٌ بين يديه يقول :

سَيَـأْتـي عُـذْرِيَ الحَسَـنَ بـنَ زَيْـدٍ ... وتَشْهَـدُ لـي بِصِفِّيـنَ القُبُـورُ⁽³⁾

---

(1) كب : استنجزت .
(2) كب : ولا .
(3) كب ، مص : ستقبل .
(4) كب : وردين ، تحريف .

---

(١) البداز : السرعة والعجلة ، من قولهم : بدرت إلى الشيء وبادرت إليه ، أراد الحكم بغير روية أو أناة .
(٢) اللفاء : اليسير الحقير .
(٣) العذر : الحجة التي يعتذر بها ، ليرفع اللوم ويتنصل من الفعل .

قُبُورٌ لَوْ بِأَحْمَدَ أَوْ عَلِيٍّ   يَلُوذُ مُجِيرُهَا حُفِظَ المُجِيرُ
هُمَا أَبَوَاكَ مَنْ وَضَعا فَضَعْهُ[1]   وأَنْتَ بِرَفْعِ مَنْ[2] رَفَعَا جَدِيرُ

فاستخفَّ الحسنَ كرمُهُ ، فقام إليه فَبَسطَ له رداءَه وأجلسَهُ عليه [وأمَّنَه] .

٤٤١١ وفي كتابٍ لمعتذرٍ : عُلُوُّ[3] الرُّتبةِ ، واتِّساعُ القُدْرة ، وانبساطُ اليدِ بالسَّطْوة ، ربما أنْسَتْ ذا الحَنَقِ المُحْفَظَ من الأحرار فضيلةَ العفوِ وعائدةَ الصَّفْح وما في إقالة المذنبِ واستبقائه من حُسْنِ السماع وجَميل الأُحْدوثة ، فبعثتْه على شِفاء غَيْظه ، وحَرَّكَتْه على تبريد غُلَّته ، وأسرعتْ به إلى مُجَانبة طِباعه ، وركوبِ ما ليس من عادته . وهِمَّتُكَ تَجِلُّ عن دناءة الحِقد ، وترتفع عن لؤم الظَّفَر .

٤٤١٢ وفي فصل : نَبَتْ بي عنك غِرَّةُ الحَدَاثةِ فرَدَّتْني إليك الحُنْكَة ، وباعدَتني عنك[4] الثقةُ بالأيام فأدنَتْني إليك الضرورةُ ، ثقةً بإسراعك إليَّ وإنْ كُنتُ أبطأتُ عنك[5] ، وقُبُولِك العذرَ وإنْ كانت ذنوبي قد سَدَّتْ عليك مسالكَ الصَّفْح . فأيُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أنَّ المخاطبةَ فيه لك ! وأيُّ خُطَّةٍ هي أوْدَى بصاحبها من خُطَّةٍ أنا راكبُها لولا أنها في رِضاك .

٤٤١٣ وَقَع[6](١) الحَجَّاج يوماً في خالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه وعنده عمرو بن عتبة ، فقال عمرو : إنَّ خالداً أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده ، بقديمٍ غَلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبق إليه . فقال الحَجَّاج : يابن عتبة ، إنَّا لَنسترضيكم بأنْ نُغْضَب عليكم ، ونستعطفكم بأن نَنال منكم . وقد غَلَبْتم على الحلم فوثِقنا لكم به ، وعَلِمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا ، فتعرَّضْنا للذي تحبُّون . ١٠٦/٣

٤٤١٤ قال المنصور لرجل أتاه تائباً معتذراً من ذنب : عهدي بك خطيباً ، فما هذا السكوت ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لسنا وفدَ مُباهاة ، وإنما نحن وفْدُ توبةٍ ، والتوبةُ تُتَلَقَّى بالاستكانة .

٤٤١٥ وَقَعَ بين أبي مسلم وبين قائدٍ له كلامٌ ، فأرْبَى عليه القائد(٢) إلى أن قال له :

---

(1) كب ، مص : تضعه .
(2) كب ، مص : ما .
(3) كب : علق .
(4) كب : منك .
(5) مص : منك .
(6) كب ، مص : أوقع . . بخالد .

---

(١) وَقَع به : لامه وعَنَّفه ، ووَقَع فيه : ذمَّه وعابه واغتابه ، فذكر ما ليس منه . فرَّقوا بينهما بحرف الجر .
(٢) أربى عليه : زاد في ملاسنته وسبابه .

يا لَقيط . فأطرق أبو مسلم ، فلما سكنتْ[1] عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم ، وعَلم أنه قد أخطأ ، فاعتذر[2] وقال : أيها الأمير ، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَني ، ولا نطقتُ حتى أنطقْتني ، فاغفر لي . قال : قد فعلتُ . فقال : إني أُحبُّ أنْ أستوثِقَ لنفسي . فقال أبو مسلم : سبحان الله ! كنتَ تُسيء وأُحْسِن ، فلما أحسنتَ أُسِيء !

٤٤١٦ قال الطَّائي :

وَكَمْ نَاكِثٍ لِلْعَهْدِ قَدْ نَكَثَتْ بِهِ ... أَمَانِيهِ واسْتَخْذَا لِحَقِّكَ[3] باطِلُهْ⁽¹⁾

فحَاطَ لَهُ الإِقْرَارُ بالذَّنْبِ رُوحَهُ ... وجُثْمَانَهُ إذْ لَمْ تَحُطْهُ قَبَائِلُهْ

٤٤١٧ وقال آخر :

حَتَّى مَتَى لا تَزَالُ مُعْتَذِراً ... مِنْ زَلَّةٍ مِنْكَ ما تُجَانِبُهَا

لا تَتَّقِي[4] عَيْبَهَا عَلَيْكَ وَلا ... يَنْهَاكَ عَنْ مِثْلِهَا عَوَاقِبُهَا

لتَرْكُكَ الذَّنْبَ لا تُقَارِفُهُ ... أيْسَرُ مِنْ تَوْبَةٍ تُقَارِبُهَا⁽²⁾

٤٤١٨ قال أعرابيٌّ لابن عَمٍّ له : سأتخطَّى ذَنْبَك إلى عُذْرك ، وإنْ كنتُ من أحدهما على يقينٍ ومن الآخر على شَكٍّ ، [ولكن] ليتمَّ المعروفُ مني إليك ، ولتقومُ الحُجَّةُ مِنِّي عليك .

* * *

---

(1) مص : سكنت . (2) كب ، مص : واعتذر .
(3) كب ، مص : بحقك . (4) كب : يتقى .

---

(١) يمدح الخليفة المعتصم بالله . واستخذأ : خضع وانقاد له ، وخفف الهمز للضرورة .
(٢) قارف الذنب وقَرَفه واقترفه : أتاه وفعله . تقاربها : تدنو منها ولا تفعلها .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

٤٤١٩ حَدَّثني الزِّيادي ، قال : حَدَّثنا عبد الوارث ، عن يزيد بن [أبي يزيد الرِّشك ، وهو] القَسَّام[1] ، عن مُعَاذة ، أنها سمعت هشام بن عامر يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يَحِلُّ لمُسْلم أن يُصارِمَ مسلماً فوقَ ثلاثٍ ، وأيُّهما فعل فإنهما ناكِبَان عن الحقِّ ما داما على صُرْمهما ، وإنْ ماتا لم يَدْخُلا الجنة »(١) .

٤٤٢٠ قال بعضُ الشعراء :

شَنَّ[2] الضَّغَائنَ آبَاءٌ لَنَا سَلَفُوا ... فَلَــنْ تَبِيــدَ ولــلآبــاءِ أبْنَــاءُ(٢)

٤٤٢١ هذا مِثْلُ قولِ أبي بكر الصديق رضي الله عنه : العداوةُ تُتَوارث .

٤٤٢٢ وقرأتُ في « كتابٍ للهند » : إذا كانتِ المَوْجِدة عن عِلَّة(٣) كان الرِّضا مرجُواً ، وإذا كانتْ عن غير عِلَّةٍ كان الرِّضا معدوماً . ومِنَ العَجَب أنْ يطلبَ الرجلُ رِضا أخيه فلا يَرْضى ، وأعجبُ من ذلك أنْ يُسْخِطَه عليه طَلَبُهُ رِضاه .

٤٤٢٣ قال بعضُ المُحْدَثين :

فَلاَ تَلْهُ عنْ كَسْبِ وُدِّ العَدُوِّ ... ولا تَجْعَلَــنَّ صَــدِيقــاً عَــدُوَّا

ولا تَغْتَــرِرْ بهُــدُوِّ امْــرِىءٍ ... إذا هِيــجَ فَــارَقَ ذَاكَ الهُــدُوَّا

٤٤٢٤ وقال آخر :

احْـــذَرْ مَـــوَدَّةَ مَـــاذِقٍ ... شَــابَ المَـرَارَةَ بــالحَـلاوَهْ(٤)

يحْصي العُيُوبَ عَلَيْكَ أيَّـ ... ـامَ الصَّــدَاقَــةِ للعَــدَاوَهْ[3]

---

(1) ما بين معقوفين زيادة لازمة ، وفي كب ، مص : القاسم ، تحريف .
(2) مص : سن .
(3) مص : والعداوة .

---

(١) رجاله ثقات ، والحديث صحيح ، له طرق صحيحة ، وسيأتي تخريجه في نهاية الكتاب إن شاء الله .
المصارمة : المقاطعة والهجران ، أي يقطع مكالمته .
(٢) شن الضغائن : صبَّها وبثها وفرقها من كل وجه .
(٣) الموجدة : الغضب . والعلة : السبب .
(٤) الماذق : الذي يشوب الود بكدر ولا يخلصه .

٤٤٢٥ وقال أبو الأسود الدُّوَلي :

إذا المَرْءُ ذُو القُرْبَى وذُو الضِّغْنِ أجْحَفَتْ ... بِـهِ سَنَـةٌ حَلَّـتْ مُصِيبَتُـهُ حِقْـدِي(١)

١٠٨/٣ ٤٤٢٦ وقال محمد بن أبَان اللاحقي لأخيه إسماعيل :

تَلُـومُ[1] عَلَـى القَطِيعَـةِ مَـنْ أتَـاهَـا ... وأنْتَ سَنَنْـتَهَا في النَّاسِ قَبْلي

٤٤٢٧ وقال آخر :

ورُوِّعْـتُ حَتَّـى مـا أُرَاعُ مِـنَ النَّـوَى ... وإنْ بَـانَ جِيـرانٌ عَلَـيَّ كِـرَامُ(٢)

فقَدْ جَعَلَتْ نَفْسي عَلَى اليَأْسِ تَنْطَوِي ... وعَيْنـي عَلَـى هَجْـرِ الصَّـدِيـقِ تَنَـامُ

٤٤٢٨ قال أحمد بن يوسف الكاتب :

مـا عَلَـى ذَا كُنَّـا افْتَـرَقْنَـا بِسِنْـدَا ... دَ[2] ولا بَيْنَنَـا عَقَـدْنَـا الإخَـاءَ(٣)

تَطْعَـنُ[3] النَّـاسَ بـالمُثَقَّفَـةِ السُّمْـ ... ـرِ عَلَى غَدْرِهِمْ وتَنْسَى[4] الوَفَاءَ(٤)

٤٤٢٩ قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوِّه ؟ قال : بأن يزدادَ فضلاً في نفسه .

٤٤٣٠ وكان يقال : احْذَرْ معاداةَ الذليل ، فربما شَرِقَ بالذُّبَابِ[5] العزيز(٥) .

٤٤٣١ كَتَب رجلٌ من الكتَّاب إلى صديقٍ له تجنَّى عليه :

عَتَبْـتَ عَلَـيَّ ولا ذَنْـبَ لـي ... بِمَـا الـذَّنْبُ فِيـهِ ولا شَـكَّ لَـكْ

وحـاذَرْتَ لَـوْمـي فَبَـادَرْتَنِـي ... إلَـى اللَّـوْمِ مِـنْ قَبْـلُ أنْ أبْـدُرَكْ

---

(1) كب : يلوم .
(2) كب : بسنداذ .
(3) كب ، مص : نطعن .
(4) كب ، مص : ننسى .
(5) كأنما كتبَها كب بالوجهين : بالذباب ، وبالذبان . الأولى جمع ، والثانية أقصى الجمع .

---

(١) أجحفت به السنة : أذهبت أمواله واستأصلته . والسنة : الجدب . وحلت : فكَّت ونقضت .
(٢) النوى : الفراق. يقول: روعت بالفراق وقتاً بعد وقت، وحالاً بعد حال، إلى أن صرت لا أبالي بالفراق.
(٣) سنداد : اسم موضع . يقول : ولا هكذا عقدنا بيننا الإخاء .
(٤) المثقفة السمر : الرمح المقومة ، وسميت الرماح بالسمر لأنها تلوح على النار في تثقيفها فتصير إلى السمرة ، والتثقيف للرماح : أن تسوى بالثِّقاف ، وهي خشبة صلبة في طرفها خرق يتسع للرمح ، فيدخل فيها حتى يقوم ويلين . والرماح إذا أريد تثقيفها حتى تصبح لدنة لينة المهز ، تصلى بالنار وتلوح ، حتى تستوي وتطرد ، وتدهن بالزيت أو غيره لتلتمع وتلين .
(٥) شرق : غص .

فَكُنَّــا كَمَــا قِيــلَ فيمــا مَضَــى   خُذِ اللِّصَّ مِنْ قَبْلُ أنْ يأخُذَكْ

٤٤٣٢ وقال آخر :

رَأَيْتُــكَ لَمَّــا نِلْــتَ مَــالاً ومَسَّنَــا   زَمَانٌ تَرَى في حَدِّ أنْيَابِهِ شَغْبَا[1](١)
جَعَلْــتَ لَنَــا ذَنْبــاً لِتَمْنَــعَ نــائــلاً   فَأَمْسِكْ ولا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنا ذَنْبَا

١٠٩/٣

٤٤٣٣ وقال آخر :

تُــرِيــدِيــنَ أنْ أَرْضَــى وأَنْــتِ بَخِيلَــةٌ   ومَنْ ذا الَّذِي يُرْضِي الأَخِلاَّءَ بالبُخْلِ(٢)
وَجَــدِّكِ[2] لا يَــرْضَــى إذَا كَــانَ عــاتِبــاً   خَلِيلُــكِ إلَّا بــالمَــوَدَّةِ والبَــذْلِ
مَتَــى تَجْمَعــي مَنّــاً كثيــراً ونــائــلاً   قليــلاً يُقَطِّــعْ ذَاكَ بــاقِيَــةَ الــوَصْــلِ(٣)

٤٤٣٤ كَتَب رجلٌ إلى صديقٍ له :

لَئِــنْ سَــاءَنــي أنْ نِلْتِنــي بمَسَــاءَةٍ   لَقَــدْ سَــرَّنــي أنِّي خَطَــرْتُ بِبَــالِــكِ

٤٤٣٥ وقال آخر :

إذا رَأَيْــتُ ازْوِراراً مِــنْ أخِــي ثِقَــةٍ   ضَاقَتْ عَلَيَّ برُحْبِ الأَرْضِ أوْطَاني
فــإنْ صَــدَدْتُ بِــوَجْهِــي كَــي أُكَــافِئَــهُ   فــالعَيْــنُ غَضْبَــى وقَلْبِي غَيْــرُ غَضْبَــانِ

٤٤٣٦ وقال إبراهيم بن العَبَّاس :

وَقَــدْ غَضِبْــتُ فَمَــا بــالَيْتُــمُ غَضَبــي   حَتَّى انْصَرَفْتُ بقَلْبٍ سَاخِطٍ راضي

٤٤٣٧ وقال زُهَير :

مَتَــى[3] تَــكُ فــي عَــدُوٍّ أوْ صَــدِيــقٍ   تُخَبِّــرْكَ العُيُــونُ عَــنِ القُلُــوبِ

٤٤٣٨ وقال دُرَيد :

ومــا تَخْفَــى الضَّغِينَــةُ حَيْــثُ كــانَــتْ   ولا النَّظَــرُ الصَّحِيــحُ مِــنَ السَّقِيــمِ(٤)

---

(1) كب : شعبا ، والشعب : التفرق .   (2) كب : وجدتك لا ترضى .
(3) كب ، مص : ومايك .

---

(١) الشغب : تهييج الشر والفتنة .
(٢) يصفها بالبخل بالمودة والضن بالوصل والشح بالحب .
(٣) المن : أن ينعم المنعم ، ثم يعظم الإحسان ويفخر به ، ويبديء فيه ويعيد ، حتى يفسده وينغصه ، وذلك فعل البخلاء المنعمين ولئامهم .
(٤) الضغينة : الحقد الذي تنطوي عليه الجوانح وتضمره وتستره .

٤٤٣٩ وقال ابن أبي حازم[1] :

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ ما كَفَى ... ومِنَ العَيْشِ ما صَفَا
لا تُلِحَّنَّ بالبُكا ... ءِ عَلَى مَنْزِلٍ عَفَا(١)
خَلِّ عَنْكَ العِتَابَ إنْ ... خَانَ ذُو الوُدِّ أَوْ هَفَا
عيْنُ مَنْ لا يُحِبُّ وَصْـ ... ـلَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا

٣/ ١١٠

٤٤٤٠ وقال أعرابيٌّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلُونَ جَنِينَ الضِّغْنِ بَيْنَهُمُ ... والضِّغْنُ أَسْوَدُ أوْ في وَجْهِهِ كَلَفُ(٢)
إنْ كاتَمُونَا القِلَى نَمَّتْ عُيُونُهُمُ ... والعَيْنُ تُظْهِرُ ما في القَلْبِ أَوْ تَصِفُ(٣)

٤٤٤١ وقال ابنُ أبي أمية :

كَمْ فَرْحَةٍ كَانَتْ وكَمْ تَرْحَةٍ ... تَخَرَّصَتْهَا لي فِيكَ الظُّنُونْ(٤)
إذا قُلُوبٌ أظْهَرَتْ غَيْرَ مَا ... تُضْمِرُهُ أنْبَتْكَ عَنْهَا العُيُونْ

٤٤٤٢ وقال آخر :

أَمَا تُبْصِرُ في عَيْنَيَّ؟ ... عُنْوَانَ الَّذِي أُبْدِي

٤٤٤٣ وقال آخر :

ومَوْلًى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْني وبَيْنَهُ ... إذا ما الْتَقَيْنَا لَيسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهْ

يقول : لا أقدِر [أن] أنظر إليه ، فكأن الشمس بيني وبينه .

٤٤٤٤ ومثلُه :

إذا أَبْصَرْتَني أعْرَضْتَ عَنِّي ... كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلي تَدُورُ

٤٤٤٥ وقال النَّمِر بن تَوْلَب في الإعراض :

---

(1) كب : ابن أبي ، مص : ابن أبي خازم ، وكلاهما تحريف .

---

(١) ألح بالبكاء : داوم عليه وواظب . وعفا المنزل : درس وامَّحى .
(٢) زمل الشيء : أخفاه . والكلف : نمش يعلو الوجه كالسمسم . يقول : الضغن ظاهر واضح .
(٣) مضى برقم ٣٠٧٨ كتاب العلم والبيان ، وسيأتي برقم ٥٧٩٥ كتاب النساء .
القلى : غاية الكره والبغض . ونمت عيونهم : أبدت ذلك وأظهرته واضحاً جلياً .
(٤) تخرصتها : كذبتها بالباطل (وانظر ما مضى برقم ٤٢٦٥) .

فَصَدَّتْ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاعِها　　بَدَا حاجِبٌ مِنْهَا وضَنَّتْ بحاجِبِ(١)

٤٤٤٦ أخذه أبو نُوَاس فقال :

يـا قَمَـراً للنِّصْـفِ مِـنْ شَهْـرِهِ　　أبْـدَى ضِيَـاءً لِثَمَـانٍ بَقِيـنْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفه .

١١١/٣

٤٤٤٧ وقال آخر في الضغينة :

وَفِينـا وإنْ قِيـلَ اصْطَلَحْنـا تَضَـاغُـنٌ　　كَمَا طَرَّ أوْبَارُ الجِرَابِ عَلَى النَّشْرِ(٢)

٤٤٤٨ وقال آخر في نحوه :

وقَدْ يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى　　وتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا(٣)

٤٤٤٩ وقال الأخطل :

إنَّ الضَّغِينَـةَ تَلْقَـاهَـا وإنْ قَـدُمَـتْ　　كالعَرِّ يَكْمُنُ حِيناً ثُمَّ يَنْتَشِرُ(٤)

شُمْسُ العَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ　　وأعْظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذا قَدَرُوا(٥)

٤٤٥٠ وقرأتُ في « كتابٍ للهند » : ليس مِنْ[1] عداوةِ الجَوْهر صُلْحٌ إلَّا ريثما يُنْتكثُ ، كالماء إنْ أُطِيل إسخانُه فإنه لا يَمْتنع من إطفاء النارِ إذا صُبَّ عليها .

٤٤٥١ قال سعد بن أبي وقاص لعمار بن ياسر : إنْ كنا لَنَعُدُّك مِنْ أكابر أصحابِ محمد ﷺ ، حتى إذا لم يبق من عمرك إلَّا ظِمْءُ الحمار فعلتَ وفعلتَ . قال : أيُّما أحبُّ

(1) كب ، مص : بين عداوة الجوهرية .

(١) حاجب الشمس : ناحيته ، وهو جانب من قرصها حين تبدأ في الطلوع .
(٢) النشر : الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندي أخضر ، تدفيء منه الإبل فيكثر وبرها وشحمها إذا رعته . يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجربى عند أكل النشر وتحتها داء منه في أجوافها .
(٣) ضربه مثلاً لرجل يُظهر مودة، وقلبه نَغِل بالعداوة. وحزازة النفس: ألم الغيظ والحقد . والدمن : البعر. وتفسير حقيقته أن النبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسناً وباطنه قبيحاً فاسداً.
(٤) الضغينة : الحقد الذي تنطوي عليه الجوانح وتضمره وتستره . والعر (بفتح العين) : جرب يأخذ البعير فيتساقط عنه شعره حتى يبدو الجلد . يقول : لا يؤمن ذو الضغن وإن طال الأمد ، فإن الضغن يخفى أحياناً ثم لا يلبث أن يؤرثه شيء فيعود أشد ما كان . وشبهه بجرب الإبل ، لأنه كذلك ، يخفى زماناً ثم يعود .
(٥) شمس : جمع شموس ، وهو الرجل العسير في عداوته ، الشديد على من خالفه ، الآبي على من أراد ضيمه . استقاد له : أعطى مقادته وزمامه ، فخضع واستكان . يقول : إذا ناوأهم عدو لم يرضوا إلا أن يقسروه على الخضوع والاستسلام ، فإن قهروه وفرغوا من شره عفوا عنه وأكرموه .

إليك : مَوَدَّةٌ على دَخَلٍ ، أو مُصارمةٌ جميلة(١) ؟ قال : مُصارمةٌ جميلة . قال : للهِ عليَّ ألَّا أُكَلِّمَك أبداً .

٤٤٥٢ وقال بعضُ الشعراءِ في صديقٍ له تغيَّر :

احْـوَلَّ عَنِّـي وكَـانَ يَنْظُـرُ مِـنْ ‏ ‏ عَيْني ويَرْمي بسَاعِدِي ويَدِي(٢)

٣/ ١١٢ ٤٤٥٣ وقال المُثَقَّب[1] العَبْدي :

ولا[2] تَعِـدِي مَـوَاعِـدَ كَـاذِبَـاتٍ ‏ ‏ تَمُرُّ بِها رِيَاحُ الصَّيْفِ دُوني(٣)

فـإنِّـي لَـوْ تُعَـانِـدُني شِمَـالـي ‏ ‏ عِنَـادَكِ مـا وَصَلْـتُ بهـا يَمِينـي

إذاً لَقَطَعْتُهَـــا ولَقُلْـــتُ بِينِـــي ‏ ‏ كذلك أجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِيني(٤)

٤٤٥٤ وقال الكُمَيت :

ولَكِنَّ صَبْراً عنْ أخٍ لَكَ[3] ضائِرٍ[4] ‏ ‏ عَزَاءً إذا ما النَّفْسُ حَنَّ طَرُوبُهَا(٥)

رأَيتُ عِذَابَ المَاءِ إنْ حِيلَ دُونَهَا ‏ ‏ كَفَاكَ لِمَا لا بُدَّ مِنْهُ شَرُوبُهَا(٦)

وإنْ لَمْ تَكُنْ[5] إلَّا الأسِنَّةَ مَرْكِبٌ ‏ ‏ فَـلا رَأْيَ للمَجْهُـودِ إلَّا رُكُـوبُهَـا

٤٤٥٥ وقرأتُ في « كتابِ للهند » : العدوُّ إذا أحدثَ صداقةً لعلَّةٍ ألجأتْهُ إليها ، فمع ذهابِ العِلَّة رُجوعُ العداوةِ ، كالماء يسخن فإذا رُفِع عاد بارداً .

٤٤٥٦ قال محمد بن يزداد[6] الكاتب : إذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوِّك فقَبِّلْها .

---

(1) كب : المنتقب ، تحريف .
(2) كب : لا (بسقوط الواو) .
(3) مص : عنك .
(4) كب ، مص : صابر .
(5) مص : يكن .
(6) كب : يزداذ .

---

(١) الدخل : الريبة والظن والشَّكُّ .. والمصارمة : الهجران والقطيعة .
(٢) مضى مع أبيات برقم ٤٢٨٥ .
(٣) رياح الصيف : رياح شديدة الهبوب عاصفة ، ذات عجاج وغبار ، لا خير فيها . وتمر بها : تذهب بها وتفرقها في كل وجه . وإنما عنى برياح الصيف ما يثور بينه وبينها من الخلاف والعناد واليأس وكل ما يذهب بالمودة ويعصف بالمواعيد .
(٤) اجتوى المكان : كرهه واستثقله وأعرضت نفسه عنه .
(٥) طروب النفس : خفتها وارتياحها فرحاً وسروراً ، يقول : عند ذكرك للصديق وتشوقك للقائه ، لما في التواصل من منفعة وخير ، تجمل بالحلم ، وتجاوز عن الزلل ، فلا وجود للكامل المنزه عن الأخطاء.
(٦) الشروب : الماء يشرب على كره لقلة عذوبته .

٤٤٥٧ قال الشاعر :

لَقَـدْ زَادَنـي حُبـاً لِنَفسـي أَنَّنـي بَغِيضٌ إلى كُلِّ امْرِىءٍ غَيْرِ طائِلِ(١)
إذا مـا رآنـي قَطَّـعَ الطَّـرْفَ دُونَـهُ ودُونِـيَ فِعْـلَ العَـارِفِ المُتَجَـاهِـلِ
مَـلأتُ عَلَيْـهِ الأَرْضَ حَتَّـى كَـأَنَّهَـا مِنَ الضِّيقِ في عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ(٢)

٤٤٥٨ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اعتزِلْ عدوَّك ، واحذَرْ صديقَك إلَّا الأمينَ ، ولا أمينَ إلَّا مَنْ خَشي اللهَ .

٤٤٥٩ الهيثم ، عن ابن عَيَّاش ، قال :

أخبرني رجلٌ من الأزْد ، قال : كنا مع أسد بن عبد الله بخُرَاسان ، فبينا نحن نسير معه ، وقد مَدَّ نهرٌ(٣) فجاء بأمرٍ عظيمٍ لا يُوصَف ، إذا[1] رجلٌ يَضْرِبُه الموجُ وهو ١١٣/٣ ينادي : الغريقَ ، الغريقَ ! فوقف أسدٌ ، وقال : هل مِنْ سابح ؟ فقلتُ : نعم . فقال : ويحك ، الْحَقِ الرجلَ ! فوثبتُ عن فرسي ، وألقيتُ عني ثيابي ، ثم رميتُ بنفسي في الماء ، فما زلتُ أسبَحُ ، حتى إذا كنتُ قريباً منه قلتُ : ممن الرجلُ ؟ قال : مِنْ بني تميم . قلتُ : امضِ راشداً . فواللهِ ، ما تأخرتُ عنه ذراعاً حتى غَرِق . فقال ابنُ عيَّاش : فقلتُ له : ويحك ، أمَا اتقيتَ الله ! غَرَّقْتَ رجلاً مسلماً ؟! فقال : واللهِ ، لو كانتْ معي لَبِنةٌ(٤) لضربتُ بها رأسَه .

٤٤٦٠ طاف رجلٌ من الأَزْد بالبيت وجَعَل يدعو لأبيه ، فقيل له : ألا تدعو لأُمِّك ؟ فقال : أنها تميميَّةٌ .

٤٤٦١ وقرأتُ في « كتابِ للهند » : جانِبِ الموتورَ(٥) ، وكنْ احذرَ ما تكونُ له ألطفَ ما يكونُ بك . فإنَّ السلامةَ من[2] الأعداءِ تَوَحُّشُ[3] بعضِهم من بعضٍ ، ومنَ الأُنْس والثقةِ حُضورُ آجالِهم .

---

(1) كب ، مص : وإذا . (2) كب : بين .
(3) كب : توحشه .

---

(١) غير طائل : لا فضل ولا نفع منه .
(٢) كفة حابل : ما يصيد به الصائد .
(٣) مد النهر : ارتفع منسوب مياهه .
(٤) اللبنة : قطعة من الطين مربعة ، يبنى بها .
(٥) الموتور : صاحب الثأر ، الذي لا يُبقي على شيء حتى يدرك ثأره .

٤٤٦٢ أراد الملكُ قَتْلَ بُزُرْجِمِهْر وأن يتزوجَ ابنتَه بعد قَتْله ، فقالتْ[1] : لو كان مَلِكُكم حازماً ما جعل بينه وبين شِعاره مَوْتُورة(١) .

٤٤٦٣ قال أبو حازم : لا تُنَاصِبَنَّ(٢) رجلاً حتى تنظرَ إلى سَريرته ، فإنْ تكنْ له سريرةٌ حسنةٌ فإنَّ اللهَ لم يكن يخذُله بعداوتك إياه ، وإنْ كانتْ سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساويَه .

٤٤٦٤ [وقال :] لو أردتَ أنْ تعمل[2] بأكثرَ من معاصي اللهِ لم تَقْدِر .

٤٤٦٥ قال رجل : إني لأغتنم في عدوِّي أنْ أُلقي عليه النملةَ وهو لا يشعرُ لتؤذيَه .

٤٤٦٦ وقال الأفوَه الأَوْدي :

بَلَـوْتُ النَّـاسَ قَـرْنـاً بَعْـدَ قَـرْنٍ ... فَلَـمْ أَرَ غَيْـرَ خَـلاَّبٍ وقَـالـي(٣)
وذُقْـتُ مَـرَارَةَ الأشْيَـاءِ جَمْعـاً ... فَمَـا طَعْـمٌ أَمَـرُّ مِـنَ السُّـؤَالِ
ولَمْ أَرَ في الخُطُوبِ أشَدَّ هَوْلاً ... وأصْعَـبَ مِـنْ مُعَـادَاةِ الـرِّجَـالِ

٣/ ١١٤ ٤٤٦٧ وقال آخر :

بَـــلاءٌ لَيْـــسَ يُشْبِهُـــهُ بَـــلاءٌ ... عَـدَاوَةُ غَيْـرِ ذِي حَسَـبٍ ودِيـنِ
يبِيحُـكَ مِنْـهُ عِـرْضـاً لَـمْ يَصُنْـهُ ... ويَرْتَعُ مِنْكَ في عِرْضٍ مَصُونِ

* * *

(1) كب ، مص : فقال . (2) كب : يعمل .

(١) الموتور : صاحب الثأر (وانظر رقم ٤٤٦١) .
(٢) نصب فلان لفلان ، وناصبه : قصد له وعاداه .
(٣) بلوت الناس : اختبرتهم وامتحنتهم . والخلاب : المخادع ، المتلون ، الذي يفتنك بمعسول كلامه . والقالي : الكاره غاية الكراهة .



شماتة الأعداء

٤٤٦٨ بَلَغ عَمْرَو بنَ عُتْبة شماتةُ قوم به في مصائب ، فقال : والله ، لئن عَظُم مُصابنا بموت رجالنا ، لقد عَظُمت النعمةُ علينا بما أبقى اللهُ لنا : شُبّاناً يَشُبُّون الحروبَ(١) ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ ، وما خُلِقنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلّا للموت .

٤٤٦٩ قيل لأيوبَ النبيِّ عليه السلام : أيُّ شيء كان أشدَّ عليك في بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

٤٤٧٠ اشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شديدة ، وبلغه أنَّ هشاماً سُرَّ بذلك ، فكتب إلى هشام يعاتبه ، وكَتَب في آخر الكتاب :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ ، وإنْ أمُتْ ... فتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ

وقَدْ عَلِمُوا ، لَوْ يَنْفَعُ العِلْمُ عِنْدَهُمْ ، ... مَتَى مِتُّ ما الدَّاعي عَلَيَّ بمُخْلَدِ

منِيَّتُهُ تَجْري لوَقْتٍ وحَتْفُهُ ... يُصَادِفُهُ يَوْماً عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ

فقُلْ لِلَّذِي يَبْغي[1] خِلافَ الَّذِي مَضَى ... تَهَيَّأْ لأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنْ قَدِ

٤٤٧١ وقال الفَرَزْدق :

إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ ... حَوَادِثَهُ أَنَاخَ بآخَرِينَا

فقُلْ للشَّامِتِينَ بنا : أَفِيقُوا ... سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينا

٤٤٧٢ أُغِير على رجلٍ من الأعراب فذُهِب بإبله ، فقال :

لا والَّذِي أَنَا عَبْدٌ في عِبَادَتِهِ ... لَوْلَا شَمَاتَةُ أعْدَاءٍ ذَوي إِحَنٍ(٢)

ما سَرَّني أنَّ إبْلِي في مَبَارِكِها ... وأنَّ شَيْئاً قَضَاهُ اللهُ لَمْ يَكُنِ(٣)

٤٤٧٣ وقال عدي بن زيد العِبادي : ٣/١١٥

---

(1) كب : يبقي .

---

(١) يشبون الحروب : يهيجونها ، كأن الحرب نار وهم يزيدون في اتقادها وسعيرها .

(٢) الإحن : الحقد والبغضاء .

(٣) مبارك الإبل : هي كالزريبة بالنسبة لغيرها .

أَرَوَاحٌ مُـــــوَدِّعٌ أَمْ بُكُـــــورُ لَـكَ فـانْظُـرْ لأَيِّ حَـالٍ تَصِيـرُ
وابْيِضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذُرِ المَوْ تِ فهَـلْ بَعْـدَهُ لإِنْـسٍ نَـذِيـرُ
أيُّهَـا الشَّـامِـتُ المُعَيِّـرُ بـالـدَّهْـ ـرِ أَأَنْـتَ المُبَـرَّأُ المَـوْفُـورُ[١]
أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَيَّـ ـامِ أَمْ أَنْـتَ جَـاهِـلٌ مَغْـرُورُ
مـنْ رَأَيْـتَ المَنُـونَ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْـهِ مِـنْ أَنْ يُضَـامَ مُجِيـرُ[٢]
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوكِ أَنُوشِرْ وَانَ أَمْ أَيْـنَ قَبْلَـهُ سَـابُـورُ[٣]
وأَخُـو الحَضْـرِ إذْ بَنَـاهُ وإذْ دِجْـ ـلَـةُ تُجْبَـى إلَيْـهِ والخَـابُـورُ[٤]
شَــادَهُ مَـرْمَـراً وجَلَّلَـهُ كِلْـ ـساً فَلِلطَّيْـرِ فـي ذُرَاهُ وُكُـورُ[٥]
لَـمْ يَهَبْـهُ رَيْـبُ المَنُـونِ فَبَادَ الـ ـمُلْـكُ عَنْـهُ فَبَـابُـهُ مَهْجُـورُ
وتَبَيَّـنَ رَبُّ الخَـوَرْنَـقِ إذْ أَشْـ ـرَفَ يَـوْماً ولِلْهُـدَى¹ تَفْكِيـرُ[٦]
ســرَّهُ حَـالُـهُ وكَثْـرَةُ مـا يَمْـ ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ[٧]
فـارْعَـوَى قَلْبُـهُ فَقَـالَ ومـا غِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إلَى المَمَاتِ يَصِيرُ[٨]

---

(1) كب : للهدي .

---

(١) وضع الدهر هنا موضع مصائب الدهر ، وهو جيد بليغ . الموفور : الذي لم ينل منه شيء ، ولم يرزأ في مال ولا بدن ، ولا يقال ذلك إلا إذا ذكر المرء في كلامه ما أصيب به غيره .

(٢) المنون : المنية أو الدهر ، ويجوز تذكيره وتأنيثه ، ويأتي بمعنى الجمع وبمعنى الإفراد ، وأتى هنا بمعنى الجمع . وقوله : خلدن ، يريد خلدنه .

(٣) أنوشروان : كسرى الأول ، أنوشروان بن قباذ . وسابور : هو سابور الثاني ذو الأكتاف .

(٤) أخو الحضر : صاحب الحضر ، وهو الساطرون ، كسرى أردشير . والحضر : مدينة قديمة تقع أوابدها في منخفض من بادية ما بين نهري دجلة والفرات ، المعروفة باسم الجزيرة . الخابور : عنى الخابور الأكبر، أحد روافد نهر الفرات، يتصل به برأس العين وماردين ونصيبين . وقوله : بناه ، أي بنى قصره.

(٥) المرمر : حجر رخامي المظهر ، يتكون من كبريتات الكالسيوم المتبلورة . و« جلله » بالجيم بمعنى كساه ، تصحيف قديم ، قال العسكري : ترويه العامة « جلله » بالجيم ، فقرأته على أبي بكر بن دريد ، فقال : خلله ، بالخاء المعجمة ، أي جعل الكلس في خلل الحجر ، وقال : « جلله » ليس بشيء . ذراه : أعاليه . ووكور : جمع وكر ، وهو العش .

(٦) الخورنق : قصر للنعمان بظهر الحيرة ، والاسم فارسي معرب ، أصله (الخرنكاه) أي موضع الشرب .

(٧) عنى بالبحر نهر الفرات. معرضاً: متسعاً، من أعرض الثوب، إذا اتسع وعرض. السدير: أحد قصور النعمان في الحيرة. ، اتَّخذه لبعض الأكاسرة، وأصله «سَهْ دِير» أي ثلاث قِباب، لأنه كان في داخله ثلاث قباب بعضها في بعض .

(٨) ارعوى قلبه : كف عن الجهل وأحسن الرجوع عنه .

ثُـمَّ[1] بَعْـدَ الفَـلاَحِ والمُلْـكِ والنِّعْـ ـمَـةِ وَارَتْهُـمْ هُنَـاكَ القُبُـورُ(١)

ثـمَّ أَضْحَـوْا كَـأَنَّهُـمْ وَرَقٌ جَـ ـفَّ؟ فَأَلْوَتْ بِهِ الصَّبَا والدَّبُورُ(٢)

٤٤٧٤ قال ابن الكلبي : لما قُبض النبيُّ ﷺ سَمِع بموته نساءٌ من كِندة وحضرموت فخَضَبْن أيديهنَّ وضربْنَ بالدُّفُوف ، فقال رجلٌ منهم : ١١٦/٣

أَبْلِـغْ أَبَـا بَكْـرٍ إذَا مـا جِئْتَـهُ أَنَّ البَغَـايَـا رُمْـنَ أَيَّ مَـرَامِ

أَظْهَـرْنَ مِـنْ مَـوْتِ النَّبِـيِّ شَمَـاتَـةً وخَضَّبْـنَ أَيْـدِيَهُـنَّ بـالعُـلاَّمِ(٣)

فاقْطَعْ ، هُدِيتَ ، أَكُفَّهُنَّ بصَارِمٍ كالبَرْقِ أَوْمَضَ مِنْ مُتُونِ غَمَامِ

فكَتَب أبو بكر إلى المهاجِر عامِلِه ، فأخذهنَّ وقطَّع أيديهنَّ .

٤٤٧٥ وقرأتُ في كتابٍ ذُكِر فيه عدوٌّ : فإنه يتربَّصُ بك الدوائرَ ، ويتمنَّى لك الغوائلَ ، ولا يؤمِّلُ صلاحاً إلَّا في فَسادِك ، ولا رِفْعَةً إلا في سقوط حالك . والسلام[2] .

●●●

(1) سقط هذا البيت وتاليه من كب وألحقا بالهامش .

(2) جاء في كب ، وتابعتها مص : آخر كتاب الإخوان ، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري رحمه الله . وكَتَبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمئة . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

وتلاه خبر وفود أبي دلامة إلى الخليفة المهدي ، وبيتان لأبي العتاهية في المديح ، وكلاهما من زيادة النساخ .

(١) الفلاح : البقاء .

(٢) ألوت به : أخذته وطارت به . والصبا : ريح تقابل الدبور ، تهب من المشرق . والدبور : تهب من المغرب .

(٣) العلام : الحناء .

فهرس المحتويات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com